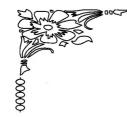


حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣١هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٩٥٩٥٠٩٨، ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلف اكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٨٤١٢١٠٠ - والن: ٨٤١٢١٠٠ - بيروت - هاتف: ٣/٨٦٩٦٠٠ - الإحساء - ت: ٩٨٨٣١٢٢ - ٣٠٤٣٤٤٩٧٠ - بيروت - هاتف: ٢٤٤٣٤٤٩٠٠ - نلف اكس: ١١٠٦٨٢٣٧٨٣ - محمول: ١١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلف اكس: ١١٠٦٤٢٤٤٩٧٠ ونى: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com







٩

قال العوفي، عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة (۱). وكذا روى ابن مردويه، عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت، وروى من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أخيه عيسى، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت سورة النساء قال رسول الله عليه: «لا حبس»(۲).

⁽۱) سنده ضعيف بسبب عطية العوفي: ضعيف، ويشهد له ما رواه البخاري عن عائشة أنها قالت: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده (الصحيح، فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ح٤٩٩٣)، والنبي على للم يدخل على عائشة إلا بالمدينة (ينظر: الإصابة ٤/٩٥٣).

⁽٢) قال أبن الأثير: أراد أنه لا يوقف مال ولا يُزوىٰ عن وارثه، وكأنه إشارة إلىٰ ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حبس مال الميت ونسائه (النهاية ١/٣٢٩)، والحديث ضعيف بسبب عيسىٰ بن لهيعة (الضعفاء للعقيلي ٣٧٧)

⁽٣) في الأصل: «أبو البحتري» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح) والمستدرك.

⁽٤) الزيادة من (ح) و(حم).

⁽٥) المستدرك ٢/ ٣٠٥ وقد وافقه الذهبي فيما قاله الحاكم.

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وأخرجه الطبري من طريق عبد الرزاق به (وسنده ضعيف بسبب إبهام شيخ معمر).

طلعت عليه الشمس وغربت، أولهن: ﴿ رُبِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمُ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَهُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيدُ وَاللّهُ عَلِيدُ اللّهُ عَلِيدُ اللّهُ اللهُ عَلِيدُ اللّهُ اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَكُويدُ اللّهُ اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَكُونَ الشّهَونَ الشّهَوَتِ أَن يَمُولُو مَيْدًا عَظِيمًا ﴿ النساء] والنساء] والنساء] والنساء] ، ثم ذكر قول ابن مسعود سواء ـ يعني: في الخمسة الباقية (١) ـ.

وروى الحاكم من طريق أبي نعيم، عن سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن أبي مليكة: سمعت ابن عباس يقول: سلوني عن سورة النساء فإني قرأت القرآن وأنا صغير. ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (٢).

بمهاراكركرال

﴾ ﴿ وَيَنَا يُهَا النَّاسُ اتَقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالَا كَثِيرًا وَيَسَآءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِـ وَٱلْأَرْحَامُ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْتُكُمْ رَقِيبًا ۞﴾.

يقول تعالى آمراً خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم ﷺ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء ﷺ خلقت من ضلعه الأقصر (٣) من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا وكيع، عن أبي هلال، عن قتادة، عن ابن عباس، قال: خلقت المرأة من الرجل فجعل نهمتها في الرجل وخلق الرجل من الأرض فجعل نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم(٤٠).

وفي الحديث الصحيح: «إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها وفيها عوج» (٥).

وقوله: ﴿وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَيْسَآءُ ﴾ أي: وذرأ منهما؛ أي: من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساءً، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر. ثم قال تعالى: ﴿وَاتَقُوا الله اللّه الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِم وَالْأَرْحَامَ ﴾ أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه. قال إبراهيم ومجاهد والحسن: ﴿الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِه ﴾ أي كما يقال: أسألك بالله وبالرحم (٢).

[وقال الضحاك] $^{(v)}$: واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق صالح المري به، وسنده ضعيف جداً بسبب صالح المري متروك كما في تهذيب التهذيب والتاريخ الكبير ٢/٢٤٤.

⁽٢) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/١٠).

⁽٣) أخرج الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد قال: حواء من قُصيرى بن آدم. والقُصيريٰ: أسفل الأضلاع (تاج العروس: ق ص ر).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع ابن عباس.

 ⁽٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ح٣٣٣).

⁽٦) أخرجه الطبري بأسانيد صحاح عنهم ثلاثتهم.

⁽٧) الزيادة من (ح) و(حم).

ولكن بروها وصلوها، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغير واحد (١٠). وقرأ بعضهم: (والأرحام) بالخفض على العطف على الضمير في به، أي: تساءلون بالله وبالأرحام، كما قال مجاهد وغيره (٢٠).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدُ﴾ [المجادلة: ٦].

وفي الحديث الصحيح: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» (٣)، وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب. ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة ليعطف بعضهم على بعض، ويحننهم على ضعفائهم.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله على حين قدم عليه أولئك النفر من مضر وهم [مجتابو] (٤) النّمار (٥) - أي: من عريهم وفقرهم - قام فخطب الناس بعد صلاة الظهر فقال في خطبته: «﴿ يَتَأَيُّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلْقَكُم مِن نَفْسِ وَبَعِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا وَجَهَا وَبَالاً كَثِيرا وَنِسَاء وَاتَقُواْ اللّه الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَام إِنّ اللّه كَانَ عَلَيْكُم رَقِبًا ﴿ قَالُ فِي وَالْمَرَ وَاللّه اللّه اللّه اللّه وَلتَنظُر نَفْسُ مَا قَدَمَتْ لِغَدِ الله المحديث [الحشر: ١٨]»، ثم حضهم على الصدقة فقال: «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع بره، من صاع تمره...» وذكر تمام الحديث (٢)، وهكذا رواه أحمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة، وفيها ثم يقرأ ثلاث آيات هذه منها ﴿ يَتَأَيُّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ ...﴾ الآية (٧).

﴿ وَمَاثُوا ٱلْمِنَكُمَّ أَمُولَكُمُ وَلَا تَنَبَذَلُوا ٱلْخَيِبَ بِالطَّيَبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمُولَكُمْ إِلَى أَمُولِكُمُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿ وَإِنَّ خِفْتُمْ أَلَّا لَمُ وَأَلَكَ وَرُئِكُمْ إِنَّهُ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا لَمُلِولُا ﴿ وَإِنَّ خِفْتُمْ أَلَّا لَمُلُولُا فَوَالِكُمْ مِنَ النِّسَاءَ مَثْنَى وَلُكَتَ وَرُئِكُمْ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا لَمُولُوا ﴾ وَءَاثُوا النِسَاءَ صَدُقَائِمِنَ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ وَيَاتُوا النِسَاءَ صَدُقَائِمِنَ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ وَيَاتُوا النِسَاءَ صَدُقَائِمِنَ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ وَلَوْلًا ﴾ وَمَا مُلْكُوهُ مَنِيْنَا مُرْبَعًا لَهُ اللّٰهِ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللللّٰهُ الللّٰهُ اللللللّٰمُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللللّٰمُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰ

يأمر تعالى بدفع أموال اليتامي إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنَبَدَّلُوا لَغَيِتُ بِالطَّيِّبِ ﴾.

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وقول الحسن أخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور بن عباد عنه، وقول عكرمة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق خصيف عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند مرسل مرفوع من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول الربيع أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، بلفظ: «أسألك بالله وبالرحم».

⁽٣) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب مطولاً (الصحيح، الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ح٨).

⁽٤) في الأصل تصحيف غير واضح والمثبت من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٥) أي: يرتدون ثياب صوف مخططة.

⁽٦) صحيح مسلم، الزكاة، (باب الحث على الصدقة ح١٠١٧).

⁽V) المسند (ح۲٤۸۸)، وهو بسند مسلم نفسه.

قال سفيان الثوري، عن أبي صالح: لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدر لك(١).

وقال سعيد بن جبير: لا تتبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم، يقول: لا تبذروا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام(٢).

وقال سعيد بن المسيب والزهري: لا تعط مهزولاً وتأخذ سميناً (٣).

وقال إبراهيم النخعي والضحاك: لا تعط زائفاً وتأخذ جيداً (٤).

وقال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول: شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول: درهم بدرهم (٥).

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمُوكُمُمُ إِلَى أَمُوكِكُمُ قال مجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والسدي وسفيان بن حسين: أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعاً (٢).

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال ابن عباس: أي: إثماً كبيراً عظيماً (٧).

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله على عن قوله: ﴿ وُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال: "إثماً كبيراً » ولكن في إسناده محمد بن يوسف الكُدّيْمي وهو ضعيف (^). وروي هكذا عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وأبي مالك وزيد بن أسلم وأبي سنان مثل قول ابن عباس (٩).

وفي الحديث المروي في سنن أبي داود: «اغفر لنا حوبنا وخطايانا»(١٠٠).

وروى ابن مردويه بإسناده إلى واصل مولى أبي عيينة، عن ابن سيرين، عن ابن عباس، أن أبا أيوب طلق امرأته فقال له النبي ﷺ: «يا أبا أيوب إن طلاق أم أيوب كان حوباً» قال ابن سيرين: الحوب الإثم (١١٠)، ثم قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن عنهما.

⁽٤) قول النخعي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق مغيرة عنه، وقول الضحاك أخرجه الثوري في تفسيره بسند صحيح عن أبي سنان ضرار بن مرة عنه.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط بن نصر عنه.

⁽٦) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند إلا قول السدي فأخرجه بسند حسن كسابقه. وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، وصححه الحافظ ابن حجر (الفتح ٢٤٦/٨).

⁽٨) لم يثبت مرفوعاً ولكن صح موقوفاً كما تقدم عن ابن عباس.

⁽٩) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم ومعظم أقوالهم أخرجها الطبري بأسانيد ثابتة.

⁽١٠) أخرجه أبو داود من طريق زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء مرفوعاً (السنن، الطب، باب كيف الرقلي ؟ ح٣٨٩٧)، وسنده ضعيف بسبب زيادة بن محمد وهو منكر الحديث (التقريب ص٢٢١).

⁽١١) أخرجه الطبراني من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حماد بن زيد عن واصل به (المعجم الكبير =

[هَوْدَة] (۱) بن خليفة، حدثنا عوف، عن أنس، أن أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب، فاستأذن النبي على فقال: «إن طلاق أم أيوب لحوب» فأمسكها (۲)، ثم روى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث علي بن عاصم، عن حميد الطويل، سمعت أنس بن مالك أيضاً يقول: أراد أبو طلحة أن يطلق [أم سليم] (۱) امرأته فقال النبي على: «إن طلاق [أم سليم] لما أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ خِفْتُمَ أَلًا نُقْسِطُوا فِي الْلِنَهَىٰ فَأَنكِمُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَنْنَ ﴾ أي: إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء، فإنهن كثير ولم يضيق الله عليه.

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه ﴿وَإِنْ خِقْتُمْ أَلّا نُقَسِطُوا ﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله (٢).

ثم قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنّ خِفْتُمُ أَلّا نُقَسِطُوا فِي الْيَنَكَىٰ﴾، قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يُقسطوا إليهنَّ. ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله على الله على الله ﴿وَيَسْتَفُتُونَكُ فِي ٱلنِسَاءَ ١٢٧]، قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَرَغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَ ﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحو من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا القسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كُنَّ قليلات المال والجمال (٧).

وقوله: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَكَ وَرُبِكُمُ أَي: انكحوا ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين وإن شاء

⁼ ١٩٦/١٢ ح١٢٨٧)، وفي سنده الحماني: ضعيف (مجمع الزوائد ٢٦٥/٩)، وأخرجه أبو عمر الدوري مرسلاً عن ابن سيرين (قراءات النبي ﷺ ص٨٢ ح٣٠).

⁽١) في الأصل: "هز" وهو تصحيف: والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٢) في سنده عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي لم يسمع من أنس (ينظر: تهذيب التهذيب ١٦٦/٨).

⁽٣) (٤) في الأصل: «أم سلمة» وهو تصحيف: من (ح) و(حم) و(مح) والمستدرك.

⁽٥) أخرجه الحاكم من طريق علي بن عاصم به وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، عليّ واه (المستدرك ٢٠ / ٣٠٢)، وعلي بن عاصم هو ابن صهيب الواسطي: صدوق يخطئ ويصرّ ورمي بالتشيع (التقريب ص٣٠٤)، وقد ذكر ابن عدي هذا الحديث ضمن مناكير علي بن عاصم (الكامل في الضعفاء ١٨٣٨/٥).

⁽٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا نُقْسِطُوا فِي ٱلْيَنَهَ ﴾ [النساء: ٣] ح٤٥٧٣).

⁽٧) المصدر السابق (ح٤٧٥٤).

ثلاثاً، وإن شاء أربعاً. كما قال الله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَيْكَةِ رُسُلًا أُولِيَ أَجْنِحَةٍ مَّنْنَى وَثُلَكَ وَرُبَعَ ﴾ [فاطر: ١] أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه، بخلاف قصر الرجال على أربع، فمن هذه الآية كما قال ابن عباس وجمهور العلماء، لأن المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره.

قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، وهذا الذي قاله الشافعي كَلَّلُهُ: مجمع عليه بين العلماء إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة، أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع. وقال بعضهم: بلا حصر. وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله ﷺ في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيحين (۱)، وأما إحدى عشرة كما جاء في بعض ألفاظ البخاري (۲)، وقد علقه البخاري.

وقد روينا عن أنس أن رسول الله ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل منهن بثلاث عشرة (٣). واجتمع عنده إحدى عشرة، ومات عن تسع. وهذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من الأمة لما سنذكره من الأحاديث في ذلك:

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل ومحمد بن جعفر قالا: حدثنا معمر عن الزهري، قال ابن جعفر في حديثه: أنبأنا ابن شهاب عن سالم، عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي على: "اختر منهن أربعاً" فلما كان في عهد عمر طلق نساءه، وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر فقال: إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك، ولعلك لا تمكث إلا قليلاً. وايم الله لتراجعن نساءك ولترجعن في مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رِغال (عالم). وهكذا رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم، من طرق عن إسماعيل بن علية وغندر ويزيد بن زريع وسعيد بن أبي عروبة وسفيان الثوري وعيسى بن يونس، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، والفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ، عن معمر بإسناده مثله إلى قوله: "اختر منهن أربعاً" أنه.

⁽۱) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس وأنس (الصحيح، النكاح، باب كثرة النساء ح٥٠٦٧ و٥٠٦٨)، وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس أيضاً (الصحيح، الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ح١٤٦٥).

⁽٢) أخرجه البخاري من حديث أنس موصولاً صحيح البخاري، الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ح٢٦٨، وقد وبدايته: «كان النبي على يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. . .» وقد بيّن الحافظ ابن كثير المراد بالإحدى عشرة وهن: التسع المذكورات في حديث ابن عباس والجاريتان مارية وريحان (ينظر: البداية والنهاية ٥/٣١٣).

 ⁽٣) أخرجه ابن عدي من طريق بحر بن كُنيز عن قتادة عن أنس، وذلك ضمن مناكير بحر (الكامل ٢/ ٤٨٤)،
 وبحر بن كُنير ضعيف (التقريب ص١٢٠).

⁽٤) أبو رغال: هو أبو ثقيف من ثمود (قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير ١١٣/١).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٨/ ٢٥٢ ح ٤٦٣١)، وصححه محققوه، ونقلوا عن السندي: وقوله: فقذفه، أي: فطلقتهن فراراً من إرثهن، والحديث يدل على كراهة طلاق الفارّ، وأنه ينبغي له المراجعة.

⁽٦) ترتيب مسند الشافعي، النكاح، (باب الترغيب في التزويج ح٤٣)، وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة (ح١١٢٨)، وسنن ابن ماجه، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده أكثر =

وباقى الحديث في قصة عمر من أفراد أحمد(١)، وهي زيادة حسنة وهي مُضَعّفة لما علل به البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته له: سمعت البخاري يقول: هذا الحديث غير محفوظ. والصحيح ما رواه شعيب وغيره عن الزهري [حُدّثت](٢) عن محمد بن سويد الثقفي أن غيلان بن سلمة . . . فذكره . قال البخاري : وإنما حديث الزهري عن سالم ، عن أبيه أن رجلاً من ثقيف طلق نساءه فقال له عمر: لتراجعن نساءك أو لأرجمنَّ قبرك كما رجم قبر أبي رغال. وهذا التعليل فيه نظر، والله أعلم. وقد رواه عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري مرسلاً (7). وهكذا رواه مالك عن الزهري مرسلاً (3). قال أبو زرعة: وهو أصح.

وقال البيهقي: ورواه عُقيل عن الزهري: بلغنا عن عثمان بن محمد بن أبي سويد (٥). وقال أبو حاتم: وهذا وهم إنما هو الزهري، عن محمد بن أبي سويد. بلغنا أن رسول الله ﷺ. . . فذكره (٦٠). قال البيهقي: ورواه يونس وابن عيينة عن الزهري، عن محمد بن أبي سويد وهذا كما علله

البخاري وهذا الإسناد الذي قدمناه من مسند الإمام أحمد، رجاله ثقات على شرط الشيخين ثم

قد روي من غير طريق معمر بل والزهري.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو علي الحافظ، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي، حدثنا أبو بُرَيد عمرو بن يزيد الجرمي، أخبرنا [سيف] (٧) بن عبيد الله، حدثنا سرار بن مجشر، عن أيوب، عن نافع وسالم، عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه، فأمره النبي على أن يختار منهن أربعاً (٨). هكذا أخرجه النسائي في سننه، قال أبو علي بن السكن: تفرد به سرار بن مجشر وهو ثقة. وكذا وثقه ابن معين قال أبو على: وكذا رواه السميدع بن واهب عن سرار. قال البيهقى: وروينا من حديث قيس بن الحارث أو الحارث بن قيس، وعروة بن مسعود الثقفي وصفوان بن أمية ـ يعني حديث غيلان بن سلمة. فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله على سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن معه فلما أمره بإمساك أربع وفراق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال، فإذا كان هذا في الدوام، ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى، والله ﷺ أعلم بالصواب.

(حديث آخر في ذلك) روى أبو داود وابن ماجه في سننهما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن حُمَيْضة بن الشمردل وعند ابن ماجه بنت الشمردل، حكى أبو داود أن منهم من

من أربع نسوة (ح١٩٥٣)، وسنن الدارقطني ٣/ ٢٦٩، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/ ١٨١.

قال الحافظ ابن حجر: والموقوف على عمر هو الذي حكم البخاري بصحته عن الزهري عن سالم عن أبيه (التلخيص الحبير ٣/ ١٩٢).

في الأصل: "حديث" وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

المصنف ٧/ ١٦٢ (ح١٢٦٢١).

الموطأ، الطلاق، باب جامع الطلاق ٢/٥٨٦ (ح٧٦).

⁽٦) العلل ١/١٠٤. السنن الكبرئ ٧/ ١٨٢.

في الأصل: «منيف» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح). **(**V)

السنن الكبرى ٧/ ١٨٣.

يقول: الشمرذل ـ بالذال المعجمة ـ، عن قيس بن الحارث، وعند أبي داود في رواية الحارث بن قيس بن عميرة الأسدي قال: «اختر منهن أربعاً» (١)، وهذا الإسناد حسن: ومجرد هذا الاختلاف لا يضر مثله لما للحديث من الشواهد.

(حديث آخر في ذلك) قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي في مسنده: أخبرني من سمع ابن أبي الزناد يقول: أخبرني عبد المجيد بن سُهيل بن عبد الرحمن عن عوف بن الحارث، عن نوفل بن معاوية الديلي رسول الله على: أسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله على: «اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى» فعمدت إلى أقدمهن صحبة عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها (٢٠). فهذه كلها شواهد لِصحة ما تقدم من حديث غيلان كما قاله البيهقي كَاللهُ.

وقوله: ﴿ وَإِنْ خِعْلُمُ أَلَّا نَمْلِلُواْ فَوَحِدَةً أَوْ مَا مَلَكُتَ أَيْمَنْكُمُ هُمْ أِي: فإن خشيتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن، كما قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُم ﴾ [النساء: ١٢٩] فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري فإنه لا يجب قسم بينهن، ولكن يستحب فمن فعل فحسن، ومن لا فلا حرج، وقوله: ﴿ وَلِكَ أَدَنَ اللَّا تَعُولُوا ﴾ قال بعضهم: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم، قاله زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة (٣) والشافعي رحمهم الله، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُم عَيَلَة ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: فقراً ﴿ وَسَوّفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضَلِهِ إِن شَامً ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: فقراً ﴿ وَسَوّفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضَلِهِ إِن شَامً ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: فقراً ﴿ وَاللَّهُ مِن فَصَالِهِ إِن شَامً ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: فقراً ﴿ وَاللَّهُ مِن فَصَالِهِ إِن شَامً ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: فقراً ﴿ وَاللَّهُ مِن فَلْمَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الشاعر (٤٠):

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغنى متى يعيل

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير ههنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً، والصحيح قول الجمهور: ﴿ وَلِكَ أَدَنَهُ أَلّا تَعُولُوا ﴾ أي: لا تجوروا (٥)، يقال: عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار، وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة (١):

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد زائدة من نفسه غير عائل

والشاهد من البيت قوله: "غير عائل"، أي: غير جائر.

⁽۱) سنن أبي داود، الطلاق، باب من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع (ح٢٢٤١)، وسنن ابن ماجه، النكاح، باب الرجل يسلم عنده أكثر من أربع نسوة (ح١٩٥٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٩٦٠).

⁽٢) ترتيب مسند الشافعي، النكاح، باب الترغيب في التزويج (ح٤٤)، وفي سنده إبهام شيخ الإمام الشافعي، ويشهد له ما سبق .

⁽٣) قول زيد بن أسلم أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي هلال عنه، وقول ابن عيينة أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن.

 ⁽٤) هو أحيحة بن الجلاح، والبيت ذكره الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٥٥، ونسبه إلى أحيحة ابن منظور (لسان العرب: مادة ع ي ل).

⁽٥) صح عن عائشة ﷺ موقوفاً.

⁽٦) ذكره الطبري وابن هشام (السيرة ٢٩٦٦)، وعلق محمود شاكر بقوله: من القصيدة التي زعموا أن أبا طالب قالها... وقوله: لا تُخس شعيرة؛ أي لا تنقص مقدار شعيرة.اه.

وقال هشيم، عن أبي إسحاق قال: كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه: إني لست بميزان لا أعول. رواه ابن جرير^(۱)، وقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو حاتم بن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، حدثنا محمد بن شعيب، عن عمر بن محمد بن زيد، عن عبد الله بن عمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي على النبي وَلَاكُ أَدَنَهُ أَلًا تَعُولُوا فَال: «لا تجوروا» قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث خطأ، والصحيح: عن عائشة موقوف (۱).

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عباس وعائشة ومجاهد وعكرمة والحسن وأبي مالك وأبي رزين والنخعي والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: لا تميلوا^(٣)، وقد استشهد عكرمة كَالله ببيت أبي طالب الذي قدمناه، ولكن ما أنشده كما هو المروي في السيرة (٤)، وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جيداً واختار ذلك (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا اللِّسَاءَ صَدُقَائِهِنَ غِلَةً ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: النحلة المهر(٦).

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: نحلة فريضة ($^{(V)}$. وقال مقاتل وقتادة وابن جريج: نحلة؛ أي: فريضة. زاد ابن جريج: مسماة $^{(\Lambda)}$.

وقال ابن زيد: النحلة في كلام العرب: الواجب، يقول: لا يَنكحُها إلا بشيء واجب لها، وليس ينبغي لأحد بعد النبي على أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق^(۹)، ومضمون كلامهم: أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتماً، وأن يكون طيب النفس بذلك كما يمنح المنحة ويعطي النحلة طيباً بها كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيباً بذلك، فإن طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالاً

⁽١) أخرجه الطبري من طريق هشيم به، وسنده منقطع لأن أبا إسحاق، وهو السبيعي، لم يسمع من عثمان ﴿ اللَّهُ اللَّهُ ا

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه ونقده، وأخرجه ابن حبان عن ابن أسلم عَن عبد الرحمن بن إبراهيم به (موارد الظمآن ص٤٢٨).

⁽٣) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق الزبير بن الخريث عنه، وقول الحسن أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يونس عنه، وقول أبي مالك أخرجه الثوري في تفسيره بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عنه، وقول النخعي أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مغيرة عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أسباط عنه. بسند صحيح من طريق معمر بن راشد عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٤) سيرة ابن هشام ٢٩٦/١.

⁽٥) أخرجه الطبري بنحو رواية ابن أبي حاتم المتقدمة عن عكرمة.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً، وفيه عنعنة ابن إسحاق، ويشهد له ما سبق وما لحق.

⁽٨) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول قتادة: أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول ابن جريج أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن ثور عنه.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه بلفظه وأطول.

طيباً، ولهذا قال: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنَهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيَا ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن السدي، عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة، عن علي قال: إذا اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فليبتع بها عسلاً ثم ليأخذ ماء السماء فيجتمع هنيئاً مريئاً شفاءً مباركاً (١).

وقال هشيم، عن سيار، عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك. ونزل ﴿وَءَاتُوا ٱللِّسَآةَ صَدُقَالِهِنَ نِحَلَةً ﴾ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عمير [الخثعمي] (٣)، عن عبد الملك بن المغيرة الطائفي، عن عبد الرحمن بن البَيْلماني قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَابِنَ غِلَةً ﴾ قالوا: يا رسول الله فما العلائق بينهم؟ قال: «ما تراضى عليه أهلوهم» (٤).

وقد روى ابن مردويه من طريق حجاج بن أرطأة عن عبد الملك بن المغيرة، عن عبد الرحمن بن البَيْلماني عن عمر بن الخطاب قال: خطبنا رسول الله على فقال: «أنكحوا الأيامي _ ثلاثاً _» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله ما العلائق بينهم؟ قال: «ما تراضى عليه أهلوهم» ابن البَيْلماني ضعيف ثم فيه انقطاع أيضاً (٥).

﴿ وَلَا نُوْتُوا السُّفَهَآءَ أَمَوَاكُمُ الَّتِي جَمَلَ اللَّهُ لَكُرُ قِيْمًا وَاَرْدُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَمُمْرَ قَوْلًا مَقُهُواً وَاللَّهُ وَاللْمُولِقُولُوا لَلْمُواللَّالِمُولِقُولُواللَّالِمُولِقُولُولُولُولِمُولِمُ الللللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللللْمُولُولُولُولُولُولَا الللللَّالِمُ الللللَّةُ وَاللَّالِمُولَا الللللللَّةُ وَاللَلْمُولَالِمُولِمُولُولُولُولَا الللللْمُولُولُولُولُولُولُولُولُو

ينهى على عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها ومن ههنا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام، فتارة يكون الحجر للصغر، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه، حجر عليه.

وقد قال الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّعَهَاءَ أَمُولَكُمُ ﴾ قال: هم بنوك والنساء (٦٠).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وحكمه مفصل في تحقيقي لتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق هشيم به.

⁽٣) في الأصل: «الحنفي» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٤) أخرجه ابن أبى حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف البيلماني وإرساله.

⁽٥) سنده كسابقه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك به، وسنده ضعيف بسبب ضعف جويبر، وعدم سماع الضحاك من ابن عباس.

• سِيُوَكِفُو النِسَكَالِ (٥،٦)

وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عُتيبة والحسن والضحاك: هم النساء والصبيان (١). وقال سعيد بن جبير: هم اليتامي (٢).

وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: هم النساء^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله على «وإن النساء السفهاء إلا التي أطاعت قيمها» (٤). ورواه ابن مردويه مطولاً.

وقال ابن أبي حاتم: ذُكر عن مسلم بن إبراهيم، حدثنا حرب بن سُريح، عن معاوية بن قرة، عن أبي هريرة ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمُواكُمُ ۖ قال: هم الخدم، وهم شياطين الإنس (٥).

وقوله: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَمُمْ قَوْلُوا لَمُمْ قَوْلُوا لَمُمْ قَوْلُا مَمْرُوا ﴾. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، يقول: لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤونتهم ورزقهم (٢). وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة [سيئة](٧) الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيها، وقد قال: ﴿وَلَا تُؤْتُولُ السَّفَهَا لَهُ وَلَا لَا لَهُ على رجل دين فلم يُشهِد عليه (٨).

وقال مجاهد: ﴿وَقُولُوا لَمُنْمُ قَوْلًا مَّتُرُوفًا ﴾ يعني: في البر والصلة (٩).

وهذه الآية الكريمة تضمنت الإحسان إلى العائلة ومن تحت الحجر بالفعل من الإنفاق في الكساوي والأرزاق والكلام الطيب وتحسين الأخلاق.

⁽۱) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة بن نبيط عنه، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عنه.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن كلاهما من طريق سالم عنه.

⁽٣) ذكرهم الطبري وابن أبي حاتم بحذف السند، وقول مجاهد: أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

 ⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف رواية عثمان عن علي بن يزيد (التقريب ٢/ ١٠)، وضعف علي بن يزيد (التقريب ٢/٤٤).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً بسنده ومتنه، ولم أجد من رواه موصولاً.

⁽٦) أخرجه الطبري وأبي حاتم بسند ثابت من طريق على به.

⁽V) في الأصل: «سية» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽A) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق شعبة به (المصنف ٣٠٩/٤)، وأخرجه الحاكم من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة مرفوعاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى، وإنما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الإسناد... وقال الذهبي: لم يخرجاه لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً، ورفعه معاذ بن معاذ عنه (المستدرك ٣٠٢/٢)، ولا يصح رفعه.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَابَّلُوا الْبَنَى وَال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل بن حيان؛ أي: اختبروهم (١) ﴿حَقَّ إِذَا بَلَعُوا النِكَاحَ وال مجاهد: يعني الحلم (٢)، قال الجمهور من العلماء: البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم، وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد، [وفي سنن أبي داود عن علي قال: حفظت من رسول الله على: «لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل» (٣)، وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة وعن النبي على قال: «رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستقيظ، وعن المجنون حتى يفيق (٤) [٥)، أو يستكمل خمس عشرة سنة وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر، قال: عرضت على النبي على يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني، وعُرضتُ عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، فقال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث: إن هذا الفرق بين الصغير والكبير (٢).

واختلفوا في إنبات الشعر الخشن حول الفرج، وهي الشعرة، هل تدل على بلوغ أم لا؟ على ثلاثة أقوال، يُفرق في الثالث بين صبيان المسلمين فلا يدل على ذلك لاحتمال المعالجة، وبين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً في حقهم لأنه لا يتعجل بها إلى ضرب الجزية عليه. فلا يعالجها، والصحيح أنها بلوغ في حق الجميع لأن هذا أمر جبلي يستوي فيه الناس واحتمال المعالجة بعيد، ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عطية القرظي في قال: عُرضنا على النبي في يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي (٧)، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح (٨). وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ في كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبى الذرية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب: حدثنا ابن علية، عن إسماعيل بن أمية،

⁽۱) قول ابن عباس: أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول مقاتل أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير عنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) السنن، الوصايا، باب متى ينقطع اليُتم ح٢٨٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٤٩٧).

⁽٤) أخرجه أبو داود (السنن، الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً ح٤٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٩٨)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٥٩).

⁽٥) كذا في: (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل تأخر بعد رواية الصحيحين.

 ⁽٦) أخرجه البخاري (الصحيح، الشهادة، باب ما يكره من الأطناب في المدح ح٢٦٦٤، وصحيح مسلم،
 الإمارة، باب بيان سن البلوغ ح١٨٦٨).

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد عن عطية بلفظه (المسند ٢١٠/٤)، وسنده صحيح.

⁽A) أخرجه الترمذي من طريق عطية به (السنن، السير، باب ما جاء في النزول على الحكم ح١٥٨٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح١٢٨٨)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/

عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عمر، أن غلاماً ابتهر جارية في شعره، فقال عمر فللهائد: انظروا إليه فلم يوجد أنبت فدراً عنه الحد، قال أبو عبيد: ابتهرها؛ أي: قذفها، والابتهار أن يقول: فعلت بها وهو كاذب، فإن كان صادقاً فهو الابتيار، قال الكميت في شعره:

قبيح بمثلي نعت الفتاة إما ابتهاراً وإما ابتياراً(١)

وقوله على: ﴿ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِنْهُم رُشَدًا فَادَفَعُوا إِلَيْهِم أَمْوَهُم ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم (٢). وكذا روي عن ابن عباس (٣) والحسن البصري (٤) وغير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء: متى بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه بطريقه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا ۚ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكُبُرُوا ﴾ ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية ﴿ إِسْرَافًا وَبِدَارًا ﴾ أي: مبادرة قبل بلوغهم، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفٌ ﴾ من كان في غنية عن مال اليتيم فليستعفف عنه ولا يأكل منه شيئاً.

وقال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم^(ه).

﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأَكُلُ بِٱلْمَعُمُونِ ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا الأشج، حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًا فَلْيَسَتَعْفِفٌ ﴾ نزلت في والي اليتيم، وحدثنا الأشج وهارون بن إسحاق قالا: حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأَكُلُ بِٱلْمَعُمُونِ ﴾ نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه، وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية في والي اليتيم ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسَتَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَاكُلُ بِٱلْمَعُمُونِ ﴾ بقدر قيامه عليه (٢). ورواه البخاري عن إسحاق، عن عبد الله بن نمير، عن هشام به (٧).

قال الفقهاء: له أن يأكل أقل الأمرين: أجرة مثله أو قدر حاجته، واختلفوا هل يرد إذا أيسر؟ على قولين؛ (أحدهما): لا، لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل.

قال أحمد: حدثنا عبد الوهاب، حدثنا حسين، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رجلاً سأل رسول الله على فقال: «كُلْ من مال يتيمك غير

⁽١) غريب الحديث ٣/ ٢٨٩ وسنده صحيح، والبيت ذكره ابن منظور (لسان العرب: باب ب ه ر).

⁽٢) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه بلفظ: «فإن عرفتم منهم رشداً».

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك بن فضالة عنه.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن السائب عنه.

⁽٦) هذه الروايات الثلاث ذكرها ابن أبي حاتم بأسانيدها ومتونها وأصله في الصحيح كما سيأتي.

⁽٧) صحيح البخاري، التفسير، سورة النسا، باب ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ [النساء: ٦] (ح٤٥٧٥).

مسرف ولا مبذر ولا متأثل (١) مالاً ومن غير أن تقي مالك _ أو قال _ تفدي مالك بماله» شك حسين (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، حدثنا حسين المكتب، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاء رجل إلى النبي على فقال: إن عندي يتيماً عنده مال وليس عندي شيء ما، آكل من ماله؟ قال: «بالمعروف غير مسرف» (٣). ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين المعلم به (٤).

وروى أبو حاتم بن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهدي، عن جعفر بن سليمان، عن [أبي عامر]^(ه) الخزاز، عن عمرو بن دينار، عن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله مما أضرب يتيمي؟ قال: «ما كنت ضارباً منه ولدك غير واق مالك بماله ولا متأثل منه مالاً»^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إن في حجري أيتاماً وإن لهم إبلاً ولي إبل، وأنا أمنح في إبلي وأفقر، فماذا يحل لي من ألبانها؟ فقال: إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ (٧) جرباها وتلوط حوضها (٨) وتسقي عليها فاشرب غير مضر بنسل، ولا ناهك في الحلب (٩). ورواه مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد به (١٠).

وبهذا القول وهو عدم أداء البدل، يقول عطاء بن أبي رباح وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطية العوفي والحسن البصري. (والثاني) نعم، لأن مال اليتيم على الحظر، وإنما أبيح للحاجة فيرد بدله كأكل مال الغير للمضطر عند الحاجة.

⁽١) يقال: مال مؤثل ومجد مؤثل، أي: مجموع ذو أصل، وأثلة الشيء: أصله (النهاية ٢٣/١).

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٦٧٤٧)، وصححه أحمد شاكر وذكر الحافظ ابن حجر أن إسناده قوي (الفتح ٨/ ٢٤١).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وإسناده حسن، وقد فصلت الكلام عن إسناده في تحقيقي له.

⁽٤) سنن أبي داود، الوصايا، باب ما جاء فيما لولي اليتيم (ح٢٨٧٨)، وسنن النسائي، الوصايا، باب ما للوصي من مال اليتيم ٦/ ٢٥٦، وسنن ابن ماجه، الوصايا، باب قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأَكُلُ بِٱلْمَعُهُونِ﴾ [النساء: ٦] (ح٢٧١٨)، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ح٣٤٢٩).

⁽٥) في الأصل: «أبن عامر» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٦) أخرجه ابن حبان من طريق مُعلى بن مهدي به (الإحسان ١٠/٥٥ ح ٤٢٤٤)، وأخرجه البيهقي من طريق معلى بن مهدي به، ثم قال: كذا رواه والمحفوظ ما أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن قتادة، ثنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي، ثنا أحمد بن نجدة، ثنا سعيد بن منصور، ثنا حماد بن زيد وسفيان، عن عمرو بن دينار، عن الحسن العربي أن رجلاً قال: يا رسول الله... قال: وهذا مرسل (السنن الكبرى ٢٤)، ويشهد له سابقه.

⁽٧) تهنأ: أي الطلاء بالهناء وهو القطران (ينظر: القاموس المحيط، مادة: ه ن أ).

⁽٨) تلوط حوضها: أي تصلحه بالطين (ينظر: النهاية، مادة: ل و ط).

⁽٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق به وسنده صحيح.

⁽١٠) الموطأ، صفة النبي ﷺ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب ٢/ ٩٣٤ (ح٣٣).

وقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا ابن خيثمة، حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن [حارثة] (۱) بن مضرب قال: قال عمر رابع الله عن أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة والي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن [احتجت] (۱) استقرضت، فإذا أيسرت قضيت (۳).

(طريق أخرى) قال سعيد بن منصور: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: قال عمر رفيه: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم، إن احتجت أخذت منه، فإذا أيسرت رددته، وإن استغنيت استعففت (٤)، إسناد صحيح.

وروى البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك (٥)، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعْرُونِ ﴾ يعني: القرض (٢). قال: وروي عن عبيدة وأبي العالية، وأبي وائل، وسعيد بن جبير في إحدى الروايات ومجاهد والضحاك والسدي نحو ذلك (٧)، وروى من طريق السدي عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلْيَأْكُلُ وَالسَّمْ وَفَلَ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَن مجاهد وميمون بن منان، عن الحكم، عن معاهد وميمون بن من ماله يقوت على يتيمه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم (١٠). قال: وروي عن مجاهد وميمون بن مهران في إحدى الروايات والحكم نحو ذلك (١١).

وقال عامر الشعبي: لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة فإن أكل منه قضاه، رواه ابن أبي حاتم (١٢).

وقال ابن وهب: حدثنا نافع بن أبي نعيم القارئ قال: سألت يحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْمَا كُلُ بِٱلْمَعُرُفِ ﴾، فقالا: ذلك في اليتيم إن كان فقيراً أنفق

⁽١) في الأصل: «حماد بن مضرب» وهو تصحيف والمثبت من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٢) في الأصل: «احتجب» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه الطبري وابن المنذر كلاهما من طريق الثوري به، وسنده صحيح، وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم وصححه الحافظ ابن حجر (الفتح ١٩٤/١٣، وتغليق التعليق ١٩٣/ ٢٩٥).

⁽٤) أخرجُه سعيد بن منصور بسنده ومتنه (السنن، تفسير سورة المائدة ١٥٣٨/٤ ح٧٨٨)، وصححه الحافظ ابن كثه .

⁽٥) السنن الكبرى (٦/٤).

⁽٦) أخرجه ابن أبي بي حاتم بسنده الثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٧) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند، وقول سعيد بن جبير أخرجه الثوري في تفسيره بسند صحيح عن حماد عن سعيد، وقول مجاهد أخرجه الثوري أيضاً في تفسيره بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي به، وسنده حسن.

⁽٩) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «ابن مخلدي» وهو تصحيف.

⁽١٠) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣).

⁽١١) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم: بحذف السند.

⁽١٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن السائب عن الشعبي.

عليه بقدر فقره، ولم يكن للولي منه شيء (١)، وهذا بعيد من السياق، لأنه قال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلَيْسَتَعْفِثُ ﴾ يعني: من الأولياء. ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ أي: منهم ﴿فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعْمُوفِ ﴾ أي: بالتي هي أحسن. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبَلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ أالله أكتبم منه بالمعروف. [الأنعام: ١٥٢] أي: لا تقربوه إلّا مصلحين له، فإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعَتُم إِلَيْهِم أَمُولَكُم اللهِم أموالهم الحلم وإيناسكم الرشد منهم فحينئذ سلموا إليهم أموالهم، فإذا دفعتم إليهم أموالهم الله ﴿فَأَشَهِدُوا عَلَيْهِم وهذا أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلموا إليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه، ثم قال: ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبً أَي: وكفى بالله محاسباً وشهيداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم للأموال هل هي كاملة موفرة أو منقوصة مبخوسة مدخلة، مروج حسابها، مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله، ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله على قال: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم (٣).

َ الْمَانَةُ وَ كُنُّ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَلِدَانِ وَالْأَفْرَبُونَ وَلِلنِسَآهِ نَصِيبُ مِمَّا قَلَ الْوَلِدَانِ وَالْأَفْرَبُونَ وَلِلنِسَآهِ نَصِيبُ مِمَّا قَلَ الْوَلِدَانِ وَالْأَفْرَبُونَ وَلِلنِسَآهِ فَصِيبُ مِمَّا قَلُ الْمُوْفِقِ الْفَرْفِي وَالْمِنْفَى وَالْمَسَكِبُ فَارْزُفُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا مِنْهُ أَوْلُوا الْفَرْفِي وَالْمِنْفَى وَالْمَسَكِبُ فَارَدُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَلْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسَتَّقُوا اللّهَ وَلَيْعَوْلُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ وَلَيَحْسُ الَّذِينَ يَأْكُونَ أَمْوَلَ الْمَتَنَى خُلْلُمًا إِنَّمَا يَأْكُونَ فِي بُعْلُونِهِمْ فَارَا وَسَبَعْلَوْنَ أَمْوَلَ الْمَيْتَنَى خُلْلُمًا إِنَّمَا يَأْكُونَ فِي بُعْلُونِهِمْ فَارَا وَسَبَعْلَوْنَ صَعِيرًا ﴿ وَلَا سَدِيدًا ﴿ فَي بُعْلُونِهِمْ فَارَا وَسَبَعْلَوْنَ اللّهُ وَلَا سَدِيدًا ﴿ فَا لَهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهِ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللل

قال سعيد بن جبير وقتادة: كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً، فأنزل الله: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبُ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ... ﴾ الآية (٤)، أي: الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستوون في أصل الوراثة، وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلي به إلى الميت من قرابة، أو زوجية، أو ولاء، فإنه لحمة كلحمة النسب. وقد روى ابن مردويه من طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: جاءت أم كُجّة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِلرِّبَالِ نَعِيبُ مِّمًا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ... ﴾ الآية (٥)، وسيأتي هذا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

٢) ما بين معقوفين سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) صحيح مسلم، الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (ح١٨٢٦).

 ⁽٤) قول سعید بن جبیر أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طریق عطاء بن دینار عنه لکنه مرسل ویتقوی
بمرسل قتادة فقد أخرجه ابن أبي حاتم أیضاً بسند صحیح من طریق معمر بن راشد عنه.

⁽٥) في سنده ابن هراسة وهو: إبراهيم بن هراسة: متروك (التاريخ الكبير ١/٣٣٣، والجرح والتعديل ٢/ ٢٤٣)، قال الحافظ ابن حجر: هو ضعيف وقد خالفه بشر بن المفضل عن عبد الله بن محمد بن جابر (الإصابة ١/٢٧٢)، وحديث بشر بن المفضل فيه أن البنتين ابنتا سعد بن الربيع. رواه أبو داود في السنن، الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب (ح٢٨٩١)، كما سيأتي في آية ١١ من هذه السورة.

الحديث عند آيتي الميراث بسياق آخر(١)، والله أعلم.

وقــولــه: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْمِنَاكِينُ وَالْمِنَكِينُ فَارَزُقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا لَمَكَمَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿ قَالَ المراد وإذا حضر قسمة الميراث ذوو القربى ممن ليس بوارث ﴿ وَالْمَيَكَ عَالَسَكِينِ ﴾ فليرضخ لهم من التركة نصيب، وإن ذلك كان واجباً في ابتداء الإسلام، وقيل: يستحب.

واختلفوا هل هو منسوخ أم لا؟ على قولين، فقال البخاري: حدثنا أحمد بن حميد، أخبرنا عُبيد الله الأشجعي عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَمَةَ أَوْلُوا ٱلْقُرْبَى وَٱلْسَكِينُ ﴾. قال: هي محكمة وليست بمنسوخة. تابعه سعيد عن ابن عباس (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا عباد بن العوام، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: هي قائمة يعمل بها^(٣).

وقال الثوري: عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في هذه الآية، قال: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم (٤)، وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن (٥). وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن يعمر: إنها واجبة (٦).

وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج، عن إسماعيل بن علية، عن يونس بن عبيد، عن ابن سيرين قال: ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فأطعم أصحاب هذه الآية وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي (٧٠).

[وقال مالك فيما يروى عنه من التفسير في جزء مجموع عن الزهري: أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله، وقال الزهري: هي محكمة. وقال مالك: عن عبد الكريم، عن مجاهد قال: هي حق واجب ما طابت به الأنفس](٨).

ذكر من ذهب إلى أن ذلك أمر بالوصية لهم:

قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج، أخبرني ابن أبي مليكة: أن أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، قسم ميراث أبي بكر، قسم ميراث

⁽١) وهما آية ١١ و١٢ من هذه السورة، والحديث هو حديث الإمام أحمد عن جابر.

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ...﴾ [النساء: ٨] حر٧٦).

⁽٣) أُخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف الحسين وهو سُنيد، ويشهد له سابقه في صحيح البخارى.

⁽٤) أخرجه الثوري في تفسيره بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق الثوري

⁽٥) ذكرهم ابن أبي حاتم إلا رواية ابن مسعود، وذكر لهم بحذف السند إلا رواية أبي موسى الأشعري فقد أخرجها بسند صحيح من طريق حِطّان بن عبد الله الرقاشي عنه.

⁽٦) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقد أخرج الطبري وابن أبي شيبة معظم أقوالهم بأسانيد ثابتة (المصنف ١٩٣/١١ ـ ١٩٣١، رقم ١٠٩٣٨ و١٠٩٤٨).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) الزيادة من (ح) و(حم) (مح)، وأسانيد الإمام مالك ثابتة إلى الزهري ومجاهد.

أبيه عبد الرحمن وعائشة حية، قالا: فلم يدع في الدار مسكيناً ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه، قال: وتلا ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَى ﴾، قال القاسم: فذكرت ذلك لابن عباس، فقال: ما أصاب، ليس ذلك له إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية يريد الميت يوصي لهم، رواه ابن أبي حاتم (۱).

ذكر من قال: هذه الآية منسوخة بالكلية:

قال سفيان الثوري، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَّمَةَ ﴾ قال: منسوخة (٢)، وقال إسماعيل بن مسلم المكي عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَّمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَى ﴾ نسختها الآية التي بعدها ﴿ وُومِيكُو ٱللّه فِي اللّهِ عنهما في هذه الآية وَ أَوْلُوا ٱلْقُرْبَى ﴾ وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَّمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَى ﴾ كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه، فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى (٤)، [رواهن] (٥) ابن مردويه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْفُرْقِي وَالْيَنَكُنُ وَالْيَنَكُنُ سَخَتُها آية الميراث فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر^(٦). وحدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا سعيد بن عامر، عن همام، حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال: إنها منسوخة، كانت قبل الفرائض كان ما ترك الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمسكين وذوي القربى إذا حضروا القسمة ثم نسخ بعد ذلك نسختها المواريث فألحق الله بكل ذي حق حقه، وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء (٧). [وقال مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: هي منسوخة، نسختها المواريث والوصية] (٨). وهكذا روي عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد وأبي صالح وأبي مالك وزيد بن أسلم والضحاك عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد وأبي عبد الرحمن أنهم قالوا: إنها منسوخة (١)، وهذا مؤهنا عربر ههنا قولاً غريباً جداً

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن بن أبي الربيع عن عبد الرزاق به، وهو بسنده ولفظه في تفسير عبد الرزاق وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/٢٤٢).

⁽٢) في سنده محمد بن السائب الكلبي وقد صرح بأن كل ما رواه عن أبي صالح فهو كذب.

⁽٣) أخرجه النحاس من طريق سلمة بن الفضل عن إسماعيل به (الناسخ والمنسوخ ص٩٥)، في سنده إسماعيل بن مسلم المكي: ضعيف، كما في التقريب.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي به، وسنده ضعيف بسبب ضعف العوفي.

⁽٥) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «رواه».

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف عثمان بن عطاء، وعطاء لم يسمع من ابن عباس.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ولفظه، وسنده صحيح.

⁽٨) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح)، وسند مالك صحيح.

⁽٩) ذكرهم كلهم ابن أبى حاتم بحذف السند.

وحاصله أن معنى الآية عنده ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي: وإذا حضر قسمة مال الوصية أولو قرابة الميت ﴿فَارُدُقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا﴾ لليتامى والمساكين إذا حضروا ﴿قَوْلُا مَعْمُوفًا ﴾ هذا مضمون ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار، وفيه نظر، والله أعلم.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَّمَةَ ﴾ هي قسمة الميراث (١) وهكذا قال غير واحد، والمعنى على هذا لا على ما سلكه أبو جعفر بن جرير كَالله ، بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل، فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ، وهم يائسون لا شيء يعطونه، فأمر الله تعالى وهو الرؤوف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون براً بهم وصدقة عليهم، وإحساناً إليهم وجبراً لكسرهم. كما قال الله تعالى: ﴿كُالُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَتْمَر وَمَاتُوا حَقَّهُ يَوْم حَصَادِم أَن الله على الله الله تعالى: ﴿كُالُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَتْمَر وَمَاتُوا حَقَّهُ يَوْم حَصَادِم أَن الله عليهم المحاويج وذوو الفاقة. كما أخبر عن أصحاب الجنة ﴿إِذَ أَشَوا لَيَشِمُنُهُ مُشِيعِين ﴾ [القلم: ١٧] أي: بليل. وقال: ﴿فَاطَلَقُوا وَهُر يَنخَننُونَ فَى أَن لَا يَنخَلَنُهُ الْوَم عَلَيْم مِلَي المناه الله الله المال بالكلة المال بالكلية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلَفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَلْنَا خَافُوا عَلَيْهِمٌ فَلْيَتَقُوا الله وَلَيْقُولُوا فَوَلا سَدِيدًا ﴿ فَي الرجل يحضره الموت، فَوَلا سَدِيدًا ﴿ فَي الرجل يحضره الموت، فيسمعه الرجل يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدده للصواب. فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة (٣)، وهكذا قال مجاهد وغير واحد (١٤).

⁽١) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن عطية العوفي به.

⁽٢) أخرجه الحميدي (المسند ح٢٣٧)، والبزار (كشف الأستار ح٨٨١)، والبيهقي (السنن الكبرى ١٥٩/٤)، كلهم من طريق محمد بن عثمان الجمحي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. ومحمد بن عثمان ضعيف (التقريب ص٤٩٦).

⁽٣) أخرجه ابن أبى حاتم بنحوه بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه.

⁽٥) صحيح البخاري، الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (ح٢٧٤٢)، وصحيح مسلم، الوصية، باب الوصية بالثلث (ح١٦٢٨).

⁽٦) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٧) صحيح البخاري، الوصايا، باب الوصية بالثلث (ح٢٧٤٣)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح١٦٢٩).

قال الفقهاء: إن كان ورثة الميت أغنياء، استحب للميت أن يستوفي في وصيته الثلث، [وإن كانوا فقراء] (١) استحب أن ينقص الثلث، وقيل: المراد بقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشُ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةٌ ضِمَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ فليتقوا الله في مباشرة أموال اليتامي ﴿وَلَا تَأْكُوهُمَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكُمُرُوا ﴾ [النساء: ٦]، حكاه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (٢)، وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامي ظلماً، فأولاً رغبهم، أي: كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذراريهم إذا وليتهم، ثم أعلمهم أن من أكل مال اليتيم ظلماً، فإنما يأكل في بطونهم أن أكثون أمّوال اليتامي بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة. سَعِيرًا ﴿ اللهِ اللهِ الموال اليتامي بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة.

وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٣) قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبيدة، أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّي، حدثنا أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله، ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: «انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير. رجال كل منهم له مشفران (٥) كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في فيّ أحدهم حتى يخرج من أسفله، ولهم خوار (٢) وصراخ، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» (٧).

وقال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم (^).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا زياد بن المنذر، عن نافع بن الحارث، عن أبي برزة أن رسول الله على قال: «يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً» قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «ألم تر أن الله قال: ﴿إِنَّ ٱلَذِينَ يَأْكُونَ أَمُولَلَ ٱلْيَتَكَيٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُونَ

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «وإن كان فقيراً».

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف لضعف العوفي.(٣) الموبقات أي: المهلكات.

⁽٤) صحيح البخاري، الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُونَ آمُولَ ٱلْيَتَنَكَىٰ ظُلَمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُعُلُونِهِمْ نَازًا وَسَبَعُلُونَ سَعِيرًا ﴿ ﴾ [النساء] (ح٢٧٦٦)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (ح٨٩).

⁽٥) أي شفتان (القاموس المحيط، باب: ش ف ه).

⁽٦) جَوَّار: أي رفع الصوت والاستغاثة (النهاية ١/ ٢٣٢).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب أبي هارون العبدي وهو: عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه (التقريب ٢/ ٤٩).

⁽٨) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط بن نصر عن السدي.

في بُطُونِهِم نَارًا ... الآية ، رواه ابن أبي حاتم [عن أبي زرعة، عن عقبة بن مكرم، وأخرجه] ابن حبان في صحيحه عن أحمد بن [علي] (٢) بن المثنى عن عقبة بن مكرم (٣). وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر العبدي، حدثنا وعبد الله بن جعفر الزهري، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «أُحرِّج مال الضعيفين: المرأة واليتيم» (١٠). أي: أوصيكم باجتناب مالهما، وتقدم في سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال: لما النطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له الطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله هي، فأنزل الله ﴿وَيَسْتَلُونَكُ عَنِ الْمُسْلِحُ لَمُ مَنْ الْمُصْلِحُ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] (٥)، قال: فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم.

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هي كالتفسير لذلك. ولنذكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك. وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة، والحجاج بين الأئمة، فموضعه كتب الأحكام، والله المستعان.

وقد ورد الترغيب في تعلم الفرائض وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك، وقد روى أبو داود

⁽١) سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح)، وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٢) في الأصل: «يعلى» والمثبت من (ح) و(حم) و(مح)، وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم وابن حبان بالإسناد المذكور (الإحسان ١٢/ ٣٧٧ ح٥٥٦٦)، وفي إسناديهما وإسناد ابن مردويه: زياد بن المنذر: كذاب (المجروحين ٢٠٦/، والمطالب العالية ٣٢١/٣ ح٥٥٦٦)، فالإسناد ضعيف جداً.

⁽٤) في سنده أحمد بن عصام: ضعيف (لسان الميزان ٢٢٠/١)، وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «اللهم إني أُحرجُ حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» (السنن، الأدب، باب حق اليتيم ح٢٧٨)، وصححه البوصيري وذكر المعنى، أُحرج عن هذا الإثم: بمعنى: بضيع حقهما (مصباح الزجاج ٣/ ١٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٩٦٧)، وأخرجه الحاكم من طريق المقبري به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٢٨/٤)، وكذا أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٧٦/٢) ح٥٦٥).

⁽٥) تقدم الأثر عند هذه الآية.

وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، عن عبد الرحمن بن [رافع](١) التنوخي، عن عبد الله بن عمرو فيه أن رسول الله على قال: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا هريرة تعلموا الفرائض وعلموا فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي واه ابن ماجه وفي إسناده ضعف (٣). وقد روي من حديث ابن مسعود وأبي سعيد، وفي كل منهما نظر (٤). قال سفيان بن عيينة: إنما سمّى الفرائض نصف العلم، لأنه يبتلى به الناس كلهم.

وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني [ابن المنكدر]^(٥)، عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله على وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي على لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش على فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت ﴿يُوسِيكُو الله فِي آولَكِكُم لللاَّكِ مِثْلُ حَظِّ اللَّاسَيَيْنِ الله وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج به (٧)، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر.

(حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية) قال أحمد: حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله عقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال: فقال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله على إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك»(٨). وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به، قال الترمذي: ولا يعرف إلا من حديثه(٩).

⁽١) في الأصل: «نافع» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح) والتخريج.

 ⁽٢) سنن أبي داود، الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض (ح٢٨٨٥)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب
 اجتناب الرأي والقياس (ح٥٤)، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد كما في التقريب.

⁽٣) سنن ابن ماجه، الفرائض، باب الحث على تعليم الفرائض (ح٢٧١٩)، وسنده ضعيف بسبب ضعف أحد رواته وهو حفص بن عمر بن أبي العطاف كما في التقريب ص١٧٣.

⁽٤) حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي ثم قال: هذا حديث فيه اضطراب (السنن، الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض ح٢٠٩)، وأخرجه النسائي من طريق ابن المبارك عن عوف عمن حدثه عن سليمان بن جابر عن ابن مسعود (السنن الكبرى، الفرائض، باب الأمر بتعليم الفرائض ح٢٠٩٦)، قال الدارقطني: والقول قول ابن المبارك ومن تابعه (العلل ٥/ ٧٨ ح٢٢٧)، وحديث أبي سعيد وهو الخدري أخرجه الدارقطني من طريق عطية العوفي عنه (السنن ٤/ ٨٢)، وعطية العوفي ضعيف تقدم ذكره.

⁽٥) في الأصل: «ابن المنذر» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح) والتخريج.

⁽٦) أُخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿يُومِيكُو اللَّهُ فِي أَوْلَدِكُمٌّ ﴾ [النساء: ١١] (ح٤٥٧٧).

⁽٧) صحيح مسلم، الفرائض، باب ميراث الكلالة (ح١٦١٦).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٥٢)، وسنده حسن.

⁽٩) سنن أبي داود، الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب (ح٢٨٩١)، وسنن الترمذي، الفرائض، باب =

• سَيُوَا فِي النَّسَالُ (١١)

والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسبب الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي، فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات، ولم يكن له بنات، وإنما كان يورث كلالة، ولكن ذكرنا الحديث ههنا تبعاً للبخاري كَلَّلَهُ فإنه ذكره ههنا، والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية، والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُ الله فِي آوُلَكِكُم الله فِي آوُلكِكُم الله في الأَنكية في الأَنكية في الله الجاهلية كانوا [يجعلون جميع الميراث للذكور] (۱) دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، [وفاوت] (۱) بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى، وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُ الله فِي آوُلكِكُم لِلذَّكِم مِثَلُ حَظِّ ٱلْأَنكَية فَي أَلكُوكُم الله في الوالدة من الوالدة بولدها، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي فرق بينها وبين ولدها، فجعلت تدور على ولدها، فلما وجدته أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته. فقال رسول الله الله الصحابه: «أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك»؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها» (۱).

وقال البخاري ههنا: حدثنا محمد بن يوسف، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿ يُوصِيكُ الله فِي اللَّه عِنْ اللَّه عِنْ اللَّه عَلَم الله الله الله الله الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم وقال: تعطى المرأة الربع أو الثمن، وتعطى البنت النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة، اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله عنها من أو نقول له فيغير، فقال بعضهم: يا رسول الله تُعطى الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، ويعطى الصبي الميراث وليس يغني شيئاً وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ويعطونه الأكبر فالأكبر. رواه ابن أبي حاتم وابن

⁼ ميراث البنات (ح٢٠٩٢)، وسنن ابن ماجه، الفرائض، باب فرائض الصلب (ح٢٧٢)، وصححه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢١٩٩).

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «يعطون جميع الميراث للذكر» وكلاهما صحيح.

⁽٢) في الأصل: «قارب» وهو تصحيف والتصويب من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) متَّفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي (صحيح البخاري، الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ح٩٩٩٥)، وصحيح مسلم، التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (ح٢٧٥٤).

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَكُوكَ أَنْوَجُكُمْ ﴾ [النساء: ١٢] ح٨٥٥)، وسنده مسلسل بالمفسرين.

جرير أيضاً^(١).

(أحدها): أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة، فرض لها النصف، وللأبوين لكل واحد منهما السدس وأخذ الأب السدس الآخر [بالتعصيب](٣)، فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب.

الحال الثاني: أن ينفرد الأبوان بالميراث، فيفرض للأم والحالة هذه الثلث، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض، ويكون قد أخذ ضعفي ما حصل للأُم، وهو الثلثان، فلو كان معهما _ والحالة هذه _ زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف والزوجة الربع.

ثم اختلف العلماء ماذا تأخذ الأُم بعد فرض الزوج والزوجة، على ثلاثة أقوال:

(أحدها): أنها تأخذ ثلث الباقي في المسألتين، لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة إليهما. وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأب. فتأخذ ثلث الباقي ويأخذ الأب ثلثيه، هذا قول عمر وعثمان، [وأصح الروايتين] عن علي، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور العلماء.

(والقول الثاني): أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله: ﴿ فَإِن لَمْ يَكُنُ لَمْ وَلَا مُ وَوَرِثَهُ وَ أَبَوَاهُ فَلِأُمِهِ الثَّلُثُ ﴾ فإن الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أو لا، وهو قول ابن عباس. وروي عن علي ومعاذ بن جبل نحوه. وبه يقول شريح وداود الظاهري. واختاره أبو الحسين محمد بن عبد الله بن اللبان البصري في كتابه (الإيجاز في علم الفرائض) وهذا فيه نظر، بل هو ضعيف، لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبد بجميع التركة، وأما في هذه المسألة فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ويبقى الباقي كأنه جميع التركة فتأخذ ثلثه كما تقدم.

⁽١) أخرجاه في تفسيريهما وسنده ضعيف. (٢) تقدم في بداية تفسير الآية نفسها.

⁽٣) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «في الروايتين».

• سِيُحُرُّقُ النِسْيَا إِنْ (١١)

(والقول الثالث): أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسألة الزوجة، فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة، فيبقى خمسة للأب، وأما في مسألة الزوج فتأخذ ثلث الباقي لئلا تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال، فتكون المسألة من ستة: للزوج النصف ثلاثة وللأم ثلث الباقي بعد ذلك وهو سهما، وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان. ويحكى هذا عن ابن سيرين وهو قول مركب من القولين الأولين، موافق كلاً منهما في صورة وهو ضعيف أيضاً، والصحيح الأول، والله أعلم.

(والحال الثالث من أحوال الأبوين): وهو اجتماعهما مع الإخوة، سواء كانوا من الأبوين أو من الأب أو من الأم، فإنهم لا يرثون مع الأب شيئاً، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، فيفرض لها مع وجودهم السدس، فإن لم يكن وارث سواها وسوى الأب، أخذ الأب الباقي. وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الإخوة عند الجمهور.

وقد روى البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أنه دخل على عثمان، فقال: إن الأخوين لا يردان الأم عن الثلث، قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخُوةً ﴾ فالأخوان ليسا بلسان قومك إخوة، فقال عثمان: لا أستطيع [تغيير] (١) ما كان قبلي، ومضى في [الأمصار] (٢) وتوارث به الناس (٣). وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمنقول عنهم خلافه، وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه [عن خارجة بن زيد، عن أبيه أنه قال: العرب] (١) تسمي الأخوين إخوة (٥). وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخُوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ أضروا بالأم ولا يرثون، ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن الثلث أن أباهم يلي إنكاحهم، ونفقتهم عليهم دون أمهم (٦). وهذا كلام حسن. لكن روي عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه كان يرى أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم وهذا قول

⁽١) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الآثار»، وكذا أخرجه الطبري والحاكم (المستدرك ٢٥٣٥)، والبيهقي (السنن الكبرئ ٢٧/٦)، كلهم من طريق ابن أبي ذئب عن شعبة به، وشعبة هو ابن دينار الهاشمي: صدوق سيء الحفظ (التقريب ص٢٦٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقد نقل الحافظ ابن حجر تصحيح الحاكم ثم قال: وفيه نظر فإن شعبة ضعفه النسائي (التلخيص الحبير ٣٥٨)، ولكنه قال في موفقه الخبر الخبر: هذا موقوف حسن (١/٤٨٢)، والعلة التي ذكرها الحافظ ابن كثير هي الفيصل في ضعف هذه الرواية.

⁽٣) قوله: «وتوارث به الناس» وردت في (السنن الكبرى للبيهقي ٢/٢٢٧)، ولم ترد في رواية الطبري.

⁽٤) ما بين معقوفين زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه البيهقي من طريق يحيى بن آدم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد به (السنن الكبرى ٢٢٧/٦)، وما ذكره معروف عند العرب.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ولفظه، وسنده حسن.

شاذ رواه ابن جرير في تفسيره فقال: حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: السدس الذي حجبته الإخوة الأم لهم، إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم (۱)، ثم قال ابن جرير: وهذا قول مخالف لجميع الأمة. وقد حدثني يونس، أخبرنا سفيان، أخبرنا عمرو، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس أنه قال: الكلالة: من لا ولد له ولا والد (۲).

وقوله: ﴿ مِنْ بَعّدِ وَصِيّةٍ يُومِى عِهَا آوَ دَيْنٍ ﴾ أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند [إمعان] (٣) النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة. وقد روى أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفاسير من حديث أبي إسحاق، عن الحارث بن عبد الله الأعور، عن علي بن أبي طالب، قال: إنكم تقرؤون ﴿ مِنْ بَعّدِ وَصِيّةٍ يُومِى بِهَا آوَ دَيّنٍ ﴾ وإن رسول الله على قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات. يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه. ثم قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث الحارث، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم (٤٠).

(قلت): لكن كان حافظاً للفرائض معتنياً بها وبالحساب، فالله أعلم.

وقوله: ﴿ اَبَا اَكُمُ وَأَبْنَا وَكُمُ لاَ تَذَرُونَ أَيْهُم أَوْرُبُ لَكُو نَفَعًا ﴾ أي: إنما فرضنا للآباء والأبناء، وساوينا بين الكل في أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الأمر [في الجاهلية وعلى خلاف ما كان عليه الأمر] في ابتداء الإسلام من كون المال للولد وللأبوين الوصية، كما تقدم عن ابن عباس، إنما نسخ الله ذلك إلى هذا ففرض لهؤلاء ولهؤلاء بحسبهم، لأن الإنسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الأخروي أو هما من أبيه ما لا يأتيه من ابنه، وقد يكون بالعكس، فلهذا قال: ﴿ المَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه عَمْ وَقَد عَمْ وَمَر مِن هذا كما هو مرجو من هذا كما هو مرجو من الآخر، فلهذا فرضنا لهذا ولهذا، وساوينا بين القسمين في أصل الميراث، والله أعلم.

وقوله: ﴿ فَرِيضَكُ مِن اللهُ أي: هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض، هو فرض من الله، الله حكم به وقضاه، والله العليم الحكيم الذي يضع الأشياء

⁽١) كذا في النسخ وكذا في النسخة المحققة على عدة نسخ، وأما في نسخة أحمد شاكر بلفظ: «أُمهم».

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وتعليقه، ولعل ابن عباس رجع عن ذلك بدليل ما ذكره ورواه الطبري بأنه قد روى عنه خلاف ذلك.

وكلا الروايتين أخرجهما عبد الرزاق في مصنفه رقم (١٩٠٢٧ و١٩١٨٩).

⁽٣) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: "إنعام».

⁽٤) المسند (ح٥٩٥)، وسنن الترمذي، الفرائض، باب ما جاء في ميراث الأخوة من الأب والأم (ح٨٧٣٧) وتتمة كلامه: والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم، وسنن ابن ماجه، الفرائض باب ميراث العصبة (ح٣٧٩)، والحارث الأعور الكوفي ضعيف كما في التقريب، وأخرجه الحاكم ثم قال: هذا حديث رواه الناس عن أبي إسحاق والحارث بن عبد الله. . . ولم يخرجه الشيخان، وقد صحت هذه الفتوى عن زيد (المستدرك ٢٣٦/٤).

⁽٥) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

في محالها، ويعطي كلاً ما يستحقه بحسبه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿ وَلَكُمْ مِنَا تَرَكَنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَةِ يُوصِينَ بِهِمَا أَوْ يَكُنْ لَهُنَ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَهُنَ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَهُنَ وَلَدُّ فَلَكُمُ الرَّبُعُ مِمَا تَرَكَنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَةِ يُوصِينَ بِهِمَا أَوْ دَيْنِ وَلَهُنَ الرُّبُعُ مِمَا تَرَكَنُهُ إِن لَكُمْ وَلَدُّ فَلَهُنَ الشُّمُنُ مِمَا تَرَكَمُ مِنَ بَعْدِ وَصِيَةٍ تُوصُونَ لَمَ يَكُنُ لَكُمْ وَلَدُ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدُ فَلَهُنَ الشُّمُنُ مِمَا تَرَكُمُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَةٍ تُوصُونَ بِهِمَا السَّلُسُ فَي الشَّلُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلِيهُ عَلِيهُ عَلِيهُ مَلِيكًا فِي الشَّلُونُ مِنْ بَعْدِ وَصِيبَةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنِ غَيْرَ مُضَارِّ وَصِيبَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ اللهِ اللهُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ اللهُ الل

يقول تعالى: ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن من غير ولد، ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَ وَلَدُ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِنَا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْرِ ﴾. وقد تقدم أن الدين مقدم على الوصية، وبعده الوصية ثم الميراث، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب ثم قال: ﴿وَلَهُنَ الرُّبُعُ مِنَا تَرَكَّتُمُ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدُ فَلَهُ وَلَادُ العلماء وقوله: ﴿ وَلَهُ وَلَهُ وَلَادُ الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان والثلاث والأربع يشتركن فيه. وقوله: ﴿ يَنْ بَعْدِ وَصِيَةٍ نُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنُ ﴾ الكلام عليه كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلُّ يُورَثُ كَلَالَة مُسْتَقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه، كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة، فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، الكلالة من لا ولد له ولا والد، فلما ولي عمر بن الخطاب قال: إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه، رواه ابن جرير وغيره (۱).

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، عن سفيان، عن سليمان الأحول، عن طاوس، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب فسمعته يقول: القول ما قلت وما قلت وما قلت، قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد $^{(7)}$. وهكذا قال علي وابن مسعود، وصحّ «مِن» غير وجه عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم $^{(7)}$ ، وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف، بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد، وورد فيه حديث مرفوع، قال أبو الحسين بن اللبان: وقد روي

 ⁽١) أخرجه الطبري من طريق الشعبي به، وسنده منقطع فإن الشعبي لم يسمع أبا بكر ولا عمر، ويتقوىٰ بالرواية التالية.

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح صححه الحافظ ابن حجر (التلخيص الحبير ۳/۸۹)، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان بن عيينة به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۲/۲،۳۰).

⁽٣) ذكرهم السيوطي في الدر المنثور.

عن ابن عباس ما يخالف ذلك، وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول، ولعل الراوي ما فهم عنه ما [أراد]() وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ أَخُ أَوْ أُخَتُّ﴾ أي: من أُم كما هو في قراءة بعض السلف، منهم سعد بن أبي وقاص(٢)، وكذا [فسرها](٣) أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه(٤) ﴿ فَلِكُلِّ وَحِدٍ مِنْهُمَ السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكَثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَا أَهُ فِي الثَّلُثِ ﴾ إخــــوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه:

(أحدها): أنهم يرثون مع من أدلوا به، وهي الأُم.

(الثاني): أن ذكورهم وإناثهم سواء.

(الثالث): أنهم لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلالة، فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن.

(الرابع): أنهم لا يزادون على الثلث، وإن كثر ذكورهم وإناثهم.

قال ابن أبي حاتم: [حدثنا يونس] (٥)، حدثنا ابن وهب، أخبرنا يونس، عن الزهري، قال: قضى عمر بن الخطاب فلها أن ميراث الإخوة من الأم بينهم للذكر مثل الأنثى، قال محمد بن شهاب الزهري: ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم بذلك من رسول الله على وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ فَإِن كَانُوا أَكَثَر مِن ذَلِكَ فَهُم شُرَكَا أَ فِي ٱلثَّلُثِ ﴾ (٦).

واختلف العلماء في المسألة المشتركة، وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين، فعلى قول الجمهور للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم، وقد وقعت هذه المسألة في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم، فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هبّ أن أبانا كان حماراً، ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم (٧).

صع التشريك عنه وعن عثمان، وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس في، وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطاوس ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه، وكان علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم، بل يجعل الثلث لأولاود الأم، ولا شيء لأولاد الأبوين، والحالة هذه لأنهم عصبة. وقال وكيع بن الجراح: لم يختلف عنه في

⁽١) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن عنه (المصنف ٤١٧/١١ ح١١٦٥٠).

⁽٣) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «قرأها».

⁽٤) قتادة لم يسمع من أبي بكر فسنده منقطع.

⁽٥) سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح)، وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، والزهري لم يسمع من عمر.

⁽۷) أخرجه الحاكم بنحوه من طريق الشعبي عن عمر وعلي وعبد الله وزيد، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك (V)).

ذلك. وهذا قول أُبي بن كعب وأبي موسى الأشعري. وهو المشهور عن ابن عباس. وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد [وزفر](١) بن الهُذيل والإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد وأبي ثور وداود بن على الظاهري، [واختاره أبو الحسين بن اللبان الفرضي](٢) يَخْلَلُهُ في كتابه (الإيجاز). وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِــيَةٍ يُوْصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنِ غَيْرَ مُضَكَارٍّ ﴾ أي: لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه، أو يزيده على ما قدّر الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك، كان كمن ضاد الله في حكمته، وقسمته. ولهذا قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر الدمشقي الفراديسي، حدثنا عمر بن المغيرة، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر» (٣). وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن المغيرة هذا، وهو أبو حفص بصري سكن المصيصة، قال أبو القاسم بن عساكر: ويعرف بمفتى المساكين، وروى عنه غير واحد من الأئمة، وقال فيه أبو حاتم الرازي: هو شيخ (١٤)، وقال على بن المديني: هو مجهول لا أعرفه، لكن رواه النسائي في سننه عن علي بن حجر، عن على بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفاً: «الإضرار في الوصية من الكبائر " وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج، عن عائذ بن حبيب، عن داود بن أبي هند (٥)، ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفاً (٢)، وفي بعضها: ويقرأ ابن عباس ﴿غَيْرَ مُضَارِّكِ ﴿ قَالَ ابن جرير: والصحيح الموقوف، ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار للوارث، هل هو صحيح أم لا؟ على قولين:

(أحدهما): لا يصح لأنه مظنة التهمة أن يكون قد أوصى له بصيغة الإقرار. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله على قال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث». وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة، والقول القديم للشافعي رحمهم الله، وذهب في الجديد إلى أنه يصح الإقرار. وهو مذهب طاوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز واختاره البخاري في صحيحه، واحتج بأن رافع بن خدج أوصى أن لا تكشف الفزارية عما أغلق عليه بابها، قال: وقال بعض الناس: لا يجوز إقراره لسوء الظن به للورثة، وقد قال النبي على الناكم والظن، فإن الظن

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «زيد» وهو تصحيف.

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «وأحباهم أبو الحسين بن اللبان القرظي» وهو تصحيف في أوله وآخره.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، في سنده عمر المغيرة ضعيف جداً (تهذيب التهذيب ٢٢٠/١)، ولم يصح مرفوعاً، وإنما صح موقوفاً، وأخرجه الطبري والبيهقي من طرق عن ابن عباس موقوفاً، وعقب البيهقي فقال: هذا هو الصحيح موقوف (السنن الكبرى ٢/ ٢٧١)، وأخرجه العقيلي في الضعفاء وقال: لا يعرف أحد رفعه غير عمر بن المغيرة المصيصي (انظر: نصب الراية ٤٠٢/٤)، وصححه الطبري موقوفاً أيضاً كما نقل عنه الحافظ ابن كثير.

⁽٤) الجرح والتعديل (٦/ ١٣٦).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

أكذب الحديث وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَكْنَاتِ إِلَىٰ آهَلِهَا ﴾ [النساء: ٥٥] فلم يخص وارثاً ولا غيره (١)، انتهى ما ذكره. فمتى كان الإقرار صحيحاً مطابقاً لما في نفس الأمر، جرى فيه هذا الخلاف، ومتى كان حيلة ووسيلة إلى زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم، فهو حرام بالإجماع وبنص هذه الآية الكريمة ﴿غَيْرَ مُضَكَآرً وصِيلَةً مِّنَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى:

﴿ وَيَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدَخِلَهُ جَنَّنَتِ تَجْرِف مِن تَحْتِهَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدَخِلَهُ جَنَّنَتِ تَجْرِف مِن تَحْتِهَا اللَّهَ عَلَابِينَ فِيهَا وَذَالِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيبُ ۚ ﴿ وَمَن يَقْضِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَكَّ حُدُودَهُ لِيهُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَكَّ حُدُودَهُ لِيهُ اللَّهَ نَازًا خَلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابُ شُهِينُ ﴾.

أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه [وفقدهم] (٢) له عند عدمه، هي حدود الله، فلا تعتدوها ولا تجاوزوها، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُطِع اللّهَ وَرَسُولَهُ أَي: فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته ﴿يُتَخِلَهُ جَنَّتِ تَجْوى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَا مُنَافِينَ فِيها وَذَالِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمَظِيمُ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللّهَ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا حَلِاً فِيها وَذَالِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْمَظِيمِ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللّهَ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا حَلِاً إِنها وَذَالِكَ ٱلْمَوْلِيمُ وَمَن يَعْصِ الله وَضادَ الله في حكمه وهذا إنما يصدر عن عدم يصدر عن عدم رضى بما قسم الله وحكم به، وضاد الله في حكمه وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم - قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين صنة، فيعدل في وصيته فيختم بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الخات، قال: ثم يقول أبو هريرة: الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة» قال: ثم يقول أبو هريرة: الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة» قال: ثم يقول أبو هريرة:

قال أبو داود في باب الإضرار في الوصية من سننه: حدثنا عَبْدَة بن عبد الله، أخبرنا عبد الصمد، حدثنا نصر بن علي الحُدّاني، حدثنا الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، حدثني شهر بن حوشب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله على قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت، فيُضارّان في الوصية، فتجب لهما النار» وقال: قرأ على أبو هريرة من ههنا ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنِ غَيْرَ مُضَارّاتُ ﴿ النساء: ١٢] حتى بلغ ﴿وَذَلِكَ الفَوّرُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ وَنَا لِلْكَ الفَوْرُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٤)،

⁽۱) ذكر البخاري مذهب طاوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز وقول رافع والحريث، والتعليق كله معلقاً الصحيح، الوصايا، باب قول الله ﷺ وَمِنْ بَعْدِ وَصِسَيَّةِ يُوْصَىٰ بِهَاۤ أَوْ دَيِّنِ﴾ [النساء: ١٢] قبل حديث رقم ٢٧٤٩، والحديث ذكر الحافظ ابن حجر أن البخاري وصله في الأدب المفرد (الفتح ٣٧٦/٥).

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «وفقرهم» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٧٧٢٨)، وسنده ضعيف بسبب شهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام (التقريب ص٢٦٩).

⁽٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الوصايا، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية ح٢٨٦٧)، ولم يذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أشعث ابن عبد الله بن جابر الحداني به، وقال الترمذي: حسن غريب (١)، وسياق الإمام أحمد أتم وأكمل.

﴿ وَالَّذِي يَأْتِينَ الْفَنْحِشَةَ مِن نِنْكَآبِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ آرَبَعَكَةً مِنْكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَسْكُوهُكَ فِي الْبُنْيُوتِ حَتَى يَتَوَفَّنُهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَمُنَّ سَبِيلًا ۞ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَاذُوهُمَّا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَاً إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۞﴾.

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَنْحِشَةَ﴾ يعني: الزنا ﴿مِن فَلَا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَنْحِشَةَ﴾ يعني: الزنا ﴿مِن نِسَآبِكُمْ فَاسَتَمْ اللهُ عَلَيْهِنَ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ هُو الناسخ لذلك.

قال ابن عباس ﷺ: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم (٢). وكذا رُوي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك، أنها منسوخة (٣)، وهو أمر متفق عليه.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله عليه إذا نزل عليه الوحي، أثر عليه، وكرب لذلك، وتَربّد وجهه، فأنزل الله على عليه ذات يوم، فلما سُري عنه، قال: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، الثيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة»(ئ). وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة، عن الحسن، عن حطان، عن عبادة بن الصامت، عن النبي على ولفظه: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»(٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وهكذا رواه أبو داود الطيالسي

⁽۱) سنن الترمذي، الوصايا، باب ما جاء في الوصية بالثلث (ح٢١١٧)، وسنن ابن ماجه، الوصايا، باب الحيف في الوصية (ح٢٧٠٤).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب عن ابن عباس، وفي سنده عطاء لم يسمع من ابن عباس وقد تابعه علي بن أبي طلحة كما في رواية الطبري والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص٣١٠، ويشهد له حديث عبادة بن الصامت عليه كما سيأتي في صحيح مسلم. فالإسناد حسن لغيره.

⁽٣) هذه الأقوال ذكرها كلها ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول عطاء الخراساني تقدم في سابقه ضمن إسناد ابن عباس، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخ الطبري، وأخرجه الطبري بإسناد صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بإسناد حسن من طريق أسباط عن السدي. وقول زيد بن أسلم أخرجه الطبري بإسناد صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣١٨)، وسنده صحيح فقد أخرجه مسلم كما سيأتي.

⁽٥) صحيح مسلم، الحدود، باب حد الزنى (ح١٦٩٠)، وسنن الترمذي، الحدود، باب ما جاء في الرجم على الثيب (ح١٤٣٣).

عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة، أن رسول الله على كان إذا نزل عليه الوحي، عُرف ذلك في وجهه، فلما أُنزلت ﴿أَوَ يَجْعَلَ اللهُ لَمُنَ سَبِيلاً ﴾ فلما أنزلت ﴿أَوَ يَجْعَلَ اللهُ لَمُنَ سَبِيلاً ﴾ فلما ارتفع الوحي قال رسول الله على: «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وزمي بالحجارة (()). وقد روى الإمام أحمد أيضاً هذا الحديث عن وكيع بن الجراح، حدثنا الفضل بن دلهم، عن الحسن، عن قبيصة بن حُريث، عن سلمة بن المحبق، قال: قال رسول الله على: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (()). وكذا رواه أبو داود مطولاً من حديث الفضل بن دلهم، ثم قال: وليس هو بالحافظ، كان قصاباً بواسط.

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا عباس بن [حمدان] (٣)، حدثنا أجمد بن داود، حدثنا عمرو بن عبد الغفار، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن أبي كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «البكران يجلدان وينفيان، والثيبان يجلدان ويرجمان، والشيخان يرجمان» (٤) هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت سورة النساء، [قال رسول الله ﷺ: «لا حبس بعد سورة النساء»(٥٠)[٢٠].

وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى القول بمقتضى هذا الحديث، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني، وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني إنما يرجم فقط من غير جلد، قالوا: لأن النبي على رجم ماعزاً والغامدية واليهوديين، ولم يجلدهم قبل ذلك، فدل على أن الجلد ليس بحتم، بل هو منسوخ على قولهم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنكُمُ فَعَادُوهُمَاۗ﴾ أي: واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما، قال ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير وغيرهما؛ أي: بالشتم والتعيير والضرب بالنعال (٧٠). وكان الحكم كذلك، حتى نسخه الله بالجلد أو الرجم.

⁽١) مسند الطيالسي (ح٥٨٤).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٤٧٦)، وسنده ضعيف بسبب الفضل بن دلهم ضعفه ابن معين كما في (ميزان الاعتدال ٣/٣٠)، وقال ابن أبي حاتم الرازي عن أبيه: هذا خطأ إنما أراه عن الحسن عن حطان عن قتادة (العلل ٢/٤٥٦)، ولكن متنه صحيح كما تقدم.

⁽٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي (مح): «حمران» وفي الأصل: «عمران» وهو تصحيف.

⁽٤) في سنده عمرو بن عبد الغفار وهو الفقيمي، قال أبو حاتم: متروك، وقال ابن عدي: اتهم بوضع الحديث (لسان الميزان ٤٦٩/٤).

⁽٥) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١/٣٦٥)، وفي سنده عيسىٰ بن لهيعة ضعيف كما تقدم في أول تفسير السورة.

⁽٦) ما بين معقوفين سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح) والتخريج.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وقول سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن دينار عنه.

وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد الله بن كثير: نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا^(١). وقال السدي: نزلت في الفتيان من قبل أن يتزوجوا^(٢).

وقال مجاهد: نزلت في الرجلين إذا فعلا (٣) _ لا يكنى، وكأنه يريد اللواط (٤) _ والله أعلم.

وقد روى أهل السنن من حديث عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»(٥).

وقوله: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصَلَحا﴾ أي: أقلعا ونزعا عما كانا عليه وصلحت أعمالها وحسنت، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَأً ﴾ أي: لا تعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ ٱللهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. وقد ثبت في الصحيحين «إذا زنت أمة أحدكم، فليجلدها الحد ولا يثرب عليها»(٦). أي: ثم لا يعيرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت.

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوَّةَ بِجَهَلَةِ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَتَهِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُّ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّنَاتِ حَقَّ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَا وَلُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَذَابًا اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّذِينَ يَمُونُونَ وَهُمْ كُفَارً أُولَتَهِكَ أَعْتَدْنَا لَمُتُمْ عَذَابًا ٱللِيمًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللللللْهُ الللللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللللْمُ الللللللْهُ الللللْمُولِمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ الللللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْ

يقول الله تعالى: إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو قبل معاينة الملك ليقبض روحه قبل الغرغرة.

قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطأ أو عمداً، فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب (٧).

وقال قتادة، عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة، رواه ابن جرير (^).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي الله به، فهو جهالة عمداً كان أو غيره (٩).

⁽١) هذه الأقوال أخرجها الطبري بأسانيد ضعاف، ويشهد لها ما تقدم من روايات.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه الطبري بإسنادين أحدهما صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٤) كذا في النسخ التي بين يدي والمراد: «اللواط».

⁽٥) أخرجه أبو داود (السنن، الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط ح٢٦٤)، والترمذي (السنن، الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي ح١٤٥٦)، والنسائي بنحوه (السنن الكبرى، الرجم، باب من عمل عمل قوم لوط ح٧٣٣٧)، وابن ماجه (السنن، الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط ح٢٥٦١)، كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو به، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٣٧٤).

 ⁽٦) صحيح البخاري، الحدود، باب لا يثرب على الأمّة إذا زنت (ح٦٨٣٩)، وصحيح مسلم الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنل (ح١٧٠٣).

⁽٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

 ⁽A) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

⁽٩) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة لكنه مرسل لأنه لم يسمع إلا من أنس فها.

وقال ابن جريج: أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل عمل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها، قال ابن جريج: وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه (١).

وقال أبو صالح، عن ابن عباس: من جهالته عمل السوء (٢٠).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ثُمَّرَ يَتُوبُوكَ مِن قَرِيبٍ﴾ قال: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت^(٣).

وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب(٤).

وقال قتادة والسدي: ما دام في صحته (٥)، وهو مروي عن ابن عباس.

وقال الحسن البصري: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾، ما لم يغرغر (٦).

وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب(٧).

ذكر الأحاديث في ذلك:

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عياش، وعصام بن خالد، قالا: حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن ابن عمر، عن النبي على الله قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» (٨). رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به. وقال الترمذي: حسن غريب. ووقع في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو، وهو وهم إنما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب (٩).

(طريق أخرى) عن ابن عمر قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا يحيى بن عبد الله [الباهلي] (۱۰)، حدثنا أيوب بن نهيك الحلبي، سمعت عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت عبد الله بن عمر، سمعت رسول الله على يقول: «ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه وأدنى من ذلك، وقبل موته بيوم وساعة يعلم الله منه التوبة

⁽١) أخرجه الطبري من طريق الحسين _ وهو سُنيد _ عن حجاج، عن ابن جريج به، وسنده ضعيف بسبب ضعف سُنيد.

⁽٢) أخرجه الطبري عن أبي صالح به، وسنده ضعيف لضعف أبي صالح وهو باذام أو باذان مولى أم هاني.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق النضر بن طهمان عن الضحاك به.

⁽٥) قول السدي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول قتادة ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مسكين بن عبد الله الطاحي، عن حوشب، عن الحسن، وفي سنده مسكين ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ٩/ ٣٢٩)، وله شاهد يقويه كما سيأتي في رواية الإمام أحمد عن ابن عمر.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة.

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١١٦٠)، وسنده حسن وصححه أحمد شاكر.

⁽٩) سنن الترمذي، الدعوات (ح٣٥٣٧)، وسنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر التوبة (ح٥٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٤٣٠).

⁽١٠) كُذَا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «البابلي» وفي (مح): البابلتي.

والإخلاص إليه إلا قبل منه"(١).

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن إبراهيم بن ميمونة، أخبرني رجل من بلحارث يقال له: أيوب قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: من تاب قبل موته بعام تيب عليه، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه، فقلت له: إنما قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَكُمُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّومَ بِعَمَلَلَةِ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فقال: إنما أحدثك ما سمعته من رسول الله عليه الله عليه الموقى وأبو عامر العقدي عن شعبة.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن [البَيْلماني] (٣) ، قال: اجتمع أربعة من أصحاب النبي على الخرة أحدهم: سمعت رسول الله على يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم»، فقال الآخر: أنت سمعت هذا من رسول الله على قال: وأنا سمعت رسول الله يلى يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم»، فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله على قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله على يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة»، قال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله على قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله على يقول: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه» (٤). وقد رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن البَيْلماني، فذكر قريباً منه.

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا عمران بن عبد الرحيم، حدثنا عثمان بن الهيثم، حدثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر»(٥).

أحاديث في ذلك مرسلة:

قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله على قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، هذا مرسل حسن عن الحسن البصري كالله(٢٠).

⁽۱) أخرجه أبو نعيم من طريق يحيى بن عبد الله به (الحلية ٣/٠٣)، وسنده ضعيف لضعف أيوب بن نهيك، ضعفه أبو حاتم، وقال الأزدي: متروك (لسان الميزان ١/٤٩٠).

⁽٢) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومتنه (منحة المعبود ح٢٢٨٤)، وأخرجه الإمام أحمد (المسند ح ٢٩٢٠)، والطبري وابن أبي حاتم والبخاري (التاريخ الكبير ٢/٢٧٤)، كلهم من طريق رجل من بلحارث. ولم يصرح باسمه فالإسناد ضعيف وسكت عنه الحافظ ابن حجر (تعجيل المنفعة ص٤٧ و٤٨).

⁽٣) كذا في (ح) و(حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «السماني»، وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم به (المسند ٣٦٢/٥)، وفي سنده عبد الرحمن بن البيلماني ضعيف كما في التقريب؛ ويشهد له حديث ابن عمر السابق.

⁽٥) في سنده عمران بن عبد الرحيم بن أبي الورد: وضاع (لسان الميزان ٢٤٧/٤).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو مرسل، ويشهد له حديث ابن عمر السابق.

(حديث آخر) قال ابن جرير أيضاً كَلَّهُ: حدثنا ابن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله على قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"، وحدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله على قال... فذكر مثله (۱).

(أثر آخر) قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران، عن قتادة، قال: كنا عند أنس بن مالك وثم أبو قلابة، فحدث أبو قلابة فقال: إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة، فقال: وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال الله على: وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح. وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم [العتواري](٢)، كلاهما عن أبي سعيد، عن النبي على قال: «قال إبليس: وعزتك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله على: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»(٣).

فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله على وهو يرجو الحياة، فإن توبته مقبولة، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأُولَتِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَاكَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وأما متى وقع الإياس من الحياة، وعاين الملك، وحشرجت الروح في الحلق وضاق بها الصدر، وبلغت الحلقوم، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم، فلا توبة مقبولة حينئذ، ولات حين مناص، ولهذا قال: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِعَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِي تُبَّتُ النَّنَ الْوَلَى وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِعَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِي تُبَتُ النَّنَ اللهُ وَعَدَمُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَى وَهذا كَمَا عالى بعدم توبة أهل الأرض يَكُ يَنْعَهُمُ إِيمَنَهُم لَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا ﴾ الآية [غافر: ٨٤، ٨٥]، وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ عَالِينَ رَبِّكَ لَا يَنْعُ نَفْسًا إِيمَنَهُم لَكُنَّ عَامَتَ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتَ فِي إِيمَنِها خَيْلُ الآية [الأنعام: ١٥٥]، وقوله: ﴿ وَلا اللّذِينَ يَكُونُ كُلّا مَن على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته، ولا يقبل منه في قوله بملء الأرض.

قال ابن عباس وأبو العالية والربيع بن أنس: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمُ كُفَّارُ﴾ قالوا: نزلت في أهل الشرك(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال: حدثني أبي، عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه عن أسامة بن سلمان أن أبا ذر حدثهم أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله يقبل توبة عبده أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب». [قيل: وما وقوع الحجاب؟] (٥) قال:

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقتادة لم يسمع من عباده ويشهد له حديث ابن عمر السابق.

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «العراري» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد الخدري به (المسند ٧١/ ٣٤٤ ح١١٢٤)، وحسنه محققوه بتعدد طرقه.

⁽٤) قول أبي العالية والربيع بن أنس أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية.

⁽٥) سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح) والتخريج.

«أن تخرج النفس وهي مشركة» (١)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ أُولَكِيكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي: موجعاً شديداً مقيماً.

﴿ يَكَأَيُّهَا اللَّهِ مِنَ مَامَنُوا لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِنُّوا اللِّسَاءَ كَرْهَا ۚ وَلَا تَعْضُلُوهُنَ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ النَّيْتُكُوهُنَ إِلَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَلَا تَعْضُلُوهُنَ لِللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِهُ فَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِهُ فَيَكُوهُنَ فَعَسَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِهُ فَيَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

قال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال الشيباني: وذكره أبو الحسن [السوائي] (٢)، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس _ ﴿ يَكَأَيُّهُا النِّينَ ءَامَنُوا لا يَحِلُ لَكُمُ أَن رَبُوا النِّسَآءَ كُرُهًا ﴾، قال: كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك، هكذا رواه البخاري (٣) وأبو داود والنسائي فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك، هكذا رواه البخاري (٣) وأبو داود والنسائي عكرمة، وعن أبي الحسن السوائي واسمه عطاء، كوفي أعمى، كلاهما عن ابن عباس بما تقدم (١٠). وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت المروزي، حدثني علي بن حسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ﴿ لا يَحِلُ لَكُمُّ أَن رَبُوا النِّسَآءُ كُوهًا النِّسَآءُ كُوهًا النِّسَآءُ كُوهًا النِّسَآءُ كُوهًا النِّسَآءُ كُوهًا النِّسَآءُ كُوهًا عن ابن عباس بنحو ذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها، فأحكم الله تعالى عن ذلك، أي: نهى عن ذلك (٥)، تفرد به أبو داود، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك. فقال وكبع، عن عن ذلك (١٠) تفرد به أبو داود، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك. فقال وكبع، عن عن ذلك (١٠) زوجها، فجاء رجل فألقى عليها ثوباً كان أحق بها، فنزلت ﴿ يَالَيُهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَهِيلُ لُكُمُّ أَن نَرُولُوا النِّسَآءُ كُرَهًا ﴿ النَّسَآءُ كُرُهَا ﴾ اللَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۳۵/ ٤١١ _ ٤١١ ح٢١٥٢٢)، وسنده ضعيف لجهالة عمر بن نعيم (لسان الميزان ٤/ ٣٣٦).

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل: «السراري» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱللِّسَآءَ كَرَهَا﴾ [النساء: ١٩] ح٤٥٧٩).

⁽٤) سنن أبي داود، النكاح، باب ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱللِّسَآءَ كَرَهَا ﴾ (ح٢٠٨٩)، وتفسير النسائي من السنن الكبرى صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٨٣٩).

صَّاعً، وتفسير ابن أبي حاتم، وسنده صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (َّح٩ ١٨٣). (٥) سنن أبي داود، النكاح، باب ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرَهُا ﴾ (ح٢٠٩٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٨٤٠).

⁽٦) زياد من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق وكيع به بدون ذكر ابن عباس وسنده مرسل.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن نَرِثُوا النِّسَآءَ كَرَهُمْ ۚ قال: كان الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمه (١) ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها (٢).

وقال العوفي عنه: كان الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم أحدهم، ألقى ثوبه على امرأته، فورث نكاحها، ولم ينكحها أحد غيره، وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية، فأنزل الله ﴿يَتَأَيُّهُا اللَّهِ عَلَيْ اللهِ اللهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُلَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّه

وقال [زيد]^(٤) بن أسلم في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا اللِّسَآءَ كَرَهُا ﴾: كان أهل يشرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية، ورث امرأته من يرث ماله، فكان يعضلها حتى يرثها، أو يزوجها من أراد، وكان أهل تهامة يسيء الرجل صحبة المرأة حتى يطلقها، ويشترط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تفتدي منه ببعض ما أعطاها، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، رواه ابن أبي حاتم (٥).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا موسى بن إسحاق، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت، أراد ابنه أن يتزوج امرأته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَهُا ﴾ ورواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل به (٧٠). ثم روى من طريق [ابن جريج](٨) قال: أخبرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة، حبسها أهلها على الصبي يكون فيهم، فنزلت ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَهُا ﴾ (٩).

وقال ابن جريج: قال [مجاهد] (۱۰۰): كان الرجل إذا توفي، كان ابنه أحق بامرأته ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها، أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه (۱۱۱).

وقال ابن جريج: قال عكرمة: نزلت في كُبيشة بنت معن بن عاصم من الأوس، توفي عنها أبو قيس بن الأسلت، فجنح عليها ابنه، فجاءت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا أنا ورثت

⁽١) حميمة: أي خاصته ومن يقرب منه (النهاية ١/٤٤٦).

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

⁽٤) في الأصل: «يزيد» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي سعيد الأشج عن محمد بن فضيل به.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه.

⁽A) في الأصل: «ابن جرير» وهو تصحيف.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق سنيد عن حجاج عن ابن جريج به وهو مرسل كذلك.

⁽١٠) كذا في (حم) و(مح)، وفي تفسير الطبري، وفي الأصل: «عطاء» وهو خطأ وتكرار لسابقه.

⁽١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

زوجي، ولا أنا تركت فأنكح، فأنزل الله هذه الآية (١). وقال السدي عن أبي مالك: كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها، جاء وليه فألقى عليها ثوباً، فإن كان له ابن صغير، أو أخ، حبسها حتى يشب، أو تموت فيرثها، فإن هي انفلتت فأتت أهلها ولم [يلق](٢) عليها ثوباً، نجت، فأنزل الله: ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَها ﴾(٣).

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِسَآءَ كَرَهُا ﴾: كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يزوجها ابنه، رواه ابن أبي حاتم (٤). ثم قال: وروي عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وأبي مجلز والضحاك والزهري وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان (٥)، نحو ذلك [قلت] (٢)، فالآية تعم ما كان يفعله أهل الجاهلية وما ذكره مجاهد، ومن وافقه، وكل ما كان فيه نوع من ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَلَا تَعْشُلُوهُنَ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُكُوهُنَ ﴾ أي: لا تُضَارّوهن في العشرة، لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه أو حقاً من حقوقها عليك، أو شيئاً من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد.

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا نَعْضُلُوهُنَّ﴾: يقول: ولا تقهروهن ﴿لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يعني: الرجل، تكون له امرأة وهو كاره لصحبتها، ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي (٧). وكذا قال الضحاك وقتادة (٨)، واختاره ابن جرير.

وقال ابن المبارك وعبد الرزاق: أخبرنا معمر، قال: أخبرني سماك بن الفضل، عن ابن البيُّلماني، قال: نزلت هاتان الآيتان، إحداهما في أمر الجاهلية، والأخرى في أمر الإسلام.

وقال عبد الله بن المبارك: يعني قوله: ﴿لَا يَجِلُ لَكُمْ أَن تَرِنُوا النِّسَآءَ كَرَهُمَّا ﴾ في الجاهلية، ﴿وَلَا تَقَضُلُوهُنَّ ﴾ في الإسلام (٩).

وقوله: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةً ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والضحاك وأبو قلابة وأبو صالح والسدي وزيد بن أسلم وسعيد بن أبي هلال: يعني: بذلك الزنا(١٠٠).

وسنده مرسل.

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح) وفي الأصل: «يكن».

⁽٣) أخرجه الطبري بالإسناد المتقدم قبل رواية مجاهد، وسنده ضعيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سالم عن مجاهد.

⁽٥) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٦) كذا في (حم) و(ح) و(مح)، وفي الأصل: «قال».

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به.

 ⁽٨) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف لم يصرح باسم شيخه.

⁽٩) أخرجه عبد الرزاق عن معمر به، وأخرجه الطبري من طريق ابن المبارك به وهو مرسل، وعبد الرحمن ضعيف كما في التقريب.

⁽١٠) ذكرهم ابن أبيّ حاتم كلهم بحذف السند، وتقدم التخريج في الآية ١٥ من هذه السورة الكريمة.

يعني: إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها، وتضاجرها حتى تتركه لك، وتخالعها، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَأْخُدُواْ مِمَّا عَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا إِلّا أَن الله وَعَمَا عُدُودَ الله فَي سورة البقرة: ﴿وَلا يَحِلُ لَكُمْ الله الْفَلْدَ بِهِ الله الله الله الله الله الله النه والضحاك: الفاحشة المبينة النشوز والعصيان ، واختار ابن جرير أنه يعم ذلك كله الزنا والعصيان، والنشوز، وبذاء اللسان وغير ذلك. يعني أن هذا كله يبيح مضاجرتها حتى [تبرئه] من حقها أو بعضه ويفارقها، وهذا جيد، والله أعلم. وقد تقدم فيما رواه أبو داود منفرداً به من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿لاَ يَحِلُ لَكُمْ أَن نَرْتُواْ النِسَاءَ كُرَهُا وَلاَ شَمُنُوهُنَ لِتَذَهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَ إِلّا أَن يَأْتِينَ بِفَلَحِشَةٍ مُبَيِّنَةً ﴾ قـال: وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت، أو ترد إليه صداقها، فأحكم الله عن ذلك؛ أي: نهى عن ذلك أن وهكذا قال عكرمة عن ابن عباس والحسن البصري، وهذا عن ذلك؛ أي: نهى عن ذلك أن وهكذا قال عكرمة عن ابن عباس والحسن البصري، وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية، ولكن نهى المسلمون عن فعله في الإسلام.

وقال عبد الرحمن بن زيد: كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة، فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد، فإذا خطبها الخاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها قال: فهذا قوله: ﴿وَلَا تَمْضُلُوهُنَ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَ ﴾ [الآية (٥) . وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَمْضُلُوهُنَ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَ ﴾ [١٠]، هو كالعضل في سورة البقرة (٧) .

وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْنَ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَ بِٱلْمُعُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (٨) وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ﷺ، يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني، فقال: «هذه بتلك» (٩). ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان إذا صلى العشاء فدخل منزله يسمر مع

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الحسن».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة به.

⁽٣) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل: «تترك» وفي (مح): تهبه.

⁽٤) تقدم في بداية تفسير هذه الآية الكريمة.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

⁽٦) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

أخرجه الترمذي من حديث عائشة (السنن، المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ ح٣٨٩٢)، وقال:
 حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٤٠٥٧).

⁽٩) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة (المسند ١٤٤/٤٠ ح٢٤١١٨)، وصححه محققوه.

أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار. وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدُ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسَوَّةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وأحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتب الأحكام، ولله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى آَن تَكُرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيِّرًا كَيْرًا أَي: فعسى أن يكون صبركم مع إمساككم لهن وكراهتهن فيه، خير كثير لكم في الدنيا والآخرة، كما قال ابن عباس في هذه الآية: هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولداً، ويكون في ذلك الولد خير كثير (١)، وفي الحديث الصحيح: «[لا يفرك](٢) مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر»(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَرَدُتُمُ السّبِبَدَالَ رَقِح مَكَاكَ رَقِح وَ البّتُمُ إِحْدَنهُنَ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُونَهُ بُهْ تَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿ أَي: إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذ مما كان أصدق الأولى شيئاً ولو كان قنطاراً من المال، وقد قدمنا في سورة آل عمران الكلام على القنطار بما فيه كفاية عن إعادته ههنا (٤٠). وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل، وقد كان عمر بن الخطاب [نهى عن كثرة الإصداق] (٥٠) ثم رجع عن ذلك، كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت عن أبي العجفاء السلمي، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ألا لا تَعلّوا في طداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، كان أولاكم بها النبي عشرة أوقية، وإن أصدق رسول الله على المرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن كان الرجل ليبتلي بصدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول: كلفت إليك علق القربة (٢٠)(٢)، رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن محمد بن سيرين، عن أبي العجفاء واسمه: هرم بن مُسيب البصري، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٨٠).

(طريق أخرى عن عمر) قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن المجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله على، ثم قال: أيها الناس، ما إكثاركم في صُدُق (٩) النساء، وقد كان رسول الله على وأصحابه وإنما الصّدُقات (١٠) فيما بينهم

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «لا يترك» وهو على المعنى.

⁽٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً (الصحيح، الرضاع، باب الوصية بالنساء ح١٤٦٩).

⁽٤) سورة آل عمران آية ١٤.

⁽٥) سقط في الأصل، واستدرك من (ح) و(مح) و(حم).

⁽٦) أي تحملت لأجلك كل شيء حتىٰ علق القربة، وهو حبلها الذي تعلَّق به (النهاية ٣/ ٢٩٠).

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وأطول (المسند ١/ ٢٨٣ ح٢٨٥)، وصححه محققوه وأحمد شاكر.

⁽٨) سنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في مهور النساء (ح١١١٤)، وتقدم تصحيحه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٨٨٩).

⁽٩) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «صداق».

⁽١٠) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «صداق».

أربعمائة درهم، فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم. قال: ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُم إِحْدَنهُنَ قِنطارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهَتَنا وَإِنّها مُبِينا﴾؟ سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُم إِحْدَنهُنَ قِنطارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهَتَنا وَإِنّها مُبِيناً﴾؟ قال: فقال: اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل (۱). إسناده جيد قوي (۲).

وقال ابن المنذر: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن قيس بن ربيع، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء، فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله يقول: ﴿وَمَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ ـ من ذهب ـ قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود، (فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً)، فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته (٣).

(طريق أخرى عن عمر فيها انقطاع) قال الزبير بن بكار: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، عن جدي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي القُصّة ـ يعني يزيد بن الحصين الحارثي ـ فمن زاد، ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صفة النساء طويلة، في أنفها فطس: ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله قال: ﴿وَمَاتَيْشُمُ إِخْدَنُهُنَّ قِنطَارًا...﴾ الآية، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ (٤)، ثم عمل عمر بن الخطاب بخلاف ما كان [نهئ] (٥) عنه فإنه أصدق أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله على أربعين ألفاً إكراماً لها، وعلى ذلك كان عمل الناس فيما بعد لما فتح الله عليهم الأمصار وصارت إليهم تلك الأموال. قال الطبراني: حدثني الحسين بن إسحاق عليهم الأمصار وصارت إليهم تلك الأموال. قال الطبراني: حدثنا هشام بن حسان، عن ابن التستري، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا هشام بن حسان، عن ابن سيرين قال: تزوج الحسن بن علي يمتع المطلقة من نسائه بعشرة آلاف، فقالت إحداهن لما وضعت بين يديها وقد بانت منه: متاع قليل من حبيب مفارق. وأصدق مصعب بن الزبير

⁽۱) أخرجه أبو يعلى في مسنده كما في المقصد العلي للهيثمي ٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ (ح٧٥٧)، وضعفه الدارقطني (في العلل ٢٨/١ ـ ٢٣٩)، والألباني في إرواء الغليل ٦/ ٣٤٨.

⁽٢) وتبعه السخاوي في المقاصد الحسنة (ح٤١٨)، والسيوطي في الدر المنثور ٢/٤٦٦، والصحيح هو الحديث السابق من طريق أبي العجفاء.

⁽٣) أخرجه ابن المنذر بسنده ومتنه (التفسير رقم ١٥١١)، وأخرجه عبد الرزاق عن قيس به (المصنف ٦/١٨٠)، وسنده ضعيف ضعفه الألباني بسبب الانقطاع بين أبي عبد الرحمن السلمي وعمر، وسوء حفظ قيس بن الربيع (الإرواء ٦٤٨٦).

⁽٤) سنده ضعيف بسبب الانقطاع بين عمر وجد الزبير بن بكار.

⁽٥) كلمة «نهى» سقط من الأصل.

عائشة بنت طلحة شيئاً كثيراً ذكرناه في التاريخ، وأصدقت فاطمة بنت الحسين بن علي ألف ألف، ومثل هذه الأشياء كانت تشتهر في زمانها ولم يبلغنا عن أحد من أئمة تلك المدة إنكار ذلك والله أعلم، وأما مغالاة بني أمية وبني العباس وأهل دولتهم في الأصدقة فشيء عجيب وتكثير بعيد لما فيه من السرف، والله أعلم. ولهذا قال [منكراً] ((): ﴿وَكِيْفَ تَأْخُدُونَهُ وَقَد أَفْنَى بَشُكُمُ إِلَى بَعْضِ أي: وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك؟ قال ابن عباس ومجاهد والسدي وغير واحد: يعني بذلك الجماع (٢)، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ، قال للمتلاعنين بعد فراغهما من تلاعنهما: «الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ " [ثلاثاً] (٣)، فقال الرجل: يا رسول الله مالي؟ _ يعني ما أصدقها _ قال: «لا مال لك، إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها (أن في سنن أبي داود وغيره عن بصرة بن أبي بصرة (أن أنه تزوج امرأة بكراً في خدرها، فإذا هي حبلي من الزنا، فأتي رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقضي لها بالصداق، وفرق بينهما، وأمر بجلدها، وقال: «الولد عبد لك» (أن في مقابلة البضع. ولهذا قال تعلى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْنَى بَعْضُ مُن إِن يَعْضِ الله المناء وقال: «الولد عبد لك» (أن في مقابلة البضع. ولهذا قال تعلى: ﴿وَكِيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْنَى بَعْضُ مُن إِن يَعْن هُمْ .

وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَتُ مِنكُم مِيثَنَقًا غَلِيظًا﴾ [روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، أن المراد بذلك العقد (٧). وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَخَذَتُ مِنكُم مِيثَنَقًا غَلِيظًا﴾] (٨)، قال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان (٩). قال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والحسن وقتادة ويحيى بن أبي كثير والضحاك والسدي، نحو ذلك (١٠). وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ﴿وَأَخَذَتُ مِنكُم مِيثَنَقًا غَلِيظًا﴾: هو قوله: «أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» فإن

(١) زيادة من (ح) و(مح) و(حم).

⁽٢) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق بكر بن عبد الله المزني عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٣) زيادة من (ح) و(حم) و(مح) والتخريج.

⁽٤) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر (الصحيح، الطلاق، باب قول الإمام للمتلاعنين: إن أحدكما كاذب. . ح٣١٧)، وأخرجه مسلم (الصحيح، اللعان، الحديث الرابع رقم ١٤٩٣).

⁽٥) كذا في الأصل وفي سنن أبي داود: «بصرة ابن أكثم»، وكلاهما صحابي.

⁽٦) أخرجه أبو داود من طريق ابن جريج عن صفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار . . . يقال له: بصرة بنحوه (السنن، النكاح، باب في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى ح٢١٣١)، وذكر أبو حاتم أنه مرسل (العلل ٢١٣١)، وفي سنده ابن جريج لم يصرح بالسماع .

⁽٧) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق حبيب بن أبي ثابت عنه، وقول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن، وقول سعيد بن جبير ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٨) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽۹) سنده حسن.

⁽١٠) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف الإسناد.

كلمة الله هي التشهد في الخطبة، قال: وكان فيما أعطى النبي ﷺ ليلة أسري به، قال له: «جعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي» رواه ابن أبي حاتم (١١).

وفي صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع أن النبي ﷺ قال فيها: «واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا حسين، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: ﴿وَلاَ نَنَكِعُواْ مَا نَكُمّ مَاكَوُكُم مِن النّسَاءِ إِلّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ قال: نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد الله بنت ضمرة، وكانت تحت الأسلت أبيه وفي الأسود بن خلف، وكان خلف على ابنة أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وكان عند [أبيه] (٥) خلف، وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت عند أمية بن خلف، فخلف عليها صفوان بن أمية (٦). وقد زعم السهيلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولاً به في الجاهلية، ولهذا قال: ﴿ إِلّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: قال: ﴿ إِلّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٣] قال: وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة، تزوج بامرأة أبيه، فأولدها ابنه النضر بن كنانة، قال: وقد قال ﷺ: "ولدت من نكاح لا من سفاح " (١)، قال: فدل على أنه كان سائعاً لهم ذلك، فإن أراد أنهم كانوا يعدونه نكاحاً فيما بينهم. فقد قال ابن جرير: [حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي، حدثنا قُراد] (١)، حدثنا أبن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن سعيد بن سابق عن أبي جعفر به وسنده مرسل.

⁽٢) أخرجه مسلم مطولاً من حديث جابر (الصحيح، الحج، باب حجة النبي ﷺ ح١٢١٨).

⁽٣) زيادة من (ح) و(حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب أشعث بن سوار، وهو ضعيف (التقريب ٧٩/١).

⁽٥) كذا في (ح) و(حم) و(مح) والطبري، وفي الأصل: «ابنه» وهو تصحيف.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وأطول، وسنده ضعيف بسبب حسين وهو سنيد وكذلك إرسال عكرمة.

⁽٧) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٩٩/١٠ ح٢٠٨١)، والبيهقي (السنن الكبرى ٧/ ١٩٠)، كلاهما من طريق أبي الحويرث عن ابن عباس. وسنده ضعيف لأن أبا الحويرث مجهول كما في التقريب.

⁽٨) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل محمد بن عبد الله المخزومي، ثنا بزاز وهو تصحيف.

أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا نَكِحُوا مَا نَكُحَ ءَابَآوُكُم مِنَ النِسَاءِ ٣٦] (). وهكذا قال عطاء وقتادة (٢)، ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كنانة نظر، والله أعلم، وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الآية، مبشع غاية التبشع، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُم كَانَ فَنَحِشَةُ وَمَقْتًا وَسَاءَ سَيِيلًا ﴾، وقد قال: ﴿وَلَا تَقَرَبُوا الْفَوْرَضَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوْرَضَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا النَّوْرَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ أَي الله الله أي الإسراء] فزاد ههنا ﴿وَمَقْتًا ﴾ أي: بغضاً ؛ أي: هو أمر كبير في نفسه، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته، فإن الغالب أن من تزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله، ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأنهن أمهات لكونهن زوجات النبي على وهو كالأب للأمة بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع، بل حبه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه (٣).

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَمَقْتًا﴾ أي: يمقت الله عليه، ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ أي: وبئس طريقاً لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، فيقتل ويصير ماله فيئاً لبيت المال. كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب، عن خاله [أبي بردة](٤) - وفي رواية: ابن عمر، وفي رواية: عن عمه ـ أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه [من بعده](٥) أن يقتله ويأخذ ماله(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا أشعث، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: مرَّ بي عمي الحارث بن عمرو ومعه لواء قد عقده له النبي على فقلت له: أي عمّ أين بعثك النبي؟ قال: بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه (٧).

(مسألة): وقد أجمع العلماء على تحريم من وطئها الأب بتزويج أو ملك أو شبهة، واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع، أو نظر إلى ما لا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية، ونص (٨) الإمام أحمد كلله أنها تحرم أيضاً بذلك، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة حُديج الحصني مولى معاوية قال: اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة، فأدخلها عليه مجردة وبيده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها، ويقول: نعم المتاع، لو كان له متاع اذهب بها إلى يزيد بن معاوية، ثم قال: لا، ادع لي ربيعة بن عمرو الجُرشي، وكان فقيهاً، فلما دخل عليه قال: إن هذه أتبت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذاك، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد، فقال: لا تفعل

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات، وقراد هو عبد الرحمن بن غزوان الضبي، وسنده صحيح.

⁽٢) قول عطاء أخرجه الطبري بسند فيه سُنيد وهو ضعيف، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق زهير بن محمد عن عطاء بن أبي رباح.

⁽٤) (٥) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بنحوه (المسند ٣٠/ ٥٧٢ ح١٨٦١)، وضعفه محققوه.

⁽۷) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠/٣٠ ح١٨٥٧٩)، وضعفه محققوه، وفي سنده أشعث وهو ابن سوار: ضعيف كما في التقريب.

⁽٨) كذا في الأصل، وفي (حم) و(مح): «وعن».

يا أمير المؤمنين فإنها لا تصلح له، ثم قال: ما رأيت، ثم قال: ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري، فدعوته وكان آدم شديد الأدمة، فقال: دونك هذه بيض بها ولدك، قال: وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله على لابنته فاطمة فربته، ثم أعتقته، ثم كان بعد ذلك مع معاوية من الناس على على بن أبى طالب على الله على على بن أبى طالب

﴿ وَمَنْ عَلَنْكُمْ وَمَنَا ثُكُمْ وَالْمَاثُكُمْ وَالْمَاثُكُمْ وَالْمَاثُكُمْ وَعَنْكُمْ وَكَلْتُكُمْ وَالْمَاثُ الْآَخِ وَالْمَاثُ وَعَنْكُمْ وَكَلْتُكُمْ وَالْمَاثُ الْآَخِ وَالْمَاثُ وَالْمَاثُ وَالْمَاثُ الْآَخِ وَالْمَاثُ وَالْمَاثُ وَالْمَاثُ اللَّهِ وَالْمَاثُ وَاللَّهُ وَاللّلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَ وَاللَّهُ وَالْمُ وَاللَّهُ وَالْمُوالِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالِلَّالَ الللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَالَالِكُوالِمُ اللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَ

هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع ومن المحارم بالصهر، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان بن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: حرمت عليكم سبع نسباً وسبع صهراً، وقرأ: ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ أَمُّهُ لَكُمُ وَبَنَاتُكُمُ وَأَخُونُكُمُ . . . ﴾ الآية (١)، وحدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد، حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير، مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع، ثم قرأ عمير، عليتكم أَمُهَ كُمُ وَبَنَاتُكُم وَاخُونُكُم وَعَمَّنَكُم وَخَلَنْكُم وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴿ فَهَ نَالُكُمُ وَاخُونُكُم وَخَلَنْكُم وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴿ فَهَ نَالُكُمُ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴾ فهن النسب سبع ومن الصهر سبع، ثم قرأ النسب (٢).

وقد استدل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُكُمْ وَإِنها بنت، فتدخل في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل، وقد حكي عن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتاً شرعية، فكما لم تدخل في قوله تعالى: ﴿يُومِيكُو كَيْ عَن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتاً شرعية، فكما لم تدخل في هذه الآية، والله أعلم، الله في آولكوكُم وَ النساء: ١١] فإنها لا ترث بالإجماع، فكذلك لا تدخل في هذه الآية، والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَنَكُمُ النِّي أَرْضَعْنَكُمُ وَأَنْوَنُكُم مِن الرَّضَعَة ﴾ أي: كما يحرم عليك أمك التي ولدتك، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك، ولهذا روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله عليه قال: «إن الرضاعة تحرّم ما تحرّم الولادة» (٣)، وفي لفظ

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح أخرجه البخاري من طريق يحيىٰ بن سعيد عن سفيان به (الصحيح، النكاح، باب «ما يحل من النساء وما يحرم» ح٥١٠٥).

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٣) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب من البيوت إليهن (ح٣)، وصحيح مسلم، الرضاع، باب ما يحرم من الرضاعة (ح١٤٤٤).

لمسلم: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»(١).

[وقال بعض الفقهاء: كل ما يحرم بالنسب يحرم] (٢) بالرضاعة إلا في أربع صور، وقال بعضهم: ست صور هي مذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك، لأنه يوجد مثل بعضها من النسب، وبعضها إنما يحرم من جهة الصهر فلا يرد على الحديث شيء أصلاً ألبتة، ولله الحمد وبه الثقة.

ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة، فذهب ذاهبون إلى أنه يحرم مجرد الرضاع لعموم هذه الآية، وهذا قول مالك، ويحكيٰ عن ابن عمر، وإليه ذهب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري. وقال آخرون: لا يحرم أقل من ثلاث رضعات، لما ثبت في صحيح مسلم من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله على قال: «لا تحرم المصة ولا المصتان»(٣).

وقال قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أم الفضل، قالت: قال رسول الله على: «لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان، والمصة ولا المصتان» (٤)، وفي لفظ آخر: «لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان» رواه مسلم (٥).

وممن ذهب إلى هذا القول: الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد، وأبو فرر، وهو محكي عن علي وعائشة وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله. وقال آخرون: لا يحرم أقل من خمس رضعات، لما ثبت في صحيح مسلم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرة، عن عائشة أن قالت: كان فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي النبي وهن فيما يقرأ من القرآن (القرق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، نحو ذلك (الله وفي حديث سهلة بنت سهيل، أن رسول الله الله أمرها أن ترضع سالماً مولى أبي حذيفة خمس رضعات، وبهذا خمس رضعات، وبهذا قال الشافعي وأصحابه، ثم ليعلم أنه لا بد أن تكون الرضاعة في سن الصغر دون الحولين على قول الجمهور. وكما قدمنا الكلام على هذه المسألة في سورة البقرة عند قوله: ﴿ يُرْضِعَنَ أَوْلَكُمُنَ اللهُ عَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَ الرَّهَاعَةُ ﴿ [البقرة: ٣٣٣].

⁽۱) أخرجه مسلم من حديث عائشة (الصحيح، الرضاع، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، الحديث التاسع (۱) . (۱۰۷۰/۲).

⁽٢) ما بين معقوفين سقط في الأصل، واستدرك من (حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه مسلم من طريق ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة، صحيح مسلم، الرضاع، باب في المصة والمصتان (ح١٤٥٠).

⁾ المصدر السابق (ح٢٠). (٥) المصدر السابق (ح٢٢).

⁽٦) صحيح مسلم، الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات (ح١٤٥٢).

⁽٧) المصنف ٧/٤٦٦ رقم (١٣٩١٢).

⁽٨) أخرجه البخاري، النكاح، باب الأكفاء في الدين (ح٥٠٨٨)، وصحيح مسلم الرضاع، باب رضاعة الكبير (ح١٤٥٣).

واختلفوا هل يحرم لبن الفحول، كما هو قول الجمهور الأئمة الأربعة وغيرهم، أو إنما يختص الرضاع بالأم فقط، ولا ينتشر إلى ناحية الأب، كما هو قول لبعض السلف؟ على قولين، تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير.

وقول : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَآبِكُمُ وَرَبَّتِبُكُمُ الَّذِي فِي مُجُورِكُم مِن نِسَآبٍكُمُ الَّذِي دَخَلتُم بِهِنَ فَإِن لَمّ تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَ فَلا جُنكَ عَلَيْكُمُ الَّذِي فِي مُجُورِكُم مِن نِسَآبٍكُمُ اللّهِ على ابنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل، وأما الربيبة وهي بنت المرأة فلا تحرم بمجرد العقد على أمها حتى يدخل، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها، ولهذا قال: ﴿ وَرَبَّتِبُكُمُ الَّذِي فِي يَدخل، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها، ولهذا قال: ﴿ وَرَبَّتِبُكُمُ الّذِي فِي مُجُورِكُم مِن نِسَآبٍكُمُ الّذِي دَخَلتُم بِهِنَ فَإِن لّم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَ فَإِن لّم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَ فَإِن لّم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَ فَال المهات في تزويجهن، فهذا خاص بالربائب [وحدهن. وقد توهم (١) بعضهم عود الضمير إلى الأمهات والربائب] (١)، فقال: لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها، لقوله: ﴿ فَإِن لّم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَ فَلا جُنكَ عَلَيْكُمُ ﴾.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن علي رضي الله تعالى عنه، في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها، أيتزوج أمها؟ قال: هي بمنزلة الربيبة (٢٠). وحدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى عن (٤) سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن زيد بن ثابت، قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها (٥). وفي رواية عن قتادة، عن سعيد، عن زيد بن ثابت، أنه كان يقول: إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها، فإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل (٢٠).

وقال ابن المنذر: حدثنا إسحاق عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو بكر بن حفص، عن مسلم بن عويمر الأجدع، أن بكر بن كنانة أخبره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف، قال: فلم أجامعها حتى توفى عمي عن أمها، وأمها ذات مال كثير، فقال أبي: هل لك في أمها؟ قال: فسألت ابن عباس وأخبرته الخبر، فقال: انكح أمها؟ قال: وسألت ابن عمر، فقال: لا تنكحها، فأخبرت أبي ما قال ابن عباس، وما قال ابن عمر، فكتب إلى معاوية فأخبره في كتابه ما قال ابن عمر وابن عباس، فكتب معاوية: إني لا أحل ما حرم الله، ولا أحرم ما أحل الله، وأنت وذاك والنساء سواها كثير. فلم ينه ولم يأذن لي، فانصرف أبي عن أمها فلم ينكحها (٧).

⁽١) قوله: «وقد توهم» كذا في (ح) و(حم)، وفي (مح): «فهم».

ما بين معقوفين سقط في الأصل، واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

 ⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق سعيد بن أبي عروبة به (المصنف ١٤/١٧١)، وسنده صحيح.

⁽٤) في الأصل: ۚ «بن سعيد»، وكذا في الطبري، وفي بعض النسخ كما أثبت.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن قتادة به، وسنده حسن.

⁽۷) أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج به (المصنف ٦/ ٢٧٥ رقم ١٠٨١٩)، ومسلم بن عويمر لم أجد له ترجمة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن سماك بن الفضل، عن رجل، عن عبد الله بن الزبير، قال: الربية والأم سواء لا بأس بها إذا لم يدخل بالمرأة (١). وفي إسناده رجل مبهم لم يسم.

وقال ابن جريج: أخبرني عكرمة بن خالد أن مجاهداً قال له: ﴿وَأُمّهَتُ نِسَآهِكُمُ وَرَبّبُكُمُ اللّهِ فِي مُجُورِكُم الله أراد بهما الدخول جميعاً (٢). فهذا القول كما ترى مروي عن علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس، وقد توقف فيه معاوية. وذهب إليه من الشافعية أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصابوني فيما نقله الرافعي عن [العبادي] (٣). وقد روي عن ابن مسعود مثله، ثم رجع عنه، قال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي فروة، عن أبي عمرو الشيباني، عن ابن مسعود: أن رجلاً من بني شمِخ من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته. فاستفتى ابن مسعود، فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها، فتزوجها وولدت له أولاداً، ثم أتى ابن مسعود المدينة، فسئل عن ذلك، فأخبر أنها لا تحل له، فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل: إنها عليك حرام ففارقها (٤). وقد خالفه جمهور العلماء من السلف والخلف فرأوا أن الربيبة لا تحرم بمجرد العقد على الأم وأنها لا تحرم إلا بلدخول بالأم بخلاف الأم، فإنها تحرم بمجرد العقد على الربيبة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن محمد ابن هارون [بن عَزْرة]^(٥)، حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقول: إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها، روي أنه قال: إنها مبهمة، فكرهها^(٢). ثم قال: وروي عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاوس وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقتادة والزهري نحو ذلك^(٧). وهذا مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة، وجمهور الفقهاء قديماً وحديثاً، ولله الحمد والمنة.

قال ابن جرير: والصواب قول من قال: الأم من المبهمات، لأن الله لم يشترط معهن الدخول كما شرط ذلك مع أمهات الربائب، مع أن ذلك أيضاً إجماع [من الحجة] (٨) التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه. وقد روي بذلك أيضاً عن النبي على خبر غير أن في إسناده

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق عن معمر به (المصنف ۲۷۸/۲ رقم ۱۰۸۳۳)، وسنده ضعيف بسبب إبهام الرجل الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج به (المصنف ٦/ ٢٧٥ رقم ١٠٨١٧).

⁽٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي (مح): «العباري»، وهو تصحيف وفي الأصل: «البيضاوي».

⁽٤) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١٧/٩ ح٥٥٩)، قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح (المجمع ٤/ ٢٧٠)، وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري به (المصنف ٢٧٣/٦ رقم ١٠٨١) وسنده صحيح، وأبو فروة هو: عروة بن الحارث الهمداني، وأبو عمرو الشيباني هو: سعد بن إياس.

⁽٥) كذا في تفسير ابن أبي حاتم وترجمة شيخه جعفر، وفي الأصل و(ح) و(حم) و(مح): "بن عروة».

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وأخرجه البيهقي من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن بكر عن سعيد به (السنن الكبرى ٧/ ١٦٠)، وسنده حسن.

⁽٧) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند.

⁽٨) سقط في الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

نظراً، وهو ما حدثني به المثنى، حدثنا حبان بن موسى، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي على قال: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها، دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوج بالأم فلم يدخل بها ثم طلقها، فإن شاء تزوج الابنة»، ثم قال: وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فإن في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره (١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَرَبَيْبُكُمُ الَّتِي فِي حُبُورِكُمُ وَجمهور الأمة على أن الربيبة حرام سواء كانت في حجر الرجل، أو لم تكن في حجره، قالوا: وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلا تُكْرِفُوا فَنَيْتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَلَةِ إِنْ أَرَدَنَ تَصَّنُ النور: ٣٣]. وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان، [وفي لفظ لمسلم عزة بنت أبي سفيان] (٢٠)، قال: «أو تحبين ذلك» وقالت: نعم لست لك يِمُحْلِيَةٍ، وأحب من شاركني في خير أختي، قال: «إنها لا يحل لي». قالت: فإنا نحدث أنك تريد أن تكح بنت أبي سلمة، قال: «إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها لبنت أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن (٣٠)، وفي رواية البخاري: «إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلّت لي» (٤)، فجعل المناط في التحريم وفي رواية البخاري: «إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلّت لي» (٤)، فجعل المناط في التحريم السبعة وجمهور الخلف والسلف، وقد قيل: بأنه لا تحرم الربيبة إلا إذا كانت في حجر الرجل، السبعة وجمهور الخلف والسلف، وقد قيل: بأنه لا تحرم الربيبة إلا إذا كانت في حجر الرجل، فإذا لم تكن كذلك فلا تحرم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام _ يعني: ابن يوسف _ عن ابن جريج، حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، أخبرني مالك [بن أوس] (٢) بن الحدثان، قال: كانت عندي امرأة فتوفيت، وقد ولدت لي فوجدت عليها، فلقيني علي بن أبي طالب فقال: ما لك؟ فقلت: توفيت المرأة. فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم وهي بالطائف. [قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا، هي بالطائف] (٢) قال: فانكحها، قلت: فأين قول الله: $((20)^{1/2})^{1/2}$ ألّتي في حُجُورِكُم والله: إنها لم تكن في حجرك إنما ذلك إذا كانت في حجرك (١٠). هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جداً، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه. وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك كَلَّلُهُ، واختاره ابن

⁽١) ذكره الطبري بالرواية نفسها وبتعليقه، وفي سنده المثنىٰ بن الصباح: ضعيف (التقريب ص٥١٩).

⁽٢) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) صحيح البخاري، النكاح، باب ﴿وَأَنْهَنْكُمُ الَّتِيّ أَرْضَعْنَكُمُ ﴾ [النساء: ٢٣] (ح٥١٠١) وصحيح مسلم، الرضاع، باب تحريم الربيبة (ح١٤٤٩).

⁽٤) صحيح البخاري، النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير (ح٥١٢٣).

⁽٥) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٦) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «بن رزين» وهو تصحيف.

⁽٧) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٨) أخرجه أبن أبي حاتم بسنده ومتنه، وصححه أيضاً السيوطي (الدر ١٣٦/٢).

حزم، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية كَثَلَثُهُ، فاستشكله وتوقف في ذلك، والله أعلم.

وقال أبن المنذر: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا الأثرم، عن أبي عبيدة قوله: ﴿ٱلَّذِي فِي حُبُورِكُم﴾، قال: في بيوتكم (١٠).

وأما الربيبة في ملك اليمين فقد قال الإمام مالك بن أنس، عن ابن شهاب: أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبنتها من ملك اليمين، توطأ إحداهما بعد الأخرى؟ فقال عمر: ما أحب أن أخبرهما جميعاً (٢). يريد أن أطأهما جميعاً بملك يميني، وهذا منقطع.

وقال سنيد بن داود في تفسيره: حدثنا أبو الأحوص، عن طارق بن عبد الرحمن، عن قيس، قال: قلت لابن عباس: أيقع الرجل على امرأة وابنتها مملوكين له? فقال: أحلتهما آية وحرمتهما آية، ولم أكن لأفعله (٣). وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر كَالله: لا خلاف بين العلماء أنه لا يحل لأحد أن يطأ امرأة وبنتها من ملك اليمين، لأن الله حرم ذلك في النكاح، قال: ﴿وَأُمَّهَنُّ نِسَآيِكُم مِن نِسَآيِكُم مُن نِسَاَيِكُم مُن وملك اليمين عندهم تبع للنكاح إلا ما روي عن ابن عمر وابن عباس، وليس على ذلك أحد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم. قال هشام عن قتادة: بنت الربيبة وبنت ابنتها لا تصلح وإن كانت أسفل ببطون كثيرة، وكذا قال قتادة عن أبي العالية.

ومعنى قوله: ﴿ اللَّذِي دَخَلَتُ مَ بِهِنَ ﴾ أي: نكحتموهن، قاله ابن عباس وغير واحد^(٤). وقال ابن جريج عن عطاء: هو أن تهدى إليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجليها. وقلت: أرأيت إن فعل ذلك في بيت أهلها؟ قال: هو سواء، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها^(٥).

وقال ابن جرير: وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرّم ابنتها عليه إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر إلى فرجها بشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَلَيْهِ أَبْنَايِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَمْلَبِكُمْ أَي: وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم، يحترز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية. كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَا قَضَىٰ زَيَّدٌ مِنْهَا وَطُرًا زَوَّجْنَكُهَا لِكَىٰ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُوْمِنِينَ حَرَّ فِي ٱلْوَجِ أَدَعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْ مِنْهُمَّ وَطُلًا وَقُلُوا بَرَوْجَنَكُهَا لِكَىٰ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُوْمِنِينَ حَرَّ فِي ٱلْمَوْمِنِينَ حَرَّ فِي ٱلْمَوْمِنِينَ حَرَّ فِي ٱلْمَوْمِنِينَ حَرَّ فِي ٱلْمَوْمِنِينَ مَرَا فِي اللهُ أَعْلَم مِن أَصَلَابِكُمُ ٱللَّذِينَ وَطُلًا وَاللهُ أَعْلَم مِن أَصْلَابِكُمْ الذِينَ عَلَى المَالِي اللهِ المَسْركون فَي أَصْلَابِكُمْ الدِينَ اللهُ أَعْلَم مِنْ أَصْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابِكُمْ أَلْلَابُكُمْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ ال

⁽۱) أخرجه ابن المنذر في تفسيره برقم (١٥٤٧) بسنده ومتنه، وسنده ثابت فالرواية أوردها أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/١٢١.

⁽٢) أخرجه الإمام مالك بسند متصل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أن عمر بن الخطاب به وفي آخره، ونهى عن ذلك (الموطأ، النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين ٢/ ٥٣٨ ح٣٣).

⁽٣) سنده حسن، وقيس هو: ابن أبي حازم البجلي ثقة (التقريب ص٢٨١).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده الثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٥) أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج به (المصنف ٦/٢٧٦ رقم ١٠٨٢٢)، وسنده صحيح.

⁽٦) ذكره الطبري بلفظه في تفسيره (٦/ ٥٦٠).

بمكة في ذلك، فأنزل الله عَلَىٰ ﴿ وَحَلَنَهِلُ أَبْنَابِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَمْلَئِكُمْ ﴾ ونزلت ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَا ٓ هُمُ الَّذِينَ مِنْ أَمْلَئِكُمْ ﴾ ونزلت ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيآ آَكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَمْلَئِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠](١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا خالد بن الحارث، عن الأشعث، عن الحسن بن محمد: أن هؤلاء الآيات مبهمات ﴿وَحَلَيْهِلُ أَبْنَايُكُمُ ﴾ ﴿وَأُمَّهَكُ نِسَايِكُمُ ﴿ وَمُكَول ، نحو ذلك (٣).

(قلت): معنى مبهمات، أي: عامة في المدخول بها وغير المدخول، فتحرم بمجرد العقد عليها، وهذا متفق عليه، فإن قيل: فمن أين تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور، ومن الناس من يجعله (٤) إجماعاً وليس من صلبه، [فالجواب] (٥) من قوله على: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيِّنَ ٱلْأَخْتَكَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: وحرم عليكم الجمع بين الأختين معاً في التزويج، وكذا في ملك اليمين إلا ما كان منكم في جاهليتكم فقد عفونا عن ذلك وغفرناه. فدل على أنه لا مثنوية فيما يستقبل ولا استثناء فيما سلف، كما قال: ﴿لَا يَذُوثُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَٰكُ﴾ [الدخان: ٥٦] [فدل على أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً](٧)، وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح، ومن أسلم وتحته أختان، خيّر فيمسك إحداهما ويطلق الأخرى لا محالة. قال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن أبى وهب الجَيْشاني، عن الضحاك بن فيروز، عن أبيه، قال: أسلمت وعندي امرأتان أختان، فأمرني النبي على أن أطلق أحداهما (٨). ثم رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن لهيعة، وأخرجه أبو داود والترمذي أيضاً من حديث [يزيد بن أبي حبيب، كلاهما عن أبي وهب الجَيْشاني، قال الترمذي: واسمه ديلم بن](٩) الهوشع. عن الضحاك بن فيروز الديلمي، عن أبيه به، وفي لفظ للترمذي: فقال النبي ﷺ: «اختر أيتهما شئت»، ثم قال: [الترمذي: هذا حديث حسن (١٠٠). وقد رواه ابن ماجه أيضاً] (١١١) بإسناد آخر فقال: حدثنا أبو

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج به (المصنف ٦/ ٢٨٠ رقم ١٠٨٣٧)، وسنده مرسل.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) ذكره كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٤) كذا في الأصل، وفي (ح) و(حم) و(مح): «يحكيه».

⁽٥) والزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٦) حديث صحيح تقدم في بداية تفسير آية ٢٣ من هذه السورة.

⁽V) والزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٣٢/٤)، وسنده حسن إذ توبع ابن لهيعة كما سيأتي في الرواية التالية

⁽٩) والزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽١٠) سنن أبي داود، الطلاق، باب فيمن أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان (ح٢٢٤٣)، وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده أختان (ح١١٢٩).

⁽۱۱) والزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبي وهب الجَيْشاني، عن أبي خراش الرعيني، عن الديلمي قال: قدمت على رسول الله على وعندي أختان تزوجتهما في الجاهلية، فقال: «إذا رجعت فطلق إحداهما» (١) قلت: فيحتمل أن أبا خراش هذا هو الضحاك بن فيروز، ويحتمل أن يكون غيره، فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين عن فيروز الديلمي، والله أعلم. وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن يحيى الخولاني، حدثنا هيثم بن خارجة، حدثنا يحيى بن إسحاق، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن رُزَيق بن حكيم، عن كثير بن مرة، عن الديلمي قلت: يا رسول الله، إن تحتى أختين، قال: «طلّق أيهما شئت»(٢)، فالديلمي المذكور أولاً هو الضحاك بن فيروز الديلمي قال أبو زرعة الدمشقى: كان يصحب عبد الملك بن مروان، والثاني هو أبو فيروز الديلمي والله عنه الله عنه المراء باليمن الذين وَلُوا قتل الأسود العنسي المتنبئ لعنه الله، وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لعموم الآية. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن [عبد الله بن أبي عتبة] (٣)، عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين، فكرهه فقال له _ يعني السائل _: يقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمُّ ۚ فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: وبعيرك مما ملكت يمينك(1). وهذا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك. قال الإمام مالك كَالله عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب: أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين في ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية، وما كنت لأصنع ذلك، فخرج من عنده، فلقي رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً. قال مالك: قال ابن شهاب: أراه [٢٢٥/أ] على بن أبي طالب. قال: وبلغني عن الزبير بن العوام مثل ذلك(٥).

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري كَلَّهُ في كتاب [الاستذكار] (٢): إنما كنى قبيصة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب لصحبته عبد الملك بن مروان، وكانوا يستثقلون ذكر علي بن أبي طالب في ، ثم قال أبو عمر: حدثني خلف بن أحمد قراءة عليه: أن خلف بن مطرف حدثهم: حدثنا أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر بن لبابة، قالوا: حدثنا أبو زيد

⁽۱) سنن ابن ماجه، النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أختان (ح۱۹۰۱)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح۱۰۸۷).

⁽٢) تقدم تحسينه في الرواية السابقة.

⁽٣) كذا في تفسير ابن أبي حاتم والتقريب، وفي الأصل بلفظ: «عبد الله بن أبي نجيبة أو عتبة»، وفي (ح) و(حم) و(مح): «عبد الله بن أبي عنبة أو عتبة».

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه وتعليق (الموطأ، النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين ٢/٧٧)، وسنده إلى عثمان صحيح.

⁽٦) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الاستدرك» وهو تصحيف.

عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا أبو عبد الرحمن المقري، عن موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمي إياس بن عامر، قال: سألت علي بن أبي طالب في فقلت: إن لي أختين مما ملكت يميني، اتخذت إحداهما سرية فولدت لي أولاداً ثم رغبت في الأخرى فما أصنع؟ فقال علي في التحري عنت التي كنت تطأ ثم تطأ الأخرى، قلت: فإن ناساً يقولون: بل تزوجها ثم تطأ الأخرى، فقال علي: أرأيت إن طلقها زوجها أو مات عنها، أليس ترجع إليك؟ لأن تعتقها أسلم لك. ثم أخذ علي بيدي فقال لي: إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله في من الحراثر إلا العدد، أو قال: إلا الأربع، ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في عليك في كتاب الله من النسب، ثم قال أبو عمر: هذا الحديث رحلة، لو لم يصب الرجل من أقصى المغرب أو المشرق إلى مكة غيره لما خابت رحلته (). قلت: وقد روي عن علي نحو ما وي عن عثمان.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، حدثنا عبد الرحمن بن غزوان، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال لي علي بن أبي طالب: حرمتهما آية وأحلتهما آية _ يعني: الأختين _ [قال ابن عباس] (٢): فحُرِمهن عليّ قرابتي منهن ولا يحرمهن عليّ قرابة بعضهن من بعض، يعني: الإماء وكانت الجاهلية يحرمون ما تحرمون إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين. فلما جاء الإسلام أنزل [الله ﴿وَلَا نَنكِحُواْ مَا نَكَحَ مَابَاتُوكُمُ مِن النِسَاء؛ ٢٢] (٣). ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيُّ لَ اللَّخَتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢] (٣). ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيُّ لَ اللَّخَتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ يعني: في النكاح (٤٠)، ثم قال أبو عمر: روى الإمام أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن سلمة، عن هشام، عن ابن سيرين، عن ابن مسعود قال: يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد، وعن ابن سيرين والشعبي نحو ذلك.

قال أبو عمر: وقد روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عباس، ولكنهم اختلف عليهم، ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز ولا العراق ولا ما وراءهما من المشرق ولا بالشام ولا المغرب، إلا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس، وقد ترك من يعمل ذلك ما اجتمعنا عليه، وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لا يحل الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء كما لا يحل ذلك في النكاح. وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله: ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ مُ أَنَّهُ كُمُ مُ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ مَ أَنُونَكُمُ وَالله اليمين في هؤلاء كلهن سواء، فكذلك يجب أن يكون نظراً وقياساً الجمع بين الأختين وأمهات النساء والربائب. وكذلك هو عند جمهورهم، وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذَّ عنها (٥٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُعْصَنَتُ مِنَ ٱللِّسَاءَ إِلَّا مَا مَلَكُتُ أَيْمَانُكُمْ ۚ أَي: وحرم عليكم من الأجنبيات

الاستذكار ١٦/ ٢٥٢.
 الزيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح). (٤) سنده حسن.

⁽٥) الاستذكار (١٦/ ٢٥٠ _ ٢٥١).

المحصنات، وهن المزوجات ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتُ أَيْنَانُكُمُّ ۗ ، يعني: إلا ما ملكتموهن بالسبي فإنه يحل لكم وطؤهن إذا [استبرأتموهن](١)، فإن الآية نزلت في ذلك. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان _ هو الثوري _، عن عثمان البتي، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبنا نساء من سبى أوطاس، ولهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسألنا النبي عَلَيْ ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْنَانُكُمْ ۖ فاستحللنا بها فروجهن (٢٠). وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن هشيم، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، ثلاثتهم عن عثمان البتي، ورواه ابن جرير من حديث أشعث بن سوار _ عن عثمان البتي _، ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة، كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مريم، عن أبي سعيد الخدري. . . فذكره (٣)، وهكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، [عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري به. وقد روي من وجه آخر](٤) عن أبي الخليل، عن أبي علقمة الهاشمي، عن أبي سعيد الخدري، قال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي علقمة، عن أبي سعيد الخدري أن أصحاب رسول الله على أصابوا سبايا يوم أوطاس، لهن أزواج من أهل الشرك، فكأن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن، قال: فنزلت هذه الآية في ذلك ﴿ ٱلْمُخْصَنَكُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمُّ ﴿ (٥). وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة، زاد مسلم: وشعبة، ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى، ثلاثتهم عن قتادة بإسناده نحوه (٢٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ولا أعلم أن أحداً ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام عن قتادة _ كذا قال _ وقد تابعه سعيد وشعبة، والله أعلم.

وقد روى الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في سبايا خيبر، وذكر مثل حديث أبي سعيد (٧)، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً لها من زوجها أخذاً بعموم هذه الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه سئل عن الأمة تباع ولها زوج؟ قال: كان عبد الله يقول: بيعها طلاقها. ويتلو هذه الآية

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «اشتريتموهن» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٧٢)، وسنده صحيح على شرط مسلم.

⁽٣) صحيح مسلم، الرضاع، باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء (ح١٤٥٦)، وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الرجل يسبي الأمة. (ح١١٣٢).

⁽٤) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٨٤)، وهو على شرط مسلم.

⁽٦) صحيح مسلم، الرضاع، باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، (ح١٤٥٦)، وسنن أبي داود، النكاح، باب في وطء السبايا (ح٢١٥٥)، وسنن النسائي، النكاح، باب تأويل قول الله ﷺ ﴿ وَالْمُعْمَنَتُ مِنَ السِّمَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتَ آيَنَكُمُ ﴾ [النساء: ٢٤] (٦/١١٠)، وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج... (ح١١٣٢).

⁽٧) المعجم الأوسط ٤/ ٢٩٧ (ح٤٢٥١)، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

﴿وَالْمُعْمَنَتُ مِنَ النِّسَاءُ إِلَا مَا مَلَكُتَ أَيْمَنُكُمْ وكذا رواه سفيان، عن منصور ومغيرة والأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود، قال: بيعها طلاقها(). وهو منقطع، ورواه سفيان الثوري، عن خالد، عن أبي قلابة، عن ابن مسعود، قال: إذا بيعت الأمة ولها زوج، فسيدها أحق ببضعها(٢). ورواه سعيد عن قتادة، قال: إن أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس، قالوا: بيعها طلاقها(٣). وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: طلاقها، وعالم الله وهبتها طلاقها، ابن عباس، قال: طلاقها، وسبتها طلاقها، وعتقها طلاقها، وهبتها طلاقها، ووبراءتها طلاقها، وطلاق زوجها طلاقها](٥)(٢). وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب قوله: ﴿وَاللَّهُ مَنْ النِسَاءِ ﴾ قال: هُنّ ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك، فبيعها طلاقها. قال معمر: وقال الحسن مثل ذلك(٧)، وهكذا رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿وَالْمُعْمَنِكُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَا مَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمْ ﴾ قال: إذا عبد عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿وَالمُعْمَنِكُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَا مَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمْ ﴾ وقال: إذا لها زوج، فبيعها طلاقها ملاقها (وي عوف عن الحسن: بيع الأمة طلاقها، وبيعه طلاقها (٩).

فهذا قول هؤلاء من السلف، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوبة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها ونجزّت عتقها، ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مغيث، بل خيرها رسول الله على، بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ وقصتها مشهورة (١٠٠٠)، فلو كان بيع الأمة طلاقها كما قال هؤلاء ما خيرها النبي على، فلما خيّرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية المسبيات فقط، والله أعلم. وقد قيل: المراد بقوله: ﴿وَاللَّهُ مَنْكُ مِنَ اللِّسَاءَ ﴾ يعني: العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي، واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، حكاه ابن جرير عن أبي العالية (١١٠) وطاوس وغيرهما. وقال عمر وعبيدة: ﴿وَالمُحْمَنَكُ مِنَ النِسَاءَ ﴾ ما عدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم (١٢).

⁽١) أخرجه الطبري بأسانيد ولفظه، والانقطاع هو بين إبراهيم النخعي وابن مسعود. ويتقوى بطريق الثوري التالي.

⁽٢) سنده صحيح، وخالد هو الحذاء.

⁽٣) أخرجه الطبري من طريق عبد الأعلى عن سعيد به، وسنده إلى أبي صحيح، وأما عن جابر وابن عباس فمنقطع لأن قتادة لم يسمع منهما.

⁽٤) في الأصل: «سبيت» وهو تصحيف. (٥) الزيادة من (ح) و(حم) و(مح) وتفسير الطبري.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومنته، وسنده صحيح، ولم يذكر منها إلا خمساً.

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بالطريقين وكلاهما صحيح السند.

⁽٨) أخرجه ابن أبي شيبة عن سعيد به (المصنف ٥/ ٨٤)، وسنده صحيح.

⁽٩) أخرجه ابن أبي شيبة عن عبد الأعلى عن عوف الأعرابي به (المصنف ٥/ ٨٤)، وسنده صحيح.

⁽١٠) صحيح البخاري، الشروط، باب الشروط في البيوع (ح٧١٧)، وصحيح مسلم، العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، الحديث بعد (ح١٥٠٤).

⁽١١) بل أسنده الطبري عن أبي العالية فقط بنحوه، وفي سنده سنيد: ضعيف.

⁽١٢) قول عمر أخر الطبري، وفي سنده أشعث بن سوار ضعيف كما في التقريب، وقول عبيدة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عنه.

وقوله تعالى: ﴿كِنَبَ اللّهِ عَلَيْكُمْ أَي: هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم، فالزموا كتابه، ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه. وقال عبيدة وعطاء والسدي في قوله: ﴿كِنَبَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ﴾] [كني: الأربع (١٠). وقال إبراهيم: ﴿كِنَبَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ﴾] (٢) يعني: ما حرم عليكم (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِلَ لَكُمْ مَّا وَرَآةَ ذَلِكُمْ مَّا وَرَآةَ ذَلِكُمْ مَّا وَرَآةً ذَلِكُمْ الله وقال قتادة: ﴿وَأُمِلَ لَكُمْ مَّا وَرَآةً ذَلِكُمْ الله وقال قتادة: ﴿وَأُمِلَ لَكُمْ مَّا وَرَآةً ذَلِكُمْ الله وقال في الله وقال قتادة وأَمِلَ لَكُم مَّا وَرَآةً ذَلِكُمْ الله وقال وقال في الله وقول من قال: أحلتهما آية وحرمتهما آية.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمُوالِكُم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينً﴾ أي: تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع، أو السراري ما شئتم بالطريق الشرعي، ولهذا قال: ﴿ تُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَ أَجُورَهُنَّ وَيصَةً ﴾ أي: كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُدُونَكُم وَفَدُ أَفْضَى بَعَشُكُمُ إِلَى بَعْضِ ﴾ [النساء: ٤] وكقوله: ﴿وَلا يَمِلُ لَكُمُ أَن تَأْخُدُوا وَكَقُوله تعالى: ﴿وَالَّوْ اللَّيَةُ عَلَى نكاح المتعة، ولا شك أنه مِمَّا عَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ. ثم أبيح ثم نسخ مرتين، وقال آخرون أكثر من ذلك. وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ مرة، ولم يبح بعد ذلك. وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن فريضة) (٧)، وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك. والعمدة ما ثبت في مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك. والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على قال: نهى رسول الله على عن نكاح المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (٨). ولهذا الحديث ألفاظ مقررة هي في كتاب الأحكام. وفي

⁽١) قول عبيدة أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن سيرين عنه، وقول عطاء أخرجه الطبري بسند فيه سنيد: وهو ضعيف، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٢) ما بين معقوفين سقط، واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند فيه سنيد.

⁽٥) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول عَبيدة أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع: ضعيف.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٧) هذه القراءة شاذة تفسيرية ذكرها الطبري عن أبي وابن عباس بحذف السند، ورواها عن سعيد بن جبير من طريق عمرو بن مرة عنه.

⁽A) صحيح البخاري، المغازي، باب غزوة خيبر (ح٢١٦٦)، وصحيح مسلم، النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ... (ح١٤٠٦/٣٠).

صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني، عن أبيه، أنه غزا مع رسول الله على يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً «(۱)، وفي رواية لمسلم: في حجة الوداع، وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ فِيمَا تَرَضَيْتُم بِدِه مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ من حمل هذه الآية على نكاح المتعة إلى أجل مسمى، قال: فلا جناح عليكم إذا انقضى الأجل أن تراضوا على زيادة به، وزيادة للجعل، قال السدي: إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى، يعني: الأجر الذي أعطاها على تمتعه بها قبل انقضاء الأجل بينهما، فقال: أتمتع منك أيضاً بكذا وكذا، فإن زاد قبل أن يستبرئ رحمها يوم تنقضي المدة، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ فِيمَا تَرَضَيْتُم بِدِه مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ ﴾ (٢). قال السدي: إذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل، وهي منه بريئة وعليها أن تستبرئ ما في رحمها، وليس بينهما ميراث، فلا يرث واحد منهما صاحبه، ومن قال بالقول الأول جعل معناه كقوله تعالى: ﴿وَهَاتُوا النِّسَاةَ صَدُقَائِينَ غِلَةً فَإن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْء مِنهُ فَشَا فَكُلُوهُ هَيْتِكا الله ولا عليها في ذلك.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم الحضرمي أن رجالاً كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة، فقال: ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به من بعد الفريضة (٣).

يعني: إن وضعت لك منه شيئاً فهو لك سائغ. واختار هذا القول ابن جرير.

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ فِيمَا تَرَضَيَتُم بِدِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ والتراضي أن يوفيها صداقها ثم يخيرها (٤)، يعني: في المقام أو الفراق. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَرِيمًا ﴾ مناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات.

﴿ وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوَلًا أَن يَنكِحَ الْمُخْصَنَتِ الْمُؤْمِنَّتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ مِنَ فَنَيَّتِكُمْ مِنَ الْمُخْصَنَّتِ الْمُؤْمِنَّتِ فَمِن مَّا مَلَكُتْ أَيْمَنْكُمْ مِنَ بَعْضُكُم مِنَ بَعْضُ فَانْكِكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَمَاتُوهُ أَكُوهُنَّ بِإِيمَانِكُمْ فِأَ بَعْضُكُم مِنَ بَعْضُ فَانْكِكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَمَاتُوهُ أَكُمْ بِالْمَعْمُونِ مُنْتَتِ عَلَيْ اللَّهُ مَكْنَتِ عَلَيْ اللَّهُ مَنْتُ مِن اللَّهُ مَنْتُ مِن الْمُحْمَنَّتِ مِن الْمَنْتَ مِنكُمُّ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَكُمُّ وَاللَّهُ عَفُورٌ نَجِيمٌ ﴿ إِلَى الْمُعْمَنِّتِ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَكُمُّ وَاللَّهُ عَفُورٌ نَجِيمٌ ﴿ إِلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ مَا عَلَى اللّهُ مَا عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ أَنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْلُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُمْ أَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْلِكُولُ اللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

يقول تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوُلًا﴾ أي: سعة وقدرة ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَتِ الْمُؤْمِنَنتِ﴾ أي: الحرائر العفائف المؤمنات. وقال ابن وهب: أخبرني عبد الجبار عن ربيعة ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ

⁽۱) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٢/٢١).

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي، وما ذكره منسوخ ولا يؤخذ من السدي ما يؤيد بدعته.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بالإسناد الثابت عن على بن أبي طلحة به.

مِنكُمْ طُولًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَتِ قال ربيعة: الطول الهوى، يعني: ينكح الأمة إذا كان هواه فيها، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (١)، ثم أخذ يشنع على هذا القول ويرده ﴿فَيِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ مِن فَنَيَنتِكُمُ الْمُؤْمِنَتِ أَي: فتزوجوا من الإيماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون، ولهذا قال: ﴿مِن فَنَينتِكُمُ الْمُؤْمِنَتِ ، قال ابن عباس وغيره: فلينكح من إماء المؤمنين (٢)، وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان (٣) ثم اعترض بقوله: ﴿وَاللّهُ أَعَلَمُ بِإِيمَنِكُمُ بَعْضُكُم مِن المُور، ثم قال: هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها، [وإنما لكم] (٤) أيها الناس الظاهر من الأمور، ثم قال: ﴿فَانَكِحُوهُنَ بِإِذِنِ أَهِلِهِنَ فَدل على أن السيد هو ولي أمته لا تزوج إلا بإذنه، وكذلك هو ولي عبده ليس له أن يتزوج بغير إذنه، كما جاء في الحديث «أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو عاهر (٥) أي: زانٍ. فإن كان مالك الأمة امرأة زوجها من يزوج المرأة بإذنها لما جاء في الحديث «لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَ أَجُورَهُنَ بِٱلْمَعْرُونِ﴾ أي: وادفعوا مهورهن بالمعروف، أي: عن طيب نفس منكم، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانة بهن لكونهن إماء مملوكات.

وقوله تعالى: ﴿الْمُحْصَنَتِ﴾ أي: عفائف عن الزنا لا يتعاطينه، ولهذا قال: ﴿غَيْرَ مُسَلِفِحَتِ﴾ وهن الزواني اللاتي لا يمنعن من أرادهن بالفاحشة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُتَخِذَاتِ أَخَدَانِ﴾، قال ابن عباس: المسافحات هن الزواني المعلنات (٧)، يعني: الزواني اللاتي لا يمنعن أحداً أرادهن بالفاحشة. و ﴿مُتَخِذَاتِ أَخَدَانِ﴾ يعني: أخلاء، وكذا روي عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحيى بن أبي كثير ومقاتل بن حيان والسدي، قالوا: أخلاء (٨). وقال الحسن البصري: يعني: الصديق (٩). وقال الضحاك أيضاً: ﴿وَلَا مُتَخِذَاتِ أَخَدَانِ﴾ ذات الخليل الواحد المقرة به، نهى الله عن ذلك (١٠). يعني تزويجها ما دامت كذلك.

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن وهب به، وفي سنده عبد الحبار وهو ابن عمر الأيلي: ضعيف (التقريب ص٣٣٢).

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٣) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول مقاتل بن حيان أخرجه ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «وإيمانكم» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه أبو داود (السنن، النكاح، باب في نكاح العبد بغير إذن سيده ح٢٠٧٨)، والترمذي (السنن، النكاح، باب في نكاح العبد بغير إذن سيده ح١١١١ - ١١١١)، وقال: حسن صحيح، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/١٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٨٨٧).

⁽٦) أخرجه ابن ماجه (السنن، النكاح، باب لا نكاح إلا بولي ح١٨٨٢)، وأخرجه الدارقطني بنحوه (السنن ٣/ ٢٢٧ ح٢٢)، وصححه ابن الملقن (خلاصة البدر المنير ٢/١٨٧ ح١٩٣٨)، والألباني (الإرواء ٦/ ٢٤٩).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٨) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند. (٩) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽١٠) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عنه.

وقـوك تـعـالـى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَنْحِشَةِ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْمَنَتِ مِنَ ٱلْمُكَابِّ﴾ الحَدَابِ الحَداءة في أحصن، فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبني لما لم يسم فاعله، وقرئ بفتح الهمزة والصاد فعل لازم(١١)، ثم قيل: معنى القراءتين واحد، واختلفوا فيه على قولين:

(أحدهما): أن المراد بالإحصان ههنا الإسلام، وروي ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس والأسود بن يزيد وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وإبراهيم النخعي والشعبي والسدي (٢)، وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب وهو منقطع، وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي في رواية الربيع، قال: وإنما قلنا ذلك، استدلالاً بالسنة، وإجماع أكثر أهل العلم. وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً مرفوعاً، قال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، حدثنا أبي، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن جابر، عن رجل، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله على: ﴿ وَاللَّم عَلَى المراد به هاهنا التزويج. قال: وقال على: اجلدوهن، ثم قال ابن أبي حاتم: وهو حديث منكر (٣). (قلت): وفي إسناده ضعف، وفيه من لم يسم، ومثله لا تقوم به حجة. وقال القاسم وسالم: إحصانها إسلامها وعفافها (٤).

وقيل: بل معنى القراءتين متباين. فمن قرأ: (أحصن) بضم الهمزة فمراده التزويج، ومن قرأ بفتحها فمراده الإسلام. اختاره أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره، والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان ههنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول على ﴿ وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحُ اللَّهُ عَصَنَتِ الْمُؤْمِنَةِ فَين مَا مَلَكَتُ أَيْمَنْكُم مِن فَنيَاتِكُمُ المُؤْمِنَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِذِنِ أَهْلِهِنَ وَءَانُوهُ وَ أَجُورُهُنَ بِالمَعْمُوفِ مُحصَنَتِ غَيْر مُسَافِحَةٍ وَلا مُنْخِذاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْن بِعَاجِشَةِ فَعَلَيْهِنَ نِصَفُ مَا عَلَى المُحْصَنَتِ مِن فَينَ مَسَافِحَةٍ وَلا مُنْخِذاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْن بِعَاجِشَةِ فَعَلَيْهِنَ نِصَفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَتِ مِن فَيَهِ مَا عَلَى الْمُحْصَنَتِ مِن فَي اللهُ مُنْخِذاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِعَاجِشَةٍ فَعَلَيْهِنَ نِصَفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَتِ مِن

⁽١) كلاهما قراءتان متواترتان. (٢) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وحكمه، وفيه أيضاً رجل مبهم.

⁽٤) أخرجه الطبري عن سفيان بن وكيع بسنده إليهما، وسفيان ضعيف.

⁽٥) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عنه، وبقية التابعين ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٦) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الإيضاح» وهو تصحيف.

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق عبد الله بن إدريس عن ليث به، ورجاله ثقات إلا ليث بن أبي سليم وقد توبع كما في الرواية التالية فسنده حسن.

⁽A) أُخُرجه الطبري وابن أبى حاتم بسند ثابت عنه.

⁽٩) ذكرهما ابن أبي حاتم بحذف السند.

الْمَذَابِ مَنَ المراد بقوله: ﴿ فَإِذَا أُخْصِنَ ﴾ الآية، فالسياق كله في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله: ﴿ فَإِذَا أُخْصِنَ ﴾ أي: تزوجن، كما فسره ابن عباس ومن تبعه، وعلى كل من القولين إشكال على مذهب الجمهور، وذلك أنهم يقولون: إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة، سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكراً، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غير المحصنة ممن زنى من الإماء. وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك.

(الجواب الأول): فأما الجمهور فقالوا: لا شك أن المنطوق مقدم على المفهوم.

وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الإماء، فقدمناها على مفهوم الآية. فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي على أنه خطب فقال: يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله في زنت، فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت إن جلدتها أن أقتلها، فذكرت ذلك لنبي الله في فقال: «أحسنت أتركها حتى تماثل»(۱)، وعند عبد الله بن أحمد عن غير أبيه: «فإذا تعالت من نفاسها (۱) فاجلدها خمسين»(۱)، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله في يقول: «إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها؛ فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثانية، فليجلدها الحد، ولا يثرب (۱) عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها؛ فليبعها ولو بحبل من شعر» أخرجاه (۵)، ولمسلم: «إذا زنت ثلاثاً فليبعها في الرابعة (۱)، وروى مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش، فجلدنا ولائد من ولائد الإمارة خمسين خمسين في الزنا (۱).

(الجواب الثاني): جواب من ذهب إلى أن الأمة إذا زنت ولم تحصن فلا حدّ عليها، وإنما تضرب تأديباً وهو المحكي عن ابن عباس على وإليه ذهب طاوس وسعيد بن جبير وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي الظاهري في رواية عنه وعمدتهم مفهوم الآية، وهو من مفاهيم الشرط، وهو حجة عند أكثرهم فقدم على العموم عندهم، وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد أن رسول الله على سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ قال: "إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير». قال ابن شهاب: لا أدري بعد الثالثة أو الرابعة وأخرجاه في الصحيحين (٨). وعند مسلم قال ابن شهاب: الضفير الحبل. قالوا: فلم يؤقت فيه عدد كما أقت في المحصنات من العذاب،

⁽١) صحيح مسلم، الحدود، باب تأخير الحد عن النفساء (ح١٧٠٥)، والذي بعده.

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح) وفي الأصل: «عن نفاسها». ومعنىٰ تعالت: أي: طهرت (النهاية ٣/٢٩٣).

⁽٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن علي (المسند ٢/ ٣٥٤ ح١١٤٢)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

⁽٤) أي لا يوبخ بعد الضرب (النهاية ١/ ٢٠٩).

⁽٥) صحيح البخاري، الحدود، باب لا يثرب على الأمة إذا زنت (ح٦٨٣٩)، وصحيح مسلم، الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنيل (ح١٧٠٣).

⁽٦) المصدر السابق بعد ١٧٠٣ بحديث.

⁽٧) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، الحدود، باب ما جاء في حد الزنا ٢/٨٢٧)، وسنده صحيح.

⁽A) تقدم تخریجه قبل حاشیتین.

فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك، _ والله أعلم _ وأصرح من ذلك ما رواه سعيد بن منصور، عن سفيان، عن مسعر، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أمة حد حتى تحصن _ أو حتى تزوج _ فإذا أحصنت بزوج فعليها نصف ما على المحصنات»(١) وقد رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمران العابدي، عن سفيان به مرفوعاً، وقال: رفعه خطأ إنما هو من قول ابن عباس. وكذا رواه البيهقي من حديث عبد الله بن عمران وقال مثل ما قاله ابن خزيمة. قالوا: وحديث علي وعمر قضايا أعيان، وحديث أبي هريرة عنه أجوبة:

(أحدها): أن ذلك محمول على الأمة المزوجة جمعاً بينه وبين هذا الحديث.

(الثاني): أن لفظة الحد في قوله: «فليجلدها الحد» مقحمة من بعض الرواة بدليل.

(الجواب الثالث): وهو أن هذا من حديث صحابيين وذلك من رواية أبي هريرة فقط، وما كان عن اثنين فهو أولى بالتقديم من رواية واحد، وأيضاً فقد رواه النسائي بإسناد على شرط مسلم من حديث عباد بن تميم، عن عمه ـ وكان قد شهد بدراً ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا زنت الأمة فاجلدوها، ثم إذا زنت فاجلدوها، ثم إذا زنت فبيعوها ولو بضفير» (٢).

(الرابع): أنه لا يبعد أن بعض الرواة أطلق [لفظة] (٣) الحد في الحديث على الجلد، لأنه لما كان الجلد اعتقد أنه حد، أو أنه أطلق لفظة الحد على التأديب، كما أطلق الحد على ضرب [من زنى من المرضى بعثكال نخل فيه مائة شمراخ، وعلى جلد] (٤) من زنى بأمة امرأته إذا أذنت له فيها مائة، وإنما ذلك تعزير وتأديب عند من يراه كأحمد وغيره من السلف. وإنما الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة. ورجم الثيب أو اللائط، والله أعلم.

وقد روى ابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقول: لا تضرب الأمة إذا زنت ما لم تتزوج (٥٠)، وهذا إسناد صحيح عنه، ومذهب غريب إن أراد أنها لا تضرب الأمة أصلاً لا حداً، وكأنه أخذ بمفهوم الآية ولم يبلغه الحديث، وإن أراد أنها لا تضرب حداً، ولا ينفي ضربها تأديباً فهو كقول ابن عباس في في ذلك، والله أعلم.

(الجواب الثالث): أن الآية دلّت على أن الأمة المحصنة تحد نصف حد الحرة، فأما قبل الإحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدها مائة، كقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِيةُ وَالزَّانِيةَ وَالزَّانِيةَ وَالزَّانِيةَ وَالزَّانِيةِ وَالنَّانِ وَكحديث عبادة بن الصامت: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجمها بالحجارة»(٢)، والحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الأحاديث. وهذا القول هو المشهور

⁽۱) أخرجه سعيد بن منصور بسنده ومتنه (السنن ح٦١٦)، والصحيح وقفه على ابن عباس، وأخرجه البيهقي من طريقه به وقال: رفعه خطأ والوقف أصح (السنن الكبرى ٢٤٣/٨)، وكذا قال ابن خزيمة كما سيأتي في روايته.

⁽٢) السنن الكبرى، الرجم، باب حد الزاني البكر (ح٧٢٣٨).

⁽٣) (حم) و(حم) و(حم) و(مح).(٤) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح كما قال الحافظ ابن كثير.

⁽٦) صحيح مسلم، الحدود، باب حد الزني (ح١٦٩٠).

عن داود بن علي الظاهري وهو في غاية الضعف، لأن الله تعالى إذا كان أمر بجلد المحصنة من الإماء بنصف ما على الحرة من العذاب، وهو خمسون جلدة، فكيف يكون حكمها قبل الإحصان أشد منه بعد الإحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال؟ وهذا الشارع على سأله أصحابه عن الأمة إذا زنت ولم تحصن، فقال: «اجلدوها»، ولم يقل: مائة، فلو كان حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم، لأنهم إنما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الإحصان في الإماء بعد نزول بيان حكم جلد الأمة وإلا فما الفائدة في قولهم: ولم تحصن لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية نزلت، لكن لما علموا حكم أحد الحكمين سألوا عن حكم الآخر فبينه لهم، كما في الصحيحين أنهم لما سألوه عن الصلاة عليه فذكرها لهم، ثم قال: «والسلام ما قد علمتم»، وفي لفظ: لما أنزل الله قوله: ﴿يَتَأَيُّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُواْ عَلَيْهِ وَسَلِمُواْ تَسَلِيعًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قالوا: هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟.. وذكر الحديث(١). وهكذا هذا السؤال.

(الجواب الرابع): عن مفهوم الآية جواب أبي ثور فإن مذهبه ما هو أغرب من قول داود من وجوه، وذلك أنه يقول: فإذا أحصن فإن عليهن نصف ما على المحصنات، أي: المزوجات وهو الرجم، وهو لا ينصف فيجب أن ترجم الأمة المحصنة إذا زنت، وأما قبل الإحصان فيجب جلدها خمسين، فأخطأ في فهم الآية وخالف الجمهور في الحكم، بل قد قال أبو عبد الله الشافعي لَخَلَلُّهُ: ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم على مملوك في الزنا، وذلك لأن الآية دلَّت على أن عليهن نصف ما على المحصنات من العذاب، والألف واللام في المحصنات للعهد، وهن المحصنات المذكورات في أول الآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوَّلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَتِ ٱلْمُؤْمِنَتِ ﴾ والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض لتزويج غيره، وقوله: ﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تنصيفه وهو الجلد لا الرجم، والله أعلم. وقد روى أحمد نصاً في رد مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعد عن أبيه: أن صفيّة كانت قد زنت برجل من الخمس، فولدت غلاماً، فادعاه الزاني، فاختصما إلى عثمان بن عفان فرفعهما إلى على بن أبي طالب، فقال على: أقضى فيهما بقضاء رسول الله على: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وجلدهما خمسين خمسين وقيل: بل المراد من المفهوم التنبيه بالأعلى على الأدنى؛ أي: إن الإماء على النصف من الحرائر في الحد وإن كن محصنات وليس عليهن رجم أصلاً لا قبل النكاح ولا بعده، وإنما عليهن الجلد في الحالتين بالسنة، قال ذلك صاحب الإفصاح (١٤)، وذكر هذا عن الشافعي فيما رواه ابن عبد الحكم عنه، وقد ذكره البيهقي في كتاب السنن والآثار(٥٠)، وهو بعيد من لفظ الآية، لأنا إنما استفدنا تنصيف الحد من الآية لا من سواها فكيف يفهم منها التنصيف

⁽١) صحيح مسلم، الصلاة، باب، الصلاة على النبي على بعد التشهد (ح٤٠٥).

⁽٢) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «هو».

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق الحجاج بن أرطأة عن الحسن بن سعد عن أبيه أن يُحنَّس وصفية كانا من سبي الخمس، فزنت صفية برجل... (المسند ٢/ ١٩١ ح ٨٢٠)، وضعفه محققوه.

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الإيضاح». وهو تصحيف.

⁽٥) معرفة السنن والآثار ٦/ ٣٦٥.

فيما عداها وقال: بل أريد بأنها في حال الإحصان لا يقيم الحد عليها إلا الإمام ولا يجوز لسيدها إقامة الحد عليها والحالة هذه وهو قول في مذهب أحمد كلله، فأما قبل الإحصان فله ذلك، والحد في كلا الموضعين نصف حد الحرة، وهذا أيضاً بعيد لأنه ليس في لفظ الآية ما يدل عليه، ولولا هذه لم ندر ما حكم الإماء في التنصيف، ولوجب دخولهن في عموم الآية في تكميل الحد مائة، أو رجمهن كما ثبت في الدليل عليه، وقد تقدم عن علي فيه أنه قال: أيها الناس أقيموا الحد على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن، وعموم الأحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين المزوجة وغيرها لحديث أبي هريرة الذي احتج به الجمهور: "إذا زنت أمة أحدكم، فتبين زناها، فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها"(١)، فتلخص في الأمة: أنها إذا زنت أقوال:

أحدها: تجلد خمسين قبل الإحصان وبعده. وهل تنفى؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إنها تنفى^(٢) عنه.

والثاني: لا تنفي عنه مطلقاً.

والثالث: أنها تنفى نصف سنة وهو نصف نفي الحرة، وهذا الخلاف في مذهب الشافعي، وأما أبو حنيفة فعنده أن النفي تعزير ليس من تمام الحد، وإنما هو رأي الإمام إن شاء فعله وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء، وعند مالك أن النفي إنما هو على الرجال وأما النساء فلا، لأن ذلك مضاد لصيانتهن وما ورد شيء من النفي في الرجال ولا النساء. نعم حديث عبادة وحديث أبي هريرة أن رسول الله على فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام وبإقامة الحد عليه (٣)، رواه البخاري وذلك مخصوص بالمعنى وهو أن المقصود من النفي الصون، وذلك مفقود في نفي النساء، والله أعلم.

والثاني: أن الأمة إذا زنت تجلد خمسين بعد الإحصان وتضرب تأديباً غير محدود بعدد محصور، وقد تقدم ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها لا تضرب قبل الإحصان، وإن أراد نفيه فيكون مذهباً بالتأويل وإلا فهو كالقول الثاني.

القول الآخر: أنها تجلد قبل الإحصان مائة، وبعده خمسين، كما هو المشهور عن داود.

وهو أضعف الأقوال: أنها تجلد قبل الإحصان خمسين، وترجم بعده، وهو قول أبي ثور وهو ضعيف أيضاً، والله على أعلم بالصواب^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ فَالِكَ لِمَنْ خَشِى ٱلْمَنَتَ مِنكُمْ أَي: إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وشق عليه الصبر عن الجماع، وعنت بسبب ذلك كله، فله حينئذ أن يتزوج بالأمة، وإن ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها إلا أن يكون الزوج عربيّاً، فلا تكون أولاده منها أرقاء في قول قديم للشافعي، ولهذا قال: ﴿ وَأَن تَصَبِرُواْ خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَنُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ومن هذه الآية الكريمة

⁽١) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية. (٢) في الأصل: «لا تنفى» ولفظ لا مقحم.

⁽٣) صحيح البخاري، الحدود، باب البكران يجلدان وينفيان (ح٦٨٣٣).

⁽٤) بعد هذا النص ورد في الأصل نص بورقه كاملة مقحم من سورة المائدة، وسيذكر هناك إن شاء الله تعالى.

استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء على أنه لا بدّ من عدم الطول لنكاح الحرائر ومن خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رق الأولاد، ولما فيهن من الزنا^(۱) في العدول عن الحرائر إليهن، وخالف الجمهور أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين، فقالوا: متى لم يكن الرجل مزوجاً بحرة، جاز له نكاح الأمة المؤمنة والكتابية أيضاً سواء كان واجداً الطول حرة أم لا، وسواء خاف العنت أم لا، وعمدتهم فيما ذهبوا إليه عموم قوله تعالى: ﴿وَالْمُعُمَّنَتُ مِنَ اللَّيْنَ وَهَلُهُ الْمُعْرَائِرُ وَالْإِمَاء، وهذه الآية عامة وهذه أيضاً ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور.

﴿ وَيِهُ اللّهُ لِيُمَيِّنَ لَكُمُ وَيُهِدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمُّ وَاللّهُ عَلِيمُ حَكِيمُ وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَشَبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ أَن يَبَيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿ يُرِيدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمًا ﴿ يُرِيدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمًا ﴿ يُرِيدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمًا اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما أحل لكم وحرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها، ﴿وَيَهْدِيَكُمُ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني: طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيَكُمُ أَي: من الإثم والمحارم، ﴿وَٱللّهُ عَلِيمُ حَرَيمُ أَي: في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِيكَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَتِ أَن يَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ أي: يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحَفِّفَ عَنكُمُ ﴾ أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم، ولهذا أباح الإماء بشروط، كما قال مجاهد وغيره ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه ﴿وَخُلِقَ ٱلإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي: في أمر النساء (٢). وقال وكيع: يذهب عقله عندهن. وقال موسى الكليم على لنبينا محمد عليه الإسراء] (٣) حين مر عليه راجعاً من عند سدرة المنتهى، فقال له: «ماذا فرض عليكم، فقال: أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، [فإني قد بلوت] (٤) الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فعجزوا، وإن أمتك أضعف أسماعاً وأبصاراً وقلوباً، فرجع، فوضع عشراً. ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمساً...» الحديث (٥).

⁽١) كذا في الأصل و(ح) و(حم)، وفي (مح) بلفظ: «الدناءة».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «فإنه قد تكون»، وهو تصحيف.

 ⁽٥) سيأتي تخريجه في الصحيحين عند بداية سورة الإسراء مفصلاً.

﴿ ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمَواكُمُ بَيْنَكُم بِٱلْبَطِلِّ إِلَّا أَن تَكُونَ يَجَدَرَةً عَنَ رَاضٍ مِنكُمْ وَلَا نَفْتُكُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ عُدُوانَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِيهِ نَازًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآبِرَ مَا ثُنْهَوْنَ عَنْهُ ثُكَفِّرٌ عَنكُمْ رَشَيْاتِكُمْ وَلَا يَلْمَا كُمْ وَلَا يَعْمَلُونَ عَنْهُ ثُكَفِّرٌ عَنكُمْ وَلَا يَعْمَلُونَ عَنْهُ ثُكَفِّرٌ عَنكُمْ وَلَا يَعْمُ مُذَخِلًا كَرِيمًا ﴿ ﴾.

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل؛ أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، وإن ظهرت في [غالب الحكم الشرعي](١) مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا، حتى قال ابن جرير: حدثني ابن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول: إن رضيته أخذته، وإلا رددته ورددت معه درهما، قال: هو الذي قال الله عن فيه: ﴿لا تَأْكُلُوا أَمُولَكُم بَيّنَكُم بِالْبَطِلِ ﴿١٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا ابن فضيل، عن داود الأودي، عن عامر، عن علقمة، عن عبد الله في الآية، قال: إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة (٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلاّ أَن تَكُونَ يَجِكرةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمّ وَى (تجارة) بالرفع وبالنصب (٢)، وهو استثناء منقطع، كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، ولكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَقْنُلُوا النّفسَ الّذِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وكقوله: ﴿لا يَمُونُ فَيْهَا الْمَوْتَ إِلّا النّفِلَ النّفيسَ الّذِي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالْمَوْنِ فِيهَا الْمَوْتَ إِلّا المَوْلِ اللهِ بالقول، لأنه يدل على التراضي نصاً بخلاف المعاطاة، فإنها قد لا تدل على الرضى ولا بدّ، وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأصحابهم، فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضي فكذلك الأفعال تدل في بعض المحال

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «غالب الشرع».

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق حماد عن داود بن أبي هند به، وسنده حسن.

 ⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه الطبراني وصححه السيوطي (الدر ١٤٣/٢)،
 وقال الهيثمي: رجاله ثقات (المجمع ٣/٧).

⁽٤) أخرجه ابن حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة به.

⁽٥) أخرجه ابن حاتم بسند ضعيف فيه محمد بن أبي حماد: مقبول ويشهد له سابقه.

⁽٦) كلاهما قراءتان متواترتان.

قطعاً، فصححوا بيع المعاطاة مطلقاً، ومنهم من قال: يصح في المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً وهو احتياط نظر من محققي المذهب، والله أعلم.

وقال مجاهد: ﴿إِلاّ أَن تَكُونَ بِحَكْرَةً عَن رَاضِ مِنكُمٌ بيعاً أو عطاء يعطيه أحد أحداً، ورواه ابن جرير (۱)، ثم قال: وحدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن القاسم، عن سليمان الجعفي، عن أبيه، عن ميمون بن مهران، قال: قال رسول الله ﷺ: «البيع عن تراض والخيار بعد الصفقة، ولا يحل لمسلم أن يغش مسلماً (۲). هذا حديث مرسل. ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا (۱)، وفي لفظ البخاري: «إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا»، وذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف، ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه حال البيع ولو إلى سنة في القرية ونحوها، كما هو المشهور عن مالك ﷺ، وصححوا بيع المعاطاة مطلقاً وهو قول في مذهب الشافعي، ومنهم من قال: يصح بيع المعاطاة في المحقرات فيما يعده الناس بيعاً، وهو اختيار طائفة من متأخري الأصحاب. والله أعلم. كما هو متفق عليه.

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع وإرسال ميمون بن مهران.

⁽٣) صحيح البخاري، البيوع، باب كم يجوز الخيار (ح٢١٠٧)، وصحيح مسلم، البيوع، باب ثبوت خيار المجلس للمتبايعين (ح١٥٣١).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠٣/٤، ٢٠٤)، وفي سنده ابن لهيعة وقد توبع في رواية أبي داود فأخرجه من طريق ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب به (السنن، الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم؟ ح٣٣٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٢٤)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٧٧/١).

⁽٥) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (ح) و(حم) و(مح).

عنه. . . فذكر نحوه، وهذا(١) ـ والله أعلم ـ أشبه بالصواب. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي، حدثنا محمد بن صالح بن سهل البلخي، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا يوسف بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فدعاه فسألِه عن ذلك، فقال: يا رسول الله، خفت أن يقتلني البرد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا الكريمة من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه، فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» وهذا الحديث ثابت في الصحيحين (٣)، وكذلك رواه أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي عليه بنحوه، وعن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك ظلية، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة»(٤)، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة. وفي الصحيحين من حديث الحسن، عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله على: «كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده، فما رقأ الدم حتى مات»، قال الله كلت: «عبدي بأدرني بنفسه، حرمت عليه الجنة»(٥). ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ عُدُوَانًا وَظُلَّمًا﴾ أي: ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه معتدياً فيه ظالماً في تعاطيه؛ أي: عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصِّلِيهِ نَارًّا. . ﴾ الآية، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد. وقوله تعالى: ﴿إِن تَحْتَنِبُوا كَبَآبِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّر عَنكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُم مُدَّخَلًا كَرِيمًا ١٠٠٠ أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها، كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة، ولهذا قال: ﴿وَنُدْخِلُكُم مُّدْخَلًا كُرِيمًا﴾ وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا مؤمل بن هشام، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا الجلد بن أيوب، عن معاوية بن قرة، عن أنس رفعه قال: لم نر مثل الذي بلغنا عن ربنا كل، ثم لم نخرج له عَن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما دون الكبائر، يقول الله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآبِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدَخَلًا كَرِيمًا ﴿ اللَّهِ ﴿ ٢ وَقَدْ وَرَدْتَ أَحَادِيثُ مَتَعَلَقَةً بِهِذَهِ الآية

(٤) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس (ح١٣٦٣).

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) في سنده يوسف بن خالد بن عمير: متروك (التقريب ص ٦١٠)، وتقدم تخريجه وتصحيحه في الحديث السابق من طرق أخرى.

⁽٣) صحيح البخاري، الطب، باب شرب السم والدواء (ح٥٧٧٨)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان (ح١٠٩).

⁽٥) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس (ح١٣٦٤)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١٨٠.

⁽٦) أخرجه البزار بسنده ومتنه كما في مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن حجر (٧٨/٢ ح١٤٥٦)، ثم قال: =

الكريمة، فلنذكر منها ما تيسر، قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن قُرْثع الضبي، عن سلمان الفارسي، قال: قال لي النبي على: «أتدري ما يوم الجمعة؟» قلت: هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم، قال: «لكن أدري ما يوم الجمعة، لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره، ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كانت كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت [الكبائر](۱)()()()، وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه ().

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني المثنى بن إبراهيم، حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجمر، أخبرني صهيب مولى العُتُواري، أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان: خطبنا رسول الله على يوماً، فقال: «والذي نفسي بيده» ثلاث مرات، ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري ماذا حلف عليه، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشر، فكان أحب إلينا من حمر النعم، فقال: «ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام»، وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به، ورواه الحاكم أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال به ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (1).

تفسير هذه السبع

وذلك بما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة، أن رسول الله على قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٥).

(طريق أخرى عنه) قال ابن أبي حاتم: [حدثنا أبي] (٢٠)، حدثنا فهد بن عوف، حدثنا أبو عوانة، عن عمرو بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله على قال: «الكبائر سبع: أولها الإشراك بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر،

⁼ الجلد: ضعيف، وكذا ضعفه الهيثمي (كشف الأستار ح٢٢٠٠)، وقد توبع فأخرجه الطبري من طريق زياد بن مخراق، عن معاوية بن قرة به، وسنده صحيح.

⁽١) كذا في الأصل و(مح)، وفي (ح) و(حم): «المقتلة».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٤٣٩)، وحسنه المنذري (الترغيب ١/ ٤٨٧)، والهيثمي (مجمع الزوائد ٢/ ١٧٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٢٧٧).

⁽٣) صحيح البخاري، الجمعة، باب الدهن للجمعة (ح٨٨٣).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه أحمد شاكر (ح٩١٨٥)، وأخرجه النسائي، الزكاة، باب وجوب الزكاة ٥/٨، وابن حبان (الإحسان ٥/١٧٤٨)، والحاكم (المستدرك ٢٠٠/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

⁽٥) صحيح البخاري، الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَكَىٰ ...﴾ [النساء: ١٠] (ح٢٧٦٦)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (ح١٤٥).

⁽٦) ما بين معقوفين سقط من الأصل، واستدرك من تفسير ابن أبي حاتم ونسخة (ح) و(حم) و(مح).

والفرار من الزحف، ورمي المحصنات، والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة»(١)، فالنص على هذه السبع بأنهن كبائر، لا ينفي ما عداهن إلا عند من يقول بمفهوم اللقب، وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم، كما سنورده من الأحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع، فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال: حدثنا أحمد بن كامل القاضي إملاء، حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد، حدثنا معاذ بن هانئ، حدثنا حرب بن شداد، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان، عن عبيد بن عمير، عن أبيه _ يعني إن أولياء الله المصلون من يقم الصلوات الخمس التي كتبت عليه، ويصوم رمضان ويحتسب صومه، يرى أنه عليه حق، ويعطى زكاة ماله يحتسبها ويجتنب الكبائر التي نهي الله عنها»، ثم إن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ فقال: «[تسع](٢): الشرك بالله، وقتل نفس مؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً، ثم قال: لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي علي في دار أبوابها مصاريع من ذهب»، هكذا رواه الحاكم مطولاً^(٣)، وقد أخرجه أبو داود والترمذي مختصراً من حديث معاذ بن هانئ به. وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً (٤)، ثم قال الحاكم: رجاله كلهم يحتج بهم في الصحيحين إلا عبد الحميد بن سنان. (قلت): وهو [حجازي](٥) لا يعرف إلا بهذا الحديث، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقال البخاري: في حديثه نظر، وقد رواه ابن جرير عن سليمان بن ثابت الجحدري، عن سلم بن سلام، عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبيد بن عمير، عن أبيه. . . فذكره، ولم يذكر في الإسناد عبد الحميد بن سنان^(٦)، والله أعلم.

(حديث آخر في معنى ما تقدم) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن الوليد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن ابن عمرو، قال: صعد النبي على المنبر، فقال: «لا أقسم، لا أقسم»، ثم نزل فقال: «أبشروا أبشروا، من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر السبع، نودي من

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وفي سنده فهد بن عوف كذب (ميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٥)، والكبائر كلها تقدمت في الصحيحين إلا السابقة وهي: الانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة.

⁽٢) كذا في المستدرك ونسخه (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «السبع». وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه وتعقبه بأن عبد الحميد بن سنان مجهول (المستدرك ٥٩/١)، وفي التقريب (ص٣٣٣)، مقبول، ويشهد لمعظمه حديث ابن عمر التالي، ولهذا حسن هذا الحديث المنذري (الترغيب ٥٣/١)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون (المجمع ٥٣/١).

⁽٤) أخرجه أبو داود (السنن، الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم (ح٧٥٧)، والنسائي (السنن، تحريم الدم، باب ذكر الكبائر ٨٩/٧)، ولم يخرجه الترمذي، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً كلهم من طريق عبد الحميد بن سنان به. ويشهد لمعظمه حديث ابن عمر في تفسير الطبري كما سيأتي بعد الحديث الآتي.

⁽٥) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «بخاري». وهو تصحيف.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسقط منه: عبد الحميد بن سنان، ويشهد له ما بعد الحديث الآتي.

أبواب الجنة: ادخل». قال عبد العزيز: لا أعلمه. إلا قال: «بسلام». وقال المطلب: سمعت من سأل عبد الله بن عمرو، أسمعت رسول الله على يذكرهن؟ قال: نعم «عقوق الوالدين، وإشراك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا»(١).

(حديث آخر في معناه) قال أبو جعفر بن جرير في التفسير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا زياد بن مخراق، عن [طيسلة بن مياس] (٢) قال: كنت مع النجدات (٢) فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، قال: أرها إلا من الكبائر، فلقيت ابن عمر، فقلت له: إني أصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، قال: ما هي؟ قلت: أصبت كذا وكذا قال: ليس من الكبائر. قلت: وأصبت كذا وكذا. قال: ليس من الكبائر. قال _ بشي لم يسمه طيسلة _ قال: هي تسع وسأعدهن عليك «الإشراك بالله، وقتل النفس بغير حقها، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلماً، وإلحاد في المسجد الحرام، والذي يستسحر، وبكاء الوالدين من العقوق». قال زياد: وقال طيسلة: لما رأى ابن عمر فرقي قال: أتخاف النار أن تدخلها؟ قلت: نعم. قال: وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: نعم. قال: أحي والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله لئن أنت ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات (١٤)(٥).

(طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا سليمان بن ثابت الجحدري الواسطي، حدثنا سلم بن سلام، حدثنا أيوب بن عتبة، عن طيسلة بن علي النهدي، قال: أتيت ابن عمر وهو في ظل أراك يوم عرفة وهو يصب الماء على رأسه ووجهه، قلت: أخبرني عن الكبائر؟ قال: هي [تسع]⁽⁷⁾ قلت: ما هي؟ قال: «الإشراك بالله، وقذف المحصنة» قال: قلت: قبل القتل؟ قال: «نعم ورغماً، وقتل النفس المؤمنة، والفرار من الزحف، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمين، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً» (٧) هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفاً. وقد رواه علي بن الجعد عن أيوب بن عتبة، عن طيسلة بن علي، قال: أتيت ابن عمر عشية عرفة، وهو تحت ظل أراكة، وهو يصب الماء على رأسه فسألته عن الكبائر؟ فقال: سمعت رسول الله علي يقول: «هن سبع» قال: قلت: وما هن؟ قال: «الإشراك بالله، وقذف المحصنة» قال: قلت: قبل الدم؟ قال: «نعم، ورغماً، وقتل النفس المؤمنة، والفرار من الزحف، والسحر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم الزحف، والسحر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم

⁽۱) ذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه مسلم بن الوليد بن العباس، ولم أر من ذكره (المجمع الممار). وقال نحوه المنذري في (الترغيب ٣٠٣/١).

⁽٢) كذا في تفسير الطبري ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «طيلة بن حساس». وهو تصحيف.

⁽٣) النجدات: فرقة من الخوارج من أصحاب نجدة بن عامر الخارجي.

⁽٤) قوله: «الموجبات» كذا في تفسير الطبري ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «الموبقات».

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه البخاري من طريق ابن علية به (الأدب المفرد ح٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٦)، وحسنه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٦٢.

⁽٦) كذا في تفسير الطبري ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «سبع»، وهو تصحيف.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه البخاري في التاريخ الكبير ٤/٣٦٧، وقال الحافظ ابن حجر: مداره على أيوب بن عتبة وهو: ضعيف (التلخيص الحبير ١٠٨/٢)، ولمعظمه شواهد تقدمت.

أحياءً وأمواتاً»(١). وهكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب، عن أيوب بن عتبة اليماني وفيه ضعف، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا بقية، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان أن أبا رُهم السمعي حدثهم عن أبي أيوب، قال: قال رسول الله على: «من عبد الله لا يشرك به شيئاً، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، واجتنب الكبائر فله الجنة _ أو دخل الجنة _» فسأله رجل ما الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، وقتل نفس مسلمة، والفرار يوم الزحف» ورواه أحمد أيضاً، والنسائي من غير وجه عن بقية (٢).

(حديث آخر) روى ابن مردويه في تفسيره من طريق سليمان بن داود اليماني ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري، عن الحافظ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، قال: كتب رسول الله على إلى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات، وبعث به مع عمرو بن حزم قال: وكان في الكتاب: «إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: إشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا وأكل مال اليتيم»(٣).

(حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور): قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، حدثني عُبيد الله بن أبي بكر، قال: سمعت أنس بن مالك: قال: ذكر رسول الله على الكبائر، أو سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قال: قول «الزور ـ أو شهادة الزور _» قال شعبة: أكبر ظني أنه قال: شهادة الزور أخرجاه من حديث شعبة به (٥). وقد رواه ابن مردويه [من طريقين آخرين غريبين عن أنس بنحوه] (٢).

(حديث آخر فيه ذكر قتل الولد) وهو ثابت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله؛ أي الذنب أعظم؟ وفي رواية: أكبر، قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت:

⁽١) أخرجه على بن الجعد (الجعديات ح٣٤٢٦)، وفيه أيضاً أيوب بن عتبة، ولمعظمه شواهد تقدمت.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٤١٤، ٤١٤)، وأخرجه النسائي من طريق بقية به (السنن، تحريم الدم، باب ذكر الكبائر ٨٨/٧)، وصححه الألباني في صحيحه سنن النسائي (ح٣٧٤٣)، وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول ٢٢٦/١٠.

⁽٣) في سنده سليمان بن داود اليماني: ضعيف، ولمعظمه شواهد تقدمت.

⁽٤) أُخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٣١)، وهو متفق عليه.

⁽٥) أخرجه البخاري في صحيحه، الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (ح٢٦٥٣)، ومسلم في صحيحه، الإيمان، باب بيان الكبائر (ح٨٨).

⁽٦) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل من طريق أخرى عن سفيان عن أنس بنحوه.

⁽٧) صحيح البخاري، الباب السابق (ح٢٦٥٤)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٨٧).

ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة (١) جارك» ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَاهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ (٢) [الفرقان: ٧٠].

(حديث آخر فيه ذكر شرب الخمر) قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثني أبو صخر أن رجلاً حدثه عن عمارة بن حزم أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو بالحجر بمكة، وسأله رجل عن الخمر فقال: والله إن عظيماً عند الله الشيخ مثلي يكذب في هذا المقام على رسول الله على، فذهب فسأله، ثم رجع فقال: سألته عن الخمر، فقال: «هي أكبر الكبائر، وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته»(٣) غريب من هذا الوجه.

(طريق أخرى) رواها الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن داود بن صالح، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه أن أبا بكر الصديق الله وعمر بن الخطاب وأناساً من أصحاب رسول الله على _ رضي الله عنهم أجمعين _، جلسوا بعد وفاة رسول الله الخذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم ما ينتهون إليه، فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، فوثبوا الله عن أله عن أنوه في داره، فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله الله أن ملكاً من بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب خمراً، أو يقتل نفساً، أو يُزاني، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتله، فاختار شرب الخمر، وإنه لما شربها لم يمتنع من شيء أراده منه، وإن رسول الله الله قال لنا مجيباً: «ما من أحد يشرب خمراً إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت أحد وفي مثانته (٥) منها شيء إلا حرم الله عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية» (١٦). هذا عديث غريب من هذا الوجه جداً، وداود بن صالح هذا هو [التمار] (٧) المدني مولى الأنصار، علي أمام أحمد: لا أرى به بأساً. وذكره ابن حبان في الثقات ولم أر أحداً [جرحه] (١٠).

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو وفيه ذكر اليمين الغموس. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي على أنه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، أو قتل النفس ـ شعبة الشاك ـ واليمين

⁽١) كذا في الصحيحين ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «تزني بحليله جارك».

⁽٢) متفق عليه، تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢٢.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام شيخ ابن صخر.

⁽٤) أي نهضوا وقاموا مسرعين (النهاية: وث ب).

⁽٥) أي العضو الذي يجتمع فيه البول أسفل البطن (النهاية: م ث ن).

⁽٦) أخرجه الحاكم من طريق الدراوردي به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٤٧/٤)، وقال المنذري: رواه الطبراني بإسناد صحيح (الترغيب ٢٥٨/٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٥/٧٠). وأخشى أن يكون متنه من الزاملتين اللتين اشتهر بهما عبد الله بن عمرو بن العاص

⁽٧) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «اليماني»، وهو تصحيف.

⁽A) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «أخرجه»، وهو تصحيف.

الغموس»(۱) ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة، وزاد البخاري وشيبان كلاهما عن فراس به (۲).

(حديث آخر في اليمين الغموس) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثنا الليث، حدثنا الليث بن سعد، حدثنا هشام بن سعد، عن محمد بن زيد بن مهاجر بن [قنفذ] التيمي، عن أبي أمامة الأنصاري، عن عبد الله بن أنيس الجهني، عن رسول الله على قال: «أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة إلا كانت وكتة في قلبه إلى يوم القيامة (عمد والمؤدب عن رواه أحمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره، كلاهما عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث بن سعد به، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به، وقال: حسن غريب (٥٠)، وأبو أمامة الأنصاري هذا هو ابن ثعلبة ولا يعرف اسمه، وقد روى عن النبي على أحاديث. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وقد رواه عبد الرحمن بن إسحاق المدني عن محمد بن زيد، عن الحافظ أبو الحجاج المزي: وقد رواه عبد الله بن أنيس، فزاد عبد الله بن أبي أمامة، عن أبيه، عن عبد الله بن أنيس، فزاد عبد الله بن أبي أمامة. (قلت): هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن إسحاق كما ذكره شيخنا كلك (١٠).

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/٢٠١)، وسنده صحيح.

 ⁽۲) صحيح البخاري، الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس (ح٦٦٧٥)، وسنن الترمذي، تفسير سورة النساء
 (ح٣٠٢١)، وسنن النسائي كتاب تحريم الدم، باب ذكر الكبائر ٧/ ٨٩.

⁽٣) كذا في تفسير ابن أبي حاتم ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «سعد». وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن كما سيأتي.

⁽٥) المسند ٣/ ٤٩٥، وسنن الترمذي، باب ومن سورة النساء (ح٣٠٢٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه (المستدرك ٢٩٦/٤)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١٠/١).

⁽٦) كذا في الأصل وفي (ح) و(حم) و(مح): «فسح الله في أجله».

⁽٧) زياد من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٩) صحيح البخاري، الأدب، باب لا يسب الرجل والديه (ح٩٧٣).

عن سعد بن إبراهيم به مرفوعاً بنحوه (۱)، وقال الترمذي: صحيح (۲)، وثبت في الصحيحين (۳) أن رسول الله على قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (۱).

(حديث آخر في ذلك) قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دُحيم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا زهير بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، وأن رسول الله على قال] (من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض الرجل المسلم، والسبّتان والسبّة) (٦). هكذا روي هذا الحديث، وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر، عن عمرو بن أبي سلمة، عن زهير بن محمد، عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي على قال: «من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة (٥) وكذا رواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء، عن العلاء، عن البيه، عن أبيه هريرة، عن النبي على النبي العلاء، عن العلاء، عن العلاء،

(حديث آخر فيه ذكر الجمع بين الصلاتين من غير عذر) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه، عن [حنش] (١)، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي على قال: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر» (٩)، وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة يحيى بن خلف، عن المعتمر بن سليمان به، ثم قال: حنش هو أبو علي الرحبي، وهو حسين بن قيس، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه أحمد وغيره (١٠).

وروى ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة _ يعني العدوي _، قال: قُرئ علينا كتاب عمر بن الخطاب عليه: من الكبائر جمع بين الصلاتين _ يعني بغير عذر _ والفرار من الزحف، والنهبة (١١). وهذا إسناد صحيح. والغرض أنه إذا كان الوعيد فيمن جمع بين الصلاتين كالظهر

⁽١) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (ح١٤٦).

⁽٢) سنن الترمذي، البر والصلة، باب ما جاء في عقوق الوالدين (ح١٩٠٢).

⁽٣) كذا في الأصل و(حم)، وفي (مح): «الصحيح».

⁽٤) صحيح البخاري، الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (ح٤٨).

⁽٥) زيادة من (ح) و(حم) و(مح).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وفي سنده عمرو بن أبي سلمة صدوق، وروايته عن زهير بن محمد ضعيفه، ولكنه توبع في رواية ابن التالية، فسنده حسن.

⁽٧) أخرجه أبو داود برواية الحسن بن العبد وبرواية ابن داسة كلاهما عن أبي داود، قال المزي: هذا الحديث في رواية الحسن بن العبد وابن داسة ولم يذكره أبو القاسم (تحفة الإشراف ٣٢٨/١) لذا لم أجده برواية اللؤلؤي عنه وهي السنن المشهورة بين أيدينا.

⁽A) كذا في تفسير ابن أبي حاتم ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «حسن» وهو تصحيف.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده حنش: ضعيف، والأصح وقفه كما سيأتي موقوفاً على عمد ظليم.

⁽١٠) السنن، الصلاة، باب ما جاء في الجمع بين الصلاتين في الحضر (ح١٨٨).

⁽١١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وصححه الحافظ ابن كثير.

والعصر، تقديماً أو تأخيراً، وكذا المغرب والعشاء هما من شأنه أن يجمع بسبب من الأسباب الشرعية، فإذا تعاطاه أحد بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكباً كبيرة، فما ظنك بترك الصلاة بالكلية، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله على أنه قال: «بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة»(۱). وفي السنن مرفوعاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(۲)، وقال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»(۳)، وقال: «من قدل صلاة العصر فقد حبط عمله»(۳)، وقال: «من قاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»(٤).

(حديث آخر) فيه اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، حدثنا أبي، حدثنا شبيب بن بشر^(٥)، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله على كان متكئاً، فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وهذا أكبر الكبائر»^(٢)، وقد رواه البزار عن عبد الله بن إسحاق العطار، عن أبي عاصم النبيل، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله على إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك. قال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا مطرف، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن أبي الطفيل قال: قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحاق عن وبرة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود به (١٨)، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود به من مكر الله، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود به من مكر الله، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود به من مكر الله، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود به من مكر الله، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود وهو صحيح إليه بلا شك.

(حديث آخر) فيه سوء الظن بالله. قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم بن بندار، حدثنا أبو حاتم بكر بن عبدان، حدثنا محمد بن عمر بن مهاجر، حدثنا أبو حذيفة إسحاق البخاري، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر أنه قال: أكبر الكبائر سوء الظن بالله ﷺ (٩). حديث غريب جداً.

⁽١) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (ح١٣٤).

⁽٢) سنن الترمذي، الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة (ح٢٦٢١)، وسنن النسائي، الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة ا/ ٢٣١، وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة (ح١٠٧٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢٢٦/١).

⁽٣) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر (ح٥٥٣).

⁽٤) صحيح مسلم، المساجد، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (ح٦٢٦).

⁽٥) في الأصل: «بسر» والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم ونسخة (ح) و(حم) و(مح).

 ⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده شبيب بن بشر: صدوق يخطئ كما في التقريب، ولعله هو
 الذي رفع الحديث والأصح وقفه.

⁽٧) كشف الأستار (ح١٠٦).

⁽A) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ومن طرق أخرى وجزم الحافظ ابن كثير بصحته.

⁽٩) في سنده إسحاق بن بشر قال ابن عدي: أحاديثه كُلها غير محفوظة ومنكرة إما إسناداً أو متناً، لا يتابعه أحد عليها (الكامل ١/ ٣٣١).

(حديث آخر) فيه [التعرب] (١) بعد الهجرة (٢) قد تقدم في رواية عمرو بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبيه الموعاً (٣).

قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا [عمرو بن خالد] (٤) الحراني، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن سهل بن أبي حثمة، عن أبيه، قال: سمعت النبي على يقول: «الكبائر سبع، ألا تسألوني عنهن؟ الشرك بالله، وقتل النفس والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، والتعرب بعد الهجرة (٥)، وفي إسناده نظر، ورفعه غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير: حدثنا تميم بن المنتصر، حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن سهل بن أبي حَثْمة، عن أبيه، قال: إني لفي هذا المسجد، مسجد الكوفة، وعلي في يخطب الناس على المنبر يقول: يا أبها الناس، الكبائر سبع فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت الرجل حتى إذا وقع سهمه في [الفيء] (٢) ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان (٧).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا أبو معاوية _ يعني شيبان _، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن سلمة بن قيس الأشجعي، قال: قال رسول الله على في حجة الوداع: «ألا إنما هن أربع أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا» قال: فما أنا بأشح عليهن مني إذ سمعتهن من رسول الله على أحمد أيضاً والنسائي وابن مردويه من حديث منصور بإسناده مثله.

(حديث آخر) تقدم من رواية عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي على أنه قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر»(٩) والصحيح ما رواه غيره عن

⁽١) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «القربة» وهو تصحيف.

⁽٢) الصواب التعرب بعد الهجرة. قال ابن الأثير: هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الإعراب بعد أن كان مهاجراً، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد (النهاية ٣/٢٠٢).

⁽٣) تقدم عند هذه الآية وتبين أنه ضعيف الإسناد.

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «خالد بن عمرو» وهو مقلوب.

⁽٥) ضعفه الحافظ ابن كثير، والصحيح وقفه كما سيأتي.

⁽٦) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «نبي» وهو تصحيف.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه الحافظ أبن كثير، وكذا الحافظ ابن حجر (الفتح ١٨٢/١٢).

⁽A) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٣٩)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٣٥١)، أخرجه النسائي السنن الكبرى (التفسير ح١١٣٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (المجمع ١٠٩/١).

⁽٩) تقدم في تفسير آخر آية ١٢ من هذه السورة الكريمة.

داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال ابن أبي حاتم: وهو الصحيح عن ابن عباس من قوله.

(حديث آخر في ذلك) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا أعباد بن عباد] (١) عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، أن أناساً من أصحاب النبي على ذكروا الكبائر وهو متكئ، فقالوا: الشرك بالله، وأكل مال اليتيم، وفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين، وقول الزور، والغلول، والسحر، وأكل الربا، فقال رسول الله على: «فأين تجعلون ﴿ الَّذِينَ يَثَمَّدُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَنِهُمْ ثَمَناً قَلِيلاً . . . ﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية (٢)؟ في إسناده ضعف، وهو حسن.

(ذكر أقوال السلف في ذلك):

قد تقدم ما روي عن أميري المؤمنين عمر وعلي في ضمن الأحاديث المذكورة، وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن الحسن، أن أناساً سألوا عبد الله بن عمرو بمصر، فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله في أمر أن يعمل بها لا يعمل بها، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك، فقدم وقدموا معه، فلقيه عمر فيه فقال: متى قدمت؟ فأل: منذ كذا وكذا. قال: أبإذن قدمت؟ قال: فلا أدري كيف ردّ عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، إن ناساً لقوني بمصر فقالوا: إنا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها، فأحبوا أن يلقوك في ذلك. قال: فاجمعهم لي. قال: فجمعتهم له. قال ابن عون: أظنه قال: في بهو، فأخذ أدناهم رجلاً فقال: أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك، أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم. قال: وفها أحصيته في نفسك؟ فقال: اللهم لا. قال: ولو قال: نعم، لخصمه! "ك. قال: فهل أحصيته في بصرك؟ فهل أحصيته في أمرك؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم قال: فتكلت عمر أمه، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله، قد علم ربنا أنه ستكون لنا سيئات، فكلت عمر أمه، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله، قد علم ربنا أنه ستكون لنا سيئات، قال: [وتلا](*) فإن تَجَيَبُوا حَبَايَر مَا نُبُهُونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِعَادِكُم وَنُلْخِكُم مُدَّفَلا كُويكا علم أهل المدينة؟ أو قال: هل علم أحد فيما قدمتم؟ قالوا: لا. قال: لو علموا لوعظت بكم (*). إسناد حسن ومتن حسن وإن كان من رواية الحسن عن عمر، وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر، فتكفي شهرته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو أحمد _ يعني الزبيري _، حدثنا علي بن صالح، عن عثمان بن المغيرة، عن مالك بن [جوين] (٢)، عن علي شهد. قال: الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد

⁽١) كذا في تفسير الطبري ونسخة (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «حماد بن عباد» وهو تصحيف.

 ⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده جعفر بن الزبير تكلم فيه، وهذا سبب الضعف الذي ذكره الحافظ
 ابن كثير، أما قوله: وهو حسن، فإن ذلك بالشواهد يرتقي إلى الحسن.

⁽٣) (٤) ما بين معقوفين سقط في الأصل، واستدرك من الطبري و(ح) و(حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه الحسن لم يسمع من عمر.

⁽٦) كذا في تفسير ابن أبي حاتم و(ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «جرير» وهو تصحيف.

الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة(١).

وتقدم عن ابن مسعود أنه قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله على.

وروى ابن جرير من حديث الأعمش عن أبي الضحى، عن مسروق والأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، كلاهما عن ابن مسعود، قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها (٢)، ومن حديث سفيان الثوري [وشعبة] عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها، ثم تلا ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآبِر مَا فُنْهُونَ عَنْهُ نُكَفِّرٌ عَنكُمُ سَرَيِّ عَاتِكُمُ وَلُدُخِلُكُم مُدْخَلًا كَرِيمًا الله ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآبِر مَا فَلَهُ عَنكُمُ سَرَيِّ عَاتِكُمُ وَلُدُخِلُكُم مُدْخَلًا كَرِيمًا الله ﴿إِن اللهُ ال

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، ومنع فضول الماء بعد الري، ومنع طروق الفحل إلا بجعل (٥)(٦).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً: «من منع فضل الماء وفضل الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة»(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسين بن محمد بن شنبة الواسطي، حدثنا أبو أحمد، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة، قالت: ما أخذ على النساء من

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، ورجاله ثقات إلا مالك بن جوين سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٨/٢٠٧).

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه البزار من طريق الأعمش به وصححه الحافظ ابن حجر (مختصر زوائد مسند البزار ٧/٧ ح١٤٥٧)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٧/٧)، وأخرجه الحاكم من طريق الأعمش به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٥٩/١).

⁽٣) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «سعيد» وهو تصحيف.

⁽٤) سنده صحيح

⁽٥) أي منع إعارة الفحل يقال: اطرقني فحلك: أي أعرني فحلك ليضرب في إبلي (ينظر: لسان العرب ١٠/ ٢١٦).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف صالح بن حيان (التقريب ٣٥٨/١)، ولبعضه شواهد صحيحة تقدمت.

⁽٧) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة ﴿ مُنْهُ ، صحيح البخاري ، الحرث والمساقاة ، باب من قال: إن صاحب الماء أحق بالماء (ح٢٣٥٣) ، وصحيح مسلم ، المساقاة ، باب تحريم بيع فضل الماء (ح١٥٦٦).

⁽٨) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رها السبيل من المساقاة، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء ح٣٠٥)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (ح١٧٣).

⁽٩) أخرجه الإمام أحمد من طريق ليث بن أبي سليم عن عمرو بن شعيب به (المسند ١٧٩/٢) وله شواهد تقدمت في الصحيحين وحسنه الألباني في (السلسلة الصحيحة ٣/١٤٢٢).

الكبائر، قال ابن أبي حاتم: يعني قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفَنَ وَلَا يَرْنِينَ وَلَا يَقْلُنُ أَوْلِكُمُ وَلَا يَشْرِفُنَ وَلَا يَرْنِينَ وَلَا يَقْلُنُ أَوْلَكُمُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْمَتَنِ يَفْتَرِينَكُم بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] (١٠).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا زياد بن مخراق، عن معاوية بن قرة، قال: أتينا أنس بن مالك فكان فيما حدثنا قال: لم أر مثل الذي بلغنا عن ربنا تعالى لم نخرج له عن كل أهل ومال، ثم سكت هُنيهة ثم قال: والله لما كلفنا ربنا أهون من ذلك لقد تجاوز لنا عما دون الكبائر فما لنا ولها، وتلا ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآبِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرً عَنكُمُ سَكِيَاتِكُمُ وَنُدْخِلُكُم مُدَّخَلًا كَرِيمًا ﷺ.

أقوال ابن عباس في ذلك:

روى ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن طاوس، قال: ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا: هي سبع، فقال: هي أكثر من سبع وسبع^(٣)، قال سليمان: فما أدري كم قالها من مرة؟

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن ليث، عن طاوس، قال: قلت لابن عباس: ما السبع الكبائر؟ قال: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع (٤). ورواه ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير، عن ليث، عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهن الله ما هُنَّ؟ قال: هُنَّ إلى السبعين أدنى منهن إلى سبع (٥).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قيل لابن عباس: الكبائر سبع؟ قال: هن إلى السبعين أقرب^(٦)، وكذا قال أبو العالية الرياحي كَثَلَثُهُ.

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبير: أن رجلاً قال لابن عباس: كم الكبائر سبع؟ قال: هن إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار (٧). وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به (٨).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِن تَجْتَيْنِبُواْ كَبَآهِرَ مَا ثُنَّهُوْنَ عَنَّهُ ۗ قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، رواه ابن جرير (٩).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن. (٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه الطبري عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر به، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده ليث وهو ابن أبي سليم تكلم فيه وقد توبع فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ومصنفه (١٠/١٠ رقم ١٩٧٠٢)، عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به. وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وليث هو ابن أبي سليم وكلاهما توبع.

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه في التفسير والمصنف (١٠/ ٤٦٠ رقم ١٩٧٠٢) وسنده صحيح.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الكبائر كل ما وعد الله عليه النار كبيرة (۱)، وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري، وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، أخبرنا أيوب، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن ابن عباس كان يقول: كل ما نهى الله عنه كبيرة، وقد ذكرت الطرفة، قال: هي النظرة (۲)، وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن حازم، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا عبد الله بن معدان، عن أبي الوليد، قال: سألت ابن عباس عن الكبائر، فقال: كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة (۳).

(أقوال التابعين)

قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد، قال: سألت عَبيدة عن الكبائر فقال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم بغير حقه، وأكل الربا، والبهتان. قال: ويقولون: أعرابية بعد هجرة. قال ابن عون: فقلت لمحمد: فالسحر؟ قال: إن البهتان يجمع شراً كثيراً (٤).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، عن عبيد بن عمير، قال: الكبائر سبع، ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله، الإشراك بالله منهن ﴿وَمَن يُشَرِك بِاللّهِ فَكَأَنّما خَر مِن السّمَاء فَتَخَطَفُهُ الطّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرّبِحُ . . . ﴾ الآية [الحج: ٣]، و إنّ الّذِين يَأْكُون أَمُولَ الْيَتَنكي ظُلْمًا إِنّما يَأْكُون في بُطُونِهِم نَازًا ﴾ الآية [النساء: ١٠]، و الدّين يَأْكُون الرّبؤا لا يَعُومُون إلّا كمّا يَعُومُ الذّي يَتَخَبَّطُهُ الشّيطانُ مِن المَسِّ ﴾ [النساء: ٢٠]، و الله الشّيطانُ مِن المَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] و إنّ الدّين يَرمُون المُحْصَنَتِ الْعَنهِلَتِ المُؤْمِنَتِ ﴾ [النور: ٣٣]، والفرار من الزحف في اللهجرة اللهجرة الدّين ءَامَنُوا إذا لَقِيتُهُ اللّذِين عَامَنُوا إذا لَقِيتُهُ اللّذِين كَعُرُوا زَحْفا . . . ﴾ الآية [الأنفال: ١٥]، والتعرب بعد الهجرة في الدّين اللهمُ اللهدين اللهمُ اللهدين المُعْمَان في حديث أبي إسحاق عن عبيد بن عمير بنحوه (٥).

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء _ يعني ابن أبي رباح _، قال: الكبائر سبع: قتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، ورمي المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف (٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن مغيرة،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه ابن سيرين لم يسمع من ابن عباس.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقد توبع عبد الله بن معدان و«أبو الوليد» في رواية ابن أبي حاتم السابقة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح إلى عَبيدة ومحمد هو ابن سيرين.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وكذا ابن أبي حاتم، وسنده حسن إلى عبيد.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن إلى عطاء.

قال: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر رفيها من الكبائر (١).

قلت: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سبَّ الصحابة، وهو رواية عن مالك بن أنس كَلْلَهُ (٢). وقال محمد بن سيرين: ما أظن أحداً ينتقص أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله ﷺ، رواه الترمذي (٣).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن عياش⁽³⁾ قال زيد بن أسلم في قول الله ﷺ: ﴿إِن تَجُتَنِبُواْ كَبَابِرَ مَا نُنْهُوْنَ عَنْهُ مَن الكبائر: الشرك بالله، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعى لله ولداً أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال والقول الذي لا يصلح معه عمل. وأما كل ذنب يصلح معه دين، ويقبل معه عمل، فإن الله يغفر السيئات بالحسنات (٥). وقال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد، حدثنا فإن الله يغفر السيئات بالحسنات (٥). وقال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد، حدثنا الله عن قتادة ﴿إِن تَجَتَنِبُواْ كَبَابِرَ مَا نُهُونَ عَنْهُ . . . ﴾ الآية: إنما وعد الله المغفرة لمن اجتنب الكبائر وذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا الكبائر، وسددوا، وأبشروا» (٢).

وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس، وعن جابر مرفوعاً: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف، إلا ما رواه عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله على: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فإنه إسناد صحيح على شرط الشيخين. وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفرداً به من هذا الوجه عن عباس العنبري، عن عبد الرزاق، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح (٧)، وفي الصحيح شاهد لمعناه وهو قوله على بعد ذكر الشفاعة: «أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين [المتلوثين] (٨)»(٩).

وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة، فمن قائل: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة، وقيل غير ذلك. قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه: ثم اختلف الصحابة في من بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر، وللأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه:

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح إلى مغيرة.

⁽٢) وقد سرد الذهبي أحاديث كثيرة في ذلك (الكبائر ص٢٦٠ ـ ٢٦٤).

⁽٣) سنن الترمذي، المناقب، بأب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (ح٣٦٨٥).

⁽٤) في الأصل: «عبد الله بن عباس» وهو نسبة إلى الجد.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عبد الله بن عياش بن عباس القتباني: صدوق يغلط. (التقريب ١/ ٤٣٩).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، والسند إلى قتادة حسن لكنه مرسل.

⁽٧) سنن الترمذي، صفة القيامة (ح٢٤٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٩٨٣).

⁽A) كذا في (ح) و(حمّ) و(مح)، وفي الأصل: «المذنبين».

⁽٩) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري (السنن، الزهد، باب ذكر الشفاعة ح٤٣١١)، وصحح إسناده البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/ ٣٢٠)، وجود إسناده المنذري (الترغيب ٤٤٨/٤)، وقال الهيثمي: ورواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح (المجمع ١٠/ ٣٨١)، وقد رواه الإمام أحمد في المسند (ح٥٤٥) وصححه أحمد شاكر.

(أحدها): أنها المعصية الموجبة للحد.

(والثاني): أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة، وهذا أكثر ما يوجد لهم، وهو إلى الأول أميل، لكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر.

(والثالث): قال إمام الحرمين في الإرشاد وغيره: كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة، فهي مبطلة للعدالة.

(والرابع): ذكر القاضي أبو سعيد الهروي أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حداً من قتل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين، هذا ما ذكروه على سبيل الضبط، ثم قال: وفصل القاضي الروياني فقال: الكبائر سبع: قتل النفس بغير الحق، والزنا، واللواطة، وشرب الخمر، والسرقة، وأخذ المال غصباً، والقذف، وزاد في الشامل على السبع المذكورة: شهادة الزور، وأضاف إليها صاحب العدة: أكل الربا والإفطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر، وضرب المسلم بلا حق، والكذب على رسول الله عليه عمداً، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة بلا عذر، وأخذ الرشوة، والقيادة بين الرجال والنساء، والسعاية عند السلطان، ومنع الزكاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ويقال: الوقيعة في أهل العلم، وحملة القرآن، ومما يعد من الكبائر: الظهار، وأكل لحم الخنزير والميتة إلا عن ضرورة، ثم قال الرافعي كَثَلَتُهُ: وللتوقف مجال في بعض هذه الخصال. قلت: وقد صنف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي (١) الذي بلغ نحواً من سبعين كبيرة، وإذا قيل: إن الكبيرة ما توعد عليها الشارع بالنار بخصوصها، كما قال ابن عباس (٢) وغيره: وما تُتُبّع ذلك، اجتمع منه شيء كثير، وإذا قيل: كل ما نهى الله عنه فكثير جداً، والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللهُ اللهُ عَلَى بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ (٣). ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن

⁽١) كتابه الكبائر طبع عدة طبعات. (٢) تقدم برواية ابن أبي حاتم.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٣٢٢)، وأخرجه الترمذي (السنن، تفسير سورة النساء ح٣٠٢)، والطبري وابن أبي حاتم والحاكم كلهم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٠٥ _ ٣٠٦)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، والألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٣٠٤)، وقد تكلم في سماع مجاهد من أم سلمة وقد عاصرها فترة طويلة في أربعين سنة.

مجاهد، عن أُم سلمة أنها قالت: قلت: يا رسول الله... فذكره، وقال: غريب. ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أن أُم سلمة قالت: يا رسول الله... ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قالت أُم سلمة: يا رسول الله، لا نقاتل فنستشهد، ولا نقطع الميراث، فنزلت ﴿وَلَا تَنَمَنَّوا مَا فَضَلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٌ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَا الصَّسَبُوا وَلِلنِسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَا المُسَانِ اللهُ اللهُ عَمَل عَمِل مِن فَرَد أَو أَنْنَى اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ا

ثم قال ابن أبي حاتم: وكذا روى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح بهذا اللفظ، وروى يحيى القطان ووكيع بن الجراح عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله... وروي عن مقاتل بن حيان وخصيف نحو ذلك (٢).

وروى ابن جرير من حديث ابن جريج، عن عكرمة ومجاهد أنهما قالا: أنزلت في أُم سلمة (٣). وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة، قال: نزلت هذه الآية في قول النساء: ليتنا الرجال، فنجاهد كما يجاهدون، ونغزو في سبيل الله ﷺ (٤).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، حدثني أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، حدثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر _ يعني ابن أبي المغيرة _، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَا تَنْمَنَّوّا مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضُ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكُنْ سَبُوا وَلِلنِسَاءِ نَصِيبُ مِّمَا الله، للذكر الحَّنسَبُوا وَلِلنِسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَا الله، للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا؟ إن عملت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَلَا تَنْمَنَّوا ﴾، فإنه عدل منى وأنا صنعته (٥٠).

وقال السدي في قوله: ﴿ وَلَا تَنَمَنَوْا مَا فَضَلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٌ لِلرِّجَالِ نَصِيبُ مِمّا اَصَّنَسَبُوا وَلِلنِسَآءِ نَصِيبُ مِمّا اللّه فإن الرجال قالوا: نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء، كما لنا في السهام سهمان، وقالت النساء: نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء، فإنا لا نستطيع أن نقاتل، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، فأبى الله ذلك ولكن قال لهم: سلوني من فضلي (١)، قال: ليس بعرض الدنيا، وقد روي عن قتادة نحو ذلك.

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ وَلَا تَنَمَنُّواْ مَا فَضَلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضَ لَلْمَ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضَ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَا ٱكۡلَسَبُنْ ۚ يقول: لا يتمنى الرجل فيقول: ليت لو أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله (٧). وقال الحسن لو أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله (٧).

⁽١) تقدم تخريجه عنهم في الحاشية السابقة. (٢) ذكره ابن أبي حاتم.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسبق تصحيحه.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بسنده ومتنه، وفي سنده شيخ معمر مبهم، ويتقوىٰ بما سبق.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده جعفر بن أبي المغيرة صدوق يهم كما في التقريب، وخالف رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد السابقة.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه لكنه مرسل.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عنه.

ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك، نحو هذا(١) وهو الظاهر من الآية ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق فيقول رجل: لو أن لى مثل ما لفلان لعملت مثله فهما في الأجر سواء»(٢)، فإن هذا شيء غير ما نهت عنه الآية، وذلك أن الحديث حضّ على تمنى مثل نعمة هذا، والآية نهت عن تمنى عين نعمة هذا، فقال: ﴿ وَلَا تَنْمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ أي: في الأمور الدنيوية، وكذا الدينية أيضاً، لحديث أم سلمة وابن عباس. وهكذا قال عطاء بن أبي رباح: نزلت في النهي عن تمني ما لفلان، وفي تمني النساء أن يكن رجالاً فيغزون، رواه ابن جرير(٣)، ثم قَال: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْنَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ ثِمَّا ٱكْلَسَبَنَّ﴾ أي: كل له جزاء على عمله بحسبه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، هذا قول ابن جرير، وقيل: المراد بذلك في الميراث، أي كل يرث بحسبه، رواه الوالبي عن ابن عباس(٤)، ثم أرشدهم إلى ما يصلحهم، فقال: ﴿ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِن فَضَالِةً ﴾ لا تتمنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض، فإن هذا أمر محتوم، والتمني لا يجدي شيئاً، ولكن سلوني من فضلي أعطكم، فإني كريم وهاب، وقد روى الترمذي وابن مردويه من حديث حماد بن واقد، سمعت إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله عليه: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل، وإن أفضل العبادة انتظار الفرج» ثم قال الترمذي: كذا رواه حماد بن واقد، وليس بالحافظ، ورواه أبو نعيم عن إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن رجل، عن النبي ﷺ، وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح (٥)، وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع، عن إسرائيل، ثم رواه من حديث قيس بن الربيع، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله على: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل، وإن أحب عباده إليه الذي يحب الفرج» (٢٠).

ثم قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَاكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها، وبمن يستحق الفقره، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها، وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطى الخير وأسبابه، لهذا قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَاكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

⁽۱) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول ابن سيرين أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب السختياني عنه.

⁽٢) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود. الصحيح البخاري، الزكاة، باب إنفاق المال في حقه (ح١٤٠٩)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ح٨١٦).

⁽٣) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو سنيد ضعيف.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالبي به بنحوه.

⁽٥) أخرجه الترمذي بسنده ومنه وتعليقه (السنن، الدعوات، باب في انتظار الفرج ح٧١٥)، وسنده ضعيف بسبب حماد بن واقد وهو ضعيف (التقريب ص١٧٩)، وضعف سنده الألباني في السلسلة الضعيفة (ح٢٩٢).

⁽٦) في سنده حكيم بن جبير وهو ضعيف (التقريب ص١٧٦).

﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَذَرُونُ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتَ أَيْمَنُكُمْ فَعَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿ ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقتادة وزيد بن أسلم والسدي والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم، في قوله: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِيَ﴾ أي: ورثة (١)، وعن ابن عباس في رواية: أي عصبة (٢)، قال ابن جرير: والعرب تسمي ابن العم مولى، كما قال الفضل بن عباس:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تُظهرنً لنا ما كان مدفونا(١٣)

قال: ويعني بقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرُبُوتُ﴾، من تركة والديه وأقربيه من الميراث، فتأويل الكلام: ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتَ أَيْمَنُكُمُّ فَعَاثُوهُمٌ نَصِيبَهُمٌ ﴾ أي: والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم، فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا، ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة.

قال البخاري: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِي﴾ قال: ورثة، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتَ أَيْمَنُكُمْ ﴾ [كان] (١٤) المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخي النبي عَلَيْ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِي﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتَ أَيْمَنُكُمْ فَعَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ من النصر [والرفادة] والنصيحة وقد ذهب الميراث ويُوصَى له، ثم قال البخاري: سمع أبو أسامة إدريس، وسمع إدريس عن طلحة (١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إدريس الأودي، أخبرني طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتُ أَنْكُ كُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾، قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى رسول الله عليه بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَلِدَانِ وَالْأَقْرَابُ فَ نَصِيبَهُمْ ﴾، وحدثنا ثرك الولدانِ وَالْأَقْرَابُ فَ نَصِيبَهُمْ ﴾ (٧)، وحدثنا

⁽۱) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند إلا قول ابن عباس أسنده، وقد أخرجه هو والبخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (صحيح البخاري، التفسير، سورة النساء، باب ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِيَ﴾ [النساء: ٣٣] ح-٤٥٨).

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق على بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

⁽٣) ذكره الطبري وأبو عبيدة (مجاز القرآن ١٢٥/١).

⁽٤) كذا في (ح) و(حم) و(مح)، وفي الأصل: «كانوا».

⁽٥) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «والزيادة».

⁽٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (الصحيح، التفسير، سورة النساء باب ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُوتُ﴾ [النساء: ٣٣] ح٤٥٨٠).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريح، وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتُ أَيْمَنُكُمُ فَعَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ فَكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل ويقول: ترثني وأرثك، وكان الأحياء يتحالفون، فقال رسول الله ﷺ: «كل حلف كان في الجاهلية أو عقد أدركه الإسلام فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا عقد ولا حلف في الإسلام فنسختها هذه الآية ﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْعَادِ بَعَضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضِ فِي كِنْكِ ٱللَّهِ الْاحزاب: ٦] (١). ثم قال: وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن وابن المسيب وأبي صالح وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة والسدي والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان، أنهم قالوا: هم الحلفاء (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شريك، [عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس _ وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شريك، [عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس _ ورفعه _ قال: «ما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا حدة شدة» $(T)^{(3)(3)}$.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله على: وحدثنا أبو كريب، حدثنا مصعب بن المقدام، عن إسرائيل بن يونس، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، عن عكرمة، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله على: «لا حلف في الإسلام، وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة، وما يسرني أن لي حمر النعم وأني نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة»، هذا لفظ ابن جرير (٥). وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله على قال: «شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومتي، فما أحب أن لي حمر النعم، وإني أنكثه» قال الزهري: قال رسول الله على: «لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة» قال: «ولا حلف في الإسلام»، وقد ألف النبي على بين قريش والأنصار (٦). وهكذا رواه الإمام أحمد عن بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري بتمامه (٧).

لفظ ابن جرير: وحدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرني مغيرة، عن أبيه، عن شعبة بن التوأم، عن قيس بن عاصم: أنه سأل النبي على عن الحلف، قال: فقال: «ما كان من

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عثمان بن عطاء وهو ضعيف وقد تابعه ابن جريج لكن أباه عطاء لم يسمع من ابن عباس وهو صدوق اختلط، ويشهد له حديث جبير بن مطعم مرفوعاً: «لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة» (صحيح مسلم، الفضائل، باب مؤاخاة النبي على ح٣٠٠).

 ⁽۲) ذكرهم جميعاً ابن أبي حاتم بحذف السند وأغلبهم أخرج رواياتهم الطبري وعبد الرزاق بأسانيد ثابتة وبعضها ضعيفة تتقوى بالثابتة.

⁽٣) ما بين معقوفين زيادة من المسند، فقد أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٢٩).

⁽٤) في سنده سماك وفي روايته عن عكرمة اضطراب، ويشهد له الحديث الصحيح السابق عن جبير بن مطعم.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وسنده صحيح أخرجه مسلم من حديث مطعم بن جبير (الصحيح، فضائل الصحابة ح٠٢٥٣).

⁽۷) المسند (ح١٦٥٥).

حلف في الجاهلية فتمسكوا به، ولا حلف في الإسلام»(١) وهكذا رواه أحمد عن هشيم^(٢)، وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن داود بن أبي عبد الله، عن ابن جدعان، عن جدته، عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»(٢٦). وحدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة». وحدثنا أبو كريب، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لما دخل رسول الله ﷺ بمكة عام الفتح، قام خطيباً في الناس فقال: «يا أيها الناس ما كان من حلف الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام»(٤)، ثم رواه من حديث حسين المعلم وعبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب به. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا ابن نمير وأبو أسامة، عن زكريا، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله على: «لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»(٥). وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد ـ وهو أبو بكر بن أبي شيبة ـ بإسناده مثله، ورواه أبو داود عن عثمان بن محمد بن أبي شيبة، عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة، ثلاثتهم عن زكريا _ وهو ابن أبي زائدة _ بإسناده مثله، ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به. ورواه النسائي من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق، عن زكريا، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه به (٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن أبيه، عن شعبة بن التوأم، عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي على عن الحلف فقال: «ما كان حلف في الجاهلية فتمسكوا به، وقال ولا حلف في الإسلام» (٧) وكذا رواه شعبة عن مغيرة _ وهو ابن مقسم _ عن أبيه به. وقال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين، قال: كنت أقرأ على أم سعد بنت سعد بن الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر، فقرأت عليها ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَت أَيْمَنِكُمُ وقالت: إنما نزلت في أبي بكر وابنه أيْمَانُكُم وقالت: إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبي أن يسلم، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم حين حمل على الإسلام بالسيف، أمر الله أن يؤتيه نصيبه، رواه ابن أبي حاتم (٩)، وهذا قول غريب، والصحيح الأول، وأن هذا كان في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك، وإن كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود، والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك، وتقدم في

(٥)(٦) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة. (٧) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وجود سنده الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٢٢٦٢).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره (المسند ٢١٩/٣٤ ح٢٠٦١٣) أي أنه يتقوى بالشواهد والمتابعات.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له ما سبق وما لحق.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه عنعنة محمد بن إسحاق، وقد توبع في الرواية التالية في تفسير الطبري.

⁽٨) قراءة متواترة (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤٩).

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عنعنة محمد بن إسحاق وكذا أخرجه أبو داود من طريق ابن إسحاق ولم يصرح بالتحديث (السنن، الفرائض، باب نسخ العقد بميراث الرحم ح٢٩٢٣).

حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»، وهذا نص في الرد على من ذهب إلى التوارث بالحلف اليوم، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ورواية عن أحمد بن حنبل، والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِي مِمّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَالشافعي وأحمد في المشهور عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَلِي مِمّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَالشافعي وأحمد في المشهور عنه، ولهذا قال تعالى: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله على أصحاب الفروض الذين ذكرهم الله في آياتي الفرائض، فما بقي بعد ذلك فأعطوه للعصبة. وقوله: ﴿وَٱلّذِينَ عَقَدَتُ أَيّمَننُكُم الله في آياتي الفرائض، فأيما على فاتوهم نصيبهم؛ أي: من الميراث، فأيما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له، وقد قيل: إن هذه فأتوهم نصيبهم؛ أي: من الميراث، فأيما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له، وقد قيل: إن هذه حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إدريس الأودي، أخبرني طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فَنَاتُوهُمُ نَصِيبُهُم الله وقد ذهب الميراث (٢). ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن أبي أسامة (٣)، ولذا روي عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك (١).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ قَالَ: كَانَ الرجل يَعْفَهُمْ أَوْلَكَ بِبَعْضِ فِي عَاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر، فأنز الله تعالى ﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْفُهُمْ أَوْلَكَ بِبَعْضِ فِي كَانَ اللهِ مِنَ ٱللَّهُونِينَ وَٱللَّهُ يَحِينَ إِلّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى آولِيكَ إِلَى آولِيكَ إِلَا أَن يَقعُونُ إِلا أَن يَقعُونُ اللهِ مِن اللهُ وَلِيائهِم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت، وذلك هو المعروف (٥) وهكذا نص غير واحد من السلف أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَولَكَ بِبَعْضِ فِي كَتَبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ وَٱلمُهَا عِرِينَ إِلّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى آولِيكَ إِلَيكُمْ مَعْرُواً ﴾.

وقال سعيد بن جبير: ﴿فَاتُوهُم نَصِيبَهُم ﴾ أي: من الميراث، قال: وعاقد أبو بكر مولى فورثه، رواه ابن جرير (٢). وقال الزهري، عن ابن المسيب: نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالاً غير أبنائهم ويورثونهم، فأنزل الله فيهم، فجعل لهم نصيباً في الوصية، ورد الميراث إلى الموالي في ذي الرحم والعصبة، وأبى الله أن يكون للمدعين ميراث ممن ادعاهم وتبناهم، ولكن جعل لهم نصيباً من الوصية، رواه ابن جرير (٧)، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله:

⁽۱) صحيح البخاري، الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه (ح٦٧٣٢)، وصحيح مسلم، الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها (ح١٦١٥).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ولفظه؛ وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ولفظه؛ وسنده صحيح.

⁽٤) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق منصور بن المعتمر عنه، وقول أبي مالك أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق حصين عنه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ثابت عن ابن أبي طلحة به.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر جعفر بن إياس عنه، لكن سعيد بن جبير لم يدرك أبا بكر رهم التحصيل ص١٨٢).

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق الزهري به وسنده مرسل.

﴿فَنَاتُوهُم ﴾ أي: من النصرة والنصيحة والمعونة، لا أن المراد ﴿فَنَاتُوهُم نَصِيبَهُم ﴾ من الميراث حتى تكون الآية منسوخة، ولا أن ذلك كان حكماً ثم نسخ بل إنما دلت الآية على الوفاء بالحلف المعقود على النصرة والنصيحة فقط، فهي [محكمة]() لا منسوخة، وهذا الذي قاله: فيه نظر، فإن من الحلف ما كان على المناصرة والمعاونة، ومنه ما كان على الإرث كما حكاه غير واحد من السلف، وكما قال ابن عباس: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه حتى نسخ ذلك، فكيف يقول: إن هذه الآية محكمة غير منسوخة (٢) والله أعلم.

﴿ وَالرَجَالُ قَوَّمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَكَلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنَ أَمَوَالِهِمُّ فَالْهَسَلِخَتُ قَننِنَتُ حَفِظَكَ ٱللَّهُ وَالَّنِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُنَ فَعِظُوهُ وَ وَالْهَجُرُوهُنَّ فِى الْمَصَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا نَبْعُواْ عَلَيْهِنَ سَكِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾.

يقول تعالى: ﴿الرِّبَالُ قَوَّمُونَ عَلَى السِّكَاءِ ﴾ أي: الرجل قيم على المرأة؛ أي: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، ﴿يمَا فَضَكُلُ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك المملك الأعظم لقوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» (٣) رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، وكذا منصب القضاء وغير ذلك، ﴿وَيِمَا أَنفَقُوا مِن أَموَلِهِمُ ﴾ أي: من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيماً عليها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِرَجَالِ عَلِيمٌ وَاللهُ عَنِينٌ حَرَيمُ اللهُ عَلِيمٌ حَرَيمُ وَاللهُ عَنِينً حَرَيمُ وَالبَعْ اللهِ عَلَيمًا اللهُ عَلِيمًا الله عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيماً عليها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِرَجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَبَهُ وَاللهُ عَنِينً حَرَيمُ اللهِ عَلَيهُ وَالبَعْ اللهُ عَلِيمُ اللهِ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ وَاللهُ عَلَيهُ وَاللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْكُ مَلَكُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْكُ دَرَبَهُ وَاللهُ عَلَيهُ وَاللهُ عَلِيهُ عَلَيهُ إِلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَنْ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُونُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ ﴾ يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله(٤)، وكذا قال مقاتل والسدى والضحاك(٥).

وقال الحسن البصري: جاءت امرأة إلى النبي على تشكو أن زوجها [لطمها آئى)، فقال رسول الله على: «القصاص»، فأنزل الله على: ﴿الرِّبَالُ قَوَّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَكَلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾، فرجعت بغير قصاص، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عنه (٧)، وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي، أورد ذلك كله ابن جرير، وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال: حدثنا أحمد بن علي النسائي، حدثنا محمد بن هجمد بن هجمد بن محمد، عن أبيه آه، إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه آه، السماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، قال:

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «محله» وهو تصحيف.

⁽٢) أجاب الأستاذ أحمد شاكر عن هذا الاعتراض على الطبري في تفسير الطبري ٨/ ٢٨٩.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه (المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ح٤٤٢٥).

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به.

⁽٥) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٦) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «لظلمها» وهو تصحيف.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح عن الحسن لكنه مرسل.

⁽٨) ما بين معقوفين سقط في الأصل، واستدرك من (حم) و(مح).

عن على، قال: أتى رسول الله على رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري وإنه ضربها فأثر في وجهها، فقال رسول الله على: «ليس ذلك له» فأنزل الله تعالى: ﴿الرِّبَالُ قَوَّامُوكَ عَلَى ٱللِّسَكَآءِ بِمَا فَعَنَكُ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ أي: قوامون على النساء في الأدب، فقال رسول الله على: «أردت أمراً وأراد الله غيره»(١).

وقال الشعبي في هذه الآية ﴿الرِّجَالُ قَوَّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَكُ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَلِهِمْ ﴾ قال: الصداق الذي أعطاها، ألا ترى أنه لو قذفها لا عنها، ولو قذفته جلدت (٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَالْهَمُلِكُ فَ أَي: من النساء ﴿ قَنِنَكُ ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني: مطيعات لأزواجهن (٢) ﴿ كَافِظُكُ تُ لِلْغَيْبِ ﴾ وقال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله (٤).

وقوله: ﴿ وَمَا حَفِظُ ٱللّهُ اللّهِ أَي: المحفوظ من حفظه الله. قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثنا أبو معشر، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك قال: ثم قرأ رسول الله على هذه الآية ﴿ ٱلرّبَالُ فَوَّامُوك عَلَى النّبِسَاءِ . . ﴾ إلى آخرها، ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن حبيب، عن أبي داود الطيالسي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن سعيد المقبري به، مثله سواء (٥٠). وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عُبيد الله بن أبي جعفر: أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله على: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قبل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت (٢٠) تفرد به أحمد من طريق عبد الله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُ ﴾ أي: والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله عليها: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من

⁽۱) في سنده محمد بن محمد الأشعث وضع نسخة رواها عن موسى بن إسماعيل بن جعفر عن أبيه عن جده (لسان الميزان ٣٦٢/٥).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عَبيدة السلماني عنه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه بنحوه.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم كل بسنده المذكور، وسندهما صحيحان، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ١٦١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٨٣٨).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١٦٦١) وضعفه أحمد شاكر، وفي سنده عنعنة ابن لهيعة وهو من مدلسي الطبقة الخامسة الذين لا يقبل حديثهم إلا إذا صرحوا بالسماع.

عظم حقه عليها ١١٠٠٠.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي قال: قال رسول الله على: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح»، ورواه مسلم، ولفظه: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٢)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُرَ وَلَهُ فَا فَوْلَهُ مَهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُرَ وَلَهُ فَا لَمُضَاجِعٍ ﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الهجر هو أن لا يجامعها، ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره (٢)، وكذا قال غير واحد. وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية: ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها (٤).

وقال علي بن أبي طلحة أيضاً، عن ابن عباس: يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يذر نكاحها، وذلك عليها شديد^(٥). وقال مجاهد والشعبي وإبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة: الهجر هو أن لا يضاجعها^(٢).

وقد قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي حُرة الرقاشي، عن عمه أن النبي على قال: «فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع» قال حماد: يعني: النكاح (٧).

وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»(^).

وقوله: ﴿ وَأَضْرِبُوهُنَ ﴾ أي: إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «واتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (٩)، وكذا

⁽۱) أخرجه أبو داود من حديث قيس بن سعد (السنن، النكاح، باب في حق الزوج على المرأة ح٠٢١٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٨٧٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/١٨٧).

 ⁽۲) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء (ح٣٢٣٧)، وصحيح مسلم، النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها (ح١٤٣٦).

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنده ثابت عنه.

⁽٤) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عنه. (٦) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽۷) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، النكاح، باب في ضرب النساء ح٥٤١٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٨٧٨).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤٧/٤، وأبو داود، السنن، النكاح، باب في حق المرأة على زوجها (ح) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٦/٣، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٠٠، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ١٨٠٥)، ويشهد له حديث جابر في نهي رسول الله على عن ضرب الوجه صحيح مسلم، اللباس، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه (ح٢١١٦).

⁽٩) صحيح مسلم، الحج، باب حجة النبي ﷺ (ح١٢١٨).

قال ابن عباس وغير واحد: ضرباً غير مبرح، قال الحسن البصري: يعني غير مؤثر (١). وقال الفقهاء: هو أن لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر فيها شيئاً، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح، ولا تكسر لها عظماً، فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك منها الفدية (٢).

وقال سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب (٣) قال: قال النبي على: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر شلى إلى رسول الله على فقال: «ذئر (٤) النساء على أزواجهن، فرخص رسول الله على في ضربهن»، فأطاف بآل رسول الله على نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله على: «لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن بخياركم» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه (٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود _ يعني: أبا داود الطيالسي _، حدثنا أبو عوانة، عن داود الأودي، عن عبد الرحمن المُسلي، عن الأشعث بن قيس، قال: ضفت عمر شهه، فتناول امرأته فضربها، وقال: يا أشعث، احفظ عني ثلاثاً حفظتهن عن رسول الله على: «لا تسأل الرجل فيم ضرب امرأته، ولا تنم إلا على وتر، ونسي الثالثة»(٢)، وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن أبي عوانة، عن داود الأودي به(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَطَعْنَكُمْ فَلَا نَبَغُوا عَلَيْهِنَّ سَكِيلًا ﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغي عليهن.

﴾ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَأَ إِن بُرِيدُآ إِصْلَكَا يُوفِقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَأُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۞﴾.

ذكر الحال الأول وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة. ثم ذكر الحال الثاني [وهو إذا كان النفور من الزوجين، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواً اللهِ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَعَكَمًا مِنْ الزوجين، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما يمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما، بعث الحاكم ثقة من

١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق حُميد عنه.

⁽٤) كذا في (حم)، وفي الأصل و(مح): «دير».

⁽٥) سنن أبي داود، النكاح، باب في ضرب النساء (ح٢١٤٦)، والسنن الكبرى (ح٩١٦٧)، وسنن ابن ماجه، النكاح، باب ضرب النساء (ح١٩٨٥)، وصححه الحافظ ابن حجر (الإصابة ١/١٤٥)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٨٧٩).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٢٧٥ ح١٢٢) وضعفه محققوه بسبب جهالة عبد الرحمن المُسلي.

⁽۷) مسند الطيالسي (ح٤٧)، وسنن أبي داود، النكاح، باب في ضرب النساء (ح٢١٤٧)، وسنن النسائي الكبرى (ح٩١٦٨)، وسنن ابن ماجه، النكاح، باب في ضرب النساء (ح١٩٨٦) وحكمه كسابقه.

⁽A) ما بين المعقوفين سقط من الأصل، واستدرك من (حم) و(مح).

أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدُا إِصَّلَاحًا يُوفِقِ اللَّهُ ال

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أمر الله على أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل، ورجلاً مثله من أهل المرأة، فينظران أيهما المسيء، فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة، قصروها على زوجها ومنعوها النفقة، فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا، فأمرهما جائز، فإن رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره الآخر، ثم مات أحدهما، فإن الذي رضي يرث الذي لم يرض ولا يرث الكاره الراضي، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(۱).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عباس، قال: بعثت أنا ومعاوية حكمين، قال معمر: بلغني أن عثمان بعثهما وقال لهما: إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرقا ففرقا^(۲). وقال: أنبأنا ابن جريج، حدثني ابن أبي مليكة أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت: تصير إلي وأنفق عليك، فكان إذا دخل عليها قالت: أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال: على يسارك في النار إذا دخلت، فشدت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك، فضحك، فأرسل ابن عباس ومعاوية، فقال ابن عباس: لأفرقن بينهما، فقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف، فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا^(۳).

وقال عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: شهدت علياً وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فئام من الناس، فأخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء حكماً، فقال علي للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، فقالت المرأة: [رضيت بكتاب](3) الله لي وعلي، وقال الزوج: أما الفرقة فلا، فقال علي: كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله كل وعليك، رواه ابن أبي حاتم($^{(0)}$)، ورواه ابن جرير، عن يعقوب، عن ابن علية، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، عن علي مثله($^{(7)}$)، ورواه من وجه آخر عن ابن [سيرين]($^{(8)}$)، عن عبيدة، عن علي به، وهذا مذهب جمهور العلماء على أن الحكمين إليهما الجمع والتفرقة حتى قال إبراهيم النخعي: إن شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عنه.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ومصنفه (١٦/١٦٥ رقم ١١٨٨٥) بسنده ومتنه وسنده صحيح، وفي سنده انقطاع بين معمر وعثمان.

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف ١٦/١٦ رقم ١١٨٨٧)، وصحح سنده الحافظ ابن حجر (الإصابة ٢/٣٧٢).

⁽٤) سقط في الأصل، واستدرك من (حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق به، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽V) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سفيان» وهو تصحيف.

بطلقتين أو ثلاث فعلا (١)، وهو رواية عن مالك، وقال الحسن البصري: الحكمان يحكمان في الجمع لا في التفرقة (٢). وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم (٣)، وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود: ومأخذهم قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدًا إِصَّلَكُ لَوُفِق اللَّهُ بَيْنَهُمَ ﴾ ولم يذكر التفريق، وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين فإنه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بلا خلاف.

وقد اختلف الأئمة في الحكمين، هل هما منصوبان من جهة الحاكم، فيحكمان وإن لم يرض الزوجان. أو هما وكيلان من جهة الزوجين؟ على قولين والجمهور على الأول، لقوله تعالى: ﴿فَابَعَنُوا حَكَمًا مِن أَهَلِهِ وَحَكَمًا مِن أَهْلِهَا أَ ﴾ فسماهما حكمين ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه، وهذا ظاهر الآية، والجديد من مذهب الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، الثاني منهما بقول علي في المناوج حين قال: أما الفرقة فلا، قال: كذبت حتى تقر بما أقرت به. قالوا: فلو كانا حاكمين لما افتقر إلى إقرار الزوج، والله أعلم.

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: وأجمع العلماء على أن الحكمين إذا اختلف قولهما فلا عبرة بقول الآخر، وأجمعوا على أن قولهما نافذ في الجمع وإن لم يوكلهما الزوجان، واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة؟ ثم حكى عن الجمهور أن ينفذ قولهما فيها أيضاً من غير توكيل (٤).

﴿ ﴿ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ. شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْقُـرْبَى وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَكِينِ وَالْجَادِ وَالْمَاكِمِينَ وَالْمَاكِمِينَ وَالْمَاكِمِينَ وَالْمَاكِمِينَ وَالْمَاكِمِينَ وَالْمَاكِمِينِ وَمَا مَلَكَتَ أَيْمَانُكُمُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا لِيَكِيدِ وَمَا مَلَكَتَ أَيْمَانُكُمُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا لِيكِبُ مَن كَانَ نُخْتَالًا فَخُورًا ﴿ ﴾.

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال النبي على لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم قال: «أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم (أه ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: ﴿وَقَضَى رَبُكَ أَلّا تَعَبُدُوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالْوَلِائِينِ لِحَسَاناً ﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٢٠).

⁽١) أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح من طريق عبيدة عن إبراهيم (التفسير رقم ٦٣٢).

٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه.

⁽٣) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح عنه.

⁽٤) ذكره في الاستذكار ١١١/١٨.

⁽٥) أخرجه الشيخان من حديث معاذ بن جبل. صحيح البخاري، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي هي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ح٧٣٧٣)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (ح٣٠).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١٧/٤)، والترمذي وحسنه في السنن، الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على =

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْيَتَكَيُّ وَذَلَكُ لأَنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم ثم قال: ﴿وَٱلْمَسَكِينِ ﴾ وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة.

وقوله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرِّبَى وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ قَالَ عَلَى بِن أَبِي طَلَحَة عِن ابن عباس: ﴿وَٱلْجَارِ وَقُولُهُ وَالْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة (١)، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة (٢).

وقال أبو إسحاق، عن نوف البكالي في قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْفُرْبَى﴾ يعني: الجار المسلم، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ يعني: اليهودي والنصراني، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٣).

وقال جابر الجعفي: عن الشعبي، عن علي وابن مسعود: والجار ذي القربي، يعني المرأة (٤).

وقال مجاهد أيضاً في قوله: ﴿وَٱلجَارِ ٱلجُنُبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر (٥)، وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار، فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان:

(الحديث الأول): قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع أباه محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله على قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٢) أخرجاه في الصحيحين من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به (٧).

(الحديث الثاني): قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن داود بن شابور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمْرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وروى أبو داود والترمذي نحوه من حديث سفيان بن عيبنة، عن [بشير] (٨) أبي إسماعيل، زاد الترمذي: وداود بن شابور، كلاهما عن مجاهد به، ثم قال الترمذي: حسن غريب من هذا

خي القرابة (ح٦٥٨)، وابن خزيمة في صحيحه (ح٢٠٦٧)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٤٠٧) وفي سنده: الرباب بنت صُليع أم الرائح مقبولة (التقريب ص٧٤٧)، ويشهد له حديث زينب الثقفية وفيه: لها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة (صحيح البخاري الزكاة، باب الزكاة على الزوج (ح١٤٦٦)، وصحيح مسلم، الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة (ح١٠٠٠).

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عنه. (٢) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي إسحاق السبيعي عن نوف به، وأخرجه ابن أبي حاتم معلقاً.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق إسرائيل عن جابر الجعفي به وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي عبد الله سليم المكي عن مجاهد.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٥٥٧)، وسنده صحيح.

⁽٧) صحيح البخاري، الأدب، باب الوصاة بالجار (ح٦٠١٤)، وصحيح مسلم، البر، باب الوصية بالجار (ح٢٦٢٤).

⁽٨) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «بشر» وهو تصحيف.

الوجه، وقد روي عن مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي ﷺ (١).

(والحديث الثالث): قال أحمد أيضاً: حدثنا عبد الله بن يزيد، أخبرنا حيوة، أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي على أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (٢) ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح به، وقال: حسن غريب (٣).

(الحديث الرابع): قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن [عباية] (١٤) بن رفاعة، عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشبع الرجل دون جاره» (٥)، تفرد به أحمد.

(الحديث الخامس): قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري، سمعت أبا ظبية الكلاعي، سمعت المقداد بن الأسود يقول: قال رسول الله على لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله على: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»، قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله، فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» تفرد به أحمد، وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود: قلت: يا رسول الله؛ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» .

(الحديث السادس): قال الإمام أحمد: حدثنا [يزيد، حدثنا هشام] (^^)، عن حفصة، عن أبي العالية، عن رجل من الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي على الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي على الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي الله المناسبة الم

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد (المسند ۲/۱٦٠)، وأبو داود، السنن، الأدب، باب في حق الجوار (ح٥١٥٢)، الترمذي في السنن البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار (ح١٩٤٣) وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٩١) ويشهد له الحديث السابق المتفق عليه.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/١٦٧) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح١١٥) من طريق حيوة به، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٨٤)، وأخرجه الحاكم من طريق حيوة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ١٠١) وحسنه الترمذي كما سيأتي.

⁽٣) السنن، البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار (ح١٩٤٤).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «عناية» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٥٤) وسنده ضعيف لأن عباية لم يسمع من عمر (مجمع الزوائد ٨/١٦٧).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٨)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق محمد بن فضيل به (ح١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٢٧)، وذكره الهيثمي وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات (المجمع ١٧١/٨).

⁽٧) تقدم في سورة البقرة آية ٢٢ و١٦٥.

⁽A) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «يزيد بن هشام» وهو تصحيف.

[معه] (۱) مقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة، قال الأنصاري: لقد قام رسول الله عليه على حتى جعلت أرثي لرسول الله عليه من طول القيام، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام. قال: «ولقد رأيته؟» قلت: نعم، قال: «أتدري من هو؟». قلت: لا، قال: «ذاك جبريل، ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ثم قال: «أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام» (۱).

(الحديث السابع): قال [عبد] (٣) بن حميد في مسنده: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا أبو بكر _ يعني: المدني _ عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل من العوالي ورسول الله ﷺ، وجبريل ﷺ، يصليان حيث يصلى على الجنائز، فلما انصرف قال الرجل: يا رسول الله، من هذا الرجل الذي رأيت معك؟ قال: «وقد رأيته؟» قال: نعم. قال: «لقد رأيت خيراً كثيراً، هذا جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رأيت أنه سيورثه (٤)، تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله.

(الحديث الثامن): قال أبو بكر البزار: حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع الحارثي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، أخبرني عبد الرحمن بن الفضل، عن عطاء الخراساني، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقاً، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم» (٥)، قال البزار: لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك.

(الحديث التاسع): قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي عمران، عن طلحة بن عبد الله، عن عائشة، أنها سألت رسول الله على فقالت: إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»(٢)، ورواه البخاري من حديث شعبة به.

⁽١) زيادة من (حم) و(مح) والمسند.

⁽۲) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٢)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٨/ ١٦٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٣/ ٣٠٤ (-٨٩١).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «عبد الله» والصواب ما أثبت.

⁽٤) أخرجه عبد بن حميد بسنده ومتنه (المنتخب من المسند ح١١٢٩)، وفي سنده أبو بكر المدني وهو الفضل بن مبشر فيه لين (التقريب ص٤٤٧)، وسنده ضعيف.

 ⁽٥) أخرجه البزار بسنده ومتنه مختصر زوائد مسند البزار، قال الحافظ ابن حجر: والحارثي متهم (٢/ ٢٥١)
 ح٤١٨٠)، وقال الهيثمي: وضاع (مجمع الزوائد ٨/ ١٦٤).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/١٧٥)، وأخرجه أبو داود من طريق أبي عمران به (السنن، الأدب، باب في حق الجوار ح٥١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٩٤).

• سِيُوْلَةُ النَّكَالِ (٣٦)

حب الله ورسوله. قال: «من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث، وليؤد الأمانة إذا ائتمن، وليحسن جوار من جاوره»(١).

(الحديث الحادي عشر): قال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي عشان، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله على: «إن أول خصمين يوم القيامة جاران»](٢)(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنَابِ﴾ قال الثوري، عن جابر الجعفي، عن الشعبي، عن علي وابن مسعود، قالا: هي المرأة(٤).

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في إحدى الروايات، نحو ذلك^(٥)، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة: هو الرفيق في السفر^(٢).

وقال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح^(۷).

وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر (^).

وأما ابن السبيل، فعن ابن عباس وجماعة: هو الضيف^(۹)، وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل: هو الذي يمر عليك مجتازاً في السفر^(۱۱). وهذا أظهر، وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق، فهما سواء، وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة، وبالله الثقة وعليه التكلان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتُ أَيْمَنَكُمُّمُ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس، فلهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت، يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»(١١) فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه، وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا بقية، حدثنا [بَحير بن سعد](١٢)، عن خالد بن معدان، عن

⁽١) ذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف (المجمع ١٤٨/٤).

⁽٢) ما بين معقوفين زيادة من (مح).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥١/٤)، وحسنه الهيثمي (المجمع ٢٥٢/١٠)، وقال المنذري: إسناده جيد (الترغيب ٣/ ٣٥٥)، وحسنه السيوطي والألباني في صحيح الجامع الكبير (ح٢٥٦٠).

⁽٤) تقدم في بداية تفسير الآية، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

⁽٥) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند.

⁽٦) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وقول مجاهد وعكرمة أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق جابر الجعفي عنهما، ويشهد لهما قول ابن عباس، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي بكير التيمي عنه.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حاتم بن أبي عجلان عنه، ولم أقف على ترجمة لحاتم.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه.

⁽١٠) ذكرهم ابن أبيّ حاتم بحذف الإسناد إلا قول مجاّهد فأخرجه بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽١١) أخرجُه أبن ماجه، السنن، الوصايا، باب هل أوصىٰ رسول الله ﷺ (ح٢٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢١٨٣) وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣٦١).

⁽١٢) كذا في المسند، وفي نسخة (حم) و(مح) والأصل: «يحيى بن سعيد»، والصواب ما أثبت.

المقدام بن معديكرب، قال: قال رسول الله على: «ما أطمعت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» (١) ورواه النسائي من حديث بقية (٢)، وإسناده صحيح، ولله الحمد.

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له: هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فأعطِهم، فإن رسول الله على قال: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم» رواه مسلم (٣٠).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» رواه مسلم أيضاً (٤).

وعن أبي ذر رهيه عن النبي على قال: «هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» أخرجاه (٧٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ أي: مختالاً في نفسه، [معجباً متكبراً فخوراً على الناس، يرى أنه خير منهم فهو في نفسه] (٨) كبير وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض.

قال مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ نُخْتَالًا﴾ يعني: متكبراً ﴿فَخُورًا﴾ يعني: يَعُدّ ما أعطى، وهو لا يشكر الله تعالى (٩). يعني: يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه، وهو قليل الشكر لله على ذلك.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٣١)، وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

⁽٢) السنن الكبرىٰ (ح٩٢٠٤)، وتحفة الإشراف ٨/٧٠٨.

⁽٣) صحيح مسلم، الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك (ح٩٩٦).

⁽٤) صحيح مسلم، الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل (ح١٦٦٢).

⁽٥) صحيح البخاري، العتق، باب إذا أُتل أحدكم خادمُه بطعامه (ح٢٥٥٧).

⁽٢) صحيح مسلم، الموضع السابق (-١٦٦٣).

⁽٧) صحيح البخاري، الآيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية (ح٣٠)، وصحيح مسلم، الموضع السابق . ١٦٦٠/١٦٠

⁽۸) زیادة من (حم) و(مح).

⁽٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽١٠) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سيا»، وهو تصحيف.

⁽١١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الحسين، وهو سنيد: ضعيف.

وروى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب مثله في المختال الفخور، وقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، عن الأسود بن شيبان، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: قال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه، فلقيته، فقلت: يا أبا ذر، بلغني أنك تزعم أن رسول الله على حدثكم: «إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة»؟ فقال: أجل، فلا إخالني، أكذب على خليلي ثلاثاً؟ قلت: من الثلاثة الذين يبغض الله؟ قال: المختال الفخور. أوليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل؟ ثم قرأ الآية ﴿إِنَّ الله لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(١)، وحدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب بن خالد، عن أبي تميمة، عن رجل من بلهجم، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «إياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة»(٢).

﴿ اللَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْنُنُونَ مَا ءَاتَنَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ، وَأَعْتَدُنَا لِلسَّخِينِ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ وَيَكْنُنُونَ مَا ءَاتَنَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ، وَأَعْتَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ وَاللَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُولَهُمْ رِئَاتَهُ النَّاسِ وَلَا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَيِنَا ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْبُوْمِ الْآخِرِ وَالفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ مَلِيمًا ﴿ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللل

يقول تعالى ذاماً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم من الأرقاء، ولا يدفعون حق الله فيها، ويأمرون الناس بالبخل أيضاً، وقد قال رسول الله فيها: «وأي داء أدوأ من البخل»(٣). وقال: «إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُنْهُونَ مَا ءَاتَنَهُمُ اللّهُ مِن فَضَالِةً ﴾ فالبخيل جحود لنعمة الله لا تظهر عليه ولا تبين، لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكُنُودُ ۚ وَإِنَّهُمُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدُ ﴿ وَالْعادبات] أي: بحاله وشمائله ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَسَدِيدُ لَكُودُ وَالعادبات] وقال ههنا: ﴿وَيَكُنْهُونَ مَا ءَاتَنَهُمُ اللّهُ مِن فَضَالِةً ﴾ ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَالعادبات] وقال ههنا: ﴿وَيَكُنْهُونَ مَا ءَاتَنَهُمُ اللّهُ مِن فَضَالِةً ﴾ ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَالْعَنْهُ وَالْكُورِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وأطول، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق خرشة بن الحر عن أبي ذر بنحوه (الصحيح، الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار ح١٠٦).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح، والرجل المبهم هو صحابي واسمه: جابر بن سليم رفي إذ صرح بذلك أبو داود فقد أخرجه من طريق أبي تميمة عن أبي جري جابر بن سليم بنحوه وأطول (السنن، اللباس، باب في إسبال الإزار ح٤٨٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٤٤٢).

⁽٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٢٩٦)، من حديث جابر، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢١٩/٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٢٢٧).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بنّ عمرو مرفوعاً (المسند ح١٤٨٧)، وصححه محققوه وأخرجه ابن حبان (الإحسان ح١٧٦)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١١/١).

ويجحدها فهو كافر لنعم الله [عليه] (١) ، وفي الحديث: «إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه» (٢) ، وفي الدعاء النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك قابليها، وأتممها علينا» (٣).

وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد وقد وكتمانهم ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَهْرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، رواه ابن اسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس (٤)، وقاله مجاهد وغير واحد، ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال، وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأولى، فإن السياق في الإنفاق على الأقارب والضعفاء، وكذلك الآية التي بعدها وهي قوله: ﴿وَالَذِينَ يُنفِقُونَ أَمُولَهُم رِدَا النَّاسِ فإنه ذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون [بإعطائهم] (٢) السمعة وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي الحديث الذي ذُكر فيه الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار وهم: العالم، والغازي، والمنفق المراؤون بأعمالهم، يقول الذين هم أول من تسجر بهم النار وهم: العالم، والغازي، والمنفق المراؤون بأعمالهم، يقول الذين ها ردت أن يقال: كريم فقد قيل ؟ أي: أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بفعلك (٧).

وفي الحديث: أن رسول الله على، قال لعدي بن حاتم: «إن أباك رام أمراً فبلغه» (^).

وفي حديث آخر: أن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان: هل ينفعه إنفاقه وإعتاقه؟ فقال: «لا، إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين (٩). ولهذا قال تعالى: ﴿وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينا فَسَاءَ قَرِينا ﴾ أي: إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان، فإنه سول لهم وأملى لهم، وقارنهم فحسَّن لهم القبائح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينا فَسَاءَ قَرِينا ﴾، ولهذا قال الشاعر:

⁽١) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث مالك بن نضلة الجشمي بنحوه (المسند ٢٥/ ٢٢٢ ح١٥٨٨٧)، وصححه محققوه، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ح٤١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٢٩٠).

⁽٣) أخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود مرفوعاً (السنن، الصلاة، باب من ذكر التورك في الرابعة ح٩٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (ح١٠٤٢٦)، وقال الهيثمي: سنده جيد (المجمع ١٨٢/١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٥٥٥).

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، وسنده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه قال: نزلت في اليهود.

⁽٦) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه وأطول (الصحيح، الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة... ح١٩٠٥).

 ⁽٨) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٥٨/٤)، قال الهيثمي: ورجاله ثقات (المجمع ١٢٤/١)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢٤٠/٤).

⁽٩) أخرجه مسلم من حديث عائشة رالصحيح، الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل ح١١٤).

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي ثم قال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِم لَوْ ءَامَنُوا بِالله والْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَالْمَوْ وَعَدُلوا عن الرياء إلى أي: وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطرائق الحميدة، وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله ورجاء موعوده في الدار الآخرة لمن أحسن عملاً، وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها، وقوله: ﴿وَكَانَ الله بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ أي: وهو عليم بنياتهم الصالحة والفاسدة، وعليم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه، ويلهمه رشده، ويقيضه لعمل صالح يرضى به عنه، وبمن يستحق الخذلان والطرد عن الجناب الأعظم الإلهي الذي من طرد عن بابه، فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة، عياذاً بالله من ذلك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَّذُنَّهُ أَجَّرًا عَظِيمًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا جِشْنَا مِن كُلِّ أُمَّتِم بِشَهِيدٍ وَجِثْنَا بِكَ عَلَى هَنَوُلَآءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَبِذِ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسُوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُنْمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۞ .

يخبر تعالى أنه لا يظلم عبداً من عباده يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوْزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ فَلَا نُظْـلُمُ نَفْشُ شَيْئًا وَإِن كَاكَ مِثْقَالَ حَبَّكَةٍ مِّنْ خَرْدُلٍ أَلَيْنَا بِهِأْ وَكَفَىٰ بِنَا حَسِينَ ﴿ إِلانسِياءً ، وقال تعالى مخبراً عن لقمان أنه قال: ﴿ يَنْبُنَى إِنُّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَو فِي ٱلسَّمَوَتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفُ خَبِيرٌ ﴿ إِلَّهُ القمان]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَبِنِ يَصْدُرُ ٱلتَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرُوا أَغْمَلَهُمْ ﴿ فَهُنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرُهُ ١ الزلزلة] وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله على في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «فيقول الله كل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجوه من النار»(١)، وفي لفظ: «أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً»(٢)، ثم يقول أبو سعيد: اقرؤوا إن شـــــــــم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْقَالَ ذَرَّةً ۗ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفَهَا وَيُؤْتِ مِن لَّذَنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ﴿ ")، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس، عن هارون بن عنترة، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، قال: قال عبد الله بن مسعود: يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان بن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ ﴿فَلاَّ أَسَابَ يَيْنَهُمْ يُومَيِدِ وَلَا يَتَسَاَّءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس

⁽۱) صحيح البخاري، التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَبُحُوٌّ يَوَيَدِ نَاضِرَةً ۞﴾ [القيامة] (ح٧٤٣٩)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح١٨٣).

⁽٢) أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك، صحيح البخاري، التوحيد، باب كلام الرب ﷺ يوم القيامة (ح٧٥١٠). وصحيح مسلم، الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح١٩٣).

⁽٣) هذا القول لأبي سعيد وهو الخدري، تتمة للحديث قبل السابق المتفق عليه.

شيئاً، فينصب للناس فينادى: هذا فلان بن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه. فيقول: رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟ فيقول: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق بقدر طُلبته، فإن كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ علينا ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفها ﴾ قال: ادخل الجنة وإن كان عبداً [شقياً](١) قال الملك: ربِّ فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً إلى النار(٢). ورواه ابن جرير من وجه آخر عن زاذان به نحوه (٣) ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فضيل _ يعني: ابن مرزوق _، عن عطية العوفي، حدثني عبد الله بن عمر، قال: نزلت هذه الآية في الأعراب ﴿ مَن جَاةً بِالْحَسَنَةُ فَلَهُ عَشُرُ أَتَنَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال رجل: فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ما هو أفضل من ذلك ﴿ إِنَّ الله لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُصَنوفَها وَيُوتِ مِن لَدُنّهُ أَجَرًا عَظِيمًا ﴿ وَ الله من ذلك ﴿ إِنّ الله بن بكير، حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُصَنعِفَها ﴾ فأما المشرك فيخفف عنه العذاب دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُصَنعِفَها ﴾ فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً (٥٠٠ . وقد يُستدل له بالحديث الصحيح أن العباس قال: يا رسول الله، إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعته بشيء؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار (٢٠٠)، وقد يكون هذا خاصاً بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا عمران، حدثنا قتادة، عن أنس أن رسول الله على قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة (١٠٠).

وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَدُنَّهُ لَائَهُ آجًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة (٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا سليمان _ يعني ابن المغيرة _، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان، قال: بلغني عن أبي هريرة أنه قال: بلغني أن الله تعالى يعطي عبده المؤمن

ا) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «حبشياً» وهو تصحيف.

٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده حسن. (٣) أخرجه الطبري من طريق زاذان به نحوه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

 ⁽٦) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، قصة أبي طالب (ح٣٨٨٣)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (ح٢٠٩).

 ⁽۷) أخرجه الطيالسي بسند ومتنه (المسند ح۲۰۱۱)، وأخرجه مسلم من طريق قتادة به (الصحيح، صفات المنافقين، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ح۲۸۰۸).

⁽A) قول أبي هريرة أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان، وبقية الرواة ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند وهي تشهد لرواية أبي هريرة.

بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة، قال: فقُضي أني انطلقت حاجاً أو معتمراً، فلقيته فقلت: بلغني عنك حديث أنك تقول: سمعت رسول الله على يقول: "إن الله على يجزى العبد بالحسنة ألف ألف حسنة» قال: فقضي أني انطلقت حاجًا أو معتمراً، فلقيته؛ فقلت: بلغني عنك حديث أنك تقول: سمعت رسول الله على يقول: "إن الله يعطي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة: لا بل سمعت رسول الله على يقول: "إن الله يعطيه ألفي ألف حسنة»، ثم تلا ﴿يُعَنعِفُهَا وَوُواه الإمام أحمد فقال: حدثنا يزيد، ثنا مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، قال: أتيت أبا هريرة، فقلت له: بلغني أنك تقول: إن [الحسنة](٢) تضاعف ألف ألف حسنة! قال: وما أعجبك من ذلك؟ فوالله لقد سمعت - يعني: النبي على - يقول: "إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة"(٣)، وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِعْنَا مِن كُلِّ أُمَّتِم بِشَهِيدٍ وَجِعْنَا بِكَ عَلَىٰ هَتَوُلآءِ شَهِيدًا ۞﴾ يقول تعالى: مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه، فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد _ يعني: الأنبياء على -، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِنَابُ وَجِأْيَهَ بِالنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِى بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ ﴿ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةِ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمٌ وَجِثْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَنَوُكَآءٌ وَزَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِبْيَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ السحل]، وقال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «نعم إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِنْنَا مِن كُلِّ أُمَّتِم بِشَهِيدِ وَجِنْنَا بِكَ عَلَىٰ هَتَوُلآء شَهِيدًا ١٩٠٠ فقال: «حسبك الآن» فإذا عيناه تذرفان، ورواه هو ومسلم أيضاً من حديث الأعمش به (٤)، وقد روي من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه (٥). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا الصلت بن مسعود الجحدري، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري، عن أبيه، قال: وكان أبي ممن صحب النبي على: إن النبي على أتاهم في بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم، ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٥٢١)، وسنده ضعيف بسبب ضعف علي بن زيد.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «الجنة»، وهو تصحيف.

⁽٣) سنده ضعيف بسبب علي بن زيد.

⁽٤) صحيح البخاري، تفسير سورة النساء، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِعْنَا مِن كُلِّ أُمَّتِم شَهِيلِ . . . ﴾ [النساء: ٤١] (ح٢٥٨)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن (ح٨٠٠).

⁽٥) المسند (١/ ٣٧٤).

من أصحابه، فأمر النبي ﷺ قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِنْنَا مِن كُلِّ أُمَّتِم بِشَهِيدِ وَجِنْنَا بِكَ عَلَى هَتَوُلاَءِ شَهِيدًا ۞﴾ فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه وجنباه، فقال: «يا رب، هذا شهدت على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أره»(١).

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، عن المسعودي، عن جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه، عن عبد الله _ هو ابن مسعود _ في هذه الآية، قال: قال رسول الله على: «شهيد عليهم ما دمت فيهم، فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» (٢٠). [وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال: باب ما جاء في شهادة النبي على أمته، قال ابن المبارك: أخبرنا رجل من الأنصار، عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا تعرض فيه على النبي في أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا حِثْنَا مِن كُلِّ أُمَيَم بِشَهِيلِ وَحِثْنَا بِكَ عَلَى هَتَوُلاَه شَهِيلًا ﴿فَكَا إِنْ عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله على يوم النبي من وهو من كلام سعيد بن المسيب شهيدًا ﴿فَهُ فَإِنه أَثْر وفيه انقطاع، فإن فيه رجلاً مبهماً لم يسم، وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه، وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده: قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة، قال: ولا تعارض، فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (٣٠)-(١٠).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَبِنِ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوَ شُوَى بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكُنُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿ أَي: لو انشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ، كَقُوله: ﴿يَوْمَ يَظُرُ ٱلْمَرَهُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَلْيَتَنِي كُنتُ ثُرَبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقوله: ﴿ وَلَا يَكُنُنُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئًا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، حدثنا عمرو، عن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: سمعت الله على يقول عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: سمعت الله على يقول عني: إخباراً عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا _: ﴿وَاللّهِ رَيّنا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَكُنّنُونَ اللّهَ حَدِيثًا ﴾ فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَلَا يَكُنّنُونَ اللّهَ حَدِيثًا ﴾ فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَاللّهِ رَيّنا مَا كُنا مُشْرِكِينَ ﴾ فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام، قالوا: [تعالوا فلنجحد، ﴿وَاللّهِ رَيّنا

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده فضيل بن سليمان، وهو النميري صدوق يخطئ كثيراً (التقريب ص٤٤٧)، ويونس بن محمد ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ٢٤٦/٩)، ولبعضه شاهد متفق عليه تقدم.

⁽۲) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣/ ٣)، وأخرجه الطبراني، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢).

⁽٣) ما بين معقوفين زيادة من (حم) و(مح).

⁽٤) ذكره القرطبي في: التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ص٢٩٤.

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [(١) ، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿ وَلَا يَكْنُونَ اللهَ عَدِيثًا ﴾ (١) ، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن رجل، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياء تختلف عليّ في القرآن، قال: ما هو؟ أشك في القرآن؟ قال: ليس هو بالشك، ولكن اختلاف قال: فهات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول: ﴿ ثُمُ لَا تَكُن فِتَنَابُهُم إِلَّا أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبّنا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴿ وَلَا المنعام وقال: ﴿ وَلَا يَكُنُونَ اللّهَ عَدِيثًا ﴾ فقد كتموا. فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ ثُمّ لَو تَكُن فِتَنَابُهُم إِلّا أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبّنا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴿ وَلَا الله لا يغفر إلا لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ما كنّا مُشْرِكِينَ ﴿ وَلا يغفر هركاً جحد المشركون، فقالوا: ﴿ وَاللّهِ رَبّنا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ والله على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك ﴿ يَوْدُ اللّهِ عَدِيثًا ﴾ (١) .

وقال [جويبر] (٤) عن الضحاك: إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: يا ابن عباس، قبول الله تعالى: ﴿يَوْمَهِلْ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوَ شُوكَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُنْمُونَ الله حَدِيثًا صحابك، وقوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾، فقال له ابن عباس: إني أحسبك قمت من عند أصحابك، فقلت: ألقي على ابن عباس متشابه القرآن، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله تعالى جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد، فيقول المشركون: إن الله لا يقبل من أحد شيئاً إلا ممن وحده، فيقولون: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين. فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم ﴿وَلَا يَكُنّنُونَ اللّهَ حَدِيثًا ﴾. رواه ابن جرير (٥).

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الطَّكُوةَ وَأَنتُمْ شُكَرَىٰ حَتَى تَقَلَمُوا مَا لَقُولُونَ وَلَا جُنُجًا إِلَّا عَالِمِ سَبِيلٍ حَتَى تَقَلَمُوا مَا لَقُولُونَ وَلَا جُنُجًا إِلَّا عَالِمِ سَبِيلٍ حَتَى تَقْلَمُوا وَإِن كُنتُم مِّرْتَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَهَا ٱخَدُّ مِنكُم مِنَ ٱلْفَاآبِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ ٱللِّسَاآةِ فَلَا مَنَا عَلَى اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

⁽١) ما بين معقوفين سقط من الأصل، واستدرك من (حم) و(مح) وتفسير الطبري.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب إبهام شيخ معمر.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «ابن جرير» وهو تصحيف.

⁽٥) وسنده ضعيف بسبب جويبر وهو متروك، أخرجه الطبري من طريق جويبر به. ووقع في طبعة أحمد شاكر تصحيف فورد بلفظ: «الزبير».

نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال: "اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً"] أن فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات، فلما نزل قوله: ﴿ يَكَانُهُا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَاسُهُ وَالْأَمْسَابُ وَالْأَمْسَابُ وَالْأَرْكُمُ رِجَّسُ الخمر في أوقات الصلوات، فلما نزل قوله: ﴿ يَكَانُهُا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمُونَ وَالمائدة: ٩٠، ٩١] مِنْ عَمَلِ الشّيطُنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَمَلَكُمْ تُقْلِحُونَ ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١] فقال عمر: انتهينا انتهينا انتهينا أن وفي رواية إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن شرحبيل، عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر، فذكر الحديث، وفيه: فنزلت الآية التي في النساء ﴿ يَتَالَيُهُا اللَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَقَرَبُوا الصَّكَلُوةَ وَأَنتُم شُكَرَىٰ حَقَى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ ﴾ فكان منادي رسول الله عَلَيْ إذا قامت الصلاة ينادي: أن لا يقربن الصلاة سكران، لفظ أبي داود (٣).

وذكروا في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، أخبرني سماك بن حرب قال: سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال: نزلت في أربع آيات، صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعا أناساً من المهاجرين وأناساً من الأنصار، فأكلنا وشربنا حتى سكرنا، ثم افتخرنا، فرفع رجل لَحْيَ بعير ففزر به أنف سعد، فكان سعد مفزور الأنف، وذلك قبل تحريم الخمر، فنزلت: ﴿يَتَأَيُّا النِّينَ ءَامَنُوا لَا تَقَرَبُوا الصَكَلَوة وَالتَّد شُكَرَى . . ﴾ الآية (٤)، والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة، ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه من طرق عن سماك به (٥).

(سبب آخر) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله [الدشتكي] (٢) حدثنا أبو جعفر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب، قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموا فلاناً، قال: فقرأ (قل يا أيها الكافرون، ما أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون)، فأنزل الله ﴿يَكَأَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُوا الصَّكَوْةَ وَأَنتُم سُكَرَىٰ حَقَى تَعَلَمُوا مَا نَقُولُونَ ﴾، هكذا رواه ابن أبي حاتم (٧)، وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبد الرحمن الدشتكي به، وقال: حسن صحيح (٨). وقد رواه ابن جرير، عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن علي: أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر، شربوا الخمر فصلي بهم عبد الرحمن فقرأ ﴿قُلْ

⁽١) ما بين معقوفين سقط من الأصل، واستدرك من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٢) حديث صحيح تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢١٩.

⁽٣) السنن، الأشربة، بأب في تحريم الخمر (ح٣٦٧٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣١١٦).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضل سعد (ح١٧٤٨)، وسنن أبي داود، الجهاد، باب في النفل (ح٠٤٧٤)، وسنن الترمذي، تفسير سورة العنكبوت (ح٠٣١٨) والسنن الكبرى للنسائي (ح١١١٩٦).

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «الرستكي» وهو تصحيف.

⁽V) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده أبو جعفر وهو الرازي صدوق سيء الحفظ، وقد توبع كما سيأتي، فسنده حسن.

⁽A) أخرجه الترمذي من طريق أبي جعفر به وقال: حسن صحيح غريب (السنن، تفسير سورة النساء ح٣٠٢)، وأخرجه تمام وأخرجه الحاكم من طريق سفيان عن عطاء به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣٠٧/٢)، وأخرجه تمام الرازي من طريق علي بن عاصم عن عطاء به (الفوائد ٧٩٨/٢).

يَتَأَيُّهُا ٱلْكَنْرُونَ ﴿ الكافرون ا فخلط فيها، فنزلت ﴿ لا تَقَرَبُوا ٱلصَكَلُوة وَانَتُمْ شُكَرَى ﴾ [الكافرون ا فخلط فيها، فنزلت ﴿ لا تَقَرَبُوا الصَكِلَة وَالنَّمْ شُكَرَى ﴾ ورواه ابن جرير أيضاً عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: كان علي في نفر من أصحاب النبي على في بيت عبد الرحمن بن عوف، فطعموا فأتاهم بخمر فشربوا منها، وذلك قبل أن يحرم الخمر، فحضرت الصلاة فقدموا علياً فقرأ بهم ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهُا ٱلْكَنْرُونَ ﴿ فَهُ فلم يقرأها كما ينبغي، فأنزل الله عَن ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱللّهِ يَن مَامَنُوا لا تَقَرَبُوا ٱلصَكَلُوة وَأَنتُمْ شُكَرَى ﴾ ثم قال: حدثني المثنى، حدثنا الحجاج بن المنهال، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حبيب وهو أبو عبد الرحمن السلمي -: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً، فدعا نفراً من أصحاب النبي عَلَي فصلى بهم المغرب، فقرأ: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، وأنا عابد ما عبدتم، لكم دينكم ولي دين)، فأنزل الله عَلَي هذه الآية ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلّذِينَ ءَامَنُوا لا قَلَيُوا الْعَكُودُ وَأَنتُم سُكَرَى حَقَى تَقَلَمُوا مَا نَقُولُونَ ﴾ "

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّكُولَةَ وَأَنتُمْ شُكَرَىٰ حَقَى تَعَلَمُواْ مَا نَعُولُونَ وذلك أن رجالاً كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن يحرم الخمر، فقال الله: ﴿لَا تَقَرَبُواْ ٱلصَّكُوةَ وَأَنتُمْ شُكْرَىٰ . . ﴾ الآية، رواه ابن جرير (٤٠)، وكذا قال أبو رزين ومجاهد (٥٠) وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الخمر (١٠). وقال الضحاك في قوله: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّكُوةَ وَأَنتُمْ شُكَرَىٰ ﴾: لم يعن بها سكر الضماك في قوله: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّكُولَةَ وَأَنتُم شُكَرَىٰ ﴾: لم يعن والصواب أن المراد سكر الشراب، قال: ولم يتوجه النهي إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب، لأن ذاك في حكم المجنون، وإنما خوطب بالنهي الثمل الذي يفهم التكليف، وهذا حاصل ما قاله: وقد ذكره غير واحد من الأصوليين، وهو أن الخطاب توجه إلى من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدي (١٠) ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف، وقد يحتمل أن يكون المراد السكران الذي لا يدي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل التعريض بالنهي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) سنن أبي داود، الأشربة، باب تحريم الخمر (ح٣٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١١٦٨).

⁽٣) أخرجهما الطبري بسنديهما ومتنهما، والرواية الأولى فيها ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف، وقد تفرد بأن الذي قرأ هو علي بن أبي طالب، والصواب عبد الرحمن بن أبي عوف ، وأما الرواية الثانية فحكمها كالروايات الحسنة المتقدمة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو سند ضعيف لكن يتقوى بما سبق من الروايات الثابتة.

⁽٥) قول أبي رزين أخرجه الطبري بثلاثة أسانيد فيها محمد بن حميد الرازي ضعيف، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسند حسن.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق سلمة بن نبيط عنه، وقد رده الطبري ورده حق.

⁽A) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «لا يدرك».

والنهار، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً، والله أعلم، وعلى هذا في كولنهار، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً، والله أعلم، وعلى هذا فيكون كقوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا اللَّذِينَ مَامَنُوا اللَّهُ حَقَّ تُقَالِدِهِ وَلَا تَمُوثُنَ إِلَّا وَأَنتُم مُسلِمُونَ ﴿ اللهِ اللهِ عمران] وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الإسلام والمداومة على الطاعة لأجل ذلك.

وقوله: ﴿حَتَىٰ تَعَلَمُوا مَا نَقُولُونَ﴾ هذا أحسن ما يقال في حد السكران أنه الذي لا يدري ما يقول، فإن المخمور فيه تخليط في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، قال: قال رسول الله على «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف فلينم حتى يعلم ما يقول»(١) انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم، ورواه هو والنسائي من حديث أيوب به (٢). وفي بعض ألفاظ الحديث: «فلعله ذهب يستغفر فيسب نفسه»(٣).

وقوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَى تَغْتَسِلُواً ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار (٤) ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَى تَغْتَسِلُواً ﴾ قال: لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب ، إلا عابري سبيل ، قال: تمر به مراً ، ولا تجلس (٥) . ثم قال: وروي عن عبد الله بن مسعود ، وأنس ، وأبي عبيدة ، وسعيد بن المسيب ، وأبي الضحى ، وعطاء ، ومجاهد ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي ، وزيد بن أسلم ، وأبي مالك ، وعمرو بن دينار ، والحكم بن عتيبة ، وعكرمة ، والحسن البصري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن شهاب ، وقتادة نحو ذلك (٢) .

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن قول الله عَنْ: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِي سَبِيلٍ ﴾ أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم، [فيردون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد] (٧)، فأنزل الله ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِي سَبِيلٍ ﴿ (١). ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب كَثَلَهُ، ما ثبت في صحيح البخاري: أن رسول الله على قال: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر الله وهذا قاله في آخر حياته على علماً منه أن أبا بكر في سيلي الأمر بعده، ويحتاج إلى

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/١٥٠)، وأخرجه البخاري من طريق أيوب به كما سيأتي.

⁽٢) صحيح البخاري، الوضوء، باب الوضوء من النوم (ح٢١٣).

⁽٣) صحيح البخاري، الباب السابق (ح٢١٤).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «محمد بن يسار» وهو تصحيف.

 ⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده أبو جعفر الرازي، وهو صدوق سيء الحفظ ويشهد له
 الأقوال التالية، فسنده حسن.

⁽٦) ذكرهم جميعهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق عَبيدة عنه، وبقية الآثار أخرجها الطبري وابن أبي شيبة (المصنف ١٤٦/١ ـ ١٤٧)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ٢/ ١٤٣.

⁽٧) الزيادة من (حم) و(مح) وتفسير الطبري.

 ⁽٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده يزيد بن أبي حبيب لم أتأكد من روايته عن أحد الصحابة، وذكر ابن
 حجر أنه كان يرسل كما في التقريب.

⁽٩) صحيح البخاري، الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد (ح٢٦).

الدخول في المسجد كثيراً للأمور المهمة فيما يصلح للمسلمين (١)، فأمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد، إلا بابه ومن روى إلا باب علي، كما وقع في بعض السنن (٢)، فهو خطأ، والصواب ما ثبت في الصحيح. ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب اللبث في المسجد، ويجوز له المرور، وكذا الحائض والنفساء أيضاً، في معناه، إلا أن بعضهم قال: يمنع مرورهما لاحتمال التلويث، ومنهم من قال: إن أمنت كل واحدة منهما التلويث في حال المرور، جاز لهما المرور، وإلا فلا. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة وأن قالت: قال لي رسول الله والله عن المنه المرور، في المسجد، فقلت: إني حائض، فقال: "إن حيضتك ليست في يدك وله عن أبي هريرة مثله (٣)، ففيه دلالة على جواز مرور الحائض في المسجد، والنفساء في معناها، والله أعلم.

وروى أبو داود من حديث أفلت بن خليفة العامري، عن جسرة بنت دجاجة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله على: "إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب" أن قال أبو سليمان الخطابي: ضَعّف هذا الحديث جماعة وقالوا: أفلت مجهول، لكن رواه ابن ماجه، من حديث أبي الخطاب الهجري، عن محدوج الذهلي، عن [جسرة] عن أم سلمة، عن النبي على به (٢) قال أبو زرعة الرازي: يقولون: [جسرة] عن أم سلمة، والصحيح جسرة عن عائشة، فأما ما رواه أبو عيسى الترمذي: من حديث سالم بن أبي حفصة عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله على لا يحل لأحد أن يجنب، في هذا المسجد غيري وغيرك (١) فإنه حديث ضعيف لا يثبت، فإن سالماً هذا متروك، وشيخه عطية ضعيف، والله أعلم.

(قول آخر) في معنى الآية. قال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرني ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن زر بن حبيش، عن علي ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ قال: لا يقرب الصلاة، إلا أن يكون مسافراً تصيبه الجنابة، فلا يجد الماء فيصلي، حتى يجد الماء، ثم رواه من وجه آخر عن المنهال بن عمرو، عن زر، عن علي بن أبي طالب... فذكره (٩). قال:

⁽١) هذا الشاهد يصلح لحكم جواز العبور من المسجد لا لصحة سبب نزول الآية.

⁽٢) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين الروايتين (فتح الباري ١١٤/٧).

⁽٣) صحيح مسلم، الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (ح٢٩٨، ٢٩٨).

⁽٤) سنن أبي داود، الطهارة، باب في الجنب يدخل المسجد (ح٢٣٢)، ونقل البغوي عن أحمد أنه ضعف هذا الحديث (شرح السنة ٢/٢٤)، وضعف سنده عبد الحق الإشبيلي (الأحكام الوسطى ١/٣٠٧).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وسنن ابن ماجه، وفي الأصل: «حبيش» وهو تصحيف.

⁽٦) سنن ابن ماجه، الطهارة، باب ما جاء في اجتناب الحائض المسجد (ح٦٤٥)، وفي سنده محدوج مجهول (كما في التقريب ص٢١٥)، وضعف إسناده البوصيري (مصباح الزجاجة ١/ ٢٣٠).

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وسنن ابن ماجه، وفي الأصل: «حبيش» وهو تصحيف.

⁽٨) أخرجه الترمذي من طريق سالم بن أبي حفصة به (السنن، المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رهم ٢٧٢٧)، وفي سنده سالم بن أبي حفصة: صدوق في الحديث إلا إنه شيعي غالي (التقريب ص٢٢٦)، والمتن يؤيد بدعته في الغلو بعلي رهم، فالحديث ضعيف كما قرر الحافظ.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بالسندين به وكلا الإسنادين حسن.

وروي عن ابن عباس في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير والضحاك، نحو ذلك (۱). وقد روى ابن جرير، من حديث وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله، وعن زر بن حبيش عن علي . . . فذكره ورواه من طريق العوفي وأبي مجلز: عن ابن عباس . . فذكره (۲). ورواه عن سعيد بن جبير، وعن مجاهد، والحسن بن مسلم، والحكم بن عتيبة، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن مثل ذلك (۳). وروي من طريق ابن جريج عن عبد الله بن كثير، قال: كنا نسمع أنه في السفر (۱). ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة عن عمرو بن بُجدان، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم تجد الماء عشر حجج، فإذا وجدت الماء فأمسه بشرتك، فإن ذلك خير» (۱).

ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين: والأولى قول من قال: ﴿وَلاَ جُنُبًا إِلّا عَابِي سَبِيلٍ﴾ أي: إلا مجتازي طريق فيه، وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب، في قوله: ﴿وَإِن كُنُمُ مِّهَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِنكُم مِن الْفَالِطِ أَوْ لَامَسُنُم اللِّسَاءَ فَلَمَ يَحِدُوا مَاءً فَتَيَمُّوا صَعِيدًا طَيّبًا﴾، فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿وَلا جُنُبًا إِلّا عَابِي سَبِيلٍ حَتَى تَغْتَسِلُواً﴾ لو كان معنيا به المسافر، لم يكن لإعادة ذكره في قوله: ﴿وَإِن كُننُم مَنْهَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ و معنى مفهوم، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها، وأنتم سكارى، حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً، المساجد للصلاة مصلين فيها، وأنتم سكارى، حتى تعلموا ما قولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً، حتى تغتسلوا، إلا عابري سبيل، قال: والعابر السبيل: المجتاز مراً وقطعاً، يقال منه: عبرت هذا الطريق، فأنا أعبره عبراً وعبوراً، ومنه يقال: عبر فلان النهر، إذا قطعه وجاوزه، ومنه قبل للناقة القوية على الأسفار، هي عبر الأسفار لقوتها على قطع الأسفار (٢).

وهذا الذي نصره، هو قول الجمهور، وهو الظاهر من الآية، وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة القصة، وهي الصلاة على هيئة ناقصة القصة، وهي الجنابة المباعدة للصلاة، ولمحلها أيضاً، والله أعلم.

وقوله: ﴿ حَتَىٰ تَغْتَسِلُواً ﴾ دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة، أبو حنيفة ومالك والشافعي، أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل أو يتيمم، إن عدم الماء، أو لم يقدر على

⁽١) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند وقول ابن عباس وسعيد بن جبير أخرجهما الطبري بسندين صححت.

⁽٢) أخرجه الطبري من هذه الطرق وفيها ضعف ويتقوى بما سبق.

⁽٣) أخرجه الطبري من طرق هؤلاء وكلها بأسانيد ثابتة.

⁽٤) أخرجه الطبري وفيه الحسين وهو سنيد ضعيف ويتقوى بسابقه ولاحقه. .

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/ ١٨٠)، وأبو داود في السنن، الطهارة، باب الجنب يتيمم (ح٣٣)، والترمذي في السنن، الطهارة، باب ما جاء في التيمم للجنب (ح١٢٤)، وقال: حسن صحيح، كلهم من طريق أبي قلابة به، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣١)، وأخرجه الحاكم من طريق أبي قلابة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/٦٧١ ـ ١٧٧)، وصححه ابن حبان وأبو الحسن بن القطان كما سيأتي في ص١٦٨٠.

⁽٦) ذكره الطبري في نهاية تفسير هذه الآية (٤٣).

استعماله بطريقه، وذهب الإمام أحمد: إلى أنه متى توضأ الجنب، جاز له المكث في المسجد، لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك. قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد _ هو الدراوردي _ عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله على أله على على ألمسجد وهم مجنبون، إذا توضؤوا وضوء الصلاة (١). وهذا إسناد على شرط مسلم، والله أعلم.

وقـوك : ﴿ وَإِن كُننُم مَرْهَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِننَ ٱلْغَابِطِ أَوْ لَنَمْسُمُمُ ٱلنِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُواْ مَا المرض المبيح للتيمم، فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء، فوات عضو أو شينه أو تطويل البرء، ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض، لعموم الآية.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، حدثنا قيس، عن خُصَيْف، عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِن كُننُم مَّرَهَى ۚ قال: نزلت في رجل من الأنصار، كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم فيناوله، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله هذه الآية (٢)، هذا مرسل والسفر معروف، ولا فرق فيه بين الطويل والقصير.

وقوله: ﴿أَوَّ جَاءً أَحَدُّ مِنكُم مِنَ ٱلْغَايِطِ﴾ الغائط هو المكان المطمئن من الأرض، كُني بذلك عن التغوط، وهو الحدث الأصغر، وأما قوله: ﴿أَوْ لَنَمْسُئُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فقرئ لمستم ولامستم، واختلف المفسرون والأثمة في معنى ذلك على قولين:

(أحدهما): أن ذلك كناية عن الجماع، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ وَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّمَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقَتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعَنَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب: 18].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ لَنَمْسُكُمُ ٱللِّسَاءَ ﴾ قال: الجماع (٣). وروي عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان، نحو ذلك (٤).

وقال ابن جرير: حدثني حميد بن مسعدة، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: ذكروا اللمس، فقال ناس من الموالي: ليس بالجماع، وقال ناس من العرب: اللمس الجماع، قال: فأتيت ابن عباس فقلت له: إن ناساً من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس، فقالت الموالي: ليس بالجماع، وقالت العرب: الجماع، قال: فمن أي الفريقين كنت؟ قلت: كنت من الموالي، قال: غُلب فريق الموالي، إن اللمس والمس والمباشرة: الجماع، ولكن الله يكنى ما شاء بما شاء، ثم رواه عن ابن بشار، عن غندر، عن شعبه به نحوه،

⁽١) صحح سنده الحافظ ابن كثير.

 ⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده خُصيف: صدوق سيء الحفظ اختلط كما في التقريب وأعله
 ابن كثير بالإرسال.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وصححه الحافظ ابن حجر إلى سعيد بن جبير (الفتح ٨/ ٢٧٢).

⁽٤) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وبعض هذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيد ثابتة.

ثم رواه من غير وجه، عن سعيد بن جبير نحوه (۱). ومثله قال: حدثني [يعقوب، حدثنا هشيم] (۲) قال: حدثنا أبو بشر، أخبرنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اللمس والمس والمباشرة: الجماع ولكن الله يكني بما يشاء (۳)، حدثنا عبد الحميد بن بيان، أنبأنا إسحاق الأرزق، عن سفيان، عن عاصم الأحول، عن بكر بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: الملامسة: الجماع، ولكن الله كريم يكني بما يشاء (٤)، وقد صح من غير وجه، عن عبد الله بن عباس، أنه قال ذلك، ثم رواه ابن جرير: عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم، ثم قال ابن جرير وقال آخرون: عنى الله تعالى بذلك كل لمس بيد أو بغيرها من أعضاء الإنسان، وأوجبوا الوضوء على كل من مس بشيء من جسده شيئاً من جسدها مفضياً إليه، ثم قال: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، مس بشيء من حسده شيئاً من جسدها مفضياً إليه، ثم قال: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، الجماع (٥)، وقد رواه من طرق متعددة، عن ابن مسعود بمثله، وروى من حديث الأعمش، عن المجماع (٥)، وقد رواه من طرق متعددة، عن ابن مسعود بمثله، وروى من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: القبلة من المس وفيها الوضوء (٢). روى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: يتوضأ الرجل من المباشرة، ومن اللمس بيده ومن الطبراني يوسناده عن عبد الله بن مسعود قال: يتوضأ الرجل من المباشرة، ومن اللمس بيده ومن الطبراني يوسناده عن عبد الله بن مسعود قال: يتوضأ الرجل من المباشرة، ومن اللمس بيده ومن القبلة [وكان يقول في هذه الآية ﴿ أَوْ لَنَمَسُكُمُ النِسَامَ ﴿ عَنِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ النِسَامَ ﴿ عَنْ اللَّهُ النِسَامَ ﴿ عَنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ النَّمَاءُ أَلْ اللَّهُ عَنْ اللَّهِ اللَّهُ النَّمَاءُ أَلْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ النَّمَاءُ أَلَا اللَّهُ النَّمَاءُ أَلَا اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبيد الله بن عمر، عن نافع: أن ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة، ويرى فيها الوضوء، ويقول: هي من اللماس^(۹). وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً: من طريق شعبة عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله، قال: اللمس ما دون الجماع^(۱۱)، ثم قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عمر، وعبيدة، وأبي عثمان النهدي، وأبي عبيدة - يعني ابن عبد الله بن مسعود -، وعامر الشعبي، وثابت بن الحجاج، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم، نحو ذلك^(۱۱).

(قلت): وروى مالك، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، أنه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسه بيده من الملامسة، فمن قبّل امرأته أو جسها بيده، فعليه الوضوء (١٢).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «يعقوب بن هاشم» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويتقوىٰ بسابقه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ١/٥).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أبو عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود (المجمع ٢٤٧/١)، وقد توبع بواسطة طارق في الرواية السابقة.

⁽٧) زيادة من (مح).

⁽٨) أخرجه الطبراني من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود، وسنده منقطع لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود (مجمع الزوائد ٢٤٧/١).

⁽٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه مالك عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه (الموطأ، باب الوضوء من قبلة الرجل ١/ ٦٥)، وسنده صحيح.

⁽١٠) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، وسنده صحيح.

⁽١١) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقد خرجت آثارهم في تحقيقي لتفسير ابن أبي حاتم، سورة النساء.

⁽۱۲) تقدم تخریجه قبل روایتین.

وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نحو ذلك (۱) ولكن روينا عنه من وجه آخر: أنه كان يقبّل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ (۱) فالرواية عنه مختلفة فيحمل ما قاله في الوضوء إن صح عنه، على الاستحباب، والله أعلم. والقول بوجوب الوضوء من المس، هو قول الشافعي وأصحابه، ومالك، والمشهور عن أحمد بن حنبل رحمهم الله، قال من المس، هو قول الشافعي وأصحابه، ومالك، والمشهور عن أحمد بن حنبل رحمهم الله، قال ناصر هذه المقالة: قد قرئ في هذه الآية ﴿لَكَمَسُمُ و(لمستم) (۱) واللمس يطلق في الشرع على الجس باليد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِنّبًا فِي قِرْطَاسِ فَلَسُوهُ بِأَيْدِيمِ الله الانعام: ١٧] أي: جسوه، وقال رسول الله علي لماعز حين أقر بالزنا، يعرّض له بالرجوع عن الإقرار: «لعلك قبلت أو وسول الله علي لمودن علينا، فيقبل ويلمس (۱)، ومنه ما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله على عن بيع الملامسة (١٠)، وهو يرجع إلى الجس باليد، على كلا التفسيرين، قالوا: ويطلق في اللغة على الجس باليد، كما يطلق على الجماع، قال الشاعر:

وألمست كفي كفّه أطلب الغنى

⁽۱) أخرجه الدارقطني (السنن ۱/٤٤ ح٣٧)، وفي سنده عبد الله بن شبيب وهو متهم بسرقة الحديث وقلب الأخبار (لسان الميزان ٢٩٧/٣).

⁽٢) مسند الفاروق ﷺ (١/١١٥ ـ ١١٧). 💮 (٣) كلتاهما قراءتان متواترتان.

⁽٤) أخرجه البخاري (الصحيح، الحدود، باب هل يقول الإمام للمُقر: لعلك لمست وغمزت ح٢٨٢٤).

⁽٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج ح٦٨٢٤).

⁽٦) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ١٣٥).

⁽۷) صحيح البخاري، البيوت، باب بيع المنابذة (ح٢١٤٦)، وصحيح مسلم، البيوع، باب إبطال بيع الملامسة والمنابذة (ح١٥١١).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦/٣٦٦ ح٢١٤٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره. وهو كما قالوا، فله شواهد صحيحة صححها الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٣٣٦٦ و٣٣٢٩).

⁽٩) سنن الترمذي تفسير سورة هود (ح٣١١٣)، وقد برهن الترمذي على الانقطاع بين ابن أبي ليلي ومعاذ.

⁽١٠) ينظر: تحفة الإشراف (ح١١٣٤٣).

أنه إنما أمره بالوضوء والصلاة للتوبة، كما تقدم في حديث الصديق: «ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر الله له...» الحديث، وهو مذكور في سورة آل عمران، عند قسول ويصلي ركعتين إلا غفر الله له...» الحديث، وهو مذكور في سورة آل عمران، عند قسول الله والله عند والله الله والله و

ثم قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى الله بقوله: ﴿ أَوْ لَكُمُّ لُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ الجماع، دون غيره من معاني اللمس، لصحة الخبر عن رسول الله على أنه قبّل بعض نسائه، ثم صلى ولم يتوضأ، ثم قال: حدثني بذلك إسماعيل بن موسى السدي، قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يتوضأ، ثم يقبل ثم يصلي، ولا يتوضأ، ثم قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن حبيب، عن عروة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ، قبّل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت (٢)، وهكذا رواه أبو داود والترمذي، وابن ماجه، عن جماعة من مشايخهم، عن وكيع به (٣)، ثم قال أبو داود: روي عن الثوري أنه قال: ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزنى، وقال يحيى القطان لرجل: احك عنى أن هذا الحديث شبه لا شيء، وقال الترمذي: سمعت البخاري يضعف هذا الحديث، وقال: حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة (٤). وقد وقع في رواية ابن ماجه: عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد الطنافسي، عن وكيع، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن الزبير، عن عائشة (٥)، وأبلغ من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده: من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة (٢٠)، وهذا نص في كونه عروة بن الزبير، ويشهد له قوله: من هي إلا أنت فضحكت، لكن روى أبو داود عن إبراهيم بن مخلد الطالقاني، عن عبد الرحمن بن مغراء، عن الأعمش، قال: حدثنا أصحاب لنا، عن عروة المزني، عن عائشة. . . فذكره $^{(V)}$ ، والله أعلم.

⁽١) ينظر تخريجه في: تفسير سورة آل عمران آية ١٣٥.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنديه ومتنيه وترجيحه. وصححهما أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري وفي تحقيقه لسنن الترمذي وقد أطال في تخريجه ليبرهن على صحة سنده، وأخرجه الترمذي بإسناده نفسه ومتنه (السنن، الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة ح٨٦).

 ⁽٣) سنن أبي داود، الطهارة، باب الوضوء من القبلة (ح١٧٩)، وسنن ابن ماجه، الطهارة، باب الوضوء من القبلة (ح٥٠٢) قال البوصيري: وقد رواه البزار بإسناد حسن، ورواه المصنف بإسنادين فالحديث حجة بالاتفاق. اهـ.

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٦٥). ولكن الحديث ليس حجة بالاتفاق لأن البعض قد أعله كما أفصح عن ذلك أحمد شاكر وأجاب عن ذلك بالتفصيل في تحقيقه لسنن الترمذي كما تقدم في الحاشية السابقة إشارة.

 ⁽٤) ذكره أبو داود في السنن كما سبق في تخريجه وتتمة كلامه ما يلي: وقد روى حمزة الزيات عن حبيب عن عروة بن الزبير عن عائشة حديثاً صحيحاً. السنن (ح١٨٠).

⁽٥) تقدم تخریجه قبل حاشیتین. (٦) المسند ٢١٠/٦.

⁽٧) السنن، الطهارة، باب الوضوء من القبلة (ح١٨٠).

[وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو زيد، عمر بن شَبّة](١)، حدثنا سهاد بن عباد، حدثنا مندل بن علي، عن ليث، عن عطاء، عن عائشة، وعن أبي روق، عن إبراهيم التيمي، عن عائشة الله علي، عن لنبي على ينال مني القبلة بعد الوضوء، ثم لا يعيد الوضوء (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني، عن إبراهيم التيمي، عن عائشة ولله عن عن الله على ولم يتوضأ (٢)، رواه أبو داود والنسائي، من حديث يحيى القطان، زاد أبو داود: وابن مهدي، كلاهما عن سفيان الثوري به. ثم قال أبو داود والنسائي: لم سمع إبراهيم التيمي من عائشة (١).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن سنان، عن عبد الرحمن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أم سلمة، أن رسول الله على كان يقبلها وهو صائم، ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءاً (٥). وقال أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن عمرو بن شعيب، عن زينب السهمية، عن عائشة، عن النبي على: أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضاً (٢). وقد رواه الإمام أحمد، عن محمد بن فضيل، عن حجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب، عن زينب السهمية، عن عائشة، عن النبي على به (٧).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ عَجِدُوا مَلَهُ فَتَيَمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية: أنه لا يجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد طلب الماء، فمتى طلبه فلم يجده، جاز له حينئذ التيمم، وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع، كما هو مقرر في موضعه، كما هو في الصحيحين من حديث عمران بن حصين: أن رسول الله على رأى رجلاً معتزلاً لم يصل في القوم، فقال: «يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم، ألست برجل مسلم؟» قال: بلى يا رسول الله، ولكن أصابتني جنابة ولا ماء، قال: «عليك بالصعيد فإنه يكفيك» (٨). ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَلَهُ فَتَيَمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فالتيمم في اللغة، هو القصد، تقول العرب: [تيممك] (٩) الله بحفظه؛ أي: قصدك، ومنه قول امرئ القيس شعراً (١٠):

ولـما رأت أن الـمنية وردُها وأن الحصى من تحت أقدامها دام

⁽١) ما بين معقوفين سقط، واستدرك من (حم) و(مح) وتفسير الطبري.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وإبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة ولكنه توبع بالروايات السابقة.

⁽٣) المسند ٦/٦٦ بنحوه وسنده كسابقه.

⁽٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه وتعليقه السنن (ح١٧٨).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف يزيد بن سنان الرهاوي (مجمع الزوائد ١/٢٤٧).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٧) المسند ٦/٢٦، وفيه حجاج بن أرطأة مدلس ولم يصرح بالسماع، وقد توبع فيتقوى بحديث عائشة المتقدم.

⁽A) صحيح البخاري، التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم... (ح٣٤٤)، وصحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الفائتة... (ح٦٨٢).

⁽٩) كذا في النسخة الأزهرية حسب طبعة الشعب، وفي الأصل و(حم) و(مح): «نواك». والمثبت هو الصحيح.

⁽۱۰) في ديوان امرئ القيس ص٤٧٥.

تيممت العين عند ضارج(١) يفيئ عليها الفيء عرمضها(٢) طام

والصعيد قيل: هو كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات، وهو قول مالك، وقيل: ما كان من جنس التراب، كالرمل والزرنيخ والنورة، وهذا مذهب أبي حنيفة، وقيل: هو التراب فقط، وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَنُصِّيحٌ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠] أي: تراباً أملس طيباً، وبما ثبت في صحيح مسلم، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله على: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء» وفي لفظ: «وجعل ترابها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء» "".

قالوا: فخصص الطهورية بالتراب، في مقام الامتنان، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه، والطيب ههنا قيل: الحلال، وقيل: الذي ليس بنجس، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن، إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة، عن عمرو بن [بُجْدان](٤)، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله عليه: «الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم يجد الماء عشر حجج، فإذا وجده فليمسه بشرته فإن ذلك خير» وقال الترمذي: حسن صحيح (٥)، وصححه ابن حبان أيضاً، ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده، عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان.

وقال ابن عباس: أطيب الصعيد تراب الحرث، رواه ابن أبي حاتم^(٦)، ورفعه ابن مردويه في تفسيره.

وقوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ التيمم بدل عن الوضوء في التطهر به، لا أنه بدل منه في جميع أعضائه، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع، ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال:

أحدها: وهو مذهب الشافعي في الجديد: أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين، لأن لفظ اليدين يصدق إطلاقهما على ما يبلغ المنكبين، وعلى ما يبلغ المرفقين، كما في آية الوضوء، ويطلق ويراد بهما ما يبلغ الكفين، كما في آية السرقة ﴿فَأَقَطَعُوّا أَيْدِيهُما﴾ [المائدة: ٣٨] قالوا: وحمل ما أطلق ههنا على ما قيد في آية الوضوء أولى لجامع الطهورية، وذكر بعضهم: ما رواه الدارقطني عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين»(٧)، ولكن لا يصح، لأن في أسانيده ضعفاء، لا يثبت

⁽١) ضارج: اسم مكان اختلف في موضعه (معجم البلدان ٣/٤٥٠).

⁽٢) العرمض: عشب أخضر يعلو الماء.

⁽٣) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (ح٥٢٢).

⁽٤) كذا في (حم)، والمسند والتخريج، وفي (مح): «مجدان»، وفي الأصل: «نجران» وكلاهما تصحيف.

⁽٥) تقدم تخريجه وصحته قبل خمس صفحات.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس، وقابوس لين الحديث كما في التقريب.

⁽۷) سنن الدارقطني ١/١٨٠ (ح١٦)، وضعفه الحافظ ابن حجر (الفتح ١/٤٤١)، وضعفه الحافظ ابن كثير أبضاً.

الحديث بهم، وروى أبو داود عن ابن عمر، في حديث، أن رسول الله على الحائط ومسح بهما وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح ذراعيه (۱)، ولكن في إسناده محمد بن ثابت العبدي، وقد ضعفه بعض الحفاظ، ورواه غيره من الثقات، فوقفوه على فعل ابن عمر، قال البخاري وأبو زرعة وابن عدي: وهو الصواب، وقال البيهقي: رفع هذا الحديث منكر، واحتج الشافعي بما رواه عن إبراهيم بن محمد، عن أبي الحويرث، عن عبد الرحمن بن معاوية، عن الأعرج، عن ابن الصمة: أن رسول الله عليه تيمم فمسح وجهه وذراعيه (۱).

وقال ابن جرير: حدثني موسى بن سهل الرملي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا خارجة بن مصعب، عن عبد الله بن عطاء، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي جهيم، قال: رأيت رسول الله على يبول، فسلمت عليه، فلم يرد علي حتى فرغ، ثم قام إلى الحائط فضرب بيديه عليه، فمسح بهما يديه إلى المرفقين، ثم رد علي السلام (٣).

والقول الثاني: أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين، وهو القول القديم للشافعي.

والثالث: أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ذر، عن ابن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، أن رجلاً أتى عمر، فقال: إني أجنبت فلم أجد ماء، فقال عمر لا تصل، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب فصليت، فلما أتينا النبي في ذكرت ذلك له، فقال: "إنما كان يكفيك" وضرب النبي في بيده الأرض، ثم نفخ فيها ومسح بها وجهه وكفيه (أ). وقال أحمد أيضاً: حدثنا عفان، حدثنا أبان، حدثنا قتادة، عن عزرة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن عمار، أن رسول الله في التيمم: "ضربة للوجه والكفين" (٥).

⁽۱) أخرجه أبو داود من طريق محمد بن ثابت عن نافع، عن ابن عمر، وضعفه بقوله: سمعت أحمد بن حنبل يقول: روى محمد بن ثابت حديثاً منكراً في التيمم. . . لم يتابع محمد بن ثابت في هذه القصة على ضربتين عن النبي على ورووه فعل ابن عمر (السنن، الطهارة، باب التيمم في الحضر ح٣٠٠). وضعفه الحافظ ابن كثير أيضاً.

⁽٢) أخرجه الشافعي بسنده ومتنه (الأم ٢/١٤)، وفي سنده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي: متروك (التقريب ص٩٣) ويشهد له الحديث الصحيح التالي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده خارجة بن مصعب وهو السرخسي متروك كان يدلس عن الكذابين (التقريب ص١٨٦)، وضعفه أحمد شاكر وقد توبع في رواية البخاري فأخرجه عن يحيى بن بكير عن الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج به (الصحيح، التيمم، باب التيمم في الحضر ح٣٣٧).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٢٦٥)، وأخرجه البخاري من طريق شعبة به (الصحيح، التيمم، باب التيمم في الحضر ح٣٣٨).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦٣/٤)، وأخرجه الدارمي من طريق عفان به وصححه (السنن ح١٤٤)، وأخرجه الترمذي من طريق قتادة به وقال: حسن صحيح (السنن الطهارة، باب التيمم ح١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٢٥).

(طريق أخرى) قال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد، عن سليمان الأعمش، حدثنا شقيق، قال: كنت قاعداً مع عبد الله وأبي موسى، فقال أبو موسى لعبد الله: لو أن رجلاً لم يجد المماء لم يصل؟ فقال عبد الله: لا، فقال أبو موسى: أما تذكر إذ قال عمار لعمر: ألا تذكر إذ بعثني رسول الله على وإياك في إبل، [فأصابتني] (الله جنابة فتمرغت في التراب، فلما رجعت إلى رسول الله على أخبرته، فضحك رسول الله على وقال: «إنما كان يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بكفيه إلى الأرض، ثم مسح كفيه جميعاً، ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة؟ فقال عبد الله: لا جرم، ما رأيت عمر قنع بذاك، قال: فقال له أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة النساء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاء فَتَيَمُّوا صَعِيدًا طَيّبًا ﴾؟ قال: فما درى عبد الله ما يقول، وقال: لو رخصنا لهم في التيمم لأوشك أحدهم إذا برد الماء على جلده أن يتيمم (١).

وقال تعالى في آية المائدة: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْفُ ﴾ [المائدة: ٦] استدل بذلك الشافعي، على أنه لا بد في التيمم، أن يكون بتراب طاهر، له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء، كما رواه الشافعي بإسناده المتقدم عن ابن الصمّة: أنه مرّ بالنبي على وهو يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه، حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه، فضرب يده عليه، ثم مسح وجهه وذراعيه (٣).

وقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِن حَرَج ﴾ [المائدة: ٦] أي: في الدين الذي شرعه لكم ﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم ﴾ [المائدة: ٦] فلهذا أباح لكم ، إذا لم تجدوا الماء ، أن تعدلوا إلى التيمم بالصعيد ، ﴿ وَلِيُرِم مَ فَلَيْكُم لَعَلَكُم مَ نَشْكُرُون ﴾ [المائدة: ٦] ولهذا كانت هذه الأمة مختصة [بشرعية] (٤) التيمم ، دون سائر الأمم ، كما ثبت في الصحيحين ، عن جابر بن عبد الله على النال رسول الله على : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل » وفي لفظ : «فعنده طهوره ومسجده » ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة (٥) .

وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم: «فضلنا على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها طهوراً إذا لم نجد الماء»(١٦)، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمُ وَأَيْدِيكُمُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًا غَفُورًا﴾ أي: ومن عفوه عنكم وغفره لكم، أن شرع التيمم، وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء، توسعة عليكم ورخصة لكم،

كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «فأصابني».

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٢٦٥)، وأخرجه البخاري من طريق سليمان الأعمش به نحوه
 (الصحيح، التيمم باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض... ح٣٤٦).

⁽٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة، وأصله صحيح.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: بشريعة.

⁽٥) صحيح البخاري، التيمم (ح٣٥٥)، وصحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (ح٥٢١).

⁽٦) صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة (ح٥٢٢).

وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة، أن تفعل على هيئة ناقصة، من سكر حتى يصحو المكلف ويعقل ما يقول، أو جنابة حتى يغتسل، أو حدث حتى يتوضأ، إلا أن يكون مريضاً أو عادماً للماء، فإن الله على قد أرخص في التيمم، والحالة هذه رحمة بعباده ورأفة بهم، وتوسعة عليهم، ولله الحمد والمنة.

(ذكر سبب نزول مشروعية التيمم) وإنما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية المائدة، وبيانه أن هذه نزلت قبل تحتم تحريم الخمر، والخمر إنما حرم بعد أحد بيسير يقال: في محاصرة النبي على لبني النضير، وأما المائدة فإنها من أواخر ما نزل ولا سيما صدرها، فناسب أن نذكر السبب ههنا، وبالله الثقة.

قال أحمد: حدثنا ابن نمير عن [هشام](۱) عن أبيه، عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله على رجالاً في طلبها فوجدوها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا بغير وضوء، فشكوا ذلك إلى رسول الله، فأنزل الله آية التيمم، فقال أسيد بن الحضير لعائشة: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً.۱

(طريق أخرى) قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، قالت: خرجنا مع رسول الله في في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله في على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله في وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله في واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله في على فخذي فقام رسول الله في حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته أ، وقد رواه [البخاري أيضاً عن قتيبة وإسماعيل (أ)، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن مالك] (١٥٥٥).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن صالح قال، قال ابن شهاب: حدثني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمار بن ياسر: أن رسول الله على عرس

⁽١) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «هاشم» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٥٥)، وسنده صحيح أخرجه البخاري من طريق عبد الله بن نمير به (الصحيح، التيمم، باب إذا لم يجد ماءً ولا تراباً ح٣٣٦).

⁽٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التيمم ح٣٣٤).

⁽٤) صحيح البخاري، فضائل الصحابة (ح٣٦٧٧)، وكتاب التفسير (ح٤٦٠٧).

⁽٥) ما بين معقوفين استدرك من (حم) و(مح).

⁽٦) صحيح مسلم، الحيض، باب التيمم (ح٣٦٧).

بأولات الجيش^(۱) ومعه زوجته عائشة، فانقطع عقد لها من جزع ظفار^(۲)، فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر، وليس مع الناس ماء، فأنزل الله على رسوله رخصة التطهر بالصعيد الطيب، فقام المسلمون مع رسول الله في فضربوا بأيديهم إلى الأرض، ثم رفعوا أيديهم ولم يقبضوا من التراب شيئاً، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب، ومن بطون أيديهم إلى الأباط^(۳). وقد رواه ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا صيفي بن ربعي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن عبيد الله، عن أبي اليقظان، قال: كنا مع رسول الله في فهلك عقد لعائشة، فأقام رسول الله في حتى أضاء الفجر، فتغيظ أبو بكر على عائشة، فنزلت عليه رخصة المسح بالصعيد الطيب، فدخل أبو بكر فقال لها: إنك لمباركة نزلت فيك رخصة، فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والأباط^(٤).

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا [العلاء] (٥) بن أبي سَويّة، حدثني الهيثم بن رُزيق المالكي من بني مالك بن كعب بن سعد وعاش مائة وسبع عشرة سنة، عن أبيه، عن الأهيثم بن شريك، قال: كنت أرحل ناقة رسول الله على فأصابتني جنابة في ليلة باردة، وأراد رسول الله على الرحلة، فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله على وأنا جنب، وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فأمرت رجلاً من الأنصار فرحلها، ثم رضفت (٦) أحجاراً فأسخنت بها ماء فاغتسلت ثم لحقت رسول الله على وأصحابه، فقال: «يا أسلع ما لي أرى رحلتك تغيرت» قلت: يا رسول الله لم أرحلها، رحلها رجل من الأنصار، قال: «ولم؟» قلت: إني أصابتني جنابة فخشيت القرّ (٧) على نفسي، فأمرته أن يرحلها، ورضفت أحجاراً فأسخنت بها إلى أختسلت به، فأنزل الله تعالى ﴿لاَ تَقَرَبُوا الصَكَلُوةَ وَأَنتُم شُكَرَىٰ حَقَى تَقَلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إلا عَامِي سَيلٍ حَتَى تَقَلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلا جُنُبًا وقد روي من وجه آخر عنه أخرا من وجه آخر عنه أخرا الله المنه المناه المنه المنه عنه المنه المنه الله المنه المنه المنه الله المنه الله المنه الله الله تعالى الله تعالى الله تعالى الله تعالى الله الله تعالى الله الله تعالى الله تعالى الله تعالى الله تعالى الله تعلي المنه المنه المنه المنه الله الله الله تعلي المنه الله الله المنه ال

⁽١) عرس باولات الجيش: أي نزل آخر الليل في موضع قرب المدينة المنورة.

⁽٢) أي: قلادة من خرز يماني لأن ظفار بلدة بسواحل اليمن.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠/٣٠ ح١٨٣٢)، وصححه محققوه. وما ورد من صيغة هذا المسح قد وجهه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/٤٤٥).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه أحمد شاكر.

⁽٥) في الأصل: «العباس»، والتصويب من المختارة ٢١٦/٤، وأسد الغابة ١/٩١، والتقريب.

⁽٦) الرضف: واحدتها رضفة، وهي الحجارة المحماة على النار (النهاية ٢/ ٢٣١).

⁽٧) أي: البرد.

⁽٨) أخرجه الضياء المقدسي من طريق ابن مردويه به (المختارة ٢١٦/٤ ـ ٢١٦)، وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير ح٧٨٧)، والبيهقي (السنن الكبرى ١/٥ ـ ٦)، كلاهما من طريق محمد بن مرزوق به. وسنده ضعيف لأن الهيثم بن زريق، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه (لسان الميزان ٢٠٦/٦)، وقال الأثير: فيه نظر (أسد الغابة ١/١٩).

⁽٩) أخرجه الطبري بسند فيه الربيع بن بدر: متروك (التقريب ص٢٠٦).

﴿ وَاللّٰمَ ثَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِنْبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُوا السَّيِيلَ ﴿ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمُّ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِينًا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا ﴿ مِن الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكِلَمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَعِمْنَا وَاسْتَعْ عَنْ مَواضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَعِمْنَا وَاسْتَعْ عَيْرَ مُسْمَعِ وَرَعِنَا لَيَّا بِالسِّنِهِمْ وَطَعْنَا فِى الدِّينُ وَلَوْ أَنَهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ وَلَوْ أَنَهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعْ وَانْظُرُنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقُومَ وَلَئِكِن لَعَنْهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ فَيَهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰهِ عَلَيْكُونَ الْعَلَالُونَ عَيْرًا لَمُعْمَا وَأَقُومَ وَلَئِكُن لَعَنْهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا لِللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰفِيلُونَ اللّٰفِيلُ اللّٰهُ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ الللللّٰهُ اللللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللللللّٰ الللّٰهُ الللللّٰ الللللّٰهُ الللللللْمُ الللللّٰهُ اللللّٰهُ الللللّٰهُ اللللّٰهُ الللللّٰهُ اللللللّٰ اللللللْمُ اللللّٰهُ الللللللللللللللْمُ الللللّٰهُ اللللّٰهُ اللللللللْ

يخبر تعالى عن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد على للهنتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُوا السَّبِيلَ اللهِ أَي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿وَاللّهُ أَعَلَمُ بِأَعْدَآبِكُمُ أَي : هو أعلم بهم ويحذركم منهم، ﴿وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا اللهِ أَي كَفَى به ولياً لمن لجأ إليه ونصيراً لمن استنصره. ثم قال تعالى : ﴿ مِن الّذِينَ هَادُوا ﴾ (من الهي في هذا لبيان الجنس كقوله : ﴿ فَاجْتَكِبُوا الرّبِحْسَ مِن الْأَوْشَانِ ﴾ [الحج : ٣٠].

وقوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكُلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ عَلَى اللهُ عَلَى غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله عَلَى قصداً منهم وافتراء ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أي: يقولون: سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه، هكذا فسره مجاهد وابن زيد (١)، وهو المراد، وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وأنهم يتولون عن كتاب الله بعدما عقلوه وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من [الإثم] (٢) والعقوبة، وقوله: ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ أي: اسمع ما نقول، لا سمعت، رواه الضحاك عن ابن عباس (٣).

وقال مجاهد والحسن: واسمع غير مقبول منك^(٤)، قال ابن جرير: والأول أصح، وهو كما قال: وهذا استهزاء منه واستهتار، عليهم لعنة الله.

﴿ وَرَعِنَا لَيًّا بِٱلسِنَهِم وَطَعَنَا فِي ٱلدِّينَ ﴿ أَي: يوهمون أنهم يقولون: راعنا سمعك بقولهم: راعنا، وإنما يريدون الرعونة، وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَعُولُواْ رَعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْفَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ولهذا قال تعالى: عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ﴿ لَيًّا بِٱلسِنَهِم وَطَعَنَا فِي ٱلدِّينَ ﴾ يعني: بسبهم النبي على ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوَ أَنَّهُم قَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعَنَا وَأَسْمَع وَانظُرُا لَكَانَ خَيْرًا لَمُهُم وَأَقْوَم وَلَكِنَ لَعَنَهُم الله يكُفْرِهِم فَلا يعالى: ﴿ وَلَوَ أَنَّهُم الله يَكُفُوهِم فَلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨] والمقصود أنهم لا يؤمنون إيماناً

⁽۱) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «الملائم».

⁽٣) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وهو لم يسمع ابن عباس.

⁽٤) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه.

﴾ ﴿ يَمَا يُهَا الَّذِينَ أُوقُوا ٱلْكِنَنَبَ ءَامِنُوا عِمَا نَزَلْنَا مُصَدِقًا لِمَا مَعَكُم مِن قَبْلِ أَن نَظمِسَ وُجُوهَا فَنَرُدَّهَا ﴿ عَلَى اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِـ، عَلَى النَّهَ أَوْ يَشْرَكَ بِهِـ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاهُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِنْمًا عَظِيمًا ۞﴾.

يقول تعالى آمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد على من الكتاب العطيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهدداً لهم إن لم يفعلوا بقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدَبَارِهَا ﴾ قال بعضهم: معناه من قبل أن نطمس وجوها، فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد: من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أثراً، ونردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار.

قال العوفي، عن ابن عباس في الآية وهي ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَطّيسَ وُجُوهًا ﴾: وطمسها أن تعمى ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَى آدَبَارِهَا ﴾ يقول: نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم، فيمشون القهقرى، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه (١)، وكذا قال قتادة وعطية العوفي (٢)، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهو مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل، ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى السُبل آ (٣) الضلالة، يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم، وهذا كما قال بعضهم في قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي آغَنَقِهِمْ أَغَلَلًا فَهِي إِلَى آلاَذَقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيدِهِمْ سَدًا وَمِن خَلْفِهِمْ سَدًا وَمِن خَلْفِهِمْ عَن المحم، ومنعهم عن المدى.

قال مجاهد: من قبل أن نطمس وجوهاً، [يقول: عن صراط الحق] (٤) فنردها على أدبارها؛ أي: في الضلالة (٥).

قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عباس والحسن نحو هذا(٢).

قال السدي: فنردها على أدبارها، فنمنعها عن الحق، قال: نرجعها كفاراً ونردهم قردة (٧)، وقال ابن زيد: نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز (٨). وقد ذُكر أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا جابر بن نوح، عن عيسى بن المغيرة، قال: تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب، فقال: أسلم كعب زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمر على المدينة، فخرج إليه عمر فقال: يا كعب، أسلم. فقال: ألستم تقرأون في كتابكم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ

⁽١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

⁽٢) قول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه، وقول عطية العوفي أخرجه الطبري.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سبيل».

⁽٤) سقط في الأصل واستدرك من (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٦) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي به لكن بدون ذكر: ونردهم قردة.

⁽٨) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه لكن بدون ذكر: أرض الحجاز.

حُمِّلُواْ النَّوْرِينَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمْثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ الشَّفَارَا ﴾ [الجمعة: ٥] وأنا قد حملت التوراة، قال: فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، فسمع رجلاً من أهلها حزيناً وهو يقول: ﴿يَتَأَيُّمُا النِّينَ أُونُوا الْكِنَنَ عَلِمُوا مِمَا نَزَلْنَا مُصَدِقًا لِمَا مَعَكُم مِن قَبْلِ اَن نَظْمِسَ وُجُوهًا فَنُرُدَّهَا عَلَى اَدَّبَارِهَا . . ﴾ الذين أُونُوا الْكِنَنَ عَلَي ارب أسلمت مخافة أن تصيبه هذه الآية، ثم رجع فأتى أهله في اليمن، ثم جاء بهم مسلمين (١) وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر من وجه آخر، فقال: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا عمرو بن واقد، عن يونس بن حَلْبَس، عن أبي إدريس عائذ الله الخولاني، قال: كان أبو مسلم الجليلي معلم كعب، وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله على قال: فبعثه إليه لينظر أهو هو؟ قال كعب: فركبت حتى أتيت المدينة، فإذا تال يقرأ القرآن يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الّذِينَ أُونُوا الْكِنَنَ مُصَدِقًا لِمَا مَعَكُم مِن قَبْلِ أَن نَظْمِسَ وُجُوهًا فَنُرُدَهَا عَلَى اَذَبَارِهَا ﴾ فسلام الماء فاغتسلت، وإني لأمسح وجهي مخافة أن أطمس ثم أسلمت (٢).

وقوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كُمَا لَعَنَا آضَحَبَ ٱلسَّبْتِ ﴿ يعني: الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة [على الاصطياد] (٢) وقد مسخوا قردة وخنازير، وسيأتي بسط قصتهم في سورة الأعراف (١). وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولًا ﴾ أي: إذا أمر بأمر فإنه لا يخالف ولا يمانع. ثم أخبر تعالى أنه ﴿لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ ﴾ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَن يَشَامُ ﴾ أي: من عباده، وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر:

(الحديث الأول): قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا صدقة بن موسى، حدثنا [أبو عمران] عمران] الجوني، عن يزيد بن بابنوس، عن عائشة، قالت: قال رسول الله على: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله على: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِمِهِ وقال: ﴿إِنَّ أَللَهُ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِمِهِ وقال: ﴿إِنَّ أَللَهُ عَلَيْ وَالمائدة: ٢٧]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»(٢) تفرد به أحمد.

(الحديث الثاني): قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن مالك، حدثنا زائدة بن أبي الرّقاد، عن زياد النميري، عن أنس بن مالك، عن النبي على قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وقال: ﴿إِنَ الشِّرْكَ لَظُلُمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف جابر بن نوح وهو: الحماني (التقريب ص١٣٦).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً بسبب أن عمرو بن واقد متروك (التقريب ٢/ ٨١).

⁽٣) زيادة من (حم) و(مح). (٤) آية ١٦٣ _ ١٦٦.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «عمران».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٤٠)، وسنده ضعيف بسبب ضعف صدقة بن موسى، وجهالة ابن بابنوس إذا أخرجه الحاكم من طريق صدقه به. كما قرر الذهبي في استدراكه على الحاكم (المستدرك على ٥٧٥ _ ٥٧٥).

بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من $(1)^{(1)}$.

(الحديث الثالث): قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ثور بن يزيد، عن أبي عون، عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية يقول: سمعت رسول الله على يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» (٢) ورواه النسائي عن محمد بن مثنى، عن صفوان بن عيسى به (٣).

(الحديث الرابع): قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر، حدثنا ابن غنم أن أبا ذر حدثه عن رسول الله على قال: «إن الله يقول: يا عبدي ما عبدتني ورجوتني، فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بي، لقيتك بقرابها مغفرة»(٤) تفرد به أحمد من هذا الوجه.

(الحديث الخامس): قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا حسين، عن ابن بريدة أن [يحيى بن يعمر]^(٥) حدثه أن أبا الأسود الديلي، حدثه أن أبا ذر، حدثه قال: أتيت رسول الله على فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، قال: فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر يحدث بهذا ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر (⁽¹⁾). أخرجاه من حديث حسين، به (()).

(طريق أخرى) عنه: قال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر، قال: كنت أمشي مع النبي على في حرة المدينة عشاء، ونحن ننظر إلى أُحد، فقال: «يا أبا ذر» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «ما أحب أن لي أُحداً ذاك عندي ذهباً أمسي ثالثة وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده _ يعني لدين _، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا»، وحثا عن يمينه وبين يديه وعن يساره، قال: ثم مشينا، فقال: «يا أبا ذر [إن الأكثرين هم الأقلون يوم

⁽۱) ذكره الهيثمي في كشف الأستار (ح٣٤٣٩)، وسنده ضعيف بسبب زائدة بن أبي الرقاد: منكر الحديث كما في التقريب ص٢١٣.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٩٩٤)، وسنده صحيح كما يلي:

⁽٣) أخرجه النسائي من طريق صفوان بن عيسى به (السنن، باب تعظيم الدم ٨٣/٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٣١٩)، وحسنه الأرناؤوط (جامع الأصول ٢٠٨/١٠)، وأخرجه الحاكم من طريق صفوان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/٤٥٣).

 ⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٥٤)، وسنده حسن لغيره إذ فيه شهر وهو ابن حوشب:
 صدوق كثير الأوهام والإرسال، وقد صرح بالسماع وله شواهد في الصحيحين تقدمت.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «يحيي بن معمر» وهو تصحيف.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٦٦/٥)، وسنده صحيح كما يلي.

⁽٧) صحيح البخاري، اللباس، باب الثياب البيض (ح٥٨٢٧)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة (ح١٥٤).

القيامة، إلا من قال: هكذا وهكذا»، فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره، قال: ثم مشينا، فقال: «يا أبا ذر](١) كما أنت حتى آتيك» قال: فانطلق حتى توارى عني، قال: فسمعت لغطاً وصوتاً، فقلت: لعل رسول الله علي عرض له، قال: فهممت أن أتبعه، ثم ذكرت قوله: لا تبرح حتى آتيك، فانتظرته حتى جاء، فذكرت له الذي سمعت، فقال: «ذاك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق $^{(7)}$ ، أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به $^{(7)}$ ، وقد رواه البخاري ومسلم أيضاً، كلاهما عن قتيبة، عن جرير بن عبد الحميد، عن عبد العزيز بن رفيع، عن زيد بن وهب، عن أبى ذر، قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله علي يمشى وحده ليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشى معه أحد، قال: فجعلت أمشى في ظل القمر، فالتفت فرآني، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو ذر، جعلني الله فداك. قال «يا أبا ذر تعال». قال: فمشيت معه ساعة، فقال: «إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً» قال: فمشيت معه ساعة، فقال لي: «اجلس ههنا»، فأجلسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: «اجلس ههنا حتى أرجع إليك». قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه، فلبث عني فأطال اللبث، ثم إني سمعته وهو مقبل وهو يقول: «وإن زني وإن سرق» قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبى الله، جعلنى الله فداك من تكلم في جانب الحرة، ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً، قال: «ذاك جبريل عرض لي من جانب الحرة، فقال: بشّر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر $^{(3)}$.

(الحديث السادس): قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: جاء رجل إلى رسول الله على فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان، قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً وجبت له النار»(٥)، وذكر تمام الحديث تفرد به من هذا الوجه.

(طريق أخرى): قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي، حدثنا موسى بن عبيدة الرَّبذِي، أخبرني عبد الله بن عبيدة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً إلا حلت

⁽١) سقط في الأصل، واستدرك من (حم) و(مح) والمسند.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٥٢)، وسنده صحيح كما يلي.

⁽٣) صحيح البخاري، الاستقراض، باب أداء الديون (ح٢٣٨٨)، وصحيح مسلم، الزكاة، باب الترغيب في الصدقة (ح٩٤).

⁽٤) صحيح البخاري، الرقاق، باب المكثرون هم المقلّون (ح٦٤٤٣)، وصحيح مسلم، الزكاة، باب الترغيب في الصدقة (ح٩٤).

⁽٥) أخرجه عبد بن حميد كما في المنتخب (ح١٠٦٠)، وفي سنده عنعنة أبي الزبير عن جابر وابن أبي ليلى وهو: محمد بن عبد الرحمن فيه مقال، وكلاهما توبع فأخرجه مسلم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر (الصحيح، الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ح١٥١).

لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها ﴿إِنَّ ٱللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءٌ ﴾ (١)، ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن جابر: أن النبي على قال: «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب قال: «الإشراك بالله قال: ما من نفس تلقى الله لا الحجاب قال: ها المغفرة من الله تعالى، إن يشاء أن يعذبها وإن يشاء أن يغفر لها ثم قرأ نبي الله ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَامُ ﴾ (١).

(الحديث السابع): قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» (٣) تفرد به من هذا الوجه.

(الحديث الثامن): قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل، عن عبد الله بن ناشر من بني سريع، قال: سمعت أبا رَهْم قاص أهل الشام يقول: سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله على خرج ذات يوم إليهم، فقال لهم: "إن ربكم على خيرني بين سبعين ألفاً يدخلون الجنة غفراً (٤) بغير حساب وبين الخبيئة عنده لأمتي»، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، أيخبأ ذلك ربك؟ فدخل رسول الله على ثم خرج وهو يكبر فقال: "إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفاً والخبيئة عنده» قال أبو رهم: يا أبا أيوب: وما تظن خبيئة رسول الله على فأكله الناس بأفواههم، فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله على فقال أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم أخبركم عن خبيئة رسول الله يهي كما أظن، بل كالمستيقن إن خبيئة رسول الله أن يقول: "رب من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله مصدقاً للنانه قلبه أدخله الجنة» (٥).

(الحديث التاسع): قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى بن يونس (ح)، وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إليّ، قال: حدثنا عيسى بن يونس نفسه، عن واصل بن السائب الرقاشي، عن أبي سورة أبن أخي أبي أيوب الأنصاري، عن أبي أيوب، قال: جاء رجل إلى النبي عليه فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام. قال: «وما دينه؟» قال: يصلي ويوحد الله تعالى. قال: «استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي عليه فأخبره، فقال: «وجدته شحيحاً على دينه» قال: فنزلت الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي عليه لمن ذلك لمن يَشَامُ (٢).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة الربذي كما في التقريب.

⁽٢) في سنده أيضاً موسىٰ الربذي.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٧٩)، وفي سنده عطية وهو العوفي صدوق يخطئ كثيراً كما في التقريب، ويشهد له ما اتفق عليه في الحديث الخامس السابق.

⁽٤) كذا في الأصل: و(حم) و(مح)، وُفي المسند: «عفوا».

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٤١٣)، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد ١٠٩/١٠).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ولفظه، وسنده ضعيف لضعف واصل الرقاشي وضعف أبي سورة كما في التقريب.

(الحديث العاشر): قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك، حدثنا أبي، حدثنا مستور أبو همام الهنائي، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: جاء رجل إلى رسول الله على فقال: يا رسول الله، ما تركت حاجة ولا داجة (١) إلا قد أتيت، قال: «أليس تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟» ثلاث مرات قال: نعم، قال: «فإن ذلك يأتي على ذلك كله» (٢).

(الحديث الحادي عشر): قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوش اليمامي (٣)، قال: قال لي أبو هريرة: يا يمامي لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة أبداً. قلت: يا أبا هريرة، إن هذه كلمة يقولها أحدنا الأخيه [٤] وصاحبه إذا غضب قال: لا تقلها، فإني سمعت رسول الله على يقول: «كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، وكانا متآخيين، وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أبعثت علي رقيباً؟ قال: إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك، أقصر! قال: خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبداً، قال: فبعث الله وربي، أبعثت علي رواحهما، واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت عالماً، أكنت على ما في يدي قادراً؟ اذهبوا به إلى النار _ قال: _ فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته (٥)، ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار، حدثني ضمضم بن جوش به (٢).

(الحديث الثاني عشر): قال الطبراني: [حدثنا أبو شيخ محمد] بن الحسين بن عجلان الأصبهاني، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله على قال: قال الله على: «من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً هذا.

(الحديث الثالث عشر): قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى: حدثنا هدبة بن خالد،

⁽١) أي ما تركت شيئاً دعتني نفسي إليه من المعاصي إلا وقد ركبته... والداجة: الحاجة الكبيرة (النهاية ١/ ٤٥٧ _ ٤٥٦).

⁽٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١٥٥ ح٣٤٣٣)، وصححه محققه، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٨٣/١٠).

⁽٣) كذا في (مح)، وفي الأصل و(حم): «الهنائي».

⁽٤) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند١٤/ ٤٦ ح٨٩٩)، قال محققوه: إسناده حسن ومتنه غريب تفرد به عكرمة.

 ⁽٦) السنن، الأدب، باب في النهي عن البغي (ح٤٩٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٩٧).

⁽V) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «حدثنا شيخ عن محمد».

٨) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١/١١ ح١٦٦٥)، وسنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم كما في التقريب، وأخرجه الحاكم من طريق حفص بن عمر العدني عن الحكم به وصححه وتعقبه الذهبي بأن حفص بن عمر العدني واو (المستدرك ٤/٢٦٢).

حدثنا سهل بن أبي حزم، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من وعده الله على عمل ثواباً، فهو منجزه له، ومن توعده على عمل عقاباً، فهو فيه بالخيار» تفردا به (١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا بحر بن نصر الخولاني، حدثنا خالد ـ يعني: ابن عبد الرحمن الخراساني ـ، حدثنا الهيثم بن جمَّاز عن سلام بن أبي مطيع، عن بكر بن عبد الله المزني، عن ابن عمر، قال: كنا أصحاب النبي على لا نشك في قاتل النفس، وآكل مال اليتيم، وقاذف المحصنات، وشاهد الزور، حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُثُرَكَ بِدِء وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاآهُ ﴾ وشاهد النبي على عن الشهادة (٢). ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن جمَّاز به (٣).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمن المقري، حدثنا عبد الله بن عاصم، حدثنا صالح _ يعني: [المري] (٤) _، حدثنا أبو بشر، عن أبوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا لا نشك فيمن أوجب الله له النار في الكتاب، حتى نزلت علينا هذه الآية ﴿إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَامُ وقال: فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلى الله عَلَى اللهُ عَلَى الله عَ

وقال البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا شيبان بن أبي شيبة، حدثنا حرب بن سُريج، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا ﷺ يقول: ﴿ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ ء وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءٌ ﴾ وقال: ﴿أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة ﴾ (٢).

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، أخبرني مُجَبِّر، عن عبد الله بن عمر أنه قال: لما نزلت ﴿قُلْ يَعِبَادِى اللَّذِينَ السَّرَفُوا عَلَىٰ اَنفُسِهِمْ لَا نَقْنَطُوا مِن رَجْمَةِ اللَّهِ...﴾ إلى آخر الآية [الزمر: ٥٣]، قام رجل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ رَجُلُ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَامُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ اَفْتَرَى إِنَّمًا عَظِيمًا الله ﴾ رواه ابن جرير (٧)، وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر.

⁽۱) أخرجه البزار بسنده ومتنه (مختصر زوائد مسند البزار ۲/۲۰۱۲ ح۲۲۰۶)، وقال الحافظ ابن حجر: سُهيل لا يتابع على حديثه، وكذا أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ۲٫۲۰ ح۳۳۱)، وضعفه محققة لضعف سهيل بن أبي حزم، وهو كما قال فقد ضعفه الحافظ ابن حجر في التقريب ص٢٥٩.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وفي سنده الهيثم بن جماز ضعفه ابن معين وأحمد وأبو حاتم وأبو زرعة (تاريخ ابن معين ٢/٦٢٦، وميزان الاعتدال ٦/٢٠٤، والجرح والتعديل ٩/ ٨١، وقد توبع كما سيأتي في الرواية الثانية ورواية البزار بعدها.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «المزني» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده صالح المري وهو ضعيف كما في التقريب، وقد توبع كما في رواية البزار التالية.

⁽٦) أخرجه البزار بسنده ومتنه (مختصر زوائد مسند البزار ٢/٣٢٦ ح٢٢١٩)، قال الهيثمي: وسنده جيد (مجمع الزوائد ٢/١٣٠٠ ـ ٢١٤).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه به، وأخرجه الطبري من الطريق نفسه =

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿ النَّمْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَفِرَ الْفَلَا عَلَى اللَّهِ الْفَلَا عَلَى اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْلَهُ اللَّهُ الللْهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ الللْهُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْ

قال الحسن وقتادة: نزلت هذه الآية وهي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمَّ﴾ في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿غَنُ ٱبْنَكُوا اللَّهِ وَأَحِبَتُوْمُ ۖ [المائدة: ١٨] (٣).

وقال ابن زيد: نزلت في قولهم: ﴿ فَنَ أَبْنَكُوا اللَّهِ وَأَحِبَّتُوأُم ﴾، وفي قولهم: ﴿ لَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُويًا أَوْ نَصَارَئُ ﴾ [البقرة: ١١١](٤).

وقال مجاهد: كانوا يقدمون الصبيان أمامهم في الدعاء والصلاة يؤمونهم ويزعمون أنهم لا ذنب لهم، وكذا قال عكرمة وأبو مالك، وروى ذلك ابن جرير (٥).

لكن لم يصرح باسم شيخه، وفي سنديهما مجبر مسكوت عنه (تعجيل المنفعة ص٣٩٣، والإكمال لابن ماكولا ١٠٨/٧)، والمشتبه للذهبي ١/٥٧١)، وقد حسن روايته أحمد شاكر لأنه تابعي، كما في تعليقه على تفسير الطبري.

⁽١) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢٢.

⁽٢) في سنده سعيد بن بشير وهو ضعيف كما في التقريب، والحسن البصري اختلف في سماعه من عمران (جامع التحصيل ص١٩٧).

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عنه، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه، وهو معضل ويتقوى بالمرسلين السابقين.

⁽٥) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عكرمة وأبي مالك أخرجهما الطبري بسندين فيهما سفيان بن وكيع وهو ضعيف ويتقوى بسابقه.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ . . ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن أبناءنا توفوا وهم لنا قربة وسيشفعون لنا ويزكوننا، فأنزل الله على محمد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾ الآية، رواه ابن جرير (١٠) .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا ابن حمير، عن ابن لهيعة، عن بشير بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان اليهود يقومون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، وكذبوا، قال الله: إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له، وأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴿(٢). ثم قال: وروي عن مجاهد وأبي مالك والسدي وعكرمة والضحاك، نحو ذلك (٣).

وقال الضحاك: قالوا: ليس لنا ذنوب كما ليس لأبنائنا ذنوب، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَّكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ فيهم (٤٠).

وقيل: نزلت في ذم التمادح والتزكية، وقد جاء في الحديث الصحيح عند مسلم عن المقداد بن الأسود قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب(٥).

وفي الحديث الآخر المخرج في الصحيحين من طريق خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أن رسول الله على أبي سمع رجلاً يثني على رجل، فقال: «ويحك قطعت عنق صاحبك»، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل: أحسبه كذا، ولا يزكي على الله أحداً» (1).

وقال الإمام أحمد: حدثنا معتمر، عن أبيه، عن نعيم بن أبي هند قال: قال عمر بن الخطاب: من قال: أنا مؤمن فهو كافر، ومن قال: هو عالم فهو جاهل، ومن قال: هو في الخطاب: من النار $(^{(\vee)})$. ورواه ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، عن عمر أنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه فمن قال إنه مؤمن فهو [كافر، ومن قال هو عالم فهو] $(^{(\wedge)})$ جاهل، ومن قال إنه في الجنة فهو في النار $(^{(\wedge)})$.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة وحجاج، أنبأنا شعبة، عن سعد بن

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه بنحوه، وسنده ضعيف مسلسل بالضعفاء ويتقوىٰ بالآثار اللاحقة.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده ابن لهيعة ولم يصرح بالسماع وتشهد له الآثار اللاحقة.

٣) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وهذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيد بعضها ثابت.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق علي بن الحكم عن الضحاك.

⁽٥) صحيح مسلم، الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (ح٣٠٠٢).

⁽٦) صحيح البخاري، الشهادات، باب إذا زكي رجلاً كفاه (ح٢٦٦٢)، وصحيح مسلم، الزهد والرقائق (ح٣٠٠٠).

 ⁽٧) أخرجه حنبل بن إسحاق عن الإمام أحمد به (شرح السنة للالكائي ٣/ ٩٧٥ ح١٧٧٧)، وكذا صرح الحافظ
 ابن كثير في مسند الفاروق (٢/ ٤٧٤).

⁽۸) زیادة من (حم) و(مح).

 ⁽٩) أخرجه مسدد من طريق موسىٰ بن عبيدة به (كما في المطالب العالية ١/١٦٠ ح٢١١) وفي سنده موسى بن عبيدة وهو: الربذي ضعيف كما في التقريب.

إبراهيم، عن معبد الجهني، قال: كان معاوية قلما يحدث عن النبي على قال: وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي يك يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإن هذا المال حلو خضر، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه، وإياكم والتمادح فإنه الذبح» (۱)، وروى ابن ماجه منه: «إياكم والتمادح فإنه الذبح» عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن غندر، عن شعبة به (۲)، ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عُليم البصري القدري.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف: هو ما يكون في شق النواة (٥٠). وعن ابن عباس أيضاً: هو ما فتلت بين أصابعك (٢٠). وكلا القولين متقارب.

وقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفَتُرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ ﴾ أي: في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: ﴿لَن يَدَخُلَ الْجَنّةَ إِلّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَعَمَرُئُ ﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿لَن تَمَتَكَا النّارُ إِلَا أَيّامًا مَعْدُودَاتُ ﴾ [آل عمران: ٢٤] واتكالهم على أعمال آبائهم الصالحة، وقد حكم الله أن أعمال الآباء لا تجزي عن الأبناء شيئاً في قوله: ﴿تِلّكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَمّا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مّا كَسَبَتُ وَلَكُم مّا الله وَلَا تُعْمَلُونَ عَمّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ إِللّهِ الله وَلَا يُولَعَى بِهِ وَلَكُم عَالِي الله وافتراء ظاهراً.

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِيكَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاعُوتِ ﴾ أما الجبت، فقال محمد بن إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر بن الخطاب أنه قال: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان (٧٠).

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٩٣/٤) وسنده حسن.

⁽۲) أخرجه ابن ماجه (السنن، الأدب، باب المدح ح٣٧٤٣)، وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ١٨١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٢٨٤).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «كذبت» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق قيس بن مسلم به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/٧٣٧).

⁽٥) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وبقية الآثار ذكرها ابن أبي حاتم بحذف السند، وأخرج بعضها عبد الرزاق والطبري بأسانيد صحيحة.

٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق مجاهد عنه بنحوه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه البخاري معلقاً عن عمر (الصحيح، تفسير سورة =

وهكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدى (١).

وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية: الجبت الشيطان، وزاد ابن عباس: بالحبشية (٢) وعن ابن عباس أيضاً: الجبت الشرك (٣). وعنه: الجبت الأصنام (٤).

وعن الشعبي: الجبت الكاهن (٥).

وعن ابن عباس: الجبت حيي بن أخطب^(۱)، وعن مجاهد: الجبت كعب بن الأشرف^(۷)، وقال العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث: «الطيرة والعيافة والطّرْق من الجبت». قال: وليس هذا من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولَقِيّ (۸).

وهذا الحديث الذي ذكره رواه الإمام أحمد في مسنده، فقال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف [عن حيان أبي العلاء، حدثنا قطن] (٩) بن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن مخارق أنه سمع النبي على قال: «إن العيافة (١١) والطرق (١١) والطيرة (١٢) من الجبت» وقال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض، والجبت، قال الحسن: إنه الشيطان (١٣). وهكذا رواه

النساء، باب ﴿وَإِن كُنُمُ مُرْهَى ﴾ [النساء: ٤٣] قال الحافظ ابن حجر: وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن رسته في كتاب الإيمان كلهم من طريق ابن إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع ابن إسحاق له من حسان وسماع حسان من عمر في رواية ابن رسته (الفتح ٨/ ٢٥٢)، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٥٢).

 ⁽۱) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند وأخرج الطبري وابن المنذر بعضها بأسانيد صحيحة، وقول عكرمة قال الحافظ ابن حجر: وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح (الفتح ٨/ ٢٥٢).

 ⁽۲) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند معلق، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن
 قتادة، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق العوفي عنه.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق حنش بن الحارث عنه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم والطبري بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد.

⁽٨) الصحاح ١/٥٧١.

⁽٩) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «عن الحسان بن العلاء حدثنا قطر» وهو تصحيف.

⁽١٠) العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها (لسان العرب ٩/٢٦١).

⁽١١) الطّرق: الضرب بالحصيٰ، وهو ضرب من التكهن (لسان العرب ١٠/٢١٥).

⁽١٢) الطيرة: التشاؤم بالشيء (النهاية ٣/١٥٢).

⁽١٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠٨/٣٤ ح٢٠٦٠٤)، وضعفه محققوه، وسنده حسن فقد أخرجه ابن حبان (الإحسان ح١٣١)، وحسنه النووي وصححه السيوطي كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٩٩٦/٤)، وحسنه الأرناؤوط (جامع الأصول ٧/ ٦٣٩).

أبو داود في سننه، والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيريهما من حديث عوف الأعرابي به (١). وقد تقدم الكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن الضيف، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله أنه سئل عن الطواغيت، فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين (٣). وقال مجاهد: الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم (٤٠).

وقال الإمام مالك: الطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله ﷺ (٥).

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَتَؤُلآءَ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً﴾ أي: يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء (٦)، ونسقى الماء على اللبن، ونفك العُناة (٧)، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنبور (٨) قطع أرماحنا، واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خيىر وأهـدى سبيلًا، فأنـزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَالطَّلغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَنَوُكَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۞﴾(٩)، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف. [وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، قال: فنزلت ﴿ إِنَّ شَانِعَكَ هُوَ ٱلْأَبْتُرُ ۞﴾ [الكوثر] ونزل ﴿أَلَّهُ تَرَ إِلَى ٱلَّذِيك أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ ﴿ اللَّهِ ﴿ نَصِيرًا ﴾ [الله المُعَالِي اللهُ الله

سنن أبي داود، الطب، باب الخط وزجر الطير (ح٣٩٠٧)، والسنن الكبرىٰ (ح١١١٠٨)، وتفسير ابن أبي

⁽۲) آية ۲٥٦.

أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

الكوماء: الناقة العظيمة السنام (لسان العرب ٢١/ ٥٢٩).

⁽٧) العناة: جمع عاني أي: الأسير (لسان العرب ١٠٢/١٥).

صنبور: بضم الصاد أي: الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر (ترتيب القاموس المحيط ٢/

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكنه مرسل ويشهد له ما يليه إذ رواه ابن أبي حاتم موصولاً كما يلى.

⁽١٠) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق محمد بن أبي عدي به.

⁽۱۱) زیادة من (حم) و(مح).

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان الذين حَزّبوا الأحراب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو عمار ووحوح بن عامر وهوذة بن قيس أبي الحقيق وأبو عمار ووحوح بن عامر وهوذة بن قيس فأمّا وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله عَلى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى فَسُألُوهُم وَتُولُونَ لِلّذِينَ كَفَرُوا هَتُولُاهَ أَهُدَىٰ مِنَ الّذِينَ أَنْ اللّهِ عَلَى مِنَ اللّهِ عَلَى مِنَ اللّهِ عَلَى مِنَ اللّهِ عَلَى مِنَ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْكَ أَوْلُوا نَصِيبًا مِنَ النّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن يَجِدَ لَمُ نَصِيلًا ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن يَجِدَ لَمُ نَصِيلًا ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن يَجِدَ لَمُ نَصِيلًا ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ عَلْمُ اللّهُ عَلْمَ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ عَلِيلًا ﴿ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمَ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا: لهم ذلك، ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق، فكفى الله شرهم ﴿وَرَدَّ اللهُ ٱلدِّينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرً وَكَفَى اللهُ ٱلمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيدًا عَزِيزًا ﴿ وَالاحزابِ].

﴿ وَأَمْ لَمُنُمْ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَنَهُمُ ٱللَّهُ إِللَّهُ مَنْ ءَامَنَ بِهِ. وَمِنْهُم مَن عَلْمُ مَن عَلَى مَا ءَاتَنَهُمُ مَن عَلَى اللهُ عَظِيمًا ﴿ وَمَنْهُم مَن عَلَى اللهُ عَظِيمًا ﴿ وَمَنْهُم مَن عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَظِيمًا ﴿ وَمِنْهُم مَن عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَنْهُم مَن عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُم مَن عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُم مَن عَلَى اللهُ اللهُ

يقول تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلِكِ﴾، وهذا استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم بالبخل، فقال: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ولا سيما محمداً ﷺ شيئاً، ولا ما يملأ النقير وهو النقطة التي في النواة في قول ابن عباس(٢) والأكثيرين.

وهذه الآية كقول تعالى: ﴿قُلُ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَابِنَ رَحْمَةِ رَبِيِّ إِذَا لَأَمْسَكُمُ خَشَيَةَ الإِثْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي: خوف أن يذهب ما بأيديكم مع أنه لا يتصور نفاده وإنما هو من بخلكم وشحكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي: بخيلاً، ثم قال: ﴿أَمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا مَا تَالَمُهُمُ اللهُ مِن فَضَالِةٍ ﴾ يعني: بذلك حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له، لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا يحيى الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن السدي، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمْ يَحَسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَنَهُمُ ٱللَّهُ مِن الربيع، عن السدي، عن عطاء، عن ابن عباس دون الناس، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَهِيمَ ٱلْكِئَبَ

⁽۱) أخرجه ابن إسحاق في سيرته (كما في سيرة ابن هشام ٣/ ١٠٢٤)، وأخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به ونسبه السيوطي إلى ابن إسحاق والطبري (الدر المنثور ٢/ ١٧٢) وسنده حسن، وقد فصلت دراسة هذا الإسناد في مقدمة التفسير الصحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وذكر ابن أبي حاتم خمسة من المفسرين الذين رووه بنحوه.

وَالْحِكْمَةَ وَالْيَنْهُم مُّلَكًا عَظِيمًا ﴾ أي: فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل، الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسنن، وهي الحكمة، وجعلنا منهم الملوك ومع هذا ﴿ وَمِنْهُم مَّنَ ءَامَنَ بِهِ ﴾ أي: بهذا الإيتاء وهذا الإنعام، ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ أي: كفر به وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم؛ أي: من بني إسرائيل، فقد اختلفوا عليهم، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل؟ (١٠).

وقال مجاهد: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ عَهُ أَي: بمحمد ﷺ ، ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ (٢).

فالكفرة منهم أشد تكذيباً لك، وأبعد عما جئتهم به من الهدى، والحق المبين، ولهذا قال: متوعداً لهم ﴿وَكُفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِتَايَنِينَا سَوْفَ نُصَّلِيهِمْ نَارًّا كُلُمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَدُوقُوا الْمَدَابُّ إِنَّ ٱللَّهِ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَالَّذِينَ مَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَحْيْهَا الْمَدَابُ إِنَّ اللَّهُ عَلِيكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلِلَّا ظَلِيلًا ۞﴾.

يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَلِتِنَا سَوْفَ نُصَّلِمِمٌ نَارًا﴾ أي: ندخلهم ناراً دخولاً يحيط بجميع أجرامهم وأجزائهم، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: ﴿كُلَّما نَضِجَتُ جُلُودُهُم بَدَّلَنَهُمٌ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَدُوقُوا ٱلْعَذَابُ ﴿ قَال الأعمش عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها بيضاء أمثال القراطيس، رواه ابن أبي حاتم (٣).

وقال يحيى بن يزيد الحضرمي: أنه بلغه في الآية، قال: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب، ورواه ابن أبي حاتم (٤٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن قوله: ﴿كُلُما نَضِجَتَ جُلُودُهُم . . ﴾ الآية، قال: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة. قال حسين: وزاد فيه فضيل، عن هشام، عن الحسن ﴿كُلُما نَضِجَتَ جُلُودُهُم﴾ كلما أنضجتهم فأكلت لحومهم قيل لهم: عودوا فعادوا(٥). وقال أيضاً: ذكر عن هشام بن عمار، حدثنا سعيد بن يحيى _ يعني سعدان _ حدثنا نافع مولى يوسف السلمي البصري، عن نافع، عن

⁽۱) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ح١١٣١٣)، وفي سنده يحيى الحماني وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٧/٩).

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ثوير فهو: ابن أبي فاختة ضعيف رمي بالرفض كما في التقريب.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عمر بن خالد المعافري عن يحيى بن يزيد الحضرمي بلاغاً ولم يصرح باسم شيخه، وعمر ويحيى لم أجد لهما ترجمة.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكن مثل هذه الأخبار الغيبية لا تؤخذ عن التابعين.

ابن عمر، قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿ كُلُّما نَعِبَتُ جُلُودُهُم بَدَّلَنَهُم جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فقال عمر: أعدها علي، فأعادها، فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ (1) وقد رواه ابن مردويه عن محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن عبدان بن محمد المروزي، عن هشام بن عمار به (1). ورواه من وجه آخر بلفظ آخر، فقال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمران، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا نافع أبو هرمز، حدثنا نافع عن ابن عمر، قال: تلا رجل عند عمر هذه الآية: فقال: فقال عمر: أعدها علي، وثم كعب، فقال: أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الإسلام قال: فقال: هاتها يا كعب فإن جثت بها كما سمعت من رسول الله ﷺ صدقناك، وإلا لم ننظر إليها، فقال: إني قرأتها قبل الإسلام: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله ﷺ وال الربيع بن أنس: مكتوب في الكتاب الأول: أن جلد أحدهم أربعون فراعاً، وسنه تسعون ذراعاً، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ثال وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها في الكتاب الأول: أن جلد أحدهم بدلوا حلوداً غيرها في المعت فيد عبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها في المعت به في الكتاب الأول: أن ألمت النار جلودهم بدلوا

وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من هذا، قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا أبو يحيى الطويل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي على قال: «يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذرعاً، وإن ضرسه مثل أُحد» (قرد به أحمد من هذا الوجه، وقيل: المراد بقوله: ﴿كُلُما نَضِجَتُ جُلُودُهُم﴾ أي: سرابيلهم، حكاه ابن جرير (٢). وهو ضعيف لأنه خلاف الظاهر.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدُخِلُهُمْ جَنَّتِ بَحِرى مِن تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِهَا أَبَداً ﴾ هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها، ومحالها وأرجائها حيث شاءوا وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبداً لا يحولون ولا يزولون ولا يبغون عنها حولاً.

وقوله: ﴿ لَهُمَّ فِيهَا آزُوَجٌ مُطَهَّرَةً ﴾ أي: من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة، والصفات الناقصة، كما قال ابن عباس: مطهرة من الأقذار والأذى (٧). وكذا قال عطاء والحسن

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه لم يصرح باسم شيخه، وكذلك نافع: متروك الحديث (لسان الميزان ١٤٧/٦).

⁽٢) سنده كسابقه بسبب نافع مولى يوسف السلمي.

⁽٣) سنده كسابقه بسبب نافع أبي هرمز وهو نفسه مولى يوسف السلمي.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع به، والروايه صريحة أنها من الإسرائيليات.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٨/٤١٦ ح ٤١٩)، في سنده أبو يحيى الفتات لين الحديث (التقريب ٢٨٤)، وضعف إسناده محققوه. ولقوله: وإن ضرسه مثل أُحد، شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (الصحيح، الجنة وصفة نعيمها ح ٢٨٥).

⁽٦) ذكره الطبري بدون إسناد لأحد (التفسير ٧/١٦٦).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والضحاك والنخعى وأبو صالح وعطية والسدي(١).

وقال مجاهد: مطهرة من البول والحيض والنخام والبزاق والمني والولد^(۲). وقال قتادة: مطهرة من الأذى والمآثم، ولا حيض ولا كلف^(۳).

وقوله: ﴿وَنُدَّخِلُهُمْ ظِلَا ظَلِيلاً﴾ أي: ظلاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً. قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، وحدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، قالا: حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة، عن النبي على قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها؛ شجرة الخلد»(٤).

﴿ ﴿ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن ثُوَّدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ آهَلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحَكُّمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞﴾.

يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها. وفي حديث الحسن، عن سمرة أن رسول الله على قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» رواه الإمام أحمد وأهل السنن (٥)، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله على عباده من الصلوات والزكوات والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع العباد بعضهم على وأمر الله على بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله على قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء»(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قتل في سبيل الله، فيقال: أد أمانتك، فيقول: فأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها أبد الآبدين. قال زاذان: فأتيت البراء فحدثته، فقال: صدق أخى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن ثُودُول الأَمْنَتِ إِلَى آهلِها﴾ (٧).

وقال سفيان الثوري، عن ابن أبي ليلى، عن رجل، عن ابن عباس في الآية، قال: هي مبهمة

⁽١) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة وأبان عن قتادة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأصله في الصحيحين بدون لفظ: «شجرة الخلد».

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد من طريق يوسف بن ماهك عن رجل عن أبيه (المسند ٣/٤١٤)، وكذا أخرجه أبو داود في السنن، الإجازة، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (ح٣٥٣٤)، والترمذي في السنن (ح١٢٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٧٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٠١٨).

⁽٦) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الظلم ح٢٥٨٢).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

للبر والفاحر(١).

وقال محمد بن الحنفية: هي مُسْجَلة للبر والفاجر (٢).

وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها (٤٠).

وقال الربيع بن أنس: هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس (٥).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَنَنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، قال: قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء^(٦)، يعني: يوم العيد.

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة (*) واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة، وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية، وفتح مكة، هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وأما عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، فكان معه لواء المشركين يوم أحد، وقتل يومئذ كافراً، وإنما نبهنا على هذا النسب لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله على هفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه.

وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله على لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد (٨).

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول على قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج» وذكر بقية الحديث في خطبة النبي على يومئذ إلى أن قال: ثم جلس رسول الله في المسجد، فقام إليه على بن أبي طالب

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق وكيع عن سفيان به، وسنده ضعيف بسبب إبهام شيخ ابن أبي ليلي، وكذلك ابن أبي ليلي، وكذلك ابن أبي ليلي وهو محمد بن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ جداً.

⁽٢) لم أجد من أخرجه مسنداً.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق مسروق عن أبي.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽V) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو سنيد ضعيف، وفيه إرسال ابن جريج.

⁽A) سنده حسن وهو في سيرة ابن هشام (١٢٥٣/٤).

ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان، اليوم يوم وفاء وبر»(١).

وروى ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله على: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَمُكُمُ اَن تُوَدُّوا ٱلْمُكْتَتِ إِلَىٰ ٱلْمَهَا قال: لما فتح رسول الله على مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: «أرني المفتاح» فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام إليه العباس، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده، فقال رسول الله على: «أرني المفتاح يا عثمان» فبسط يده يعطيه، فقال العباس مثل كلمته الأولى، فكف عثمان يده. ثم قال رسول الله على: «يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني المفتاح» فقال: هاك بأمانة الله، قال: فقام رسول الله على ففتح باب الكعبة، فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم على المسلاة والسلام - معه قداح يستقسم بها، فقال رسول الله على: «ما للمشركين قاتلهم الله، وما شأن وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة، فأخذ ماء فغمسه فيه، ثم غمس به تلك التماثيل، وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة، فألزقه في حائط الكعبة، ثم قال: «يا أيها الناس هذه وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة، فألزقه في حائط الكعبة، ثم قال: «يا أيها الناس هذه القبلة»، قال: ثم خرج رسول الله على البيت شوطاً أو شوطين ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح، ثم قال رسول الله على: «﴿إِنَّ اللهَ يَامُرُكُمْ أَن تُوَدُّوا ٱلأَمْتَنَتِ إِلَى ٱلمَلِكَا...﴾» ذكر لنا برد المفتاح، ثم قال رسول الله على: «﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُوَدُّوا ٱلأَمْتَنَتِ إِلَى ٱلمَلِكَا...﴾»

وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك، وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا، فحكمها عام، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية: هي للبر والفاجر (٥)؛ أي: هي أمر لكل أحد.

وقوله: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحَكُّمُوا بِالْعَدّلِ ﴾ أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس، ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب: إن هذه الآية إنما نزلت في الأمراء،

⁽١) سنده منقطع وهو في سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٥٤).

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف الحسين وهو سنيد، وإرسال ابن جريج.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو كسابقه وفيه أيضاً إرسال الزهري.

⁽٤) في سنده الكلبي وقد صرح بأن روايته عن أبي صالح عن ابن عباس كذب كما في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن السائب الكلبي.

 ⁽٥) تقدم تخريج قول ابن عباس في الصفحة السابقة.

يعني: الحكام بين الناس (١٠)، وفي الحديث: «إن الله مع الحاكم ما لم يجر فإذا جار وكله الله إلى نفسه (٢٠)، وفي الأثر: «عدل يوم كعبادة أربعين سنة».

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِبًا يَعِظُكُم بِلِهِ ﴾ أي: يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ أي: سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأفعالكم، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، قال: رأيت رسول الله على وهو يُقْري هذه الآية ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ يقول: «بكل شيء بصير» "

وقد قال ابن أبي حاتم: أخبرنا يحيى بن عبدك القزويني، أنبأنا المقري ـ يعني: أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد ـ، حدثنا حرملة ـ يعني: ابن عمران التجيبي المصري ـ، حدثني أبو يونس، سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُوَدُّوا الْأَمَننَتِ إِلَى آهَلِها﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِنًا يَعِظُكُم بِيِّ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾ ويضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه ويقول: هكذا سمعت رسول الله يقرؤها ويضع إصبعيه. قال أبو زكريا: وصفه لنا المقري، ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنى على عينه اليمنى، والتي تليها على الأذن اليمنى، وأرانا فقال: هكذا وهكذا (٤).

رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه (٥)، وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقري بإسناده نحوه. وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبر.

﴿ يَمَا يُمَا يَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْنِ مِنكُمْ ۚ فَإِن نَنَزَعْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُشُتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيُوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞﴾.

قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

⁽۱) ذكره ابن أبي حاتم ونسبه للمذكورين بحذف السند، وقول زيد بن أسلم أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق أبي مكين عنه (المصنف ۲۲۲/۱۲ رقم ۱۲٦۰۹).

⁽٢) أخرجه الترمذي بنحوه من حديث عبد الله بن أبي أوفى (السنن، الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل ح٢٩)، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وكذا أخرجه ابن ماجه (السنن، الأحكام، باب التغليط في الحيف والرشوة (ح٢٣١٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٨٧٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٩٣/٤).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب تفرد ابن لهيعة وعدم تصريحه بالسماع.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ثابت كما يلي.

⁽٥) سنن أبي داود، السنة، باب في الجهمية (ح٤٧٢٨)، والإحسان (ح٢٦٥)، والمستدرك ٢٤/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد ٣/ ٦٨٨)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده قوي على شرط مسلم (الفتح ٣/ ٣٧٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٩٥٤).

قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول الله على في سرية (١)، وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعور به. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن [سعد بن عبيدة] (٣) عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: بعث رسول الله على سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله الأنصار تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: اجمعوا لي حطباً، ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها، قال: فهم القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله على أن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، قال: فرجعوا إلى رسول الله على أخبروه، فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف» (٤). أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به (٥).

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن عبيد الله، حدثنا نافع، عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله على قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» وأخرجاه من حديث يحيى القطان (٢٠).

وعن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»، قال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»، أخرجاه (٧).

وفي الحديث الآخر: عن أنس أن رسول الله على قال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أمّر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زيبية»، رواه البخاري (٨).

وعن أبي هريرة والله قطي قال: أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مُجَدّع

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . . ﴾ [النساء: ٥] -٤٥٨٤).

⁽٢) صحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء... (ح١٨٣٤)، وسنن أبي داود، الجهاد، باب الطاعة (ح٢٦٢٤)، وسنن الترمذي، الجهاد، باب ما جاء في الرجل يبعث وحده سرية (ح١٦٧٢)، وسنن النسائي، الجهاد، باب قوله تعالى: ﴿وَأُولِي ٱلْأَمْنِي مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٥] //١٥٤ ـ ١٥٥.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «سعيد بن عبيدة» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٦٢٢) وسنده صحيح.

⁽٥) صحيح البخاري، الأحكام، باب السمع والطاعة (ح٧١٤٥)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (ح١٨٤٠).

⁽٦) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الجهاد، باب في الطاعة ح٢٦٢٦)، وهو صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، الجهاد، باب السمع والطاعة ح٢٩٥٥)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء... (ح١٨٣٩).

⁽٧) صحيح البخاري، الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً...» (ح٧٠٥٠)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (ح٠١٨٤٠).

⁽٨) صحيح البخاري، الأذان، باب أمامة العبد والمولى (ح٦٩٣).

الأطراف، رواه مسلم(۱).

وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله على يخطب في حجة الوداع يقول: "ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، اسمعوا له وأطيعوا" رواه مسلم (٢)، وفي لفظ له: "عبداً حبشياً مجدوعاً".

وعن ابن عباس على قال: قال رسول الله على: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»، أخرجاه (٥٠).

وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ: يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم (٢).

وروى مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله على في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في [جشره] (۱) إذ نادى منادي رسول الله على الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله على فقال: «إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فلمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو

⁽١) صحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء... (ح١٨٣٧).

⁽٢) صحيح مسلم، الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً (ح١٢٩٨).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً بسبب عبد الله بن محمد بن عروة، متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات (لسان الميزان ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).

 ⁽٤) صحيح البخاري، الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ح٣٤٥٥)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (ح١٨٤٢).

⁽٥) صحيح البخاري، الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمور تنكرونها» (ح٧٠٥٣)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (ح١٨٤٩).

⁽٦) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٨٤٤).

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وصحيح مسلم، وفي الأصل: «شجرة» وهو تصحيف.

يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»، قال: فدنوت منه فقلت: أنشدك بالله، آنت سمعت هذا من رسول الله على أفهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا، والله تعالى يقول: ﴿يَثَالَيُهَا الّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُوا أَمُولَكُم بِينَا بالباطل، ونقتل أنفسنا، والله تعالى يقول: ﴿يَثَالَهُم وَلا نَقْتُلُوا أَنفُسَكُم إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ بيننا بالباطل، واحمه في معصية الله (١). والأحاديث في هذا كثيرة.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا أسباط، عن السدي في قوله: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُرٌّ ﴾ قال: بعث رسول الله عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر، فساروا قبل القوم الذين يريدون، فلما بلغوا قريباً منهم عرّسوا وأتاهم [ذو العُيينتين](٢) فأخبرهم، فأصبحوا قد هربوا غير رجل فأمر أهله فجمعوا متاعهم، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد، فسأل عن عمار بن ياسر فأتاه فقال: يا أبا اليقظان، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قومى لما سمعوا بكم هربوا، وإنى بقيت فهل إسلامي نافعي غداً، وإلا هربت؟ قال عمار: بل هو ينفع فأقم، فأقام، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل، فأخذه وأخذ ماله، فبلغ عماراً الخبر، فأتى خالداً فقال: خل عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني، فقال خالد: وفيم أنت تجير؟ فاستبا وارتفعا إلى النبي ﷺ فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير، فاستبا عند رسول الله ﷺ فقال خالد: أتترك هذا العبد الأجدع يسبني، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد لا تسب عماراً فإنه من يسب عماراً يسبه الله، ومن يبغضه يبغضه الله، ومن يلعن عماراً يلعنه الله» فغضب عمار فقام فتبعه خالد فأخذ بثوبه فاعتذر إليه فرضي عنه، فأنزل الله عَلَى قوله: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأُمِّي مِنكُمُّ ﴿ " وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق، عن السدي مرسلاً، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظُهير، عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. . . فذكره بنحوه ^(٤)، والله أعلم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُولَ ٱللَّهُ يعني: أهل الفقه والدين (٥٠). وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية: ﴿وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُولَ ﴾ يعني: العلماء (٢٠).

⁽١) صحيح مسلم، الإمارة، (ح١٨٤٤).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «ذو العينين» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن لكنه مرسل.

⁽٤) سنده ضعيف جداً بسبب الحكم بن ظُهير متروك رمي بالرفص واتهمه ابن معين (التقريب ص١٧٥).

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص٧٣ بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به.

⁽٦) ذكرهم أبن أبي حاتم جميعاً بحذف السند إلا قول مجاهد فقد أسنده، وقول مجاهد أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بسند صحيح من طريق الأعمش عن مجاهد (كتاب العلم ص١٢٤)، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق =

والظاهر _ والله أعلم _ أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم. وقد قال تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّيَنِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَلِمُ الْإِنْمَ وَأَكِهِمُ السَّحْتَ ﴾ [المائدة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ فَسَنُلُوا أَهَلَ الذِّكِرِ إِن كُنتُم لَا تَعَامُونَ ﴾ [النحل: ٣٤]، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطعاني، ومن عصى أميري فقد عصاني (١١)، فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَطِيعُوا الله ﴾ أي: اتبعوا كتابه ﴿ وَأَطِيعُوا الله لا في الرسنته ﴿ وَأُولِي الْأَمْ مِن مَعْمِية الله كما تقدم في الحديث الصحيح: «إنما الطاعة في المعروف».

وقوله: ﴿ فَإِن نَنْزَعْنُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف؛ أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله (٣). وهذا أمر من الله ولله والسنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اَخْلَقَتُمُ فِيهِ مِن شَيْءٍ وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اَخْلَقَتُمُ فِيهِ مِن شَيْءٍ وَفَرَعُهُ وَاللهُ ﴾ والشورى: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلى الله ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنُمُ تُوْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَّوْمِ الآخِرِ ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ إِن كُنُمُ وَمِنُونَ بِاللّهِ وَالنّوْمِ الآخِرِ ﴾ فدل على أنه من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر.

وقوله: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي: وأحسن عاقبة ومآلاً كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء، وهو قريب.

بسند صحيح عن معمر عنه، وقول عطاء _ وهو ابن السائب _ أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الملك العرزمي عنه، وقول أبي العالية أخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عنه (المصنف ٢١٣/١٢ رقم ١٢٥٨١).

⁽۱) صحيح البخاري، الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ أَللَهُ . . .﴾ [آل عمران: ١٣٢] (ح٧١٣٧)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمير (ح١٨٣٥).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٢٦/٤)، في سنده أبو مراية العجلي البصري مسكوت عنه وذكره ابن حبان في الثقات (تعجيل المنفعة ص٥١٩)، وله شاهد في صحيح مسلم، الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء (ح١٨٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٨١).

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد، وليث فيه مقال ولكن معناه صحيح وقد ثبت مثله عن السدي فيما رواه عنه الطبري بسند حسن وثبت عن قتادة فيما رواه الطبري بسند حسن.

﴿ وَاَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ٱنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوا إِلَى ٱلطَّلْغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكُفُرُوا بِهِّ وَيُرِيدُ ٱلشَّيَطُلُنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَلًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنذِلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ ٱيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَعْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدُنَا إِلَّا إِحْسَنَا وَقَوْفِيقًا ۞ أُولَتَهِكَ وَالَذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَهُمْ فِي ٱلفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ۞ .

هذا إنكار من الله على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف(١). وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية(٢)، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا، ولهذا قال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ . . . ﴾ إلى آخرها.

وقوله: ﴿يَصُدُونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتَّبِعُواْ مَاۤ أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدَّنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [لقمان: ٢] وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ النَّهُ وَرَسُولِهِ النَّهُ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ اللهُ وَيَسُولِهِ النور].

ثم قال تعالى في ذم المنافقين: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا آصَبَتَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ أَيْدِيهِم ﴾ أي: فكيف بهم إذا ساقتهم المقادير إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك ﴿ ثُمَّ جَا وُكَ يَعْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَنَا وَقَوْفِيقًا ﴾ أي: يعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى أعدائك إلا الإحسان والتوفيق؛ أي: المداراة والمصانعة لا اعتقاداً منا صحة تلك الحكومة، كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله: ﴿ فَتَكَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ يُسُرِعُونَ فِيمْ يَقُولُونَ نَعْتَىٰ إلى قوله: ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُوا فِي أَنفُسِمٍ نَدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقد قال الطبراني: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد [الحوطي] (٣)، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فأنزل الله عَلَا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنّهُمُ عَنَا وَوَ فِيماً أَزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إحسَنا وَتَوْفِيقًا ﴾ (٤).

⁽۱) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بمرسلين رواهما الطبري أحدهما رواه بسند صحيح عن مجاهد وآخر رواه بسند جيد عن الربيع بن أنس.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح إلى مجاهد أن المتخاصمين رجل منافق وآخر يهودي.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الجعطي» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ح١٢٠٤٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي اليمان به وقال الهيثمي عن سند الطبراني: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/٩)، وصححه السيوطي في الدر المنثور ٢/٩).

ثم قال تعالى: ﴿أُولَتِهِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك، فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتف به يا محمد فيهم، فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له: ﴿فَأَعْرِضَ عَنْهُمُ أَي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر، ﴿وَقُل لَهُمْ على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر، ﴿وَقُل لَهُمْ فِي النَّهُمِ اللَّهُ عَلَيْهُمُ أَي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَ ظَلْمَوَا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ۖ فَاسْنَغَفُرُواْ اللَّهَ وَاسْنَغْفَكَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ فَوَابُنَا رَّحِيمًا ۞ فَلَا وَرَبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ لِيُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي آنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِمُوا شَيْلِيمًا ۞﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَا آرَسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَاعَ﴾ أي: فرضت طاعته على من أرسله إليهم. وقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال مجاهد؛ أي: لا يطيع أحد إلا بإذني (١١). يعني: لا يطيعهم إلا من وفقته لذلك.

كقوله: ﴿وَلَقَكُ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعَدَهُ وَ إِذْ تَحُسُونَهُم بِإِذْنِهِ ﴿ وَلَوْ أَنَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ﴾ الآية، يرشد تعالى وقدره ومشيئته وتسليطه إياكم عليهم. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَهُمْ إِذْ ظَللَمُوا أَنفُسَهُم ﴾ الآية، يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ، فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿وَلَوَجَدُوا الله تَوَابُ اللهِ عَليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿وَلَوَجَدُوا الله تَوَابُ رَحِيمًا ﴾ وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه [الشامل](٢) الحكاية المشهورة عن العتبي ٢٠٠٠)، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَهُمْ إِذْ ظَللُمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغَفَرُوا الله وَلَمْ أَنشُهُمُ أَرْسُولُ لَوَجَدُوا أَلله تَوَّابُ رَحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي الفدا لقبر أنت ساكنه فيه العفأف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: «يا عتبي، إلحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له»(٤).

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَر بَيْنَهُمْ ﴿ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الشمائل» وهو تصحيف.

⁽٣) العتبي: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي، ومن تصانيفه العتبية وهي مستخرجة من سماعات مالك بن أنس، مات سنة ٢٥٤هـ (جذوة المقتبس ص٣٦، وشذرات الذهب ١٢٩/٢).

⁽٤) وهذه القصة ذكرها النووي في المجموع ٨/٢١٧، وهي تعتمد على المنامات، وعدم ذكرها أولى.

الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي آنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمًا فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ شَلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة، ولا منازعة، كما ورد في الحديث: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لم جئت به»(١).

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، قال: خاصم الزبير رجلاً في شريج من الحرة (٢)، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله على الله على الله على الله على الله على الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيِّنَهُمْ (٣). هكذا رواه البخاري ههنا، أعني في كتاب التفسير من صحيحه من حديث معمر، وفي كتاب الشرب من حديث ابن جريج ومعمر أيضاً، وفي كتاب الصلح من حديث شعيب بن أبي حمزة، ثلاثتهم عن الزهري، عن عروة٠٠٠ فذكره (٤)، وصورته صورة الإرسال، وهو متصل في المعنى، وقد رواه الإمام أحمد من هذا الوجه فصرح بالإرسال، فقال: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن الزبير كان يحدث أنه كان يخاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى النبي على في شراج الحرة، كان يسقيان بها كلاهما، فقال النبي على للزبير «اسق ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله عليه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» فاستوعى النبي ﷺ للزبير حقه، وكان النبي ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله عليه استوعى النبي على للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: فقال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِـدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيَّتَ وَيُسَلِّمُوا شَلِيمًا ١٠٥٥ ، هكذا رواه الإمام أحمد(٥)، وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير، فإنه لم يسمع منه، والذي يقطع به أنه سمعه من أخيه عبد الله، فإن أبا

⁽۱) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح١٥)، وضعفه الألباني بسبب ضعف نعيم بن حماد أحد رواة هذا الحديث، وصححه النووي وتعقبه ابن رجب (جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٣١).

⁽٢) شريج من الحرة: أي مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود (النهاية /٢) ٢ (٢٥).

 ⁽٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ [النساء: ٦٥] ح٤٥٨٥).

⁽٤) الصحيح، المساقاة، باب شرب الأعلى قبل الأسفل (ح٢٣٦١، ٢٣٦٢)، وكتاب الصلح، باب إذا أشار الإمام بالصلح... (ح٢٧٠٨).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١٤١٩).

محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، رواه كذلك في تفسيره، فقال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني الليث ويونس، عن ابن شهاب، أن عروة بن الزبير حدثه أن عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام، أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع النبي علي إلى رسول الله ﷺ، في شراج الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسقِ يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» واستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ، استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، فقال الزبير: ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِــدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسَلِيمًا ﴿ اللهِ اللهِ الله النسائي من حديث ابن وهب به. ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث به (٢). وجعله أصحاب الأطراف في مسند عبد الله بن الزبير. وكذا ساقه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن الزبير، والله أعلم. والعجب كل العجب من الحاكم أبي عبد الله النيسابوري فإنه روى هذا الحديث من طريق ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، عن عروة، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير. . . ، فذكره، ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (٣٠). فإني لا أعلم أحداً قام بهذا الإسناد عن الزهري بذكر عبد الله بن الزبير غير ابن أخيه، وهو عنه ضعيف.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن علي أبو دحيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا ابن عيبنة، عن عمرو بن دينار، عن سلمة رجل من آل أبي سلمة، قال: خاصم الزبير رجلاً إلى النبي على فقضى للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت: ﴿فَلَا وَرَبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآية (٤)، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو حيوة، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال: نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة، اختصما في ماء، فقضى النبي على أن يسقى الأعلى ثم الأسفل، هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري (٥).

(ذكر سبب آخر غريب جداً) قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى _ قراءة _،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه.

 ⁽۲) مسند أحمد ٤/٤، وسنن أبي داود، الأقضية، أبواب من القضاء (ح٣٦٣٧)، وسنن الترمذي، الأحكام،
 باب في الرجلين يكون أحدهما أسفل... (ح١٣٦٣) وقال: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، الرهون،
 باب الشرب من الأودية (ح٠٤٤٠).

⁽٣) المستدرك ٣/ ٣٦٤.

⁽٤) سنده مرسل ووصله الحميدي من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سلمة عن أم سلمة (المسند ح٠٠٠).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكنه مرسل قال الحافظ ابن حجر: إسناده قوي مع إرساله، فإن كان سعيد بن المسيب سمعه من الزبير فيكون موصولاً (الفتح ٥/٣٥).

أخبرنا ابن وهب، وأخبرني عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: اختصم رجلان إلى رسول الله على النعم، انطلقا إليه، فلما أتيا إليه، فقال الرجل: يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله على هذا. فقال: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فردنا إليك: فقال: أكذاك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما. فخرج إليها مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فأتى إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، قتل عمر والله صاحبي، ولولا أني أعجزته لقتلني، فقال رسول الله على الله على المؤلل أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله: ﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَكَر بَيّنَهُم ثُمّ لَا يَجِدُوا فِي آنفُسِهم حَرّا فأنزل الله: فكره الله أن يسن فأنزل ﴿ وَلَوْ أَنّا كُنبّنا عَلَيْهم أَن أَنْسُكُم مَل عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فأنزل ﴿ وَلَوْ أَنّا كُنبّنا عَلَيْهم أَن أَنْسُكُم مَل من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فأنزل ﴿ وَلَوْ أَنّا كُنبّنا عَلَيْهم أَن أَنْسُكُم مَل من قالم، وابن لهيعة ضعيف. ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به، وهو أثر غريب مرسل، وابن لهيعة ضعيف.

(طريق أخرى) قال الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في تفسيره: حدثنا شعيب بن شعيب، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا عتبة بن ضمرة، حدثني أبي أن رجلين اختصما إلى النبي على فقضى للمحق على المبطل، فقال المقضي عليه: لا أرضى، فقال صاحبه: فما تريد؟ قال: أن نذهب إلى أبي بكر الصديق، فذهبا إليه، فقال الذي قضي له: قد اختصمنا إلى النبي على فقال أبو بكر: أنتما على ما قضى به رسول الله بله أبى صاحبه أن يرضى فقال: نأتي عمر بن الخطاب، فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي فقضى لي عليه، فأبى أن يرضى، فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا وَلمْ وَلَا لا وَلمْ وَ

﴿ وَلَوْ أَنَا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِينرِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلَا قَلِيلٌ مِنهُمُّ وَلَوْ أَنَهُمَ فَعَلُوهُ اللّهِ قَلِيلٌ مِنهُمُّ وَلَوْ أَنَهُمَ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ. لَكَانَ خَيْرًا لَمُهُمْ وَأَشَدَ تَنْهِيتًا ۞ وَإِذَا لَآتَيْنَهُم مِن لَدُنَّا أَجَرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَهُمْ مِن لَدُنَّا أَجَرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَهُمْ مِن النَّبِيتُ وَالصِّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ مِرَطًا مُسْتَقِيمًا ۞ وَمَن يُطِع اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأَوْلَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيتِينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّلِحِينُ وَحَسُنَ أُولَتِهِكَ رَفِيقًا ۞ ذَلِكَ ٱلْفَصْلُ مِن اللّهِ وَكَفَىٰ بِاللّهِ عَلِيمًا ۞ .

يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه، لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان، فكيف كان يكون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كَنَبّنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوّا أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَرِكُم مَا فَعَلُوهُ إِلّا قَلِيلٌ مِّنهُم ﴾.

قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثني إسحاق، حدثنا أبو الأزهر، عن إسماعيل، عن أبي

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده معضل لأن أبا الأسود لم يلق أحداً من الصحابة فهو تابع تابعي.

⁽٢) سنده مرسل لأن ضمرة تابعي.

إسحاق [السبيعي] (١) ، قال: لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَا كَنَبّنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوّاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِينَرِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلّا قَلِيلٌ مِّنَهُمٌ ﴾ ، قال رجل: لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال: «إن من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن منير، حدثنا روح، حدثنا هشام، عن الحسن قال: لما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَنَبِّمَ أَنِ ٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ . . . ﴾ الآية، قال أناس من أصحاب النبي ﷺ: لو فعل ربنا لفعلنا، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «للإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي» (٣).

وقال السدي: افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنكُم الفعلنا، كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنكم الفهان ثابت: والله لو كتب علينا أن اقتُلُوّا أنفُسكُم الفعلنا، فأنزل الله هذه الآية. رواه ابن أبي حاتم (٤) وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا بشر بن السري، حدثنا مصعب بن ثابت، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير قال: فيلان، حدثنا بشر بن السري، حدثنا مصعب بن ثابت، عن عمه عامر أن فعلوه إلا قليل مِنهم قال لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنّا كُنبُنا عَلَيْهِم أَنِ اقْتُلُوّا أَنفُسَكُم أَو اخْرُجُوا مِن دِينوكُم مّا فَعَلُوه إلا قليلٌ مِنهُم قال أو بكر، يا رسول الله والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت. قال: «ولو أن كَنبُنا عَلَيْهم أن أقتل الله عن قوله: ﴿وَلَوْ أَنّا كُنبُنا عَلَيْهم أَنِ اقْتُلُوّا أَنفُسَكُم أَو اخْرُجُوا مِن دِينوكُم مّا فَعَلُوه إلا قليلُ مِنهم قال: قال رسول الله على الو نزلت الكان ابن أم عبد منهم (٢).

وحدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد، قال: لما تلا رسول الله على هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنهُمْ الله الله على الله بيده إلى عبد الله بن رواحة، فقال: «وَلَوْ أَن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل» يعني: ابن رواحة (٧)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل» يعني: ابن رواحة (٧)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَهُمْ فَعَلُوا مَا ينهون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ أنَّهُمْ فَعَلُوا مَا ينهون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ الله عن مخالفة الأمر وارتكاب النهى ﴿وَأَشَدَ تَتَّبِيتًا ﴾.

قال السدي: أي: وأشد تصديقاً (^) ﴿ وَإِذَا لَاَتَيْنَاهُم مِن لَدُنَّآ ﴾ أي: من عندنا ﴿ أَجُرًا عَظِيمًا ﴾ يعني: الحبنة ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ مِن اللّهَ عَلَيْهِم أَي : في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعِلِع اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِهِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِنَ النّبِيِّينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشَّهَدَآءِ وَالصَّلِحِينَ وَكَسُنَ أُولَئِهِكَ رَفِيقًا فَاللّهُ عَلَيْهِم أَللهُ عَلَيْهِم مِنَ النّبِيِّينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّلِحِينَ وَكَسُنَ أُولَئِهِكَ رَفِيقًا فَاللّهُ عَنْ مِعل بما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عَمَل بما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عَمَل بما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عَمَل بما أمره الله به

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «الشعيبي» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ويتقوى بالمرسل التالي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن مرسل.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده حسن لكنه مرسل.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن مصعب بن ثابت لين الحديث كما في التقريب، وعامر لم يدرك أبا بكر الصديق.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن لكنه مرسل.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومته، وسنده حسن لكنه مرسل لأن شريح بن عبيد تابعي.

⁽٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء والصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَكَيِكَ رَفِيقًا﴾.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله على يقول: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة» وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» فعلمت أنه نُحير (۱). وكذا رواه مسلم من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم به (۲). وهذا معنى قوله على الحديث الآخر: «اللهم الرفيق الأعلى» ثلاثاً ثم قضى (۳).

ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة:

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله على وهو محزون، فقال له النبي على: «يا فلان ما لي أراك محزوناً؟» فقال: يا نبي الله شيء فكرت فيه، فقال: ما هو؟ قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد النبي على شيئاً، فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِع اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَتَهِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيتِينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَلَمَ اللهُ عَن وَعَمُن أُولَتِهِكَ رَفِيها اللهُ قال: فبعث النبي على فبشره (٤٠). وقد روي هذا الأثر مرسلاً عن مسروق، وعن عكرمة، وعامر الشعبي وقتادة، وعن الربيع بن أنس وهو من أحسنها سياقاً.

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿ فَأُولَتِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيْنَ﴾ [النساء: ٦٩] ح٤٥٨٦).

⁽٢) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة راح ٢٤٤٤).

⁽٣) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضيح البخاري، المغازي، باب مرض النبي على ح ٢٤٣٧)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢٤٤٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي ضعيف، وفيه إرسال سعيد بن جبير، ويتقوى بالآثار والأحاديث التالية.

⁽٥) قول مسروق أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي الضحىٰ عنه لكنه مرسل، وقول عكرمة أخرجه ابن حاتم بسند ضعيف، وقول الشعبي أخرجه الطبري بسند ضعيف وستأتي رواية أخرىٰ عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن مرسل، وقول الربيع كما يلي.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده جيد لكنه مرسل.

وقد روي مرفوعاً من وجه آخر، فقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: جاء رجل إلى النبي على فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي على حتى نزلت عليه ﴿وَمَن يُطِع الله وَالرَّسُولَ فَأُولَتِكَ مَع النِّينَ أَنْمَ الله عليم مِن النِّيتِين وَالمُّدِيقِين وَالشُّهَدَاء والمُسْول فَا وَلَتُهُ الله عليم مِن النِّيتِين وَالمُّدِيقِين وَالشُّهَدَاء والمُسْول فَا أَولَتِكَ مَع الذِّينَ أَنْمَ الله عليم مِن النَّبِيتِين وَالمُّهَدِيقِين وَالشُّهَدَاء والما الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه في صفة الجنة من طريق الطبراني، عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال، عن عبد الله بن عمران العابدي به، ثم قال: لا أرى بإسناده بأساً، والله أعلم.

وقال ابن مردويه أيضاً: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا أبو بكر بن ثابت ابن عباس المصري، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عامر الشعبي، عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي على فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك علي، وأحب أن أكون معك في الدرجة، فلم يرد عليه النبي على شيئاً، فأنزل الله على هذه الآية (٢). وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء، عن الشعبي مرسلاً (٣).

وثبت في صحيح مسلم من حديث [هقل]^(٤) بن زياد عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند النبي على فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك. قال: «فأعَنّى على نفسك بكثرة السجود»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن عيسى بن طلحة، عن عمرو بن مرة الجهني، قال: جاء رجل إلى النبي على فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال رسول الله على: «من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة وهكذا _ ونصب أصبعيه _ ما لم يعق والديه»(1) تفرد به أحمد.

⁽۱) أخرجه الطبراني من طريق عبد الله بن عمران به (المعجم الصغير ۲۲/۱)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة (مجمع الزوائد ۷/۱۰)، وحسنه السيوطي في الدر المنثور (۸۸/۲)، وهو موافق لما ذكر الحافظ ابن كثير عن المقدسي.

⁽٢) أخرجه الطبراني بالإسناد نفسه (المعجم الكبير ٢/ ٨٦ ح ١٢٥٥٩)، قال الهيثمي: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط (المجمع ٧/ ٩)، ورواية خالد بن عبد الله عنه بعد الاختلاط (الكواكب النيرات ص٣٢٧).

⁽٣) أخرجه الطبري سنداً ومتناً، وقد سقط من طبعة أحمد شاكر وأثبت في طبعة معالي الدكتور عبد الله التركي

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وصحيح مسلم والتقريب، وفي الأصل: «معقل» وهو تصحيف.

⁽٥) صحيح مسلم، الصلاة، باب فضل السجود (ح٤٨٩).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد إذ نسبه إليه الهيثمي أيضاً (مجمع الزوائد ٨/١٥٠)، ولم أجده في المسند، وفي سنده =

قال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم، حدثنا ابن لهيعة، عن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله على قال: «من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين، وحسن أولئك رفيقاً إن شاء الله»(١).

وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري، عن أبي حمزة، عن الحسن البصري، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله على: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» ثم قال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو حمزة اسمه عبد الله بن جابر شيخ بصري (٢).

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله على سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب»، قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث (٣). وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله على، وأحب أبا بكر وعمر في، وأرجو أن الله يبعثني معهم وإن لم أعمل كعملهم (٤).

قال الإمام مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله على: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: "بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك واللفظ لمسلم (٥)، ورواه الإمام أحمد، حدثنا فزارة، أخبرني فليح، عن هلال _ يعني ابن علي _، عن عطاء، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: "إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون _ أو ترون _ الكوكب الدري الغابر في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات». قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (٢). قال الحافظ الضياء المقدسي: هذا الحديث على شرط البخاري، والله أعلم.

⁼ ابن لهيعة ولم يصرح بالسماع، وسنده ضعيف.

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٦٣)، وسنده ضعيف لضعف زبان كما في التقريب، وعدم تصريح ابن لهيعة.

⁽٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، البيوع، باب ما جاء في التجار ١٢٠٨)، وسنده ضعيف لأن الحسن البصري لم يسمع من أبي سعيد الخدري.

⁽٣) صحيح البخاري، الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك (ح١١٦٧)، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب المرء مع من أحب (ح١٦٣/ ١٦٣)، واللفظ لمسلم.

⁽٤) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب مناقب عمر رها (ح٣٦٨٨)، وصحيح مسلم، الحديث السابق نفسه.

⁽٥) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٢٥٦)، وصحيح مسلم، الجنة وصفه نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (ح٢٨٣١).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٣٣٩)، وفي سنده فزارة وهو: ابن عمرو أبو الفضل قال =

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عفيف بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله على يسأله فقال له رسول الله على: "سل واستفهم" فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، ثم قال: أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به، إني لكائن معك في الجنة، قال رسول الله على: "نعم، والذي نفسي بيده، إنه ليرئ بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام" ثم قال رسول الله على: "من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة" فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله على: "إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله، فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يتطاول الله برحمته" ونزلت هذه الآيات هما أنّى على الحبشي: وإن عيني لتريان ما ترى عيناك في الجنة؟ فقال رسول الله على: "نعم" فاستبكى حتى الحبشي: وإن عيني لتريان ما ترى عيناك في الجنة؟ فقال رسول الله على: "نعم" فاستبكى حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله على حفرته بيديه "أن عفرة ونكارة وسنده ضعيف، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهُ أَي : من عند الله برحمته وهو الذي وسنده ضعيف، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهُ الله ي يستحق الهداية والتوفيق. أهلهم لذلك لا بأعمالهم ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلَيكَ أَي : هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

﴿ وَيَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانَفِرُواْ ثَبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا ۞ وَإِنَّ مِنكُرْ لَمَن لَيُبَلِّأَنَّ فَإِنْ أَصَبَتَكُمْ مُصَيَّبَةٌ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَى إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا ۞ وَلَهِنَ أَصَنبَكُمْ فَضَلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَ كَأْن كَان كَن مُعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي لَيُقَاتِلْ فِي صَبِيلِ اللّهِ فَيُقَتَلُ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ سَبِيلِ اللّهِ فَيُقَتَلُ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ لَوُنْ يَعْلِمُ اللّهِ فَيُقَتَلُ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ أَوْنِيهِ أَجُرًا عَظِيمًا ۞ ﴾.

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي: جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية، والثباب جمع ثبة، وقد تجمع الثبة على ثبين.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿ فَٱنْفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾ أي: عصباً، يعني: سرايا متفرقين، ﴿ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا ﴾ يعني: كلكم (٢)، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخُصيف الجزري (٣).

الحافظ ابن حجر: فيه نظر (تعجيل المنفعة ص٣٣٣)، ويشهد له حديث أبي سعيد الخدري السابق المتفق عله.

⁽۱) المعجم الكبير ۲۱/ ٤٣٦ (ح١٣٥٩٥)، وضعف سنده الهيثمي بسبب ضعف أيوب بن عتبة (مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٠)، وضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به.

⁽٣) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وأخرج الطبري أثر السدي وقتادة كل واحد بإسناد حسن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُرُ لَمَن لَّيُبَطِّئَنُّ ﴾ قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين(١).

وقال مقاتل بن حيان: ﴿ لَيُبَوِّلُنَ ﴾ أي: ليتخلفن عن الجهاد (٢). ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي بن سلول _ قبحه الله _ يفعل، يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه. وهذا قول ابن جريج وابن جرير (٣)، ولهذا قال تعالى إخباراً عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد: ﴿ وَإِن الصَبْتَاكُمُ مُصِيبَةً ﴾ أي: قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعُمَ اللهُ عَلَى إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُم اللهُ عَلَى إذ لم أحضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل.

﴿ وَلَهِنَّ أَصَابَكُمْ فَضَلُّ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: نصر وظفر وغنيمة ﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَمْ تَكُنُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةً ﴾ أي: كأنه ليس من أهل دينكم ﴿ يَلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أي: بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه. وهو أكبر قصده وغاية مراده.

﴾ ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَلَةِ وَالْوِلَدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ۗ أَخْرِجْنَا مِنْ هَلَاهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِرِ أَهْلُهَا وَأَجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ وَلِيًّا وَأَجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيرًا ۞ الَّذِينَ مَامَنُوا يُقَلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقَلِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّلْغُوتِ فَقَلْلِلُوّاْ أَوْلِيَاتَهُ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۞﴾.

يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا الْخَرِجُنَا مِنْ هَلَاهِ الْقَرْيَةِ ﴾ يعني: مكة، كقوله تعالى: ﴿وَكَأْتِن مِن قَرْيَةٍ هِي أَشَدُ قُوّةً مِن قَرْيَكِ الَّتِي اللّهُ الْخَرَجُنَك ﴾ [محمد: ١٣]، ثم وصفها بقوله: ﴿الطَّالِرِ أَهْلُهَا وَأَجْعَل لَّنَا مِن لّدُنك وَلِيًّا وَأَجْعَل لّنَا مِن لَدُنك محمد، حدثنا في سخر لنا من عندك وليًّا وناصراً، قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو سنيد: ضعيف.

⁽٤) ما بين معقوفين زيادة من (مح).

⁽٥) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم» (ح٣١٢٣)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب فضل الجهاد (ح١٨٧٦).

سفيان عن [عبيد الله] (۱) ، قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين (۱) . حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا ﴿ إِلَّا ٱلسَّنَصْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّبَالِ وَٱلسِّاءَ وَٱلْوِلَدَينِ النساء: ٩٨] قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله ﷺ وَالسَّنَ مَن اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ وَالسَّنَ مَن اللهُ اللهُ وَالسَّنَ مَن اللهُ اللهُ وَالسَّنَ اللهُ اللهُ وَالسَّنَ اللهُ وَالسَّنَ اللهُ وَالسَّنَ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَ

كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة، وإن لم تكن ذات النصب، وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها: كونهم كانوا في بلدهم، وهو بلد حرام، أشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال، فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه، جزع بعضهم منه، وخافوا مواجهة الناس خوفاً شديداً ﴿وَقَالُوا رَبّنا لِرُ كَتَبّتَ عَلَيْنَا ٱلْفِئالَ لَوَلاَ أَخَرُنَا إِلَى أَجِلِ وَبِبُّ أِي لو ما أخرت فرضه إلى مدة أخرى، فإن فيه سفك الدماء، ويتم الأولاد، وتأيّم النساء، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلّذِينَ عَامَنُوا لَوَلا نُولِتَ سُورَةٌ فَإِذَا مَنْ المَوْتُ فَاوَكَ لَهُمْ وَا أَخْرَى فِلْكُ الْمَعْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلمُوتِ فَأَوْكَ لَهُمْ فَا المَعْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلمُوتِ فَأَوْكَ لَهُمْ فَا أَمْ مُنَا عَرَمُ اللّهُ لَكَانَ غَيْرًا لَهُمْ اللّهَ الآيات [محمد].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة وعلي بن زنجة، قالا: حدثنا علي بن الحسن، عن الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار، وعن عكرمة، عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي على بمكة، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، قال: "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم" فلما حوله الله إلى المدينة، أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِلَ لَهُمْ كُنُوا أَيْدِيكُمُ وَأَقِيمُوا

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل: «عبد الله» وهو تصحيف.

⁽٢) صحيح البخاري، تفسير سورة النساء، باب قوله: ﴿وَمَا لَكُرُ لَا نُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٥] (ح٤٥٨٧).

⁽٣) المصدر السابق (ح٤٥٨٨).

المَّهَلَوْةَ وَمَاتُوا الزَّكُوٰهَ فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْفِنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَغْشُوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ (١)، ورواه النسائي والحاكم (٢) وابن مردويه من حديث علي بن الحسن بن شقيق به، وقال أسباط، عن السدي: لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة، فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال، فلما فرض عليهم القتال ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبِّنَا لِمَ كَنَبَتَ عَلَيْنَا الْفِنَالَ لَوَلاَ أَخَرَنَا إِلَى آجَلٍ وَهُو الموت.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْ مَنْهُ إِلدُّنِّهَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱلْقَيْ ﴾ (٣). وقال مجاهد: إن هذه الآية نزلت

في اليهود، رواه ابن جرير (٤).

وقوله: ﴿ وَلَا مَنْكُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ الْقَيَى ﴾ أي: آخرة المتقي خير من دنياه. ﴿ وَلَا نُظْلَمُونَ فَنِيلًا ﴾ أي: من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة وتحريض لهم على الجهاد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن زيد، عن هشام، قال: قرأ الحسن ﴿ قُلُ مَنْعُ الدُّنَيَا قَلِيلٌ ﴾ قال: رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك، وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه (٥٠).

[وقال ابن معين: كان أبو مصهر ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن من الله في دار المقام نصيب فإن تُعجب الدنيا رجالاً فإنها متاع قليل والزوال قريباً(٢)

وقوله تعالى: ﴿أَيّنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنُمُ فِي بُرُوجٍ مُشَيّدُوً ﴾ أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴿ وَبَبَعَنَ وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْجُلَلِ وَالْمَعْنَ وَلَا يَنْ اللّهِ وَاللّهُ وَلّمُ وَاللّهُ وَلَوْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَمْ عَلَا نَامِتُ أَعِنَ الجَبْنَا وَلَمْ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّمُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّا نَامِتُ أَعِينَ الجَبْنَاءُ (*).

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْهُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدُوً ﴾ أي: حصينة منيعة عالية رفيعة، وقيل: هي بروج في السماء قاله السدي (٨)، وهو ضعيف، والصحيح أنها المنيعة؛ أي: لا يغني حذر وتحصن من الموت، كما قال زهير بن أبي سلمى:

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسند صحيح.

 ⁽۲) سنن النسائي، الجهاد، باب وجوب الجهاد ٦/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٢٨٩١)،
 وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٧٠٧).

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط به.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وهو مرسل.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح. (٦) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٧) أخرجه ابن عساكر من طريق أبي الزناد عن خالد (مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٦/٨).

⁽٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

ومن خاف أسباب المنايا يلقها ولي ولي المنيدة المناية المنيدة وقيل: بل بينهما فرق، وهو أن المشيدة ثم قيل: المشيدة هي المشيدة كما قال: وقصر مشيد، وقيل: بل بينهما فرق، وهو أن المشيدة بالتشديد هي المطولة، وبالتخفيف هي المزينة بالشيد وهو الجص، وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم _ ههنا _ حكاية مطولة عن مجاهد، أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق، فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار، فخرج فإذا هو برجل واقف على الباب، فقال: ما ولدت المرأة؟ فقال: جارية، فقال: أما إنها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت. قال: فكر راجعاً، فبعج بطن الجارية بسكين فشقه ثم ذهب هارباً، وظن أنها قد ماتت، فخاطت أمها بطنها فبرئت وشبت وترعرعت ونشأت أحسن امرأة ببلدتها، فذهب ذاك الأجير ما ذهب ودخل البحور فبرئت وشبت وترعرعت إلى بلده وأراد التزوج، فقال لعجوز: أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة، فقالت: ليس ههنا أحسن من فلانة، فقال: اخطبيها علي، فذهبت إليها فأجابت، فدخل بها فأعجبته إعجاباً شديداً، فسألته عن أمره ومن أين مقدمه، فأخبرها خبره وما كان من أمره في الجارية، فقالت: أنا هي وأرته مكان السكين، فتحقق ذلك، فقال: لئن كنت إياها فلقد أخبرني باثنتين لا بد منهما:

(إحداهما) أنك قد زنيت بمائة رجل، فقالت: لقد كان شيء من ذلك ولكن لا أدري ما عددهم فقال: هم مائة.

(والثاني) أنك تموتين بالعنكبوت فاتخذ لها قصراً منيعاً شاهقاً ليحرزها من ذلك، فبينما هم يوماً فإذا بالعنكبوت في السقف فأراها، فقالت: أهذه هي التي تحذرها علي، والله لا يقتلها إلا أنا، فأنزلوها من السقف، فعمدت إليها فوطئتها بإبهام رجلها فقتلتها، فطار من سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها واسودت رجلها، فكان في ذلك أجلها، فماتت (٢).

ونذكر ههنا قصة صاحب الحضر وهو الساطرون لما احتال عليه [سابور]^(٣) حتى حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين، وقالت العرب في ذلك أشعاراً منها:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج لمة تجبى إليه والخابور شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكور لما تهبه أيدي المنون فباد ال ملك عنه فبابه مهجور ولما دخل على عثمان جعل يقول: اللهم اجمع أمة محمد ثم تمثل بقول الشاعر:

أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع لعاد ملاذاً في البلاد ومربعاً يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها معاً

[قال ابن هشام: وكان كسرى سابور ذو الأكتاف قتل الساطرون ملك الحضر، وقال ابن هشام: إن الذي قتل صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان، وأذل

⁽۱) دیوان زهیر ص۳۰.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي همام عيسىٰ بن حميد الراسبي عن كثير أبي الفضل عن مجاهد، وأبو همام ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ٦/ ٢٧٤)، والقصة فيها غرابة كيف قتلها بذلك السبب، وكيف تزوجها وعرف أنها وقعت في ذلك المنكر.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سابر» وهو تصحيف.

ملوك الطوائف، ورد الملك إلى الأكاسرة، فأما سابور ذو الأكتاف فهو من بعد ذلك بزمن طويل، والله أعلم، ذكره السهيلي، قال ابن هشام: فحصره سنتين وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته وهو في العراق، وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، فدست إليه أن تتزوجني إن فتحت لك باب الحصن، فقال: نعم، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها فقتح الباب، ويقال: دلتهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء فتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم ترسل، فإذا وقعت على سور الحصن سقط ذلك ففتح وتزوجها، فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة آس، فقال لها سابور: هذا الذي أسهرك فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير، ويطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال الطبري(١٠): كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير، ويطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال الطبري(١٠): كان يطعمني المخ والزبد، وشهد أبكار النحل، وصفو الخمر! وذكر أنه كان يرى مخ ساقها، قال: فكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إلي بذاك أسرع، ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إلي بذاك أسرع، ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فركض الفرس حتى قتلها، وفيه يقول عدي بن زيد العبادي أبياته المشهورة:

أيها الشامت المعير بالدهر أم لديك العهد الوثيق من الأيمن رأيت المنون خلد أم من أين كسرى الملوك أين كسرى الملوك وبنو الأصفر الكرام ملوك وأخرو المحضر إذ بناه شاده مرمراً وجلله لم تهبه ريب المنون فباد الوتذكر رب الخورنق إذا شرف سرّه ماله وكثرة ما يملك فارعوى قلبه وقال فما شم أضحوا كأنهم ورق جف شم بعد الفلاح والملك والأمة

أأنت السمبرأ السموفور الم بيل أنت جاهل مغرور الم المنت جاهل مغرور ذا عليه من أن يضام خفير أنوشروان أم أين قبله سابور الروم لم يبق منهم مذكور وإذ دجلة تجبى إليه والخابور كلساً فللطير في ذراه وكور ملك عنه فبابه مهجور ملك عنه فبابه مهجور يبوماً وللهدى تنفكير والبحر معرض والسدير في أبي الممات يصير وارتهم هناك المصبا والدبور وارتهم هناك التقيير وارتهم هناك التقيير

وقوله: ﴿وَإِن تُصِبِّهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي: خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك، هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي (٣): ﴿يَقُولُوا هَلَاهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبِّهُمْ سَيِّتَةٌ ﴾ أي: قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو إنتاج أو غير ذلك كما يقوله أبو العالية والسدي (٤)،

⁽١) لم أجده في تفسير الطبري. (٢) ما بين معقوفين زيادة من (مح).

⁽٣)(٤) قول أبي العالية أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عنه، وقول السدي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن.

وقوله: ﴿ قُلْ كُلُّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي: الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُلْ كُلُّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، أي: الحسنة والسيئة (٢). وكذا قال الحسن البصري.

ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب، وقلة فهم وعلم وكثرة جهل وظلم: ﴿فَالِ هَتُؤُلَاءَ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾.

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا السكن بن سعيد، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا إسماعيل بن حماد، عن مقاتل بن حيان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كنا جلوساً عند رسول الله على، فأقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس وقد ارتفعت أصواتهما، فجلس أبو بكر قريباً من النبي على، وجلس عمر قريباً من أبي بكر، فقال رسول الله على: «لم ارتفعت أصواتكما؟» فقال رجل: يا رسول الله الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا، فقال رسول الله على: «فما قلت يا عمر؟» فقال: قلت: الحسنات والسيئات من الله فقال رسول الله على: «إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل، فقال مكيائيل مقالتك يا أبا بكر، وقال جبريل مقاتلك يا عمر» فقال: «نختلف فيختلف أهل السماء وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض، فتحاكما إلى إسرائيل فقضى بينهم أن الحسنات والسيئات من الله». ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال: «احفظا قضائي بينكما، لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق إبليس»(٣).

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية: هذا حديث موضوع^(٤) مختلق باتفاق أهل المعرفة.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق رجل مبهم عن السدي وسنده ضعيف بسبب الإبهام والإرسال.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به.

⁽٣) أخرجه البزار بسنده ومتنه كما في مختصر زوائد مسند البزار، وقال الحافظ ابن حجر: هذا خبر منكر وفي الإسناد ضعف (ح١٥٩٧).

⁽٤) وكذلك جعله ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧٣).

ثم قال تعالى مخاطباً لرسوله على والمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب: ﴿مَّا أَصَابُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَنِ اللَّهِ ﴾ أي: فمن قبلك، فَن اللَّهِ ﴾ أي: من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته ﴿وَمَا أَصَابُكَ مِن سَيِّتَةٍ فِن نَفْسِكَ ﴾ أي: فمن قبلك، ومن عملك أنت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبُكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتَ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى] قال السدي والحسن البصري وابن جريج وابن زيد: ﴿فِن نَفْسِكَ ﴾ أي: بذنبك (١). وقال قتادة في الآية ﴿فَن نَفْسِكَ ﴾: عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك. قال: وذكر لنا أن النبي على قال: «لا يصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر (١)، وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلاً في الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن، ولا نصب، حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله عنه بها من خطاياه (٣).

وقال [أبو صالح] (1): ﴿ وَمَا أَصَابُكَ مِن سَيِّنَةِ فِن نَفْسِكَ ﴾ أي: بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك، رواه ابن جرير (٥). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا سهل ـ يعني: ابن بكار ـ، حدثنا الأسود بن شيبان، حدثني عقبة بن واصل ابن أخي مطرف، عن مطرف بن عبد الله، قال: ما تريدون من القدر أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء ﴿ وَإِن تُصِبّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ الله وَإِن تُصِبّهُمُ مَن القدر وقد أمروا وإليه يصيرون (٢).

وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضاً. ولبسطه موضع آخر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَتَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ أي: تبلغهم شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه ﴿وَلَقَنَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: على أنه أرسلك وهو شهيد أيضاً بينك وبينهم، وعالم بما تبلغهم إياه وبما يردون عليك من الحق كفراً وعناداً.

﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهِ وَمَن تَوَلَىٰ فَمَاۤ أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِندِكَ بَيْتَ طَابِهَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ ٱلَذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونُ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾.

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد على بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

⁽۱) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الحسن أخرجه الطبري بسند حسن من طريق معمر عنه، وقول ابن جريج أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الحسين، وهو: سنيد، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحبح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن لكنه مرسل ويشهد ما يليه.

⁽٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري (صحيح البخاري، المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض ح٥٦٤١، ٥٦٤٢)، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (ح٣٥٧).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «ابن صالح» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفيه عقبة بن واصل، ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ٢٦ / ٣١٨).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني (١)، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش [به](٢)(٣).

وقوله: ﴿وَمَن تُولَى فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِم حَفِيظًا ﴾ أي: ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء، كما جاء في الحديث: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه (٤).

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة ﴿فَإِذَا مِنْ عِندِكَ ﴾ أي: خرجوا وتواروا عنك ﴿بَيْتَ طَآبِفَةٌ مِّنَهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ أي: استسروا ليلاً فيما بينهم بغير ما أظهروه لك، فقال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذي هم موكلون بالعباد، يعلمون ما يفعلون والمعنى في هذا التهديد أنه تعالى يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلاً من مخالفة الرسول على وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك، كما قال تعدالي وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِأللّهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتُولًى فَرِيقٌ مِنْهُم مِن بَعْدِ ذَلِكٌ وَمَا أَوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ النورا، وقوله: ﴿ فَأَعْرِضَ عَنْهُم ۚ أي: اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم، ولا تخف منهم أيضاً ﴿وَتَوَكُلُ عَلَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: كفى به ولياً وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأناب إليه.

يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنَدَبَرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقَفَالُهَا ﴿ وَمَدَدًا، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ ﴾ أي: لو كان مفتعلاً مختلقاً، كما يقوله من يقول من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً؛ أي: اضطراباً وتضاداً كثيراً؛ أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله، كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) "به" سقطت من الأصل واستدركت من (حم) و(مح).

 ⁽٣) صحيح البخاري، الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] (ح٧١٣٧)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (ح١٨٣٥).

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث عَدي بن حاتم بنحوه (الصحيح، الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح٠٨٧).

قالوا: ﴿ مَامَنًا بِهِ عُلَّ مِنْ عِندِ رَبِّناً ﴾ [آل عمران: ٧] أي: محكمه ومتشابهه حق، فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا، ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين.

قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم، حدثنا عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله على باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله على مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، إنما نزل يصدق بعضة بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه (۱). وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عمرو بن شعيب، عن جده، قال: خرج رسول الله في ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، فكأنما يفقاً في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله في ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده (۱)، ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هند به نحوه (۱).

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، قال: كتب إليَّ [عبد الله]^(٤) بن رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو، قال: هجرت إلى رسول الله على يوماً، فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية، فارتفعت أصواتهما، فقال: «إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب»^(٥). ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به (٢).

وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمُ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ الكارعلى من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة. وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن حفص، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، عن النبي عليه قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»(٧). وكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن محمد بن الحسين بن إشكاب، عن

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٢٠٢)، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٧٨/)، وسنده حسن.

 ⁽٣) السنن، المقدمة، باب في القدر (ح٨٥)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (مصباح الزجاجة ٥٨/١)، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ح٦٩).

⁽٤) زيادة من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/١٩٢)، وسنده صحيح.

⁽٦) صحيح مسلم، العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (ح٢٦٦٦)، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب فضائل القرآن (ح٨٠٩٥).

⁽٧) صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (ح٥).

علي بن حفص عن شعبة مسنداً، ورواه مسلم أيضاً من حديث معاذ بن هشام العنبري وعبد الرحمن بن مهدي، وأخرجه أبو داود أيضاً من حديث حفص بن عمرو النمري، ثلاثتهم عن شعبة، عن خبيب، عن حفص بن عاصم به، مرسلاً\!\!

وفي الصحيحين، عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله على الله عن قيل وقال (٢)؛ أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين.

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «بئس مطية الرجل زعموا»(٣).

وفي الصحيح: «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»(٤).

ولنذكر ههنا حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله على الساء، فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على النبي على، فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا» فقمت: الله أكبر... وذكر الحديث بطوله وعند مسلم فقلت: أطلقتهن؟ فقال: «لا». فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي، لم يطلق رسول الله على نساءه، ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا جَآءَهُمُ أَمَّرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِدِّ وَلَو يَرَدُوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى ٱلْأَمْرِ مِنْهُم لَكِمَهُ ٱلّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم فَكنت أنا استنبطت ذلك الأمر(٢). ومعنى يستنبطونه؛ أي: يستخرجونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعورها.

وقوله: ﴿لَاتَبَعْتُمُ ٱلشَّيَطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني المؤمنون (٧٠).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿لَاَتَبَعْتُهُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعني: كلكم (^^). واستشهد من نصر هذا القول بقول الطِّرمَّاح بن حكيم في مدح يزيد بن المهلب:

اشم م كتبير يدي النوال قليل المثالب والقادحة (٩) يعنى: لا مثالب له ولا قادحة فيه.

⁽١) المصدر السابق وسنن أبي داود، الأدب، باب التشديد في الكذب (ح٤٩٩٢).

⁽٢) صحيح البخاري، الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣] (ح١٤٧٧)، وصحيح مسلم، الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (ح٥٩٣).

⁽٣) السنن، الأدب، باب قول الرجل: زعموا (ح٤٩٧٢)، وصححه الآلباني في صحيح سنن أبي داود و(ح١٥٨).

⁽٤) صحيح مسلم، المقدمة ص٩.

⁽٥) صحيح البخاري، العلم، باب التناوب في العلم (ح٨٩)، وصحيح مسلم، الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء (ح١٤٧٩).

⁽٦) المصدر السابق.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن أبي طلحة به.

⁽A) أخرجه عبد الرزاق بسنده ولفظه، وسنده صحيح.

⁽٩) ديوان الطرماح ص٨٣.

﴿ فَقَائِلَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكُ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَّ عَسَى ٱللّهُ أَن يَكُفَ بَأْسَ ٱلّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللّهُ أَشَدُ بَأْسَا وَأَشَدُ تَنكِيلًا ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّنَةً يَكُن لَهُ كِفْلُ مِنْهَا وَكَانَ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴿ وَإِذَا حُيِيمُم بِنَحِيَةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَكُوهُما إِنَّ ٱللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿ اللّهُ لَا إِلَهُ إِلّا هُوَّ لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ لَا رَبِّبَ وَمِنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللّهِ حَدِيثًا ﴿ ﴾.

يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً على بأن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عنه فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تُكُلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمرو بن زنيج، حدثنا حكام، حدثنا الجراح الكندي، عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى مائة من العدو فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه: ﴿وَلَا تُلَقُوا بِأَيْدِيكُمُ إِلَى التَّهُلُكُمُ ﴾ [البقرة: الرجل يلقى مائة من العدو فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه: ﴿وَلَا تُلَقُوا بِأَيْدِيكُمُ إِلَى التَّهُلُكُمُ ﴾ [البقرة: ٥٩]؟ قال: قد قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَقَائِلٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلّا نَفْسَكُ وَحَرِّضِ المُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠).

ورواه الإمام أحمد عن سليمان بن داود، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، إن الله بعث رسوله على النفقة (١٠ وكذا وكذا وكذا وقال: ﴿فَقَنْلِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكُ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله على البراء به. رواه ابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش وعلى بن صالح، عن أبي إسحاق، عن البراء به.

ثم قال ابن مردویه: حدثنا سلیمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي، حدثنا محمد بن حمیر، حدثنا سفیان الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما نزلت على النبي ﷺ ﴿فَقَائِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلّا نَفْسَكُ وَحَرِّضِ المُوْمِنِينَ ﴾ الآية، قال لأصحابه: ﴿وقد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا » حدیث غریب (٣).

وقوله: ﴿وَحَرِضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾ أي: على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عليه، كما قال لهم ﷺ يوم بدر وهو يسوي الصفوف: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»(٤).

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها». قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» وروي من حديث عبادة ومعاذ وأبى الدرداء، نحو ذلك.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) أخرَجه الإَمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٨١/٤)، وسنده صحيح وقد أخرجه البخاري من حديث حذيفة (الصحيح، تفسير سورة البقرة، باب ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ح٤٥١٦).

٣) في سنده محمد بن حمير تُكلم فيه (لسان الميزان ٥/١٥٠).

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث أنس مطولاً (الصحيح، الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ح١٩٠١).

⁽٥) صحيح البخاري، الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله (ح٢٧٩).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً، [وجبت له الجنة](١)»، قال: فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليّ يا رسول الله، ففعل، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأخرى يرفع الله العبد بها مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، رواه مسلم(٢).

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفُ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: بتحريضك إياهم على القتال تنبعث هممهم على مناجزة الأعداء. ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسُا وَأَشَدُ تَنكِيلًا﴾ أي: هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة كما قــال تــعــالـــى: ﴿وَلَوْ يَشَاهُ اللَّهِ لَاَنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِبَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضٌ وَالَّذِينَ قُبِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْلَمُهُ ﴿ وَمَا اللَّهِ فَلَن يُضِلُّ اللَّهِ فَلَن يُضِلُّ اللَّهِ فَلَن يُضِلُّ أَعْمَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٤].

وقوله: ﴿مَن يَشْفَعُ شَفَنَعَةً حَسَنَةً يَكُن لَلُمُ نَصِيبٌ مِنَهُ أَي أَي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك، ﴿وَمَن يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّنَةً يَكُن لَهُ كِفَلُ مِنْهَا ﴾ أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء »(٣).

وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض^(٤). وقال الحسن البصري: قال الله تعالى: ﴿مَن يَشْفَعُ ﴾ ولم يقل: من يشفّع^(٥). وقوله: ﴿وَكَانَ اللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا﴾.

قال ابن عباس وعطاء وعطية وقتادة ومطر الوارق ﴿مُعِينًا ﴾ أي: حفيظاً (٢). وقال مجاهد: شهيداً، وفي رواية عنه: حسيباً (٧).

وقال سعيد بن جبير والسدي وابن زيد: قديراً (^).

⁽١) سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٢) صحيح مسلم، الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة (ح١٨٨٤).

⁽٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري (صحيح البخاري، الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ح٢٦٢٧).

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق حميد الطويل عن الحسن بنحوه، وأخرجه الطبري بسند ضعيف لم يصرح باسم شيخه بلفظه.

⁽٦) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وبقية الأقوال ذكرها أبي حاتم بحذف السند.

 ⁽۷) القول الأول عن مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، والقول الثاني عن مجاهد أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق شريك عن خُصيف عنه.

⁽A) قول سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن دينار عنه وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

وقال عبد الله بن كثير: المقيت: الواصب(١).

وقال الضحاك: المقيت: الرزاق(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحيم بن مطرف، حدثنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل، عن رجل، عن عبد الله بن رواحة، وسأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ مُلِّي عُلِّ عُلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ عُلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ عُلَا عُلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عُلَا عَلَىٰ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَىٰ عَلَيْهُ عَلَىٰ عَلَى عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَل

وقوله: ﴿ وَإِذَا حُبِينُم بِنَجِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهاً ﴾ أي: إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة.

قال ابن جرير: حدثنا موسى بن سهل الرملي، حدثنا عبد الله بن [السري] الأنطاكي، حدثنا هشام بن لاحق، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، قال: جاء رجل إلى النبي على فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له: «وعليك»، فقال له الرجل: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، أتاك فلان وفلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي فقال: «إنك لم تدع لنا شيئاً، قال الله تعالى: «وَلِذَا حُبِينُم بِنَجِيَةٍ فَحَوُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها في فرددناها عليك» (٥). وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقاً، فقال: ذكر عن أحمد بن الحسن الترمذي، حدثنا عبد الله بن السري أبو محمد الأنطاكي، قال أبو الحسن _ وكان رجلاً صالحاً _: حدثنا هشام بن لاحق. . . فذكره بإسناده مثله (٢)، ورواه أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن قانع، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان. . . فذكره مثله (٧)، ولم أره في المسند، والله أعلم.

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير، حدثنا جعفر بن سليمان بن عوف، عن أبي رجاء العطاردي، عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى رسول الله على، فقال: السلام عليكم يا رسول الله، فرد عليه ثم جلس، فقال: «عشر»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله يا رسول الله، فرد عليه ثم جلس، فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر فقال:

⁽١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو سند ضعيف.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق جويبر عنه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام شيخ إسماعيل.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «السدي» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن عبد الله بن السري روىٰ مناكير كثيرة (التقريب ص٣٠٥).

٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتن، وحكمه كسابقه.

⁽٧) في سنده هشام بن لاحق ضعفه العقيلي، وترك حديثه الإمام أحمد (لسان الميزان ١٩٨/٦).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، ثم جلس فقال: «ثلاثون» (۱)، وكذا رواه أبو داود عن محمد بن كثير، وأخرجه الترمذي والنسائي والبزار من حديثه، ثم قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وفي الباب عن أبي سعيد وعلي وسهل بن حنيف (۲).

وقال البزار: قد روي هذا عن النبي ﷺ من وجوه هذا أحسنها إسناداً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن الحسن بن صالح، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً، ذلك بأن الله يقول: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ أَوْ رُدُوهَا ۗ﴾(٣).

وقال قتادة: فحيوا بأحسن منها؛ يعني للمسلمين، أو ردوها؛ يعني لأهل الذمة (على التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به، فإن بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام، رد عليه مثل ما قال، فأما أهل الذمة فلا يبدؤون بالسلام ولا يزادون، بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر، أن رسول الله على قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليكم، فقل: وعليك»(٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله على قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»(٦).

وقال سفيان الثوري، عن رجل، عن الحسن البصري، قال: السلام تطوع والرد فريضة (٧٠).

وهذا الذي قال، هو قول العلماء قاطبة، أن الرد واجب على من سلم عليه، فيأثم إن لم يفعل، لأنه خالف أمر الله في قوله: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا آوَ رُدُّوها ﴾ [وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» آ (١٥٠٠) وقوله: ﴿الله لاَ إِلَه إِلّا هُوَ ﴾ إخبار بتوحيده وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات وتضمن قسماً

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/٤٣٩)، وسنده حسن، وسيأتي تخريجه.

⁽٢) سنن أبي داود، الأدب، باب كيف السلام؟ (ح٥١٩٥)، وسنن الترمذي، الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والسنن الكبرى للنسائي (ح١٠١٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢١٦٣).

⁽٣) أُخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وأخرجه البخاري من طريق سماك به (الأدب المفرد ح١١٠٧)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٨٤٣).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

 ⁽٥) صحيح البخاري، الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام؟ (ح٦٢٥٧)، وصحيح مسلم، السلام،
 باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام (ح٢١٦٤).

⁽٦) المصدر السابق (ح٢١٦٧).

 ⁽٧) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وفي سنده انقطاع لإبهام شيخ الثوري، وأخرجه البخاري متصلاً عن الحسن (الأدب المفرد ح٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٧٩٤).

⁽٨) سنن أبي داود، الأدب، باب في إفشاء السلام (ح٥١٩٣)، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً (الصحيح، الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ح٩٣).

⁽٩) ما بين معقوفين لا يوجد في النسخ واستدرك من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

لقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ لَا رَبِّ فِيهِ وهذه اللام موطئة للقسم، فقوله: ﴿اللهُ لاَ إِللهَ إِلَّا هُوكُ خبر وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيجازي كل عامل بعمله، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثُه أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

يقول تعالى منكراً على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين على قولين، واختلف في سبب ذلك فقال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا شعبة، قال عدي بن ثابت: أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت: أن رسول الله على خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله على فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا، هم المؤمنون، فأنزل الله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلمُنْفِقِينَ فِقَتَيْنِ فَقَال رسول الله على: "إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الفضة "() أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ().

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع يومئذِ بثلث الجيش، رجع بثلاثمائة وبقي النبي ﷺ في سبعمائة (٣).

وقال العوفي، عن ابن عباس: نزلت في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس، وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله، أو كما قالوا: أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم؟ فكانوا كذلك فئتين، والرسول عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء، فنزلت ﴿فَمَا لَكُم فِي ٱلنَّنَفِقِينَ فِتَتَيْنِ﴾. رواه ابن أبي حاتم (٤).

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٩٩٢١)، وهو حديث متفق عليه كما يلي.

⁽٢) صحيح البخاري، تفسير سورة النساء، باب ﴿ فَمَا لَكُو فِي ٱلْتُنَفِقِينَ ﴾ [النساء: ٨٨] (ح٤٥٨٩)، وصحيح مسلم، صفات المنافقين (ح٢٧٧٦).

⁽٣) ذكره ابن إسحاق بدون سند (سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤).

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق العوفي به وسنده ضعيف، ولد شواهد تالية.

وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا (١).

وقال زيد بن أسلم، عن ابن لسعد بن معاذ: أنها نزلت في تقاول الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أُبي، حين استعذر من رسول الله على المنبر في قضية الإفك^(٢). وهذا غريب، وقيل غير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرَّكُسُهُم بِمَا كَسَبُوّاً ﴾ أي: ردهم وأوقعهم في الخطأ.

قال ابن عباس: ﴿أَرَّكُمْهُم ﴾ أي: أوقعهم (٣).

وقال قتادة: أهلكهم (٤).

وقال السدي: أضلهم (٥).

وقوله: ﴿يِمَا كَسَبُواً ﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهَدُوا مَنْ أَضَلَ اللّهُ وَمَن يُضَلِلِ اللّهُ فَلَن يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ أي: لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه، وقوله: ﴿وَدُوا لَوْ تَكُفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآتُ ﴾ أي: هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عدواتهم وبغضهم لكم، ولهذا قال: ﴿فَلَا نَتَخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآةَ حَتَى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَوْا ﴾ أي: تركوا الهجرة، قاله العوفي عن ابن عباس (٢).

وقال السدي: أظهروا كفرهم (٧). ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ وَبَدُّتُكُوهُمْ وَلَا نَنَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيَّا وَلَا نَضِيرًا الله ما داموا كذلك، ثم استثنى الله من هؤلاء، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَقُ ﴾ أي: إلا الذين لجأوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة، أو عقد ذمة فاجعلوا حكمهم كحكمهم، وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير (٨).

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي على على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم، قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، فقالوا: صه، فقال النبي على: «دعوه، ما تريد؟» قال:

⁽۱) قول أبي سلمة بن عبد الرحمن أخرجه ابن أبي حاتم والإمام أحمد (المسند ۱۹۲/۱)، بسند حسن، وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح لكنه مرسل، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح لكنه مرسل وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبد العزيز بن محمد عن زيد بن أسلم به.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٥) أخرجه الطبري وأبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن العوفي به.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٨) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومي أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا [لم تخشن](۱) قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله على بيد خالد بن الوليد فقال: «اذهب معه فافعل ما يريد» فصالحهم خالد على ألا يعينوا على رسول الله على وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، فأنزل الله ﴿وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآتُ فَلَا نَتَخِدُوا مِنْهُمْ أَوْلِياتَهُ ﴿ اللهِ اللهُ ا

ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة، وقال: فأنزل الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَيَثْنَهُم مِّيثَقُ﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم (٣)، وهذا أنسب لسياق الكلام.

وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية: فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد على وأصحابه وعهدهم (٤).

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسخها قوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ ٱلْأَنْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَنُّمُوهُمْ . . . ﴾ الآية (٥) [التوبة: ٥].

وقــولــه: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا فَوَمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِنْنَةِ أُرِّكِسُوا فِيهاً ﴾، هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء قوم منافقون يظهرون للنبي ﷺ ولأصحابه الإسلام ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم، ويصانعون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع أولئك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَطِينِهِم قَالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسَتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]، وقال ههنا: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِنْدَةِ أُرْكِسُوا فِيها في انهمكوا فيها.

وقال السدي: الفتنة _ ههنا _ الشرك(٦).

وحكى ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في أقوام من أهل مكة كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلمون

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وسقط من الأصل.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف علي بن زيد بن جدعان.

⁽٣) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق حماد به (المصنف ٢٨٢/١٤)، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان.

⁽٤) صحيح البخاري، الشروط، باب الشروط في الجهاد (ح٢٧٣١).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس، وسنده ضعيف لأن عطاء لم يسمع من ابن عباس.

٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

رياء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا، فأمر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا^(۱). ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِن لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُو اَلسَّلَمَ﴾ [المهادنة والسلح]^(۱) ﴿وَيَكُفُواْ أَيَدِيَهُمْ أَي: عن القتال، ﴿فَخُذُوهُمْ السراء]^(۱) ﴿ وَاقْنُلُوهُمْ حَيْثُ ثَوَهُمْ اللهُ أَي: بيناً واضحاً.

يقول تعالى: ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه، وكما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود: أن رسول الله عن الله وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة (٤) ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه، وقوله: ﴿إِلّا خَطَناً ﴾ قالوا: هو استثناء منقطع، كقول الشاعر (٥):

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ على الأرض إلا ريط مُرحَال (٢) ولهذا شواهد كثيرة. واختلف في سبب نزول هذه، فقال مجاهد وغير واحد: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه وهي أسماء بنت مخرمة، وذلك أنه قتل رجلاً كان يعذبه مع أخيه على الإسلام وهو الحارث بن يزيد العامري، فأضمر له عياش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله، فأنزل الله هذه الآية (٧).

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء لأنه قتل رجلاً وقد قال كلمة الإيمان حين رفع عليه السيف، فأهوى به إليه فقال كلمته، فلما ذكر ذلك للنبي على الله قال: إنما قالها متعوذاً فقال له: «هل شققت عن قلبه؟» (٨٠)، وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء.

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

⁽٢)(٣) ما بين معقوفين زيادة من نسخة دار الكتب المصرية كما في طبعة البابي الحلبي.

⁽٤) صحيح البخاري، الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ . . . ﴾ [المائدة: ٤٥] (ح١٨٧٨)، وصحيح مسلم، القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (ح١٦٧٦).

⁽٥) هو جرير بن عطية الغطفي كما صرح الطبري في تفسيره.

⁽٦) ديوان جرير بن عطية ٢/ ٩٤٥، والمرحل: نوع من ملابس اليمن سُمي مرحلاً لأن عليه تصاوير رحل (لسان العرب: رحل)

⁽٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل ويتقوى بمرسل رواه ابن أبي حاتم بسند حسن عن سعيد بن جبير.

⁽٨) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد به، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن وانقطاعه لأنه لم =

وقوله: ﴿وَمَن قَنَلَ مُؤْمِنًا خَطَتُا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ الْ هَذان واجبان في قتل الخطأ، أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ [الكافرة](١) وحكى ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري أنهم قالوا: لا يجزئ الصغير حتى يكون قاصداً للإيمان(٢).

وروي من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، قال: في حرف، فتحرير رقبة مؤمنة لا يجزئ فيها صبي (٣). واختار ابن جرير أنه إن كان مولوداً بين أبوين مسلمين أجزأ وإلا فلا، والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيراً أو كبيراً.

قال الإمام أحمد: أنبأنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن رجل من الأنصار: أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها، فقال لها رسول الله: «أتشهدين أن لا إله إلا الله؟» قالت: نعم. قال: «أتشهدين أني رسول الله؟» قالت: نعم. قال: «أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟» قالت: نعم. قال: «أعتقها»(٤). وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره.

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَمَةٌ إِلَى آهَلِهِ عَهُ هُو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتيل عوضاً لهم عما فاتهم من قتليهم، وهذه الدية إنما تجب أخماساً، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث الحجاج بن أرطأة، عن زيد بن جبير، عن خشف بن مالك، عن ابن مسعود، قال: قضى رسول الله على في دية الخطأ عشرين بنت مخاض^(۱)، وعشرين بني مخاض ذكوراً، وعشرين بنت لبون^(۷)، وعشرين جذعة (۱)، وعشرين حقة (۱)، لفظ [النسائي] (۱) قال الترمذي: لا نعرفه مرفوعاً

يسمع من أبي الدرداء، ومتنه مخالف لما في الصحيح.

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الكفارة» وهو تصحيف.

⁽٢) قول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق معمر عن قتادة، وقول إبراهيم النخعي أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽٣) سنده صحيح.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٥١)، وصحَّح سنده الحافظ ابن كثير، وأخرجه عبد الرزاق به (المصنف رقم ١٦٨١٤)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٢٨/١).

⁽٥) الموطأ، العتق، باب ما يجوز من العتق ٢/ ٥٩٥، ومسند الشافعي (ح١١٩٦)، ومسند أحمد ٥/٧٤٤، وصحيح مسلم، المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (ح٥٣٧)، مطولاً، وكفي بتصحيح مسلم.

هي التي أتىٰ عليها الحول (سنة). (٧) هي التي أتىٰ عليها حولان (سنتان).

⁽٨) هي التي دخلت في السنة الخامسة.

⁽٩) هي التي دخلت في السنة الرابعة.

⁽١٠) كذا في (حم) و(مح) وسنن النسائي وفي الأصل: «الثاني» وهو تصحيف.

إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عبد الله موقوفاً (١)، كما روي عن علي وطائفة (٢).

وقيل: يجب أرباعاً وهذه الدية على العاقلة لا في ماله، قال الشافعي كَلَّشُ: لم أعلم مخالفاً أن رسول الله على قصى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الخاصة (٣)، وهذا الذي أشار إليه كَلَّلَهُ قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله على فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها (٤).

وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ المحض في وجوب الدية، لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثاً لشبهه بالعمد.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله عمر قال: بعث رسول الله على خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله على فرفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» وبعث علياً فودى قتلاهم وما أتلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب (٥)(١). وهذا الحديث يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

وقوله: ﴿إِلّا أَن يَعَمَلُمُ وَأَ أَي فَتَجِب فيه الدية مسلمة إلى أهله إلا أن يتصدقوا بها فلا تجب، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُو لَكُمْ وَهُو مُؤْمِنُ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَ مُؤَمِنَ أَي إذا كان القتيل مؤمناً ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب، فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيّنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَنَى فَلِيَةٌ مُسَلَّمَةً إِنَى آهَلِه، وَتَحْرِيرُ رَقَبَوْ مُؤْمِنَةً ﴾ أي: فإن كان القتيل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم، فإن كان مؤمناً فدية كاملة، وكذا إن كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقبل: ثلثها كما هو مفصل في كتاب الأحكام، ويجب أيضاً على القاتل تحرير رقبة مؤمنة ﴿فَمَن لَمْ يَجِدٌ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَنَابِعَيْنِ ﴾ أي: لا إفطار بينهما بل يسرد صومهما إلى مؤمنة ﴿فَمَن لَمْ يَجِدٌ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَنَابِعَيْنِ ﴾ أي: لا إفطار بينهما بل يسرد صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف، واختلفوا في السفر هل يقطع أم لا؟ على قولين. وقوله: ﴿قَوْبَكُمُ مِن اللّهُ وَكَان اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: هذه توبة يقطع أم لا؟ على قولين. وقوله: ﴿قَوْبَكُمُ مِن اللّهُ وَكَان اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: هذه توبة

⁽۱) المسند ۷/ ۳۲۸ ـ ۳۲۹، وسنن أبي داود، الديات، باب الدية كم هي؟ (ح٤٥٤)، وقال: هو قول عبد الله. أي لم يصح رفعه وسنن الترمذي، الديات (ح١٣٨٦)، وسنن النسائي، الديات، باب ذكر أسنان دية الخطأ ٨/ ٤٣، وسنن ابن ماجه، الديات، باب دية الخطأ (ح٢٦٣١)، وسنن الدارقطني ٣/ ١٧٣، وقال: هذا حديث ضعيف غير ثابت عند أهل المعرفة بالحديث من وجوه عدة، وسرد علله في العلل ٥/ ١٩٤. وأخرجه البيهقي وجزم أنه من قول ابن مسعود (السنن الكبرى ٨/ ٧٥).

 ⁽۲) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عاصم بن ضمرة عن علي بلفظ آخر: «إذ جعلها أرباعاً خمسة وعشرين ثم خمسة وعشرين...» وهكذا (المصنف ٢٧٣/٦).

⁽٣) ذكره في الأم ١٠١/٦.

⁽٤) صحيح البخاري، الطب، باب الكهانة (ح٥٧٥٨)، وصحيح مسلم، القسامة، باب دية الجنين (ح١٦٨١).

⁽٥) ميلغة الكلب: أي الإناء الذي يلغ فيه، أي يشرب فيه الكلب.

⁽٦) صحيح البخاري، المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد (ح٤٣٣٩).

القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين، واختلفوا فيمن لا يستطع الصيام، هل يجب عليه إطعام ستين مسكيناً كما في كفارة الظهار؟ على قولين:

أحدهما: نعم كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار، وإنما لم يذكر ههنا، لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا يناسب أن يذكر فيه الإطعام لما فيه من التسهيل والترخيص.

والقول الثاني: لا يعدل إلى الطعام، لأنه لو كان واجباً لما أخر بيانه عن وقت الحاجة ﴿وَكَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ قد تقدم تفسيره غير مرة.

ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد، فقال: ﴿ وَمَن يَقُتُلُ مُوَالِنَا مُتَعَيِدًا فَجَزَاقُهُ جَهَنَدُ حَكِلًا فِيهَا وَعَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنْهُ وَأَعَدَ لَهُ عَدَابًا عَظِيمًا ﴿ فَهُ وَهَذَا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشه في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَنْوُنَ وَلا يَزَوُنَ وَلا يَقَدُلُونَ النَّقَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالْحَقِ وَلا يَزَوُنَ وَلا يَزَوُنَ وَاللَّينَ لا يَعْوَلُونَ النَّقَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا فِالْحَقِقِ وَلا يَزَوُنَ وَاللهِ اللهُ عَلَيْ وَاللّهُ وَمَا اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

وفي حديث آخر: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» $^{(7)}$ ، وفي الحديث الآخر: «لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار» $^{(V)}$.

⁽۱) صحيح البخاري، الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (ح٦٥٢٣)، وصحيح مسلم، القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة (ح١٦٧٨).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والتقريب، وفي الأصل: «عمر» وهو تصحيف.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) والنهاية لابن الأثير، وفي الأصل: «شفيعاً» وهو تصحيف، ومعنى معنقاً: مسرعاً في طاعته منبسطاً في عمله (النهاية ٣١٠/٣).

⁽٤) هذا الحديث هو في سنن أبي داود كما قال الحافظ ابن كثير ولكنه أغفل من النسخة المطبوعة التي بين أيدينا، وقد صرح بذلك المزي بعد أن ذكر الحديث بطريقه ولفظه (تحفة الإشراف ٢٥٦/٤ ح٥١٠٥)، وفي سنده خالد بن دهقان: مقبول (التقريب ص١٨٧).

⁽٥) بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك (النهاية ١٥١/١).

⁽٦) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً (السنن، الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن ح١٣٩٥)، وحسنه المنذري (الترغيب ٢٠٢/٣)، وصححه ابن الملقن (خلاصة البدر المنير ٢/ ٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١١٢٦).

⁽٧) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٨/٥ (ح٥١٢٣).

وفي الحديث الآخر: «ومن أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»(١).

وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا المغيرة بن النعمان، قال: سمعت ابن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّدًا فَجَزَا وُهُ جَهَنَمُ ﴿ هَي آخر ما نزل، وما نسخها شيء (٢). وكذا رواه هو أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة به (٣). ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، عن ابن مهدي، عن سفيان الثوري، عن مغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَن يَقَتُلُ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّدًا فَجَزَا وَهُ جَهَنَا مُهُ فقال: ما نسخها شيء (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا بن بشار، حدثنا ابن عون، حدثنا شعبة، عن سعيد بن جبير، قال: قال عبد الرحمن بن أبزى سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَ اللَّهِ مُتَعَمِّدُا ...﴾ الآية، قال: لم ينسخها شيء، وقال في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّقْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ فَعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ اللّهِ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، حدثني سعيد بن جبير أو حدثني العيد بن جبير أو حدثني الحكم، عن سعيد بن جبير، قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَا مُؤْمِنَا فَجَزَا وَهُو جَهَنَاهُ ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمناً متعمداً، فجزاؤه جهنم ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم (٢).

حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا: حدثنا جرير، عن يحيى الجابر، عن سالم بن أبي الجعد، قال: كنا عند ابن عباس بعدما كف بصره، فأتاه رجل فناداه: يا عبد الله بن عباس، ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنّمُ خَلِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، قال: أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم عليه يقول: «ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمداً جاء يوم القيامة أخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه»، يقول: «يا رب، سل هذا فيمَ قتلني» وايم الذي نفس عبد الله بيده، لقد

 ⁽١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً (السنن، الديات، باب التغليط في قتل مسلم ظلماً ح-٢٦٢٠)، وسنده ضعيف جداً بسبب يزيد بن زياد الدمشقي متروك (التقريب ص٢٠١).

⁽٢) صحيح البخاري، تفسير سورة النساء، باب ﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّدًا . . . ﴾ [النساء: ٩٣] (ح٠٤٥٩).

⁽٣) صحيح مسلم، التفسير (ح٣٠٢٣)، وسنن النسائي، تحريم الدم، باب تعظيم الدم (ح١٧٥٨).

⁽٤) سنن أبي داود، الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن (ح٤٢٧٥)، وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وبالإسناد نفسه أخرجه مسلم (الصحيح، التفسير ح٣٠٢٣/١٨).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف، وقد توبع فأخرجه البخاري من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير به (الصحيح، مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي على وأصحابه من المشركين بمكة ح٣٨٥٥).

أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ، وما نزل بعدها من برهان(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت يحيى بن المجبر يحدث عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس أن رجلاً أتى إليه فقال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً عمداً؟ فقال: جزاؤه جهنم خالداً فيها، الآية، قال: لقد نزلت من آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله على، وما نزل وحي بعد رسول الله على قال: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له بالتوبة، وقد سمعت رسول الله يلي يقول: «ثكلته أمه رجل قتل رجلاً متعمداً يجئ يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه أو بيساره - أو آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله - تشخب أوداجه دماً من قبل العرش، يقول: يا رب، سل عبدك فيم قتلني (۱)؟»، وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه، عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن عمار الدهني ويحيى الجابر وثابت الثمالي عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس... فذكره (۱)، وقد روي هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك بن مزاحم نقله ابن أبي حاتم (١٠).

وفي الباب أحاديث كثيرة، فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره؛ حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي (ح)، وحدثنا عبد الله بن جعفر، وحدثنا إبراهيم بن فهد، قالا: حدثنا عبيد بن عبيدة، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله بن مسعود عن النبي على قال: «يجئ المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، قال: ويجئ آخر متعلقاً بقاتله فيقول: رب سل هذا فيم قتلني. قال: فيهوي في النار متعين خريفاً» وقد رواه النسائي عن إبراهيم بن المستمر [العروقي] (٥)، عن عمرو بن عاصم، عن معتمر بن سليمان به (٢).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ثور بن يزيد، عن أبي عون، عن أبي الله عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية في يقول: سمعت النبي على يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» وكذا رواه النسائي عن محمد بن

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده يحيى بن عبد الله الجابر لين الحديث (التقريب ص٥٩٢)، وقد توبع كما سيأتي في الروايات اللاحقة.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٤٣٠٣)، وصححه محققه وغيره كما سيأتي.

⁽٣) سنن الترمذي، التفسير، سورة النساء (٣٠٢٩)، وسنن النسائي، تحريم الدم، باب تعظيم الدم ٧/ ٨٥، وسنن ابن ماجه (ح٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٤٢٥).

⁽٤) ذكرهم جميعاً ابن أبي حاتم بحذف السند وقد خرجتها هناك.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والتقريب وفي الأصل: «العدولي» وهو تصحيف.

⁽٦) سنن النسائي، تحريم الدم، بأب تعظيم الدم ٧/ ٨٤، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٣٧٣).

المثنى، عن صفوان بن عيسى به(١).

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا سمويه، حدثنا عبد الأعلى بن مسهر، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا خالد بن دهقان، حدثنا ابن أبي زكريا، قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله عليه يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً، أو من قتل مؤمناً متعمداً» وهذا غريب جداً من هذا الوجه، والمحفوظ حديث معاوية المتقدم، فالله أعلم، ثم روى ابن مردويه من طريق بقية بن الوليد، عن نافع بن يزيد: حدثني ابن جبير الأنصاري، عن داود بن الحصين، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي عَلَيْ قال: «من قتل مؤمناً متعمداً فقد كفر بالله كلله»(٢) وهذا حديث [منكر](٣) أيضاً، وإسناده مظلم جداً، قال الإمام أحمد: حدثنا النضر، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد، قال: أتاني أبو العالية أنا وصاحب لي، فقال لنا: هلما فأنتما أشب سناً مني، وأوعى للحديث مني، فانطلق بنا إلى بشر بن عاصم، فقال له أبو العالية: حدث هؤلاء بحديثك، فقال: حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال: بعث رسول الله على سرية فأغارت على قوم، فشذ من القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه، فقال الشاذ من القوم: إنى مسلم، فلم ينظر فيما قال، قال: فضربه فقتله، فنمى الحديث إلى رسول الله ﷺ، فقال فيه قولاً شديداً، فبلغ القاتل، فبينما رسول الله ﷺ يخطب إذ قال القاتل: والله ما قال الذي قال: إلا تعوذاً من القتل، قال: فأعرض رسول الله علي عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته، ثم قال أيضاً: يا رسول الله ما قال الذي قال، إلا تعوذاً من القتل، فأعرض عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالثة: والله يا رسول الله ما قال الذي قال، إلا تعوذاً من القتل، فأقبل عليه رسول الله عليه تعرف المساءة في وجهه، فقال: «إن الله أبى على من قتل مؤمناً ثلاثاً» (٤)، ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة (٥).

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله على، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ اللهَ عَرْمَ ٱللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ اللهَ عَرْمَ ٱللَّهِ عَرْمَ ٱللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَرْنُونَ عَمَى اللَّهُ اللهِ عَرْمَ اللَّهُ إِلَّا إِلَهًا وَاللهُ عَنْ اللَّهُ اللهِ عَنْ اللَّهُ اللهِ عَلَى اللَّهُ اللهُ الل

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۹۹/۶)، وأخرجه النسائي من طريق صفوان بن عيسى به (السنن، تحريم الدم، باب تعظيم الدم ٧/ ٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٣٧١٩).

 ⁽۲) هاتان الروايتان ضعفهما الحافظ ابن كثير، ومتنهما يؤيد الخوارج في تكفير القاتل، وضعفها أيضاً ابن عدي في الكامل (۳/ ١٠٥٩).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «مثله».

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (٥/ ٢٨٨ _ ٢٨٩)، وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن المغيرة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٨/١ _ ١٩)، وأخرجه الضياء المقدسي من حديث أنس مقتصراً على آخره وصححه محققه (المختارة ٦/ ١٦٣ ح ٢١٦٤)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٧١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٦٨٩).

⁽٥) السنن الكبرى (ح٨٥٩٣).

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَلِحًا فَأُولَتِهِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَاتُ وَكَانَ اللهُ غَفُولًا رَّحِيمًا ﴿ ﴾ [الفرقان]، وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ فَي قُلْ يَعِبَادِى النِّينَ أَسَرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا نَقْنَطُواْ مِن رَحْمَةِ اللّهِ إِنّ اللّه يَغْفِرُ الذُّنوبَ مِن كفر وشرك وشك جَمِيعًا إِنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ فَي جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، كل من تاب؛ أي: من أي ذلك تاب الله عليه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاكُم ﴾ [النساء: ٤٨] فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء، والله أعلم.

وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس، ثم سأل عالماً: هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه، فهاجر إليه فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة (١) كما ذكرناه غير مرة، وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى، لأن الله وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم وبعث نبينا بالحنيفية السمحة.

فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَا مُتَعَرِّدًا . . ﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، وقد رواه ابن مردويه بإسناده مرفوعاً من طريق محمد بن جامع العطار، عن العلاء بن ميمون العنزي، عن حجاج الأسود، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً (٢)، ولكن لا يصح، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون كذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قولي أصحاب الموازنة والإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب.

وبتقدير دخول القاتل في النار، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحاً ينجو به فليس بمخلد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله على: «أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان» (٢٣)، وأما حديث معاوية: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» (٤٤) فعسى للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا

⁽۱) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب (رقم ٥٤ ح٣٤٧٠) وصحيح مسلم، التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (ح٢٧٦٦).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن جامع عن العلاء بن ميمون العنزي به وسنده ضعيف لأن العلاء تفرد بهذا الحديث ولا يعرف إلا به (ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٥) ومحمد بن جامع ليس بصدوق (الجرح والتعديل ٧/ ٢٢٣).

⁽٣) متفق عليه صحيح البخاري، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُوهٌ يَوْمَهِ لِ نَاضِرُهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ا

⁽٤) تقدم في تفسير آية ٤٨ سورة النساء الحديث الثالث.

تنفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة، وأما من مات كافراً فالنص أن الله لا يغفر له ألبتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لا بدّ من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بدّ من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بدّ من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم.

ثم لقاتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة، فأما في الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُئِلَ مَظْلُومًا فَقَدَّ جَعَلَنَا لِوَلِيّهِ سُلْطَنَا فَلَا يُسُرِف فِي ٱلْقَتْلِّ إِنَّهُم كَانَ مَصُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا، أو يعفوا، أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثاً، ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خلفة، كما هو مقرر في كتاب الأحكام.

واختلف الأئمة: هل تجب عليه كفارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام؟ على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ، على قولين:

فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون: نعم، يجب عليه، لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلأن تجب عليه في العمد أولى، فطردوا هذا في كفارة اليمين الغموس واعتضدوا بقضاء الصلاة المتروكة عمداً كما أجمعوا على ذلك في الخطأ.

وقال أصحاب الإمام أحمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه، وكذا اليمين الغموس ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المتروكة عمداً، فإنهم يقولون بوجوب قضائها إذا تركت عمداً، وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن الغريف بن عياش، عن واثلة بن الأسقع، قال: أتى النبي على نفر من بني سليم فقالوا: إن صاحباً لنا قد أوجب، قال: "فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»(١).

وقال أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن الغريف الديلمي، قال: أتينا واثلة بن الأسقع الليثي فقلنا له: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله على عنه عنه أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»(٢).

وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة به، ولفظ أبي داود عن الغريف

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۱۰۷/٤)، وفي سنده الغريف الديلمي مقبول كما في التقريب، وضعفه الألباني (إرواء الغليل ٧/ ٣٣٩ ح٣٣٠)، وأخرجه الحاكم من طريق الغريف به وصححه وسكت عنه الذهبي (المستدرك ٢١٢/٢).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده (المسند ٣/ ٤٩١)، وفيه أيضاً الغريف.

الديلمي قال: أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب فقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص، قلنا: إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله على قال: أتينا رسول الله على في صاحب لنا قد أوجب، يعني: النار بالقتل، فقال: «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»(۱).

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَا ضَرَبَّتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا نَقُولُواْ لِمَنَ ٱلْقَيَّ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسَتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللّهِ مَغَانِعُ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَعَنَى اللّهُ عَلَيْكُمُ مَنَائِدُ عَلَيْكُمُ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَعَنَى اللّهُ عَلَيْكُمُ مَنَائِدًا إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا الله اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكير وخلف بن الوليد وحسين بن محمد قالوا: حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي على يرعى غنماً له فسلم عليهم، فقالوا: لا يسلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي على فنزلت هذه الآية ﴿ يَتَأَيُّهَا الّذِينَ مَامَنُوا . . ﴾ إلى آخرها (٢١)، ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، عن عبد العزيز بن أبي رزمة، عن إسرائيل به، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أسامة بن زيد (٢١)، ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل به، ثم قال: صحيح الإسناد، ولن يخرجاه (٤٠)، ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى وعبد الرحيم بن سليمان، كلاهما عن إسرائيل به (٥٠)، وقال في بعض كتبه غير عبيد الله بن موسى وعبد الرحيم بن سليمان، كلاهما عن إسرائيل به (٥٠)، وقال في بعض كتبه غير أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً لعلل منها: أنه لا يعرف له مخرج عن سماك إلا من هذا الوجه، ومنها أن عكرمة في روايته عندهم نظر، ومنها أن الذي نزلت فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه فقال بعضهم: نزلت في محلم بن جثامة، وقال بعضهم: أسامة بن زيد، وقيل غير ذلك.

قلت: وهذا كلام غريب وهو مردود من وجوه: أحدها: أنه ثابت عن سماك حدث به عنه غير واحد من الأئمة الكبار، الثاني: أن عكرمة محتج به في الصحيح، الثالث: أنه مروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس، كما قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلَقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَام لَسَّتَ مُوْمِنًا﴾ قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه

⁽۱) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (سنن أبي داود، العتق، باب في ثواب العتق ح٣٩٦٤)، والسنن الكبرى للنسائي (ح٤٨٩٢)، وفيه أيضاً الغريف الديلمي.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠٢٣ و٢٤٦٢)، وفي سنده سماك وهو ابن حرب وفي روايته عن عكرمة اضطراب لكنه روي من طريق آخر كما سيأتي في رواية البخاري، فسنده صحيح.

⁽٣) سنن الترمذي، التفسير، سورة النساء (ح٣٠٣). (١) المستدرك ٢/ ٢٣٥.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وحكمه كسابقه.

⁽٦) لعله في تهذيب الآثار لأن منهجه مطابقٌ لمنهج هذا النص.

وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا نَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسَّتَ مُؤْمِنًا﴾ قال ابن عباس: عرض الدنيا تلك الغنيمة، وقرأ ابن عباس: ﴿السَّلَامَ﴾(١).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قال: لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنَ أَلْقَى ٓ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسَّتَ مُؤْمِنًا ﴾ (٢). وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سفيان بن عيينة به، [(وقد ذكرت في المسند في ترجمة جزء من الحدرجان ﴿ الله الحاه فزاراً ، هاجر إلى رسول الله ﷺ عن أمر أبيه بإسلامهم وإسلام قومهم، فلقيته سرية لرسول الله ﷺ في عماية الليل، وكان قد قال لهم: إنه مسلم، فلم يقبلوا منه فقتلوه، قال جزء: فقدمت على رسول الله ﷺ فأعطاني ألف دينار دية أخي وأمر لي بمائة ناقة حمراء فنزل قوله تعالى: ﴿ يَكَانُهُمُ اللّهِ عَلَيْهُ وَالْمَرَامُةُ فِي سَبِيلِ اللّهِ . . . ﴾ الآية] (١٤)(٥).

وأما قصة [محلم] (٢) بن جثامة، فقال الإمام أحمد كَالله: حدثنا يعقوب، حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عليه، قال: بعثنا رسول الله عليه إلى إضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي، ومحلم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، معه متيع له ووطب من لبن، فلما مر بنا سلم علينا، فأمسكنا عنه، وحمل عليه [محلم] (٧) بن جثامة فقتله، لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه، فلما قدمنا على رسول الله على وأخبرناه الخبر نزل فينا ﴿يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبَتُم فِي سَبِيلِ الله الله الله المحدد.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا جرير، عن ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: بعث رسول الله على محلم بن جثامة مبعثاً، فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إحنة في الجاهلية، فرماه محلم بسهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله على فتكلم فيه عيينة والأقرع: فقال الأقرع، يا رسول الله، سر اليوم وغر غداً، فقال عيينة: لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي، فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله على تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي، فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله على المنافقة ا

⁽۱) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿وَلَا نَقُولُواْ لِمَنَ ٱلْقَيَ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] حـ89١).

⁽٢) وهو سبب نزول صحيح كما تقدم في صحيح البخاري. وهو في سنن سعيد بن منصور (٤/ ١٣٥٠) رقم (٢٧٧).

 ⁽٣) ما بين قوسين لا يوجد في الطبعات وهو في نسخة (مح). وقوله: وقد ذكرت في المسند... هو في جامع المسانيد ٢/ ١٨٢ (ح١٨٣٣)، وجزء هذا له ترجمة: أسد الغابة ١/ ٣٣٥، وفي الإصابة ١/ ٢٣٣.

⁽٤) ما بين معقوفين سقط من الأصل و(حم) واستدرك من (مح) وجامع المسانيد لابن كثير.

⁽٥) أخرجه أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن جزء الحدرجان عن أبيه به (جامع المسانيد ٢/ ١٨٢ ح ١٨٣٣)، قال الحافظ ابن حجر: هذا إسناد مجهول (الإصابة ٢/ ٢٣٣).

⁽٦)(٧) كذا في (حم) و(مح) والمسند وفي الأصل: «محكم».

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١١) وسنده حسن وقال الهيثمي: رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/٧).

ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: "لا غفر الله لك"، فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: "إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله أراد أن يعظكم" ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه الحجارة فنزلت ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبَتُم فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَتَبَيَّنُوا . . ﴾ الآية (١٠).

وقال البخاري: قال حبيب بن أبي عمرة عن سعيد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله على المقداد: «إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فقتلته، فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل» هكذا ذكره البخاري معلقاً مختصراً (٢).

وقوله: ﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِدُ كَثِيرَ أَنَّ ﴾ أي: خير مما رغبتم فيه عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام، وأظهر لكم الإيمان فتغافلتم عنه واتهمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، فما عند الله من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا.

وقوله: ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِن قَبِّلُ فَمَرَ اللَّهُ عَلَيْكُم ﴾ أي: قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه، كما تقدم في الحديث المرفوع آنفاً، وكما قال تعالى: ﴿ وَانْكُرُوا إِذْ أَنتُم قَلِيلٌ مُسْتَضَعَفُونَ فِي ٱلأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَنَخَطَّفَكُم النّاسُ فَعَاوَىكُم وَأَيْدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾ ﴿ وَانْفال: ٢٦]، وهذا مذهب سعيد بن جبير لما رواه الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِن قَبْلُ ﴾ تخفون إيمانكم في المشركين (٥٠). ورواه عبد الرزاق جبير في قوله: ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِن قَبْلُ ﴾ تخفون إيمانكم في المشركين (٥٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، وعنعنة ابن إسحاق.

⁽٢) صحيح البخاري، الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنُ اللَّهُ وَالنساء: ٩٣] (ح٦٨٦٦).

⁽٣) حمدان كذا في النسخ الخطية وفي كشف الأستار (ح٢٠٢)، ومختصر زوائد مسند البزار (ح١٤٥٨)، باسم أحمد وكلاهما صحيح لأن حمدان لقبه (التقريب ص٨٣).

⁽٤) مختصر زوائد مسند البزار (ح١٤٥٨)، وكشف الأستار (ح٢٠٢٠)، قال الهيثمي: إسناده جيد (مجمع الزوائد ١١/٧ ـ ١٢)، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق وكيع عن الثوري به.

عن ابن جُريج: أخبرني عبد الله بن كثير، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن وَبَالِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ عَلْمُ عَنْ اللهُ عَنْ عَلَا اللهُ عَنْ عَلَا اللهُ عَنْ عَلَا اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ عَلَا عَلَا عَالِمُ عَلَا اللهُ عَلَا عَلَّ عَلَا عَلَا عَ

وقال ابن أبي حاتم، وذكر عن قيس، عن سالم، عن سعيد بن جبير: قوله: ﴿كَذَلِكَ كَنُلِكَ مِن قَبِلُ ﴾ توزعون عن مثل هذا (٢). وقال الثوري عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق: لم تكونوا مؤمنين ﴿فَمَرَ اللّهُ عَلَيْكُمُ فَتَبَيّنُوا ﴾. قال السدي: ﴿فَمَرَ اللّهُ عَلَيْكُمُ أَنَدُ عَلَيْكُمُ أَنَا الله إلا الله بعد ذلك الرجل، وما لقي من رسول الله ﷺ فيه (٣).

وقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا ﴾ تأكيد لما تقدم، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ قال سعيد بن جبير: هذا تهديد ووعيد.

﴿ ﴾ ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَامِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَاللَّبُحَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهِ عَلَى الْقَامِدِينَ وَرَجَةً وَكُلًا وَعَدَ اللَّهُ الْمُشْتَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُبْحِهِدِينَ عَلَى الْقَامِدِينَ أَجُرًا عَلَى الْقَامِدِينَ أَجُرًا عَلَى الْقَامِدِينَ أَجُرًا عَلَى اللَّهُ عَفُورًا رَّجِيمًا ﴿ عَلَى اللَّهُ عَفُورًا رَّجِيمًا ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ عَنُورًا رَّجِيمًا ﴿ إِنَّهُ ﴾.

قال البخاري: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما نزلت ﴿ لاَ يَسْتَوِى الْقَعِيُونَ مِنَ الْمُوْقِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله: ﴿ فَيْرُ أَوْلِى الشَّرَدِ ﴾ (٤). حدثنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما نزلت ﴿ لاَ يَسْتَوِى الْقَعِيْونَ فِي الْمُوْقِينِ ﴾ قال النبي ﷺ: «ادع فلاناً » فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال: «اكتب (لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله) » وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿ لا يَسْتَوِى الْقَوْدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الطَّرَدِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله ﴾ أنا البخاري أيضاً: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن أيضاً: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، قال: فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى علي ﴿ لاَ يَسْتَوِى اللهَ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَاللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ عَلَى وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَى مَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ عَلَى مَا أَن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله: ﴿ فَيْرُ أُولِ فَخذه على فخذه على وفذي فشلت على خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ فَخذه على فخذي وثقلت على خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ اللهُ وَلَا اللهُ ا

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ولفظه، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق عبد الرزاق به.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده معلق لعدم التصريح باسم شيخه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي، لكنه مرسل.

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده، ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾ [النساء: ٩٥] ح٤٥٩).

⁽٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٥٩٤).

⁽٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٥٩٢).

وقد روي من وجه آخر عند الإمام أحمد عن زيد فقال: حدثنا سليمان بن داود، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد، قال: قال زيد بن ثابت: إني قاعد إلى جنب النبي على إذ أوحي إليه وغشيته السكينة، قال: فرفع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة، قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله على ثم سري عنه، فقال: «اكتب يا زيد»، فأخذت كتفاً، فقال: «اكتب «لا يَسْتَوِي ٱلْقاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله» الآية كلها إلى قوله: ﴿أَبُوا عَظِيهُ » فكتب ذلك في كتف، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى، فقام حين سمع فضيلة المجاهدين، وقال: يا رسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى وأشباه ذلك؟ قال زيد: فوالله ما قضى كلامه _ أو ما هو إلا أن قضى كلامه _ حتىٰ غشيت النبي الله السكينة، فوقعت فخذه على فخذي، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت عليه «لا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ في المرة الأولى، ثم سري عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت عليه «لا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلِ ٱلفَرَكِ قال زيد: فألحقتها، فوالله كأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف (١٠). ورواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف (١٠). ورواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، به نحوه (٢).

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر أنبأ الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب، عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله على فقال: «اكتب (لا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدِينَ فِي كنت أكتب لرسول الله عبد الله بن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى، قد ذهب بصري، قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه، ثم قال: «اكتب ﴿لّا يَسْتَوِى ٱلْقَعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أَوْلِ ٱلفّرَرِ وَٱللَّهُمُهُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهُ» (٣). ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج، أخبرني عبد الكريم _ هو ابن مالك الجزري _، أن مقسماً مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس أخبره ﴿لّا يَسْتَوِى اَلْقَعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر، انفرد به البخاري دون مسلم (٤). وقد رواه الترمذي من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الكريم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: ﴿لّا يَسْتَوِى اَلْقَعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الطّمَرِ ﴿ قَالَ عبد الله بن جحش وابن غيرُ أُولِي الطّمرِ ﴿ وَلَمَا نِلْتَ غَرُوةَ بدر، قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان يا رسول الله، فهل لنا رخصة؟ فنزلت ﴿لّا يَسْتَوِى اَلْقَعِدُونَ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الطّمرر، وَلَمَا نَلْتُ المُعْرَبِ وَفَصُلُ الله المجاهدين على القاعدين درجة فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر، ﴿ وَفَضَلُ اللهُ ٱلمُجَامِدِينَ عَلَى القاعدين من المؤمنين غير أولي وَفَصَلُ اللهُ ٱلمُجَامِدِينَ عَلَى القاعدين من المؤمنين غير أولي وَفَصَلُ اللهُ ٱللهُ ٱلمُجَامِدِينَ عَلَى القاعدين من المؤمنين غير أولي

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٩٠)، وصححه الألباني كما سيأتي.

⁽٢) سنن أبي داود، الجهاد، باب في الرخصة في القعود من العذر (ح٢٥٠٧)، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٢١٨٨).

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق به.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح وأخرجه البخاري من طريق عبد الرزاق به (صحيح البخاري، الباب السابق ح٤٥٩٥).

الضرر، هذا لفظ الترمذي. ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (۱). فقوله:
﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَيِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ كان مطلقاً، فلما نزل بوحي سريع ﴿ غَيْرُ أُولِى الظَّرَ ﴾ ، صار ذلك مخرجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج والمرض، عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين، قال ابن عباس: ﴿ غَيْرُ أُولِى الشَّرَ ﴿ (٢) ، وكذا ينبغي أن يكون، كما ثبت في صحيح البخاري من طريق زهير بن معاوية، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله على قال: ﴿إن بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه »، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: «نعم حبسهم العذر » (۱) ، وهكذا رواه أحمد عن محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن وعلقه البخاري مجزوماً ، ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن موسى بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، عن النبي على قال: «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه »، قالوا: وكيف يكونون معنا فيه يا رسول الله؟ قال: «نعم حبسهم العذر» لفظ أبي داود (١٤) ، وفي هذا المعني قال الشاعر:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جُسوماً وسرنا نحن أرواحا إنا أقسمنا على عنر وعن قدر ومن أقام على عند فقد راحا وقوله: ﴿وَكُلّا وَعَدَ اللّهُ الْمُسْنَى ﴾ أي: الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين، بل هو فرض على الكفاية.

قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ ٱلمُجَهِدِينَ عَلَى ٱلْقَعِدِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا ﴾ ثم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات، في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، وحلول الرحمة والبركات، إحسانًا منه وتكريماً، ولهذا قال: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحَمَةٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَجِيمًا ﴿ اللهِ ﴾.

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء الأرض»(٥).

وقال الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رمى بسهم فله أجره درجة» فقال رجل: يا رسول الله، وما الدرجة؟ فقال: «أما إنها ليست بعتبة أُمك، ما بين الدرجتين مائة عام»(٦).

⁽١) سنن الترمذي، تفسير القرآن سورة النساء (ح٣٠٣).

⁽٢) كذا في النسخ الخطية والمطبوعة وأخشى وقوع سقط التفسير وهو قوله: «أهل العذر» كما رواه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي طلحة عنه.

⁽٣) صحيح البخاري، الجهاد، باب من حبسه العذر عن العدو (ح٢٨٣٨).

⁽٤) أخرجه البخاري معلقاً بالجزم عقب الحديث السابق، ووصله الإمام أحمد (المسند ٣/ ١٦٠)، وأبو داود، السنن، الجهاد، باب الرخصة في القعود من العذر (ح٢٥٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢١٨٩).

⁽٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (الصحيح، الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ح٠٢٧٩)، وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري (الصحيح، الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد ح١٨٨٤).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي عوانة بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وصححه الحافظ ابن حجر (الإصابة ٢/٣٢٤).

﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَلْهَاجُمُ الْمَلَكِيكَةُ طَالِعِي أَنفُسِمِم قَالُواْ فِيمَ كُنُمُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضَعَفِينَ فِي الْأَرْضُ قَالُواْ الْمَهَ كَنُمُ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضَعَفِينَ فِي الْأَرْضُ قَالُواْ الْلَهَ وَاسِعَةً فَلْهَاجِمُوا فِيهَا فَأُولَكِكَ مَأُونَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتَ مَصِيرًا ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْفَالَةِ وَاللَّهُ عَلَمُ وَالْمَالَةِ وَالْمَالَةُ عَلَمُوا وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ وَمَن يَعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَبْتُومُ عَلَى اللَّهِ يَجِدُ فِي اللَّهِ عَلَمُ وَاللَّهُ عَلَمُوا وَمَن يَعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَن يُعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ وَمَن يُعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ وَمَن يُعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ وَمَن يُعْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَا لَكُونُ اللّهُ عَفُولًا رَجِيمًا ﴿ وَالْمَالَةُ مُنْ اللّهُ عَلْمُ وَاللَّهُ عَلْمُ وَاللَّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلْمُ وَلَا لَهُ اللّهُ عَلْمُ وَاللَّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلْمُ وَلَا لَيْهُ عَلْمُولًا وَيُولِكُمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ وَلَا لَاللّهُ عَلْمُولًا رَجِيمًا ﴿ إِلَيْ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ وَلًا وَاللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللّهُ اللللللللللللللللللللللللل

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة وغيره، قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود، قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله على، يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم، فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ تَوَفَّنَهُمُ ٱلْمَلَتَهِكَةُ ظَالِمِي آنفُسِهِم ، رواه الليث عن أبى الأسود (۱).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور [الرمادي] معنى الزبيري -، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري -، حدثنا محمد بن شريك المكي، حدثنا عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض. قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ اللَّينَ تَوَفَّنَهُمُ الْمَلَتَهِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِمٍ قَالُوا فِيمَ كُنهُم مَن الله المشركون، فأعطوهم من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم. قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم (الفتنه) فنزلت هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنًا بِاللّهِ الآية [البقرة: ٨] أنا.

قال عكرمة: نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالإسلام بمكة منهم: علي بن أُمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو العاص بن [منبّه] بن الحجاج والحارث بن زمعة (١).

قال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب، فنزلت هذه الآية (٢) الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّنُهُمُ ٱلْمَلَيَكِكُمُ ظَالِيقَ أَنفُسِهِمَ ﴾

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّنَهُمُ ٱلْمَلَتَهِكَةُ . . . ﴾ [النساء: ٩٧] ح٥٩٦).

⁽٢) «الرمادي» كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «الرفادي» وهو تصحيف.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «البقيه» وهو تصحيف.

٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٥) كذا في (حم) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: و(مح) «منصور» وهو تصحيف.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومنته، وسنده حسن لكنه مرسل.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن لكنه معضل لأن الضحاك تابع تابعي.

أي: بترك الهجرة ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنُمُمُ أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ﴿قَالُواْ كُنَا مُسْتَضَعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، حدثني يحيى بن حسان، أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب، حدثني خبيب بن سليمان، عن أبيه سليمان بن سمرة، عن سمرة بن جندب، أما بعد، قال رسول الله عليه: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»(۱).

وقال السدي: لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله ﷺ للعباس: «افد نفسك وابن أخيك» فقال: يا رسول الله، ألم نصل إلى قبلتك، ونشهد شهادتك، قال: «يا عباس، إنكم خاصمتم فخصمتم»، ثم تلا عليه هذه الآية ﴿أَلَمْ تَكُنّ أَرْضُ ٱللّهِ وَسِعَةٌ فَنُهَا عِرُوا فِيها فَأُولَئِكَ مَأْوَنَهُم جَهَنّم وَسَاءَتُ مَصِيرًا ﴾، رواه ابن أبي حاتم (٢).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضَّعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةٌ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ اللهِ هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرون على الخلاص^(٣) من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةٌ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

قال مجاهد وعكرمة والسدي: يعني طريقاً (٤).

وقوله تعالى: ﴿ فَأُولَتِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُم ﴾ أي: يتجاوز الله عنهم بترك الهجرة، عسى من الله موجبة، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

قال البخاري: حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: بينا رسول الله على يصلي العشاء إذ قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال قبل أن يسجد: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف»(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو معمر المنقري، حدثني عبد الوارث، حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله على رفع يده بعدما سلم وهو

⁽۱) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك ح۲۷۸۷)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح۲٤۲۰).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي لكنه مرسل.

⁽٣) كذا في الأصل: وفي (حم) و(مح): «التخلص» وكلاهما مستقيم المعنى.

⁽٤) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عمرو بن دينار عنه، وقول السدي، أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، تفسير سورة النساء، باب ﴿فَأُولَتِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمَّ ...﴾ [النساء: ٩٩] ح8٥٩).

مستقبل القبلة، فقال: «اللهم خلص الوليد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هشام، وضعفة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً من أيدي الكفار».

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن عبد الله أو إبراهيم بن عبد الله القرشي، عن أبي هريرة أن رسول الله على كان يدعو في دبر صلاة الظهر: «اللهم خلص الوليد، [وسلمة](۱) بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً»(۲)، ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما تقدم.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أُبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت أنا وأُمي من المستضعفين من النساء والولدان^(٣).

وقال البخاري: أنبأنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا ٱلسُّتَعْمَعْيِنَ﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله ﷺ أ

وقوله: ﴿ وَمَن يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ هذا تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه، والمراغم مصدر تقول العرب: راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة، قال النابغة بن جعدة:

كــطــود^(٥) يُـــلاذ بـــأركــانــه عــزيــز الــمــراغــم والــمـهــرب^(٢) وقال ابن عباس: المراغم التحول من أرض إلى أرض^(٧). وكذا روي عن الضحاك والربيع بن

أنس والثوري (^). أنس والثوري (^(^). وقال مجاهد: ﴿مُرَغَمًا كَثِيرًا﴾ يعني: متزحزحاً عما يكره (^(^).

وقال مجاهد: ﴿مُرْغُمَا كُثِيرًا ﴾ يعني: متزحزحا عما يكره وقال سفيان بن عيينة: مراغماً كثيراً؛ يعنى: بروجاً(١٠).

والظاهر _ والله أعلم _ أنه المنع الذي يُتحصّن به ويراغم به الأعداء.

قوله: ﴿وَسَعَةً ﴾ يعني: الرزق، قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال في قوله: ﴿يَجِدُ فِي ٱلْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾؛ أي: من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى(١١١).

(١) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «سليم»، وهو تصحيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٥٩٧). ويشهد له لا حقه.

(٥) الطود: الجبل العظيم. (٦) شعر النابغة الجعدي ص٣٣.

(٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه.

(٨) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وأسند الطبري قول الضحاك والربيع بأسانيد يقوي بعضها بعضاً وتتقوىٰ برواية ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم من طرق نافع عن ابن عيينة، وفي سنده خباب ذكره أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ٣/ ٣٩٥).

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف إلا أنه توبع كما تقدم في رواية البخاري فسنده حسن لغيره.

وقوله: ﴿وَمَن يَخُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدّرِكُهُ اللّوّتُ فَقَد وَقَع آجَرُهُ عَلَى اللّهِ ﴾ أي: ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (۱).

وهذا عام في الهجرة وفي جميع الأعمال. ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم أكمل بذلك العابد المائة ثم سأل عالماً: هل له من توبة؟ فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه. فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الآخر أدركه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال هؤلاء: إنه جاء تائباً، وقال هؤلاء: إنه لم يصل بعد، فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها، فأمر الله هذه أن تقترب من هذه، وهذه أن تبتعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية: أنه لما جاءه الموت ناء بصدره إلى الأرض التي هاجر إليها.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن محمد بن عبد الله بن عتيك، قال: سمعت رسول الله على يقول: «من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله»، ثم قال: بأصابعه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن، وقال: «وأين المجاهدون في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله على الله، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله على فراشه، والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله على ومن قتل قعصاً فقد استوجب المآب»(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة [الحزامي](٤)، حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي، عن المنذر بن عبد الله، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فنزلت فيه ﴿وَمَن يَخُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ المُؤتُ فَقَدٌ وَقَعَ آجُرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ

⁽۱) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (ح٥٤)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات» (ح١٩٠٧).

⁽٢) تقدم تخريجه في آخر تفسير آية ٩٣ من هذه السورة المباركة.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٤٠/٢٦ ح١٦٤١٤)، وضعفه محققوه بسبب وعنعنة ابن إسحاق، ومحمد بن إبراهيم لم يوثقه سوىٰ ابن حبان. ومعنىٰ: استوجب المآب: أي الآخرة أي مات شهيداً فاستحق لذلك الدار الآخرة. قاله السندي في حاشية المسند.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «الخزاعي» وهو تصحيف.

الله عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، قال الزبير: فكنت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغتني، لأنه قل أحد ممن هاجر من قريش إلا ومعه بعض أهله، أو ذوي رحمه، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزى، ولا أرجو غيره (١). وهذا الأثر غريب جداً، فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره وإن لم يكن ذلك سبب النزول، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا [عبد الرحمن بن سليمان، حدثنا أشعث _ هو ابن سوار _، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: خرج ضمرة](٢) بن جندب إلى رسول الله على فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله على فنزلت ﴿وَمَن يَخُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدُرِكُهُ المُوّتُ فَقَد وَقَعَ أَن يصل إلى رسول الله على فنزلت ﴿وَمَن يَخُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدُرِكُهُ المُوّتُ فَقَد وَقَعَ الجَوُمُ عَلَى اللهِ بن رجاء، أنبأنا إسرائيل، عن سالم، أجَرُهُ عَلَى اللهِ من رجاء، أنبأنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن أبي ضمرة بن العيص الزرقي الذي كان مصاب البصر وكان بمكة، فلما نزلت ﴿إِلَّا ٱلمُسْتَضْعَفِينَ مِن الرِّجَالِ وَالْفِسَاتِهِ وَالْوِلْدَنِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلةً ﴾ فقلت: إني لغني، وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي على أو أوكن الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَخُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مُمَّ يُرْبُحُ مِنَ أَبَوْتُ فَقَد وَقَعَ أَجُرُهُ عَلَى اللهِ قَوْلًا رَّحِيمًا ﴾ (٤).

وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن عروبة البصري، حدثنا حيوة بن شريح الحمصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، حدثنا مكحول، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، أنبأنا أبو مالك، قال: سمعت رسول الله علي يقول: «إن الله قال: من انتدب خارجاً في سبيلي غازياً ابتغاء وجهي، وتصديق وعدي، وإيماناً برسلي فهو في ضمان على الله، إما أن يتوفاه بالجيش فيدخله المجنة، وإما أن يرجع في ضمان الله، وإن طالب عبداً فنغصه حتى يرده إلى أهله مع ما نال من أجر، أو غنيمة، ونال من فضل الله فمات، أو قتل، أو رفصته فرسه، أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله، فهو شهيد». وروى أبو داود من حديث بقية من فضل الله إلى آخره، وزاد بعد قوله: «فهو شهيد، وإن له الجنة» (٥٠) (٢٠)(٧). وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إبراهيم بن زياد سبكان، حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن إسحاق، عن حميد بن أبي ميمون (٨)،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف فيه المنذر بن عبد الله الحزامي: مقبول، وعبد الرحمن بن عبد الملك صدوق يخطئ كما في التقريب ولم يتابعا.

⁽٢) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده أشعث بن سوار ضعيف، وعبد الله بن سليمان بن أبي الجون صدوق يخطئ وقد توبعا بواسطة عمرو بن دينار ومحمد بن شريك في رواية لابن أبي حاتم كما له شواهد تقوية.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) ما بين معقوفين زيادة من (مح).

⁽٦) المعجم الكبير (ح٣٤١٨)، وأخرجه الحاكم من طريق بقية به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٨٧).

⁽٧) أخرجه أبو داود في سننه، الجهاد، باب فيمن مات غازياً (ح٢٤٩٩). في إسناده ابن ثوبان فيه مقال.

⁽A) حميد بن أبي ميمونة كذا في الأصل و(مح)، وفي (حم): «حميد بن أبي حميد» وفي مسند أبي يعلى: «جميل بن أبي ميمونة» (المسند ٢٣٨/١١ - ٢٣٥).

عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على الله على الله على الله على المعتمر إلى يوم كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات، كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة» (١). وهذا القيامة، ومن خرج غازياً في سبيل الله فمات، كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة» (١). وهذا حديث غريب من هذه الوجه.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن نَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمَ أَن يَفْنِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفُرُوٓأً [إِنَّ ٱلْكَفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا ثَبِينًا ﴿ ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبُمُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: سافرتم في البلاد، كما قال تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِن مَ خَلِ اللهِ مَ مَ خَلِ اللهِ مَ اللهِ اللهُ الله

وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، إني رجل تاجر أختلف إلى البحرين، فأمره أن يصلي ركعتين (٢)، وهذا مرسل، ومن قائل: يكفي مطلق السفر سواء كان مباحاً أو محظوراً حتى لو خرج لقطع الطريق وإخافة السبيل ترخص لوجود مطلق السفر، وهذا قول أبي حنيفة والثوري وداود لعموم الآية وخالفه الجمهور.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمُ أَن يَفْلِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفُرُوّاً ﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن في ابتداء الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام، أو في سرية خاصة. وسائر الأحيان حرب للإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِمُوا فَنَيَتِكُمْ عَلَى ٱلِّغَلَهِ إِنّ أَرْدَن تَعَسَّنا ﴾ [النور: ٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَرَبَّيِّبُكُمُ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُم مِن فِسَآيِكُم مَن السَّاهِ النساء: ٣٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي عمار، عن عبد الله بن

⁽۱) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٢٣٨/١١ ح٣٥٧)، وفي سنده ابن إسحاق لم يصرح بالسماع، وجميل بن أبي ميمونة ذكره البخاري وسكت عنه (التاريخ الكبير ٢١٦/٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح٧٤٥).

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسنده ومتنه (المصنف ٢/٤٤٧)، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

بابيه، عن يعلى بن أُمية، قالت: سألت عمر بن الخطاب قلت له: قوله: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن نَقْصُرُوا مِن الصَّلَوْةِ إِنْ خِفْئُمُ أَن يَقْلِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وقد أمن الناس؟ فقال لي عمر على: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله على عن ذلك، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته (۱). وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال علي بن المديني: هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون (۲).

وقال ابن مردویه: حدثنا عبد الله بن محمد بن عیسی، حدثنا علی بن محمد بن سعید: حدثنا [منجاب] (٤)، حدثنا شریك، عن قیس بن وهب، عن أبي الوداك، قال: سألت ابن عمر عن ركعتین في السفر فقال: هي رخصة نزلت من السماء، فإن شئتم فردّوها (٥).

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا ابن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عباس، قال: صلينا مع رسول الله على بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا نخاف بينهما ركعتين ركعتين (٢٦). وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن عون به.

قال أبو عمر بن عبد البر: وهكذا رواه أيوب وهشام ويزيد بن إبراهيم التستري عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس على عن النبي على مثله.

قلت: وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن هشيم، عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس أن النبي على خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين، فصلى ركعتين، ثم قال الترمذي: صحيح (٧).

وقال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوراث، حدثنا يحيى بن أبي إسحاق، قال: سمعت [أنساً] (^^) يقول: خرجنا مع رسول الله على من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١٧٤)، وسنده صحيح على شرط مسلم.

⁽۲) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين (ح٦٨٦)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب صلاة المسافر (ح١٩٩٩)، وسنن النسائي، بداية كتاب تقصير المسافر (ح١٩٩٩)، وسنن النسائي، بداية كتاب تقصير الصلاة ٣/٣٠٣، وسنن ابن ماجه، الصلاة، باب تقصير الصلاة في السفر (ح١٠٦٥).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين به، وصححه أحمد شاكر (المسند ح٦١٩٤).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سحاب» وهو تصحيف.

⁽٥) في سنده شريك صدوق سيء الحفظ، ويشهد له سابقه ولاحقه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي شيبة المصنف ٢/ ٤٤٨، وصححه الترمذي ثم الألباني كما سيأتي.

 ⁽٧) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في كم تقصر الصلاة (ح٥٤٧)، وسنن النسائي، كتاب تقصر الصلاة [الباب الأول] في السفر ٣/١١٧، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح١٣٥٧).

⁽A) كذا في (حم) و(مح)، وصحيح البخاري، وفي الأصل: "إنساناً" وهو تصحيف.

ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، قلت: أقمتم بمكة شيئاً؟ قال: أقمنا بها عشراً (١). وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي به (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن وهب الخزاعي، قال: صليت مع النبي على الظهر والعصر بمنى أكثر ما كان الناس، وآمنه ركعتين (٣). ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن ابن أبي إسحاق السبيعي عنه به، ولفظ البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أنبأنا أبو إسحاق، سمعت حارثة بن وهب، قال: صلى بنا رسول الله على آمن ما كان بمنى ركعتين (٤).

وقال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، حدثنا عبيد الله، أخبرني نافع، عن عبد الله مهو ابن عمر من قال: صليت مع رسول الله على ركعتين، وأبي بكر وعمر وعثمان صدراً من إمارته، ثم أتمها، وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به (٥).

وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الواحد، عن الأعمش، حدثنا إبراهيم: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان فله بمنى أربع ركعات، فقيل في ذلك لعبد الله بن مسعود فله فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله على بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان متقبلتان ورواه البخاري أيضاً من حديث الثوري عن الأعمش به وأخرجه مسلم من طرق عنه منها عن قتيبة كما تقدم (٧).

فهذه الأحاديث دالة صريحاً على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف، ولهذا قال من قال من العلماء: إن المراد من القصر ههنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية، وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كما سيأتي بيانه، واعتضدوا أيضاً بما رواه الإمام مالك عن صالح بن كيسان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة في أنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر، فأقرت صلاة السفر، وزيدت في صلاة الحضر (٨). وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف التنيسي، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن القعنبي، والنسائي

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه، كتاب تقصير الصلاة (ح١٠٨١).

⁽۲) صحيح مسلم، صلاة المسافرين (ح٦٩٣)، وسنن أبي داود، الصلاة باب متى يتم المسافر؟ (ح١٢٣٣)، وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في كم تقصر الصلاة (ح٥٤٨)، وسنن النسائي، تقصير الصلاة في السفر ٣/١١٨، وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة (ح١٠٧٧).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠٦/٤)، وسنده صحيح.

⁽٤) صحيح البخاري، الباب السابق (ح١٠٨٣).

⁽٥) صحيح البخاري، الباب السابق (ح١٠٨٢)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٦٩٤).

⁽٦) صحيح البخاري، الباب السابق (ح١٠٨٤).

⁽٧) صحيح البخاري، الحج، باب الصلاة بمنى (ح١٦٥٧)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب قصر الصلاة بمنى (ح٦٩٥).

⁽A) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، قصر الصلاة في السفر ١٤٦١ ح٨)، وسنده صحيح.

عن قتيبة، أربعتهم عن مالك به^(١).

قالوا: فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي الثنتين، فكيف يكون المراد بالقصر ههنا قصر الكمية، لأن ما هو الأصل لا يقال فيه: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن نَقَصُرُوا مِن الصَّلَوٰةِ ﴾ وأصرح من ذلك دلالة على هذا ما رواه الإمام أحمد: حدثنا وكيع، [حدثنا] (٢) سفيان وعن عبد الرحمن، عن سفيان، عن زبيد اليامي، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عمر فيه، قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر، على لسان محمد على شرط مسلم (٤).

وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسماع ابن أبي ليلى عن عمر، وقد جاء مصرحاً به في هذا الحديث وفي غيره، وهو الصواب إن شاء الله، وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا: إنه لم يسمع منه، وعلى هذا أيضاً: فقد وقع في بعض طرق أبي يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زبيد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن [الثقة](٥) عن عمر... فذكره، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد عن زبيد، عن عبد الرحمن، عن كعب بن عجرة، عن عمر أنه أعلم.

وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري، زاد مسلم والنسائي: وأيوب بن عائد، كلاهما عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد على في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة وهكذا رواه وكيع وروح بن عبادة عن أسامة بن زيد الليثي، حدثني الحسن بن مسلم بن يناف، عن طاوس، عن ابن عباس قال: فرض الله ورسوله على الصلاة في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، فكما يصلى في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر. ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاوس نفسه أن فهذا ثابت عن ابن عباس في الله ولا ينافي ما تقدم عن عائشة المنه النها أخبرت أن

⁽۱) صحيح البخاري، الصلاة، باب كيف فُرضت الصلاة؟ (ح٣٥٠)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٦٨٥)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب صلاة السفر (ح١١٩٨)، وسنن النسائي الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة؟ / ٢٢٥.

⁽٢) كذا في المسند وسقط من الأصل (حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١/٣٦٧ ح٢٥٧)، وصححه محققوه.

⁽٤) سنن النسائي، كتاب تقصير الصلاة ٣/١٨٣، وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة (ح١٠٦٣)، والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٩٧/٤ (ح٢٧٨٣)، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «البقية» وهو تصحيف.

⁽٦) سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة، باب تقصير الصلاة في السفر (ح١٠٦٤).

⁽۷) صحيح مسلم، صلاة المسافرين (ح٦٨٧)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب من قال: يصلي بكل طائفة ركعتين (ح١٢٤٧)، وسنن النسائي: الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة ٢٢٦/١، وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة، باب تقصير الصلاة في السفر (ح١٠٦٨).

أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك، صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربع، كما قاله ابن عباس و والله أعلم -، لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة، كما هو مصرح به في حديث عمر فله ، وإذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن نَقْصُرُوا مِن الصَّلَوَة قصر الكيفية كما في صلاة الخوف، ولهذا قال: ﴿ إِنْ خِفْتُمُ أَنْ يَفْلِنكُمُ اللَّذِينَ كَفُواً إِنَّ الكَفِينَ كَانُوا لَكُمْ عَمُوا مُيناً ﴾، ولهذا قال بعدها: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فَاقَمتَ لَهُمُ الصَّلَوَة فَالنَقُمُ طَآبِفَكَةً مِنْهُم مَعَك . . . ﴾ إلى الحمد النساء: ١٠١]، فبين المقصود من القصر ههنا، وذكر صفته وكيفيته، ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة الخوف صدره بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَا ضَرَبُمُ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن فَقُمُوا مِن الصَّلَوَة ﴾ [النساء: ١٠٢]، وهكذا قال جويبر عن الضحاك في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْكَفِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٠١]، وهكذا قال بحويبر عن الضحاك في قوله: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن نَقْصُرُوا مِن الصَّلَوَة ﴾ قال: ذاك عند القتال يصلي الرجل المضحاك في قوله: حيث كان وجهه (١٠).

وقال أسباط، عن السدي في قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ أَن نَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوَةِ إِنَّ خِفَتُمُ آن يَقْلِنَكُمُ ٱلِّذِينَ كَفَرُوٓاً . . . ﴾ الآية. إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر، فهي تمام التقصير لا يحل إلا أن يخاف من الذين كفروا أن يفتنوه عن الصلاة فالتقصير ركعة (٢).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُرُ جُنَاحُ أَن نَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوَ ﴾ يوم كان النبي ﷺ وأصحابه بعسفان (٢)، والمشركون بضجنان (٤)، فتوافقوا، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات بركوعهم، وسجودهم، وقيامهم معاً جميعاً فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم، روى ذلك ابن أبي حاتم (٥)، ورواه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعن جابر وابن عمر (٢)، واختار ذلك أيضاً فإنه قال بعدما حكاه من الأقوال في ذلك: وهو الصواب.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثنا ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب، عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال $[[]^{(v)}]$ الله بن عمر: إنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف، ولا نجد قصر صلاة المسافر، فقال عبد الله: إنا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق جويبر به، وسنده ضعيف لضعف جويبر.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط به.

⁽٣) عسفان: بضم أوله وإسكان ثانية قرية جامعة لبني المصطلق من خزاعة (معجم ما استعجم ٨/٩٤٤)، وما زالت موجودة وتبعد عن مكة حوالي (٨٠) كيلاً شمالاً.

⁽٤) ضَجنان: بفتح أوله وإسكان ثانية. . جبل بناحية مكة على طريق المدينة (المصدر السابق ٨٥٦/٢).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل ووصله أيضاً من طريق ورقاء عن مصنور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي، وأخرجه سعيد بن منصور (السنن، التفسير رقم ٦٨٦)، وأبو داود (السنن، الصلاة، باب صلاة الخوف ح١٢٣٦)، والحاكم (المستدرك ١٣٣٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٠٩٦)، وصححه الحافظ ابن كثير كما سيأتي في الآية ١٠٢ من هذه السورة.

⁽٦) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه لكنه مرسل ويتقوى بسابقه وبقول جابر الذي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق يزيد الفقير عنه، وقول ابن عمر أخرجه ابن أبي شيبة من طريق سماك الحنفي عنه (المصنف ٤٤٩/٢). وسنده حسن.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «لسعد» وهو تصحيف.

وجدنا نبينا ﷺ يعمل عملاً عملنا به (١).

فقد سمى صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لا على قصر صلاة المسافر، وأقره ابن عمر على ذلك، واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن، وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضاً: حدثنا أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك الحنفي قال: سألت ابن عمر عن صلاة السفر، فقال: ركعتان تمام غير قصر، إنما القصر في صلاة المخافة، فقلت: وما صلاة المخافة؟ فقال: يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم [يجيء](٢) هؤلاء إلى مكان هؤلاء، فيصلي بهم ركعة، فيكون للإمام ركعتان، ولكل طائفة ركعة ركعة (علوله تعالى بعدها:

صلاة الخوف أنواع كثيرة، فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوبها، والصلاة تارة تكون رباعية، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب، وتارة تكون ثنائية كالصبح وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون على الجماعة، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ورجالاً وركباناً، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة. ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لحديث ابن عباس المتقدم، وبه قال أحمد بن حنبل. قال المنذري في الحواشي. وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقتادة وحماد، وإليه ذهب طاوس والضحاك.

وقد حكى أبو عاصم العبادي عن محمد بن نصر المروزي: أنه يرى رد الصبح إلى ركعة في الخوف، وإليه ذهب ابن حزم أيضاً. وقال إسحاق بن راهويه: أما عند المسايفة فيجزيك ركعة واحدة تومئ بها إيماء، فإن لم تقدر فسجدة واحدة لأنها ذكر الله، وقال آخرون: تكفي تكبيرة واحدة، فلعله أراد ركعة واحدة. كما قاله الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه، وبه قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدي، ورواه ابن جرير، ولكن الذي حكوه إنما حكوه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة، كما هو مذهب إسحاق بن راهويه وإليه ذهب الأمير عبد الوهاب [بن] بخت المكي، حتى قال: فإن لم يقدر على التكبير فلا

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٤٢٧٦)، وأحمد في المسند (ح٥٣٣٥)، كلاهما من طريق الزهري به، وسنده صحيح.

⁽٢) سقط في الأصل وأثبت من (حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق مسعر عن سماك به (المصنف ٢/ ٤٤٩)، وسنده

⁽٤) سقط في الأصل وأثبت من (حم) و(مح).

يتركها في نفسه؛ يعني بالنية. رواه سعيد بن منصور في سننه عن إسماعيل بن عياش، عن شعيب بن دينار عنه، فالله أعلم.

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة، كما أخر النبي على يوم الأحزاب الظهر والعصر فصلاهما بعد الغروب^(۱)، ثم صلى بعدهما المغرب، ثم العشاء، وكما قال بعدها يوم بني قريظة حين جهز إليهم الجيش: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق، فقال منهم قائلون: لم يرد منا رسول الله على إلا تعجيل المسير، ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق، وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب، ولم يعنف رسول الله أحداً من الفريقين (۱).

وقد تكلمنا على هذا في كتاب «السيرة»، وبيّنا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب إلى إصابة الحق في نفس الأمر، وإن كان الآخرون معذورين أيضاً، والحجة ههنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد من الطائفة الملعونة اليهود.

وأما الجمهور فقالوا: هذا كله منسوخ بصلاة الخوف، فإنها لم تكن نزلت بعد، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك، وهذا بينٌ في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشافعي كَلَّلُهُ وأهل السنن (٣). ولكن يشكل عليه ما حكاه البخاري في صحيحه حيث قال:

(باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) قال الأوزاعي: إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء، أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال، أو يأمنوا فيصلوا ركعتين، فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين، فإن لم يقدروا فلا يجزئهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا، وبه قال مكحول:

وقال أنس بن مالك: حضرت مناهضة حصن تُستَر⁽³⁾ عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال، فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى، ففتح لنا، قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها⁽⁰⁾. انتهى ما ذكره، ثم أتبعه بحديث

⁽١) وذلك كما قال ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى...» (أخرجه مسلم، الصحيح، المساجد، باب الدليل لمن قال: «الصلاة الوسطى هي صلاة العصر» ح٦٢٧).

⁽٢) صحيح البخاري، الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب (ح٩٤٦).

⁽٣) مسند الشافعي (ح٥٥٣)، وسنن النسائي، الأذان، باب الأذان للفائت من الصلوات ١٧/٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي (ح٦٣٨).

⁽٤) تُستر: أعظم مدينة خوستان (مراصد الاطلاع ٢٦٢/١).

⁽٥) قول الأوزاعي رواه البخاري معلقاً وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الوليد بن مسلم عنه في كتاب السير (الفتح ٢/ ٤٣٤)، وقول مكحول وصله الحافظ ابن حجر فذكر رواية عبد بن حميد في تفسيره عن عمر بن سعيد الدمشقي، عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول (تغليق التعليق ٢/ ٣٧١ _ ٣٧٢)، وأما قول أنس رواه البخاري معلقاً ووصله بواسطة ابن أبي شيبة وابن سعد في الطبقات عن عفان بن مسلم ثنا همام بن يحيى، عن قتادة عن أنس. . . (تغليق التعليق ٢/ ٣٧٢).

تأخير الصلاة يوم الأحزاب، ثم بحديث أمره إياهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة (١)، وكأنه كالمختار لذلك، والله أعلم.

ولمن جنح إلى ذلك له أن يحتج بصنيع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تُستَر فإنه يشتهر غالباً، ولكن كان ذلك في إمارة عمر (٢) بن الخطاب، ولم ينقل أنه أنكر عليهم ولا أحد من الصحابة، والله أعلم.

قال هؤلاء: وقد كانت صلاة الخوف مشورعة في الخندق لأن غزوة ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول الجمهور، علماء السير والمغازي، وممن نص على ذلك محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد بن سعد كاتبه وخليفة بن الخياط وغيرهم (٣).

وقال البخاري وغيره: كانت ذات الرقاع بعد الخندق لحديث أبي موسى وما قدم إلا في خيبر (٤)، والله أعلم.

والعجب كل العجب أن المزني وأبا يوسف القاضي وإبراهيم بن إسماعيل بن علية، ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيره عليه الصلاة والسلام، الصلاة يوم الخندق وهذا غريب جداً، وقد ثبتت الأحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف، [والحمل على](٥) تأخير الصلاة يومئذٍ على ما قاله مكحول والأوزاعي أقوى وأقرب، والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيمٍ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَكَاوَةَ ﴾ أي: إذا صليت بهم إماماً في صلاة اللحوف، وهذه حالة غير الأولى، فإن تلك قصرها إلى ركعة كما دل عليه الحديث - فرادى ورجالاً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بإمام واحد، وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك، وأما من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي على لقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِم ﴾ فبعده تفوت هذه الصفة، فإنه استدلال ضعيف، ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله: ﴿خُذْ مِنَ أَمَولِمُ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُم وَمُنَا بعده عَلَيْ الله على من نراه، وندفعها إلى من صلاته؛ أي: دعاؤه سكن لنا، ومع أحد، بل نخرجها نحن بأيدينا على من نراه، وندفعها إلى من صلاته؛ أي: دعاؤه سكن لنا، ومع هذا رد عليهم الصحابة، وأبوا عليهم هذا الاستدلال، وأجبروهم على أداء الزكاة وقتلوا من منعها منهم.

ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولاً قبل ذكر صفتها، قال ابن جرير: حدثني ابن

⁽۱) صحيح البخاري، الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب (ح٩٤٦)، وباب التبكير والغلس بالصبح (-٩٤٦).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «زمن عمر».

⁽٣) السيرة لابن هشام ٢٠٣٦، والمغازي للواقدي ١/ ٣٣٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٦١.

⁽٤) صحيح البخاري، المغازي، باب غزّوة ذات الرقاع (ح٤١٢٨). وقوله: وما قدم إلا في خيبر؛ أي ما قدم من الحبشة.

⁽۵) زیادة من (حم) و(مح).

المثنى، حدثني إسحاق، حدثنا عبد الله بن هاشم، أنبأنا سيف عن أبي روق، عن أبي أيوب، فَى الأرض فَكِيفُ نَصِلَى؟ فَأَنْزَلَ الله ﷺ ﴿ وَإِذَا ضَرَبَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن لَقُصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوة ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك [بحول أ١٦] [غزا ٢١] النبي على فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها، قال: فأنزل الله عَلَىٰ بين الصلاتين ﴿إِنْ خِفْئُمَ أَن يَفْلِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنَّ ٱلْكَفِرِينَ كَانُواْ لَكُرَ عَدُوًّا ثَبُينًا ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّكَلَوْةَ فَلَنْقُمْ طَآيِفَكُ مِنْهُم مَّعَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَدَّ لِلْكَنفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾، فنزلت صلاة الخوف (٣)، وهذا سياق غريب جداً، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقي واسمه زيد بن الصامت على عند الإمام أحمد وأهل السنن، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري عن منصور، عن مجاهد، عن أبي عياش الزرقي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا رسول الله علي الظهر، فقالوا: لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتى عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّكَاوَةَ ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفين، قال: ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي على بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا، جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، [وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاءً أ^{٤)}، ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا، ثم سلم عليهم، ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله على مرتين: مرة بعسفان، ومرة بأرض بني سليم (٥).

ثم رواه أحمد عن غندر، عن شعبة، عن منصور به نحوه، وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائي من حديث شعبة، وعبد العزيز بن عبد الصمد، كلهم عن منصور به، وهذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة (٢٦)، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس عبد الله عن قال: قام النبي على وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه،

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «تحول» وهو تصحيف.

⁽٢) سقط في الأصل، (وأثبت) من (حم) و(مح) وتفسير الطبري.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده سيف وهو ابن عمر التميمي: ضعيف (التقريب ص٢٦٢)، ولبعض روايته شواهد كما قال الحافظ ابن كثير.

⁽٤) سقط في الأصل وأثبت من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٥) تقدم تخريجه وتصحيحه في آخر تفسير آية ١٠١ من هذه السورة الكريمة.

⁽٦) تقدم عزوه لمصادره كسابقه.

وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضاً (١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن سليمان اليشكري أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة؛ أي: يوم أنزل أو أي يوم هو، فقال جابر: انطلقنا نتلقى عير قريش آتية من الشام حتى إذا كنا بنخل، جاء رجل من القوم إلى رسول الله على فقال: يا محمد، قال: نعم. قال: هل تخافني؟ قال: «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فسل السيف، ثم تهدده وأوعده، ثم نادى بالرجل وأخذ السلاح، ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله على أعقابهم، فقاموا في مصاف أصحابهم، ثم جاء بالذين يلونه ركعتين، والآخرون يحرسونهم، ثم سلم فكانت للنبي على أربع ركعات، وللقوم ركعتين، فيومئذ أنزل الله في إقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح (٢٠).

ورواه الإمام أحمد فقال: حدثنا سريج، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس هو اليشكري، عن جابر بن عبد الله، قال: قاتل رسول الله على محارب خصفة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله بله بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله بله فقال: «ومن يمنعك مني؟»] (٣) قال: كن خير آخذ. قال: «أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: لا، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، [فأتى قومه] (٤) فقال: جئتكم من عند خير الناس، فلما حضرت الصلاة، صلى رسول الله بله صلاة الخوف، فكان الناس طائفتين: طائفة بإزاء العدو، وطائفة صلوا مع رسول الله بله فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين وانصرفوا، فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بإزاء العدو، ثم انصرف الذين كانوا بإزاء العدو فصلوا مع رسول الله بله ركعتين، فكان لرسول الله بله أربع ركعات، وللقوم ركعتين ركعتين محد ثم تفرد به من هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم، حدثنا المسعودي، عن يزيد الفقير، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر أقصرهما؟ فقال: الركعتان في السفر تمام، إنما القصر واحدة عند القتال، بينما نحن مع رسول الله على قتال، إذ أقيمت الصلاة، فقام رسول الله على فصف طائفة، وطائفة وجهها قبل العدو،

⁽١) صحيح البخاري، الخوف، باب يَحرس بعضهم بعضاً في صلاة الخوف (ح٩٤٤).

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده قتادة لم يصرح بالسماع ولكنه توبع بوسطة أبي بشر وهو جعفر بن أبي وحشية، كما سيأتي في الرواية التالية.

⁽٣) سقط في الأصل وأثبت من (حم) و(مح) والمسند.

⁽٤) زيادة من المسند.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه سنده محققوه (المسند ٣٦٩/٢٣ ـ ٣٧٠ ح١٥١٩).

فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله على فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين، ثم إن رسول الله على جلس فسلم، [وسلم]() الذين خلفه، وسلم أولئك، فكانت لرسول الله على ركعتين، وللقوم ركعة ركعة، ثم قرأ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمَتَ لَهُمُ الْعَكَلُوةَ...﴾ الآية(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله على بهم صلاة الخوف، فقام صف بين يديه وصف خلفه، فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء، فصلى بهم رسول الله على ركعة وسجدتين ثم سلم، فكانت للنبي وكعتين، ولهم ركعة م ورواه النسائي من حديث شعبة، ولهذا الحديث طرق عن جابر، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر (٤)، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّكَلَوْةَ ﴾ قال: هي صلاة الخوف، صلى رسول الله ﷺ بإحدى الطائفتين ركعة، والطائفة الأخرى مقبلة على العدو، وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله ﷺ [ركعة أخرى ثم سلم بهم، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت] (٥) ركعة ركعة (٢)، وقد روى هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طريق معمر به (٧)، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة، وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه، وكذا ابن جرير، ولنحرره في كتاب الأحكام الكبير، إن شاء الله وبه الثقة.

وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية، وهو أحد قولي الشافعي، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ إِن كَانَ بِكُمْ أَذَى مِن مَطَرٍ أَوَ كُنتُم مَرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَنكُم وَخُذُوا حِذْرَكُم ﴿ أَي: بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَلفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

 ⁽١) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٢٩٨)، وسنده صحيح، وتخريجه كما يلي:

⁽٤) سنن النسائي، صلاة الخوف ٣/ ١٧٤، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف (ح٠٨٤).

⁽٥) سقط في الأصل، وأثبت من (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وأخرجه البخاري من طريق الزهري به مختصراً (صحيح البخاري، الصلاة، صلاة الخوف)، وأخرجه مسلم من طربق معمر به مختصراً (صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف ح ٨٣٩).

⁽٧) تقدم في الحاشية تخريجه من الصحيحين وكفل بهما.

﴿ وَاإِذَا فَصَيَتُكُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذَكُرُوا اللّهَ قِينَكًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اَطْمَأْنَتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوَةُ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتَنَبًا مَوْقُوتَ اللَّهِ وَلَا تَهِمُوا فِي ابْتِغَلَمِ الْقَوْرُ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ (يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا اللّه

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعاً مرغباً فيه أيضاً بعد غيرها، ولكن ههنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب، وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها، كما قال تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ وَغِير ذلك مما ليس يوجد في غيرها، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها وعظمتها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوةَ فَاذَكُرُوا اللّهَ قِينَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمُ أَي: في سائر أحوالكم، ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا اَطْمَأْنَتُم فَأَقِيمُوا الصَّلَوة ﴾ أي: فإذا أمنتم وذهب الخوف، وحصلت الطمأنينة ﴿فَآقِيمُوا الصَّلَوة ﴾ أي: فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوْةَ كَانَتُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَنَبًا مَّوْقُوتَا﴾ قال ابن عباس: أي: مفروضاً (١)، وكذا روي عن مجاهد وسالم بن عبد الله وعلي بن الحسين ومحمد بن علي والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي (٢).

قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوَةَ كَانَتَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَنَبًا مَّوْقُوتَا﴾ قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج^(٣).

وقال زيد بن أسلم: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوَةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَنْبًا مَّوْقُوتَا﴾ قال: منجماً كلما مضى نجم جاء نجم (٤)؛ يعني: كلما مضى وقت جاء وقت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي الْبَعِنَاءِ الْفَوَرِ ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كُمَا تَأْلَمُونَ كُمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي: كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم، كما قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَتُكُمْ وَرَ وَنَ فَقَد مَسَ الْقَوْمَ وَسَرَتُ مِنْ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ فِي اللهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ أي: أنتم وإياهم فَي عَمَا يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق، وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه، وفي إقام كلمة الله وإعلائها.

﴿ وَكَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٢) ذكر ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول الحسن أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أضباط عنه، وقول عطية العوفي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق فضيل بن مرزوق عنه.

 ⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لعدم سماع قتادة من ابن مسعود (المراسيل ص١٦٨،
 ١٧٤).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي جعفر الرازي عن زيد بن أسلم.

أحكامه الكونية [والشرعية](١)، وهو المحمود على كل حال.

يقول تعالى: مخاطباً لرسوله محمد على ﴿إِنَّا آَزَلَنَا إِلَيْكَ ٱلْكِنْبَ بِٱلْحَقِّ اِي: هو حق من الله ، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه ، وقوله : ﴿لِتَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ عِمَا أَرَبُكَ ٱللَّهُ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان على له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية ، وبما ثبت في الصحيحين من رواية هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة أن رسول الله على سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : «ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع، عن أم سلمة، قالت: جاء رجلان من الأنصار [يختصمان إلى رسول الله في مواريث بينهما قد درست، ليس عندهما بينة] (٢). فقال رسول الله في (إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطاماً في عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله في الله الذا قلتما فاذهبا فاقتسما، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه (٤)، وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به، وزاد: «إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه (٥).

وقد روى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس: أن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله على في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله على فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «والشريعة» وهو تصحيف.

 ⁽۲) صحيح البخاري، الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين (ح۲۲۸۰)، وصحيح مسلم، الأقضية، باب الحكم بالظاهر (ح۱۷۱۳).

⁽٣) ما بين معقوفين سقط من الأصل و(مح)، وأثبت من (حم).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٣٢٠)، متفق عليه تقدم تخريجه في الحديث السابق بنحوه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٤٥٥).

⁽٥) أخرجه أبو داود من طريق أسامة به (السنن، الأقضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ ح٣٥٨٥).

وستوجد عنده، فانطلقوا إلى نبي الله على للله فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء وإن صاحب الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله على أن فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله ﴿إِنَّا اللهُ ﴿إِنَّا اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ

ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله على مستخفين بالكذب: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ هَا لَا يَرْخَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ هَا اللّهُ هَا اللّهُ عَنْهُمْ وَكِيلًا ﴿ هَا اللّهُ عَنْهُمْ وَكِيلًا ﴿ هَا اللّهِ عَنْهُمْ وَكِيلًا ﴿ هَا اللّهِ عَنْهُمْ وَكِيلًا ﴿ هَا اللّهِ عَنْهُمْ وَكِيلًا هَا اللّهُ عَنْهُمْ وَكِيلًا هَا اللّهُ عَنْهُمْ وَكِيلًا هَا اللّهُ اللهُ عَنْهُمْ وَكَيْهُ اللّهُ عَنْهُمْ وَكَانَينَ اللّهُ اللهُ عَنْهُمْ وَكَانَانِ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُورًا رَحِيمًا ﴿ وَاللّهُ اللهُ ا

وقد روى هذه القصة محمد بن إسحاق مطولة، فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه، وابن جرير في تفسيره: حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان هيه، قال: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق بشر (٢) ومبشر (٥)، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله هيه، ثم ينحله لبعض العرب، ثم يقول: قال فلان: كذا وكذا، وقال فلان: كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله وكذا الشعر أصحاب رسول الله والنه المنه المنه ألم المنه وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة (٢) من الشام من الدَّرمَك (٢) ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم طعامهم طعامهم المهم والرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم

⁽١) أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس، وسنده ضعيف.

⁽٢) أخرج هذه الآثار الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً ويتقوى أيضاً بالرواية المرفوعة التالية.

⁽٣) بشر هو ابن الحارث بن عمرو بن حارثة الظفرى الأنصاري صحابي (الاستيعاب ١٥٤/١).

⁽٤) بشير هو أبو طعمة بن الحارث الأنصاري الشاعر وكان منافقاً يهجو النبي ، أسلم وشهد أُحد ثم ارتد سنة أربع (السيرة لابن هشام ٥٢٤/١)، والاستيعاب ١٥٤/١.

⁽٥) هو ابن الحارث بن عمرو الأنصاري شهد أُحداً صحابي (الاستيعاب ٤٥٦/٣).

⁽٦) ضافطة: الضافط الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن (النهاية ٣/٩٤).

⁽٧) الدرمك: الدقيق النقي الأبيض (النهاية ٢/١١٤).

التمر والشعير، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك فجعله في مشربة له، وفي المشربة (١) سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذهب بطعامنا وسلاحنا، قال: فتحسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، قال: وكان بنو أبيرق قالوا ـ ونحن نسأل في الدار ـ: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل^(٢) رجلاً منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟! والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله على فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام، فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي على: «سآمر في ذلك»، فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له: أسير بن عروة (٣) فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان(٤) وعمه، عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت النبي على فكلمته، فقال: «عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت»، قال: فرجعت ولوددت أنى خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: «الله المستعان»، فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿ إِنَّا ۖ أَنزَلْنَآ إِلَّكَ ٱلْكِنَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ مِمَا أَرَبُكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْخَآبِنِينَ خَصِيمًا ١٠٠ يعنى: بنى أبيرق، ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهُ ﴾ أي: مما قلت لقتادة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ وَلا تُجْدِلْ عَن ٱلَّذِينَ يَغْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِيبُ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ رَّحِيمًا ﴾ أي: لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنَّمَا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِدِّ. ﴾ [النساء: ١١١] إلى قوله: ﴿ وَإِنْمَا مُّبِينًا ﴾ قولهم للبيد ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْتُهُ ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجُّرًا عَظِيمًا﴾ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسى أو عشي ـ الشك من أبي عيسى ـ في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولاً (٥) لما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على

⁽١) المشربة: الغرفة (النهاية ٢/ ٤٥٥).

⁽٢) لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة الظفري الأنصاري صحابي جليل (الاستيعاب ٣/ ٣١١ والإصابة ٣/ ٣٠٩).

⁽٣) أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم الظفري الأنصاري صحابي جليل (الاستيعاب ١/ ٤٠). والإصابة ١/ ٦٥).

⁽٤) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الظفري الأنصاري صحابي جليل (الاستيعاب ٣٨/٣، والإصابة ٣/٢١٧).

⁽٥) أي غشاً وخدعة.

سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَغْفِرُ عَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُولِدِ مَا تَوَلَّى وَنُصَّلِدِ جَهَنَمُ وَسَآءَتَ مَصِيرًا ﴿ إِلَّهُ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِدِ وَيَغْفِرُ مَا دُوكَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآهُ وَمَن يُشَرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ صَلَّ صَلَالًا بَعِيدًا ﴿ إِلله على سلافة بنت سعد (۱) ، رماها (۲) حسان بن ثابت بأبيات من شعر فأخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت به، فرمته في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير. لفظ الترمذي، ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني (۳). ورواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً لم يذكروا فيه، عن أبيه، عن جده (۱).

ورواه ابن أبي حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني، عن محمد بن سلمة به ببعضه. ورواه ابن المنذر في تفسيره: حدثنا محمد بن إسماعيل _ يعني الصائغ _، حدثنا الحسن بن أحمد بن شعيب الحراني، حدثنا محمد بن سلمة. . . فذكره بطوله . ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن العباس بن أيوب والحسن بن يعقوب، كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، عن محمد بن سلمة به، ثم قال في آخره: قال محمد بن سلمة: سمع مني هذا الحديث يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إسرائيل، وقد روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المستدرك عن أبي العباس الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق بمعناه أتم منه وفيه الشعر، ثم قال: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه (٥٠).

وقول تعالى: ﴿يَسَتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُم إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها، لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمُ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ نُجِيطًا ﴾ تهديد لهم ووعيد. وقد قال الطبراني: إذ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ نُجِيطًا ﴾ تهديد لهم ووعيد. وقد قال الطبراني: ثنا الحسين بن إسحاق التُستري، ثنا يعقوب بن حميد، ثنا عبد الله بن موسىٰ، عن عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن جبير الأزدي أنه قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: ﴿أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك ﴾(٢). ثم قال تعالى:

⁽۱) سلافة بنت سعد بن شهيد بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك الأنصارية صحابية جليلة (ينظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢، ٧٤، وجمهرة أنساب العرب ٢/ ٣٣٤).

⁽٢) أي هجاها.

⁽٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، تفسير سورة النساء ح٣٠٣٦)، وسنده حسن وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وتخريجه كما يلي.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بالأسانيد المذكورة مع تفاوت في بعض الألفاظ، وأخرجه الحاكم من طريق يونس بن بكير به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٤/ ٣٨٥)، وتشهد له الآثار السابقة لهذا الحديث.

⁽٥) زيادة من (مح) ولا يوجد في النسخ المطبوعة، وسنده مرسل.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

﴿ وَمَن يَعْمَلُ سُوّءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُم ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُولًا رَّحِيمًا ﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنْمَا يَكْسِبُهُم عَلَى نَفْسِهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَمَن يَكْسِبُ خَطِيّعَةً أَوْ إِنْمَا ثُمِينًا ﴿ وَمَا يَكْسِبُهُم عَلَى نَفْسِهُ مَّ مِينًا ﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَمَتَمَت طَّلَإِفَ ثُلِيفَ مُنْهُمْ أَن يُضِلُوكَ وَمَا يُضَمُّرُونَكَ مِن شَيْءً وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ وَالْخِكْمَة وَعَلَمَكَ مَا لَمَ تَكُن يُضِلُونَ وَلَا فَضُلُ اللَّهِ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ وَالْخِكْمَة وَعَلَمَكَ مَا لَمَ تَكُن وَتَعْمَلُمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ الْكِنْبَ وَالْفِكُ مَا لَمَ تَكُن وَمَا يَضُلُ اللَّهِ عَلَيْكَ مَا لَمَ تَكُن وَتَعْمَلُ وَكُونَا وَالْمَا مُعْلِيمًا ﴾ .

يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه، تاب عليه من أي ذنب كان. فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوّءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُ ثُمَّ يَسَتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَاده بعفوه وحلمه وكرمه، وسعة رحمته، طلحة، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أخبر الله عباده بعفوه وحلمه وكرمه، وسعة رحمته، ومغفرته فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِر اللهَ يَجِدِ اللهَ عَفُولًا رَّحِيمًا ﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال رواه ابن جرير (۱).

وقال أيضاً: حدثني يعقوب، حدثنا هشيم، عن ابن عون، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحبلت، فلما ولدت قتلت ولدها، قال عبد الله بن مغفل: لها النار، فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين وَمَن يَعْمَل سُوّءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُم ثُمَّ يَسَتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَهُولًا رَّحِيمًا ﴿ وَمَن يَعْمَل سُوّءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُم ثُمَّ يَسَتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَهُولًا رَّحِيمًا ﴿ وَمَن يَعْمَل سُوّءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُم ثُمَّ يَسَتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَهُولًا رَحِيمًا ﴿ وَمَن يَعْمَل سُوءًا أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُم ثُمَّ يَسَتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَهُولًا رَحِيمًا الله في في الله في الله عنها ثم مضت عينها شم عينها ثم مضت عينها شم عينها ثم مضت عينها شم عينها ثم مضت عينها ثم مض عينها ثم عينه عينه عينه عينها ثم مض عينها ثم مض عينه عين

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شعبة، عن عثمان بن المغيرة، قال: سمعت علي بن ربيعة من بني أسد يحدث عن أسماء أو ابن أسماء من بني فزارة، قال: قال علي ظهه: كنت إذا سمعت من رسول الله علي شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه. وحدثني

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحبيب بن أبي ثابت لم يصرح بالسماع وهو كثير الإرسال والتدليس كما في التقريب.

أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: قال رسول الله على: «ما من مسلم يذنب ذنباً، ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب، إلا غفر له» وقرأ هاتين الآيتين ﴿وَمَن يَعْمَلُ سُوّاً أَوَّ يَطْلِم نَفْسَهُم ثُمَّ يَسْتَغْفِر الله يَجِدِ الله عَفُولًا رَحِيمًا ﴿ وَاللَّذِيكَ إِذَا فَعَلُوا فَنَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا يَظُلِم نَفْسَهُم مَن . . ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية. وقد تكلمنا على هذا الحديث وعزيناه إلى من رواه من أصحاب السنن، وذكرنا ما في سنده من مقال في مسند أبي بكر الصديق وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضاً (١).

وقد رواه ابن مردویه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا داود بن مهران الدباغ، حدثنا عمر بن يزيد، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن علي، قال: سمعت أبا بكر - هو الصدوق - يقول: سمعت رسول الله على يقول: «ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن وضوءه، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه، إلا كان حقاً على الله أن يغفر له» لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوّءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُم ثُمّ يَسْتَغْفِر من الله يَجِدِ الله عَفُولُ رَجِيمًا ﴿ الله السبيعي، عياش عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن على، عن الصديق، بنحوه، وهذا إسناد لا يصح (٢).

وقال ابن مردویه: حدثنا محمد بن علی بن دُحیم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا موسی بن مروان الرقی، حدثنا مبشر بن إسماعیل الحلبی، عن تمام بن نجیح، حدثنی کعب بن ذهل الأزدی قال: سمعت أبا الدرداء یحدث قال: کان رسول الله ﷺ إذا جلسنا حوله، وکانت له حاجة فقام إلیها وأراد الرجوع، ترك نعلیه فی مجلسه أو بعض ما علیه، وأنه قام فترك نعلیه، قال أبو الدرداء: فأخذ ركوة من ماء فاتبعته فمضی ساعة ثم رجع ولم یقض حاجته، فقال: "إنه أتانی آت من ربی فقال: إنه ﴿وَمَن یَعْمَلُ سُوّءًا أَوْ یَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ یَسَتَغْفِرِ الله یَجِدِ الله عَفُورًا رَحِیمًا الله فاردت أن أبشر أصحابی».

قال أبو الدرداء: وكانت قد شقّت على الناس الآية التي قبلها ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءُا يُجُزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣] فقلت: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق، ثم استغفر ربه غفر له؟ قال: «نعم». ثم قلت الثانية، قال: «نعم». قلت الثالثة، قال: «نعم، وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله، غفر الله له على رغم أنف عويمر». قال: فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه، هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق، وفي إسناده ضعف (٣).

وقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبُ إِنْمَا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى فَشِيدً ... ﴾ الآية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِيَةٌ وَزَرَ أُخْرَكُ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَيْ ﴾ [فاطر: ١٨] يعني: أنه لا يغني أحد عن أحد، وإنما على كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن أَلَهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: من علمه وحكمته، وعدله ورحمته كان ذلك، ثم قال: ﴿وَمَن

⁽١) تقدم تخريجه وتحسينه في تفسير سورة آل عمران آية ١٣٥.

⁽٢) ولكن له شواهد تقدمت في تفسير سورة آل عمران آية ١٣٥.

⁽٣) وهو كما قال، فإن تمام بن نجيح ضعيف، وكعب بن ذهل فيه لين (التقريب ص١٣٠ و٢٦١).

يَكُسِبُ خَطِيَّنَةً أَو إِنَّا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ عَرِيَّا فَقَدِ آحَتَمَلَ بُهْتَنَا وَإِنْمًا مُبِينَا ﴿ يعني: كما اتهم بنو أبيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل الصالح وهو لبيد بن سهل كما تقدم في الحديث (١) أو زيد بن السمين اليهودي على ما قاله الآخرون، وقد كان بريئاً وهم الظلمة الخونة، كما أطلع الله على ذلك رسوله على من اتصف بصفتهم فارتكب فلك رسوله عليه مثل عقوبتهم.

وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضَلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ ۚ وَرَحْمَتُهُۥ لَمَنَت ظَايَبِكَ ۗ مِنْهُمْ أَن يُضِلُوكَ وَمَا يُضِلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمُّ وَمَا يَضُرُونَكَ مِن شَيْءً ﴾.

وقال الإمام ابن أبي حاتم: أنبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلي، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان، وذكر قصة بني أبيرق، فأنزل الله: ﴿ لَمُ مَت طَّابِكُ مُّ مِنْهُمْ أَن يُضِلُوكَ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيَّءٍ ﴾ يعني: أسير بن عروة وأصحابه (٢)، يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء، ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله على ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسول الله على ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن والحكمة، وهي السنة ﴿وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ أي: قبل نزول ذلك عليك، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْعَيْنَا إِلَيْكَ رُومًا فِنَ أَمْرِنًا مَا كُنُت تَدْوى مَا اللَّون لَهُ مَا فِي السَّمَونِ وَمَا في اللَّرَفِيُّ اللَّهُ نَصِيرُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلِيكَ عَبِدِناً وَلِيكَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيكَ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ عَلَيكَ اللهُ الله

﴿ ﴿ ﴿ ﴿ فَكُ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَعُهُمْ إِلَا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَنِج بَيْتُ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آبْتِغَآةً مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُوْلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا لَنَاسِ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا لَنَاسِ وَمَن يُشَاقِقِ مَا تَوَلَى وَنُصَّلِهِ. جَهَنَمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞﴾.

يقول تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرِ مِن نَجُونُهُمْ ﴾ يعني: كلام الناس ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ الله مَعْرُوفِ أَوْ إِصَلَاجٍ بَيْنَ النّاسِ ﴾ أي: إلا نجوى من قال ذلك: كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه: حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنيس، قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوده، فدخل عليه سعيد بن حسان المخزومي، فقال له سفيان الثوري: الحديث الذي كنت حدثتنيه عن أم صالح، أردده على، فقال: حدثتني أم صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة، قالت: قال رسول الله عليه ابن آدم كله عليه لا له ما خلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وذكر الله الله فقال محمد بن يزيد: ما أشد هذا الحديث فقال سفيان وما شدة هذا الحديث؟ إنما جاءت به امرأة عن امرأة هذا في

⁽١) تقدم تحسينه في تفسير الآية ١٠٦ _ ١٠٨ من هذه السورة.

⁽٢) تقدم تخريجه وتحسينه مطولاً كاملاً.

كتاب الله الذي أرسل به نبيكم ﷺ: أَوَ ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَتَابِهِ اللهُ الذي أَرسل به نبيكم ﷺ: أَوَ ما سمعت الله يَّمُونِهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَيْج بَيْنَ النَّاسِ ﴾؟ فهو هذا بعينه، أَوَ ما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَيِكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحَمُنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿ النبا] فهو هذا بعينه، أَوَ ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ مَا اللهُ يَعْوَلُ فَي كَتَابِه : ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ مَا اللهُ يَعْدُولُ فِي كَتَابِه : ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ مَا سَمِعْتَ الله يقول في كتابِه : ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَذِينَ لَهُ اللهُ يَعْدُولُ الصَّرِ أَنْ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن نُحنَيس، عن سعيد بن حسان به، ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها، ثم قال الترمذي: حديث غريب، لا يعرف إلا من حديث ابن خُنيس (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، حدثنا صالح بن كيسان، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله على يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً»، وقالت: لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: في الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها، قال: وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله على الله على المراة وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهري به نحوه (٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله على: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين»، قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة». ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية، وقال الترمذي: حسن صحيح (٥).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، حدثنا أبي، عن حميد، عن أنس أن النبي على قال لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «تسعى في إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا» ثم قال البزار: وعبد الرحمن بن عبد الله العمري: لين، وقد حدث

⁽۱) في سنده سعيد بن حسان المخزومي: صدوق له أوهام (التقريب ص٢٣٤)، ومحمد بن يزيد بن خُنيس: مقبول (التقريب ص٥١٣).

⁽٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب رقم ٦٢ (ح٢٤١٢)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب كف اللسان في الفتن (ح٣٩٧٤)، وسنده ضعيف كسابقه في رواية ابن مردويه.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/٤٠٣) وهو حديث متفق عليه كما يلي.

⁽٤) صحيح البخاري، الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس (ح٢٦٩٢)، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (ح٢٦٠٥).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤٤٤ و٤٤٥)، وأخرجه أبو داود (السنن، الأدب، باب في إصلاح ذات البين ح١٩٤٥)، والترمذي كلاهما عن أبي معاوية به، وصححه الترمذي (السنن، كتاب صفة القيامة ح٢٠٣٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٠٣٧).

بأحاديث لم يتابع عليها(١). ولهذا قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: مخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك عند الله ﷺ: ﴿فَسَوْفَ نُزِّيهِ أَجُّرا عَظِيمًا ﴾ أي: ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً.

وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.

وقوله: ﴿وَيَتَيْعُ غَيْرَ سَيِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب أحاديث الأصول، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عول عليه الشافعي كَنَّلُهُ في الاحتجاج على كون الإجماع حجة (٢) تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك، ولهذا توعد تعالى على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له، كما قال تعالى: ﴿فَنَدُنِ وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له، كما قال تعالى: ﴿فَنَذُنِ وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا لَعُنْ اللّهُ فُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلَى النار مصيره في الآخرة، لأن من الخرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَا الْمَنْ اللّهُ فَلُوبُهُمْ وَمَا كَانُوا يَسْبُونُ فَي مِن دُونِ اللهِ فَاهَدُومُمْ إِلَى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ تعالى: ﴿ وَقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ اللّهُ فَلُومُ النَّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه الله على النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَاللّهُ اللّهُ اللّه عَنْهُ اللّهُ وَاللّه النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَقال تعالى: ﴿ وَقَالَ تعالى: ﴿ وَقالَ تعالى: ﴿ وَقالَ تعالى: ﴿ وَقَاللّهُ وَلَوْ اللّهُ عَلْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه الكلّه اللّه الله النار على النار الله النار على الله النار على الله النار على النار على الله النار على النار على الله النار على النار

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُوكَ ذَالِكَ . . . ﴾ الآية (٣)، وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة، وقد روى الترمذي: حديث ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة، عن أبيه، عن علي ﷺ أنه قال: ما في

⁽١) أخرجه البزار بسند ومتنه وتعليقه وتضعيفه (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٢٢٢ ح١٧٤١).

⁽٢) ينظر: «الرسالة» للإمام الشافعي ص٤٧١. (٣) تقدم في هذه السورة آية ٤٨.

القرآن آية أحب إليّ من هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُوكَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآمُ ﴾، ثم قال: هذا حسن غريب (١).

وقوله: ﴿ وَمَن يُثَرِكَ بِأُللَّهِ فَقَدُ ضَلَّ ضَلَلًا بَعِيدًا ﴾ أي: فقد سلك غير الطريق الحق، وضل عن الهدى وبعد عن الصواب، وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿إِن يَدْعُوكَ مِن دُونِهِ ۚ إِلَّا إِنكَا ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمود بن غيلان، أنبأنا الفضل بن موسى، أخبرنا الحسن بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: مع كل صنم جنية (٢).

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن سلمة الباهلي، عن عبد العزيز بن محمد، عن هشام - يعني ابن عروة -، عن أبيه، عن عائشة ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ۚ إِلّا إِنكَا ﴾ قالت: أوثاناً (٣). وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي مالك والسدي ومقاتل بن حيان، نحو ذلك (٤).

وقال جويبر، عن الضحاك في الآية: قال المشركون: إن الملائكة بنات الله، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، قال: فاتخذوهن أرباباً، وصوروهن جواري فحكموا وقلدوا، وقالوا: هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعده؛ يعنون: الملائكة (٥٠).

وهذا التفسير شبيه بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْمُ اللَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَوْهَ النَّالِنَةَ اَلْأَخْرَىٰ ﴾ الْكُمُ اللَّكُو وَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَمَّا اللَّهُ عَمَّا يَسِعُونَ الللَّهُ اللَّهُ اللّ

وقال على بن أبي طلحة والضحاك، عن ابن عباس ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ۚ إِلَّا إِنكَا ﴾ قال: يعني موتى (7). وقال مبارك ـ يعني: ابن فضالة ـ، عن الحسن: إن يدعون من دونه إلا إناثاً. قال الحسن: الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح، إما خشبة يابسة وإما حجر يابس. ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير (7)، وهو غريب.

⁽۱) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، تفسير سورة النساء ح٣٠٣٧) وسنده ضعيف بسبب ثوير: ضعيف ورمي بالرفض (التقريب ص١٣٥).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده الحسين بن واقد: صدوق يهم لكنه يتقوى بالشاهد التالي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) ذكرهم ابن حاتم كلهم بحذف السند، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول أبي مالك وهو الغفاري أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حصين عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق جويبر به، وسنده ضعيف لضعف جويبر.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

وقوله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: طرده وأبعده من رحمته، وأخرجه من جواره، وقال: ﴿لَأَنَّخِذُنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَقْرُوضًا﴾ أي: معينًا مقدرًا معلومًا.

قال مقاتل بن حيان: من كل ألف، تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة^(۱). ﴿وَلَأْضِلْنَهُمْ ﴾ أي: أزين لهم ترك التوبة، وأعدهم الأماني، وآمرهم بالتسويف والتأخير، وأغرهم من أنفسهم، وقوله: ﴿وَلَامُرَنَّهُمْ فَلِيُبَتِّكُنَّ ءَاذَاكَ ٱلأَنْعَامِ ﴾.

قال قتادة والسدي وغيرهما: يعني تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة (٢).

﴿ وَلَا مُنَ نَهُمْ فَلَيُغَيِّرُكَ خَلْقَ اللَّهِ ﴾، قال ابن عباس: يعني بذلك خصي الدواب (٣)، وقد روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وأبي صالح والثوري (١٤).

وقد ورد في حديث النهي عن ذلك، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: يعني بذلك الوشم (٥).

وفي صحيح مسلم، النهي عن الوشم في الوجه، وفي لفظ: لعن الله من فعل ذلك(٦).

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عن، ثم قال: ألا ألعن من لعن رسول الله على وهو في كتاب الله على (٧)؛ يعني قوله: ﴿وَمَا عَائِنَكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَنَكُمُ عَنّهُ وهو في كتاب الله على (واية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله: ﴿وَلَا مُرْبَعُهُمْ فَلَيُغَيِّرُكَ خَلَقَ اللّهُ ﴾

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل لكنه معضل منقطع ويشهد له الحديث القدسي: يقول الله على القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فيُنادَي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعين. . (أخرجه البخاري في صحيحة، التفسير باب ﴿وَرَى ٱلنّاسَ سُكّرَىٰ﴾ [الحج: ٢] ح٤٧٤).

⁽٢) قول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وقول السدي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عمار بن أبي عمار عن ابن عباس.

⁽٤) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وأخرج الطبري بعض الآثار بأسانيد ثابتة.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن الحسن.

⁽٦) أخرجهما مسلم من حديث جابر مرفوعاً (الصحيح، اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان ح٢١١٦ و٢١١٧).

⁽٧) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا ٓ ءَائنكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـ ثُوهُ﴾ [الحشر: ٧] (ح٤٨٨٦)، وصحيح مسلم، اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ح٢١٢٥).

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷺ: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم" (٣).

وقوله: ﴿أُوْلَيْهِكَ﴾ أي: المستجيبين له فيما وعدهم ومناهم ﴿مَأْوَنَهُمْ جَهَنَمُ ﴾ أي: مصيرهم ومآلهم يوم القيامة ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا يَجِيصُا﴾ أي: ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف، ولا خلاص، ولا مناص.

ثم ذكر تعالى حال السعداء والأتقياء ومالهم في مآلهم من الكرامة التامة، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الْصَلِحَتِ ﴾ أي: صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ يَجْوِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَنُ ﴾ أي: يصرفونها حيث شاؤوا وأين شاؤوا ﴿ خَلِدِينَ فِهَا آبَداً ﴾ أي: بلا زوال ولا انتقال ﴿ وَعَدَ اللهِ حَقَّا ﴾ أي: هذا وعد من الله، ووعد الله معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة، ولهذا أكده بالمصدر الدال على تحقيق الخبر، وهو قوله: ﴿ حَقَّا ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ آصَدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا ﴾ أي: لا أحد أصدق منه قولاً ؛ أي: خبراً لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه، وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته:

⁽١) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن ابن عباس، وقول مجاهد أخرجه الطبري بإسنادين صحيحين من طريق القاسم بن أبي بزة وابن أبي نجيح عنه، وقول عكرمة أخرجه الطبري من طريق القاسم بن أبي بزة عنه، وقول إبراهيم النخعي أخرجه الثوري بسند صحيح من طريق قيس بن مسلم عنه وقول الحسن وقتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند حسن من طريق كثير مولى سمرة عنه.

⁽٢) صحيح البخاري، الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ (ح١٣٥٨)، وصحيح مسلم، القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد على الفطرة (ح٢٦٥٨).

⁽٣) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (ح٧٨٦٥).

«إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١).

﴿ ﴿ أَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِيَ أَهْلِ ٱلْكِتَابُ مَن يَعْمَلُ سُوَءًا يُجْزَ بِدِ. وَلَا يَجِدُ لَهُ مِن دُونِ ٱللّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الْفَهَلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِهِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا نَصِيرًا ﴿ وَمُو مُعْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَةً إِبْرَهِيمَ حَنِيفاً وَأَتَّخَذَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ وَمَن أَحْسَنُ دِينًا مِّمَنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُعْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَةً إِبْرَهِيمَ حَنِيفاً وَأَتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا ﴾ وَلَنَا مِنْ السَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِ شَيْءٍ مُجْعِلًا ﴾ و

قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلاَ أَمَانِيَ أَهْلِ النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلاَ أَمَانِيَ أَهْلِ اللهِ وَهُو مُحْسِنٌ مَن يَعْمَلُ سُوءًا يُجُز بِهِ مَن الوأهم من أهل الأديان (٢٠). وكذا روي عن السدي ومسروق والضحاك وأبي صالح وغيرهم (٣). وكذا روى العوفي عن ابن عباس فيه أنه قال في هذه الآية: تخاصم أهل الأديان، فقال أهل التوارة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم، وقال: ﴿لَيْسَ خَلَمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الأديان فقال: ﴿لَيْسَ خَلَمُ اللهُ إِلَى قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَهِيمَ غَلِيلًا وَالْ فقال:

وقال مجاهد: قالت العرب: لن نبعث ولن نعذب، وقالت اليهود والنصارى: ﴿ لَن يَدُّخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَدُونَاتُو ﴾ [آل عمران: ٢٤] من كَانَ هُودًا أَوْ نَصَدُونَاتُو ﴾ [آل عمران: ٢٤] (٥٠).

والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: إنه هو على الحق سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلا أَمَانِي سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلا أَمَانِي أَمْ النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على ألسنة الرسل الكرام، ولهذا قال بعده: ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءُ اللهُ يَرَمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَيَّرًا يَهُمُ يَهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَيَّرًا يَهُمُ يَهُمُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَهُمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَهُمُ لَي يَهُمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَهُمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةً شَرًا يَهُمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةً شَرًا يَهُمُ اللهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةً ضَيَّا لِهُ يَهُمُ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

⁽١) أخرجه مسلم في الصحيح، الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح٨٦٧).

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويتقوى بالروايات التالية.

⁽٣) قول السدي أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه به، وقول مسروق أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح أبي حاتم بسند صحيح من طريق مسلم أبي صخر عنه، وقول أبي صالح أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عنه.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق العوفي به وسنده ضعيف.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(۱) [الزلزلة] وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة (۱).

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا إسماعيل، عن أبي بكر بن أبي زهير، قال: أخبرت أن أبا بكر ظلله قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيّكُمْ وَلا آمَانِيّ أَمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَمْلُ اللّهِ عَلَى اللَّهِ عَمْلُ اللَّهِ عَمْلُ اللَّهِ عَمْلُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّ

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن زياد الجصاص، عن علي بن زيد، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: سمعت أبا بكر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا» (٤٠).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن هشيم بن جهيمة، حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا زياد الجصاص، عن علي بن زيد، عن مجاهد، قال: قال عبد الله بن عمر انظروا المكان الذي فيه عبد الله بن الزبير مصلوباً فلا تمرن (٥) عليه، قال: فسها الغلام فإذا عبد الله بن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال: يغفر الله لك ثلاثاً، أما والله ما علمتك إلا صوّاماً قواماً وصالاً للرحم، أما والله إني لأرجو مع مساوي ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها، قال: ثم التفت إلى فقال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله عن عبد الوهاب بن عطاء في الدنيا يجز به ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل، عن عبد الوهاب بن عطاء به مختصراً: وقد به مختصراً، وقال في مسنده: عن الفضل بن سهل، عن عبد الوهاب بن عطاء به مختصراً: وقد قال في مسند الزبير: حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان، حدثني أبي، عن جدي حيان بن بسطام، قال: كنت مع ابن عمر فمر بعبد الله بن الزبير وهو مصلوب، فقال: رحمة الله عليك أبا خُبيب، سمعت أباك _ يعني الزبير _، يقول: قال مصلوب، فقال: رحمة الله عليك أبا خُبيب، سمعت أباك _ يعني الزبير _، يقول: قال رسول الله على: «من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا والآخرة» ثم قال: لا نعلمه يروى عن الزبير رسول الله على: «من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا والآخرة» ثم قال: لا نعلمه يروى عن الزبير

⁽١) سيأتي في سورة الزلزلة.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٦٨)، وفي سنده انقطاع لأن أبا بكر بن أبي زهير وهو الثقفي لم يسمع أبا بكر الصديق (المراسيل ص٢٥٨)، ومدار الحديث يتوقف على هذا الراوي كما سيأتي في الروايات الأخرى ولكن يشهد له ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوّهُ اللّهُ عُبُرُ عِلْمَا واللهُ عَلَيْ : «قاربوا وسدوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها» (الصحيح، البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصبه من مرض أو حزن ح٢٥٧٤).

⁽٣) سنن سعيد بن منصور (ح٦٩٦)، وموارد الظمآن (ح١٧٣٤)، ومسند أبي يعلى (ح٩٩)، والمستدرك ٣/ ٧٤.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٣٣). وضعفه محققه بسبب ضعف زياد وعلي بن زيد وهو ابن جدعان.

⁽٥) كذا في (مح) وفي الأصل: «فلا تحزن».

⁽٦) في سنده أيضاً زيّاد وعلى بن زيد، وهو مخالف لرواية مسلم (الصحيح، فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ح٢٥٤٥).

إلا من هذا الوجه^(١).

وقال أبو بكر بن مردویه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني مولى [بن سباع] (٢) قال: سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند النبي على فنزلت هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجُزّ بِهِ وَلاَ يَحِدُ لَهُ مِن بكر الصديق قال: كنت عند النبي على فنزلت هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجُز بِهِ وَلاَ يَحِدُ لَهُ مِن بكر السول الله قال رسول الله قال رسول الله قال الله على إلا أني قد وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها. فقال رسول الله قال: «ما لك يا أبا بكر؟» قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال رسول الله على: «أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون، فإنكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع المؤمنون، فإنكم تجزوا به يوم القيامة»، وهكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن حميد خن روح بن عبادة به. ثم قال: وموسى بن عبيدة يضعف، ومولى بن سباع مجهول (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح قال: لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: جاءت قاصمة الظهر، فقال رسول الله عليه المصيبات في الدنيا (٤٠).

(طريق أخرى عن الصديق) قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري، حدثنا محمد بن عامر السعدي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا فضيل بن عياض، عن سليمان بن مهران، [عن مسلم]^(٥) بن صبيح، عن مسروق، قال: قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما أشد هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوٓءًا يُجُزَ بِدِهِ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء»^(٦).

(طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور، قالا: أنبأنا زيد بن الحباب، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي، حدثنا محمد بن زيد بن قنفذ، عن عائشة، عن أبي بكر قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلُ شُوّاً يُجُزّ بِهِ فَال أبو بكر: يا رسول الله، كل ما نعمل نؤاخذ به؟ فقال: «يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا؟ فهو كفارة»(٧).

(حديث آخر) قال سعيد بن منصور: أنبأنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن

⁽۱) السند الأول أخرجه البزار في (البحر الزخار ۱/۷۵ ح۲۱)، وأشار إلى ضعفه كما تقدم في زياد وعلي بن زيد بن جدعان، والسند الثاني أخرجه بسنده ومتنه وتعليقه كما في (مختصر زوائد البزار ۲/۸۱ ح١٤٦١)، وضعفه الدارقطني في (العلل ۲/۳۲٪).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وقد سقط من الأصل.

⁽٣) أخرجه الترمذي من طريق موسى بن عبيدة به وضعفه (السنن تفسير سورة النساء ح٣٠٣٩).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف الحسين وهو ابن داود ولقبه: سُنيد.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٦) يشهد له حديث أبي هريرة المتقدم في صحيح مسلم.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه أحد شاكر بسبب الانقطاع بين محمد بن زيد بن قنفذ وعائشة.

بكر بن سوادة حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن رجلاً تلا هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوٓءًا يُجُزَ بِهِ ﴾ فقال: إنا لنجزى بكل ما علمناه، هلكنا إذاً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه»(۱).

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن بشير، حدثنا هشيم، عن أبي عامر، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إني لأعلم أشد آية في القرآن، فقال: «ما هي يا عائشة؟» قلت: ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجِّزَ بِهِ ﴾، فقال: «هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها» ورواه ابن جرير من حديث هشيم به. ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز به (۲).

(طريق أخرى) قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أُمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجُز بِهِ ﴾، فقالت: ما سألني أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول الله على فقال: «يا عائشة هذه مبايعة الله للعبد مما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها في كمه، فيفزع لها، فيجدها في جيبه حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه، كما أن يخرج التبر الأحمر (٣) من الكير (٤).

(طريق أخرى) قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أبو القاسم، حدثنا مسريج بن يونس، حدثنا أبو معاوية، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن زيد بن المهاجر، عن عائشة قالت: سئل رسول الله على عن هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجّرَز بِهِ ﴾، قال: «إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبض عند الموت»(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، عن زائدة، عن ليث، عن مجاهد، عن عائشة قالت: قال: رسول الله: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفّرها، ابتلاه الله بالحزن ليكفّرها»^(٦).

(حديث آخر) قال سعيد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن، سمع محمد بن قيس بن مخرمة يخبر أن أبا هريرة هذه قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلُ سُوٓءًا يُجُز بِهِ عَهِ شَق ذلك على المسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا، فإن في كل

⁽۱) أخرجه سعيد بن منصور بسنده ومتنه (السنن ح٦٩٩)، وأخرجه الإمام أحمد من طريق ابن وهب به (المسند ٢/ ٦٥)، قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح (المجمع ٧/ ١٥)، وصححه السيوطي (الدر المنثور ٢٢٧/٢) طبعة المعرفة.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده سلمة بن بشير وهو النيسابوري قال أبو حاتم: شيخ (الجرح والتعديل ١٥٧/٤)، وقد توبع فأخرجه الطبري من طريق يعقوب بن إبراهيم عن هشيم به وأخرجه أبو داود من طريق عثمان بن عمر عن أبي عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة به (السنن، الجنائز، باب عيادة النساء ح٣٩٣).

⁽٣) التبر الأحمر أي: الذهب.

⁽٤) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ح١٥٨٤)، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ورواية مسلم التالية تشهد له.

⁽٥) يشهد له أيضاً رواية مسلم التالية مع رواية سعيد بن منصور.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/١٥٧)، وسنده ضعيف لما قيل في ليث بن أبي سُليم.

ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها»(١)، هكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة، ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به، ورواه ابن مردويه من حديث روح ومعتمر، كلاهما عن إبراهيم بن يزيد، عن عبد الله بن إبراهيم، سمعت أبا هريرة يقول: لما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِي آهِلِ ٱلْكِتَابِ ﴿ [بكينا] (٢) وحزناً، وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء، قال: «أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت، ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا، فإنه لا يصيب أحداً منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه (٣).

وقال عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة: أنهما سمعا رسول الله على يقول: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهم إلا كفر الله من سيئاته» أخرجاه (٤).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن سعد بن إسحاق، حدثتني زينب بنت كعب بن عجرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى رسول الله على فقال: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا، ما لنا بها؟ قال: «كفارات». قال أبي: وإن قلّت، قال: «حتى الشوكة فما فوقها»، قال: فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الوعك حتى يموت في أن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة، فما مسه إنسان إلا وجد حره حتى مات في أن منود به أحمد.

(حديث آخر) روى ابن مردويه من طريق حسين بن واقد، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: «نعم ومن يعمل حسنة ابن عباس، قال: «نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشراً» فهلك من غلب واحدته عشراته (٢٠٠٠).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن ﴿مَن يَعْمَلُ شُوّءًا يُجُزَ بِهِ ﴾ قال: الكافر، ثم قرأ ﴿وَهَلَ نُجُزِيَ إِلّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: الكافر، ثم قرأ ﴿وَهَلَ نُجُزِيَ إِلّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: الا](٧). وهكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما فسرا السوء ههنا بالشرك أيضاً (^).

⁽١) أخرجه سعيد بن منصور بسنده ومتنه (السنن ح٦٩٤)، وسنده صحيح كما يلي:

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «سقطت».

⁽٣) صحيح مسلم، البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (ح٢٥٧٤)، والسنن الكبرى (ح٢١١٢).

⁽٤) صحيح البخاري، المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (ح٥٦٤١)، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٢٥٧٣).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٣٢)، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ح٢٩٢٨)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣٠٨/٤).

⁽٦) سنده ضعيف جداً لأن الكلبي صرح أن كل ما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب. كما في ترجمته في تهذيب التهذيب.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن وكيع وهو سفيان، ولكن له متابعة في تفسير ابن أبي حاتم وشاهد في تفسير الطبري كما يلي.

⁽٨) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وقول سعيد بن جبير أخرجه =

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: إلا أن يتوب فيتوب الله عليه، رواه ابن أبي حاتم (١)، والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال لما تقدم من الأحاديث، وهذا اختيار ابن جرير، والله أعلم.

وقـولـه: ﴿وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الْفَكِلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ إِنَّ الله العالمة على السيئات وأنه لا بدّ أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو الأجود له، وإما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة، والصفح والعفو والمسامحة، شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده، ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمرة، وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط في شق النواة (٢)، وهذا النقير وهما في نواة التمرة، وكذا القطمير وهو اللفافة التي على نواة التمرة، والثلاثة في القرآن.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن آحَسَنُ وِينَا يِّمَن آسَلَم وَجَهِهُ لِلَهِ ﴾ أخلص العمل لربه وَ الله عمل إيماناً واحتساباً ، ﴿ وَهُوَ مُحَسِنٌ ﴾ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له ، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما ، أي: يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة ، وباطنه بالإخلاص ، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ، فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس ، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين ﴿ اللَّيْنَ نَنَقَبُلُ عَنْهُم الناس ، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين ﴿ اللِّينَ نَنَقَبُلُ عَنْهُم قَلْ وَنَنَجَاوُزُ عَن سَيْعَاتِهم فِي أَحْمَ لِلْبَنَةُ وَعَد الصِّدق الّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [الاحقاف: ١٦] ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُ مِلّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفاً ﴾ وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة . كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُ مِلّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفاً ﴾ وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة . كما قال تعالى: ﴿ وَالَّا اللَّهِ مَلَانِي التَّبِعُومُ وَهَذَا اللَّي مُ وَالَّة عَنْهُ اللّه عَن الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَاللّه عَلَى السّرِكَ قصداً واللّه عَن الشركِ قَلْ اللّه عَن بصيرة ، ومقبل على الحق اللّه عن بصيرة ، ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ، ولا يرده عنه راد.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ إِنْرَهِيمَ خَلِيلًا ﴾ وهذا من باب الترغيب في اتباعه، لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه، كما وصفه به في قوله: ﴿وَإِبْرَهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴿ [النجم]، قال كثيرون من علماء السلف: أي: قام بجميع ما أمر به في كل مقام من مقامات العبادة، فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير، ولا كبير عن صغير، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اَبْتَكَى إِبْرَهِمَ رَيُّهُ بِكَلِمُنْتٍ فَأَتَمَهُنَّ قَالَ إِنْ جَاءِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةُ قَانِتًا لِللَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

⁼ الطبري بسند فيه ابن حُميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف، ويتقوى برواية ابن عباس السابقة.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) تقدم في هذه السورة آية ٥٣. (٣) زيادة من (حم) و(مح).

ٱلْمُشْرِكِينَ شَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِةً اَجْتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ شَ وَءَاتَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ . . . ﴾ الآيــــة [النحل].

وقال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون، قال: إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح، فقرأ ﴿وَأَتَّخَذَ اللهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا﴾ فقال رجل: من القوم: لقد قرت عين أم إبراهيم (١).

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم: أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل، وقال بعضهم من أهل مصر: ليمتار طعاماً لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مرّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري^(٢) من هذا الرمل لئلا يغتم أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أني أتيتهم بما يحبون، ففعل ذلك فتحول ما في الغرائر من الرمل دقيقاً، فلما صار إلى منزله نام، وقام أهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقاً فعجنوا منه وخبزوا، فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك، فقال: نعم هو من عند خليلي الله، فسماه الله خليلاً". وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب، فإنما سمي خليل الله لشدة محبة ربه كل له، لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها، ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري أن رسول الله كل لما خطبهم في آخر خطبة خطبها، قال: «أما بعد، أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»(٤).

وجاء من طريق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود عن النبي قال: «إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً»^(ه).

وقال أبو بكر بن مردویه: حدثنا عبد الرحیم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعیل بن أحمد بن أسید، حدثنا إبراهیم بن یعقوب [الجوزجانی]^(۱) بمكة، حدثنا عبد الله الحنفی، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ینتظرونه، فخرج حتی إذا دنا منهم سمعهم یتذاکرون فسمع حدیثهم، وإذا بعضهم یقول: عجب، إن الله اتخذ من خلقه خلیلاً فإبراهیم خلیله، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله کلم موسی تکلیماً، وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج علیهم فسلم، وقال: «قد سمعت کلامکم وعجبکم إن إبراهیم خلیل الله، وهو کذلك، وموسی کلیمه، وعیسی روحه وکلمته،

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ح٤٣٤٨).

⁽٢) الغرائر: جمع غِرارة وهي: الأوعية التي يوضع فيها التبن والقمح.

⁽٣) ذكره الطبري من دون سند، وتعقب الحافظ ابن كثير وجيه.

⁽٤) صحيح البخاري، الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد (ح٤٦٦)، وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رح٢٣٨١).

⁽٥) صحيح مسلم، المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (ح٥٣٢).

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الجوجاني» وهو تصحيف.

وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، وكذلك محمد على قال: ألا وإني حبيب الله، ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر أنا أول شافع وأول مشفع، ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر»(۱)، وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها.

وقال قتادة، عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: أتعجبون من أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، رواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه (7)، وكذا روي عن (7) بن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والأئمة من السلف والخلف.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني، حدثنا محمد _ يعني: ابن سعيد بن سابق _، حدثنا عمرو _ يعني ابن أبي قيس _، عن عاصم، عن أبي راشد، عن [عبيد بن عمير]⁽¹⁾، قال: كان إبراهيم على يضيف الناس، فخرج يوماً يلتمس أحداً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً، فقال: يا عبد الله ما أدخلك داري بغير إذني؟ قال: دخلتها بإذن ربها، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده، أبشره بأن الله قد اتخذه خليلاً، قال: من هو؟ فوالله إن أخبرتني به، ثم كان بأقصى البلاد لآتينه، ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت، قال: ذلك العبد أنت. قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فيم اتخذني ربي خليلاً؟ قال: إنك تعطي الناس ولا تسألهم (٥).

وحدثنا أبي، حدثنا محمود بن خالد السلمي، حدثنا الوليد، عن إسحاق بن يسار، قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى أن خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله على أنه كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل إذا اشتد غليانها من البكاء (٢).

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلشَّمَنُوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك، لا راد لما قضى، ولا معقب لما حكم، ولا يسأل عمَّا يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته. وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ تُجِيطًا ﴾ أي: علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض

⁽۱) أخرجه الترمذي من طريق زمعة به ثم قال: حديث غريب (السنن، المناقب، باب في فضل النبي على السواهد ح٣٦١٦)، وسنده ضعيف لأن زمعة بن صالح ضعيف، وقال الألباني: إسناده لا بأس به في الشواهد (السلسلة الصحيحة ح١٥٧٠).

 ⁽۲) أخرجه الحاكم من طريق قتادة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۲۹۹۲)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ۸/ ۲۰۸).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «سقط».

⁽٤) كذا فيُّ (حمُ) و(محُ) وتفُّسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «عبد الله بن عمير» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن إلى عبيد وهو تابعي، ولكنه من أخبار أهل الكتاب.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده الوليد وهو ابن مسلم يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالسماع، فسنده ضعيف ولآخره شاهد في بكاء النبي على.

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا تخفى عليه ذرة لما تراءى للناظرين أو ما توارى.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِسَآءُ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَبِ فِي يَسْمَى النِّسَآءِ الَّذِي لَا تُؤْتُونَهُنَ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَنكَىٰ وِالْقِسْطِ وَمَا تَقْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿ ﴾.

قال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة وَلَمَّ وَيَسَّ عَنْ عَائشة وَلَمَّ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ اللَّهُ يَاللَّهُ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ اللَّهُ وَلَهَا وَاللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى العَدْق، قالت عائشة: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها، فأشركته في ماله حتى في العذق، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته، فيعضلها، فنزلت هذه الآية (۱). وكذلك رواه مسلم عن أبي كريب، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن أبي أسامة (۱).

وقال ابن أبي حاتم: قرأت على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله على يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله عَلَيْكُمُ فِي بعد هذه الآية فيهن وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ فِي النِسَاءَ قُلِ الله يُقْتِيكُمُ فِي وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ فِي الْكِتَاب، الآية الأولى التي قال الله: ﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ أَلَا لَكُم مِن النِسَاء في الكتاب، الآية الأولى التي قال الله: ﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ أَلًا نُقْسِطُوا فِي النِّنَهُ فَانَكِمُوا مَا طَابَ لَكُم مِن النِّسَاء . . . ﴾ [النساء: ٣].

وبهذا الإسناد عن عائشة قالت: وقول الله على: ﴿وَرَّغَبُونَ أَن تَنكِمُوهُنَ ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن (١٤)، وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأيلى به (٥٠).

والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها، فأمره الله أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء، فقد وسع الله عن وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة، وتارة لا يكون له فيها رغبة [لدمامتها] عنده أو في نفس الأمر، فنهاه الله عن أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها، كما قال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فِي يَتَكَى ٱلنِّسَاءِ ٱلنَّيِ اللهِ يَوْتُونَهُنَ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَرَّغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَ فَكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي

⁽١) كذا في (مح) وصحيح البخاري، وسقطت من الأصل.

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَيَسْتَقْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآيَـۗ﴾ [النساء: ١٢٧] ح٤٦٠٠).

⁽٣) صحيح مسلم، كتاب التفسير (ح٣٠١٧).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه مقطعاً، وهو متفق عليه كما يلي.

⁽٥) صحيح البخاري، الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَاتُوا ٱلْيَنَعَ ٱتُوَلَّمُ ۖ [النساء: ٢] (ح٥٠٦٤)، وصحيح مسلم، كتاب التفسير (ح٢٠١٨).

⁽٦) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «لزمامتها» وهو تصحيف.

عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً فإن كانت جميلة وهويها، تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه (١). وقال في قوله: ﴿وَالْسُنَهُمَيْنِهُ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ كَانُوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله: ﴿لَا تُوْتُونَهُنَ مَا كُنِبَ لَهُنَ ﴾ فنهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿ لِلذَّكِرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنشَيَّنُ ﴾ [النساء: ١١] صغيراً أو كبيراً، وكذا قال سعيد بن جبير وغيره، وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَكَمَى بِالقِسْطِ ﴾ كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحتها واستأثرت بها، كذلك إذا لم تكن ذات مال ولا جمال فأنكحها واستأثر بها (٢).

وقوله: ﴿وَمَا تَفَعَلُوا مِنْ خَيْرِ فَإِنَ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ، عَلِيمًا ﴾ تهييج على فعل الخيرات وامتثالاً للأوامر، وإن الله ﷺ عالم بجميع ذلك، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه.

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحا بَيْنَهُمَا صُلَحاً وَالصَّلَحُ خَيْرٌ وَأَحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحُ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَنَّقُوا فَإِنَ ٱللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱللّهَ اللّهَ عَلَوْ مَنْ اللّهَ عَلَوْ خَرَصْتُمُ فَكَلَ تَدِيدُوا كُلُ ٱلْمَيْدِلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَقَةُ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَنَّقُوا فَإِنَ اللّهَ كَانَ عَنُورًا رَحِيمًا ﴿ وَلَا تُصَلّمُوا اللّهُ عَالَهُ مَن اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمًا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمًا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْمًا اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَوا اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمًا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَلْولًا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ ال

يقول تعالى مخبراً ومشرعاً من حال الزوجين تارة في حال نفور الرجل عن المرأة، وتارة في حال اتفاقه معها، وتارة في حال فراقه لها، فالحالة الأولى ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها، فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِما آنَ يُصِّلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً ﴾، ثم قال: ﴿وَالصُّلَحُ خَيْرٌ ﴾ أي: الصلح عند المشاحة خير من الفراق، وقوله: ﴿وَأَحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الله على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة، فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك.

(ذكر الرواية بذلك) قال أبو داود الطيالسي: حدثنا سليمان بن معاذ، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله على فقالت: يا رسول الله، لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل، ونزلت هذه الآية ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا لَا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل، ونزلت هذه الآية ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا لَا تُطلقني عالميه من شيء فهو جائز (٣٠). ورواه الترمذي عن محمد بن المثنى، عن أبي داود الطيالسي به، وقال: حسن غريب (١٤).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده الثابت ومتنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عبد الله بن كثير الداري عن ابن جبير.

⁽٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ح٢٦٨٣)، وفيه سماك بن حرب وروايته عن عكرمة فيها اضطراب لكن يشهد له حديث عائشة في الصحيحين الذي سيأتي بعد رواية الشافعي.

⁽٤) أخرجه الترمذي من طريق الطيالسي به (السنن، تفسير سورة النساء ح٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٨٦/٢).

قال الشافعي: أخبرنا مسلم، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان(١).

وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، فكان النبي على يقسم لها بيوم سودة (٢). وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة، عن عائشة نحوه (٣).

وقال سعيد بن منصور: أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام، عن أبيه عروة، قال: أنزل الله في سودة وأشباهها ﴿ إَنِ اَمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نَشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا ﴾ وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنت، ففرقت (٤) أن يفارقها رسول الله على وضنت بمكانها منه، وعرفت من حب رسول الله على عائشة ومنزلتها منه، فوهبت يومها من رسول الله على لعائشة، فقبل ذلك رسول الله على البيهقي: وقد رواه أحمد بن يونس، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد موصولاً (١)، وهذه الطريق رواها الحاكم في مستدركه فقال: حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت له: يا ابن أختي، كان رسول الله على لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله على: يا رسول الله، يومي هذا لعائشة، فقبل ذلك رسول الله على، قالت عائشة: ففي ذلك أنزل الله ﴿ وَإِنِ اَمْرَأَةُ خَافَتُ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا (١). وكذلك رواه أبو داود عن أحمد بن يونس به (٨)، والحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (٩). وقد رواه ابن مردويه من طريق أبي بلال الأشعري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد به نحوه ومن رواية عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن هشام بن عروة بنحوه مختصراً، والله أعلم.

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي في أول معجمه: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائي، حدثنا القاسم بن أبي بزة، قال: بعث النبي الله الى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها جلست له على طريق عائشة، فلما رأته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه لما راجعتني، فإني قد كبرت ولا حاجة لي

⁽١) أخرجه الشافعي بسنده ومتنه (الأُم ٥/٩٨)، ويشهد له الحديث التالي المتفق عليه.

⁽۲) صحيح البخاري، النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها (ح٢١٢٥)، وصحيح مسلم، الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (ح١٤٦٣).

⁽٣) صحيح البخاري، الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها (ح٢٥٩٣).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «فعرفت» ومعنىٰ فرقت؛ أي: خافت.

⁽٥) أخرجه سعيد بن منصور بسنده ومتنه (السنن ح٧٠٢)، وسنده حسن.

⁽٦) السنن الكبرى ٧/ ٢٩٧. (٧) المستدرك ٢/ ١٨٦.

⁽٨) السنن، النكاح، باب في القسم بين النساء (ح٢١٣٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن داود (ح١٨٦٨).

⁽۹) المستدرك ۲/ ۱۸٦.

في الرجال، لكن أريد أن أبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها فقالت: فإني جعلت يومي وليلتي لِحبَّة رسول الله ﷺ (١)، وهذا غريب مرسل.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قال: الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حِلّ، فنزلت هذه الآية (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﴿ وَإِنِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّ

حدثني المثنى، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام، عن عروة، عن عائشة، في قوله: ﴿وَإِنِ اَمْرَاَهُ خَافَتَ مِنْ بَعِلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: هو الرجل يكون له امرأتان: إحداهما قد كبرت، أو هي دميمة، وهو لا يستكثر منها فتقول: لا تطلقني وأنت في حل من شأني (٤)، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير وجه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، بنحو ما تقدم (٥)، ولله الحمد والمنة.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: حدثنا جرير، عن أشعث، عن ابن سيرين قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فسأله عن آية، فكرهه فضربه بالدرة، فسأله آخر عن هذه الآية ﴿وَإِنِ امْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ ثم قال: عن مثل هذا فاسألوا، ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنها، فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز(٢). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فسأله عن قول الله على: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِماً ﴾، قال علي: يكون الرجل عنده المرأة فتنبو عيناه عنها من دمامتها أو كبرها، أو سوء خلقها، أو قذذها فتكره فراقه، فإن وضعت له من مهرها شيئاً حل له، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج(٧).

وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة وحماد بن سلمة وأبي الأحوص، ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل، أربعتهم عن سماك به. وكذا فسرها ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد بن جبير

⁽١) أخرجه ابن سعد من طريق مسلم بن إبراهيم به (الطبقات الكبرى ٨/٥٤) وسنده صحيح لكنه مرسل.

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا . . . ﴾ [النساء: ١٢٨]

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان وهو ضعيف ويشهد له الحديث السابق.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وله شاهد كسابقه.

⁽٥) تقدم تخريجه من الصحيحين في بداية تفسير الآية نفسها.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وُفي سنده انقطاع لأن ابن سيرين لم يسمع عمر. ويشهد لآخره ما سبق.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك / ٢٩٣).

والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطية العوفي ومكحول والحسن والحكم بن عتيبة وقتادة (١) وغير واحد من السلف والأئمة، ولا أعلم في ذلك خلافاً أن المراد بهذه الآية هذا، والله أعلم.

وقال الشافعي: أنبأنا ابن [عيينة] (٢) ، عن الزهري، عن ابن المسيب أن بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج، فكره منها أمراً إما كبراً أو غيره، فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني وأقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله عَلَىٰ ﴿وَإِنِ اَمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا . . ﴾ الآية (٣) وقد رواه الحاكم في مستدركه من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار بأطول من هذا السياق (٣).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: حدثنا سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى، أنبأنا على بن محمد بن عيسى، أنبأنا أبو اليمان، أخبرني شعيب بن أبي حمزة عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيهما نشوز الرجل وإعراضه عن امرأته في قوله: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضَا . . . ﴾ إلى تمام الآيتين، أن المرء إذا نشز عن امرأته وآثر عليها، فإن من الحق أن يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثرة في القسم من ماله ونفسه فإن استقرت عنده علىٰ ذلك فكرهت أن يطلقها فلا حرج عليه فيما آثر عليها من ذلك فإن لم ترض عليها الطلاق وصالحها على أن يعطيها من ماله ما ترضاه وتقر عنده على الأثر في القسم من ماله ونفسه صلح له ذلك وكان صلحها عليه كذلك، ذكر سعيد بن إلمسيب وسليمان: الصلح الذي قال الله عَلَى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصَلِحًا بَيْنَهُمَا صُلَحًا وَالصَّلَحُ خَيْرٌ ﴾ وقد ذكر لي أن رافع بن خديج الأنصاري وكان من أصحاب النبي ﷺ كانت عنده امرأة حتى إذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة، وآثر عليها الشابة، فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة، ثم أمهلها حتى إذا كادت تحلُّ راجعها، ثم عاد فآثر عليها الشابة فناشدته الطلاق، فطلقها تطليقة أخرى ثم أمهلها حتى إذا كادت تحل راجعها ثم عاد فآثر الشابة عليها فناشدته الطلاق، فقال لها: ما شئت، إنما بقيت لك تطليقة واحدة، فإن شئت استقررت على ما ترين من الأثرة، وإن شئت [فارقتك](٤)، فقالت: لا بل أستقر على الأثرة فأمسكها على ذلك، فكان ذلك صلحهما ولم ير رافع عليه إثماً حين رضيت أن تستقر عنده على الأثرة فيما آثر به عليها.

وهكذا رواه بتمامه عبد الرحمن بن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار... فذكره بطوله (٥)، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱلصُّلَحُ خَيْرٌ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني التخيير أن يخير الزوج لها بين الإقامة والفراق خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها(٦).

⁽١) ذكر أغلبهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «عبد» وهو تصحيف.

 ⁽٣) أخرجه الواحدي من طريق الشافعي به (أسباب النزول ص١٧٨)، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣٠٨/٢).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) والسنن الكبرىٰ للبيهقي، وفي الأصل: «فارقيني».

⁽٥) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ ٧/٢٩٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبيه به، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية، كما أمسك النبي على سودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة على ولم يفارقها، بل تركها من جملة نسائه وفعله ذلك لتتأسى به أمته في [شرعية] (ا ذلك وجوازه، فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام، ولما كان الوفاق أحب إلى الله من الفراق. قال: ﴿وَالصُّلَحُ خَيْرٌ ﴾ بل الطلاق بغيض إليه هي، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه، جميعاً عن كثير بن عبيد، عن محمد بن خالد، عن معروف بن واصل، عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله على: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق». ثم رواه أبو داود عن أحمد بن يونس، عن معروف، عن محارب، قال: قال رسول الله على .. فذكره معناه مرسلاً (۱). وقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا مُنْ الله عَلَى الله عَلَى الله على ما تكرهون منهن وتقسموا وَتَنَّقُوا فَإِنَ الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء. وقوله تعالى: ﴿وَلَن لَمَّ الله عَلَى النساء من النساء من النساء من النساء من النساء من الموجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بدّ من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم (٢٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة، قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن وَالْدَة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة، قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَن حَرَّمْتُمُ ﴾ في عائشة (٤). يعني: أن النبي على كان يحبها أكثر من غيرها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة قالت: كان رسول الله على يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: القلب، هذا لفظ أبي داود، وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أبي قلابة مرسلاً، قال: وهذا أصح (٥).

وقوله: ﴿ فَكَلَا تَعِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿ فَتَذَرُوهَا كَاللَّعَلَّقَةً ﴾ أي: فتبقى هذه الأخرى معلقة.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن والضحاك والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان: معناها: لا ذات زوج ولا مطلقة (٦).

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «شريعة» وهو تصحيف.

⁽۲) سنن أبي داود، النكاح، باب في كراهية الطلاق (ح۲۱۷۷)، وسنن ابن ماجه، كتاب الطلاق (ح۲۰۱۸)، ورجح الألباني أنه مرسل (إرواء الغليل ح۲۰۶۰).

⁽٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول عَبيدة السلماني أخرجه الطبري والبيهقي بسند صحيح من طريق ابن سيرين عنه (السنن الكبرى ٢٩٨/٧)، وقول الحسن البصري أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق مبارك بن فضالة عنه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٥) المسند ٦/٤٤/، وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (ح١١٤٠)، وتتمة كلام الترمذي: وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة. اه. والصحيح أنه مرسل كما سيأتي في سورة الأحزاب آية ٥١.

⁽٦) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عكرمة عنه، وبقية المفسرين ذكرهم ابن أبي =

وقال أبو داود الطيالسي: أنبأنا همام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط»(۱)، وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى، عن قتادة به. وقال الترمذي: إنما أسنده همام ورواه هشام الدستوائي، عن قتادة، قال: كان يقال: ولا يعرف هذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام (۲).

وقوله: ﴿وَإِن تُصَلِحُوا وَتَنَقُوا فَإِنَ اللّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: وإن أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض، ثم قال تعالى: ﴿وَإِن يَنَفَرَّقا يُغْنِ اللّهُ حَكُلًا مِن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَسِعًا حَكِيمًا وَهَا وهذه هي الحالة الثالثة، وهي حالة الفراق وقد أخبر الله تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بأن يعوضه من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه، ﴿وَكَانَ اللهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴾ أي: واسع الفضل عظيم المن حكيماً في جميع أفعاله وأقداره وشرعه.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِّ وَلَقَدٌ وَصَّيْنَا ٱلَذِينَ أُوقُوا ٱلْكِنَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ النَّمَوَتِ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهَ عَلِيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهَ عَلِيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُو

⁼ حاتم بحذف السند، وقد أخرج الطبري معظمها بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽١) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ح٢٤٥٤)، وسنده صحيح كما يلي.

⁽۲) المسند ۲/۳٤۷، وسنن أبي داود، النكاح، باب القسمة بين النساء (ح٢١٣٣)، وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في التسوية (ح١١٥٠)، وسنن النسائي، عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه ٧/ ٣٢، وسنن ابن ماجه، النكاح، باب القسمة بين النساء (ح١٩٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٠٣)، والأرناؤط (جامع الأصول ١٩٣١).

⁽٣) زيادة من (حم) و(مح).

أضاعوا أمره. وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأَ يُدَهِبَكُمْ وَيَأْتِ عِخَلِقِ جَدِيدِ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزِ ﴾ [إبراهيم] أي: وما هو عليه بممتنع، وقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنِيا فَعِندَ اللّهِ ثَوَّابُ الدُّنِيا وَالآخِرَةُ ﴾ أي: يا من ليس له همة إلا الدنيا، اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألته من هذه وهذه أغناك وأعطاك وأقناك، كما قال تعالى: ﴿ فَينِ كَانَكَاسِ مَن يَعُولُ رَبَّنَا عَالِنا فِي الدُّنِيَا وَاللّهُ وَاعْطَاكُ وأقناك، كما قال تعالى: ﴿ فَينِ كَانِنا فِي الدُّنِيا عَسَنَةً وَفِي الدُّنِيا عَسَنَةً وَفِي الدُّنِيا عَسَنَةً وَفِي الدُّنِيا عَدَابَ النَّارِ ﴿ أَوْلَتِكَ لَهُمْ نَعِيبُ يَمّا كَسَبُوا ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢]، وقال الله على: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ اللهُ فِيها مَا نَشَاهُ لِمَن نُرِيدُ ثُمّ جَعَلْنَا لَمُ جَهَنَمَ يَصَلّهُا مَذْمُومًا مَلْحُولًا ﴿ وَمَن أَلَادَ الشُورِيٰ عَنَا لَمُ مَهَمًا مَا مَشَاهُ لِمَن نُرِيدُ ثُمّ جَعَلْنَا لَمُ جَهَنَمَ يَصَلّلُهَا مَذْمُومًا مَلْحُولًا ﴿ وَمَن أَلَادَ اللّهِ وَلَكِ مَا كَانَ عَطَاهُ رَبِّكَ عَظُورًا ﴿ فَا انْطُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْوَخِرَةُ أَكُرُ مَعْضِيلًا اللهِ وَالإَخْرَةُ أَكْرُكُ عَلَادً مَنْ وَالْمَرَا فَا اللهُ عَلَادًا لَهُ مَعَلَمُ مَعَمَانَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْوَحُرَا ﴿ وَالْمَالَةُ لِمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَالَةً وَلَا كُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَاللّهُ وَالْمَاءَ وَالْمِورَا فَي اللّهُ عَلَالًا مَعْمَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَاوَخُرَهُ أَكْرُكُ وَلَا عَلَا اللّهُ عَلَالًا عَلَادً مَنْ عَلَالًا عَلَادً وَلِكَ عَظُورًا فَي انْطُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَافِرَوْنُ أَلَا اللّهُ عَلَالًا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَالًا اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَالُهُ وَلِهُ وَاللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُو اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

﴿ ﴿ ﴿ اللَّهُ مِنَا يَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنَ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَّا فَلَا تَتَبِعُوا الْمُوَىٰۤ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلُورُا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ ﴾.

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط؛ أي: بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه، وقوله: ﴿شُهَدَآهُ لِلّهِ ﴾ كما قال: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَدَةَ لِلّهِ ﴾ [الطلاق: ٢] أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقاً خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ عَلَى آنفُسِكُمْ ﴾ أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سئلت

⁽١) تفسير الطبري ٩/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «شابية» وهو تصحيف.

عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه.

وقوله: ﴿ أَوِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد.

وقوله: ﴿إِن يَكُنّ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَّا ﴾ أي: لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره، الله يتولاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما. وقوله: ﴿فَلا تَتَبِعُوا الْمَوَى أَن تَعَدِلُواً ﴾ أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغضة الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل ألزموا العدل على أي حال كان، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلّا تَعَدِلُوا أَعَدِلُوا أَعَدِلُوا مُوَى العدل على أَي حال كان، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمُ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلّا تَعَدِلُوا أَعْدِلُوا مُوكَ اللّه بن رواحة لما بعثه النبي على يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه، وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض، وسيأتي الحديث مسنداً في سورة المائدة (١) إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿وَإِن تَلُورًا أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: تلووا ؛ أي: تحرفوا الشهادة (٢) وتغيروها ، واللّي هو: التحريف وتعمد الكذب ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغَرِيقًا يَلُونَ الشهادة أَلْمُ وَتَغيروها ، واللّي هو: التحريف وتعمد الكذب ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغَرِيقًا يَلُونَ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ عِندِ اللّهِ وَمَا هُو مِن عِندِ اللّهِ وَمَا هُو مِن عِندِ اللّهِ وَمَا هُو مِن اللّهِ وَمَا هُو مِن اللّهِ وَمَا هُو مِن عِندِ اللّهِ وَمَا هُو مِن اللّهِ اللّهِ وَمَا هُو مِن اللّهِ وَمَا هُو مِن اللّهِ اللّهِ وَمَا هُو مِن عِندِ اللّهِ وَمَا هُو مِن عَلَيْهُ إِلّهُ وَمَا هُو مِن اللّهِ وَمَا هُو مِن عَلَيْهُ إِلّهُ وَمَا هُو مِن اللّهِ وَمَا هُو مُن مُعُمّ مِنْهُ وَاللّهُ وَمِن اللّهُ وَمِن اللّهُ وَمُن يَحَدُّمُ اللّهُ وَمُن يَحَدُّمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُن يَحَدُّمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

وقال النبي ﷺ: «خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها»^(٣)، ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿فَإِنَ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: وسيجازيكم بذلك.

﴿ وَيَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَٱلْكِنَبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ. وَٱلْكِنَبِ ٱلَّذِيَ [أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَيَهِكَتِهِ. وَكُنْبِهِ. وَرُسُلِهِ. وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَلًا بَعِيدًا ﴿ ﴾.

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه [ودعائمه] (أن)، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا ٱلْصِّرَطَ ٱلْسُتَقِيمَ ﴿ الفاتحة] أي: بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله، كما قال تعالى: ﴿ يَثَا يُهُمَّ اللَّهِ مَا مَنُوا التَّهُوا اللَّهَ وَمَامِئُوا بِرَسُولِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨].

⁽۱) آیة ۸.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رفع الله الصحيح، الأقضية، باب بيان خير الشهود ح١٧١).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «دعامته».

وقوله: ﴿وَٱلْكِنَبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ٤ يعني: القرآن، ﴿وَٱلْكِتَبِ ٱلَّذِى ٓ أَنْلَ مِن قَبْلُ ﴾ وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: ﴿نَزَّلَ ﴾ لأنه نزل مفرقاً منجماً على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم، وأما الكتب المتقدمة، فكانت تنزل جملة واحدة، لهذا قال تعالى: ﴿وَالْكِتَبِ ٱلَّذِى آنَزَلَ مِن قَبْلُ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَكَفُرُ بِاللّهِ وَمَلَتِكَتِهِ وَكُنْبُهِ وَرُسُلِهِ وَالْمَرْمِ ٱلْآخِرِ فَقَد ضَلَ ضَلَلًا بَعِيدًا ﴾ أي: فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد.

يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان، ثم رجع عنه، ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات، فإنه لا توبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجاً ولا مخرجاً ولا طريقاً إلى الهدى، ولهذا قال: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَمُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جميع، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا ﴿ قَالَ: تمادوا على كفرهم حتى ماتوا(١). وكذا قال مجاهد(٢).

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن واضطراب سماك عن عكرمة لا يضر لأنه ثبت عن مجاهد أيضاً كما يلي.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق شريك عن جابر الجعفي به وسنده ضعيف بسبب سوء حفظ شريك وضعف جابر ويتقوى بالشواهد إذ ورد عن عمر وعثمان وابن عمر والزهري وعمر بن عبد العزيز (ينظر: مصنف عبد الرزاق ١١/١٦٤ - ١٦٥)، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣٧/١، ١٣٨ و٢٧٣/٢، والموطأ ٢/ ٧٣٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٥١، والسنن الكبرى ٣٠٧/٨.

له، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةُ فَلِلّهِ ٱلْعِزَّةُ جَيعاً﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَلْكِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ لَا يَعَلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من [جناب] (۱) الله والالتجاء إلى عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، ويناسب هنا أن نذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد الكندي، عن عبادة بن نسيء، عن [أبي ريحانة] أن النبي على قال: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً [وكرماً] (۱) فهو عاشرهم في النار) (٤) تفرد به أحمد، وأبو ريحانة هذا هو أزدي، ويقال: أنصاري، واسمه شمعون، بالمعجمة، فيما قاله البخاري، وقال غيره: بالمهملة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِئْكِ أَنْ إِذَا سَمِعْنُمْ مَايَتِ ٱللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْنَهْزَأُ بِهَا فَلَا نَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَقَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا رَبْكُمْ إِذَا رَبْكُمْ اللهِ يعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُو إِذَا مِنْلُهُمْ ﴾ في المأثم، كما جاء في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر "(٥).

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «جانب».

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «أبي ركان» وهو تصحيف.

⁽٣) كذا في المسند وفي النسخ: «وكبرا».

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/١٣٤)، وسنده ضعيف لأن عبادة لم يسمع من أبي ريحانة (العلل المتناهية ٢/١٢٩٥).

⁽٥) أخرجه الترمذي من طريق ليث بن أبي سليم، عن طاوس، عن جابر ثم قال: حديث حسن غريب (السنن، الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام ح٢٨٠١)، وفي سنده ليث فيه مقال ويتقوى بالمتابعات فقد روي من طريق أخرى، وعن أبي الزبير عن جابر، وقد أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٢٨٨) وقال الحافظ ابن حجر: إسناده جيد (الفتح ٩/ ٢٥٠).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «بما أشركوا».

⁽٨) كذا في (حم) و(مح) وسقطت من الأصل.

َ ﴿ اَلَّذِينَ يَثَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ فَكَالُوّا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَلِفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوّا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَخَكُمُ بَيْنَكُمْ لِلْكَلِفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ ﴾.

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمُ فَتَحُ مِّنَ اللَّهِ أَي: نصر وتأييد وظفر وغنيمة ﴿قَالُوّا اللّهَ نَكُن مَعَكُمُ اي: يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَفِينَ نَصِيبُ ﴾ أي: إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد، فإن الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة ﴿قَالُوّا أَلَمْ نَسْتَحْوِذُ عَلَيْكُم وَنَمْنَعُكُم مِن المُؤمِنِينَ ﴾ أي: ساعدناكم في الباطن، وما ألوناهم خبالاً وتخذيلاً حتى انتصرتم عليهم.

وقال السدي: ﴿نَسْتَحُوذُ عَلَيْكُمُ ﴾ تغلب عليكم (١). كقوله: ﴿أَسْتَحُوذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ [المجادلة: ١٩] وهذا أيضاً تودد منهم إليهم، فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم.

قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ يَحَكُمُ بَيْنَكُمُ بَيْنَكُمُ بَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ ﴾ أي: بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة. فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في الحياة الدنيا، لما له في ذلك من الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور.

وقوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ قال عبد الرزاق: أنبأنا الشوري عن الأعمش، [عن ذر، عن سبيع] (٢) الكندي، قال: جاء رجل إلى على بن أبي طالب فقال: كيف هذه الآية ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ؟ فقال على وَ اذنه أدنه، ﴿فَاللّهُ يَعَكُمُ هَذه الّهَ لِلْكَفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ". وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى اللّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الل

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «عن ذريع» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الثوري عن الأعمش به (التفسير ص٩٨)، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٩٨).

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج به، وسنده ضعيف للانقطاع بين عطاء الخراساني وابن عباس، ويشهد له سابقه.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق أسباط عن السدي.

أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفاً على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَنهُم إِذَا هُم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى اللَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَثُنُ يُسُرِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرِ مِنْ عِندِهِ فَيُصِّبِحُوا عَلَى مَآ أَسَرُوا فِي الفَيْسِمِ نَدِمِينَ ﴾ [المائدة].

وقد استدل كثير من الفقهاء بهذا الآية الكريمة على أصح قولي العلماء، وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر، لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والإذلال، ومن قال منهم بالصحة، يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجَعَلَ اللَّهُ لِلْكَيْفِرِينَ عَلَى اللَّوْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾.

﴾ ﴿ إِنَّ الْمُنَفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مُّذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰتُوْلَآءٍ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰتُوْلاَءً وَمَن يُصْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُرُ سَبِيلًا ۞﴾.

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ يُخْدِعُونَ اللهُ وَالَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٩]، وقال ههنا: ﴿إِنَّ الْمُمْتِفِقِينَ يُخْدِعُونَ اللهُ وَهُو خَدِعُهُم ﴾ ولا شك أن الله لا يخادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم [يعتقدون] أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً، فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة وأن أمرهم يروج عنده، كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعُهُمُ اللهُ جَيعًا فَيَعْلُونَ لَهُ كُنَا وَلَعْدُنُ وَيَعْشَبُونَ أَنَهُم عَلَى شَيَّةٍ أَلَا إِنَهُم مُمُ ٱلكَدْبُونَ ﴿ وَاللهِ المحادلة]، وقوله: ﴿وَهُو خَدِعُهُم أَي يَعْهُم أَي يَعْهُم أَي يَعْهُم أَي يَعْهُم أَلَكُ وَيُونَ لَكُرُ وَيَعْمُ أَي اللهُ في الدنيا، وكذلك هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم، ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱللَّيْفِقُنُ وَاللَّهُ يَعْهُمُ أَن اللَّهُونَ اللَّه في الدنيا، وكذلك الله وي الدنيا، وكذلك مَامُونًا الله الله الله الله الله الله وي يُنادُونَهُم أَلُم اللهُونَ اللهُ اللهُ وَعَلُونَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَلَا مَنْ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى مَامُونًا اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَلَا مَنْ اللهُ وَلَا مِنْ اللهُ ال

وقد ورد في الحديث: «من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به» (٢). وفي حديث آخر: «إن الله يأمر بالعبد إلى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به إلى النار» عياذاً بالله من ذلك.

وقوله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة إذا قاموا إليها، قاموا وهم

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «يعتذرون» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه الشيخان من حديث جندب بن عبد الله ﷺ (صحيح البخاري، الرقاق، باب الرياء والسمعة حوجه الشيخان من مسلم، الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (ح٢٩٨٦).

كسالى عنها، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه من طريق عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: يُكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح، فإنه يناجي الله وإن الله تجاهه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ثم يتلو هذه الآية ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾(١). وروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس نحوه.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ هذه صفة ظواهرهم كما قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوةَ إِلَا وَهُم حُسَالَى﴾ [التوبة: ٤٥] ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: ﴿يُرَاءُونَ النّاسَ﴾ أي: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالباً كصلاة العشاء في وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله على قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن المنافقين صلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال ومعهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»(٢). وفي رواية: «والذي نفسي بيده، لو علم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين، لشهد الصلاة، ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار»(٣).

وقوله: ﴿وَلَا يَذَكَّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يراد بهم من الخير معرضون.

وقد روى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله على: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، [تلك صلاة المنافق](٥) يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»(٢)، وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر [المدني](٧)، عن العلاء بن

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك الحنفي عن ابن عباس مختصراً، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة (صحيح البخاري، الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة ح٦٥٧)، وصحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة (ح٦٥١).

⁽٣) صحيح البخاري، الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة (ح١٤٤)

⁽٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٩/٥٤ ح١١٧٥)، وسنده ضعيف لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري.

⁽٥) زيادة من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٦) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، الصلاة، باب النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ١/ ٢٢٠)، وسنده صحيح.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «المزني» وهو تصحيف.

عبد الرحمن به، وقال الترمذي: حسن صحيح (١).

وقوله: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَى هَتُؤُلَآءَ وَلَآ إِلَى هَتُؤُلَآءً ﴾ يعني: المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك ﴿ كُلُّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْمِم قَامُواً . . . ﴾ الآية [البقرة: ٢٠]، وقال مجاهد: ﴿ مُذَبَّذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَى هَوُلَآءِ ﴾ يعني: أصحاب محمد ﷺ ﴿ وَلَآ إِلَى هَوُلَآءٍ ﴾ يعني: اليهود (٢٠).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي على قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تدري أيتهما تتبع» (٣)، تفرد به مسلم (٤)، فرواه عن محمد بن المثنى، وقال ابن جرير: وحدثنا محمد بن المثنى مرة أخرى، عن عبد الوهاب فوقف به على ابن عمر ولم يرفعه، قال: حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك (٥).

قلت: وقد رواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف، عن عبيد الله، [وكذا رواه إسماعيل بن عياش، وعلي بن عاصم، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً]^(۲)، وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة، عن عبدة، عن عبيد الله به مرفوعاً، ورواه حماد بن سلمة، عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه أيضاً صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي عليه بمثله (۷).

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا الهذيل بن بلال، عن ابن عبيد أنه جلس ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه، فقال أبي: قال رسول الله على: «إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربيضين من الغنم، إن أتت هؤلاء نطحتها، وإن أتت هؤلاء نطحتها» فقال له ابن عمر: كذبت، فأثنى القوم على أبي خيراً أو معروفاً، فقال ابن عمر: ما أظن صاحبكم إلا كما تقولون، ولكني شاهدي الله إذ قال: «كالشاة بين الغنمين»، فقال: هو سواء، فقال: هكذا سمعته (٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: بينما عبيد بن عمير يقص وعنده عبد الله بن عمر، فقال عبيد بن عمير: قال رسول الله عليه: «مثل المنافق كالشاة بين ربيضين، إذا أتت هؤلاء نطحتها، وإذا أتت هؤلاء نطحتها»، فقال ابن عمير:

⁽۱) صحيح مسلم، المساجد، باب استحباب التبكير بالعصر (ح٦٢٢)، وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في تعجيل العصر (ح١٦٠).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

 ⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) صحيح مسلم، صفات المنافقين وأحكامهم (ح٢٧٨٤).

 ⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومته، وقد ثبت مرفوعاً كما تقدم.
 (٦) ما بين معقوفين زيادة من (حم) و(مح).

 ⁽٦) ما بين معقوفين زيادة من (حم) و(مح).
 (٧) المسند ٩٩٩٩ (ح٩٧٩)، وصححه محققوه.
 (٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٩٧٢٩ ح٥٣٥٩)، وضعفه محققوه بسبب ضعف الهذيل بن
 بلال، ولشطره الأول شاهد صحيح تقدم.

ليس كذلك، إنما قال رسول الله على: «كشاة بين غنمين»، قال: فاحتفظ الشيخ وغضب، فلما رأى ذلك ابن عمر قال: أما إني لو لم أسمعه لم أرد ذلك عليك(١).

(طريقة أخرى عن ابن عمر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا [معمر] (٢)، عن عثمان بن بودويه، عن يَعفُر بن رَوذي، قال: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول: قال رسول الله على: «مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين»، فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على رسول الله على رسول الله على: «مثل المنافق كمثل الشاة [العائرة] (٣) بين الغنمين (٤)، ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله _ هو ابن مسعود _، قال: مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد، فوقع أحدهم فعبر، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي: ويلك أين تذهب إلى الهلكة، ارجع عودك على بدئك، وناداه الذي عبر: هلم إلى النجاة، فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة، قال: فجاء سيل فأغرقه، فالذي عبر هو المؤمن، والذي غرق المنافق ﴿مُذَبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ مَتُولَا إِلَىٰ هَتُولَا إِلَىٰ هَتُولَا فَي والذي مكث الكافر (٥).

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا شعبة، عن قتادة: ﴿ مُّذَبَدُبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَى هَوُكُمْ وَلَا إِلَى هَوُكُمْ وَلَا إِلَى هَوُكُمْ وَلَا السوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين بالشرك، قال: وذكر لنا أن نبي الله على كان يضرب مثلاً للمؤمنين وللمنافق وللكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن، ناداه الكافر، أن هلم إلى فإني أخشى عليك، وناداه المؤمن: أن هلم إلى فإن عندي وعندي يحصي له ما عنده، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه آذيُ (٢) فغرقه، وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك، قال: وذكر لنا أن نبي الله على كان يقول: «مثل المنافق كمثل ثاغية (٢) بين غنمين، رأت غنماً على نشز فأتتها وشامتها فلم تعرف، ثم رأت غنماً على نشز فأتتها فشامتها (٨) فلم تعرف (أن يَمِكُ لَهُ سَيِيلًا أي ومن فشامتها الله فلا هادي له، والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل الله فلا هادي لهم ولا منقذ لهم مما هم فيه، فإنه تعالى لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون.

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۸/ ٤٧٦ ح ٤٧٦)، وضعفه محققوه لأن المسعودي اختلط وسماع يزيد وهو ابن هارون بعد الاختلاظ ويشهد له ما سبق.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «عمر» وهو تصحيف.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «الناعرة» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٩/ ٣٣٢ ح ٥٦١٠)، وضعفه محققوه بسبب سكوت النقاد عن يَعفُر.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٦) أي الموج الشديد. (٧) ثغت الشاة: أي صاحت.

⁽٨) شامتها: دنت إليها وشمتها لتعرف أهي أخواتها أم غيرها. قاله أحمد شاكر في حاشية الطبري.

⁽٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح إلى قتادة لكنه مرسل.

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ يعني: مصاحبتهم ومصادقتهم، ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّغِذِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْكُوْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلّا أَن تعالى: ﴿لَا يَتَّغِذِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيالَةً مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلّا أَن تَعَلَّوا مِنْهُمُ اللّهُ نَفْسَكُم اللّهُ نَفْسَكُم الله الله الله على عقوبته في ارتكابكم نهيه، ولهذا قال ههنا: ﴿أَرُبِدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلّهِ عَلَيْكُم شُلطَنَا مُبِينًا ﴾ أي: حجة عليكم في عقوبته إياكم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قوله: ﴿سُلَطَنَا مُبِينًا ﴾ قال: كل سلطان في القرآن حجة (۱). وهذا إسناد صحيح، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي [والنضر بن عربي (۲)] (۱).

ثم أخبرنا تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرْكِ ٱلْأَسْفَكِلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ.

قال الوالبي، عن ابن عباس: ﴿فِي الدَّرَكِ ٱلْأَسْفَكِلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي: في أسفل النار^(٤). وقال غيره: النار دركات كما أن الجنة درجات.

وقال سفيان الثوري، عن عاصم، عن ذكوان أبي صالح، عن أبي هريرة ﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي ٱلدَّرُكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: في توابيت ترتج عليهم، كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع، عن يحيى بن يمان، عن سفيان الثوري به (٥٠).

ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي ٱلدَّرَكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿ قال: الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم (٢).

قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة، عن عبد الله _ يعني: ابن مسعود _ ﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي ٱلدَّرَكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ قال: في توابيت من نار تطبق عليهم (٧٠).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٢) ذكرهم ابن كثير بحذف السند، وأخرج الطبري بعض الآثار بأسانيد ثابتة.

⁽٣) كذا في (حم) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل و(مح): «النضر بن عدي» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس.

٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان ضعيف.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج، عن وكيع، عن سفيان، عن سلمة، عن خيثمة، عن ابن مسعود ﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرُكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ التَّارِ ﴿ قال: في توابيت من حديد مبهمة عليهم (١). ومعنى قوله: مبهمة؛ أي: مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها.

وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا علي بن زيد، عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود سئل عن المنافقين، فقال: يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار(٢). ﴿وَلَن يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ أي: ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب.

ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا، تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله، واعتصم بربه في جميع أمره، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصَّلَحُوا وَاعْتَصَكُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمّ لِلَّهِ ﴾ أي: بدلوا الرياء بالإخلاص فينفعهم العمل الصالح وإن قل.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن عمرو بن مرة، عن معاذ بن جبل أن رسول الله على قال: «أخلص دينك يكفك القليل من العمل»(٣).

﴿ فَأُولَكِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: في زمرتهم يوم القيامة ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجُرًا عَظِيمًا ﴾ ثم قال تعالى عن غناه عما سواه، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم، فقال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللّهُ يَعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُكُمْ وَ المَنتُمُ ﴾ أي: أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله ﴿ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ أي: من شكر شكر له، ومن آمن قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء.

﴿ ﴿ ﴿ لَا يُحِبُ اللَّهُ الْجَهَرَ بِالسُّوَّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمٌ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۞ إِن نُبَدُواُ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوِّءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيرًا ۞﴾.

قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية يقول: لا يحب الله يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِم ﴾ وإن صبر فهو خير له (٤).

وقال أبو داود: حدثنا عبيد الله بن [معاذ] حدثنا أبي، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن عطاء، عن عائشة، قالت: سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: «لا تُسَبّخي (٦) عنه (٧)،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف وقد تابعه سلمة بن كهيل في الرواية السابقة.

⁽٣) أخرجه أبن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن عمرو بن مرة لم يسمع من معاذ (المراسيل لابن أبي حاتم ص١٤٧).

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «معقل» وهو تصحيف.

⁽٦) أي: لا تخففي عنه إثم السرقة والعقوبة بدعائك عليه (المسند ٠٤/٢١٥).

⁽٧) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأدب، باب فمن دعا على من ظلم ح٤٩٠٩)، وسنده ضعيف لأن =

وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه، واستخرج حقي منه (١)، وفي رواية عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه (٢).

وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افترى عليك فلا تفتر عليه، لقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَيَكَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ ﴿ السَورى اللهِ اللهُ اللهُ

وقال أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «المستبّان ما قالا، فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم» (٤).

وقال عبد الرزاق: أنبأنا المثنى بن الصباح، عن مجاهد في قوله: ﴿ لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ إِللَّهُوَ وَاللهُ عَن طُلُوَ اللهُ عَن طُلُوً ﴿ لَا يَعِبُ اللهُ الْجَهْرِ الناس فَالَ: فَلَا اللهِ عَن طُلُوً ﴿ لَا عَن طَلْم عَلْم اللهِ عَن اللهِ عَن القول إلا من ظلم حتى يؤدي الآخر إليه حق ضيافته (٥).

وقال ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ لَا يُحِبُّ اللهُ ٱلْجَهْرَ بِٱللهُ وَمِن ٱلْقَوْلِ إِلّا مَن فَلْ فَال : قال : هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته، فيخرج فيقول : أساء ضيافتي ولم يحسن (٢) . وفي رواية : هو الضيف المحول رحله، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول (٧)، وكذا روي عن غير واحد عن مجاهد نحو هذا، وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد، والترمذي من حديث ابن لهيعة، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله، عن عقبة بن عامر، قال : قلنا : يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرونا، فما ترى في ذلك؟ فقال : «إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف، فاقبلوا منهم، وإن لم تفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم» (٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا الجودي يحدث عن

حبيباً وهو: ابن أبي ثابت روى عن عطاء أحاديث لم يتابع عليها وهذا الحديث منها كما قرر العقيلي في الضعفاء ٢٦٣/١.

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يونس بن عبيد البصري عن الحسن.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن، وإسماعيل ضعيف. والصحيح الرواية السابقة.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم.

⁽٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأدب، باب المستبّان ح٤٨٩٤)، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق العلاء به (الصحيح، البر والصلة، باب النهي عن السباب ح٢٥٨٧).

 ⁽٥) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف المثنىٰ بن الصباح ولكنه توبع في تفسير الطبري وابن أبي حاتم فيكون حسناً لغيره.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به، ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع ويشهد له سابقه.

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به، وحكمه كسابقه.

⁽A) صحيح البخاري، المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه (ح٢٤٦١)، وصحيح مسلم، اللقطة، باب الضيافة (ح١٧٢٧).

سعيد بن المهاجر، عن المقدام أبي كريمة، عن النبي على أنه قال: «أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً، فإن حقاً على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله»(١). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن منصور، عن الشعبي، عن المقدام أبي كريمة، سمع رسول الله على يقول: «ليلة الضيف واجبة على كل مسلم، فإن أصبح بفنائه محروماً كان ديناً عليه، فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه»(٢). ثم رواه أيضاً عن غندر، عن شعبة، وعن زياد بن عبد الله البكائي، وعن وكيع وأبي نعيم، عن سفيان الثوري، ثلاثتهم عن منصور به، وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة عن منصور به (٣).

ومن هذه الأحاديث وأمثالها، ذهب أحمد وغيره إلى وجوب الضيافة، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي على، فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: «أخرج متاعك فضعه على الطريق»، فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فكل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم آخزه، قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، والله لا أوذيك أبداً (٤)، وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر، عن محمد بن عجلان به (٥)، ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله، عن النبي على، ويوسف بن عبد الله بن سلام، عن النبي على النبي النبي المناد، ويوسف بن عبد الله بن سلام، عن النبي النبي المناد، ويوسف بن عبد الله بن سلام، عن النبي النبي الله عن النبي الله بن عبد الله بن عبد الله بن النبي النبي المناد، ويوسف بن عبد الله بن عبد الله بن النبي النبي النبي المناد، ويوسف بن عبد الله بن عبد الله بن النبي الله بن عبد الله بن النبي النبي

وقوله: ﴿إِن نُبَدُوا خَيْرًا أَوَ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعَفُّواْ عَن سُوّعٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًا قَدِيرًا ﴿ إِن نُبَدُوا خَيْرًا ﴿ إِن نَبَدُوا خَيْرًا ﴿ إِن نَبَدُوا خَيْرًا ﴾ أي الله ويجزل أيها الناس خيراً أو أخفيتموه أو عفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم، ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُواً قَدِيرًا ﴾ ، ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله، فيقول بعضهم: سبحانك على حفوك بعد قدرتك، وفي الحديث على حلمك بعد علمك، ويقول بعضهم: سبحانك على عفوك بعد قدرتك، وفي الحديث

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٣٣/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥/ ١٠٠٨).

 ⁽۲) أخرجه الإمام بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٣٠)، وأخرجه أبو داود من طريق منصور به (السنن، الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة ح ٣٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٧٥).

⁽٣) المسند ٤/ ١٣٠ ـ ١٣٣، وسنن أبي داود، الحديث السابق (ح٠٣٧٠).

⁽٤) أخرجه البخاري من طريق صفوان بن عيسى به (الأدب المفرد ح١٢٤)، ومن الطريق نفسه أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/١٦٥)، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح الأدب المفرد ح٩٢).

⁽٥) السنن، الأدب، باب حق الجوار (ح٥١٥٣). وقال الألباني أيضاً: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٢٩٢).

⁽٦) أخرجه البزار (كما في كشف الأستار ح١٩٠٣) قال الهيثمي: فيه أبو عمر المنيهي تفرد عنه شريك (مجمع الزوائد ٨/ ١٧٣)، ويشهد له ما تقدم عن أبي هريرة وقد أخرجه الحاكم أيضاً من طريق أبي عمر به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٦٦/٤).

الصحيح: «ما نقص مال من صدقة، ولا زاد الله عبداً بِعَفْوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه»(١).

ڝ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكَفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَبَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَعُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَصَّفُرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيِّنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ ٱلْكَفْرُونَ حَقَّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَلْفِينَ عَذَابًا مُهِيئًا ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَدَ يُغَرِّقُواْ بَيِّنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِيكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ لِلْكَلْفِينَ عَذَابًا مُهْمِينًا ﴾. (أَجُورَهُمَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ ﴾.

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله، من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود - عليهم لعائن الله - آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد عليه، والسامرة لا يؤمنون بنبيّ بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمحبوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له: زرادشت، ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم، والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن ردّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي، تبين أن واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن ردّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي، تبين أن تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْذِينَ يَكُفُرُونَ يَاتَّهِ وَرُسُلِهِ فَوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله، ﴿وَرُبِيدُونَ أَن يُعَنِّوُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَمُ المَا يَعْ مُنَ الْكَفِرُونَ كَفَّا أَي يَتَعْفُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ أَي أَلْكِيدُونَ أَن يَتَعْفُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ أَي أَي في الإيمان، ﴿وَيَتُولُونَ نَهْمُ فَال اللهِ الله الله الما محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به، لأنه ليس شرعياً إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله، لأمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه، أو نظروا حق النظر في نبوته.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدُنَا لِلْكَغِرِينَ عَذَابًا مُهِينَا﴾ أي: كما استهانوا بمن كفروا به، إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله على حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي ﴿وَمُرْيَتُ عَلَيْهِ مُ الذِّلُهُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَنَب مِن عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي ﴿وَمُرْيَتُ عَلَيْهِ مُ الذِّلُهُ وَلَمْ يُعَرِّقُوا بَيْنَ أَحَد يَنَهُم وَلَا الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال يعني: بذلك أمة محمد على فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلِيَهِ مِن رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّ عَامَنَ بِاللهِ وَمَلَتَهِكِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَعْرَتُ كُلُّ عَامَنَ بِاللهِ وَمَلَتَهِ وَرُسُلِهِ وَرَسُلِهِ لَهُ وَمُلَتِكِكِه وَرُسُلِه عَنْ الله عَن الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال بين أَمْولُ بِن الله أَمْ مَعمد عليه عَنْ الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال بين أَمْولُ بَن الله عَن الله وبكل نبي بعثه الله، عمل المخبود على المنوا بالله ورسله ﴿وَكَانَ الله عَفُولًا رَحِيمًا فَقَال: ﴿ أَوْلَتُهِكَ سَوْقَ لَعْمُولُ رَحِيمًا فَقَال: ﴿ أَوْلَتُهُكَ مَن الله عَنْ عَنُولُ الله عَلْونِ ، والحمد لله . المنوا بالله ورسله ﴿ وَكَانَ الله عَفُولًا رَحِيمًا ﴾ أي: لذنوبهم ؛ أي إن كان لبغضهم ذنوب، والحمد لله .

⁽١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (الصحيح، البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع ح٢٥٨٨).

﴿ وَيَسْتَلُكَ أَهْلُ الْكِنْبِ أَن تُمَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِنْبُا مِنَ السَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوّا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةُ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّنِعِقَةُ بِطُلْبِهِمْ ثُمَّ اَتَّخَذُوا الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيْنَتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَمَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلَطَنَا ثُمِينًا ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَقِهِمْ وَقُلْنَا لَمُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ شَجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذَنَا مِنْهُمْ تِمِثَقًا غَلِيظًا ۞﴾.

قال محمد بن كعب القرظي والسدي وقتادة: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة (١٠).

قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صحفاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به (٢).

وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد، كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو مذكور في سورة سبحان ﴿وَقَالُواْ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَىٰ تَفَجُّر لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَلْبُوعًا ۞﴾ الآية [الإسراء]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا ٱللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتُهُمُ الصَّنعِقَةُ بِظُلْمِهِم أَي: بطغيانهم وبغيهم، وعتوهم وعنادهم، وهذا مفسر في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَنفُوسَىٰ لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَىٰ زَى اللّه جَهْرَةً فَأَخَذَتُكُم الصَّعِقَةُ وَأَنتُم نَظُرُونَ ۞﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اَغَنْدُوا الْوِجِلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتُهُمُ الْيَتِنَتُ أِي: من بعدما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يدي موسى عِنْ في بلاد مصر، وما كان من إهلاك عدوهم فرعون وجميع جنوده في اليم، فما جاوزوه إلا يسيراً، حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لمموسى: ﴿آجَعُلُ لَنَا إِلَهُا كُمَا لَمُمْ ءَالِهُ أَقَلَ إِنّكُمْ قَوْمٌ بَعْهَاوُنَ فَي إِنّ هَتَوُلَا مُنَبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُ تَا لموسى: ﴿آجَعُلُ لَنَا إِلَهُا كُما لَمُمْ ءَالِهُ أَقَلَ إِنّكُمْ قَوْمٌ بَعْهَاوُنَ فَي إِنّ هَتَوُلَا مِنْ مَا الله على مبسوطة في سورة كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي سورة طه، بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عَلى، ثم لما رجع وكان ما كان، الأعراف، وفي سورة طه، بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله على أنه لما رجع وكان ما كان، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، ثم أحياهم الله عَلى، وقال الله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَالِكُ وَمَاتَيْنَا مُوسَى أَعْنَ اللهُ عَلى الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عَنْ، ورفع الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عَنْ، ورفع الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم، خشية أن يسقط عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَوْ اللّهُ عَلَى اللّه على رؤوسهم بعلاً، ثم ألزموا ﴿وَلَوْ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّه على رؤوسهم أمروا أن خالَهُ ﴿وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ مُ أَذَا اللّهُ أَذَا اللّهُ أَذَا اللّهُ أَذَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه على رؤوسهم أمروا أن الله على رؤوسهم أمروا أن الله على القول والفعل، فإنهم أمروا أن

⁽۱) قول محمد بن كعب أخرجه الطبري من طريق أبي معشر عنه وسنده مرسل وقول السدي أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة وهذه المراسيل الثلاثة يقوي بعضها بعضاً.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود الملقب بسنيد ضعيف، وسنده معضل أيضاً وما تقدم يشهد لشقه الأول.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وسقط من الأصل.

يدخلوا باب بيت القدس سجداً وهم يقولون: حطة؛ أي: اللّهم حطّ عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه، حتى تهنا في التيه أربعين سنة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون: حنطة في شعرة ﴿وَقُلْنَا لَمُمْ لَا تَعَدُوا فِي السّبْتِ ﴾ أي: وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم، ما دام مشروعاً لهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَقاً غَلِيظا ﴾ أي: شديداً، فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله وعلى كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله: ﴿وَسَّعَلَهُمْ عَنِ ٱلْقَرْبِكِةِ اللّي ما حرم الله وَاللّه عليهم عند قوله: ﴿وَسَعَلَهُمْ عَنِ ٱلْقَرْبِكِةِ اللّهِ على الله على ما حرم الله وعبرة ألْبَحْدِ ... ﴾ الآيات [الأعراف: ١٦٣]، وسيأتي حديث صفوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُوسَىٰ يَسْعَ مَايَتِ بَيِّنَتَ ﴾ [الإسراء: ١٠١] وفيه: وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت.

﴿ فَهِمَا نَقْضِهِم مِيثَنَقَهُمْ وَكُفْرِهِم فِآيَتِ اللّهِ وَقَلْلِهِمُ ٱلأَنْبِيَاةَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قَلُوبُنَا غُلَفُ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِئُونَ إِلّا قَلِيلًا ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنَا عَظِيمًا ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيمًا ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا اللّهِ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنَا عَظِيمًا ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا اللّهِ وَمَا قَنْلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَمُمْ وَإِنَّ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَلَكِن مِنْ عِلْمٍ إِلّا النّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَلِينَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَإِن مِنْ أَهْلِ اللّهِ لِللّهِ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهِ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَإِن مِنْ عَلِمٍ اللّهِ لَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا اللّهُ ﴾ .

وهذه من الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله؛ أي: حججه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدوها على يدي الأنبياء هي قوله: ﴿وَقَنْلِهِمُ ٱلأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِ ﴿ وَذَلْكَ لَكُثْرَةَ إِلَيْ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَذَلْكَ لَكُثْرة إِجرامهم واجترائهم على أنبياء الله، فإنهم قتلوا جمعاً غفيراً من الأنبياء هي وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا عَبُسُ ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة وغير واحد: أي في غطاء (١).

وهذا كقول المشركين ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى آكِنَةٍ مِّمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى عَاذَانِنَا وَقَرُ وَمِنْ بَيْنِنَا وَيَبْكِ جِحَابُ وَهَلَ الْعَلَم الله الله تعالى الله تعالى الله عَلَي الله على القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن الله تعي ما يقول، لأنها في غلف وفي أكنة، قال الله: بل هي مطبوع عليها بكفرهم، وعلى القول الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة المقرة المَوْلَ الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة ﴿ فَلَا يُوْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلا ﴾ أي: مردت قلوبهم على الكفر والطغيان، وقلة الإيمان.

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن كثير عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند حسن من طريق معمر عنه، وقول سعيد بن جبير وعكرمة ذكرهما ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٢) سنده ضعيف لأن الكلبي صرح أن كل ما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب.

⁽٣) آية ٨٨.

﴿ وَبِكُفْرِهِم وَقَرِّلِهِم عَلَىٰ مَرْيَهَ بُهْتَنَا عَظِيمًا ﴿ قَالَ عَلَى بِن أَبِي طَلَحَة عِن ابِن عباس: يعني أنهم رموها بالزنا (١)، وكذلك قال السدي وجويبر ومحمد بن إسحاق وغير واحد (٢)، وهو ظاهر من الآية، أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك، زاد بعضهم: وهي حائض فعليهم لعائن الله [المتتابعة] (٢) إلى يوم القيامة.

وقولهم: ﴿إِنَّا قُنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى أَبْنَ مَرْبَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ أِي: هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لْمُجِّنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] وكان من خبر اليهود، عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائراً، ثم ينفخ فيه، فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن الله على، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما الصلاة والسلام، ثم لم يقنعهم ذلك، حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلاً مشركاً من عبدة الطاغوت والكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان، وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم، ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى ﷺ، وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل: [سبعة عشر](٤) نفراً، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك. فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيكم يلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى على سنة من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلما رفع خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب، ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه، وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى، ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح،

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول جويبر أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يعلى بن عبيد عنه.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «التابعة» وهو تصحيف.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «ستة عشر».

فإنهم شاهدوا رفعه. وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود، أن المصلوب هو المسيح بن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال: إنه خاطبها (١)، والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

وقد وضح الله الأمر وجلاه وبينه، وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المويد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: وهو أصدق القائلين ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السلموات والأرض، العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِهٌ فَمُ ﴿ أَي: رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ النِّينَ اَخْتَلَنُوا فِيهِ لَغِي شَكِ مِنَةً مَا لَمُهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اَبْبَاعَ الطَّنِ ﴾ شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ النِّينَ اَخْتَلَنُوا فِيهِ لَغِي شَكِ مِنَةً مَا لَمُهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اَبْبَاعَ الطَّنِ ﴾ من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا ﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين ﴿بَل رَفّعهُ اللهُ إِلَيّةً وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيبًا ﴿ إِلَى اللهِ مَن الأمور التي يخلقها، ولا يضام من لاذ [ببابه] (٢) ﴿حَكِيمًا ﴿ أَي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، يعني: فخرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن من به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة، كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية (٥)، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية (٥)، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية (٥)، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية (٥)، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية (٥)، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء

⁽١) هذه القصة ورد معظمها بأسانيد ثابتة كما سيأتي، وهي من أخبار أهل الكتاب التي لا تخالف القرآن والسنة بل غالباً ما توافقهما.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «به». (٣) روزنة أي: شباك أو نافذة صغيرة.

⁽٤) اليعقوبية: هم أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة بأن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى على على طريق الظهور. (ينظر: الملل والنحل ٢٢٤/١ _ ٢٢٠).

⁽٥) النسطورية: هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه قال: إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة... واتحدت الكلمة بجسد عيسى الله لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع الخاتم (المصدر السابق بتصرف).

المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً على أبي محمداً على أبي كريب، عن أبي محمداً على أبي كريب، عن أبي معاوية بنحوه (٢)، وكذا ذكره غير واحد من السلف، أنه قال لهم: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني، وهو رفيقي في الجنة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن هارون بن عنترة، عن وهب بن منبه قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليه، صورهم الله على كلهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى، أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فخرج إليهم، وقال: أنا عيسى، وقد صوره الله على صورة عيسى، فأخذوه فقتلوه وصلبوه، فمن ثم شبه لهم، فظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك ".

وهذا سياق غريب جداً.

قال ابن جرير: وقد روي عن وهب نحو هذا القول، وهو ما حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبأ يقول: إن عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا، جزع من الموت وشق عليه، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً، فقال: احضروني الليلة، فإن لي إليكم حاجة، فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم، وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام، أخذ يغسل أيديهم، ويوضئهم بيده، ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاظموا ذلك، وتكارهوه فقال: ألا من ردَّ عليِّ الليلة شيئاً مما أصنع، فليس مني، ولا أنا منه، فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك، قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام، وغسلت أيديكم بيدي، فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أني خيركم، فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي الليلة التي أستعينكم عليها، فتدعون الله لي، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء، وأرادوا أن يجتهدوا، أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله، أما تصبرون لي ليلة واحدة، تعينوني فيها؟ فقالوا: والله ما ندري ما لنا، لقد كنا نسمر فنكثر السمر، وما نطيق الليلة سمراً، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه، فقال: يذهب الراعي وتفرق الغنم، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه. ثم قال: الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني. فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، وأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا: هذا من أصحابه، فجحد وقال: ما أنا بصاحبه، فتركوه، ثم أخذه آخرون، فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه، فلما أصبح أتى أحد

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽۲) تفسير النسائي ۱/٤٧٥ _ ٥٧٥.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجدون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه، وكان شبه عليهم قبل ذلك، فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل، وجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى، وتنهر الشيطان، وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه، ويلقون عليه الشوك، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها، فرفعه الله إليه، وصلبوا ما شبه لهم، فمكث سبعاً، ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى على فأبرأها الله من الجنون، جاءتا تبكيان تحت المصلوب، فجاءهما عيسى فقال: ما تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني قد رفعني الله إليه، ولم يصبي إلا خير، وإن هذا شبه لهم، فأمرا الحواريين يلقوني إلى مكان كذا وكذا، فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر، وفقد الذي باعه ودل عليه اليهود، فسأله عنه أصحابه، فقال: إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه، فقال: لو تاب لتاب الله عليه. ثم سألهم عن غلام تبعهم يقال له: يحيى، فقال: هو معكم، فانطلقوا، فإنه سيصبح كل إنسان يحدث بلغة قومه فلينذرهم وليدعهم (۱).

سياق غريب جداً.

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان اسم ملك بني إسرائيل الذي بعث إلى عيسى ليقتله رجلاً منهم يقال له: داود، فلما أجمعوا لذلك منه، لم يفظع عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لي فظعه، ولم يجزع منه جزعه، ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه، حتى إنه ليقول فيما يزعمون: اللهم إن كنت صارفاً هذه الكأس عن أحد من خلقك، فاصرفها عني. وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتفصد دماً، فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر بعيسى على فطرس، ويعقوب بن زبدي، عليه، قال لأصحابه من الحواريين، وكانوا اثني عشر رجلاً: زبدي فطرس، ويعقوب بن زبدي، ويُحنس أخو يعقوب، وانداراييس، وفيلبس، وابن تلما، ومتى، وتوماس، ويعقوب بن حلقايا، وتداوسيس، وقانيا، ويودس زكريا يوطا(٢).

قال ابن حميد: قال سلمة: قال ابن إسحاق: وكان فيما ذكر لي رجل اسمه سرجس، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً سوى عيسى الله ، جحدته النصارى، وذلك أنه هو الذي شبه لليهود مكان عيسى، قال: فلا أدري هو من هؤلاء الاثني عشر، فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بما جاء به محمد المحمد من الخبر عنه، فإن كانوا ثلاثة عشر، فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا، وهم بعيسى أربعة عشر، وإن كانوا اثني عشر، فإنهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر "".

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل كان نصرانياً فأسلم، أن عيسى حين جاءه من الله: ﴿إِنِّ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى ﴾ [آل عمران: ٥٥]، قال: يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حَتَّى يشبّه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني؟ فقال سرجس: أنا يا روح الله. قال:

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو من الإسرائيليات التي ولع بها وهب بن منبه.

 ⁽٢) في بعض هذه الأسماء ورد فيها بعض التصحيفات ضبطت من رواية الطبري، فقد أخرجه بسنده ومتنه، وفيه أيضاً ٥٠١/١.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

فاجلس في مجلسي، فجلس فيه، ورفع عيسى الله فيه فدخلوا عليه، فأخذوه فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه، وشبه لهم به، وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة، وقد رأوهم فأحصوا عدتهم، فلما دخلوا عليه ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يرون، وفقدوا رجلاً من العدة، فهو الذي اختلفوا فيه، وكانوا لا يعرفون عيسى، حتى جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه، فقال لهم: إذا دخلتم عليه فإني سأقبله، وهو الذي أقبل فخذوه، فلما دخلوا، وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى، فلم يشك أنه هو، فأكب عليه يقبله، فأخذوه فصلبوه. ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع فاختنق بحبل حتى قتل نفسه، وهو ملعون في النصارى، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه، وبعض النصارى يزعم أنه يودس زكريا يوطا، وهو الذي شبه لهم، فصلبوه وهو يقول: إني لست بصاحبكم، أنا الذي دلتكم عليه، والله أعلم أي ذلك كان (١٠).

وقال ابن جرير، عن مجاهد: صلبوا رجلاً شبه بعيسى ورفع الله ﷺ عيسى إلى السماء حياً (٢)، واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقي على جميع أصحابه (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْقِدٍ وَيَوْمَ ٱلْقِينَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّ

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن اب عبياس ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِئْكِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾، قال: قبل موت عيسى بن مريم ﷺ(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس مثل ذلك(٥).

وقال أبو مالك في قوله: ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِيرً ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسى، وقبل موت عيسى بن مريم ﷺ، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به (٦).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِـ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ يعني: اليهود عاصة (٧).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده السابق ومتنه.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) التفسير ٩/ ٣٧٤ (ط. شاكر).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣٠٩)، ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه (الصحيح، الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم ﷺ ح٢٤٢).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له سابقه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق حصين السلمي عن أبي مالك بنحوه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس.

وقال الحسن البصري: يعني: النجاشي وأصحابه، رواهما ابن أبي حاتم^(١).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا [ابن علية](٢)، حدثنا أبو رجاء، عن الحسن ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِدِ قَبْلَ مَوْتِدِّ قال: قبل موت عيسى والله إنه لحي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن عثمان اللاحقي، حدثنا جويرية بن بشير، قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله ﷺ: ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله ﷺ: ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ مَرْتِهِ مَا قَال: قبل موت عيسى، إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر(٤). وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٥)، وغير واحد، وهذا القول هو الحق، كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

قال ابن جرير: وقال آخرون: يعنيّ بذلك ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِدِـ﴾ بعيسى قبل موت صاحب الكتاب.

ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين [الملك](٢) علم الحق من الباطل، لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حت يتبين له الحق من الباطل في دينه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية، قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى (٧).

حدثني المثنى، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ، قَبْلَ مَوْتِوْدٌ ﴾ كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته، قبل موت صاحب الكتاب (^).

وقال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى (٩).

حدثنا ابن حميد، حدثنا أبو تُميلة يحيى بن واضح، حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، ولو عجل عليه بالسلاح (۱۱۰). حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن الحسن، وسبب الضعف ضعف سعيد بن سليمان النشيطي.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «أنس بن عُلية» وهو خطأ.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

 ⁽٥) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

⁽٦) كذا في (مح) وفي الأصل بدونه.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند فيه خصيف بنحوه ويتقوى بما سبق.

⁽١٠) أخرجه الطبري وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي ضعيف لكنه توبع في رواية ابن أبي طلحة السابقة.

قال: هي في قراءة أبي (قبل موتهم) ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى، قيل لابن عباس: أرأيت إن خرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهويّ، قيل: أرأيت إن ضربت عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه (۱). وكذا روى سفيان الثوري عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَإِن مِن أَهْلِ ٱلْكِنْكِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿ قَالَ: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ﷺ وإن ضرب بالسيف تكلم به، قال: وإن هوى تكلم به وهو يهوي (۱)، وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة، عن أبي هارون الغنوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين، وبه يقول الضحاك وجويبر (۳). وقال السدي وحكاه عن ابن عباس، ونقل قراءة أبي بن كعب: (قبل موتهم) (٤).

وقال عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن فرات القزاز، عن الحسن في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِـ قَبْلَ مَوْتِيرً ﴾ قال: لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت (٥).

وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه، ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء.

قال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت صاحب الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن المثنى، حدثنا الحجاج بن المنهال، حدثنا حماد، عن حُميد، قال: قال عكرمة: لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ؛ يعني في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ إِلَّا لَيُوْمِئنَ بِهِـ قَبْلَ مَوْتِهِـ ﴾ لَكُوْمِئنَ بِهِـ قَبْلَ مَوْتِهِـ ﴾ (٦) .

ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى الله إلا آمن به قبل موت عيسى الله ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن كذلك، وإنما شبّه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وفيه عتاب بن بشير صدوق يخطئ، وفيه نُحصيف صدوق سيء الحفظ، ويتقوىٰ بما سنة..

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده خُصيف ويتقوىٰ بالروايات السابقة.

 ⁽٣) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، والتخريج السابق يغني لأنه صح عن ابن عباس كما قرر الحافظ ابن
 كثير.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف جداً من طريق جويبر عن أُبي، وجويبر متروك.

⁽٥) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وحماد هو ابن سلمة، وحُميد هو: الطويل.

ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿وَإِن مِنْ أَهْلِ ٱلْكِئْكِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ مَبّل مَوت عيسى عَلِيهُ الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ يَكُونُ عَلَيْمٍ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به، فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له، إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَذِينَ يَمُونُونَ وَهُمُ كُفَارُ ﴾ [النساء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوًا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنّا بِاللّهِ وَحَدَهُ ... ﴾ الآية [غافر: ١٨]، وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا، لكان كل من آمن بمحمد على أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما، وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه، لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته، فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً، ألا ترى إلى قول ابن عباس؛ ولو تردى من شاهق أو ضرب بالسيف أو افترسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى، فالإيمان في مثل هذه الحالات ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه، والله أعلم.

ومن تأمل جيداً وأمعن النظر، اتضح له أنه هو الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا، بل المراد بها الذي ذكرناه من تقرير وجود عيسى على وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه، وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق، ففرط هؤلاء وأفرط هؤلاء تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، [وأطراه](۱) النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً، وتنزه وتقدس لا إله إلا هو.

ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له:

قال البخاري كَلَّهُ في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول: نزول عيسى ابن مريم على مدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبي عن صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيراً لهم من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم فوإن مِن أَهِلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُوْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْقِد ويَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ يَكُونُ عَلَيْمٍ شَهِيدًا ﷺ، وكذا رواه مسلم

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «وإفراط».

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (في الكتاب والباب المذكور ح٣٤٤٨).

عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به (۱)، وأخرجه البخاري ومسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري به. وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري به.

ورواه ابن مردویه من طریق محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن سعید بن المسیب، عن أبي هریرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «یوشك أن ینزل فیكم ابن مریم حكماً عدلاً، یقتل الدجال، ویقتل الخنزیر، ویكسر الصلیب، ویضع الجزیة، ویفیض المال، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمین» قال أبو هریرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ، قَبْلَ مَوْت عیسی ابن مریم، ثم یعیدها أبو هریرة ثلاث مرات (۲).

(طريق أخرى) عن أبي هريرة، قال الإمام أحمد: حدثنا روح، ثنا محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «ليهلن عيسى بفج الروحاء (٣) بالحج أو العمرة، أو ليثنينهما جميعاً (٤)، وكذا رواه مسلم منفرداً به من حديث ابن عينة، والليث بن سعد ويونس بن يزيد، ثلاثتهم عن الزهري به (٥).

وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان _ هو ابن حسين _، عن الزهري، عن حنظلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة، ويُعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما» قال: وتلا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِئْنِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيُوْمَ ٱلْقِينَمَةِ يَكُونُ عَلَيْمٍ شَهِيدًا ﴿ اللهِ ﴿ وَلَا أَبِو هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى، فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة ": وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي موسى محمد بن المثنى، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري به (٧).

(طريق أخرى) قال البخاري: حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا نزل فيكم

⁽١) صحيح مسلم، الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم (ح١٥٥).

 ⁽٢) في سنده محمد بن أبي حفصة صدوق يخطئ (التقريب ص٤٧٤)، وقد توبع إلا في إعادة قراءة الآية ثلاث مرات فلم يُتابع عليها ولعلها من خطأ ابن أبي حفصة.

⁽٤) ليثنينهما: أي يقرن بينهما.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥١٣/٢)، وفيه محمد بن أبي حفصة صدوق يخطئ ولكنه توبع إذ رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس بن يزيد ثلاثتهم عن الزهري به (صحيح مسلم، الحج، باب إهلال النبي على ح٥٢) وما بعده.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح ٧٨٩)، وصححه المحقق ولكن فيه سفيان بن حسين وفي روايته عن الزهري مقال، وقد توبع في الصحيحين فأخرجاه من طرق أخرى عن الزهري به لكن بدون العبارة: فزعم حنظلة... إلخ (صحيح البخاري، الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ح٣٤٤٨)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم (ح ١٥٥).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه مع الزيادة مما يدل أنه تفرد بها سفيان بن حسين.

المسيح بن مريم وإمامكم منكم؟» تابعه عقيل والأوزاعي (١)، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق، عن معمر، وعن عثمان بن عمر، عن ابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري به (٢). وأخرجه مسلم من رواية يونس والأوزاعي وابن أبي ذئب به (٣).

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، أنبأنا قتادة، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن النبي على قال: «الأنبياء إخوة لعلات (٤)، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران (٥)، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسلح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون (١)، وكذا رواه أبو داود عن هُدبة بن خالد، عن همام بن يحيى (٧).

ورواه ابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواه، عن بشر بن معاذ، عن يزيد بن هارون، عن سعيد بن أبي عروبة، كلاهما عن قتادة، عن عبد الرحن بن آدم _ وهو مولى أم برثن صاحب السقاية _، عن أبي هريرة، عن النبي على الإسلام (^).

وقد روى البخاري عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله على يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي (٩) ثم رواه عن محمد بن سنان، عن فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». وقال إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي

⁽۱) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه بالمتابعة (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسىٰ ابن مريم ﷺ ح٩٤٤٩).

⁽Y) Ilamit Y/YYY, FTT.

⁽٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم حاكماً (ح١٥٥/٢٤٢ ـ ٢٤٢).

⁽٤) العلات: الضرائر (فتح الباري ٦/ ٤٨٩).

⁽٥) أي الثياب التي فيها صفرة خفيفة (النهاية ٤/ ٣٣٦)، ونسميه في عصرنا: اللون السكري أو العسلى.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصححه محققوه (المسند ١٥٣/٥ ـ ١٥٤ ح ٩٢٧٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٥٩٥).

⁽٧) سنن أبي داود، الملاحم، باب خروج الدجال (ح٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٥٣٦٣).

⁽A) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه أحمد شاكر.

⁽٩) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي ٱلْكِنَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] ح٣٤٤٢).

هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ (١٠٠٠.

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا معلى بن منصور، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق^(۲)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتله، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم، فيؤمهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته» (۳).

(حديث آخر) قال أحمد: حدثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عفازة، عن ابن مسعود، عن رسول الله على قال: «لقيت ليلة أسري بي، إبراهيم وموسى وعيسى هله، فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله، وفيما عهد إليّ ربي كل أن الدجال خارج ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافراً فتعال فاقتله، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافراً فتعال فاقتله، قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، قال: ثم يرجع الناس يشكونهم، فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم، وينزل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليّ ربي كل أن ذلك إذا كان كذلك، أن الساعة كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلاً أو نهاراً (٥) ، رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، به نحوه (١).

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (المصدر السابق ح٣٤٤٣).

⁽٢) بالأعماق ودابق: موضعان بالشام بقرب مدينة حلب (حاشية صحيح مسلم).

⁽٣) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الفتن، باب في فتح قسطنطينية ح٢٨٩٧).

⁽٤) قال ابن الأثير: يقال: جَوىٰ يَجوىٰ إذا أنتن (النهاية ١/٣١٩).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٧٥)، وسنده حسن، أخرجه الحاكم من طريق العوام به وصححه ثم قال: فأما مؤثر فليس بمجهول قد روئ عن ابن مسعود والبراء بن عازب، وروى عنه جماعة من التابعين، وصححه الذهبي وقال أيضاً: ومؤثر روئ عنه جماعة (المستدرك ٢/ ٣٨٤)، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/ ٢٦٠، ومؤثر ذكره ابن حبان في (الثقات ٥/ ٤٦٣)، وسكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح ٨/ ٤٢٩).

⁽٦) السنن، الفتن، باب فتنه الدجال (ح٤٠٨١).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أبي نضرة، قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفاً لنا على مصحفه، فلما حضرت الجمعة، أمرنا فاغتسلنا، ثم أتينا بطيب فتطيبنا، ثم جئنا المسجد فجلسنا إلى رجل فحدثنا عن الدجال، ثم جاء عثمان بن أبي العاص، فقمنا إليه فجلسنا، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار: مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق، فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين، فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تقول: نقيم نُشامَّه ^{(١)(٢)} ننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، ومع الدجال سبعون ألفاً عليهم التيجان، وأكثر من معه اليهود والنساء، ثم يأتي المصر الذي يليه فيصير أهله ثلاث فرق. فرقة تقول: نشامَّه وننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغرب الشام وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق (٣)، فيبعثون سرحاً (١) لهم، فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم، ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادي مناد من السحر: يا أيها الناس أتاكم الغوث _ ثلاثاً _ فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجل شبعان، وينزل عيسى ابن مريم عليه عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله، تقدم صلِّ، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلي، حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته، فيذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته (٥) فيقتله، ويهزم أصحابه، فليس يومئذٍ شيء يواري منهم أحداً، حتى إن الشجرة تقول: (يا مؤمن هذا كافر)، ويقول الحجر: (يا مؤمن هذا كافر)»(٢٠). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

(حديث آخر) قال أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه المشهورة: حدثنا علي بن محمد، حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي زرعة الشيباني يحيى بن أبي عمرو، عن أبي أمامة الباهلي، قال: خطبنا رسول الله على فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم على أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، وإن الله خليفتي في كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، ألا يا عباد الله، أيها الناس فاثبتوا، وإني خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، ألا يا عباد الله، أيها الناس فاثبتوا، وإني

⁽١) نُشامّه: قال السندي في حاشية المسند: بتشديد الميم وضم حرف المضارعة، أي: نختبره وننظر ما عنده. وقال في النهاية: يقال: شاممت فلاناً إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف.

⁽٢) كذا في الأصل، وفي (مح): «نشائمه».

⁽٣) قال السندي: قرية بين حوران والغور، أي في بلاد الشام.

⁽٤) قال السدي: أي ماشية.

⁽٥) الثندوتان للرجل كالثديين للمرأة (النهاية ١/٢٢٣).

⁽٦) أخرجه أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وضعفه محققوه لضعف علي بن زيد بن جدعان (المسند ٢٩/ ٣٦) ـ ٤٣٦ ح٠١٧٩)، وذكروا لبعضه شواهد.

سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي: إنه يبدأ فيقول: أنا نبي فلا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم على ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً، كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت أمك وأباك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يُسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين، ثم يقول: انظر إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم».

قال أبو الحسن [الطنافسي: فحدثنا المحاربي] (١)، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذلك الرجل أرفع أُمتي درجة في الجنة» قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتى مضى لسبيله.

ثم قال المحاربي: رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، فيأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت، وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً، وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب(٢) من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلتة (٣) حتى ينزل عند الظُّريب(٤) الأحمر عند منقطع السبخة(٥)، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: «هم قليل وجلهم يومئذٍ ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم على فرجع ذلك الإمام يمشي القهقهرى ليتقدم عيسى على فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصلٌ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج (١) فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً، فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لم تسبقني بها، فيدركه عند باب لد (٧) الشرقي فيقتله، ويهزم الله اليهود فلا يبق شيء مما خلق الله تعلى يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الطيالسي فحدثنا المجازي» وهو تصحيف.

⁽٢) النقب: هو طريق بين جبلين وبيان هذا الغريب من حاشية سنن ابن ماجه.

⁽٣) صلتة: أي مجردة، يقال: أصلت السيف إذا جرّده من غمده.

⁽٤) الظّريب: تصغير ظرب وهو الجبل الصغير. (٥) الأرض التي تعلوها الملوحة.

⁽٦) وهو الطيلسان الأخضر، وقيل الطيلسان المقور. (٧) باب لد: بلدة قريبة من بيت المقدس.

- إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله».

قال رسول الله ﷺ: «وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي» فقيل له: كيف نصلي يا نبي الله في تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال، ثم صلوا» قال رسول الله ﷺ: «فيكون عيسى ابن مريم في أمتى حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب^(١)، ويذبح الخنزير^(٢)، ويضع الجزية^{٣)}، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة (١) كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتفر(٥) الوليدة الأسد فلا يضلها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة (٢٦) وتنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات» قيل: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: «لا تركب لحرب أبداً» قيل له: فما يغلي الثور؟ قال: «يحرث الأرض كلها، وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شِداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، ويأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية، فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله على السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله» قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام».

قال ابن ماجه: سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكُتّاب $^{(\gamma)}$.

هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر، من ذلك ما رواه مسلم، من حديث نافع وسالم، عن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله على: «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله» (٨). وله من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون

⁽١) أي يكسر الصليب.

⁽٢) يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد.

⁽٣) أي لا يقبلها من أحد من الكفرة بل يدعوهم إلى الإسلام.

⁽٤) السَّمّ، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة. (٥) أي تحمله على الفرار.

⁽٦) الفاثور: الخوان، وقيل: هو طست.

⁽٧) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه وطوله (السنن، الفتن، باب فتنة الدجال ح٤٠٧٦)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ولبعضه شواهد كما قال الحافظ ابن كثير، وكما سيأتي.

⁽٨) أخرجه مسلم في الصحيح، الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ح٢٩٢١).

اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(١).

ولنذكر حديث النواس بن سمعان ههنا لشبهه بهذا الحديث:

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص، حدثني عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي (ح) وحدثنا محمد بن مهران الرازي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، قاضي حمص عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي، عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله علي اللجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع (٢) حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه، ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: «غير الدجال أخوفني (٣) عليكم إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط (٤)، عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج من خلة (٥) بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله ذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا أقدروا له قدره». قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم (٦) أطول ما كانت ذرى (٧)، وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين (٨) ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل (٩)، ثم يدعوا رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ﷺ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (١٠٠)، واضعاً كفيه على أجنحة [ملكين](١١١)، إذا طأطأ

⁽١) المصدر السابق (ح٢٩٢٢).

⁽٢) أي : حقر وعظّم، أو خفض صوته (مختصر من حاشية صحيح مسلم، وكذا معظم ما يلي في هذا الحديث الطويل).

⁽٣) قال السندي: أخوف اسم تفضيل المبني للمفعول، وأصله: أخوف مخوفاتي عليكم، ثم حذف المضاف إلى الياء فاتصل بها أخوف، لكن جيء بالنون بينهما تشبيهاً بالفعل.

⁽٤) أي شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة. (٥) أي الطريق بين الشام والعراق.

⁽٧) ذرى: جمع ذروة وهو أعلى سنام البعير.

⁽٦) سارحتهم: ماشيتهم.

⁽٩) أي: جماعة النحل، وقيل: ذكور النحل.

⁽۸) أي: مجدبين.

⁽١٠) أي لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

⁽١١) كذا في (حم) و(مح) والتخريج وفي الأصل: «الملائكة».

رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى عليه قوماً قد عصمهم الله منه، فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله ﷺ إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز(١) عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب(٢) ينسلون، فيمر أولهم على بحيرة طبريا(٣) فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف(٤) في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله، طيراً كأعناق البخت (٥)، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر (٢)، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (٢٠) ثم يقال للأرض: أخرجي ثمرك وردي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام(^)، واللقحة من الغنم لتكفي، الفخذ عن الناس فبينما هم كذلك إذْ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة»(٩)، ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.

وسنذكره أيضاً من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ حَقَّ إِذَا فُلِحَتُ يَأْجُوجُ وَمُأْجُوجُ مَ . . . ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٦].

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه أيضاً: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به، تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله، أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً: يحرق البيت ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله على "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل

⁽٢) المكان المرتفع.

⁽١) أي: ضمهم.

⁽٣) تقع شمال البحر الأحمر.

⁽٤) النغف جمع نغفة وهي الدودة تكون في أنوف الإبل والغنم.

⁽٥) هي جمال طوال الأعناق مفردها: بُختي.

⁽٦) أي: لا يمنع من نزول الماء على بيت الطين الصلب.

⁽V) كالمرآة أو كالصفحة البيضاء. (A) أي: الجماعة.

⁽٩) أخرجه مسلم بسنده ومتنه وطوله (الصحيح، الفتن، باب ذكر الدجال ح٢١٣٧).

الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه» قال: سمعتها من رسول الله هي «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً (١)، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض (٢) إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿وَقَفُومُ إِنَهُم مَسْوُلُونَ يَنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿وَقَفُومُ إِنَهُم مَسْوُلُونَ وَسَعين، قال: فذلك يوماً ﴿يَهُمُلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿يَوَمَ يُكُشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم: ٢٤]، ثم رواه مسلم [والنسائي] في تفسيره جميعاً عن محمد بن بشار، عن غندر، عن شعبة، عن نعمان بن سالم (٥) به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصاري، عن عبد الله بن زيد الأنصاري، عن مجمع بن جارية، قال: سمعت رسول الله على يقول: «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد _ أو إلى جانب لد» ورواه أحمد أيضاً عن سفيان بن عيينة ومن حديث الليث والأوزاعي، ثلاثتهم عن الزهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عمه مجمع بن جارية، عن رسول الله على قال: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» وكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الليث به، وقال: هذا حديث صحيح، وقال: وفي الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عتبة، وأبي برزة وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر، وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان المنان ال

ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى ابن مريم عليه له، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جداً، وهي أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن فرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله على من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج

⁽١) أصغىٰ ليتا: أي أمال، والليت صفحة العنق وهو جانبه.

⁽٢) يطينه ويصلحه.

⁽٣) أخرجه مسلم بسنده ومتنه، الفتن، باب في خروج الدجال (ح٢٩٤٠).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الثاني» وهو تصحيف.

⁽٥) المصدر السابق (ح٠٢٩٤/١١٧)، والسنن الكبرى للنسائي، تفسير سورة المزمل (ح١١٦٢٩).

⁽٢) المسند ٣/ ٤٢٠، وسنن الترمذي، الفتن، باب ما جاء في قتل عيسىٰ ابن مريم الدجال (ح٢٢٤٤).

ومأجوج، [ونزول] عيسى ابن مريم والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق _ أو تحشر _ الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا $^{(1)}$.

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزاز به. ورواه مسلم أيضاً من رواية عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفاً^(۱۲)، والله أعلم.

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله علي من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن جارية وأبي سريحة حذيفة بن أسيد رأي، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح، وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوتة عوضاً عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى _ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة _ وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسي ابن مريم ﷺ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي على بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم وترتفع شبههم من أنفسهم، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى عَلِيْثُلا وعلى يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَ يِهِـ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيُوْمَ ٱلْقِيَكُةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ ﴿ وَهَذَهُ الآية كَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١] وقرئ (لعَلَم)(٤) بالتحريك؛ أي: أمارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه، كما ثبت في الصحيح: «أن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء "(٥)، ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه، وقد قال تعالى: ﴿ حَقَّىٰ إِذَا فُدِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۞ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقَّ . . . ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

صفة عيسى عليه:

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة: «فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل»، وفي حديث النواس بن سمعان: «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على

⁽١) كذا في المسند، وفي النسخ الثلاث: «خروج».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/٤)، وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح مسلم، الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح٢٩٠١).

⁽٤) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

⁽٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (الصحيح، الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ح١٧٨٥).

أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، لا يحل لكافر أن يجد ربح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث انتهى طرفه»(١).

وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيت موسى» قال: فنعته فإذا رجل أحسبه، قال: «مضطرب (۲) رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة» قال: «ولقيت عيسى» فنعته النبي ﷺ فقال: «رَبعة (۲) أحمر كأنه خرج من ديماس» يعني: الحمام «ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به...» (٤) الحديث، وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط (٥) كأنه من رجال الرُقل» (٢) وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع، عن ابن عمر، ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عنه عنبة طافية»، ولمسلم عنه مرفوعاً: «وأراني الله عند الكعبة في المنام، وإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم [الرجال] (٧)، تضرب لِمته (٨) بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هو المسيح بن مريم، ثم رأيت على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هو المسيح عبن مريم، ثم رأيت منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال» تابعه عبيد الله عن نافع (١١).

ثم روى البخاري عن أحمد بن محمد المكي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: لا والله ما قال النبي على لعيسى: أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، يُهادى (۱۲) بين رجلين ينطف رأسه ماء _ أو يهراق رأسه ماء _ فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن مريم، فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأنه عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، وأقرب الناس به شبهاً ابن

⁽١) تقدم الحديثان قبل بضع صفحات.

⁽٢) المضطرب الطويل غير الشديد، وقيل: الخفيف اللحم (فتح الباري ٦/ ٤٨٤).

⁽٣) رَبعة: بفتح الراء وسكون الباء، وهو المربوع، والمراد ليس بطويل جداً ولا قصير جداً بل وسط (الفتح ٦/

 ⁽٤) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنَكِ مَرْيَمَ . . . ﴾ [مريم: ١٦] (ح٣٤٣)،
 وصحيح مسلم، الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (ح١٦٨).

⁽٥) سَبِط: ليس بجعد الشعر (الفتح ٦/ ٤٨٥).

⁽٦) رجال الزطّ: جنس من السودان، وقيل: هم نوع من الهنود وهم طوال الأجسام مع نحافة فيها (المصدر السابق)، والحديث أخرجه البخاري في الباب السابق (ح٣٤٣٨).

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وسقط من الأصلّ. (٨) لِمته: شعر رأسه (المصدر السابق).

⁽٩) قَططا: شدة جعودة الشعر.

⁽١٠) ابن قطن: اسمه عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب، من خزاعة هلك في الجاهلية (فتح الباري ٦/ ٤٨٨).

⁽١١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (المصدر السابق ح٣٤٣٩).

⁽۱۲) يمشى متمايلاً بينهما (الفتح ٦/ ٤٨٨).

قطن» قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية (١)، هذه كلها ألفاظ البخاري كَالله.

وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى الله يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم أنه يمكث سبع سنين فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه، وبعد نزوله، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة، في الصحيح، وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة، فشاذ غريب بعيد.

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه عن بعض السلف أنه يدفن مع النبي على في حجرته، فالله أعلم (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيْمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر بعبودية الله عَلَى، وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَكِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّيْذُونِ وَأُبِّى إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانِكَ مَا يَكُونُ لِى آنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إِن كُنتَ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُم تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَمُ الْفُيُوبِ ﴿ مَا قُلْتُ لَمُتُ اللّهِ مَا أَلَهُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَمُ الْفُيوبِ ﴿ مَا قُلْتُ لَمُتُ اللّهِ اللّهُ رَبّي وَرَبّكُم وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيمٌ فَلَمّا تَوَفَيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرّقِيبَ إِلّا مَا أَمْرَتِنِي بِهِ قُلْ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدًا إِلَى اللّهُ مَا إِن تُعَلِيمُ مَا يَاتُهُمْ عَبَادُكُ وَإِن تَغْفِر لَهُمْ فَإِنّكَ أَنتَ الْعَزِيرُ لَلْمُكَامِدُ ﴾ والمائدة].

﴿ وَمِصَدِهِمْ عَنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِبَنَتٍ أُجِلَتَ لَمُثَمْ وَمِصَدِهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَيْبِرًا ﴿ وَأَغَدُوهُمُ الرّبَوا وَقَدْ ثَهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَلَ النَّاسِ وَالْبَطِلِ وَأَغَدُنَا لِلْكَفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ لَنكِنِ الرَّسِخُونَ فِي الْفِلْمِ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُزِلَ مِن تَبْلِكُ وَالْمُؤْمِنُونَ الصَّلَوَةُ وَالْمُؤْمُونَ مِا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَزْلَ إِلَيْكَ وَمَا أُزِلَ مِن تَبْلِكُ وَالْمُؤْمِنُونَ الصَّلَوَةُ وَالْمُؤْمُونَ إِلَيْكَ سَنُونَتِهِمْ أَجُرًا عَظِيمًا ۞﴾.

يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب [العظيمة] مرم عليهم طيبات كان أحلها لهم، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، قال: قرأ ابن عباس: طيبات كانت أحلت لهم (3).

وهذا التحريم قد يكون قدرياً بمعنى أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالاً لهم فحرموها على أنفسهم تشديداً منهم على أنفسهم وتضييقاً وتنطعاً قال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل ومطلب بن شعيب، عن عبد الله بن صالح، حدثني ابن سريح أنه سمع سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف يحدث عن أبيه عن جده أن رسول الله على أنفسهم وستجدون بقاياهم في تشددوا على أنفسكم، فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم وستجدون بقاياهم في

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه (المصدر السابق ح٣٤٤).

⁽٢) ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٠/١٥٤)، والأثر لم يصح.

٣) كذا في (حم) و(مح) وسقط من الأصل.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

الصوامع والديارات»(١).

ويحتمل أن يكون شرعياً بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطُّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَ عِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَ عِلْ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلُ ٱلتَّوْرَكَةُ ﴾ [آل عمران: ٩٣] وقد قدمنا الكلام على الآية، وأن المراد أن الجميع من الأطعمة كانت حلالاً لهم من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها، ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٌ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَدِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْمَوَاكِ ٓ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمُ ذَلِكَ جَرَيْنَهُم بِبَغْيِهِم وَإِنَّا لَصَلِيقُونَ ١ الأنعام] أي: إنما حرمنا عليهم ذلك، لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه، ولهذا قَالَ: ﴿ فَبِظُلْمِ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَتِ أُجِلَّتْ لَكُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَذِيرًا ۞﴾ أي: صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه، ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقاً من الأنبياء، وكذبوا عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما.

وقوله: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوْا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ أي: أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدُّنَا لِلْكَنْفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ لَكِينِ ٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْفِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ أي: الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران(٢) ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ عطف على الراسخين وخبره ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية (٣) [وزيد بن سعية](٤) وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدقوا بما أرسل الله به محمداً ﷺ (٥٠).

وقوله: ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوْءَ ﴾ هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة، وكذا هو في مصحف أبي بن كعب، وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود: (والمقيمون الصلاة)، قال: والصحيح قراءة الجميع ثم ردّ على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب(٦)، ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم: هو منصوب على المدح، كما جاء في قوله: ﴿ وَٱلْمُونُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَنَهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالطَّرَّآءِ وَجِينَ ٱلْبَأْسُ أُوْلَئِهِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواً ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال: وهذا سائغ في كلام العرب، كما قال الشاعر (٧):

(٢) آية ٧.

⁽١) هذا الحديث زيادة من (مح) ولا يوجد في النسخ المطبوعة، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٨٨ وقال الهيشمي: وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وثقه جماعة وضعفه آخرون (مجمع الزوائد ١/ ٦٢).

⁽٣) في الأصل: «شعية» والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً بدون اسم شيخه. (٥) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وسقط من الأصل.

⁽٦) ذكرت أن هذه لم تصح، وفصلت الرد على هذه الشبهة الخطيرة في (استدراكات على تاريخ التراث العربي

⁽٧) ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان ص٢٩ كما في طبعة الشعب.

لا يبعدن قومي الذين همو سُم العداة وآفة الجزر النيازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر بمعنى: مدح النازلين.

وقال آخرون: هو مخفوض عطفاً على قوله: ﴿ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبَلِكُ ﴾ يعني: وبالمقيمين الصلاة، وكأنه يقول: وبإقامة الصلاة؛ أي: يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم، أو أن المراد بالمقيمين الصلاة الملائكة وهذا اختيار ابن جرير، يعني: يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة، وفي هذا نظر، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَاوَةَ ﴾ يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال، ويحتمل زكاة النفوس، ويحتمل الأمرين، والله أعلم.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي: يصدقون بأنه لا إله إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها. وقوله: ﴿ أُولَٰتِكَ ﴾ هو الخبر عما تقدم ﴿ سَنُؤْتِهِمْ أَجَرًا عَظِيًا ﴾ [يعني: الجنة] (١٠).

َ ﴿ ﴿ ﴾ إِنَّا أَوَحَيْنَا إِلَيْكَ كُنَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوجٍ وَالنِّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَيَعْفُوبَ وَيُولُسَ وَهَنْرُونَ وَسُلَيْمَنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا فَدَ وَصُصْحَتُهُمْ عَلَيْكَ وَمُلْكِمْ اللّهُ مُوسَىٰ تَحْلِيمًا ۞ رُسُلًا مُّبَشِرِينَ فَصَصْمَتُهُمْ عَلَيْكَ وَكُلّمَ اللّهُ مُوسَىٰ تَحْلِيمًا ۞ رُسُلًا مُّبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلًا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةُ بَعْدَ الرُّسُلِّ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞﴾.

قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال سكين وعدي بن زيد: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمَّا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوْجٍ وَالْنِيْتِيْنَ مِنْ بَعْدِهِ مَن مَوسى، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو معشر عن الحي آخر الآيات (٢). وقال ابن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي، قال: أنزل الله: ﴿يَسْتَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِئْكِ أَن تُنَزِّلُ عَلَيْهِم كِئْبُا مِن السَّمَاةِ ﴾ [النساء: ١٥٦] إلى قوله: ﴿وَقَرِّلِهِم عَلَى مَرْيَهَ بُهِ تَنْا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] قال: فلما تلاها عليهم يعني: على اليهود، وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا على نبي من شيء، قال: فحل حبوته (٣)، وقال: ولا على أحد! فأنزل الله عَلى: ﴿وَمَا فَدَرُوا اللّه حَقَّ قَدِّرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزلَ الله عَلى بشر مِن شَيَةً ﴾ [الأنعام: ١٩] وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر، فإن هذه الآية التي في سورة الأنعام مكية، وهذه الآية التي في سورة الأنعام مكية، وهذه الآية التي الله عليه علي أحد الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر، فإن هذه الآية التي في سورة الأنعام مكية، وهذه الآية التي

⁽١) كذا في(حم) و(مح) وسقط من الأصل.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن إسحاق به، وفيه تصريح ابن إسحاق بالسماع وهذا الإسناد قد بحثته مفصلاً في مقدمة التفسير الصحيح.

⁽٣) فحل حبوته: الحُبوة الاسم من الاحتباء، وهو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليه، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب (لسان العرب: ح ب و).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل، وقد ردّه الحافظ ابن كثير.

في سورة النساء مدنية، وهي ردّ عليهم لما سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء.

قال الله تعالى: ﴿فَقَدُ سَأَلُواْ مُومَى آكُبُرَ مِن ذَلِكَ ﴾ [النساء: ١٥٣] ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء، ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ، كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين، فقال: ﴿إِنَّا أَوَحَيْنَا إِلَيْكَ كُمَا أَوْحَيْنَا إِلَى فَوْلِهِ : ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُرَدَ زَبُورًا ﴾ والزبور اسم الكتاب الذي [أوحاه](١) الله إلى داود ﷺ وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، عند قصصهم في السور الآتية إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدَّ قَصَصْنَهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقَصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ أي: من قبل هذه الآية، يعني: في السور المكية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد عليه.

وقوله: ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُمهُمْ عَلَيْكُ ﴾ أي: خلقاً آخرين لم يذكروا في القرآن، وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، وذلك فيما رواه ابن مردويه كَالله في تفسيره حيث قال: حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد، قالا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرِّ، قال: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». قلت: يا رسول الله. كم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير». قلت: يا رسول الله، من كان أولهم؟ قال: «آدم» قلت: يا رسول الله، نبي مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلاً» ثم قال: «يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول النبين آدم، وأخرهم نبيك» وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الأنواع والتقاسيم أله، وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث، والله أعلم.

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل من

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «أنزل».

⁽٢) في سنده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني: كذاب (الجرح والتعديل ١٤٣/٢، وميزان الاعتدال ٧٣/١).

⁽٣) أخرجه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام به (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ح٢٦١).

ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً (۱). معان بن رفاعة السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة [الربذي](۲) عن يزيد الرقاشي، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعث الله ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف إلى سائر الناس (۳)، وهذا أيضاً إسناد ضعيف، فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه، والله أعلم.

قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا محمد بن ثابت العبدي، حدثنا معبد بن خالد الأنصاري، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، قال: قال رسول الله على: «كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا» (٤٠).

وقد رويناه عن أنس من وجه آخر، فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي، أخبرنا أبو الفضل بن عساكر، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصفار، أخبرتنا عمة أبي عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار، أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي، حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، قال: أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي، من بني إسرائيل» وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معرفون إلا أحمد بن طارق هذا (٥)، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، والله أعلم.

[حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء على قال محمد بن حسين الآجري: حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفريابي _ إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين _، حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، حدثنا أبي، عن جده، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله على جالس وحده، فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله، إنك أمرتني بالصلاة. قال: «الصلاة خير موضوع، فاستكثر أو استقل».

قال: قلت: يا رسول الله، فأي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله». قلت: يا رسول الله، فأي المسلمين يا رسول الله، فأي المسلمين

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف علي بن يزيد وهو الألهاني، وخاصة في روايته عن أبي أمامة (تهذيب التهذيب ٧/٣٩٦ _ ٣٩٧).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) ومسند أبي يعلى، وفي الأصل: «الترمذي» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٧/ ١٥٩ ح ٤١٣٢) وسنده ضعيف للعلتين اللتين ذكرهما الحافظ ابن كثير.

⁽٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٧/ ١٣١ ح٤٠٩٢)، وسنده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي أيضاً.

⁽٥) وقد توبع أحمد بن طارق إذ أخرجه أبو نعيم من طريق زكريا بن عدي عن مسلم بن خالد به (حلية الأولياء / ١٦٢/٣)، وزكريا هذا ثقة كما في التقريب.

أسلم؟ قال: «من سلم الناس من لسانه ويده». قلت: يا رسول الله، فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر السيئات».

قلت: يا رسول الله أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» فقلت: يا رسول الله، فأي الصيام أفضل؟ قال: «فرض مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة» قلت: يا رسول الله فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه». قلت: يا رسول الله، فأي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها». قلت: يا رسول الله، فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقل وسر إلى فقير». قلت: يا رسول الله، فأي آية ما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي»، ثم قال: «يا أبا ذرّ»: «وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة».

قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». قال: قلت: فمن يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب». قلت: فمن كان أولهم؟ قال: «آدم» قلت: أنبي مرسل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، سواه قبيلاً»، ثم قال: «يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول الرسل آدم وآخرهم محمد» قال: قلت: يا رسول الله، كم كتاب أنزله الله؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت كلها يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاغناً إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه: حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل». قال: قلت: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى، وما أنزل الله عليك؟ قال: «نعم اقرأ يا أبا ذر: ﴿قَدْ أَفَلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿ وَهُ وَمُوسَى اللهِ عَلَى اللهُ الله

قال: قلت: يا رسول الله، أوصني قال: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك» قال: قلت: يا رسول الله زذني قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض».

قال: قلت: يا رسول الله زدني. قال: «إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه».

قال: قلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي». قلت: زدني. قال: «عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك». قلت: زدني. قال: «انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر لك أن لا تزدري نعمة الله عليك». قلت: زدني. قال: «أحبب المساكين وجالسهم، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك». قلت: زدني. قال: «قل الحق وإن كان عليك». قلت: زدني. قال: «قل الحق وإن كان مراً» قلت: زدني. قال: «لا تخف في الله لومة لائم». قلت: زدني. قال: «يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تحب، وكفي بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تحب»، ثم ضرب بيده صدري فقال: «يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق» (١٠)

وروى الإمام أحمد عن أبي المغيرة، عن معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي _ أُمامة أن أبا ذرّ _ سأل النبي ﷺ، فذكر أمر الصلاة والصيام والصدقة، وفضل آية الكرسي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأفضل الشهداء، وأفضل الرقاب، ونبوة آدم وأنه مكلم، وعدد الأنبياء، والمرسلين كنحو ما تقدم](٢).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، قال: قال أبو سعيد: هل تقول الخوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا، فقال: قال رسول الله على: "إني خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه، وإني قد بين لي فيه ما لم يبين لأحد، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن".

[وقد رويناه في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي عن يحيى بن معين: حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله على: "إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر، ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال»، وذكر تمام الحديث، هذا لفظه بزيادة ألف وقد تكون مقحمة (٤)، والله أعلم.

وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم] (*). وقد روي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله ظليه، قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد عن الشعبي، عن جابر، قال: قال

⁽١) أخرجه الآجري في كتابه (الأربعون ص١٢٧)، وفي سنده أيضاً إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وهو كذاب. ولبعض فقرات الحديث أصل في الصحيح.

⁽٢) ما بين معقوفين زيادة من (حم)، ولا يوجد في الأصل و(مح).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٧٩)، وسنده ضعيف بسبب مجالد وهو ابن سعيد بن عمير الهمداني: ليس بالقوي كما في التقريب.

⁽٤) وفي سنده أيضاً مجالد. (٥) ما بين معقوفين زيادة من (حم).

رسول الله ﷺ: «إني لخاتم ألف نبي أو أكثر، وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال، وإني قد بين لي ما لم يبين لأحد منهم، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»(١).

قوله: ﴿وَكُلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكَلِيمًا ﴾ وهذا تشريف لموسى الله بهذه الصفة، ولهذا يقال له: الكليم، وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي، حدثنا مسيح بن حاتم، حدثنا عبد الجبار بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش، فقال: سمعت رجلاً يقرأ: ﴿وَكُلِّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكِيلِمًا ﴾، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على على على بن أبي طالب، وقرأ على بن أبي طالب على رسول الله على: ﴿وَكُلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكِيلِمًا ﴾ .

وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش كَالله على من قرأ كذلك، لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه، وكأن هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى الله أو يكلم أحداً من خلقه، كما رويناه عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ ﴿وكَلَّ اللَّهَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ فقال له: يا ابن اللخناء، كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَلِنا وَكُلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: 15٣]؟ يعني: أن هذا لا يحتمل التحريف، ولا التأويل.

وقال ابن مردویه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهیم، حدثنا أحمد بن الحسین بن بهرام، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا هانئ بن یحیی، عن الحسن بن أبي جعفر، عن قتادة، عن يحیی بن وثاب، عن أبي هریرة، قال: قال رسول الله على الله الله موسى كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»(٣).

وهذا حديث غريب، وإسناده لا يصح، وإذا صح موقوفاً كان جيداً، وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي»(٤).

وقال ابن مردويه بإسناده، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن الله ناجى

⁽١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٣٥) وفيه أيضاً مجالد.

⁽٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (كما في مجمع البحرين ح٣٣٢٥)، من طريق مسيح بن حاتم به، وقال الطبراني: لم يروه عن الأعمش إلا أبو بكر، وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وعبد الجبار بن عبد الله لم أعرفه وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ١٥).

⁽٣) أخرجه الطبراني من طريق أحمد بن الحسين بن بهرام به (المعجم الصغير ح٧٧)، وقال الهيثمي: فيه الحسن بن أبي جعفر الحفري: متروك (مجمع الزوائد ٢٠٣/٨).

⁽٤) أخرجه الحاكم من طريق حميد بن قيس به وصححه بقوله على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بقوله: بل ليس على شرطه، وإنما غره أن في إسناده حميد بن قيس كذا، وهو خطأ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي... أحد المتروكين، فظن أنه المكي الصادق (المستدرك ٢/ ٣٧٩)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١٩٢/١. ولقد سبق الترمذي بالإشارة إلى حميد الأعرج إذ أخرجه من طريقه وقال: إنه منكر الحديث (السنن، اللباس، باب ما جاء في لبس الصوف ح١٧٣٤).

موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام، وصايا كلها، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب ﷺ (١).

وهذا أيضاً إسناد ضعيف، فإن جويبر أضعف، والضحاك لم يدرك ابن عباس على ا

فأما الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أنه قال: لما كلم الله موسى يوم الطور، كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه، فقال له موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به، قال: لا يا موسى، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل، قالوا: يا موسى، صف لنا كلام الرحمن. قال: لا أستطيعه. قالوا: فشبه لنا. قال: ألم تسمعوا إلى صوت الصواعق، فإنه قريب منه وليس به (٢). وهذا إسناد ضعيف، فإن الفضل الرقاشي هذا ضعيف بمرة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن جزء بن جابر الخثعمي، عن كعب، قال: إن الله لما كلم موسى بالألسنة كلها، فقال له موسى: يا رب، هذا كلامك؟ قال: لا، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له. قال: يا رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأشد خلقي شبهاً بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق (٣).

فهذا موقوف على كعب الأحبار، وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني إسرائيل وفيها الغث والسمين.

وقوله: ﴿ رُسُلًا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب، وقوله: ﴿ لِثَلًا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَةً وَينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب، وقوله: ﴿ لِثَلًا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَةً الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَنهِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا آهَلَكُنَهُم بِعَذَابِ مِن قَبْلِ أَن نَذِلً وَغَذَرَك ﴿ وَلَوْ اللهُ ا

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله على: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله على، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين (١٤)، وفي لفظ آخر: «من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه» (٥٠).

⁽١) سنده ضعيف جداً لأن جويبر متروك.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن الفضل الرقاشي منكر الحديث (التقريب ٢/ ١١١).

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق به، وفي سنده جزء بن جابر سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٥٤٦/٢) وهو من آثار كعب الإسرائيلية.

⁽٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَلَا تَقَرَبُوا اللَّهَوَجِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] (ح٤٦٣٤)، وصحيح مسلم، التوبة، باب غيرة الله تعالى (ح٢٧٦).

⁽٥) صَحيح مسلم، الباب السابق (ح٢٧٦/ ٣٥).

﴿ لَكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكُ أَنزَلَهُ بِعِلْمِدًا وَالْمَلَتَهِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا ﴿ إِنّ اللّهِ شَهِيدًا ﴿ إِنّ اللّهِ يَهُمُوا وَطَلَمُوا لَمْ اللّهِ إِنّ اللّهِ يَكُو اللّهُ اللّهِ يَكُو اللّهُ لِيَعْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿ إِلّا طَرِيقَ جَهَنّدَ خَلِدِينَ فِهَا أَبَدا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿ إِلّهُ طَرِيقَ جَهَنّدَ خَلِدِينَ فِهَا أَبَدا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا لَكُمْ الرّسُولُ بِالْحَقِّ مِن زَيّكُمْ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكَفُوا فَإِنّ لِلّهِ مَا فِي السّمَونَ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ ﴾.

لما تضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى آخر السياق، إثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿لَّكِنَ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْلُ إِلَيْكَ ﴾ أي: وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك، فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي ﴿لّا يَأْنِهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِةٍ مَزِيلٌ مِنْ مَكِيمٍ جَمِيدٍ ﴿ إِن كُورُ بِعَلْمَ اللّهِ بِعِلْمِدِ اللّهِ عَلَى عَلْمَهُ الذي أراد أن يطلع من حكيمٍ مَيدٍ إِن اللهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُجِيطُونَ فِشَيْءٍ مِنْ عَلِمِهِ إِلّا مِنا المِنْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمَا ﴾ [طه: ١١٠].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسن بن سهل الجعفري وخزرُ بن المبارك، قالا: حدثنا عمران بن عيينة، حدثنا عطاء بن السائب، قال: أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم [يقرأ] (١) قوله: ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله: ﴿ وَٱلْمَلَتِهِ كَذَّ يَشْهَدُونَ ﴾ أي: بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك ﴿ وَكُفَىٰ بِأَلَهِ شَهِيدًا ﴾ .

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُواْ ضَلَلًا بَعِيدًا ﴿ أَي كَفروا في أَنفسهم، فلم يتبعوا الحق، وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه، وبعدوا منه بعداً عظيماً شاسعاً، ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه

⁽١) كذا في النسخ الخطية والمطبوعة، وفي تفسير ابن أبي حاتم: «قرأ».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه مع الخلاف السابق، وفي سنده الحسن بن سهل الجعفري ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح والتعديل ١٧/٣).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق به وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وسنده حسن درسته في مقدمة التفسير الصحيح.

ورسوله، الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه بأنه لا يغفر لهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: سبيلاً إلى الخير ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ وهذا استثناء منقطع ﴿خَيْلِدِينَ فِهُمّا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾، ثم قال تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا النّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرّسُولُ بِالْحَقِ مِن رّبِّكُمْ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ أي: قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عَلَى الله الله عَلَى اله وأوله وأفعاله وشرعه وقدره.

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة، إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَيَّكُذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَكُهُمْ أَرْبَكِاباً مِن دُونِ اللهِ وَأَلْمَسِيحَ أَبِّ مَرْبَكَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَا لِيعَبُدُوٓا إِلَنها وَحِدُا لَا لاَ هُو سُبُحَننهُ عَمَا فَيُشْرِكُونَ الله النوبة].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم قال: زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر أن رسول الله على قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم. فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»(۱). ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة، عن الزهري كذلك، وقال علي بن المديني: هذا حديث صحيح سنده وهكذا رواه البخاري عن [الحميدي](۲)، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به، ولفظه: «فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»(۳).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله عليه: «أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١٥٤)، وصححه محققه أحمد شاكر.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل: «الحيدي» وهو تصحيف.

⁽٣) صحيحٌ البخاري، الأنبياء، بآب قول الله: ﴿وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ مَرْيَمَ ...﴾ [مريم: ١٦] (ح٣٤٥).

عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷺ تفرد به من هذا الوجه.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة ﴿ وَكَلِمْتُهُۥ أَلْقَنْهَاۤ إِلَىٰ مَرْيَم وَرُوح مِنْدُ هُ هو قوله: ﴿ وُكَلِمْتُهُۥ الْقَنْهَاۤ إِلَىٰ مَرْيَم وَرُوح مِنْدُ هو قوله: ﴿ وُكَلِمْتُهُۥ الْقَنْهَاۤ إِلَىٰ مَرْيَم وَرُوح مِنْدُ قال: ليس سمعت [شاذ] بن يحيى يقول في قول الله: ﴿ وَكَلِمْتُهُۥ أَلْقَنْهَاۤ إِلَىٰ مَرْيَم وَرُوح مِنْدُ هُ قال: ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى (٤).

وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله: ﴿ أَلْقَلُهُمْ إِنَّ مَنْ عَمْ أَي: أعلمها بها، كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَتِكُةُ يَلَمَرْيَمُ إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴿ [آل عمران: ٤٥] أي: يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَلُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَبِكُ ﴿ [القصص: ٨٦] بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى ﷺ. وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا الوليد، حدثنا الأوزاعي، حدثني عمير بن

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/١٥٣)، وأخرجه ابن حبان من طريق حماد به (الإحسان ١٤/ ١٣٣ ح١٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٠٩٧).

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «ساد» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده إلى شأذ صحيح وإن كان مجهولاً كما في التقريب، وقد سأل أبو داود الإمام أحمد فقال: عرفته، وذكره بخير (تهذيب التهذيب ٢٩٩/٤ ـ ٣٠٠).

هانئ، حدثنا جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، عن النبي على قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

وقال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عمير بن هانئ، عن جنادة زاد: «من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»(١)، وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد، عن الوليد، عن ابن جابر به(٢)، ومن وجه آخر عن الأوزاعي به(٣).

فقوله في الآية والحديث: «وروح منه»، كقوله: ﴿وَسَخَرُ لَكُمُ مَّا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَيمًا مِنَةً ﴾ [الجاثبة: ١٣] أي: من خلقه ومن عنده وليست من للتبعيض كما تقوله النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعه ـ بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْةً ﴾ أي: ورسول منه (٤)، وقال غيره: ومحبة منه (٥)، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿وَطَهِرَ بَيْتِيَ لِلطَّآفِفِينَ ﴾ [الحج: ٢٦] وكما ورد (٢) في الحديث الصحيح: «فأدخل على ربي في داره» أضافها إليها إضافة تشريف، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد.

وقوله: ﴿ فَكَايِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أي: فصدقوا بأن الله واحد أحد، لا ولد له ولا صاحبة، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا نَلَنَهُ ﴾ أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، وهذه الآية كالتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللّهِينَ قَالُوا إِنَ اللّهَ ثَالِثُهُ ثَالِمَةُ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلّا إِللهُ وَحِدُ ﴾ [المائدة: ٧٧] يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللّهِينَ قَالُوا إِنَ اللّهُ وَمَا مِنْ إِلَهُ اللّهُ وَحَدُ ﴾ [المائدة: ١٦١] وقال في أولها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللّهِ مَلْكُ اللّهُ مَوْ أَلَى اللّهُ هُو الْمَسِيحُ ابّنُ مَهِيمً قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ اللّهِ مَلْكُ اللّهُ مَنْ اللّهِ شَيْعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ اللّهِ مَلْكُ السّمَنونِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلَقُ مَا يَشَاهُ وَاللّهُ عَلَى كُلُ مَنْ وَمُو اللّهُ عَلَى كُلُولُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السّمَنونِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلَقُ مَا يَشَاهُ وَاللّهُ عَلَى كُلُ مُنْ وَمَن فِي اللّهُ مِن اللّهِ مَاللّهُ مَا يَشَاهُ عَلَى كُلُ مُنْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَيعًا وَلِلهُ مَا لَكُ السّمَا وَلَا لَا كَفُرهُم مَن فِي اللّهُ مُن اللّهُ من جعلهم العالى الله من جعلهم العام وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلها، ومنهم من يعتقده وللله، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلها، ومنهم من يعتقده ولداً، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة. ولقد أحسر بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً.

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَكَأَهَلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَشْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] ح٣٤٣٥).

⁽٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (ح٢٨).

⁽٣) المصدر السابق بعد (ح٢٨). (٤) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق شاذ بن يحيل عن يزيد بن هارون، وسنده حسن.

⁽٦) كذا في الأصل، وفي (مح): «روي» وما في الأصل أفصح.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «لعنة».

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الإسكندرية في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفين أسقفاً، فكانوا أحزاباً كثيرة، كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة، ومائة على مقالة، وسبعون على مقالة، وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفر، وقد توافقوا على مقالة، فأخذها الملك ونصرها وأيدها، وكان فيلسوفاً داهية، ومحق ما عداها من الأقوال، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتباً وقوانين، وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية(١). ثم إنهم اجتمعوا مجمعاً ثانياً، فحدث فيهم اليعقوبية(٢)، ثم مجمعاً ثالثاً فحدث فيهم النسطورية^(٣)، وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا، أو ما اتحدا، أو امتزجا، أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى، ونحن نكفر الثلاثة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنتَهُواْ خَيْرًا لَكُمْ ۚ أَي: يكن خيراً لكم ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَّهُ وَحِدٌّ سُبْحَنَهُۥ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدُّ ﴾ أي: تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً ﴿ لَهُم مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة وولد، كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّ يَكُونُ لَهُم وَلَدٌ وَلَدَ تَكُن لَهُ صَنجِمَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٌ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۖ ۞﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ ٱلرَّحْمَنُ وَلَدًا ﷺ لَقَدْ جِنْتُمْ شَيْعًا إِذًا ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَعَوْتُ يَنْفَطَّـرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُ ٱلْأَرْضُ وَتَخِنْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوًا لِلرِّحْمَٰنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنْبَغِى لِلرِّحْمَٰنِ أَن يَنْجَذَ وَلَدًا ۞ إِن كُثُّل مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَانِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ١ اللَّهُ لَتُصَافِمُ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ١ اللَّهِ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيدَمَةِ فَرَدًا ١٠ [مريم].

﴿ وَلَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَهِ وَلَا الْمَلَتَهِكَةُ الْلُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفَ عَنَ عِبَدَادَيهِ وَيَسْتَنكِفَ الْمُسَيِّحُةُ اللَّقَرِّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفَ عَنَ عِبَدَادَيهِ وَيَسْتَكُيْر فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَيِعًا ﴿ فَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَجْلُوا الْعَمْلِحَاتِ فَيُوقِيهِمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِن فَضَيْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ السَّنَكُنُوا وَاسْتَكْبُرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَعِيدًا ﴿ فَهُ مَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الْمُلْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: قوله: ﴿ لَن يَستَنكِفَ ﴾ لن يستكبر (٤).

وقال قتادة: لن يحتشم ﴿ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَتِهِكُمُّ ٱللَّقُرَّبُونَ ﴾ (٥).

⁽١) تقدم تعريفها في تفسير الآيات ١٥٥ _ ١٥٩ من هذه السورة.

⁽٢)(٣) تقدم تعريف هاتين الفرقتين كما سبق في الحاشية السابقة.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/٢٣٧).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال: ﴿وَلَا الْمَلَيْكُةُ الْقُرُونَ ﴾ وليس له في ذلك دلالة، لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح، لأن الاستنكاف هو الامتناع، والملائكة أقدر على ذلك من المسيح، فلهذا قال: ﴿وَلَا الْمَلَيْكُةُ اللّهَ يَهُونَ ﴾ ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل. وقيل: إنما ذكروا لانهم اتخذوا آلهة مع الله كما اتخذ المسيح، فأخبر تعالى أنهم عبيد من عباده وخلق من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا التَّفَدُ الرّحْنَنُ وَلَدًا سُبْحَنَةً بَلْ عِبَادٌ مُكُرَّهُ ﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَهُم مُشْفِقُونَ إلاّ لِين آرْقَعَى وَهُم مِن خَلْقه، مُشْفِقُونَ إلاّ لِين آرْقَعَى وَهُم مِن خَلْيَهِ مُشْفِقُونَ إلاّ لِين آرْقَعَى وَهُم مِن خَلْيك مُشْفِقُونَ إلاّ لِين آرْقَعَى وَهُم مِن خَلْيك مُشْفِقُونَ إلا لِين القليليوين ﴿ مُشْفِقُونَ ﴿ وَلَمْ يَشْفُونَ اللّهِ عَلَى اللّه اللّه عَلَى اللّه الله الله الله يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل الذي لا يجور فيه، ولا يحيف، ولهذا قال: ﴿ قَالَا اللّه عَلَى اللّه عَلَيْهُ مُؤْلِكُ مُؤْرَهُم مِن فَضَالِه ولا يحيف، ولهذا قال: ﴿ قَالَا الله على المُولُ وَعَمِلُوا الصَّلَاحَة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه.

وقد روى ابن مردويه من طريق بقية، عن إسماعيل بن عبد الله الكندي، عن الأعمش، عن [شقيق، عن عبد الله آ^{۱۱} مرفوعاً، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿فَيُونِيهِم أَجُورَهُم وَيَزِيدُهُم مِّن فَضَيلِّهِ ﴾ قال: أجورهم «أدخلهم الجنة» ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضَيلِّهِ ﴾ قال: «الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في دنياهم (^{۲)} وهذا إسناد لا يثبت. وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً (۳) فهو جيد.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ السَّتَنَكَفُوا وَاسْتَكُبُرُوا ﴾ أي: امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك ﴿ وَلَكُ بَهُمْ عَذَابًا اللَّهِ عَلَى عَمْ عَبَادَقِ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] أي: صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا ممتنعين مستكبرين.

﴿ وَيَتَأَيُّهَا اَلنَاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَدُنُ مِن رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا ۚ إِلَيْكُمْ نُورًا ثَمِينَا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَكُمُوا بِهِ. وَنَصَدُخُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَطًا مُسْتَقِيمًا ۞﴾.

يقول تعالى مخاطباً جميع الناس ومخبراً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبهة، ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ أي: ضياء واضحاً على الحق، قال ابن جريج وغيره: وهو القرآن (٤).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَٱعْنَصَهُوا بِهِ ، ﴾ أي: جمعوا بين مقامي العبادة، والتوكل على الله في

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «شقيق بن عبد الله» وهو تصحيف.

⁽٢) في سنده إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعيف (ميزان الاعتدال ١/ ٢٣٥)، وضعف إسناده الحافظ ابن كثير.

⁽٣) أخرجه أبو نعيم من طريق الثوري عن شقيق به موقوفاً (حلية الأولياء ١٠٨/٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود الملقب بسنيد وهو ضعيف.

جميع أمورهم، وقال ابن جريج: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن. رواه ابن جرير (١)، ﴿ فَسَيُدُخِهُمُ فِي رَحْمَةِ مِنَهُ وَفَضَلِ أَي: يرحمهم فيدخلهم الجنة، ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ﴿ وَيَهْدِيهِمَ إِلَيْهِ صِرَطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي: طريقاً واضحاً قصداً قواماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق [السلامة] (٢) في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات. وفي حديث الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب على عن النبي على أنه قال: «القرآن صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين» وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير (٣)، ولله الحمد والمنة.

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلْلَةَ إِنِ اَمْرُقُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ وَلَهُ أَخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكُ وَهُو يَرِثُهَا إِنَ لَمْ يَكُن لَمَا وَلَدُّ فَإِن كَانَتَا اَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلْنَانِ مِمَّا تَرَكُ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَيُسَاءُ فَلِلذَّكِرِ مِثْلُ حَظِ ٱلْأَنْيَيْنُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُ ﴿ فَهِ ﴿ وَاللَّهُ لِكُمْ أَن تَضِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُ ﴿ ﴾ .

قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿ يَسۡتَفَتُونَكَ﴾ (٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن محمد بن المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: دخل علي رسول الله في وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ ثم صب علي، أو قال: صبوا عليه، فعقلت، فقلت: إنه لا يرثني إلا كلالة، فكيف الميراث؟ فأنزل الله آية الفرائض^(٥)، أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ^(٢)، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عينة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به، وفي بعض الألفاظ فنزلت آية الميراث ﴿ يَستَقَنُّونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَلَةً . . . ﴾ الآية.

وكَأَن معنى الكلام _ والله أعلم _ يستفتونك عن الكلالة ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ [^^ فيها، فدل المذكور على المتروك. وقد تقدم الكلام على الكلالة واشتقاقها، وأنها مأخوذة من الإكليل الذي

⁽١) أخرجه الطبري بالسند السابق.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الاستقامة».

⁽٣) تقدم في تفسير سورة الفاتحة آية ٦، لا يصح رفعه.

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَلَةُ . . ﴾ [النساء: ١٧٦] ح٤٠٥].

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٩٨/٣)، وسنده صحيح.

⁽٦) صحيح البخاري، الوضوء، باب حب النبي ﷺ (ح١٩٤)، وصحيح مسلم، الفرائض، باب ميراث الكلالة (ح١٦١٦).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا فسرها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا والد ومن الناس من يقول: الكلالة من لا ولد له، كما دلت عليه هذه الآية ﴿إِنِ آمَرُهُا هَلَكَ لِيسَ لَمُ وَلَدُ ﴾، وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رها ، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ثلاث وَددتُ أن رسول الله على أمان عهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، قال: قال عمر بن الخطاب: ما سألت رسول الله على عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: «يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء»(٢) هكذا رواه مختصراً، وأخرجه مسلم مطولاً أكثر من هذا (٣).

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا مالك _ يعني ابن مغول _ يقول: سمعت الفضل بن عمرو، عن إبراهيم، عن عمر قال: سألت رسول الله على عن الكلالة، فقال: «يكفيك آية الصيف» فقال: لأن أكون سألت رسول الله على عنها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم (٤). وهذا إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً بين إبراهيم وبين عمر، فإنه لم يدركه. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: جاء رجل إلى النبي على فسأله عن الكلالة، فقال: «يكفيك آية الصيف» (٥). وهذا إسناد جيد، رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر بن عياش به (٢).

وكأن المراد بآية الصيف أنها نزلت في فصل الصيف، والله أعلم، ولما أرشده النبي على إلى تفهمها، فإن فيها كفاية نسي أن يسأل النبي على عن معناها، ولهذا قال: فلأن أكون سألت رسول الله عنها أحب إلى من أن يكون لي حمر النعم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا جرير عن الشيباني، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب، قال: «أليس قد بيّن الله ذلك» فنزلت ﴿ يَسْتَقْتُونَكَ ﴾ (٧).

 ⁽۱) صحيح البخاري، الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب (ح٥٥٨٥)، وصحيح مسلم، التفسير، باب في نزول تحريم الخمر (ح٣٠٣٢).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦/١)، وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح مسلم، المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً... (ح٥٦٧).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦/١)، وسنده ضعيف بسبب إبراهيم لم يسمع من عمر، ولشطره الأول شاهد صحيح تقدم في الحاشية السابقة.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠/ ٥٥١ ح١٨٥٨٩)، وضعفه محققوه لأن سماع أبي بكر بن عياش من أبي إسحاق السبيعي ليس بذاك القوي، ولكن الألباني صححه كما يلي.

 ⁽٦) سنن أبي داود، الفرائض، باب من كان ليس له ولد وله أخوات (ح٢٨٨٩)، وسنن الترمذي، تفسير سورة النساء (ح٣٠٤٧).

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن وكيع وهو سفيان.

قال قتادة: وذُكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته: ألا إن الآية التي نزلت في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت الرحم من العصبة، رواه ابن جرير(۱).

ذكر الكلام على معناها:

وبالله المستعان وعليه التكلان. قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُقًا هَلَكَ﴾ أي: مات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا شَيْءِ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَلُمْ﴾ [القصص: ٨٨] كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الله ﷺ كما قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجَهُ رَبِكَ ذُو ٱلْجُلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ۞﴾ [الرحمن].

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ تمسك به من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد، بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد وهو رواية عن عمر بن الخطاب، رواها ابن جرير عنه بإسناد صحيح إليه، ولكن الذي يرجع إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه الذي لا ولد له ولا والد، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَلَهُ وَأَنْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تُرَكَ ﴾ ولو كان معها أب لم ترث شيئاً لأنه يحجبها بالإجماع، فدل على أنه من لا ولد له بنص القرآن ولا والد بالنص عند التأمل أيضاً، لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكلية.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا أبو بكر بن عبد الله، عن مكحول وعطية وحمزة وراشد، عن زيد بن ثابت أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم، فأعطى الزوج النصف والأخت النصف، فكلم في ذلك فقال: حضرت رسول الله على قضى بذلك (٢). تفرد به أحمد من هذا الوجه، وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في الميت: ترك بنتا وأختا إنه لا شيء للأخت لقوله: ﴿إِنِ آمَهُ أَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدُ أَخَتُ فَلَهَا نِسَفُ مَا تَرك بنتا وأختا إنه لا شيء للأخت لقوله: ﴿إِنِ آمَهُ أَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدُ أَخْتُ فَلَهَا نِسَفُ مَا تَرك بنتا فقد ترك ولدا فلا شيء للأخت، وخالفهما الجمهور (٤) فقالوا في هذه المسألة: للبنت النصف بالفرض، وللأخت النصف الآخر بالتعصيب بدليل غير هذه الآية، وهذه الآية نصت أن يفرض لها في هذه الصورة وأما وراثتها بالتعصيب فلما رواه البخاري من طريق سليمان، عن إبراهيم، عن الأسود قال: قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله على النصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله الله النصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله المناف النصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله المناف النصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله المناف النصف للبنت والنصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان الله وراثه البيرة ولي النصف للبنت والنصف للأخت، ثم قال سليمان المناف الله المناف المناف المناف الله المناف الله المناف الله المناف الله المناف ا

⁽١) أخرجه الطبري من طريق قتادة به، وسنده ضعيف للانقطاع بين قتادة وأبي بكر فإنه لم يسمع منه.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٨٨/٥)، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن عبد الله وهو ابن أبي مريم الغساني الشامي (التقريب ص٦٢٣).

⁽٣) ذكره الطبري من غير سند (التفسير ٤٤٣/٩)، ط. شاكر.

⁽٤) لا يمكن الجزم بمخالفة الجمهور إلى ابن عباس وابن الزبير إذا صح السند إليهما أو إلى أحدهما، وقد روي بحذف السند.

⁽٥) أخرجه البخاري من طريق شعبة عن سليمان به (الصحيح، الفرائض، باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة ح ٦٧٤).

وفي صحيح البخاري أيضاً عن هزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن وأخت، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وأت ابن مسعود فسيتابعني، فسأل ابن مسعود فأخبره بقول أبي موسى فقال: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٦]، أقضي فيها بما قضى النبي على النصف للبنت، ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم (١٠).

وقوله: ﴿وَهُو يَرِثُهُا إِن لَمْ يَكُن لَما وَلَدُ ﴾ أي: والأخ يرث جميع مالها إذا ماتت كلالة، وليس لها ولد؛ أي: ولا والد، لأنها لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً، فإن فرض أن معه من له فرض صرف إليه فرضه كزوج أو أخ من أم، وصرف الباقي إلى الأخ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر» (٢٠). وقوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُلْثَانِ عِمَّا تَرَكُ ﴾ أي: فإن كان لمن يموت كلالة أختان، فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما، ومن ههنا أخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد حكم الأخوات من البنات في قوله: ﴿فَإِن كُنَّ فِسَاءٌ فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكُ ﴾ [النساء: ١١].

وقوله: ﴿ وَإِن كَانُوٓا إِخَوَةً رِّجَالًا وَيِسَآهُ فَلِلذَّكِرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأَنْفَيَيْنَ ﴾ هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والإخوة إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم، أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، وقوله: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ﴾ أي: يفرض لكم فرائضه، ويحد لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه.

وقوله: ﴿أَن تَضِلُوا﴾ أي: لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى.

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن علية، أنبأنا ابن عون، عن محمد بن سيرين قال: كانوا في مسير، ورأس راحلة حذيفة عند ردف راحلة رسول الله على ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة، قال: ونزلت ﴿ يَسْتَقْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَافَ ﴾ فلقاها رسولُ الله على حذيفة، فقال: والله والله الله على عنها حذيفة فقال: والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله على فلقيتكها كما لقانيها رسول الله على والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً، قال: فكان عمر يقول: اللهم إن كنت بينتها له، فإنها لم تبين لي، كذا رواه ابن جرير (٣)، ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين كذلك بنحوه (٤)، وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة.

وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده: حدثنا يوسف بن حماد المعني

⁽۱) أخرجه البخاري من طريق أبي قيس عن هُذيل به (الصحيح، الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة - ٦٧٣٦).

⁽٢) تقدم عزوه في الآية ٣٣ من هذه السورة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الانقطاع بين محمد بن سيرين وحذيفة رأه ومتنه فيه نكارة في قول حذيفة لعمر: والله إنك لأحمق...

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده كسابقه.

• سِيُوْلَةُ النَّكَا إِنْ (١٧٦)

ومحمد بن مرزوق قالا: حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي عبيدة بن حذيقة، عن أبيه قال: نزلت آية الكلالة على النبي على وهو في مسير له فوقف النبي على وإذا هو بحذيفة وإذا رأس ناقة حذيفة عند ردف راحلة النبي على فلقاها إياه، فنظر حذيفة فإذا عمر في الكلالة، فلقاها إياه فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة، فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة: لقد لقانيها رسول الله هي فلقيتك كما لقاني رسول الله هي والله إني لصادق والله لا أزيدك شيئاً أبداً. ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة، ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق، ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى (۱).

وكذا رواه ابن مردويه من حديث عبد الأعلى^(٢).

وقال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا جرير، عن الشيباني، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله على كيف تورث الكلالة؟ قال: فأنزل الله في يَستَغُونك قُلِ الله عُفِيم فِي الكلالة؟ قال: فأنزل الله في الكلالة عنها، فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله على طيب نفس فسألته عنها، فقال: «أبوك ذكر لك هذا، ما أرى أباك يعلمها»، قال: فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها. وقد قال رسول الله ما قال (").

رواه ابن مردويه، ثم رواه من طريق ابن عينة، عن عمرو، عن طاوس أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي على عن الكلالة فأملاها عليها في كتف، فقال: «من أمرك بهذا أعمر؟ ما أراه يقيمها أو ما تكفيه آية الصيف» قال سفيان: وآية الصيف التي في النساء: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلُّ يُورَثُ صَكَلَلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ [النساء: ١٢] فلما سألوا رسول الله على نزلت الآية التي هي خاتمة النساء، فألقى عمر الكتف، كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل(٤).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثام، عن الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: أخذ عمر كتفاً وجمع أصحاب رسول الله على ثم قال: لأقضين في الكلالة قضاء تحدث به النساء في خدورهن، فخرجت حينئذ حية من البيت فتفرقوا، فقال: لو أراد الله على أن يتم هذا الأمر لأتمه (٥). وهذا إسناد صحيح.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: حدثنا علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة، حدثنا الهيثم بن خالد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب، قال: لأن أكون سألت رسول الله على عن

⁽١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح٢٠٦٦) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبيدة بن حنيفة، وثقه ابن حبان (المجمع ١٣/١٧)، ولا يكفي توثيق ابن حبان في هذه الحالة، وقال الحافظ ابن حجر: مقبول (التقريب ص٢٥٦)، وهذه الرواية ليست فيها النكارة المذكور سابقاً.

⁽٢) حكمه كسابقه.

⁽٣) أخرجه إسحاق بن راهوية عن جرير به (كما في المطالب العالية المسندة ٢/١٤٥ ح١٥٥١)، وفي سنده سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر.

⁽٤) أي طاوس لم يدرك عمر فالإسناد منقطع.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

ثلاث أحب إلي من حمر النعم: من الخليفة بعده؟ وعن قوم قالوا: نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك، أيحل قتالهم؟ وعن الكلالة. ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (۱). ثم روى بهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن عمر، قال: ثلاث لأن يكون النبي على بينهن لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها: [الخلافة] (۱) والكلالة، والربا، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وبهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة قال: سمعت سليمان الأحول يحدث عن طاوس، قال: سمعت ابن عباس قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر، فسمعته يقول: ما قلت، قلت: وما قلت؟ قال: قلت: الكلالة من لا ولد له، ثم قال: صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه (۳).

وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمعة بن صالح، عن عمرو بن دينار، وسليمان الأحول عن طاوس، عن ابن عباس، قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب، قال: اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت، قال: وذكر أن عمر شرك بين الإخوة للأم والأب وبين الإخوة للأم في الثلث إذا اجتمعوا، وخالفه أبو بكر في الأرك وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا محمد بن حميد [العمري] (٥)، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، أن عمر كتب في الجد والكلالة كتاباً، فمكث يستخير الله يقول: اللهم إن علمت فيه خيراً فأمضه حتى إذا طعن، دعا بكتاب فمحى، ولم يدر أحد ما كتب فيه، فقال: إني كنت كتبت كتاباً في الجد والكلالة، وكنت أستخير الله فيه، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه (٢).

قال ابن جرير: وقد روي عن عمر في أنه قال: إني لأستحي أن أخالف فيه أبا بكر، وكان أبو بكر في يقول: هو ما عدا الولد والوالد (٧). وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه، وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة، وقول علماء الأمصار قاطبة، وهو الذي يدل عليه القرآن، كما أرشد الله أنه قد بين ذلك ووضحه في قوله: ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ مَن تَضِلُوا وَاللهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ولله الحمد والمنة.

⁽۱) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وتعليقه وتعقبه الذهبي بقوله: بل ما خرجا لمحمد شيئاً ولا أدرك عمر (المستدرك ٣٠٣/٢).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) والمستدرك، وفي الأصل: «الحاقة» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرج الحاكم الروايتين وصححهما ووافقه الذهبي في كلتيهما (المستدرك ٢/ ٣٠٤).

⁽٤) في سنده زمعة بن صالح: ضعيف (التقريب ص٢١٧).

⁽٥) اختلف في سماعه من عمر، والراجح أنه سمع منه قليلاً.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده سعيد بن المسيب اختلف في سماعه من عمر، والراجح أنه سمع منه قليلاً.

⁽٧) تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلُّ يُورَثُ كَلَقَهُ [النساء: ١٢].







٩

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله عليه الذاقة (١٠) عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عَضُد الناقة (١٠).

وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل، عن عاصم الأحول، قال: حدثتني أم عمرو، عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله على الله على الله عليه سورة المائدة، فاندق عُنق الراحلة من ثقلها (٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله على سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها، تفرد به أحمد (٣).

وقد روى الترمذي عن قتيبة، عن عبد الله بن وهب، عن حُيي، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، قال: آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصَّرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَـتَّحُ ﷺ [النصر](٤).

وقد روى الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (٥).

وقال الحاكم أيضاً: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا يحيى بن نصر، قال: قرئ على عبد الله بن وهب، أخبرني معاوية بن صالح عن أبي [الزاهرية](١)، عن جبير بن نفير، قال:

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥٥٧/٤٥ ح٥٧٧٥)، وضعفه محققوه بسبب ليث وهو ابن أبي سليم وشهر بن حوشب ثم بالشواهد حكموا عليه بأنه حسن لغيره. وستأتى شواهده في الروايات التالية:

⁽٢) أخرجه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان عن عاصم الأحول به (دلائل النبوة ٧/ ١٤٥)، ويشهد له الروايات اللاحقة.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١٨/١١ ح٦٦٤٣)، وقال محققوه: حسن لغيره. قال السندي: وحدوث الثقل فيه ﷺ عند نزول القرآن معلوم من الأحاديث الصحاح.

⁽٤) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه لكن بدون ذكر «الفتح» (السنن التفسير، باب ومن سورة المائدة ح٣٠٦٣)، لكن في نسخة المباركفوري بذكر الفتح (تحفة الأحوذي ٤٣٦/٨)، والمراد بالفتح هنا أي سورة النصر، لأن سورة الفتح ليست من آخر ما نزل. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي كما سيأتي عزوه.

⁽٥) المستدرك ٢/ ٣١١.

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) والمستدرك، وفي الأصل: «الزاهوية»، وهو تصحيف.

حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير، تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، لم يخرجاه (۱۱)، ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، وزاد: وسألتها عن خُلُق رسول الله على فقالت: القرآن. ورواه النسائي من حديث ابن مهدي (۲).

بمهال في الرحد الرجيم

﴿ وَكَانَهُمَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿ يَكُمْ أَوْفُوا بِالْمُقُودُ أُجِلَتَ لَكُم يَهِيمَةُ الْأَنْهَدِ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيَكُمْ غَيْرَ نُجِلَى الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمُ إِنَّ اللَّهَ يَعَكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُجِلُّوا شَعَنَهِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَّامَ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَّامَ وَلَا اللَّهُمَ وَلَا اللَّهُمَ وَلَا اللَّهُمِ الْحَرَامَ يَبْنَغُونَ فَضَلًا مِن رَبِيمِمْ وَرِضُونًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ اللَّهُمَ وَلَا اللَّهُمُ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ اللَّهُمَ وَلَا اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَا نُعَامِلُوا عَلَى اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَوْلًا عَلَى اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُولُولُولُولُولُهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مسعر، حدثني معن [وعوف] (٣) أو أحدهما، أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود، فقال: اعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فارعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شرينهى عنه (٤).

وقال: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، حدثنا الوليد، حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، قال: إذا قال الله: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا ﴿ افعلوا، فالنبي ﷺ منهم (٥٠).

وحدثنا أحمد بن سنان، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن خيثمة قال: كل شيء في القرآن ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو في التوراة يا أيها المساكين(٢٠).

فأما ما رواه عن زيد بن إسماعيل الصائغ البغدادي، حدثنا معاوية يعني ابن هشام، عن عيسى بن راشد، عن علي بن بذيمة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية ﴿يَكَأَيُّهُا اللَّهِ عَلَى بَا مَنُوا ﴾ إلا أن علياً سيدها وشريفها وأميرها، وما من أصحاب النبي على أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب، فإنه لم يعاتب في شيء منه (٧). فهو أثر غريب، ولفظه فيه نكارة، وفي إسناده نظر.

⁽١) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وتصحيحه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣١١).

⁽۲) المسند ٦/ ١٨٨، والسنن الكبرى (ح١١١٣٨).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «عوان» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه (التفسير سورة الأنفال آية ١٥)، وسنده منقطع لأن معنا وعوفاً لم يسمعا من ابن مسعود.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم كسابقه، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه ابن أبى حاتم بسنده ومتنه كسابقه، وسنده صحيح.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم كسابقه. وضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

وقال البخاري: عيسى بن راشد هذا مجهول، وخبره منكر، قلت: وعلي بن بذيمة وإن كان ثقة إلا أنه شيعي غال، وخبره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل، وقوله: فلم يبق أحد من الصحابة إلا عوتب في القرآن إلا علياً، إنما يشير به إلى الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوى، فإنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحد إلا علي، ونزل قوله: ﴿ اَلَهُ اَلْهُ اَلَهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ ﴾ الآية [المجادلة: ١٣]، وفي كون هذا عتاباً نظر، فإنه قد قيل: إن الأمر كان ندباً لا إيجاباً، ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل، فلم يصدر من أحد منهم خلافه، وقوله: عن علي أنه لم يعاتب في شيء من القرآن فيه نظر أيضاً، فإن الآية التي في الأنفال التي فيها المعاتبة على أخذ الفداء، عمّت جميع من أشار بأخذه ولم يسلم منها إلا عمر بن الخطاب فيها، فعلم بهذا وبما تقدم ضعف هذا الأثر، والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، حدثني يونس قال: قال محمد بن مسلم: قرأت كتاب رسول الله على الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه «هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا يَالْعُقُودٌ ﴾ فكتب الآيات منها حتى بلغ ﴿إِنَ اللّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩]»(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: هذا كتاب رسول الله عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً، وأمره فيه بأمره، فكتب «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله ﴿يَكَأَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالمُهُودِ ﴾ عهد من محمد رسول الله على لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٢٠).

قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ مِٱلْمُقُودِ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني بالعقود العهود (٣). وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك، قال: والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره (٤). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامُنُوّا أَوْفُواْ مِالْمُقُودِ ﴾ يعني: العهود، يعني: ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله، ولا تغدروا ولا تنكثوا،

ثم شدد في ذلك فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ إلى قوله: ﴿ سُوَّةُ ٱلدَّارِ ﴾ (٥) [الرعد: ٢٥].

وقال الضحاك: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْمُقُودِ ﴾ قال: ما أحلّ الله وحرم، وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام (٢٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل.

⁽٢) سنده مرسل لأن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم من صغار التابعين.

⁽٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٥) أخرجه الطبري كسابقه.

⁽٤) ذكره الطبري كسابقه.

⁽٦) يشهد له سابقه عن ابن عباس.

وقال زيد بن أسلم: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْمُقُودِ﴾ قال: هي ستة: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد الشركة، وعقد البيمين (١٠).

وقال محمد بن كعب: هي خمسة منها حلف الجاهلية، وشركة المفاوضة (٢). وقد استدل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في [مجلس] (٣) البيع بهذه الآية ﴿أَوْفُواْ بِٱلْمُقُودِ ﴾ قال: فهذه تدل على لزوم العقد وثبوته فيقتضي نفي خيار المجلس، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك، وخالفهما في ذلك الشافعي وأحمد والجمهور، والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا (٤) وفي لفظ آخر للبخاري «إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا صويح في إثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع، وليس هذا منافياً للزوم العقد، بل هو من مقتضياته شرعاً، فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتَ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، قاله الحسن وقتادة وغير

قال ابن جرير: وكذلك هو عند العرب، وقد استدل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين إذا وجد ميتاً في بطن أمه إذا ذبحت.

وقد ورد في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجالد، عن أبي الوداك [جبر بن نوف] (٢) ، عن أبي سعيد قال: قلنا: يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه» وقال الترمذي: حديث حسن (٧).

قال أبو داود: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عتاب بن بشير، حدثنا [عبيد الله] (^^) بن أبي زياد القداح المكي، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ، قال: «ذكاة الجنين ذكاة أُمه» (٩) تفرد به أبو داود.

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن، ويشهد له قول ابن عباس المتقدم.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وسنده ضعيف لضعف موسى، ويشهد له قول ابن عباس المتقدم.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وسقط من الأصل.

⁽٤) صحيح البخاري، البيوع، باب إذ لم يوقت الخيار هل يجوز البيع (ح٢١٠٩).

⁽٥) صحيح البخاري، البيوع، باب إذ خير أحدهما (ح٢١١٢).

⁽٦) كذا في (حم) والتخريج، وفي الأصل (ومح): «حُييّ بن نوف» وهو تصحيف.

⁽٧) سنن أبي داود، الأضاحي، باب ما جاء في ذكاة الجنين (ح٢٨٢٧)، وسنن الترمذي، الأطعمة، باب ما جاء في ذكاة الجنين (ح٢٤٧١)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، الذبائح، باب ذكاة الجنين ذكاة أمه (ح٣٩٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٤٥١).

⁽٨) كذا في (حم) و(مح) والتخريج وهو الصواب، وفي الأصل: «عبيد».

⁽٩) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٢٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٢٥).

• سِيُوْتُو لِلَّالِيَةِ (١،٢)

وقوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتَّلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير (١).

وقال قتادة: يعني بذلك الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه (٢).

والظاهر _ والله أعلم _ أن المراد بذلك قوله: ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْنَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ اَلَخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَذِقَةُ وَٱلْمُوْوَدُهُ وَٱلْمُعْرَدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكُلُ ٱلسَّبُعُ ﴾ [المائدة: ٣] فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْنُمُ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣] يعني: منها فإنه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه، ولهذا قال تعالى: ﴿أُجِلَتَ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَنِمِ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ ﴾ أي: إلا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّ الْصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمُ ﴾ قال بعضهم: هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم، ويعم الوحشي كالظباء والبقر والحمر، فاستثنى من الإنسي ما تقدم، واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام.

وقيل: المراد أحللنا لكم الأنعام، إلا ما استثني منها لمن التزم تحريم الصيد، وهو حرام لقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ عَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِمُ ﴾ [النحل: ١١٥] أي: أبحنا تناول الميتة للمضطر بشرط أن يكون غير باغ ولا متعد، وهكذا ههنا؛ أي: كما أحللنا الأنعام في جميع الأحوال فحرموا الصيد في حال الإحرام، فإن الله قد حكم بهذا، وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَمَكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعَكَمِرَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك مناسك لحج (٣).

وقال مجاهد: الصفا والمروة، والهدي والبُدن من شعائر الله (٤). وقيل: شعائر الله محارمه؛ أي: لا تحلوا محارم الله التي حرمها تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحُرَامَ ﴾ يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم، كما قال تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَةَ الشَّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَبِ اللّهِ يَوْمَ خَلُقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَا أُوبَهُ وَالدوبة: ٣٦].

وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة أن رسول الله على قال في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (٥) وهذا يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت، كما هو مذهب طائفة من السلف.

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٥) صحيح البخاري، التفسير، سورة براءة، باب ﴿إِنَّ عِلَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ آَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا . . . ﴾ [التوبة: ٣٦] (ح٤٦٦٢).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهَرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ يعني: لا تستحلوا القتال فيه (١)، وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري، واختاره ابن جرير أيضاً.

وذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا السَلَخَ الْأَشَهُرُ الْحُرُمُ فَأَقْنُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَّتُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] والمراد أشهر التسيير الأربعة، قالوا: فلم يستثن شهراً حراماً من غيره، وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة، قال: وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء (٢) جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أماناً من القتل إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان، ولهذه المسألة بحث آخر له موضع أبسط من هذا.

قال علي بن أبي طالب: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، رواه أهل السنن(٢٠).

وقال مقاتل بن حيان: وقوله: ﴿وَلَا ٱلْقَلَكِيدَ﴾ فلا تستحلوها وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم، قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر وتقلد مشركوا الحرم من لحاء شجر الحرم فيأمنون به، رواه ابن أبي حاتم ثم قال: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس عباس عباس في قال: نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله: ﴿فَإِن جَامُوكَ فَأَحَكُم بَيْنَهُم أَوْ عَنهُم مَ المائدة: ٤٢](٥) وحدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا محمد بن

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أي قشر الشجر (النهاية ٢٤٣/٤).

⁽٣) أخرجه البخاري من حديث عروة بن الزبير والمسور بن مخرمة ومروان وعائشة بنحوه (الصحيح، الحج، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة... ح١٦٩٤ و١٦٩٥).

⁽٤) سنن أبي داود، الأضاحي، باب ما يكره من الضحايا (ح٢٨٠٤)، وسنن الترمذي، الأضاحي، باب ما يكره من الأضاحي (ح١٤٩٨)، وقال حسن صحيح وبين معنى نستشرف أي: ننظر صحيحاً، وسنن النسائي، كتاب الأضاحي، باب المقابلة وهي ما قطع طرف أذنها ٢١٦/٧، وسنن ابن ماجه، الأضاحي، باب ما يكره أن يضحى به (ح٣١٤٣)، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ح٢٥٤٤).

⁽٥) سنده صحيح، وهذه الرواية وسابقتها إلى الآية ٤٠ من هذه السورة من الجزء المفقود من تفسير ابن أبي حاتم.

أبي عدي، عن ابن عوف قال: قلت للحسن: نسخ من المائدة شيء؟ قال: $V^{(1)}$. وقال عطاء: كانوا يتقلدون من شجر الحرم فيأمنون فنهى الله عن قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله $V^{(1)}$.

وقوله تعالى: ﴿ وَلا مَآمِينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْنَغُونَ فَضَلًا مِن رَبِهِمْ وَرِضُونًا ﴾ أي: ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً وكذا من قصده طالباً فضل الله وراغباً في رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه.

قال مجاهد وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمير والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغير واحد في قوله: ﴿ يَبْنَغُونَ فَضَّلًا مِن رَبِّهِمَ ﴾ يعني بذلك التجارة (٣) وهذا كما تقدم في قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمُ جُنَاحُ أَن تَبْتَغُوا فَضَّلًا مِن رَبِّكُمُ ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وقوله: ﴿ وَرِضُونًا ﴾ قال ابن عباس: يترضون الله بحجهم (٤).

وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله إذا لم يكن له أمان وإن أم البيت الحرام أو بيت المقدس وأن هذا الحكم منسوخ في حقهم - والله أعلم - فأما من قصده بالإلحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا يمنع، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِنّمَا الْمُشْرِكُونَ بَحَسُّ فَلاَ يَقَرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعّد عَامِهِم هَكذاً ﴿ [التوبة: ٢٨] ولهذا بعث رسول الله على عام تسع لما أمّر الصديق على الحجيج علياً وأمره أن ينادي على سبيل النيابة عن رسول الله على ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان (٢٠).

وقال ابن أبي طلحة: عن ابن عباس قوله: ﴿ وَلاَ مَآمِينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ يعني: من توجه قبل البيت الحرام فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعدها ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا ٱلْمَشْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعَّدَ عَامِهِمْ هَاذَا ﴾ الآية [التوبة:

⁽۱) سنده صحيح.

⁽٢) قول عطاء ومطرف بن عبد الله الشخير أخرجهما الطبري والسند الأول فيه ابن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي والسند الآخر فيه سفيان بن وكيع، وكلاهما ضعيف.

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول مطرف بن عبد الله أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن وكيع: وهو سفيان: ضعيف.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٥) أخرجه الطبري بسندضعيف فيه الحسين وهو ابن داود ولقبه سُنيد: ضعيف وكذلك الإسناد معضل لأن ابن جريج من اتباع التابعين.

⁽٦) أخرجه البخاري في صحيحه، تفسير سورة التوبة «باب وآذان من الله ورسوله...» (ح٤٦٥٥).

٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَنجِدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٧] وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَنجِدَ اللَّهِ مَنْ مَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيُومِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨] فنفى المشركين من المسجد الحرام (١٠).

وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلاَ الْقَلَتَهِدَ وَلاَ ءَآمِينَ ٱلْمَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ قال: منسوخ، كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشجر فلم يعرض له أحد، فإذا رجع تقلد قلادة من شعر فلم يعرض له أحد، وكان [المشرك]^{٢)} يومئذ لا يُصد عن البيت، فأمروا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله: ﴿فَأَقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ وَجَدَّتُوهُمُ ﴾ وأن وأن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله: ﴿فَأَقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ وَجَدَّتُهُوهُمُ ﴾ وإلى النوبة: ٥].

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿وَلَا ٱلْقَلَيَهِدَ ﴾ يعني: إن تقلدوا قلادة من الحرم فأمنوهم، قال: ولم تزل العرب تعير من أخفر ذلك، قال الشاعر^(٤):

ألم تَقتلا الحِرْجين إذ أعورا لكم يُمرَّان بالأيدي اللَّحاء المضفّرا(٥)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُواً ﴾ أي: إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السير، أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً وإن كان مستحباً فمستحب أو مباحاً فمباح، ومن قال: إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى، والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَكُمْ شَنَانُ قَوْمِ أَن صَدُوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ من القراء من قرأ ﴿ أَن صَدُوكُمْ ﴾ بفتح الألف من أن (٢) ، ومعناها ظاهر؛ أي: لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية على أن تعتدوا حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلماً وعدواناً ، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد، وهذه الآية كما سيأتي من قوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقَرَبُ لِلتَقْوَيَلُ ﴾

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير عبد الرزاق، وفي الأصل: «المشركون» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه وسنده صحيح.

⁽٤) هو حذيفة بن أنس الهذلي كما صرح الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري معتمداً على كتاب أشعار الهذليين ١٩/٣.

⁽٥) هذا البيت استشهد به الطبري في تفسيره وبين معنىٰ «الحرجين» أي: المقتولين، ومعنىٰ قوله: «أعوراكم» أي: أمكناكم من عورتهما. وقال محمود شاكر: والحرج بكسر الحاء وسكون الراء، الودعة قالوا: عنىٰ بذلك عن بالحرجين: رجلين أبيضين كالودعة، فإما أن يكون البياض لونهما، وإما أن يكون كنىٰ بذلك عن شرفهما... واللحاء: قشر الشجر، والمضفر: الذي جدل ضفائر.. وذكر سبب الشعر أن جُندباً أخو البريق بن عياض اللحياني قتل قيساً وسالماً ابني عامر بن عريب الكنانيين، وقتل سالم جُنْدباً، اختلفا ضربتين. (حاشية تفسير الطبري ٩/ ٤٧٠).

⁽٦) هذه قراءة متواترة وكذلك قراءة «إن».

[المائدة: ٨] أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فإن العدل واجب على كل أحد في كل أحد في كل أحد في الله فيه. أحد في كل حال، وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. والعدل به قامت السموات والأرض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن عفان، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله على بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي على: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآية (١).

والشنآن هو البغض قاله ابن عباس وغيره (٢). وهو مصدر من شنأته أشنؤه شنآناً بالتحريك، مثل قولهم جمزان ودرجان ورقلان، من جمز ودرج ورقل.

وقال ابن جرير: من العرب من يسقط التحريك في ﴿شَنَكَانُ﴾ فيقول: شنان، ولم أعلم أحداً قرأ بها. ومنه قول الشاعر (٣):

وما العيش إلا ما تحب وتشتهي وإن لام فيه ذو الشّينان وفنها المؤمنين وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى اللِّهِ وَالنَّقَوَى فَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى اللِّهِ وَالنَّقَوَى فَلَا نَعَاوَهُا عَلَى اللّهِ وَالنَّقُونَ فَلَا لَعَاوَنَهُا عَلَى اللّهِ وَالنَّقُونَ فَلَا المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير: الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان محاوزة ما خرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم (٤).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر [بن أنس]^(٥) عن جده أنس بن مالك قال: قال رسول الله على «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره»^(٢) انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه^(٧)، وأخرجه من طريق ثابت عن أنس قال: قال رسول الله على «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه».

وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان بن سعيد، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن رجل من أصحاب النبي على أذاهم أعظم أجراً من

⁽۱) سنده ضعیف ومرسل، لأن عبد الله بن جعفر هو ابن نجیح السعدي ضعیف (التقریب ۲/۱-۶۰)، وزید بن أسلم تابعي.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً عن قتادة بسند صحيح، وأخرجه عن عبد الرحمن بن زيد بسند صحيح.

⁽٣) هو الأحوص بن محمد الأنصاري إذ ورد هذا البيت منسوباً إليه في طبقات فحول الشعراء ص٥٣٩.

⁽٤) ذكره الطبري بنحوه.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «عن أنس» وهو تصحيف.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٩٩) وسنده صحيح.

⁽٧) صحيح البخاري، المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (ح٢٤٤٤).

الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم "(). وقد رواه أحمد أيضاً في مسند عبد الله بن عمر، حدثنا حجاج، حدثنا شعبة عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي على أنه قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم» وهكذا رواه الترمذي من ويصبر على أذاهم» وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة وابن ماجه من طريق إسحاق بن يوسف كلاهما عن الأعمش به (٢).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شيبة الكوفي، حدثنا بكر بن عبد الرحمن، حدثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن فضيل بن عمرو، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله على: «الدال على الخير كفاعله» ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد (٣).

قلت: وله شاهد في الصحيح «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(٤٠).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن زبريق الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي قال عياش بن مؤنس: إن أبا الحسن نمران بن مُخمر، حدثه أن أوس بن شرحبيل أحد بني المجمع حدثه أن رسول الله على قال: «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام»(٥).

﴿ وَمَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَيْنَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْجِنزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوزَةُ وَالْمُكَرِّيَةُ وَالنَّاعُ وَمَا أَهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوزَةُ وَالْمُكَرِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكُومَ يَهِسَ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكُومُ يَهِسَ النَّهُمُ وَالنَّظِيحَةُ وَمَا أَيْوَمُ يَهِسَ النَّهُمُ وَالنَّفِيمُ وَالنَّهُمُ وَالنَّهُمُ وَالنَّهُمُ وَالنَّهُمُ وَالنَّهُمُ وَالنَّهُمُ وَالْمَنْدُ وَيَنكُمُ وَالْمَنْدُ وَيَعْمَلُمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمَالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَالَالَالِمُ وَاللَّاللَّالَاللَّهُ وَاللَّالَالَالَالَالَالَالَاللَّالِمُو

يخبر تعالى عباده خبراً متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي ما مات من الحيوانات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة لما فيها من

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣٦٥)، وصححه أحمد شاكر والألباني كما يلي.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد وصححه محققه أحمد شاكر (المسند ح٥٠٢٢)، وأخرجه الترمذي (السنن، القيامة، باب ٥٠ ح٧٠٥)، وابن ماجه (السنن، الفتن، باب الصبر على البلاء ح٤٠٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٩٣٩).

⁽٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح١٥٤)، وقال الهيثمي: فيه عيسى بن المختار تفرد عنه بكر بن عبد الرحمن (مجمع الزوائد ١٦٦/١)، وله شاهد في صحيح مسلم كما يلي:

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، (الصحيح، كتاب العلم، باب من سن سنّة حسنة أو سيئة ح٢٦٧٤).

⁽٥) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٩٧/١)، وسنده ضعيف بسبب ضعف إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي: صدوق يهم كثيراً، واطلق محمد بن عوف أنه يكذب (التقريب ص٩٩)، وقال الهيثمي: فيه عياش.

الدم المحتقن فهي ضارة للدين وللبدن، فلهذا حرمها الله كان ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، لما رواه مالك في موطئه، والشافعي وأحمد في مسنديهما، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة أن رسول الله على سئل عن ماء البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (١)، وهكذا الجراد، لما سيأتي من الحديث.

وقوله: ﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ يعني به المسفوح، كقوله: ﴿ أَوْ دَمَّا مَسْفُوحًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب المذحجي، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق، حدثنا عمرو _ يعني: ابن أبي قيس _، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال: كلوه، فقالوا: إنه دم، فقال: إنما حرم عليكم الدم المسفوح $(^{(1)})$. وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، عن عائشة، قالت: إنما نهى عن الدم السافح.

وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعاً، قال: قال رسول الله على: «أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان. فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال» (٣). وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، قال الحافظ البيهقي: ورواه إسماعيل بن أبي إدريس، عن أسامة، وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً قلت: وثلاثتهم كلهم ضعفاء، ولكن بعضهم أصلح من بعض، وقد رواه سليمان بن بلال _ أحد الأثبات _ عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه، قال الحافظ أبو زرعة الرازي: وهو أصح (٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا بشير بن سريج عن [أبي غالب] (٥)، عن أبي أُمامة _ وهو صُدي بن عجلان _، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم فبينما

⁽۱) الموطأ، الطهارة، باب الطهور للوضوء ۲۲۱ (ح۱۲) ومسند الشافعي، (ح۲۰)، ومسند أحمد ۲۷۳۲، وسنن أبي داود، الطهارة، باب الوضوء بماء البحر (ح۸۳)، وسنن الترمذي، الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور (ح۲۹)، وسنن النسائي، الطهارة، باب ماء البحر ۲۰۰۱، وسنن ابن ماجه، الطهارة، باب الوضوء بماء البحر (ح۳۸۲)، وصحيح ابن خزيمة (ح۱۱۱)، وترتيب صحيح ابن حبان (ح۳۲)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۲۰۱۱)، وصححه البخاري فيما سأله الترمذي عنه (علل الترمذي (شرح السنة ۲/۵۰)، والبغوي (شرح السنة ۲/۵۰ ح۲۸۱)، والألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

⁽٢) في سندُ عمرو بن أبي قيس له أوهام، وسماك في روايته عن عكرمة اضطراب ويشهد له سابقه.

⁽٣) أخرجه الشافعي بسنده ومتنه ترتيب مسند الشافعي، كتاب الصيد والذبائح ١٧٣/٢ (ح٢٠٧)، وسنده ضعيف بسبب عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم والأصح وقفه على ابن عمر راب كما سيأتي عن أبي زرعة.

⁽٤) ينظر العلل لابن أبي حاتم (١٧/٢).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «بن غالب» وهو تصحيف.

نحن كذلك، إذ جاؤوا بقصعة من دم فاجتمعوا عليها يأكلونها فقالوا: هلم يا صُدي فكل، قال: قلت: ويحكم إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم فأقبلوا عليه، قالوا: وما ذاك؟ فتلوت عليهم هذه الآية ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْجِنْزِيرِ ﴾ الآية (١٠).

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناده مثله، وزاد بعده هذا السياق قال: فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبون عليّ، فقلت: ويحكم اسقوني شربة من ماء، فإني شديد العطش، قال: وعليّ عباءتي، فقالوا: لا، ولكن ندعك حتى تموت عطشاً، قال: فاغتممت وضربت برأسي في العباء، ونمت على الرمضاء في حر شديد، قال: فأتاني آت في منامي بقدح من زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس ألذ منه، فأمكنني منه فشربته، فلما فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ما عطشت، ولا عربت بعد تيك الشربة (٢).

ورواه الحاكم في مستدركه عن علي بن حماد، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري، حدثنا صدقة بن هرمز عن أبي غالب، عن أبي أمامة وذكر نحوه، وزاد بعد قوله: بعد تيك الشربة، فسمعتهم يقولون: أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تمجعوه بمذقة، فأتوني بمذقة فقلت: لا حاجة لي فيها، إن الله أطعمني وسقاني، وأريتهم بطني، فأسلموا عن آخرهم (٣). وما أحسن ما أنشد الأعشى في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق:

وإياك والمستسات لا تقربنها ولا تأخذُن عظماً حديداً فتفصدا(٤)

أي لا تفعل فعل الجاهلية، وذلك أن أحدهم كان إذا جاع يأخذ شيئاً محدداً من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره أو حيواناً من أي صنف كان، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة، ثم قال الأعشى:

وذا النُصب المنصوبَ لا تأتينه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا(٥)

وقوله: ﴿وَلَحْمُ ٱلْنِنزِيرِ ﴾ يعني: إنسيه ووحشيه، واللحم يعمّ جميع أجزائه حتى الشحم، ولا يحتاج إلى تحذلق الظاهرية في جمودهم ههنا، وتعسفهم في الاحتجاج بقوله: ﴿فَإِنَّهُ رِجَسُ أَوْ فِسَقًا ﴾ يعنون قوله تعالى: ﴿إِلّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوعًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرِ فَإِنَّهُ رِجَسُ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه، وهذا بعيد من حيث اللغة، فإنه لا يعود الضمير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب، ومن العرف المطرد.

وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الأسلمي ظليه، قال: قال رسول الله عليه: «من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه» (٢) فإذا كان هذا التنفير لمجرد ملابسته

 ⁽۱) في سنده بشير بن سريح ضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد ٣٨٩/٩)، وفيه أيضاً أبو غالب صاحب أبي أمامة صدوق يخطئ (التقريب ٤٦٠/٢)، ولم يتابع فسنده ضعيف.

⁽٢) حكمه كسابقه.

⁽٣) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه وتعقبه الذهبي بأن صدقة بن هرمز ضعفه ابن معين (المستدرك ٣/ ٦٤١).

⁽٤) سيرة ابن هشام ٢/١٣٨١. (٥) سيرة ابن هشام ٢/٣٨٧.

⁽٦) صحيح مسلم، الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير (ح٢٢٦).

بالمس، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به، وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره؟ وفي الصحيحين أن رسول الله على قال: "إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: "لا، هو حرام»(١). وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان أنه قال لهرقل ملك الروم: نهانا عن الميتة والدم.

وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللهِ بِهِهِ أَي: ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع. وإنما اختلف العلماء في متروك التسمية إما عمداً أو نسياناً كما سيأتى تقريره في سورة الأنعام (٢).

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسن الهسنجاني حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: نزل آدم بتحريم أربع ﴿حُرِّمَتُ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَلَحْمُ ٱلْجِيْرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِدِ ﴾، وإن هذه الأربعة الأشياء لم تحل قط، ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم، فلما بعث الله عيسى ابن مريم عليه نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم وأحل لهم ما سوى ذلك، فكذبوه وعصوه (٣). وهذا أثر غريب.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ربعي، عن عبد الله، قال: سمعت الجارود بن أبي سبرة، قال: هو جدي، قال: كان رجل من بني رباح يقال له ابن وثيل، وكان شاعراً، نافراً في عالباً _ أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء، فلما وردت الماء قاما إليها بسيفيهما فجعلا يكسفان واقيبها، قال: فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم، قال: وعلي بالكوفة، قال: فخرج على على بلغة رسول الله على البيضاء وهو ينادي: يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله (٢٠).

هذا أثر غريب، ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا حماد بن [مسعدة] حن عوف، عن أبي ريحانة، عن ابن عباس، قال: نهى رسول الله على عن معاقرة الأعراب، ثم قال أبو داود: محمد بن جعفر: هو غندر، أوقفه على ابن عباس (٨)، تفرد به أبو داود.

⁽۱) صحيح البخاري، البيوع، باب بيع الميتة والأصنام (ح٢٣٦)، وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة... (ح١٥٨١).

⁽۲) آية ۱۲۱.

⁽٣) في سنده نعيم بن حماد صدوق يخطئ كثيراً ولم يتابع، فسنده ضعيف.

⁽٤) نافر أي: فاخر. (٥) يكسفان أي: يقطعان.

⁽٦) سنده حسن.

⁽V) كذا في (حم) و(مح) وسنن أبي داود، وفي الأصل: «سعد» وهو تصحيف.

⁽٨) سنن أبي داود، الأضاحي، بباب ما جاء في أكّل معاقرة الأعراب (ح٢٨٢٠)، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ح٢٤٤٦).

وقال أبو داود أيضاً: حدثنا هارون بن زيد بن أبي [الزرقاء](١)، حدثنا أبي، حدثنا جرير بن حازم، عن الزبير بن حريث، قال: سمعت عكرمة يقول: إن رسول الله على نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل، ثم قال أبو داود: أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس (٢)، تفرد به أيضاً.

قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي التي تموت بالخنق، إما قصداً وإما اتفاقاً بأن تتخبل في وثاقتها، فتموت به فهي حرام، وأما (الموقوذة) فهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، كما قال ابن عباس وغير واحد: هي التي تضرب بالخشبة حتى يوقذها فتموت (٣).

قال قتادة: كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها (٤).

وفي الصحيح أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، قال: «إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله» (٥) ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالمعراض ونحوه بحده، فأحله، وما أصاب بعرضه فجعله وقيذاً لم يحله، وهذا مجمع عليه عند الفقهاء.

واختلفوا فيما إذا صدم الجارحة الصيد فقتله بثقله، ولم يجرحه علَى قولين، هما قولان للشافعي كَالله:

(أحدهما): لا يحل كما في السهم والجامع أن كلاً منها ميت بغير جرح فهو وقيذ.

(والثاني): إنه يحل لأنه حكم بإباحة ما صاده الكلب ولم يستفصل، فدل على إباحة ما ذكرناه، لأنه قد دخل في العموم، [وقد قررت لهذه المسألة فصلاً فليكتب ههنا](٢).

فصل: اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا أرسل كلباً على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه، أو صدمه: هل يحل أم لا؟ على قولين:

(أحدهما): أن ذلك حلال لعموم قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا آمَسَكُنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٤]، وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم، وهذا قول حكاه الأصحاب عن الشافعي كَظَلْلهُ، وصححه بعض المتأخرين منهم كالنووي والرافعي.

(قلت): وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمختصر، فإنه قال في كلا الموضعين: يحتمل معنيين، ثم وجه كلاً منهما فحمل ذلك الأصحاب منه، فأطلقوا في المسألة قولين عنه، اللهم إلا أنه في بحثه حكايته للقول بالحلّ رشحه قليلاً، ولم يصرح بواحد منهما،

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وسنن أبي داود، وفي الأصل: «الرقاشي» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأطعمة، باب في طعام المتباريين ح٣٧٥٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣١٩٣).

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعبة عن قتادة.

⁽٥) صحيح البخاري، البيوع، باب تفسير المشبهات (ح٢٠٥٤)، وصحيح مسلم، الصيد، باب الصيد بالكلاب المعلمه (ح١٩٢٩).

⁽٦) زيادة من (حم).

ولا جزم به، والقول بذلك _ أعني الحلّ _ نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة من رواية الحسن بن زياد عنه، ولم يذكر غير ذلك. وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر، وهذا غريب جداً، وليس يوجد ذلك مصرحاً به عنهم، إلا أنه من تصرفه رحمه الله ورضى عنه.

(والقول الثاني): أن ذلك لا يحل، وهو أحد القولين عن الشافعي كالله واختاره المزني، ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضاً، والله أعلم. ورواه أبو يوسف ومحمد عن أبي حنيفة، وهو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله القول أشبه بالصواب، والله أعلم، لأنه أجرى على القواعد الأصولية وأمشى على الأصول الشرعية، واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج، قلت: يا رسول الله، إنا ملاقوا العدو غداً، وليس معنا مُدى، أفنذبح بالقصب؟ قال: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه» الحديث بتمامه (١)، وهو في الصحيحين. وهذا وإن كان وارداً على سبب خاص، فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في الأصول والفروع، كما سئل ﷺ عن البتع _ وهو نبيذ العسل _، فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام»(٢)، أفيقول فقيه: إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل، [وهكذا] (٣) هذا، كما سألوه عن شيء من الذكاة، فقال لهم كلاماً عاماً يشمل ذاك المسؤول عنه وغيره لأنه عليه كان قد أوتى جوامع الكلم، إذا تقرر هذا، فما صدمه الكلب أو غمّه بثقله ليس مما أنهر دمه، فلا يحل لمفهوم هذا الحديث، فإن قيل: هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء، لأنهم إنما سألوه عن الآلة التي يذكي بها، ولم يسألوه عن الشيء الذي يذكي، ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر حيث قال: «ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة»(٤) والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه، وإلا لم يكن متصلاً، فدل على أن المسؤول عنه هو الآلة، فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم، فالجواب عن هذا بأن في الكلام ما يشكل عليكم أيضاً، حيث يقول: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه»، ولم يقل: فاذبحوا به، فهذا يؤخذ منه الحكمان معاً، يؤخذ حكم الآلة التي يذكى بها، وحكم المُذكى وأنه لا بدّ من إنهار دمه بآلة ليست سناً ولا

(والمسلك الثاني): طريقة المزني، وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل بعرضه فلا تأكل، وإن خزق فكل، والكلب جاء مطلقاً، فيحمل على ما قيد هناك من الخزق لأنهما اشتركا في الموجب وهو الصيد فيجب الحمل هنا وإن اختلف السبب كما وجب حمل مطلق الإعتاق في الظهار على تقييده بالإيمان في القتل، بل هذا أولى، وهذا يتوجه له على من يسلم له أصل هذه

⁽۱) صحيح البخاري، الشركة، باب قسمة الغنم (ح٢٤٨٨)، وصحيح مسلم، الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم... (ح١٩٦٨).

⁽٢) صحيح البخاري، الوضوء، باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر (ح٢٤٢)، وصحيح مسلم، الأشربة، باب بيان إن كل مسكر خمر... (ح٢٠٠١).

⁽٣) زيادة من (حم).

⁽٤) هذا الحديث تتمة لحديث رافع المذكور قبل الحديث السابق.

القاعدة من حيث هي، وليس فيها خلاف بين الأصحاب قاطبة، فلا بدّ لهم من جواب عن هذا، وله أن يقول: هذا قتله الكلب بثقله، فلم يحل قياساً على ما قتله السهم بعرضه، والجامع أن كلاً منهما آلة للصيد، وقد مات بثقله فيهما، ولا يعارض ذلك بعموم الآية، لأن القياس مقدم على العموم، كما هو مذهب الأئمة الأربعة والجمهور، وهذا مسلك حسن أيضاً.

(مسلك آخر): وهو أن قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكُنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٤] عام فيما قتلن بجرح أو غيره، لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو إما أن يكون نطيحاً أو في حكمه، أو منخنقاً أو في حكمه، وأياً ما كان، فيجب تقديم هذه الآية على تلك الوجوه:

(أحدها): أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم: "وإن أصابه بعرضه، فإنما هو وقيذ فلا تأكله"(١)، ولم نعلم أحداً من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية، فقال: إن الوقيذ معتبر حالة الصيد، والنطيح ليس معتبراً، فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقاً للإجماع لا قائل به، وهو محظور عند كثير من العلماء.

(الثاني): أن تلك الآية ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكُنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤] ليست على عمومها بالإجماع بل مخصوصة بما [صدْن](٢) من الحيوان المأكول، وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق، والعموم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ.

(المسلك الآخر): أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء، لأنه قد احتقن فيه الدماء وما يتبعها من الرطوبات، فلا تحل قياساً على الميتة.

(المسلك الآخر): أن آية التحريم، أعني قوله: ﴿ حُرِّمَتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْنَةُ . . . ﴾ إلى آخرها، محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة، أعني قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَ لَكُمُ الطَّيِبَكُ وَمَا عَلَّمْتُ مِنَ الْجُوَارِجِ مُكَلِّينَ ﴾ الآية [المائدة: ٤]، فينبغي أن لا يكون بينهما تعارض أصلاً، وتكون السنة جاءت لبيان ذلك، وشاهد ذلك قصة السهم، فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية، وهو ما إذا خزقه المعراض فيكون حلالاً، لأنه من الطيبات، وما دخل في حكم تلك الآية، آية التحريم، وهو ما إذا أصابه بعرض فلا يؤكل، لأنه وقيذ، فيكون أحد أفراد آية التحريم، وهكذا يجب أن يكون حكم هذا سواء إن كان قد جرحه الكلب، فهو داخل في حكم آية التحليل، وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بثقله، فهو نطيح أو في حكمه، فلا يكون حلالاً.

(فإن قيل): فلم لا فصّل في حكم الكلب، فقال: ما ذكرتم إن جرحه فهو حلال، وإن لم يجرحه فهو حرام.

فالجواب: أن ذلك نادر، لأن من شأن الكلب أن يقتل بظفره أو نابه أو بهما معاً، وأما اصطدامه هو والصيد فنادر، وكذا قتله إياه بثقله، فلم يحتج إلى الاحتراز من ذلك لندوره أو لظهور حكمه عند من علم تحريم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة. وأما السهم والمعراض فتارة يخطئ لسوء رمى راميه، أو للهو أو لنحو ذلك، بل خطؤه أكثر من إصابته،

⁽١) تقدم عزوه في الصحيح في تفسير «الموقوذة» من هذه الآية.

⁽٢) كذا في (مح) وفي الأصل: "صدر"، وفي (حم): "صرق".

فلهذا ذكر كلاً من حكميه مفصلاً، والله أعلم، ولهذا لما كان الكلب، من شأنه أنه قد يأكل من الصيد ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد فقال: «إن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه» (١) وهذا صحيح ثابت في الصحيحين، وهو أيضاً مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين، فقالوا: لا يحل ما أكل منه الكلب، حكي ذلك عن أبي هريرة وابن عباس، وبه قال الحسن والشعبي والنخعي: وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحباه، وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه.

وروى ابن جرير في تفسيره عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس: إن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب، حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم: يؤكل ولو لم يبق منه إلا بضعة (٢)، وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم، وأومأ في الجديد إلى قولين، قال ذلك الإمام أبو نصر بن الصباغ وغيره من الأصحاب عنه.

وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوي عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله على أنه قال في صيد الكلب: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله، فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك» (٢٦) ورواه أيضاً النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده: أن أعرابياً يقال له أبو ثعلبة قال: يا رسول الله، فذكر نحوه (٤٤).

وقال محمد بن جرير في تفسيره: حدثنا عمران بن بكار الكلاعي، حدثنا عبد العزيز بن موسى هو: اللاحوني، حدثنا محمد بن دينار هو: الطاحي، عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي، عن رسول الله على قال: «إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه، فليأكل ما بقي» (٥) ثم إن ابن جرير علله بأنه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب، عن سلمان موقوفاً.

وأما الجمهور فقد موا حديث عدي على ذلك، وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره، وقد حمله بعض العلماء على أنه إن أكل بعد ما انتظر صاحبه فطال عليه الفصل ولم يجئ، فأكل منه لجوعه ونحوه فإنه لا بأس بذلك، لأنه والحالة هذه لا يخشى أنه إنما أمسك على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة، فإنه يظهر منه أنه أمسك على نفسه، والله أعلم.

فأما الجوارح من الطيور فنص الشافعي على أنها كالكلب، فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور، ولا يحرم عند الآخرين، واختار المزني من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، قالوا: لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه، وأيضاً فإنها لا تعلم إلا بأكلها من الصيد فيعفى عن ذلك، وأيضاً فالنص إنما

⁽١) تتمة حديث عدي بن حاتم وقد تقدم عزوه في تفسير «الموقوذة» من هذه الآية.

⁽٢) سيأتي تخريج هذه الآثار في الآية ٤ من هذه السورة بعنوان: ذكر الآثار بذلك.

⁽٣) سنن أبي داود، الصيد، باب في الصيد (ح٢٨٥٢)، وحكم عليه الحافظ بأن إسناده جيد قوي.

⁽٤) سنن النسائي، الصيد، باب الرخصة في ثمن كلب الصيد ٧/ ١٩١، وسنده حسن.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه محمد بن دينار الطاحي: صدوق سيء الحفظ كما في التقريب، ولعله هو الذي رفع الحديث.

ورد في الكلب لا في الطير. وقال الشيخ أبو على في «الإفصاح»: إذا قلنا: يحرم ما أكل منه الكلب، ففي تحريم ما أكل منه الكلب، ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان، وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب لنص الشافعي كَلَّلُهُ، على [التسوية](١) بينهما، والله الله أعلم.

وأما المتردّية: فهي التي تقع من شاهق أو موضع عال، فتموت بذلك، فلا تحل.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: المتردّية التي تسقط من جبل (٢).

وقال قتادة: هي التي تتردى في بئر^(٣).

وقال السدي: هي التي تقع من جبل أو تتردى في بئر^(٤).

وأما النطيحة: فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها، والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي: منطوحة، وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث، فيقولون: عين كحيل، وكف خضيب، ولا يقولون: كف خضيبة، ولا عين كحيلة، وأما هذه فقال بعض النحاة: إنما استعمل فيها تاء التأنيث، لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في قولهم: طريقة طويلة، وقال بعضهم: إنما أتي بتاء التأيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة بخلاف عين كحيل وكف خضيب لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آكُلُ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب، فأكل بعضها فماتت بذلك، فهي حرام وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحها، فلا تحل بالإجماع، وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك، فحرم الله ذلك على المؤمنين.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمُ ﴾ عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته، فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة، وذلك إنما يعود على قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمُوقُودَةُ وَٱلْمُرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكُلُ ٱلسَّبُعُ ﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْنُمُ ﴾ يقول: إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه، فهو ذكي (٥)، وكذا روي عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي في الآية قال: إن مصعت بذنبها أو ركضت برجلها أو طرفت بعينها، فكل (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم: حدثنا الحسين، حدثنا هشيم وعباد، قالا: حدثنا حجاج،

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «السوية».

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «التي تتردي من الجبل».

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ثابت عن علي بن أبي طلحة به نحوه.

⁽٦) سنده حسن.

عن حصين، عن الشعبي، عن الحارث، عن علي قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردّية والنطيحة، وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها (١). وهكذا $[(eg)]^{(7)}$ عن طاوس والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد: أن المذكاة متى تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح، فهي حلال (٣)، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل.

قال ابن وهب: سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى تخرج أمعاؤها، فقال مالك: لا أرى أن تذكى أي شيء يذكى منها(٤)؟

وقال أشهب: سئل مالك عن الضبع يعدو على الكبش فيدق ظهره، أترى أن يذكى قبل أن يموت فيؤكل؟ فقال: إن كان قد بلغ السُّحْرة فلا أرى أن يؤكل، وإن كان أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأساً، قيل له: وثب عليه فدق ظهره؟ فقال: لا يعجبني هذا لا يعيش منه. قيل له: فالذئب يعدو على الشاة فيثقب بطنها ولا يثقب الأمعاء؟ فقال: إذا شق بطنها فلا أرى أن تؤكل (٥٠).

هذا مذهب مالك كِثَلَثُهُ. وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك كِثَلَثُهُ من الصورة التي بلغ الحيوان فيها إلى حالة لا يعيش بعدها فيحتاج إلى دليل مخصص للآية، والله أعلم.

وفي الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال: قلت: يا رسول الله، إنا لاقو العدو غداً وليس معنا مُدى، أفنذبح بالقصب؟ فقال: «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه، فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»(٦).

وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعاً، وفيه نظر، وروي عن عمر موقوفاً وهو أصح «ألا إن الذكاة في الحلق واللّبة، ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق»(٧).

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من رواية حماد بن سلمة، عن أبي العشراء الدارمي، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أما تكون الذكاة إلا من اللّبة والحلق؟ فقال: «لو

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن حزم من طريق هشيم به (المحلى ۱۹٤/۸)، وفي سنديهما الحارث وهو: الأعور الهمداني تُكلم فيه وكذبه الشعبي كما في التقريب. وقد توبع كما في الرواية السابقة.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «رواه».

⁽٣) قول طاوس أخرجه عبد الرزاق عن ابن طاوس عن طاوس به (المصنف رقم ٨٦٣٣)، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عنه في تفسير ومصنفه رقم (٨٦٣٥)، وقول الحسن أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن فضيل عن أشعث عنه (كما في التمهيد لابن عبد البر ١٤٩/٥)، وقول عبيد بن عمير أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن جريج عن أبي الزبير عنه (المصنف رقم ٨٦٣٨)، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند فيه شيخه لم يسم، وأخرجه ابن أبي شيبة موصولاً لكن فيه جويبر: متروك.

⁽٤) أخرجه الطبري عن يونس عن ابن وهب به وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري عن يونس عن أشهب به وسنده صحيح.

⁽٦) تقدم تخريجه في تفسير هذه الآية.

⁽۷) أخرجه الدارقطني بسند فيه سعيد بن سلام العطار ضعيف ومتهم (لسان الميزان ۳/ ۳۷)، وقد أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح عن ابن عباس نحوه (فتح الباري ۱۶۱/۹).

طعنت في فخذها لأجزأ عنك»(١)، وهو حديث صحيح (٢)، ولكنه محمول على ما لا يقدر على ذبحه في الحلق واللبة.

وقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنَّصُبِ﴾ قال مجاهد وابن جريج: كانت النصب حجارة حول الكعبة (٣)، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصباً، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب (٤)، وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله لما في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا، لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْنَقُسِمُوا بِالْأَزْلَيْ ﴾ أي: حرّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام، واحدها زلم وقد تفتح الزاي، فيقال: زلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء، ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد، والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام، هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير (٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا الحجاج بن محمد، أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿وَأَن تَسْنَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَامِ ﴾ قال: والأزلام قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور (٢). وكذا روي عن مجاهد وإبراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان (٧).

وقال ابن عباس: هي قداح كانوا يستقسمون بها الأمور (^).

وذكر محمد بن إسحاق وغيره: إن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له: هُبل منصوب على

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد عن وكيع عن حماد بن سلمة به، وضعفه محققوه بسبب جهالة أبي العشراء وأبيه (المسند ٣١/ ٢٧٨ ح ١٨٩٤٧).

 ⁽۲) قال أبو داود: وهذا في السنن «لا يصلح» إلا في المتردية والمتوحش (السنن، الأضاحي، باب ما جاء في ذبيحة المتردية ح٢٨٥٥)، بعد الحديث مباشرة. وقال الحافظ ابن حجر: من قواه حمله على الوحش والمتوحش (الفتح ١٩/١٤٦).

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو ابن داود الملقب بسنيد ضعيف.

⁽٥) ذكره الطبري عند هذه الآية، وقد أخرجه بنحوه من طريق عباد بن راشد عن الحسن البصري، وسنده حسن.

⁽٦) سنده ضعيف بسبب الانقطاع بين عطاء الخراساني وابن عباس ويشهد له سابقه ولاحقه.

⁽٧) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول الحسن البصري تقدم.

⁽A) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

• سِيُؤَنَّقُ لِلنَّائِدَةِ (٣)

بئر داخل الكعبة، فيها توضع الهدايا، وأموال الكعبة فيه، وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما أشكل عليهم، فما خرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه (١).

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة، وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها، وفي أيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبداً» (٢).

وفي الصحيح: أن سراقة بن مالك بن جعشم، لما خرج في طلب النبي على وأبي بكر، وهما ذاهبان إلى المدينة مهاجرين، قال: فاستقسمت بالأزلام، هل أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره لا تضرهم. قال: فعصيت الأزلام واتبعتهم، ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة، كل ذلك يخرج الذي يكره لا تضرهم، وكان كذلك، وكان سراقة لم يُسلم إذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك (٣).

وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن يزيد، عن رقبة، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائراً»(٤).

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَأَن تَسْنَقْسِمُواْ بِالْأَزْلَيْ ﴾ قال: هي سهام العرب، وكعاب فارس والروم، كانوا يتقامرون (٥). وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار، فيه نظر، اللهم إلا أن يقال: إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى، والله أعلم. فإن الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة: ﴿يَكَأَيُّهُا الّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْخَيْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْكُمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيطانِ فَاجْتِبُوهُ لَعَلَكُمْ مُعْلِحُونَ ﴿ إِنَّمَا اللهُ مُنْهُونَ الشّيطانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَوةَ وَالْبَغْضَاةَ فِي الْفَيْسِرِ وَيَصُدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَوْةُ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ الصَّلَوْةُ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ الصَّلَوْةُ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ وَالمَائدة] وهكذا قال ههنا: ﴿وَأَن تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَيْ ذَلِكُمْ فِسَقُ ﴾ أي: تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك.

وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه. كما روى الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن من طريق عبد الرحمن بن أبي الموالي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله على يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر _ ويسميه باسمه _ خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري _ أو قال: عاجل أمري وآجله _ فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني

⁽۱) سيرة ابن هشام ١٦٨/١.

⁽٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من كبّر في نواحي الكعبة (ح١٦٠١).

⁽٣) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ... (ح٣٩٠٦).

⁽٤) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن يزيد (الجرح والتعديل ١٤٥/٢)، وعدم سماع رجاء من أبي الدرداء (فتح الباري ٢١٣/١٠).

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد.

ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه، واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به الله أحمد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموالي.

وقوله: ﴿ اَلْيَوْمَ يَسِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني: يئسوا أن يراجعوا دينهم (٢) ، وكذا روي عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان (٣) ، وعلى هذا المعنى يورد الحديث الثابت في الصحيح: أن رسول الله على قال: ﴿إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحريش بينهم (٤) ، ويحتمل أن يكون المراد أنهم يئسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله، ولهذا قال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا أحداً إلا الله، فقال: ﴿ فَلَا تَخَسُوهُمْ وَاحْشُونِ ﴾ أي: لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم، واخشوني أنصركم عليهم وأبيدهم، وأظفركم بها، وأشف صدوركم منهم، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ النَّوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمّ دِينَكُمْ وَ اَتَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى: ﴿ وَتَمّتُ كُلِمَتُ رَبِّكَ صِدَقاً وَعَدَلاً ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين، تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ اللَّهُ مَا لَكُمُ دِينَكُمْ وَالْمَدُ مَا تَلُكُمُ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ اللَّهِ الذين أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ اَلْيَوْمَ أَكُمُلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً (٥٠).

⁽۱) مسند الإمام أحمد ٣٤٤/٣، وصحيح البخاري، التهجد، باب ما جاء في المتطوع مثنىٰ مثنیٰ (ح١١٦٢)، وسنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب في صلاة الاستخارة (ح٤٨٠).

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

 ⁽٣) قول عطاء أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو بن داود الملقب بسنيد: ضعيف، ويتقوى بسابقه ولاحقه،
 وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث جابر رهي (الصحيح، صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان... ح٢٨١٢).

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

• سَخُرَقُ إِلَىٰ إِنَهُ (٣)

ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجيّت عليه برداً كان عليّ (١).

وقال ابن جریج وغیر واحد: مات رسول الله ﷺ بعد یوم عرفة بأحد وثمانین یوماً، رواهما ابن جریر (۲)، ثم قال:

حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن [عنترة]، عن أبيه، قال: لما نزلت ﴿ اَلْيَوْمَ اَكُمْ لَا يَكُمُ وَذَلَكَ يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: «صدقت» (٤٠٠).

ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبي للغرباء»(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قال: قوله: ﴿اليّومُ أَكُمْلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله على رسول الله على عدفة في يوم نزلت على رسول الله على ورواه أيضاً مسلم جمعة (٢). ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به. ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم به (٧). ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري، عن قيس، عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: والله إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله عيث أنزلت: يوم عرفة، وأنا والله بعرفة، قال سفيان: وأشك، كان يوم الجمعة أم لا ﴿الْيَوْمَ حيث أنزلت: كُمُّ دِينَكُمْ والآية (٨).

وشك سفيان كِلَّلَهُ إن كان في الرواية، فهو تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا، وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة، فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري كَلَّلُهُ، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير، ولا من الفقهاء وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة [لا يُشك] (٩) في صحتها، والله أعلم، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن السدي لم يسمع من أسماء بنت عميس ﴿ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

⁽٢) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو بن داود ضعيف والإسناد معضل.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «غيره» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف سفيان.

⁽٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (ح١٤٦).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح١٨٨) وسنده صحيح.

⁽٧) صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة (ح٧٢٦٨)، وصحيح مسلم، التفسير (ح٣٠١٧).

⁽٨) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ الْيُومَ أَكُمُلْتُ لَكُمْ وِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] (ح٢٠٦).

⁽٩) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «لا أشك».

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة، أخبرنا عبادة بن نسي، أخبرنا أميرنا إسحاق، قال أبو جعفر بن جرير _ وهو إسحاق بن خرشة _ عن قبيصة يعني: ابن ذؤيب، قال: قال كعب: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه، فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: ﴿ٱلْيُومَ ٱكْمُلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت، والمكان الذي أنزلت فيه يوم الجمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد (١).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو بكر، حدثنا قبيصة، حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار _ هو مولى بني هاشم _: أن ابن عباس قرأ ﴿ ٱلْيَوْمَ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَٱتَمَنْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينَا ﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا، لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد، ويوم جمعة (٢).

وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا يحيى بن الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن إسماعيل بن سليمان، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية، عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة ﴿ٱلْيَوْمَ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ ﴾ (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا ابن عياش، حدثنا عمرو بن قيس السكوني، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية ﴿ٱلۡيَوۡمَ ٱكۡمَلۡتُ لَكُمۡمَ دِينَكُمۡمَ ﴿ حتى ختمها، فقال: نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة (٤).

وروى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن موسى بن دحية، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة قال: نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ ٱكْمَلْتُ لَكُمُّ دِينَكُمْ وَٱتَمَنْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينَا ﴾ يوم عرفة، ورسول الله ﷺ واقف على الموقف يوم الموقف (٥).

فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن [حنش] (٢) بن عبد الله الضعاني، عن ابن عباس قال: ولد نبيكم على يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، وفتح بدراً يوم الإثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين ﴿ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ وَيَنكُمُ ﴾. ورفع الذكر يوم الإثنين (٧). فإنه أثر غريب، وإسناده ضعيف، وقد رواه الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وتقدم نحوه في الصحيحين.

⁽۲) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من طريق حماد بن سلمة به وقال: حسن غريب من حديث ابن عباس وهو صحيح (السنن، التفسير، باب ومن سورة المائدة ح٢٠٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٤٣٨).

⁽٣) يشهد له حديث عمر المتقدم في الصحيحين وفيه: نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له حديث عمر السابق أيضاً.

⁽٥) في سنده عنعنة ابن إسحاق وقتادة، وهذه رواية الحسن عن سمرة. فيها انقطاع ويشهد له حديث عمر المتقدم.

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل: «حبيش»، وهو تصحيف.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير وهو مخالف لما في الصحيح عن عمر.

• سِيُوَكُو النَّالِينَةِ (٣)

حنش الضعاني، عن ابن عباس قال: ولد النبي على يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين، ووضع الحجر الأسود يوم الإثنين أنها لفظ أحمد، ولم يذكر نزول المائدة يوم الإثنين، فالله أعلم، ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين، كما تقدم فاشتبه على الراوي، والله أعلم.

وقال ابن جرير: وقد قيل: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس^(۲)، ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ اَلْيَوْمَ اَكُمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يقول: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس^(۳)، قال: وقد قيل: إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع، ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت على رسول الله على يوم [غدير] خم (٥) حين قال لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (٢٠). ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه على من حجة الوداع (٧). ولا يصح هذا ولا هذا بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب على، وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير [الطبري] (٨) كَالله .

وقوله: ﴿فَمَنِ أَضَطُرٌ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفِ لِإِثْمِ فَإِنَ اللّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ أي: فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناوله، والله غفور رحيم له لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه، ويغفر له، وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعاً قال: قال رسول الله على: "إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته "لفظ ابن حبان "، وفي لفظ لأحمد "من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة "(1).

١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وضعفه محققوه بسبب ابن لهيعة (المسند ٤/٤٠٣ ح٢٥٠٦).

⁽٢) هذا القول ذكره ضمن عدة أقوال ثم رجح حديث عمر لصحة سنده أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة (التفسير ٥٣١/٩)، ط. شاكر.

⁽٣) طريق العوفي أخرجه الطبري وكذلك طريق أبي جعفر الرازي وسنده جيد لكنه مرسل.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: "عزيز" وهو تصحيف.

⁽٥) غدير خم هو: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، (ينظر معجم البلدان ٢/ ٣٨٩ و٤/ ١٨٨).

⁽٦) سنده ضعيف جداً بسبب أبي هارون العبدي وهو عمارة بن جوين متروك ـ ومنهم من كذبه -، شيعي (التقريب ص٤٠٨).

⁽٧) ضعفه الحافظ ابن كثير أيضاً وضعفه السيوطي في الدر المنثور.

⁽۸) زیادة من (مح).

⁽٩) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١١٢/١٠ ح ٥٨٧٣)، وحسن إسناده محققوه، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٦/ ١٥١ ح ٢٧٤٢)، قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (المجمع ٣/ ١٦٢)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح ٥٦٤).

⁽١٠) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله محققوه بسبب ابن لهيعة (المسند ٩/ ٢٩٠ ح٥٣٩٢)، =

ولهذا قال الفقهاء: قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الأحيان وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً بحسب الأحوال.

واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق، أو له أن يشبع أو يشبع ويتزود؟ على أقوال كما هو مقرر في كتاب الأحكام، وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير أو صيداً وهو محرم، هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء أو ذلك الطعام ويضمن بدله، على قولين: هما قولان للشافعي كَاللهُ. وليس من شرط جواز تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاماً كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم، بل متى اضطر إلى ذلك جاز له.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي واقد الليثي، أنهم قالوا: يا رسول الله، إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة (۱) فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال: «إذا لم تصطبحوا (۲) ولم تغتبقوا (۱) ولم تعتفئوا (۱) بها بقلا (۱) فشأنكم بها (۱) تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين، وكذا رواه ابن جرير عن عبد الأعلى بن واصل عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي به (۷) لكن رواه بعضهم عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن مسلم بن يزيد، عن أبي واقد به (۱). [ومنهم من رواه عن الأوزاعي، عن حسان، عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به $(1)^{(P)(1)}$. ورواه ابن جرير عن الأوزاعي، عن عيسى بن يونس، عن حسان، عن رجل قد سمي له فذكره، ورواه أيضاً عن هناد، عن ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان مرسلاً (۱۱).

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه، فكان فيه: ويجزئ من الاضطرار غبوق أو صبوح(١٢).

حدثنا أبو كريب، حدثنا هشيم عن الخصيب بن زيد التميمي، حدثنا الحسن: أن رجلاً سأل

⁼ وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ٣/ ١٦٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

⁽١) المخمصة: المجاعة.

⁽٢) تصطبحوا: من الصَّبوح وهو الشرب أول النهار، كما في حاشية السندي على المسند.

⁽٣) تغتبقوا: من الغبوق وهو الشرب آخر النهار، كما في حاشية السندي على المسند.

⁽٤) تحتفئوا: من الحُفا مهموز مقصور، وهو أصل البرديّ الأبيض الرطب منه وقد يؤكل، يقول: ما لم تقتلعوا هذا بعينه فتأكلوه.

⁽٥) البقل هو ما نبت في بزره (النهاية ١/ ٢٧٧).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوه بالشواهد (المسند ٣٦/ ٢٣٢ ح٢١٩٠١).

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد المسند ٢١٨/٥، والطبري والحاكم من طريق الأوزاعي به (المستدرك ١٢٥/٤)، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: فيه انقطاع.اه. ويتقوى بسابقه.

⁽٨) أخرجه الطبراني من طريق الأوزاعي به (المعجم الكبير ٣/ ٢٨٤).

⁽٩) زيادة من (حم).

⁽١٠) أخرجه الطبراني (المصدر السابق).

⁽١١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه رجل مبهم ويتقوى بسابقه الصحيح.

⁽١٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويتقوى أيضاً بشاهده السابق الصحيح. وتقدم معنىٰ الغبوق والصبوح.

• سِيُوَيْدُ إِلَىٰ إِنْهُ (٣)

النبي على فقال: متى يحل الحرام؟ قال: فقال: «إلى متى يروى أهلك من اللبن أو تجيء ميرتهم»(١).

حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، حدثني عمر بن عبد الله بن عروة، عن جده عروة بن الزبير، عن جدته: أن رجلاً من الأعراب أتى النبي على يستفتيه في الذي حرّم الله عليه، والذي أحل له، فقال النبي على: «يحل لك الطيبات، ويحرم عليك الخبائث، إلا أن تفتقر إلى طعام لك، فتأكل منه حتى تستغني عنه». فقال الرجل: وما فقري الذي يحل لي وما غنائي الذي يغنيني عن ذلك؟ فقال النبي على: «إذا كنت ترجو غناء تطلبه فتبلغ من ذلك شيئاً فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني عنه» فقال الأعرابي: ما غنائي الذي أدعه إذا وجدته، فقال على: «إذا أرويت أهلك غبوقاً من الليل، فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام مالك، فإنه ميسور كله فليس فيه حرام» (٢).

ومعنى قوله: «ما لم تصطبحوا» يعني: به الغداء «وما لم تغتبقوا» يعني: به العشاء «أو تحتفئوا بقلاً فشأنكم بها» فكلوا منها. وقال ابن جرير: يروى هذا الحرف، يعني قوله: «أو تحتفئوا» على أربعة أوجه: تحفؤا بالهمزة، وتحتفيوا: بتخفيف الياء والحاء، وتحتفوا بتشديد، وتحتفوا بالحاء وبالتخفيف، ويحتمل الهمز، كذا رواه في التفسير (٣).

(حديث آخر) قال أبو داود: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا وهب بن عقبة العامري، سمعت أبي يحدث عن النجيع العامري أنه أتى رسول الله على فقال: ما يحل لنا من الميتة؟ قال: «ما طعامكم»؟ قلنا: نصطبح ونغتبق. قال أبو نعيم (٤): فسره لي عقبة، قدح غدوة وقدح عشية، قال: ذاك وأبي الجوع، وأحل لهم الميتة على هذه الحال (٥). تفرد به أبو داود وكأنهم كانوا يصطبحون ويغتبقون شيئاً لا يكفيهم، فأحل لهم الميتة لتمام كفايتهم وقد يحتج به من يرى جواز الأكل منها حتى يبلغ حد الشبع، ولا يتقيد ذلك بسد الرمق، والله أعلم.

(حديث آخر) قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا سماك، عن جابر، عن سمرة: أن رجلاً نزل الحرة ومعه أهله وولده، فقال له رجل: إن ناقتي ضلّت، فإن وجدتها فأمسكها، فوجدها ولم يجد صاحبها، فمرضت، فقالت له امرأته: انحرها فأبى، فنفقت (٦) فقالت له امرأته: اسلخها حتى تقدد شحمها ولحمها فنأكله، قال: لا حتى أسأل رسول الله على فأتاه فسأله، فقال: «هل عندك غنى يغنيك؟» قال: لا، قال: «فكلوها» قال: فجاء صاحبها فأخبره الخبر، فقال: هلا كنت نحرتها؟ قال استحييت منك (٧). تفرد به.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ضعيف.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي.

⁽٣) ذكره الطبري في آخر تفسير هذه الآية. (٤) هو الفضل بن دكين.

⁽٥) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأطعمة، باب في المضطر إلى الميتة ح٣٨١٧)، وقال الحافظ ابن حجر إسناد لا بأس به (الإصابة ٨/ ٨٢)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٨٢٢)، ويشهد له ما تقدم من صحيح.

⁽٦) نفقت أي: ماتت.

⁽٧) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأطعمة، باب في المضطر إلى الميتة ح٣٨١٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٢٣٤).

وقد يحتج به من يجوز الأكل والشبع والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج إليها والله أعلم.

وقوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفِ لِلْإِثْمِ ﴾ أي: متعاط لمعصية الله، فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر، [كما قال في سورة البقرة] (): ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهُ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ وَحِمَّ الآبة عَنْ رخص رخص الله على الله على الله الله الله أعلم. السفر، لأن الرخص لا تنال بالمعاصي، والله أعلم.

﴿ يَسْتَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَمُثَمَّ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِبَكُ ۚ وَمَا عَلَمَتُم قِنَ ٱلجَوَارِجِ مُكَلِّمِينَ ثُعَلِمُونَهُنَ مِمَا عَلَمَكُمُ الطَّيِبَكُ ۚ وَمَا عَلَمَكُمُ الْفَالِمِينَ الْجَوَارِجِ مُكَلِّمِينَ ثُعَلِمُونَهُنَ مِمَا عَلَمَكُمُ اللَّهِ عَلَيْهُ وَانْقُوا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي بكير، حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل (٢) الطائيين، سألا رسول الله على فقالا: يا رسول الله قد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَمُمُ أُلُو أَحِلَ لَكُمُ الطَيِبَاتُ ﴾ (٣). قال سعيد: يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم. وقال مقاتل: الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق، وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي فقال: ليس هو من الطيبات، رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن وهب: سئل مالك عن بيع الطير الذي يأكله الناس، فقال: ليس هو من الطيبات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَمْتُم مِنَ ٱلْجَوَارِج مُكَلِينَ﴾ أي: أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها، والطيبات من الرزق، وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح، وهي الكلاب والفهود والصقور وأشباهها، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة، وممن قال ذلك علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤) في قوله: ﴿وَمَا عَلَمْتُم مِنَ ٱلْجَوَارِج مُكَلِّينَ﴾ وهن الكلاب المعلمة، والبازي، وكل طير يعلم للصيد والجوارح، يعني: الكلاب الضواري والفهود والصقور وأشباهها. رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: وروي عن خيثمة وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك^(٥).

⁽١) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٢) زيد بن مهلهل هو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي وفد سنة تسع وسماه النبي ﷺ زيد الخير (الإصابة ١/٥٥٥).

⁽٣) في سنده ابن لهيعة فيه مقال.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٥) قول خيثمة أخرجه الطبري من طريق طلحة اليامي عنه، ويتقوى بسابقه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند =

وروي عن الحسن أنه قال: الباز والصقر من الجوارح، وروي عن علي بن الحسين مثله (١)، ثم روي عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله، وقرأ قوله: ﴿وَمَا عَلَمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِج مُكَلِّمِينَ ﴾ قال: وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي (٢)، ثم قال: حدثنا هناد، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرنا ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، قال: أما ما صاد من الطير البازات وغيرها من الطير، فما أدركت فهو لك وإلا فلا تطعمه (7).

قلت: والمحكي عن الجمهور إن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لأنه تكلب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم واختاره ابن جرير، واحتج في ذلك بما رواه عن هناد، حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد، عن الشعبي، عن [عدي بن حاتم] فال: سألت رسول الله على عن صيد البازي فقال: «ما أمسك عليك فكل» أن .

واستثنى الإمام أحمد صيد الكلب الأسود، لأنه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود» فقلت: ما بال الكلب الأسود من الأحمر؟ فقال: «الكلب الأسود شيطان»(٦).

وفي الحديث الآخر أن رسول الله على أمر بقتل الكلاب، ثم قال: «ما بالهم وبال الكلاب، اقتلوا منها كل أسود بهيم» (٧).

وسميت هذه الحيوانات [التي] (^) يصطاد بهن جوارح من الجرح، وهو الكسب، كما تقول العرب: فلان جرح أهله خيراً؛ أي: كسبهم خيراً، ويقولون: فلان لا جارح له؛ أي: لا كاسب له، وقال الله تعالى: ﴿وَيَعْلُمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: ما كسبتم من خير وشر، وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن

صحیح من طریق ابن أبي نجیح عنه. وقول طاوس أخرجه عبد الرزاق بسند صحیح عن معمر عن ابن طاوس عن أبیه (المصنف رقم ۸٤۹۷).

⁽١) قول الحسن أخرجه الطبري بإسنادين يقوي أحدهما الآخر، وقول علي بن الحسين أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق نافع عنه.

⁽٢) ما نقله الطبري عن الضحاك والسدي هو الاقتصار على ذكر الكلاب دون ذكر الطير، وسنده إلى السدي حسن من طريق أسباط.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن نافع به (المصنف رقم ٨٥٢٠).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «عدي بن أبي حاتم»، وهو خطأ.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده مجالد ليس بالقوي كما في التقريب. وأخرجه أبو داود بنحوه وصححه الألباني بدون ذكر الباز (سنن أبي داود، الصيد، باب في الصيد ح١٨٥١، وصحيح السنن ح٧٤٧٠).

⁽٦) صحيح مسلم، الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي (ح٥١٠).

⁽٧) أخرج مسلم بلفظ: أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال: ما بالهم وبال الكلاب (الصحيح، المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه ح١٥٧٣).

⁽٨) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «اللاتي».

حمزة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم، عن سلمى أم رافع، عن [أبي رافع] مولى رسول الله على أن رسول الله على أمر بقتل الكلاب، فقلت: فجاء الناس فقالوا: يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فسكت؛ فأنزل الله ﴿ يَسَّعُلُونَكَ مَاذَا أُحِلَ لَكُمُ أُولِي لَكُمُ الطَّيِبَتُ وَمَا عَلَمْتُ عِنَ الجَوَارِج مُكَلِينَ الآية، فقال النبي على: «إذا أرسل الرجل كلبه وسمى، فأمسك عليه، فليأكل ما لم يأكل " (٢).

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن زيد بن الحباب بإسناده، عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي على ليستأذن عليه، فأذن له، فقال: قد أذنًا لك يا رسول الله، قال: أجل «ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب» قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله على فأخبرته، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته، فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله عا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ قال: فسكت رسول الله على قال: فأنزل الله عن في أَخَلُ مَاذَا أُحِل لَكُمُ الطَّيِبَاتُ وَمَا عَلَمْ مِن الْجَوَارِح مُكَلِينَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُه

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح به، وقال: صحيح، ولم يخرجاه (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي، فجاء عاصم بن عدي وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة، فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله؟ فنزلت ﴿يَسْتُلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ فُلُمُ مُّ قُلُ أُحِلَ لَكُمُ ٱلطِّيِبَكُ وَمَا عَلَمْتُ مِنَ ٱلْجَوَارِج مُكَلِّينَ﴾ (٥).

ورواه الحاكم من طريق سماك عن عكرمة (٢)، وكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية: أنه في قتل الكلاب(٧).

وقوله تعالى: ﴿مُكَلِينَ﴾ يحتمل أن يكون حالاً من الفاعل ويحتمل أن يكون حالاً من المفعول، وهو الجوارح، أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلبات للصيد، وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها، فيستدل بذلك والحالة هذه على أن الجارح إذا قتل الصيد بصدمته لا بمخلابه وظفره، أنه لا يحل له، كما هو أحد قولي الشافعي وطائفة من العلماء، ولهذا قال: ﴿فَالَونَهُنَ مِنَا عَلَمَكُمُ اللَّهُ ﴾ وهو أنه إذا أرسله استرسل، وإذا أشلاه استشلى، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه، ولا يمسكه لنفسه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُاوا مِمَّا أَمَسَكُنَ عَلَيْكُمُ وَاذَكُرُوا على الله على على صاحبه حتى يجيء إليه، ولا يمسكه لنفسه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُاوا مِمَّا أَمَسَكُنَ عَلَيْكُمُ وَاذَكُرُوا

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «ابن رافع» وهو تصحيف.

⁽٢) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف موسىٰ أيضاً.

⁽٤) المستدرك ٢/ ٣١١، وفيه عنعنة محمد بن إسحاق.

⁽٥) أخرجه الطبرى بسنده ومتنه، وفيه الحسين وهو ابن داود الملقب بسُنيد: ضعيف، وفيه إرسال عكرمة.

⁽٦) الذي رواه الحاكم من هذا الطريق غير هذا المتن إذ أورده بعد رواية ابن إسحاق مباشرة (المستدرك ٢/ ٣١١).

⁽٧) أخرجه الطبري وفيه إبهام الراوي عن محمد بن كعب، وإرسال محمد بن كعب، فسنده ضعيف.

أَسَّمُ اللَّهِ عَلَيَّةً ﴾ فمتى كانت الجارحة معلماً وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله، حل الصيد وإن قتله بالإجماع. وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة، كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله! فقال: "إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك». قلت: وإن قتلن؟ قال: "وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره» قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب؟ فقال: "إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ فلا تأكله»(١).

وفي لفظ لهما: «وإذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدركته حياً، فأذَّبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله، فإن أخذ الكلب ذكاته».

وفي رواية لهما: «فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه» فهذا دليل للجمهور، وهو الصحيح من مذهب الشافعي، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقاً، ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث، وحكي عن طائفة من السلف أنهم قالوا: لا يحرم مطلقاً.

ذكر الآثار بذلك:

قال ابن جریر: حدثنا هناد، حدثنا وکیع، عن شعبة، عن قتادة، عن سعید بن المسیب، قال: قال سلمان الفارسي: کل وإن أکل ثلثیه _ یعنی: الصید _ إذا أکل منه الکلب، وکذا رواه سعید بن أبی عروبة وعمر بن عامر عن قتادة، وکذا رواه محمد بن زید، عن سعید بن المسیب عن سلمان (۲)، ورواه ابن جریر أیضاً عن مجاهد بن موسی، عن یزید، عن حمید، عن بکر بن عبد الله المزنی، [والقاسم أن سلمان] قال: إذا أکل الکلب فکل، وإن أکل ثلثیه (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن حميد بن مالك بن خُثيم الدؤلي أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب، فقال: كل وإن لم يبق منه إلا حذية، يعني: بضعة (٥)، ورواه شعبة عن عبد ربه بن سعيد، عن بكير بن الأشج، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: كل وإن أكل ثلثيه (٢).

⁽١) تقدم عزوه في الآية السابقة عند تفسير «الموقوذة».

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ومتنه وهذه الأسانيد، وفيه سعيد بن المسيب لم يسمع من سلمان الفارسي وقد أشار الطبري إلى ذلك كما سيأتي، وحكم عليه الحافظ ابن كثير ضمن الأسانيد الثابتة في هذه الرواية كما سيأتي، وله شواهد عن ابن عمر وسعد بن أبي وقاص رفي كما سيأتي.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «القاسم بن سلمان» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وبكر والقاسم لم يسمعا من سلمان الفارسي.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق بكير والد مخرمة به (المصنف ٥/ ٣٨٥)، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويتقوىٰ بسابقه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود، عن عامر، عن أبي هريرة، قال: إذا أرسلت كلبك فأكل منه، فإن أكل ثلثيه وبقى ثلثه فكله (١).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر قال: سمعت عبد الله، وحدثنا هناد، حدثنا عبدة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن عبد الله بن عمر قال: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك، أكل أو لم يأكل $(^{(Y)})$. وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد عن نافع $(^{(Y)})$.

فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر، وهو محكي عن علي وابن عباس، واختلف فيه عن عطاء والحسن البصري، وهو قول الزهري وربيعة ومالك، وإليه ذهب الشافعي في القديم وأومىٰ إليه في الجديد.

وقد روي من طريق سلمان الفارسي مرفوعاً، فقال ابن جرير: حدثنا عمران بن بكار الكلاعي، حدثنا عبد العزيز بن موسى اللاحوني، حدثنا محمد بن دينار وهو الطاحي، عن أبي إياس معاوية بن قرة، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي، عن رسول الله على قال: «إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي» ثم قال ابن جرير: وفي إسناد هذا الحديث نظر، وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان، والثقات يروونه من كلام سلمان غير مرفوع (٤). وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح، لكن قد روي هذا المعنى مرفوعاً من وجوه أخر، فقال أبو داود: حدثنا محمد بن المنهال الضرير، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن أعرابياً يقال له: أبو ثعلبة قال: يا رسول الله، إن لي كلاباً مُكلّبة، فأفتني في صيدها، فقال النبي ﷺ: «إن كان لك كلاب مُكلّبة، فكل مما أمسكن عليك» فقال: ذكياً وغير ذكي، وإن أكل منه؟ قال: «نعم، وإن أكل منه» فقال: يا رسول الله أفتني في قوسي، قال: «كل ما ردت عليك قوسك» قال: ذكياً وغير ذكى؟ «وإن تغيب عنك ما لم يضل أو تجد فيه أثر غير سهمك» قال: أفتني في آنية المجوس إذا اضطررنا إليها، قال: «اغسلها وكل فيها» (٥). هكذا رواه أبو داود، وقد أخرجه النسائي، وكذا رواه أبو داود من طريق يونس بن سيف، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ثعلبة، قال: قال رسول الله علية: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه، وكل ما ردت عليك يدك»(٦) وهذان إسنادان جيدان.

وقد روى الثوري عن سماك بن حرب، عن عدي قال: قال رسول الله عليه: «ما كان من كلب

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقد حكم عليه الحافظ ابن كثير بأنه من الأسانيد الثابتة، كما سيأتي بعد الرواية التالية.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق عن نافع به (المصنف رقم ٨٥١٦)، وسنده صحيح.

⁽٣) كلا الروايتين في الطبري بمسندين صحيحين.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وتعليقه، وقد أورد الحافظ ابن كثير التعليق باختصار، وهو تعليق نفيس جدير بإيراده كله.

⁽٥) و(٦) تقدم تخريجهما في الآية السابقة.

ضار أمسك عليك فكل» قلت: وإن أكل؟ قال: «نعم»(١).

وروى عبد الملك بن حبيب: حدثنا أسد بن موسى عن ابن أبي زائدة، عن الشعبي، عن عدي بمثله (۲).

فهذه آثار دالة على أنه يغتفر، وإن أكل منه الكلب، وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه، كما تقدم عمن حكيناه عنهم، وقد توسط آخرون فقالوا: إن أكل عقب ما أمسكه فإنه يحرم لحديث عدي بن حاتم، وللعلة التي أشار إليها النبي على: «فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه» وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه وجاع فأكل منه لجوعه، فإنه لا يؤثر في التحريم وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني. وهذا تفريق حسن، وجمع بين الحديثين صحيح.

وقد تمنى الأستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه «النهاية» أن لو فصل مفصل هذا التفصيل وقد حقق الله أمنيته، وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب منهم (٣).

وقال آخرون قولاً رابعاً في المسألة وهو التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم لأنه لا يقبل التعليم إلا بالأكل.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا أبو إسحاق الشيباني، عن حماد، عن إبراهيم، عن ابن عباس أنه قال في الطير: إذا أرسلته فقتل فكل، فإن الكلب إذا ضربته لم يعد وإن تعلم الطير أن يرجع إلى صاحبه وليس يضرب، فإذا أكل من الصيد ونتف الريش فكل⁽¹⁾. وكذا قال إبراهيم النخعي والشعبي وحماد بن أبي سليمان⁽⁰⁾، وقد يحتج لهؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم، حدثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، قال: قلت: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، فما يحل لنا منها؟ قال: «يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال ما أرسلت من كلب وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك» قلت: وإن قتل؟ قال: «وإن قتل ما لم يأكل» قلت: يا رسول الله، وإن خالطت كلابنا كلاباً غيرها؟ قال: «فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك». قال: قلت: إنا قوم نرمي كلاباً غيرها؟ قال: «ما ذكرت اسم الله عليه وخزقت فكل»⁽¹⁾. فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في المناح أن لا يأكل، ولم يشترط ذلك في البزاة، فدل على التفرقة بينهما في الحكم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمَسَكُنَ عَلَيْكُمْ وَاذَّكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيَّهِ ﴾ أي: عند إرساله كما قال النبي ﷺ

⁽١) في سنده سماك بن حرب لم يسمع من عَدي، ولكنه توبع في الرواية التالية الصحيحة فيكون سنده حسناً لغيره.

⁽٢) أخرجه البخاري من طريق زكريا بن أبي زائدة به (الصحيح، الذبائح والصيد، باب التسمية على الصيد ح٧٥).

⁽٣) في الأصل: بياض مقدار نصف سطر، وفي (مح) بياض مقدار سطر.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه إبراهيم النخعي لم يسمع من ابن عباس.

٥) أخرج الطبري عنهم ثلاثتهم بأسانيد صحاح عنهم.

⁽٦) في سنده مجالد وهو ابن سعيد الهمداني، ليس بالقوي (التقريب ص٥٢١).

لعدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله، فكل ما أمسك عليك»، وفي حديث أبي ثعلبة المخرج في الصحيحين أيضاً: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله»(۱). ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كالإمام أحمد كَلْلُهُ في المشهور عنه، التسمية عند إرسال الكلب، والرمي بالسهم، لهذه الآية وهذا الحديث، وهذا القول هو المشهور عن الجمهور أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال كما قال السدي وغيره (۲).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ اَسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ يقول: إذا أرسلت جارحك فقل: باسم الله، وإن نسيت فلا حرج (٣). وقال بعض الناس: المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله على علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال: «سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» (٤).

وفي صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا: يا رسول الله، إن قوماً يأتوننا حديث عهدهم بكفر بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال: «سموا الله أنتم وكلوا»(٥).

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا هشام، عن بُديل، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عائشة: أن رسول الله على كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال النبي على: «أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله، فليقل: باسم الله أوله وآخره» (٢٠) وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون به (٧)، وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن عمير وعائشة فإنه لم يسمع منها هذا الحديث بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، أخبرنا هشام _ يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي _، عن بُديل، عن عبد الله بن عبيد بن عمير: أن امرأة منهم يقال لها أم كلثوم حدثته عن عائشة أن رسول الله على كان يأكل طعاماً في ستة نفر من أصحابه، فجاء أعرابي جائع فأكله بلقمتين، فقال: «أما إنه لو ذكر اسم الله أوله لكفاكم، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي اسم الله في أوله، فليقل: باسم الله أوله لكفاكم، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي اسم الله في أوله، فليقل: باسم الله أوله وآخره» (٨) رواه أحمد أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي به،

⁽١) تقدم تخريجهما في الآية السابقة.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) صحيح البخاري، الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (ح٥٣٧٦)، وصحيح مسلم، الأشربة، باب آداب الطعام والشراب (ح٢٠٢٠).

⁽٥) صحيح البخاري، الذبائح والصيد، باب ذبيحة الأعراب ونحوهم (ح٥٠٧).

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/١٤٣)، وسنده ضعيف للانقطاع الذي ذكره الحافظ ابن كثير، ويتقوىٰ بلاحقه.

⁽٧) سنن ابن ماجه، الأطعمة، باب في التسمية عند الطعام (ح٣٢٦٤).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٦٥)، وأخرجه الترمذي (السنن، الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام (ح١٨٥٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٨٥٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٠٨/٤).

وقال الترمذي: حسن صحيح (١).

(حديث آخر) وقال أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا جابر بن صبح، حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وصحبته إلى واسط، فكان يسمي في أول طعامه، وفي آخر لقمة يقول: باسم الله أوله وآخره، فقلت له: إنك تسمي في أول ما تأكل، أرأيت قولك في آخر ما تأكل باسم الله أوله وآخره، فقال: أخبرك أن جدي أمية بن مخشي وكان من أصحاب النبي على سمعته يقول: إن رجلاً كان يأكل والنبي ينظر فلم يسم حتى كان آخر طعامه لقمة، قال: باسم الله أوله وآخره، فقال النبي على «والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمى، فلم يبق شيء في بطنه حتى قاءه»(٢) وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسبي بشر البصري(٣)، ووثقه ابن معين والنسائي، وقال أبو الفتح الأزدي: لا تقوم به حجة.

(حديث آخر) [قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن أبي حذيفة] - قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد واسمه سلمة بن الهيثم بن صهيب من أصحاب ابن مسعود ـ عن حذيفة، قال: كنا إذا حضرنا مع النبي على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده، وإنا حضرنا معه طعاماً، فجاءت جارية كأنما تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله على بيدها، وجاء أعرابي كأنما يدفع فذهب يضع يده في الطعام فأخذ رسول الله بيده، فقال رسول الله على: "إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما» يعني: الشيطان أن وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي، من حديث الأعمش به.

(حديث آخر) روى مسلم وأهل السنن، إلا الترمذي من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبي على قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء» لفظ أبي داود (٢).

⁽١) المصدر السابق والمسند ٦/٢٠٧، ٢٠٨.

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وضعفه محققوه لجهالة المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي (المسند ٣٩٦/٣١).

 ⁽٣) سنن أبي داود، الأطعمة، باب التسمية على الطعام (ح٣٧٦٨)، والسنن الكبرى للنسائي، الوليمة، باب ما يقول إذا نسي التسمية (ح١٠١١٣)، ومسند كسابقه.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٨٢)، وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق الأعمش به (الصحيح، الأشربة باب آداب الطعام والشراب ح٢٠١٧).

⁽٦) صحيح مسلم، الأشربة، باب آداب الطعام (ح٢٠١٨)، وسنن أبي داود، الأطعمة، باب التسمية على الطعام (ح٣٧٦٥)، والسنن الكبرى للنسائي (ح٣٧٥٠)، وسنن ابن ماجه، الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته (ح٣٨٨٧).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا الوليد بن مسلم، عن وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جده، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إنا نأكل ولا نشبع. قال: «فلعلكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه» ورواه أبو داود، وابن ماجه، من طريق الوليد بن مسلم (۱).

﴿ اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ حِلُّ لَكُّرَ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَمُثَمَّ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتُ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ مِنْهُ وَهُو فِي الْآخِزَةِ مِنَ الْمُسْرِانَ اللَّهِ مَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُو فِي الْآخِزَةِ مِنَ الْمُسْرِانَ اللَّهِ .

لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين، من الخبائث وما أحله لهم من الطيبات. قال بعده ﴿ آلَيْوَمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِبَتُ ﴾ ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين، من اليهود والنصارى فقال: ﴿ وَطَعَامُ اللَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَبَ حِلُّ لَكُرُ ﴾ قال ابن عباس، وأبو أمامة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والحسن، ومكحول، وإبراهيم النخعي، والسدي ومقاتل بن حيان: يعني ذبائحهم (٢٠).

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه، تعالى وتقدس.

وقد ثبت في الصحيح: عن عبد الله بن مغفل، قال: أدلي بجراب من شحم يوم خيبر فحضنته وقلت: لا أعطي اليوم من هذا أحداً، والتفت فإذا النبي ﷺ يبتسم (٣).

فاستدل به الفقهاء، على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنيمة، قبل القسمة، وهذا ظاهر، واستدل به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة، على أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم، كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم، فالمالكية لا يجوزون للمسلمين أكله، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَبَ حِلٌّ لَكُرُ وَالوا: وهذا ليس من طعامهم، واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث، وفي ذلك نظر، لأنه قضية عين، ويحتمل أن يكون شحماً، يعتقدون حله كشحم الظهر والحوايا ونحوهما، والله أعلم، وأجود منه في الدلالة، ما ثبت في الصحيح، أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله عليه شاة مصلية، وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع، فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم فلفظه، وأثر ذلك في ثنايا

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٥/ ٤٨٥ ح١٦٠٧)، وحسنه محققوه بالشواهد، وأخرجه أبو داود (السنن، الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام ح٢٦٤)، وابن ماجه (السنن، الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام ح٣٦٦)، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم به، وحسنه العراقي (تخريج إحياء علوم الدين ٢/٥)، وقال الساعاتي: إسناده جيد (الفتح الرباني ٨٥/١٧)، وأخرجه ابن حبان من الطريق نفسه (الإحسان ح٢٢٤).

⁽٢) قول ابن عباس أخرجه عبد الرزاق من طريق الثوري عن عاصم الأحول عن عكرمة عنه (المصنف رقم ٨٥٨٣)، وسنده حسن، وقول عطاء والحسن البصري وعكرمة أخرَجه الطبري بأسانيد ثابتة.

 ⁽٣) صحيح البخاري، الذبائح والصيد، باب ذبائح أهل الكتاب (ح٥٠٨)، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب (ح١٧٧٢).

• سُؤُرُةُ إِلَىٰ إِنَالَةِ (٥)

رسول الله على وفي أبهره، وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتل اليهودية التي سمتها (١)، وكان اسمها زينب، ووجه الدلالة منه أنه عزم على أكلها ومن معه، ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا.

وفي الحديث الآخر: أن رسول الله ﷺ، أضافه يهودي، على خبز شعير وإهالة سَنِخَة (٢)(٣)، يعني: وَدكاً [زنخاً] (٤) [يعني متغيراً] (٥).

وقال ابن أبي حاتم: قرئ على العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرنا محمد بن شعيب، أخبرني النعمان بن المنذر، عن مكحول قال: أنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَمْ يُذَكّر اسّمُ اللّهِ عَلَيْهِ الأنعام: [١٢١] ثم نسخه الرب على ورحم المسلمين فقال: ﴿ الّيُومَ أُجِل لَكُمُ الطّيِبَتُ وَطَعَامُ الّذِينَ أُونُوا الْكِتَبِ فنسخها بذلك، وأحل طعام أهل الكتاب (٢٠). وفي هذا الذي قاله مكحول كَلْلهُ نظر، فإنه لا يلزم من إباحته طعام أهل الكتاب، إباحة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم وقرابينهم، وهم متعبدون بذلك، ولهذا لم يبح ذبائح من عداهم من أهل الشرك، ومن شابههم، لأنهم لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم، بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة، بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن يتمسك بدين إبراهيم وشيث وغيرهما من الأنبياء، على أحد قولي العلماء ونصارى العرب، كبني تغلب وتنوخ [وبهراً] (٧) وجذام ولخم وعاملة ومن أشبههم، لا تؤكل ذبائحهم عند الجمهور.

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن محمد عن عبيدة، قال: قال علي: لا تأكلوا ذبائح بني تغلب، لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر (^)، وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف.

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب والحسن، أنهما كانا لا يريان بأساً، بذبيحة نصارى بني تغلب (٩).

وأما المجوس، فإنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعاً وإلحاقاً لأهل الكتاب، فإنهم لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، خلافاً لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل. ولما قال ذلك واشتهر عنه، أنكر عليه الفقهاء ذلك، حتى قال عنه الإمام أحمد: أبو ثور كاسمه، يعني في هذه المسألة، وكأنه تمسك بعموم حديث روي مرسلاً

١) صحيح البخاري، الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفىٰ عنهم؟ (ح٣١٦٩).

⁽٢) إهالة سَنِخَة: كل شيء من الأدهان مما يؤتدم به (النهاية ١/ ٨٤).

 ⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم (المسند ٢١/ ٣٤٤).

⁽٤) كَذَا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «زنخانة» وهو تصحيف.

⁽٥) زيادة من (مح).

⁽٦) سنده ضعیف مرسل.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «نمرا».

⁽٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح سنده الحافظ ابن حجر (الفتح ٩/ ٦٣٧).

⁽٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة به.

عن النبي ﷺ أنه قال: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب"() ولكن لم يثبت بهذا اللفظ، وإنما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ، أخذ الجزية من مجوس هجر(٢)، ولو سلم صحة هذا الحديث، فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ حِلِّ لَكُرُ ﴾ فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الأديان، لا يحل.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلْ لَمُمْ اِن اللهِ وَلِيهِ اللهِ وَلِيهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وقوله: ﴿وَاللّمُعْمَنَتُ مِنَ اللّوِّمِنَتِ ﴾ أي: وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات، وذكر هذا توطئة لما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْحُصَيْتُ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِيْنَ مِن قَبِّلِكُم ﴾ فقيل أراد بالمحصنات الحرائر، دون الإماء، حكاه ابن جرير عن مجاهد (١)، وإنما قال مجاهد: المحصنات الحرائر، فيحتمل أن يكون أراد بالحرة العفيفة، كما قال في الرواية الأخرى عنه، وهو قول الجمهور ههنا، وهو الأشبه، لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية، وهي مع ذلك غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية ويتحصل زوجها على ما قبل في الممثل: «حشفاً وسوء كيلة» والظاهر من الآية أن المراد من المحصنات العفيفات عن الزنا، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿عُمِّمَنَكِ عَيْرٌ مُسْفِحَتٍ وَلا مُنْخِذَاتٍ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء: ٢٥] ثم الحتلف المفسرون والعلماء في قوله تعالى: ﴿وَالْحُصَيْتُ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبُ مِن قَبِكُمْ هل يعم كل كتابية عفيفة، سواء كانت حرة أو أمة، حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف، ممن فسر المحصنة بالعفيفة، وقيل: المراد بأهل الكتاب ههنا الإسرائيليات، وهو مذهب الشافعي. وقيل: المراد بأهل الكتاب ههنا الإسرائيليات، وهو مذهب الشافعي. وقيل: المراد بأهل الكتاب همنا لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركا التوبة: ٢٥]، وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركا التوبة: ٢٩]، وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركا التوبة به ٢٤]، وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركا

⁽١) أخرجه الإمام مالك من طريق جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن عمر، (الموطأ، الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس ح٤٢)، وسنده ضعيف لأن محمد بن علي لم يسمع من عمر.

⁽٢) صحيح البخاري، الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (ح٣١٥٧).

 ⁽٣) أخرجه الشيخان صحيح البخاري، الجنائز، باب الكفن في القميص... (-١٢٦٩)، وصحيح مسلم،
 صفات المنافقين (-٢٧٧٤).

⁽٤) صحيح البخاري، الجهاد، باب الكسوة للأسارى (ح٣٠٠٨).

⁽٥) أخرجه أبو داود (السنن، الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ح٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٤٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٢٨/٤).

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

• سِيُوَكُو لِلْ اللَّهِ (٥)

[أعظم]^(١) من أن تقول: إن ربها عيسى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا نَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾^(٢). الآية [البقرة: ٢٢١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب، حدثنا القاسم بن مالك _ يعني: المزني _، حدثنا إسماعيل بن سميع، عن أبي مالك الغفاري، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا نَنكِمُوا ٱلْمُشْرِكَتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ قال: فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها ﴿وَٱلْخُصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَبَ مِن قَبَلِكُمُ ﴾ فنكح الناس نساء أهل الكتاب (٣).

وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة ﴿وَالْمُعْصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة ﴿وَلَا نَسَمُ رِكَتِ حَتَى يُؤْمِنَ ﴾ إن قيل: بدخول الكتابيات في عمومها، وإلا فلا معارضة بينها وبينها، لأن أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع كقوله تعالى: ﴿لَهُ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنقِكِينَ مَنقَكِينَ حَتَى تَأْنِيهُمُ الْبَيْنَةُ ﴿ البينة وكقوله: ﴿وَقُل لِلّذِينَ الْمَالِكَةُ مَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ عمران: ١٠].

وقوله: ﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن؛ أي: كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس، وقد أفتى جابر بن عبد الله وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري، بأن الرجل إذا نكح امرأة فزنت قبل دخوله بها أنه يفرق بينهما، وترد عليه ما بذل لها من المهر، رواه ابن جرير عنهم (٤).

وقوله: ﴿ عُصِينِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلاَ مُتَخِذِى آخُدَانِ ﴾ فكما شرط الإحصان في النساء، وهي العفة عن الزنا، كذلك شرطها في الرجال، وهو أن يكون الرجل أيضاً محصناً عفيفاً، ولهذا قال: غير مسافحين، وهم الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية ولا يردون أنفسهم عمن جاءهم، ﴿ وَلا مُتَخِذِى آخُدَانُ ﴾ أي: ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن، كما تقدم في سورة النساء سواء، ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل كَلُهُ إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب، وما دامت كذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا لهذه الآية وللحديث «لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله» (٥٠).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال، عن قتادة، عن الحسن، قال: قال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن لا أدع أحداً أصاب فاحشة في

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٢) صحيح البخاري، الطلاق، بأب قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنكِمُوا ٱلْمُشْرِكَتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ . . . ﴾ [البقرة: ٢٢١] (-٥٢٨٥).

⁽٣) سنده مرسل لأن أبا مالك الغفاري تابعي. (٤) رواه عنهم بأسانيد صحاح عنهم أربعتهم.

⁽٥) أخرجه أبو داود بسند حسن من طريق عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة (السنن، النكاح، باب في قوله تعالى: ﴿الزَّانِ لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣] ح٢٠٥٢) وصححه الألبائي في صحيح سنن أبي داود (ح١٦٠٧)، وأخرجه الحاكم من الطريق نفسه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٦٦٢).

الإسلام أن يتزوج محصنة، فقال له أبي بن كعب: يا أمير المؤمنين، الشرك أعظم من ذلك، وقد يقبل منه إذا تاب^(۱). وسيأتي الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله: ﴿الزَّانِ لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِ أَوْ مُشْرِكُ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾ [النور]، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وَمَن يَكُفُرُ بِٱلْإِيمَنِ فَقَدْ حَبِط عَمَلُمُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ﴾.

قال كثيرون من السلف في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ﴾ يعني: وأنتم محدثون، وقال آخرون: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة، وكلاهما قريب. وقال آخرون: بل المعنى أعم من ذلك، فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن هو في حق المحدث واجب، وفي حق المتطهر ندب، وقد قيل: إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجباً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان النبي على يتوضأ عند كل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: يا رسول الله، إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله. قال: «إني عمداً فعلته يا عمر» (٢). وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، ووقع في سنن ابن ماجه عن سفيان، عن محارب بن دثار بدل علقمة بن مرثد، كلاهما عن سليمان بن بريدة به، وقال الترمذي: حسن صحيح (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى، أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي، حدثنا الفضل بن المبشر قال: رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد، فإذا بال أو أحدث، توضأ ومسح بفضل طهوره الخفين، فقلت: أبا عبد الله، أشيء تصنعه برأيك؟ قال: بل رأيت النبي على يصنعه، فأنا أصنعه كما رأيت رسول الله يصنعه (3).

وكذا رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن توبة، عن زياد البكائي به (٥٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن الحسن لم يسمع من عمر ﷺ.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣٥٨)، وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح مسلم، الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد (ح٢٧٧)، وسنن الترمذي، الطهارة، باب الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد (ح١٧٢).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ضعفه البوصيري بسبب الفضل بن مبشر (مصباح الزجاجة ٢٠٢/١)، ويشهد له سابقه.

⁽٥) سنن ابن ماجه، الطهارة، باب الوضوء لكل صلاة... (ح٥١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٤١٣)، ولعله صححه بالشاهد المتقدم.

وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: أرأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، عمن هو؟ قال: حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حظلة بن الغسيل، حدثها أن رسول الله على كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث، فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك كان يفعله حتى مات (١٠). وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الحمصي، عن أحمد بن خالد الوهبي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عبيد الله بن عمر (٢): يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد، وأياً ما كان، فهو إسناد صحيح، فقال عبيد الله بن عمر (٢): يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد، وأياً ما كان، فهو إسناد صحيح، وقد صرح ابن إسحاق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان، فزال محذور التدليس، لكن قال الحافظ ابن عساكر: رواه سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن محمد بن يحيى بن حبان به، والله أعلم، وفي فعل ابن عمر محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن محمد بن يحيى بن حبان به، والله أعلم، وفي فعل ابن عمر مدا ومداومته على إسباغ الوضوء لكل صلاة دلالة على استحباب ذلك، كما هو مذهب الجمهور.

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، حدثنا [أزهر، عن ابن عون] عن ابن عون] ابن عن ابن عون] ابن سيرين: أن الخلفاء كانوا يتوضؤون لكل صلاة (٤٠٠).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت مسعود بن علي الشيباني، سمعت عكرمة يقول: كان علي في المهاه عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية ﴿ يَتَأَيُّهُ الَّذِينَ عَامَنُوا إِذَا قُمَتُمْ إِلَى الصَّكَلَوةِ ﴾ الآية (٥٠).

وحدثنا ابن المثنى، حدثني وهب بن جرير، أخبرنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال بن سبرة قال: رأيت علياً صلى الظهر ثم قعد للناس في الرحبة، ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه، ثم مسح برأسه ورجليه، وقال: هذا وضوء من لم يحدث (٥).

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: أن علياً اكتال من حب، فتوضأ وضوءاً فيه تجوز، فقال: هذا وضوء من لم يحدث (٥). وهذه طرق جيدة عن علي يقوي بعضها بعضاً.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن حُميد، عن أنس، قال: توضأ عمر بن الخطاب وضوءاً فيه تجوز خفيفاً، فقال: هذا وضوء من لم يحدث^(٢). وهذا إسناد صحيح.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٢٢٥)، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٢) سنن أبي داود، الطهارة، باب السواك (ح٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٨).

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «أزهر بن عون» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن ابن عون به (المصنف ٢/ ٤٣)، وسنده صحح.

⁽٥) هذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيدها ومتونها، وحكم عليها الحافظ ابن كثير بأنها طرق جيدة.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير.

وقال محمد بن سيرين: كان الخلفاء يتوضؤون لكل صلاة، وأما ما رواه أبو داود الطيالسي عن أبي هلال، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، أنه قال: الوضوء من غير حدث اعتداء (۱)، فهو غريب عن سعيد بن المسيب، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد، وأما مشروعيته استحباباً فقد دلّت السنة على ذلك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن عمرو بن عامر الأنصاري، سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي على يتوضأ عند كل صلاة، قال: قلت: فأنتم كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم نحدث (٢).

وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو بن عامر به $^{(7)}$.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو سعيد البغدادي، حدثنا إسحاق بن منصور، عن هريم، عن عبد الرحمن بن زياد _ هو: الأفريقي _، عن أبي غطيف، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله على «من توضأ على طهر، كتب له عشر حسنات» ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس عن الأفريقي، عن أبي غطيف، عن ابن عمر، فذكره (٤)، وفيه قصة. وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، من حديث الأفريقي به نحوه. وقال الترمذي: وهو إسناد ضعيف (٥).

وقال ابن جرير: وقد قال قوم: إن هذه الآية نزلت إعلاماً من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، وذلك لأنه على كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ.

حدثنا أبو كريب، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن جابر، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عبد الله بن علقمة بن وقاص، عن أبيه، قال: كان رسول الله عليه إذا أراق البول نكلمه ولا يكلمنا، ونسلم عليه فلا يرد علينا، حتى نزلت آية الرخصة ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوةِ ﴾ الآية (٦)، ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم، عن أبي كريب به نحوه، وهو حديث غريب جداً، وجابر هذا هو ابن زيد الجعفى ضعفوه.

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله على خرج من الخلاء فقدم إليه طعام، فقالوا: ألا نأتيك

⁽۱) أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن أبي هلال عن قتادة به (المصنف ۲/۱)، وسنده حسن. وأبو هلال هو محمد بن سليم.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٣٢)، وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح البخاري، الطهارة، باب الوضوء من غير حدث (ح٢١٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنديه ومتنه، وسنده ضعيف كما نقل الحافظ ابن كثير، بسبب ضعف عبد الرحمن بن زياد الأفريقي.

⁽٥) سنن أبي داود، الطهارة، باب الرجل يجدد الوضوء، من غير حدث (ح٦٢)، وسنن الترمذي، الطهارة، باب الوضوء على الطهارة (ح٥١٢)، وسنده باب الوضوء على الطهارة (ح٥١٢)، وسنده كسابقه.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه جابر وهو ابن زيد الجعفي ضعيف (مجمع الزوائد ١/ ٢٨١).

• سِيُوْلِقُ لِلسَّالِينَةِ (٦)

بوضوء؟ فقال: «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة»(١) وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، والنسائي عن زياد بن أيوب، عن إسماعيل _ وهو ابن علية _ به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن(٢).

وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن الحويرث، عن ابن عباس قال: كنا عند النبي على فأتى الخلاء ثم إنه رجع فأتي بطعام، فقيل: يا رسول الله ألا تتوضأ؟ فقال: «لم أصل فأتوضأ» (٣).

وقوله: ﴿فَأَغْسِلُواْ وُجُوهَكُمُ على وجوب النية في الوضوء ، لأن تقدير الكلام ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوَةِ فَأَغْسِلُواْ وُجُوهَكُمُ على وجوب النية في الوضوء ، لأن تقدير الكلام ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوَةِ فَأَغْسِلُواْ وُجُوهَكُمُ لها كما تقول العرب: إذا رأيت الأمير فقم ، أي له . وقد ثبت في الصحيحين حديث «الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (ئ) ، ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه ، لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة ، عن النبي أنه قال: قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه (٥) ، ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء قال: ويتأكد ذلك عند القيام من النوم ، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً ، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده (٢) وحد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس، ولا اعتبار بالصلع ولا بالغَمَم إلى منتهى اللحيين والذقن طولاً ، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً وفي النزعتين (٢) والتحذيف (٨) خلاف: هل هما من الرأس أو الوجه؟ وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض ، قولان:

(أحدهما): أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع به المواجهة.

وروى في حديث أن النبي ﷺ رأى رجلاً مغطياً لحيته فقال: «اكشفها فإن اللحية من الوجه» (٩)

⁽۱) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأطعمة، باب غسل اليدين عند الطعام ح٣٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣١٩٧)، وحسنه البغوي (شرح السنة ١١/٢٨٣).

⁽٢) سنن الترمذي، الأطعمة، باب في ترك الوضوء قبل الطعام (ح١٨٤٧) وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي، الطهارة باب الوضوء لكل صلاة (١/٥٥).

⁽٣) صحيح مسلم، الحيض، باب جواز أكل المحدث الطعام ح٣٧٤.

⁽٤) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (ح١) وصحيح مسلم، الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية (ح١٩٠٧).

⁽٥) حسن بمجموع طرقه (ينظر: التلخيص الحبير ١/٨٦، وإرواء الغليل ح٨١)، ولهذا ذكر الحافظ ابن كثير أنه روي من طرق جيدة.

⁽٦) صحيح البخاري، الوضوء، باب الاستجمار وتراً (ح١٦٢)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب كراهية غمس المتوضئ وغيره... (ح٢٧٨).

⁽٧) النزعتان: جانباً الجبهة (ينظر: المصباح المنير ٢٦٨/٢).

⁽A) التحذيف: ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه، وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه (المصباح المنير ١/

⁽٩) ضعفه الحافظ ابن حجر (التلخيص الحبير ١/٦٨).

وقال مجاهد: هي من الوجه، ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام: إذا نبتت لحيته طلع وجهه، ويستحب للمتوضئ أن يخلل لحيته إذا كانت كثيفة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل، عن عامر بن شقيق بن جمرة، عن أبي وائل، قال: رأيت عثمان يتوضأ، فذكر الحديث، قال: وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه، ثم قال: رأيت رسول الله على فعل الذي رأيتموني فعلت (۱۱)، رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرزاق، وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه البخاري (۲).

قال أبو داود: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا أبو المليح، حدثنا [الوليد بن زوران] عن أنس بن مالك أن رسول الله على كان إذا توضأ، أخذ كفا من ماء فأدخله تحت حنكه يخلل به لحيته، وقال: «هكذا أمرني به ربي على الله تفرد به أبو داود، وقد روي هذا الوجه من غير وجه عن أنس، قال البيهقي: وروينا في تخليل اللحية عن عمار وعائشة وأم سلمة، عن النبي على عن على وغيره، وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي، ثم عن النجعي وجماعة من التابعين (٥).

وقد ثبت عن النبي على من غير وجه في الصحاح وغيرها أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق، فاختلف الأئمة في ذلك هل هما واجبان في الوضوء والغسل كما هو مذهب أحمد بن حنبل كلك أو مستحبان فيهما كما هو مذهب الشافعي ومالك، لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن، وصححه ابن خزيمة عن رفاعة بن رافع الزرقي أن النبي على قال للمسيء صلاته: «توضأ كما أمرك الله» أو يجبان في الغسل دون الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة، أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الإمام أحمد، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله على قال: «من توضأ فليستنثر» وفي رواية: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم لينتثر» والانتثار: هو المبالغة في الاستنشاق.

⁽۱) أخرجه الحاكم من طريق الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن عامر بن شفيق ضعفه ابن معين (المستدرك ١/٥٤)، وصححه غيره كما يلي:

⁽٢) سنن الترمذي، الطهارة، باب ما جاء في تخليل اللحية (ح٣١)، وسنن ابن ماجه، الطهارة، باب ما جاء في تخليل اللحية (ح٤٣٠).

 ⁽٣) كذا في (مح) وسنن أبي داود، وفي الأصل و(حم): «الوليد بن وردان» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الطهارة، باب تخليل اللحية ح١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٢)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٤٩/١)، وصححه ابن القطان وابن الملقن البدر المنير ٣/٣٥).

⁽٥) السنن الكبرى ١/٥٥.

⁽٦) سنن أبي داود، الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع (ح٨٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٧٦٧)، وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح (ح٥٤٥)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/١٤١).

⁽٧) صحيح البخاري، الوضوء، باب الاستنثار في الوضوء (ح١٦١)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب الإيتار في الاستنشار(-٢٣٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن [يسار]^(۱)، عن ابن عباس أنه توضأ فغسل وجهه، أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر، ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا، يعني أضافها إلى يده الأخرى، فغسل بها وجهه، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مسح أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مساح رأسه، ثم أخذ غرفة من ماء ثم رش على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجله اليمنى عن غسلها، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجله اليسرى، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله على يعني يتوضأ^(۲). ورواه البخاري عن محمد بن عبد الرحيم، عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزاعي به^(۳).

ويستحب للمتوضئ أن يشرع في العضد فيغسله مع ذراعيه لما روى البخاري ومسلم من حديث نعيم المُجمِر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً مُحجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»(٥).

وفي صحيح مسلم عن قتادة عن، خلف بن خليفة، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» (٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ اختلفوا في هذه الباء: هل هي للإلصاق؟ وهو الأظهر، أو للتبعيض؟ وفيه نظر، على قولين. ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة.

وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو: جد عمرو بن يحيى - وكان من أصحاب النبي على العبد الله بن زيد: نعم. فدعا بوضوء تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله على يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم. فدعا بوضوء فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب

⁽١) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «بشار» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٢٦٨)، وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح البخاري، الوضوء، باب غسل الوجه واليدين في غرفة واحدة (ح١٤٠).

⁽٤) سنن الدارقطني ٨٣/١، والسنن الكبرى ٨٦/١، وضعّفه الحافظ ابن حجر وذكر له شواهد يقوي بعضها بعضاً (الفتح ١/ ٢٩٢) وصححه الألباني بشواهده (السلسلة الصحيحة ح٢٠٦٧).

 ⁽٥) صحيح البخاري، الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور (-١٣٦)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة... (-٢٤٦).

⁽٦) صحيح مسلم، الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء (ح٠٥٠).

بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه (۱). وفي حديث [عبد خير] عن علي في صفة وضوء رسول الله على نحو هذا (۳)، وروى أبو داود عن معاوية والمقداد بن معديكرب في صفة وضوء رسول الله على مثله (٤)، ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس، كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل لا سيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن.

وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ربع الرأس، وهو مقدار الناصية، وذهب أصحابنا إلى أنه إنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ولا يقدر ذلك بحد، بل لو مسح بعض شعرة من رأسه أجزأه، واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال: تخلف النبي في فتخلفت معه، فلما قضى حاجته قال: هل معك ماء؟ فأتيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة، فأخرج يديه من تحت الجبة، وألقى الجبة على منكبيه، فغسل ذراعيه ومسح بناصيته، وعلى العمامة وعلى خفيه، وذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم (٥) وغيره، فقال لهم أصحاب الإمام أحمد: إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة، ونحن نقول بذلك وأنه يقع عن الموقع، كما وردت بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين، فهذا أولى، وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل على العمامة، والله أعلم.

ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثاً، كما هو المشهور من مذهب الشافعي، أو يستحب مسحة واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين:

فقال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن حمران بن أبان، قال: رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً، فغسلهما ثم تمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً، ثم اليسرى ثلاثاً مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله على توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري به نحو هذا (٧).

⁽۱) صحيح البخاري، الوضوء، باب مسح الرأس كله (ح١٨٥)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب في وضوء النبي ﷺ (ح٢٣٥).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وسنن أبي داود، وفي الأصل: «عبد حسين» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في (المسند ١١٠١).

⁽٤) أخرجه أبو داود (السنن، الطهارة، صفة وضوء النبي ﷺ ح١٢٤)، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ح١١٥).

⁽٥) صحيح مسلم، الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة (ح٢٧٤).

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف رقم ١٣٩)، وسنده صحيح.

⁽٧) صحيح البخاري، الصيام، باب السواك الرطب واليابس للصائم (ح١٩٣٤)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب صفة الوضوء (ح٢٢٦).

• سِيُوَكُوُ لِلسَّائِلَةِ (٦)

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا عبد الرحمن بن وردان، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، حدثني حمران قال: رأيت عثمان بن عفان توضأ فذكر نحوه، ولم يذكر المضمضة والاستنشاق، قال فيه: ثم مسح رأسه ثلاثاً، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثم قال: رأيت رسول الله على توضأ هكذا، وقال: «من توضأ دون هذا كفاه»(٤) تفرد به أبو داود. ثم قال: وأحاديث عثمان في الصحاح تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكُعْبَيْنَ﴾ قرئ وأرجلكم بالنصب عطفاً على فاغسلوا وجوهكم وأيديكم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو سلمة، حدثنا وهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قرأها وأرجلكم، يقول: رجعت إلى الغسل(٥).

وروي عن عبد الله بن مسعود وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وإبراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وإبراهيم التيمي نحو ذلك^(١). وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل، كما قاله السلف.

ومن ههنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافاً لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب، بل لو غسل قدميه، ثم مسح رأسه، وغسل يديه، ثم وجهه، أجزأه ذلك، لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء، والواو لا تدل على الترتيب، وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقاً، فمنهم من قال: الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة، لأنه مأمور به بفاء التعقيب وهي مقتضية للترتيب، ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً، ثم لا يجب الترتيب بعده، بل القائل اثنان:

أحدهما: بوجوب الترتيب كما هو واقع في الآية.

والآخر يقول: لا يجب الترتيب مطلقاً، والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء، فوجب الترتيب فيما بعده بالإجماع حيث لا فارق.

⁽١) السنن، الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ (ح١٠٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٩٩).

⁽٢) و(٣) تقدم تخريجه في تفسير هذه الآية.

⁽٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الطهارة، باب صفة وضوء النبي على ح١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٩٨).

⁽٥) سنده صحيح.

⁽٦) قول ابن مسعود أخرجه الطبري بسند حسن من طريق زِّر عنه، وقول عروة أخرجه الطحاوي بسند حسن من طريق هشام بن عروة عن أبيه (شرح معاني الآثار ٤٠/١)، وقول عطاء أخرجه الطحاوي بسند حسن من طريق عبد الملك العرزمي عنه المصنف ٢٠/١، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط

ومنهم من قال: لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء، ثم نقول بتقدير تسليم كونها لا تدل على الترتيب اللغوي هي دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب، والدليل على ذلك أنه على الم طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرُوةَ مِن شَعَابِرِ ٱللهِ اللهِ البقرة: ١٥٨]، ثم قال: «أبدأ بما بدأ الله به» لفظ مسلم (١٥)، ولفظ النسائي: «ابدؤوا بما بدأ الله به» (٢) وهذا لفظ أمر، وإسناده صحيح، فدل على وجوب البداءة بما بدأ الله به، وهو معنى كونها تدل على الترتيب شرعاً، والله أعلم.

ومنهم من قال: لما ذكر الله تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا الترتيب، فقطع النظير عن النظير، وأدخل الممسوح بين المغسولين، دلّ ذلك على إرادة الترتيب، ومنهم من قال: لا شك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده أن رسول الله على توضأ مرة مرة، ثم قال: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به» (٣).

قالوا: فلا يخلو إما أن يكون توضأ مرتباً فيجب الترتيب، أو يكون توضأ غير مرتب فيجب عدم الترتيب، ولا قائل به، فوجب ما ذكرناه.

وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ: ﴿وأرجلِكم﴾ بالخفض (٤) ، فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين، لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس. وقد روي عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح فقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا حميد قال: قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده: يا أبا حمزة، إن الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه، فذكر الطهور فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وإنه ليس شيء من بني آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، فقال أنس: صدق الله، وكذب الحجاج، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُهُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما (٥). إسناد صحيح إليه.

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، حدثنا عاصم الأحول، عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل^(٦). وهذا أيضاً إسناد صحيح.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا محمد بن ميسرة الخراساني(٧) عن ابن جريج، عن

١) صحيح مسلم، الحج، باب صفة حجة النبي على (١٢١٨).

⁽٢) السنن الكبرى، الحج، باب الدعاء على الصفا (ح٣٩٦٨)، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٣) أخرجه أبو داود من طريق عمرو بن شعيب به بمعناه بلفظ: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم»، (السنن، الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ح١٣٥)، ولعل الحافظ ابن كثير اعتمد على رواية لسنن أبى داود غير التى بين أيدينا.

⁽٤) وهي قراءة متواترة كما أن قراءة النصب متواترة.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح سنده أيضاً الحافظ ابن كثير.

⁽٧) كذا في الأصل و(حم): «محمد بن ميسر»، وفي تفسير الطبري: محمد بن قيس. قال أحمد شاكر: أخشى أن يكون محرفاً (تفسير الطبري ١٠/٥٨).

(7) 並性関鍵。

عمرو بن دینار، عن عکرمة، عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان (۱). وكذا روى سعید بن أبي عروبة عن قتادة (7).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو معمر المنقري، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس ﴿وَاُمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمُ وَاَرَّبُكُمُ إِلَى ٱلْكَعَبَيْنِ ﴾ قال: هو المسح^(٣). ثم قال: وروي عن ابن عمر وعلقمة وأبي جعفر محمد بن علي والحسن في إحدى الروايات، وجابر بن زيد ومجاهد في إحدى الروايات، نحوه (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا أيوب قال: رأيت عكرمة، يمسح على رجليه، قال: وكان يقوله (٥).

وقال ابن جرير: حدثني أبو السائب، حدثنا ابن إدريس، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: نزل جبريل بالمسح^(۲)، ثم قال الشعبي: ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً^(۷). وحدثنا ابن أبي زياد، أخبرنا إسماعيل قلت لعامر: إن ناساً يقولون: إن جبريل نزل جبريل بالمسح.

فهذه آثار غريبة جداً، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السُنّة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب: جُحْر ضَبّ خرب، وكقوله تعالى: ﴿عَلِيمُهُمْ ثِيَابُ سُنكُسٍ خُضَّرُ وَإِسْتَهَرَقُ ﴾ [الإنسان: ٢١] وهذا ذائع شائع في لغة العرب سائغ.

ومنهم من قال: هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان، قاله أبو عبد الله الشافعي كَالله. ومنهم من قال: هي دالة على مسح الرجلين، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة، وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لا بد منه للآية والأحاديث التي سنوردها، ومن أحسن ما يستدل على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال: أخبرنا أبو علي الروذباري، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حمويه العسكري، حدثنا جعفر بن محمد القلانسي، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عبد الملك بن ميسرة، سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتي بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة، فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضلته وهو قائم، ثم قال: إن ناساً

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق من طريق ابن جريج أنه سمع عكرمة عن ابن عباس بلفظه (المصنف رقم ٥٥) وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، وسنده صحيح.

٣) سنده ضعيف لضعف على بن زيد وهو ابن جدعان ولأن يوسف بن مهران: لين الحديث.

⁽٤) ما ورد عن علقمة أنه قرأً بالخفص وكذا عن مجاهد وقد أخرج أثرهما بسند ضعيف.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح ولعله يقصد نزول جبريل بالقراءة على الخفض «بأرجلِكم».

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول الله على صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث» (١)، رواه البخاري في الصحيح عن آدم ببعض معناه (٢).

ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يمسح الخف فقد ضلّ وأضلّ، وكذا من جوز مسحهما وجوز غسلهما فقد أخطأ أيضاً، ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث، وأوجب مسحهما للآية، فلم يحقق مذهبه في ذلك، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء، لأنهما يليان الأرض والطين وغير ذلك، فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما، فحكاه من حكاه كذلك، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء وهو معذور، فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل، سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه، وإنما أراد الرجل ما ذكرت، والله أعلم، ثم تأملت كلامه أيضاً فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله: ﴿وَأَرَبُكُمُ ﴾ خفضاً على المسح وهو الدلك، ونصباً على الغسل، فأوجبهما أخذاً بالجمع بين هذه وهذه.

ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بدّ منه:

قد تقدم حديث أمير المؤمنين عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معديكرب، أن رسول الله على غسل الرجلين في وضوئه إما مرة، وإما مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، أن رسول الله على توضأ فغسل قدميه، ثم قال: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به» (٣).

وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف عنا رسول الله على أبي سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة، صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته «أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار»(٤) وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة.

وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي على أنه قال: «أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار» (٥٠). وروى الليث بن سعد عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ أنه سمع رسول الله على يقول: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار» رواه البيهقي والحاكم (٢٠)، وهذا إسناد صحيح.

⁽١) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه (السنن الكبرى ١/٧٥)، وهو حديث صحيح كما يلي.

 ⁽۲) أخرجه البخاري من طريق آدم وهو ابن أبي إياس به نحوه (الصحيح، كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً ح٥٦١٦).

⁽٣) تقدم تخريج هذه الأحاديث في تفسير هذه الآية.

⁽٤) صحيح البخاري، العلم، باب من رفع صوته بالعلم (ح٠٠)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما (ح٢٤١).

⁽٥) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٢٤٢).

⁽٦) سنن الدارقطني ١/ ٩٥، والمستدرك ١/ ١٦٢، وصححه الحافظ ابن كثير.

• سِيُوَلِّوُ إِلَىٰ إِنْكِوْ (٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق أنه سمع سعيد بن أبي كرب، أو شعيب بن أبي كرب، قال: سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول: سمعت رسول الله على يقول: «ويل للعراقيب من النار»(١).

وحدثنا أسود بن عامر، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن أبي كرب، عن جابر بن عبد الله قال: رأى النبي على في رجل رَجل مثل الدرهم لم يغسله، فقال: «ويل للأعقاب من النار» ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن سعيد به نحوه (٢).

وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سيعد بن أبي كرب، عن جابر عن النبي على مثله. ثم قال: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا حفص، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر أن رسول الله على رأى قوماً يتوضؤون لم يصب أعقابهم الماء، فقال: «ويل للعراقيب من النار»(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أيوب بن عقبة، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن معيقيب، قال: قال رسول الله عليه: «ويل للأعقاب من النار»(٤) تفرد به أحمد.

وقال ابن جرير: حدثني علي بن عبد الأعلى، حدثنا المحاربي، عن مطرح بن يزيد، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله عليه: «ويل للأعقاب من النار، ويل للأعقاب من النار». قال: فما بقي في المسجد شريف ولا وضيع إلا نظرت إليه يقلب عرقوبيه، ينظر إليهما.

وحدثنا أبو كريب، حدثنا حسين، عن زائدة عن ليث، حدثني عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة أو عن أخي أبي أمامة: أن رسول الله على أبصر قوماً يصلون، وفي عقب أحدهم أو كعب أحدهم، مثل موضع الدرهم أو موضع الظفر لم يمسه الماء، فقال: «ويل للأعقاب من النار». قال: فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً لم يصبه الماء، أعاد وضوءه (٥٠).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة، وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما، أو أنه يجوز ذلك فيهما لما توعد على تركه، لأن المسح لا يستوعب جميع الرجل بل يجري في مسح الخف، وهكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى.

وقد روى مسلم في صحيحه من طريق أبي الزبير عن جابر، عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي ﷺ وقال: «ارجع فأحسن وضوءك»^(٦).

⁽١) المسند ٣/ ٣٦٩، ويشهد له ما سبق.

⁽٢) المسند ٣/ ٣٩٠، وسنن ابن ماجه، الطهارة، باب غسل العراقيب (ح٤٥٤)، قال البوصيري: رجاله ثقات (مصباح الزجاجة ١/ ١٨٢).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنديه ومتنه، ويشهد له ما سبق.

⁽٤) المسند ٣/٤٢٦، في سنده أيوب بن عتبة فيه مقال ويشهد له ما سبق.

⁽٥) أخرجهما الطبري بسنديهما ومتنهما، ويشهد لهما ما سبق من الصحيح.

⁽٦) صحيح مسلم، الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة (ح٢٤٣).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، حدثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة بن دعامة، قال: حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي على قد توضأ وترك على قدمه مثل موضع الظفر، فقال له رسول الله على: «ارجع فأحسن وضوءك» وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن معروف وابن ماجه عن حرملة بن يحيى، كلاهما عن ابن وهب به (۱). وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات، لكن قال أبو داود: ليس هذا الحديث بمعروف، لم يروه إلا ابن وهب. وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا يونس وحميد عن الحسن: أن رسول الله على، بمعنى حديث قتادة (۱).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا بقية، حدثني بُحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن بعض أزواج النبي على: رأى رجلاً يصلي، وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره رسول الله على أن يعيد الوضوء (٣). ورواه أبو داود من حديث بقية، وزاد: والصلاة (٤٠). وهذا إسناد جيد قوي صحيح، والله أعلم.

وفي حديث حمران عن عثمان في صفة وضوء النبي على أنه خلل بين أصابعه (٥). وروى أهل السنن من حديث إسماعيل بن كثير، عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الوضوء. فقال: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقري، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي قال: قال أبو أمامة: حدثنا $[angle]^{(v)}$ بن عبسة قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء، قال: «ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر إلا خرجت خطاياه من فمه وخياشيمه، مع الماء حين ينتثر، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرّت خطايا

⁽۱) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧٠/١، وسنن أبي داود، الطهارة، باب تفريق الوضوء (ح١٧٣)، وسنن ابن ماجه، الطهارة، باب من توضأ فترك موضعاً... (ح٦٦٥)، وجود إسناده الحافظ ابن كثير ويشهد له أيضاً الحديث السابق.

⁽٢) المصدر السابق في سنن أبي داود.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٢٤)، وصححه الألباني ونقل عن الإمام أحمد أنه قال في إسناده: جيد، وعن ابن التركماني وابن القيم أنهما قوياً الحديث (إرواء الغليل ١٢٦/١).

⁽٤) سنن أبي داود، الطهارة، باب تفريق الطهارة (ح١٧٥)، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٥) تقدم تخريجه من الصحيحين في بداية تفسير هذه الآية عند مسألة الخلاف في استحباب تكرار مسح الرأس ثلاثاً.

⁽٦) أخرجه أبو داود (السنن، الطهارة، باب في الاستنثار ح١٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٢٩)، وأخرجه الترمذي (السنن، الصوم، باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم ح٧٨٨)، وسنن النسائي، الطهارة، باب المبالغة في الاستنشاق ٢٦٢/١.

⁽٧) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «عمر» وهو تصحيف.

• سِيُوَاقُولُ النَّالِينَةِ (٦)

يديه من أطراف أنامله، ثم يمسح رأسه إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرّت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء، ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

قال أبو أُمامة: يا عمرو، انظر ما تقول، سمعت هذا من رسول الله ﷺ أيعطى هذا الرجل كله في مقامه؟ فقال عمرو بن عبسة: يا أبا أُمامة، لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً، لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك(١).

وهذا إسناد صحيح.

وهو في صحيح مسلم من وجه آخر، وفيه: ثم يغسل قدميه كما أمره الله (٢)، فدلَّ على أن القرآن يأمر بالغسل.

وهكذا روى أبو إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب في أنه قال: اغسلوا القدمين إلى الكعبين كما أمرتم (٣)، ومن ههنا يتضح لك المراد من حديث عبد خير عن علي أن رسول الله على رش على قدميه الماء وهما في النعلين، فدلكهما (٤)، إنما أراد غسلاً خفيفاً، وهما في النعلين، ولا مانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها، ولكن في هذا رد على المتعمقين والمتنطعين من الموسوسين.

وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه، وهو من روايته عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: أتى رسول الله على سُباطة قوم (٥)، فبال قائماً ثم دعا بماء فتوضاً ومسح على نعليه (٢). وهو حديث صحيح وقد أجاب ابن جرير عنه بأن الثقات الحفاظ رووه عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: فبال قائماً ثم توضاً ومسح على خفيه (٧). قلت: ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون في رجليه خفان وعليهما نعلان، وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني يعلى، عن أبيه، عن أوس بن أبي أوس، قال: رأيت رسول الله على توضأ ومسح على نعليه وقدميه، ثم قام إلى الصلاة (٨). وقد رواه أبو داود عن مسدد وعباد بن موسى، كلاهما عن هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن أبيه، عن أوس بن

⁽١) أخرجه الإمام بسنده ومتنه (المسند ١١٢/٤)، وسنده صحيح.

⁽٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة ﴿ اللهُ الله

⁽٣) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق السبيعي به (المصنف ١/ ٣١)، وسنده ضعيف بسبب ضعف الحارث وهو الأعور الهمداني.

⁽٤) تقدم تخريجه في تفسير هذه الآية.

⁽٥) السباطة هي الكناسة أو هي الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ (النهاية ٢/ ٣٣٥).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه الحافظ ابن كثير.

⁽٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) أخرَجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٨/٤)، وأخرَجه أبو داود من طريق هشيم عن يعلى به (السنن، الطهارة، باب المسح على الجوربين ح١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٤٥).

أبي أوس قال: رأيت رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم، فبال وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه(١).

وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن طريق هشيم، ثم قال: وهذا محمول على أنه توضأ كذلك وهو غير محدث، إذ كان غير جائز أن تكون فرائض الله وسنن رسوله متنافية ومتعارضة، وقد صح عنه على الأمر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عذر من انتهى إليه وبلغه (٢). ولما كان القرآن آمراً بغسل الرجلين كما في قراءة النصب، وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليه، توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين، وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب، ولكن لم يصح إسناده، ثم الثابت عنه خلافه، وليس كما زعموه، فإنه قد ثبت أن النبي على مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زياد بن عبد الله بن علائة، عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن مجاهد، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: أنا أسلمت بعد نزول المائدة، وأنا رأيت رسول الله على يسمح بعدما أسلمت أنه تفرد به أحمد. وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن همام قال: بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه، فقيل: تفعل هذا؟ فقال: نعم، رأيت رسول الله على الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه، قال الأعمش: قال إبراهيم: فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة، لفظ مسلم (٤).

وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله على مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلاً، كما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير مع ما يحتاج إلى ذكره هناك من تأقيت المسح أو عدمه، أو التفصيل فيه، كما هو مبسوط في موضعه.

وقد خالفت الروافض في ذلك بلا مستند بل بجهل وضلال، مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ظلفه أو كذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل النهي عن نكاح المتعة (٦) وهم يستبيحونها، وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله على وفق ما دلت هذه الآية الكريمة، وهم مخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر، ولله الحمد، وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين فعندهم أنهما في ظهر القدم فعندهم في كل رجل كعب، وعند الجمهور أن الكعبين هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم.

قال الربيع: قال الشافعي: لم أعلم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرها الله في كتابه في

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) أخرجه الطبري من الطريقين مع التعليق.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦٣/٤)، والحديث متفق عليه كما يلي:

⁽٤) صحيح البخاري، الصلاة، باب الصلاة في الخِفاف (ح٣٨٧)، وصحيح مسلم، الطهارة، باب المسح على الخفين (ح٢٧٢).

⁽٥) صحيح مسلم، الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين (ح٢٧٦).

⁽٦) صحيح البخاري، المغازي، باب غزوة خيبر (ح٤٢١٦)، وصحيح مسلم، النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ (ح١٤٠٧).

الوضوء هما الناتئان، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، هذا لفظه، فعند الأئمة رحمهم الله: في كل قدم كعبان، كما هو المعروف عند الناس، وكما دلت عليه السنة، ففي الصحيحين من طريق حمران عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله اليمنى إلى الكعبين، واليسرى مثل ذلك(١).

وروى البخاري تعليقاً مجزوماً به (٢) وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسين بن الحارث الجدلي، عن النعمان بن بشير قال: أقبل علينا رسول الله عليه بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» قال: فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، ومنكبه بمنكبه، لفظ ابن خزيمة (٣)، فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه، إلا والمراد به العظم الناتئ في الساق حتى يحاذي كعب الآخر، فدل ذلك على ما ذكرناه من أنهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم كما هو مذهب أهل السنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن موسى، أخبرنا شريك، عن يحيى بن الحارث التيمي يعني الجابر، قال: نظرت في قتلى أصحاب زيد ($^{(1)}$)، فوجدت الكعب فوق ظهر القدم ($^{(0)}$). وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم، [تنكيلاً] ($^{(7)}$) بهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّرَضَى اَوْ عَلَىٰ سَفَوْ اَوْ جَاءَ أَحَدُّ مِنكُم مِّن الْفَالِطِ اَوْ لَعَسْتُم النِسَاءَ فَلَم مِّعَدُواْ مَاء فَتَكُم وَلَيْدِيكُم مِّنه فَي كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء، فلا حاجة بنا إلى إعادته لئلا يطول الكلام، وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك، لكن البخاري روى ههنا حديثاً خاصاً بهذه الآية الكريمة فقال: حدثنا يحيى بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه، عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله على ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة، فتمنيت الموت لمكان رسول الله على مني، وقد أوجعني، ثم إن النبي المتها استيقظ، وحضرت وجُوهَكُم الآية الآيت الما الله الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ عَامَثُواْ إِذَا قُتُتُم إِلَى الصَلَوةِ فَاغْسِلُواْ الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ عَامَثُواْ إِذَا قُتُتُم إِلَى المَه الله الله الله الله بي بكر ما أنتم إلا

⁽١) تقدم في تفسير هذه الآية عند ذكر الخلاف في استحباب مسح الرأس ثلاثاً.

 ⁽۲) أخرجه البخاري موصولاً أيضاً مختصراً بنحوه من حديث النعمان بن بشير (الصحيح، الأذان، باب تسوية الصفوف -۷۱۷).

⁽٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح٦٦٢)، وصحيح ابن خزيمة (ح١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٦١٧).

⁽٤) أي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب 🚜 .

⁽٥) في سنده إسماعيل بن موسى تفرد عن شريك بأحاديث وهو صدوق يخطئ رمي بالرفض (ميزان الاعتدال ١/١٥١) والتقريب ١/٧٥)، وفي سنده أيضاً شريك وهو ابن عبد الله القاضي فيه مقال. ويحيى الجابر: لين الحديث كما في التقريب.

⁽٦) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل: «شكلاً» وهو تصحيف.

⁽٧) كذا في صحيح البخاري، وفي النسخ: هذه الآية.

بركة لهم^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر، بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم، ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء إلا من بعض الوجوه كما تقدم بيانه، وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمُ لَعَلَكُمُ تَشَكُرُونَ ﴾ أي: لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة، وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة، كما رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله على قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة قال: قلت: ما أجود هذا، فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود منها، فنظرت فإذا عمر شيء فقال: إني قد رأيتك جئت آنفاً قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء الفظ مسلم (٢).

وقال مالك، عن نهشل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه، كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» رواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن مالك به (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن كعب بن مرة قال: قال رسول الله على: «ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه، إلا خرجت خطاياه منهما، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه، فإذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه»(٤) هذا لفظه.

وقد رواه الإمام أحمد عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن منصور، عن سالم، عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي، عن النبي على قال: «وإذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين يديه، وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه، وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من دراعيه، وإذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه» قال شعبة: ولم يذكر مسح الرأس (٥٠)، وهذا إسناد صحيح.

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَا ثُمَ نَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] ح١٠٧).

⁽٢) صحيح مسلم، الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (ح٢٣٤).

⁽٣) صحيح مسلم، الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء (ح٢٤٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح قريب من سند الإمام أحمد الذي صححه الحافظ ابن كثير كما يلي.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٢٣٤)، وصححه الحافظ ابن كثير وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٢/ ٢٢٤).

وروى ابن جرير من طريق شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله على: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه»(۱).

وروى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله على قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»(٢).

وفي صحيح مسلم من رواية سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله على: «لا يقبل الله صدقة من غلول^(٣)، ولا صلاة بغير طهور»^(٤).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن قتادة، سمعت أبا المليح الهذلي يحدث عن أبيه، قال: كنت مع رسول الله على في بيت فسمعته يقول: «إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور، ولا صدقة من غلول» (٥) وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة (٢).

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم. وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعته ومناصرته ومؤازرته، والقيام بدينه وإبلاغه عنه، وقبوله منه، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثَانَتُهُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَهِذَه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله على عند إسلامهم كما قالوا: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله (٧)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُو لَا نُوْمِنُونَ بِاللّهِ

⁽١) أخرجه الطبري من طريق شمر به، وفي سنده شهر بن حوشب فيه مقال ويشهد له سابقه.

⁽٢) صحيح مسلم، الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٢٢٣).

⁽٣) الغلول الخيانة.

⁽٤) صحيح مسلم، الطهارة، باب وجوب الطهارة (ح٢٢٤).

⁽٥) مسند الطيالسي (ح١٣١٩)، وسنده صحيح ويشهد له سابقه.

⁽٦) المسند ٥/٧٤، وسنن أبي داود، الطهارة، باب فرض الوضوء (ح٥٩)، وسنن النسائي، الزكاة، باب الصدقة من غلول ٥٦/٥.

⁽٧) أخرجه الشيخان من حديث عبادة بن الصامت (صحيح البخاري، الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون =

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمُ لِلْنَوْمِنُواْ بِرَبِّكُمُ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَقَكُمُ إِن كُنْمُ مُؤْمِنِينَ ﴿ الحديد]، وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد ﷺ والانقياد لشرعه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (۱).

وقيل: هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسَتُ بِرَيِّكُم ۗ قَالُوا بَكَ شَهِدُنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قاله مجاهد (٢) ومقاتل بن حيان. والقول الأول أظهر، وهو المحكي عن ابن عباس والسدي (٣) واختاره ابن جرير.

ثم قال تعالى: ﴿وَاَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال، ثم أعلمهم أنه يعلم ما يختلج في الضمائر من الأسرار والخواطر، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُودِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّمِينَ لِلَّهِ أَي: كونوا قوامين بالحق لله ﷺ ، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا ﴿ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل لا بالجور، وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: نحلني أبي نحلاً (٤) فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ ، فجاءه ليشهده على صدقتي ، فقال: «أكلُ ولْدك، نحلت مثله؟» قال: لا ، فقال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». وقال: «إني لا أشهد على جور» قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلًا تَعْدِلُواً ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً، ولهذا قال: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ اَقْدِرُكُ لِلتَّقُونَى ﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه، ودلّ الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه، كما في نظائره من القرآن وغيره، كما في قوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ أَرْجِعُواْ فَأَرْجِعُواْ هُوَ النور: ٢٨].

وقوله: ﴿ هُوَ أَقَرَبُ لِلتَّقُوكَا ﴾ من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿ أَصْحَنْ الْجَنَّةِ يَوْمَبِ ذِ خَيْرٌ مُسْتَقَرَّ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿ ﴾ [الفرقان] وكقول بعض الصحابيات لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ (٢٠).

ثم قال تعالى: ﴿ وَاتَنَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا قال بعده ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

⁼ بعدي أموراً تنكروها» ح٧٠٥٦)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء... (ح١٧٠٩).

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٤) أي أعطاني والدي أعطية.

⁽٥) صحيح البخاري، الهبة، باب الإشهاد في الهبة (ح٢٥٨٧)، وصحيح مسلم، الهبات، باب لا يشهد على شهادة جور (ح٠٢٦٥).

⁽٦) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (ح٣٦٨٣)، وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب في (ح٢٣٩٦).

وَعَكِمِلُوا الصَّلِحَتِ لَمُ مَعْفِرَةً ﴾ أي: لذنوبهم ﴿وَأَجْرُ عَظِيدُ ﴾ وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده، لا ينالونها بأعمالهم بل برحمة منه وفضل، وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم، وهو تعالى الذي جعلها أسباباً إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل منه وله، فله الحمد والمنة.

شم قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِتَايَنتِنَا أَوْلَتهِكَ أَصْحَكُ ٱلْجَحِيمِ ۞ وهذا من عدله تعالى، وحكمته وحكمه الذي لا يجور فيه، بل هو الحكم العدل الحكيم القدير.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمَّ قَوْمُ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ الّدِيهُ مَّ فَكُفَّ آيْدِيهُمْ عَنكُمُ اللّهِ عَلَي العضاه يستظلون تحتها، وعلق سلمة، عن جابر: أن النبي على نزل منزلاً، وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها، وعلق النبي على سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله على فأخذه فسله، ثم أقبل على النبي على فقال: من يمنعك منى؟ قال: «الله على أن قال الأعرابي، مرتين أو ثلاثاً: من يمنعك منى؟ والنبي على أصحابه، فأخبرهم منى؟ والنبي على قول: «الله». قال: فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي على أصحابه، فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه، ولم يعاقبه، وقال معمر: كان قتادة يذكر نحو هذا، ويذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله على فأرسلوا هذا الأعرابي، وتأول ﴿أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَيْبَكُمْ أَيْدِينَهُمْ الآية أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِينَهُمْ الآية أَن يأسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِينَهُمْ الآية أَن يالله على المحرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله على الآية أن يالمحرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله على الآية أيلينهم الآية أين العرابي وهو إغرابي الحارث (٢) بن الحارث (٣) ثابتة في الصحيح.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمُ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله عَلَيْهُ ولأصحابه طعاماً ليقتلوهم، فأوحى الله إليه بشأنهم، فلم يأت الطعام وأمر أصحابه فأتوه، رواه ابن أبى حاتم (٤).

وقال أبو مالك: نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه حين أرادوا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الأشرف، رواه ابن أبي حاتم (٥).

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار ومجاهد وعكرمة وغير واحد، أنها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله على الرُحى، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك، وأمروه إن جلس النبي على تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقي تلك الرحى من فوقه، فأطلع الله النبي على ما تمالؤوا عليه، فرجع

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح أخرجه البخاري من طريق عبد الرزاق به (الصحيح، المغازي، باب غزوة بني المصطلق من خزاعة ح٤١٣٩)، وكذا مسلم (الصحيح، الفضائل، باب توكله على الله تعالى... ح٨٤٣).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «عورب» وهو تصحيف.

⁽٣) اختلف في إسلامه، وفي اسمه (الإصابة ٣/ ١٨٥).

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق العوفي به.

⁽٥) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي مالك به، وسنده مرسل، ويتقوى بلاحقه.

إلى المدينة وتبعه أصحابه، فأنزل الله في ذلك هذه الآية (١).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْمَوَكُلِّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من توكل على الله كفاه الله ما أهمه، وحفظه من شر الناس وعصمه، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو إليهم، فحاصرهم حتى أنزلهم فأجلاهم. ولله الحمد والمنّة.

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد على وأمرهم بالقيام بالحق، والشهادة بالعدل، وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى، شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم، وطرداً عن بابه وجنابه، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم النافع، والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَدُ اللهُ مِيثَقَ بَوْتِ إِسْرَوْمِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً ﴾ يعني: عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه.

وقد ذكر ابن عباس وابن إسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى الله لقتال الجبابرة، فأمر بأن يقيم نقباء من كل سبط نقيب، قال محمد بن إسحاق: فكان من سبط [روبيل] (۲): شامون بن ركون، ومن سبط شمعون: شافاط بن حُرّي، ومن سبط يهوذا: كالب بن يوفنا، ومن سبط أتين: ميخائيل بن يوسف، ومن سبط يوسف ـ وهو: سبط إفرايم ـ: يوشع بن نون، ومن سبط بنيامين: فلطم بن دفون، ومن سبط زبولون: جدي بن شورى، ومن سبط منشأ بن يوسف: جدي بن سوسى، ومن سبط دان: حملائيل بن جمل، ومن سبط أشار: ساطور بن ملكيل، ومن سبط نفثالي: بحر بن وقسي، ومن سبط يساخر: لايل بن مكيد (٣).

وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء مخالفة

⁽١) هذه الآثار أخرجها الطبري عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك وعبد الله بن كثير بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «روميل»، وهو تصحيف.

⁽٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عنه، بدون ذكر الأسماء. وقول ابن إسحاق أخرجه الطبري من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق، وهذه الأسماء يقع فيها بعض الاختلاف، وقد ضبطها الأستاذ أحمد شاكر من التوراة التي وقف عليها.

لما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم، قال فيها: فعلى بني روبيل: اليصوني بن شادون، وعلى بني شمعون: شموال بن صورشكي، وعلى بني يهوذا: الحشون بن عمياذاب، وعلى بني يساخر: شال بن صاعون، وعلى بني زبولون: الياب بن حالوب، وعلى بني إفرايم: منشا بن عمنهود، وعلى بني منشا: حمليائيل بن يرصون، وعلى بني بنيامين: أبيدن بن جدعون، وعلى بني دان: جعيذر بن عميشذي، وعلى بني أشار: نحايل بن عجران، وعلى بني حاد: السيف بن دعواييل، وعلى بني نفتالي: أجذع بن عمينان(۱).

وهكذا لما بايع رسول الله على الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيباً: ثلاثة من الأوس: وهم أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر، ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان في، وتسعة من الخزرج وهم: أبو أُمامة أسعد بن زراة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن [خُنيس] (٢) في، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له، كما أورده ابن إسحاق كله (٣)، والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي على الهم بذلك، وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي على السمع والطاعة.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله على كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله على فقال: «اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل» (3) هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي على يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثم تكلم النبي على بكلمة خفيت على، فسألت أبي ماذا قال النبي على قال: «كلهم من قريش» وهذا لفظ مسلم (٥).

ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل وقد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رفي ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في

القد وجه الخلاف الأستاذ أحمد شاكر بين هذا الذي وقف عليه الحافظ وبين رواية ابن إسحاق بأن التوراة التي كانت في يد الحافظ ابن كثير هي غير التي في أيدينا. (حاشية تفسير الطبري ١١٦٦/١٠).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «حبيش».

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤٤٣/١.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسند ومتنه (المسند ٣٩٨/١)، وفي سنده مجالد وهو ابن سعيد ليس بالقوي وتغير في آخر عمره كما في التقريب وأصل الحديث في الصحيحين كما يلي.

⁽٥) صحيح البخاري، الأحكام، بدون عنوان للباب (ح٢٢٢٧)، وصحيح مسلم، الإمارة، باب الناس تبع لقريش (ح١٨٢١).

الأحاديث الواردة بذكره، فذكر أنه يواطئ اسمه اسم النبي على واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء (۱۱)، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الأثناء عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم.

وفي التوراة البشارة بإسماعيل على وإن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة، وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثني عشر، فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي على الله علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللّهُ إِنِّ مَعَكُمُ أَي: بحفظي وكلاءتي ونصري ﴿لَيِنْ أَقَمْتُمُ الْفَكَلَوْةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِ ﴾ أي: صدّقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي، ﴿وَعَزْرَتْمُوهُمْ ﴾ أي: نصرتموهم ووازرتموهم على الحق ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وهو الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته، ﴿لَأَكَفِرَنَ عَنكُم سَيِّنَاتِكُمُ ﴾ أي: ذنوبكم أمحوها وأسترها ولا أؤاخذكم بها، ﴿وَلَأَنْظِنَكُم بَنْ عَنْكُم المقصود.

وقوله: ﴿فَمَن كَفَر بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ اللهِ أَي: فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجحده، وعامله معاملة من لا يعرفه، فقد أخطأ الطريق الواضح، وعدل عن الهدى إلى الضلال، ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده، فقال: ﴿فَهِمَا نَقْضِهِم مِيثَقَهُم لَعَنَّهُم أَي: فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم الي أي: أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَسِيةً ﴾ أي: فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكِلَم عَن مَواضِعِه على غير مراده، وقالوا أي: فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، _عياذاً بالله من ذلك _ ﴿وَنَسُوا حَظًا مِما لُوه الله يقبل العمل إلا بها (٢).

وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة، ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَلِعُ عَلَىٰ خَآبِنَةِ مِنْهُمٌ ﴾ يعني: مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك.

وقال مجاهد وغيره: يعني بذلك تمالؤهم على الفتك برسول الله ﷺ "".

﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصَّفَحُ ﴾ وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحَسِنِينَ ﴾ يعني: به الصفح عمن أساء إليك. وقال

⁽١) مدينة تقع شمال بغداد في العراق.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه.

قتادة: هذه الآية ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحُ ﴾ منسوخة بقوله: ﴿فَانِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزَيَةَ عَن يَلِو وَهُمْ صَنْغِرُونَ﴾(١) [التوبة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّهِنَ قَالُوا إِنَّا نَصَكَرَى آخَذَنا مِيثَعَهُمْ أَي: ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى يتابعون المسيح ابن مريم ﴿ وليسوا كذلك، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﴾ ومناصرته، ومؤازرته، واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود، خالفوا المواثيق، ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَنَسُوا حَظًا مِنَا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغَهُنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْنَفَيَاةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةِ فَي أَي قال تعالى: ﴿ فَنَسُوا حَظًا مِنَا دُكُرُوا بِهِ فَأَغَهُنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْنَفَعَاةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةِ فَي أَي الله الله الله الله وعلى النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يُكفّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فيلعن بعضهم بعضاً، فيلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تحرم الأخرى، ولا تدعها تلج معبدها، فالملكانية تكفر اليعقوبية، وكذلك الأخرون، وكذلك النسطورية (٢٠ والآريوسية، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، ثم قال تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا بَعْسَهُم ولا الله وعلى رسوله، وما نسبوه إلى الرب ﴿ وَعَل وتعالى النصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله، وما نسبوه إلى الرب ﴿ وتعالى الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد.

﴿ وَيَعَاَهُلَ ٱلْكِتَٰكِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَرِّثُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ أَخَفُونَ مِنَ الكَّهِ وَيَعْفُوا عَن كَيْمُ كَنْيَمُ أَخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰكِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٌ قَدْ جَاءَكُم مِن ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿ يَهَدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱلنَّهُ رِضُوانِكُم سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَبُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّودِ بِإِذَنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى مَرْطِ مُسْتَفِيمٍ ﴿ إِلَى النَّوْدِ بِإِذَنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى مِرَطِ مُسْتَفِيمٍ ﴿ إِلَى النَّودِ بِإِذَنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى مِرَطِ مُسْتَفِيمٍ ﴿ ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض: عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿يَكَأَهُلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمُ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمُ كُمْ كَثِيرًا مِّمَا كُنتُمْ تُغْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ الله الله عن الله وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه.

وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس هيئه، قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب قوله: ﴿يَكَأَهُلَ اللَّهِ عَن اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٢) تقدم التعريف بهذه الفرق.

⁽٣) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣٥٩/٤).

الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَاهَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَبُّ مُبِيبُ ﴿ يَهَدِى بِهِ اللّهَ مَنِ اتّبَعَ رِضْوَانَكُم سُبُلَ السّلَامِ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة، ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيدٍ ﴾ أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم [أبين] (١) المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة.

َ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَهْيَمٌ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَهْيَمٌ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَهْيَمٌ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهُ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْكِمَ وَأَمْكُمُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعُ أَ وَلِلّهِ مُلْكُ السّكَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلُقُ مَا يَشَاهُ وَاللّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَلِيرٌ فِي وَقَالَتِ الْبَهُودُ وَالنّصَكُونِ فَاللّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَلِيرٌ فِي وَقَالَتِ الْبَهُودُ وَالنّصَكُونِ فَا اللّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ مِنْ مَلَقً يَغْفِرُ لِمَن يَشَآهُ وَيُعَذِبُ مَن يَشَآهُ وَيُعَذِبُ مَن

يقول تعالى مخبراً وحاكياً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم، وهو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ عَلَى الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِك الْمَسِيحَ أَبِّنَ مَرْكِمَ وَأُمْكُم وَمَن فِي الْأَرْضِ جَيعًا ﴾ أي: لو أراد ذلك، فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك، ثم قال: ﴿وَلِلّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَعَل مَنْ الله الله المتابعة إلى يوم القيامة. بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته، وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّمَكُونَى غَنُ اللهِ وَاللهِ وَهُم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري، فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد ردِّ عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوها في عيسى بالله وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، قال الله تعالى رادًا عليهم ﴿قُلُ فَلِمَ يُعَرِّبُكُم بِدُنُوبِكُم ﴾ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه، فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟

وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿ قُلَ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: مرّ النبي علي نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: أبيض.

تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار. قال: فَخَفَّضَهُم النبي ﷺ فقال: «لا والله ما يلقي حبيبه في النار»(١) تفرد به أحمد.

﴿ بَلَ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَن خَلَقُ ﴾ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ ﴾ أي: هو فعال لما يريد، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَّ ﴾ أي: الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه، ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَعِيدُ ﴾ أي: المرجع والمآب إليه، فيحكم في عباده بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور.

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: وأتى رسول الله على نعمان بن [آضاء] (٢) وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه، وكلمهم رسول الله على ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَكَرَىٰ خَنُ آبَنَتُوا الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَكَرَىٰ خَنُ آبَنَتُوا أَنَهُ من طريق الله وَأَجبَتُوهُ أَما قولهم: الله وأَجبَتُوهُ أَما قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَكَرىٰ خَنُ آبَنَتُوا الله وَأَجبَتُوهُ أَما قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَكَرىٰ خَنُ ٱبْنَتُوا الله وَأَجبَتُوهُ أَما قولهم: ﴿وَقَالَتِ الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكري من الولد، فيدخلهم النار، فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل، فأخرجوهم فذلك قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات (٤).

﴿ وَيَتَأَهَّلَ ٱلْكِنَابِ فَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةِ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرٍ ﴾ وَلَا نَذِيرٌ فَقَدْ جَآءَكُمْ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾ .

يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمداً على خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو المعقب لجميعهم، ولهذا قال: على فترة من الرسل؛ أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم، وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي؟

فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة. ورواه البخاري عن سلمان الفارسي (٥).

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۱۰۶٪)، وسنده صحيح ثلاثي أخرجه الحاكم من طريق حُميد به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٥٨/١) وذكر الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠٠).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «الصا» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الطبري والبيهقي من طريق ابن إسحاق به (دلائل النبوة ٢/ ٥٣٥)، وفيه تصريح ابن إسحاق بالسماع، وسنده حسن تقدم شرحه في مقدمة التفسير الصحيح.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط به وتتمته: وأما النصارى فإن فريقاً منهم قال للمسيح: ابن الله.

⁽٥) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول سلمان أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٨٥).

وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة (١).

وقال معمر، عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة (٢).

وقال الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة (٣). [وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى الله عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي الهيه تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة الالمشهور هو القول الأول، وهو أنها ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين، ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي مَمْ مَنْ مَا لَكُهُ مِأْنَةِ سِنِينَ وَأَزَدَادُوا تِسَعًا ﴿ الكهف] أي: قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب، وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: "إن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي "(١).

وهذا فيه ردّ على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي، يقال له خالد بن سنان، كما حكاه القضاعي وغيره، والمقصود أن الله بعث محمداً على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن مطرف، عن عياض بن حماد المجاشعي ولله أن النبي ولله خطب ذات يوم، فقال في خطبته «وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإن الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، ثم إن الله ولا نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من بني إسرائيل، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظانَ، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت: يا رب إذن [يثلَغوا](١٥/٥) رأسي فيدعوه خبزة، فقال: استخرجهم كما استخرجوك، [واغزُهم

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو ابن داود: ضعيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند فيه إبهام شيخ الطبري.

⁽٤) تاريخ ابن عساكر ٤٨٤/٤٧ ـ ٤٨٥.

⁽٥) ما بين معقوفين زيادة من (حم) و(مح).

 ⁽٦) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذَكُرْ فِي ٱلْكِئْكِ مَرْيَمَ . . . ﴾ [مريم: ١٦] (ح٣٤٤٧)،
 وصحيح مسلم، الفضائل، باب فضائل عيسىٰ ﷺ (ح٢٣٦٥).

⁽٧) أي: يشدخوه ويشجّوه.

⁽A) كذا في (حم) و(مح) وصحيح مسلم، وفي الأصل: «تبلغي» وهو تحريف.

نُغزك](١)(٢) وأنفق عليهم فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمساً أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدق، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا دين له، والذين هم فيكم تبع أو تبعاً - شك يحيى - لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخيل أو الكذاب، والشنظير الفاحش (٣).

ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف، وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف وإنما سمعه من أربعة عنه، ثم رواه هو عن روح، عن عوف، عن حكيم الأثرم، عن الحسن قال: حدثني مطرف، عن عياض بن حمار فذكره. ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الأعرابي به (3).

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله: «وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم إلا بقايا من بني إسرائيل» وفي لفظ مسلم: من أهل الكتاب (٥) وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمداً على فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ ﴾ أي: لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر، فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمداً على الماعني.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ عِنَقُومِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْهِيَاتَهُ وَجَمَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَنكُم مَا لَمُ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَلَمِينَ ۚ فَى يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَنَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلا نَرْلَدُوا عَلَىٰ أَدَّبُارِكُو فَلْنَقَلِبُواْ خَسِرِينَ ۚ فَيَ قَالُواْ يَكُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَى يَغْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَغْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَغْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَغْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا وَيَهُولُ مِنْهَا وَخُلُونَ مِنَ اللّهِ مَنْوَكُونَ مِنَ اللّهِ مَنْوَمِنِينَ فَي قَالُواْ يَكُوسَ الْمُقَالِمُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابِ فَإِنَا وَخَلَتُمُوهُ فَإِلَّكُمْ عَلِيمُونَ وَعَلَى اللّهِ فَنَوْكُلُوا إِن كُنتُم مُؤْومِدِينَ فَى قَالُواْ يَكُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا آلِبَاكُ مَا وَامُوا فِيهِمْ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ الْوَلَمُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ الْتَعْوِمِ الْفَاسِونِينَ اللّهُ عَلَى الْفَوْمِ الْفَسِونِينَ اللّهُ عَلَى الْمَالِقُ عَلَيْهُمْ الْمَعْمِ الللّهُ عَلَى الْفَوْمِ الْفَاسِونِينَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَيْهُمْ الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الْعَلَمُ الللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَيْهُمْ الللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ الللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران على فيما ذكر به قومه من نعم الله عليهم [وآلائه](٢) لديهم في جمعه لهم خيري الدنيا والآخرة: لو استقاموا على طريقتهم

⁽١) أي: نعينك.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وصحيح مسلم، وفي الأصل: «واعزهم بعزك»، وهو تصحيف.

 ⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٦٢)، وأخرجه مسلم من طريق قتادة به (الصحيح، الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح٢٨٦٥).

⁽٤) نفس المصدرين السابقين والسنن الكبرى، فضائل القرآن، باب قراءة القرآن على كل الأحوال (ح٨٠٧١).

⁽٥) المصدر السابق في صحيح مسلم. (٦) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «والآية».

المستقيمة، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنَقَوْمِ اَذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيآهُۗ أي: كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده، وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى ابن مريم عَبْهُ، ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عَبْهُ، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم [عليه وعليهم الصلاة والسلام](١).

وقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾ قال عبد الرزاق: عن الثوري، عن منصور، عن الحكم أو غيره، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾، قال: الخادم والمرأة والبيت (٢). ورواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضاً عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: المرأة والخادم ﴿وَءَاتَنكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ قال: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذٍ. ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (٣).

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار، سمى ملكاً (٤٠).

وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أنبأنا أبو [هانئ]^(ه) أنه سمع أبا عبد الرحمن للحُبلُيّ يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. فقال: إن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك^(١).

وقال الحسن البصري: هل الملك إلا مركب وخادم ودار، رواه ابن جرير $^{(v)}$ ، ثم روى عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحواً من هذا. وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران.

وقال ابن شوذب: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم واستؤذن عليه، فهو ملك.

وقال قتادة: كانوا أول من اتخذ الخدم (^).

⁽١) زيادة من (مح).

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وفيه الحكم وهو ابن عتيبة مدلس لكنه توبع في الرواية التالية من طريق مجاهد.

⁽٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣١١).

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق حجاج بن تميم عن ميمون به، وحجاح ضعيف كما في التقريب لكنه توبع كما في رواية الحاكم السابقة.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «ها».

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق ابن وهب به (الصحيح، الزهد، بدون ذكر الباب ح٢٩٧٩).

⁽٧) أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف ويشهد له ما تقدم.

 ⁽A) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقال السدي في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾ قال: يملك الرجل منكم نفسه وماله وأهله، رواه ابن أبي حاتم (١).

وقال ابن أبي حاتم: ذُكر عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله على قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة، كتب ملكاً (٢)، وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثنا الزبير بن بكار، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، سمعت زيد بن أسلم يقول: وجعلكم ملوكاً فلا أعلم إلا أنه قال: قال رسول الله على من كان له بيت وخادم فهو ملك^(٣). وهذا مرسل غريب.

وقال مالك: بيت وخادم وزوجة. وقد ورد في الحديث «من أصبح منكم معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٤).

وقوله: ﴿وَءَاتَنكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ عني: عالمي زمانكم، فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٱلْكِئْبَ وَلَفَّكُمْ وَالنَّبُونَ وَرَزَقَنَهُم مِن اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٱلْكِئْبُ وَلَمُ وَالنَّبُونَ وَوَالْتُعَلِينَ وَالْمَاكُمُ عَلَى ٱلْكِئْبُ وَالْمَاكُمُ عَلَى ٱلْكَئِينَ وَقَضَّالَنَهُم عَلَى ٱلْعَلَمِينَ وَقَلْ إِنَّكُم قَوْمٌ يَجَهُونَ إِنَّ هَوَلَاةٍ مُتَبَرُّ مَا هُم فِيهِ وَيَطِلُ مَا كَانُوا مَا وَالمَعْمُ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ ﴿ وَالْمَعْلَمُ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ ﴾ والمقصود أنهم كانوا أفضل زمانهم، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم، وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً. قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمُ أُمَّةً عَلَى النّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمُ أُمَّةً وَسُولُها وَلَرَمُها وَكُرمُ الله عند الله عند الله عند قوله تعالى: ﴿ كُنتُم خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال عند الله عند الله عند قوله تعالى: ﴿ كُنتُم خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال عند الله عند الله عند الله عند وله تعالى: ﴿ كُنتُم خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله: ﴿وَءَاتَنَكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ (٥) ، فكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله: ﴿وَءَاتَنَكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا ﴾ مع هذه الأمة ، والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه ، وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا ، وقيل: المراد ﴿وَءَاتَنَكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ : يعني بذلك ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى ، ويظللهم به من الغمام وغير ذلك مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات ، فالله أعلم .

⁽١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٢) في سنده دراج في حديثه عن أبي الهيثم ضعف كما في التقريب.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكنه مرسل.

⁽٤) روي عن جمع من الصحابة بأسانيد ضعيفة، وحسنه الألباني بمجموع طرقه (السلسلة الصحيحة ح٢٣١٨).

⁽٥) وقول ابن عباس لم أقف عليه في المطبوع من تفسير الطبري، ولعله في النسخة التي بيد الحافظ ابن كثير، وقول أبي مالك وسعيد بن جبير أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف.

ثم قال تعالى مخبراً عن تحريض موسى الله لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب، لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف الله من لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى، فوجدوا فيها قوماً من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها، فأمرهم رسول الله موسى الله بالدخول إليها وبقتال أعدائهم وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم، فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد، مدة أربعين سنة عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى. فقال تعالى مخبراً عن موسى أنه قال: ﴿يَكَوَّوِ ٱدَّخُلُوا ٱلأَرْضَ ٱلمُقَدِّسَةَ ﴾ أي: المطهرة.

وقال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿ الدُّخُلُوا ٱلْأَرْضَ اللُّمُقَدَّسَةَ ﴾، قال: هي الطور وما حوله (١)، وكذا قال مجاهد وغير واحد (٢).

وروى سفيان الثوري عن أبي سعد [البقال]^(٣) عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هي أريحاء (٤)، وكذا ذكر عن غير واحد من المفسرين، وفي هذا نظر، لأن أريحاء ليست هي المقصودة بالفتح، ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس، وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون، إلا أن يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس، كما قاله السدي فيما رواه ابن جرير عنه (٥)، لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس.

وقد قال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن الهيثم، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان قال: قال [أبو سعد^(٢)]: قال عكرمة، عن ابن عباس قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، قال: فسار موسى بمن معه حتى نزل قريباً من المدينة، وهي أريحاء، فبعث إليهم اثني عشر عيناً من كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، قال: فدخلوا المدينة فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وعظمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجتنى الثمار من حائطه،

⁽١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحبح.

⁽٢) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «النعال» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وفي سنده أبو سعد البقال وهو سعيد بن المرزُبان العبسي، وأبو سعد ضعيف في التقريب.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) كذا في (مح) وهو الصواب، وفي الأصل: «أسعد» وهو تصحيف.

فجعل يجتني الثمار وينظر إلى آثارهم، فتبعهم فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة، حتى التقط الاثني عشر كلهم، فجعلهم في كمه مع الفاكهة، وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، فاذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم (١). وفي هذا الإسناد نظر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لما نزل موسى وقومه، بعث منهم اثني عشر رجلاً، وهم النقباء الذين ذكرهم الله، فبعثهم ليأتوه بخبرهم، فساروا فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فحملهم حتى أتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقالوا من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا نأتيه بخبركم، فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل، فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه، فقولوا لهم: هذا قدر فاكهتهم، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، بما رأوا، فلما أمرهم موسى عليه بالدخول عليهم وقتالهم، قالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. رواه ابن أبى حاتم (٢).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا يحيى بن أيوب، عن يزيد بن الهاد، حدثني يحيى بن عبد الرحمن، قال: رأيت أنس بن مالك، أخذ عصاه فذرع فيها بشيء لا أدري كم ذرع، ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمساً وخمسين، ثم قال: هكذا طول العماليق (٢٠)، وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخباراً من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق، ابن بنت آدم على وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع - تحرير الحساب -(٤)، وهذا شيء يستحيى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله على قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم ين الله الخلق ينقص حتى الآن (٥) ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَّبَ لا نَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِن ٱلْكَفِينَ دَيَالًا﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿ قَالَم عَلَى الْمُشْمُونِ ﴿ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الله عَلَى الله والله على وجود وقال تعالى: ﴿ قَالُه عَلَى الله عَلَى الله عَلَى عَلَى الله عَلَى الله عَلَى عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الله عَلَى وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَعَافُونَ ٱنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِما ﴾ أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ، حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة، وهما ممن

 ⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقول ابن كثير في هذا الإسناد نظر لعله بسبب أبي سعد البقال وهو سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس (التقريب ص٢٤١)، وهذه الرواية من الإسرائيليات الغريبة.

⁽٢) سنده ثابت ولكنه أيضاً من الإسرائيليات.

⁽٣) في سنده يحييٰ بن أيوب: صدوق ربما أخطأ، والرواية أيضاً من الإسرائيليات.

⁽٤) كذا في الأصل وكأن الحافظ ابن كثير يشير إلى أنه يحتاج إلى تحرير الحساب لأنه أنكر ذلك بالدليل الصحيح.

⁽٥) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح٣٣٦)، وصحيح مسلم، الجنة وصفه. نعيمها (ح١ ٢٨٤).

يخاف أمر الله ويخشى عقابه، وقرأ بعضهم ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يُخَافُونَ﴾ أي: ممن لهم مهابة وموضع من الناس، ويقال: إنهما يوشع بن نون، وكالب(١) بن يوقنا. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وعطية، والسدي، والربيع بن أنس (٢)، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله فَ قَالا : ﴿ أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابِ فَإِذَا دَخَلَتْمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونًا وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كَثْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن توكلتم على الله واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم، ودخلتم البلد التي كتبها الله لكم، فلم ينفع ذاك فيهم شيئاً ﴿قَالُواْ يَكُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدَّخُلُهَآ أَبْدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۚ فَأَذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ۞﴾ وهذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء، ويقال: إنهم لما نكلوا عن الجهاد، وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر، سجد موسى وهارون ﷺ، قدام ملأ من بني إسرائيل، إعظاماً لما هموا به، وشَقَّ يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، ثيابهما، ولاما قومهما على ذلك، فيقال: إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم، وخطر جليل، وما أحسن ما أجاب به الصحابة رهي يوم بدر رسول الله على حين استشارهم في قتال النفير، الذين جاؤوا لمنع العير، الذي كان مع أبي سفيان، فلما فات اقتناص العير، واقترب منهم النفير، وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الألف في العدة، والبيض [واليلَبَ] (٣). فتكلم أبو بكر ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ مِن تكلم من الصحابة من المهاجرين، ورسول الله ﷺ يقول: «أشيروا على أيها المسلمون» وما يقول ذلك، إلا ليستعلم ما عند الأنصار، لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذٍ، فقال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله، فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك (٢٠).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حُميد، عن أنس أن رسول الله على لما سار إلى بدر استشار المسلمين، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله على قالوا: إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك، ورواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حُميد عن حميد الطويل، عن أنس به (٥)، ورواه النسائي عن محمد بن

⁽١) كذا في النسخ الثلاث وفي بعض روايات الطبري التالية: «كلاب».

⁽٢) قول ابن عباس وعكرمة أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس ويتقوى بالآثار التالية، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عطية أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الربيع أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «السلب»، واليلب: الدروع من الجلود.

⁽٤) ينظر السيرة لابن هشام ١/ ٦١٥، وستأتي شواهده كما يلي.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد عن عبيدة به وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري (المسند ٢٠/ ٢٨١ ح- ١٢٩٥٤).

المثنى، عن خالد بن الحارث، عن حميد به (1)، ورواه ابن حبان عن أبي يعلى، عن عبد الأعلى بن حماد، عن معتمر بن سليمان، عن حميد به (7).

وقال ابن مردویه: أنبأنا عبد الله بن جعفر، أنبأنا إسماعیل بن عبد الله، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهیم، حدثنا محمد بن شعیب، عن الحسن بن أیوب، عن عبد الله بن ناسخ، عن عتبة بن عبد السلمي، قال: قال النبي على لأصحابه: «ألا تقاتلون»؟ قالوا: نعم، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَأَذْهَبُ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاً إِنّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (٣).

وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي هذه، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثني سفيان، عن مخارق بن عبد الله الأحمسي، عن طارق هو ابن شهاب، أن المقداد قال لرسول الله علي يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَأَذَهَبَ أَنَتَ وَرَبُكَ فَقَلَتِلا إِنَا مَعكما مقاتلون (٤٠) هكذا رواه فَقَلَتلا إنا معكما مقاتلون (٤٠) هكذا رواه أحمد من هذا الوجه، وقد رواه من طريق أخرى فقال: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل عن مخارق، عن طارق بن شهاب، قال: قال عبد الله بن مسعود هذا لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما عدل به، أتى رسول الله علي وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَأَذَهَبَ أَنتَ وَرَبُكَ المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَأَذَهَبَ أَنتَ وَرَبُكَ فَعَيْرَكَ ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيت وجه رسول الله علي يشرق لذلك وسر بذلك (٥٠).

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رسول الله على قال الأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدي، وحيل بينهم وبين مناسكهم

⁽۱) السنن الكبرىٰ (ح۱۱۱۱).

⁽٢) الإحسان ١١/ ٢٤ ح٢٢٧٤.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق الحسن بن أيوب به (المسند ٤/ ١٨٤)، وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/ ١٨٤).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٣٨٩)، وسنده صحيح، وأخرجه البخاري من طريق مخارق به (الصحيح، المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمٌ ...﴾ [الأنفال: ٩] ح٣٩٥٢).

⁽٥) المسند (١/ ٣٨٩).

⁽٦) تقدم في الحاشية قبل السابقة.

⁽٧) الصحيح، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ فَأَذْهَبُ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَائِلًا ٓ . . . ﴾ [المائدة: ٢٤] (ح٢٠٩).

⁽٨) تقدم عزوه في الحديث السابق.

«إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت» فقال له المقداد بن الأسود: أما والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿فَأَذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَنتِلا إِنَّا هَلَهُنَا فَكِدُلاكِ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فلما سمعها أصحاب رسول الله على تتابعوا على ذلك (۱)، وهذا إن كان محفوظاً يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومثذٍ كما قاله يوم بدر.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَا آَمْلِكُ إِلَا نَفْسِى وَآخِى فَأَفْرُقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِقِينَ ﴿ يَعني: لَمَا نَكُل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عَلَيْهُ، وقال داعياً عليهم ﴿ رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَا نَفْسِى وَأَخِيُّ ﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون ﴿ فَأَفْرُقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ﴾ الْفَوْمِ ٱلْفَوْسِقِينَ ﴾ .

قال العوفي، عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم (٢)، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم (٣)، وقال غيره: (افرق) افصل بيننا وبينهم (٤)، كما قال الشاعر:

يا رب فافرق بينه وبيني أشد ما فرقت بين النيان النيان النيان النيان النيان النيان النيان النيان وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةُ عَلَيْهِمْ أَرَّعِينَ سَنَةٌ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية، لما دعا عليهم موسى الله حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائماً لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجرات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد ويقال لها: قبة الزمان.

قال يزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ سَنَةٌ يَبِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ الآية قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى (٢)، وهذا قطعة من حديث الفتون، ثم كانت وفاة هارون عليه، ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى عليه وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه، نبياً خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب، ومن ها هنا قال بعض المفسرين في قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم ﴾ هذا وقف تام.

⁽١) سنده صحيح لكنه مرسل.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي لكن يتقوى برواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فقد أخرجه الطبري من هذه الطريق أيضاً.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخ الطبري ويشهد له سابقه.

⁽٤) قاله الطبري قبل بيت الشعر المذكور.

⁽٥) ذكره معمر بن المثنى في مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

⁽٦) في سنده أصبَغ بن زيد وهو الجهني الوراق صدوق يغرب (التقريب ص١١٣).

وقوله: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةٌ ﴾ منصوب بقوله: ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فلما انقضت المدة، خرج بهم يوشع بن نون ﷺ، أو بمن بقي منهم، وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم، قال: إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علي. فحبسها الله تعالى حتى فتحها، وأمر الله يوشع بن نون، أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس، أن يدخلوا بابها سجداً، وهم يقولون: حطة أي حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على أستاههم وهو يقولون: حبة في شعرة، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة (١٥٠٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان، عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، فيهم، قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةُ عَلَيْهِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةُ يَتِيهُونَ فِي اللّهِ وَكُلُ من جاوز الأربعين اللّه فلا مؤسى وهارون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة فلما مضت الأربعون سنة، ناهضهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي افتتحها، وهو الذي قيل له، اليوم يوم الجمعة، فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب، فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا، فنادى الشمس: إني مأمور، وإنك مأمورة، فوقفت حتى افتتحها، فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط، فقربوه إلى النار فلم تأته، فقال فيكم الغلول، فدعا رؤوس الأسباط وهم اثنا عشر رجلاً فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال: الغلول عندك فأخرجه، فأخرج رأس بقرة من ذهب لها عينان من ياقوت وأسنان من لؤلؤ فوضعه مع عندك فأخرجه، فأكلة (٣).

وهذا السياق له شاهد في الصحيح (٤).

وقد اختار ابن جرير أن قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ ﴾ هو العامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة، وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد، قال: ثم خرجوا مع موسى على ففتح بهم بيت المقدس، ثم احتج على ذلك من قال بإجماع علماء أخبار الأولين، أن عوج بن عنق قتله موسى على قال: فلو كان قتله إياه قبل التيه، لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه، قال: وأجمعوا على أن بلعام بن باعورا أعان الجبارين بالدعاء على موسى، قال: وما ذاك إلا بعد التيه، لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه، هذا استدلاله، ثم قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، حدثنا قيس، عن ابن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت عصا موسى عشرة أذرع، ووثبته عشرة أذرع، وطوله عشرة أذرع، فوثب فأصاب كعب عوج فقتله، فكان جسراً لأهل النيل سنة (٥٠٠).

⁽١) تقدم في آية ٥٨.

⁽٢) بعض هذا الأثر ورد في صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس (ح٣١٢٤).

⁽٣) في سنده أبو سعد وهو سعيد بن المرزبان ضعيف ومدلس (التقريب ص٢٤١).

⁽٤) بل لبعضه شاهد في الصحيح فإن أول الرواية وآخرها في وصف الرأس ليس فيهما شاهد بل الشاهد لوسط الرواية وقوله: فأتت النار فاكلته. (صحيح البخاري الحديث السابق نفسه).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وذكر الأستاذ أحمد شاكر أن كل ما رواه الطبري من أخبار عوج بن عنق من =

وروىٰ أيضاً عن محمد بن بشار: حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن نوف ـ هو البكالي ـ قال: كان سرير عوج ثمانمائة ذراع، وكان طول موسى عشرة أذرع، وعصاه عشرة أذرع، ووثب في السماء عشرة أذرع، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً وكان جسراً للناس يمرون عليه (۱).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَسِفِينِ﴾ تسلية لموسى ﴿ عنهم؛ أي: لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به، فإنهم يستحقون ذلك، وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود، وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله على وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم، وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون، فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم أبناء الله وأحباؤه، فقبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأييد مسخ منها الخنازير والقرود وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود.

يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور، وهما قابيل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله، بغياً عليه وحسداً له، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله على ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين، فقال تعالى: ﴿وَاتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَا أَبُنَى ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم، وهما هابيل وقابيل، فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف.

مبالغات أهل الكتاب وأنها أخبار زيوف لا يعتمد عليها، وقد سبقه بذلك الإمام ابن القيم في (المنار المنيف ص٧٦).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسقط لفظ أبي من أبي إسحاق في طبعة أحمد شاكر، وهذه الرواية أيضاً من الإسرائيليات التي ولع بها نوف البكالي فقد كان من مسلمة أهل الكتاب.

وقوله: ﴿إِلْكَوْقِ﴾ أي: على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو ٱلْقَصَّصُ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿فَالِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَّمٌ قَوْلِكَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ﴿قَالَ نَقُشُ عَلَيْكَ نَبَاهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] وقال: ﴿فَالِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَّمٌ قَوْلِكَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٢٤]، وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى: شرع لآدم عَيْلًا، أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك، إلا أن يقربا قرباناً، فمن تقبل منه فهي له، فتقبّل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه.

ذكر أقوال المفسرين ههنا:

قال السدي فيما ذكر عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي على: أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: هابيل وقابيل وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل طلب أن ينكح أخت وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه، وقال هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوج بها، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى، وأنهما قربا قرباناً إلى الله على أيهما أحق بالجارية، وكان آدم على قلد غاب عنهما، أتى مكة ينظر إليها، قال الله على: هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا. قال: إن لي بيتاً في مكة، فأته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قربا قرباناً، وكان قابيل يفخر عليه، فقال: أنا أحق بها منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والدي، فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل وتركت قربان أبحتي وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل إنما يتقبل الله من المتقين أنها بروره ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج أخبرني ابن خُثيْم قال: أقبلت مع سعيد بن جبير، فحدثني عن ابن عباس، قال: نهي أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأمر أن ينكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة، فبينما هم كذلك إذ ولد له امرأة وضيئة وولد له أخرى قبيحة دميمة، فقال أخو الدميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي، فقال لا، أنا أحق بأختى، فقربا قرباناً فتقبل من صاحب الكبش ولم

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهذا السند ضعيف لخلط السدي طرق هذا السند، وقد أشار إلى ضعف هذا السند الإمام أحمد والحافظ ابن حجر في مقدمة (العجاب في بيان الأسباب). وسيأتي إنكار الحافظ ابن كثير على قصة اختلافهم على المرأة الجارية.

يتقبل من صاحب الزرع، فقتله (١). إسناد جيد.

وحدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الله بن عثمان بن خُتَيْم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ فقربا قربانهما، فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض، وصاحب الحرث بصبرة من طعامه، فقبل الله الكبش فخزنه في الجنة أربعين خريفاً، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم ﷺ (٢)، إسناد جيد.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، وإنهما أمرا أن يقربا قرباناً، وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبة بها نفسه، وإن صاحب الحرث قرب أشر حرثه الكودن والزوان، غير طيبة بها نفسه، وإن الله على، تقبل قربان صاحب الغنم، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه، قال: وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط يده إلى أخيه (٣).

وقال إسماعيل بن رافع المدني القاص: بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان، كان أحدهما صاحب غنم وكان أنتج له حمل في غنمه، فأحبه حتى كان يؤثره بالليل، وكان يحمله على ظهره من حبه، حتى لم يكن له مال أحب إليه منه، فلما أمر بالقربان قربه لله على فقبله الله منه، فما زال يرتع في الجنة حتى فدي به ابن إبراهيم على رواه ابن جرير (٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن علي بن الحسين، قال: قال آدم الله لهابيل وقابيل: إن ربي عهد إلي أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان، فقربا قرباناً حتى تقر عيني، إذا تقبل قربانكما فقربا وكان هابيل صاحب غنم فقرب أكولة غنم خير ماله، وكان قابيل صاحب زرع، فقرب مشاقة من زرعه، فانطلق آدم معهما، ومعهما قربانهما، فصعدا الجبل، فوضعا قربانهما ثم جلسوا ثلاثتهم آدم وهما ينظران إلى القربان، فبعث الله ناراً حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق، فاحتمل قربان هابيل، وترك قربان قابيل، فانصرفوا، وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه، فقال: ويلك يا قابيل رد عليك قربانك، فقال قابيل أحببته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه ورد علي قرباني، فقال قابيل لهابيل لأقتلنك وأستريح منك، دعا لك أبوك فصلى على قربانك فتقبل منك، وكان يتوعده بالقتل إلى أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه، فقال آدم: يا قابيل، أين أخوك؟ قال: وبعثتني له راعياً لا

⁽۱) على الرغم من قول الحافظ ابن كثير: إسناد جيد فقد أنكر قصة خلافهما على المرأة كما سيأتي، وفي سنده أيضاً حجاج وهو ابن محمد المصيصي: ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره (التقريب ص١٥٣).

⁽٢) هذه من الروايات الإسرائيلية وفي متنه نكارة إذ كيف يكون الفترة بين إبراهيم ﷺ وابني آدم مدة أربعين خريفاً!

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لجهالة أبي المغيرة (التقريب ص٦٧٥).

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق هشام بن سعد عن إسماعيل به، وسنده ضعيف لضعف إسماعيل (التقريب ص١٠٧).

أدري، فقال آدم: ويلك يا قابيل، انطلق فاطلب أخاك، فقال قابيل في نفسه: الليلة أقتله، وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو منقلب، فقال: يا هابيل تقبل قربانك ورد علي قرباني لأقتلنك، فقال هابيل: قربت أطيب مالي، وقربت أنت أخبث مالك وإن الله لا يقبل إلا الطيب إنما يتقبل الله من المتقين، فلما قالها غضب قابيل، فرفع الحديدة وضربه بها، فقال: ويلك يا قابيل، أين أنت من الله كيف يجزيك بعملك؟ فقتله، فطرحه في جوبة (١) من الأرض، وحثى عليه شيئاً من التراب (٢).

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح توأمة قابيل، فسلم لذلك هابيل ورضي، وأبي ذلك قابيل وكره تكرماً عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل وقال: نحن من ولادة الجنة، وهما من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي، ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول: كانت أخت قابيل من أحسن الناس، فضن بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم أي ذلك كان فقال له أبوه: يا بني إنها لا تحل لك فأبي قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه، قال له أبوه: يا بني قرّب قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها، وكان قابيل على بذر الأرض، وكان هابيل على رعاية الماشية، فقرب قابيل قمحاً وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه، وبعضهم يقول: قرب بقرة، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله"، رواه ابن جرير.

وروى العوفي عن ابن عباس قال: [من] (٤) شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فبينا ابنا آدم قاعدان، إذ قالا لو قربنا قرباناً، وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله أرسل إليه ناراً فتأكله، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار، فقربا قرباناً، وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها، وقرب الآخر بعض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركت الزرع، وإن ابن آدم قال لأخيه أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد علي، فلا والله لا ينظر الناس إليّ وأنت خير مني فقال: لأقتلنك، فقال له أخوه: ما ذنبي؟ إنما يتقبل الله من المتقين (٥). رواه ابن جرير.

فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارؤ (٦) في امرأة كما تقدم عن

⁽١) الجوبة: الحفرة.

⁽٢) سنده ضعيف لأن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري قال أبو حاتم: ضعيف الحديث.. حدثنا عنه الأنصاري بحديثين باطلين (الجرح والتعديل ١١٢/٧).

⁽٣) أخرجه الطبري من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق، وفيه ابن حميد وهو: محمد بن حميد الرازي: ضعيف، وقد صرح ابن إسحاق أن روايته عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول، أي بالتوراة وأشاهها.

⁽٤) ما بين معقوفين تأخر في الأصل بسبب الخطأ في الترتيب.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

⁽٦) أي: اختلاف.

جماعة ممن تقدم ذكرهم وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَنُقُيِّلَ مِنْ آَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنَقَبَّلَ مِنَ ٱلْآخَوِ
قَالَ لَأَقَنُلُنَّكُ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُنَّقِينَ ﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونه، ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هابيل وأن الذي قرب الطعام هو قابيل وأنه تقبل من هابيل شاته، حتى قال ابن عباس وغيره إنها الكبش الذي فدي به الذبيح وهو مناسب (۱)، والله أعلم.

[ولم يتقبل من قابيل، كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد أيضاً، ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال: الذي قرب الزرع قابيل وهو المتقبل منه، وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيداً (٢٠)، والله أعلم الله أعلم الله عنه جيداً (٢٠)،

ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُنَّقِينَ﴾ أي: ممن اتقى الله في فعله ذلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن العلاء بن زبد، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني صفوان بن عمرو، عن تميم _ يعني ابن مالك المقري _، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إليّ من الدنيا وما فيها إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ ٱلمُنَّقِينَ﴾ (٤).

وحدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا إسحاق بن سليمان _ يعني الرازي _، عن المغيرة بن مسلم، عن ميمون بن أبي حمزة، قال: كنت جالساً عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له: أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى سمعته يقول: يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر. قلت: من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة فيمرون إلى الجنة (٥).

وقول الله أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه لتقواه، حين آفَا أَنْ بَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْلُكُ ۚ إِنِّ آخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَلَمِينَ ﴿ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللّهِ عَلَى عَلَى عَلَى اللهِ اللّهِ عَلَى عَلَى اللهِ ﴿ إِلَيْكَ لِأَقْلُكُ ﴾ أي: لا أقابلك غير ما ذنب منه إليه ﴿ إَنِهَ بَسَطَتَ إِلَى يَدَكَ لِنَقْلُكَ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ رَبّ الْعَلَمِينَ ﴾ أي: على صنيعك الفاسد بمثله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة ﴿ إِنِّ أَخَافُ اللّهَ رَبّ الْعَلَمِينَ ﴾ أي: من أن أصنع كما تريد أن تصنع بل أصبر وأحتسب.

قال عبد الله بن عمرو: وايمُ الله إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج يعني الورع(٦)،

⁽١) قوله فيه نظر وقد أجبت عن ذلك قبل صفحتين.

⁽٢) ما ورد عن مجاهد بعده أسانيد صحيحة وغيرها أن المتقبل منه الذي قرب شاة وليس الذي قرب الزرع.

⁽٣) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٤) في سنده تميم بن مالك سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ٢/١٥٥)، وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٢/ ٤٤٤).

 ⁽۵) في سنده ميمون بن أبي حمزة وهو الأعور، قال الإمام أحمد: متروك الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٨).

⁽٦) تقدم بيان ضعفه قبل ثلاث صفحات.

ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي على أنه قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن سعد، عن [عياش بن عباس] (٢)، عن بكير بن عبد الله، عن بُسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهد أن رسول الله على قال: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي» قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني فقال: «كن كابن آدم» (٣).

وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد وقال: هذا حديث حسن، وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الأرت وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى وخرشة، ورواه بعضهم عن الليث بن سعد وزاد في الإسناد رجلاً^(٤).

قال الحافظ ابن عساكر: الرجل هو حسين الأشجعي.

قلت: وقد رواه أبو داود من طريقه فقال: حدثنا يزيد بن خالد الرملي، حدثنا الفضل، عن عياش بن عباس، عن [بكير]^(٥) عن بُسْر بن سعيد، عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعي أنه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي على في هذا الحديث قال: فقلت: يا رسول الله أرأيت إن دخل بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله على: «كن كابن آدم» وتلا ﴿لَهِنَ بَسَطَتَ إِلَى يَدَكَ لِنَقَنُلَنِي مَا آنًا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقَنُلُكُ إِنِي آخَافُ الله رَبَ الْعَلَمِينَ ﴿ الْعَلَمِينَ اللهِ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ الله

قال أيوب السختياني: إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة ﴿لَمِنْ بَسَطَتَ إِلَىٰ يَدَكَ لِنَقْنُلَنِى مَآ أَنَّا بِبَاسِطٍ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكُ ۚ إِنِّ آخَافُ ٱللَّهَ رَبَ ٱلْعَلَمِينَ ۞ لعثمان بن عفان ﷺ، رواه ابن أبى حاتم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا مرحوم، حدثني أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذرّ، قال: ركب النبي على حماراً أردفني خلفه وقال: «يا أبا ذرّ، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟» قال: قال الله ورسوله أعلم، قال: «تعفف» قال: «يا أبا ذرّ، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد

⁽۱) صحيح البخاري، الفتن، باب إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما (ح٧٠٨٣)، وصحيح مسلم، الفتن، باب إذا تواجه المسلمان (ح٢٨٨٨).

⁽٢) كذا في المسند وفي الأصل: عياش بن عياش، وفي (حم) و(مح): عباس بن عباس.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ١٨٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند، وصححه الألباني كما يلي.

⁽٤) سنن الترمذي، الفتن، باب ما جاء تكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم (ح٢١٩٤).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «بكير بن بكر». ولم أثبته بهذا الاسم لأن اسم أبيه عبد الله.

 ⁽٦) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة ح٤٢٥٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٥٨١).

يعني: القبر كيف تصنع؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «اصبر" قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟" قال: الله ورسوله أعلم، قال: «اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك" قال: فإن لم أترك، قال: «فأت من أنت منهم فكن منهم" قال: فآخذ سلاحي، قال: «فإذاً تشاركهم فيما هم فيه ولكن إذا خشيت أن يردعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك كي يبوء بإثمه وإثمك" (۱)، ورواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي، من طرق عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت به (7)، ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران، عن المشعث بن طريف، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي حماد بن زيد عن أبي عمران، عن المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد".

وقال ابن مردویه: حدثنا محمد بن علي بن دحیم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا قبیصة بن عقبة، حدثنا سفیان، عن منصور، عن ربعي، قال: كنا في جنازة حذیفة فسمعت رجلاً یقول: سمعت هذا یقول في ناس، مما سمعت من رسول الله ﷺ: "لئن اقتتلتم لأنظرن إلى أقصى بیت في داري فلألجنه، فلئن دخل على فلان لأقولن ها، بؤ بإثمي وإثمك فأكون كخير ابني آدم "(٤).

وقـوك : ﴿إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُوٓاً بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَكِ النَّارِّ وَذَلِكَ جَزَّوُا الظَّلِمِينَ ﴿ قَالَ اللهِ عَبَاسُ وَمَجَاهِدُ وَالضّحاكُ وقتادة والسّدي في قوله: ﴿إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُوٓاً بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾: أي بإثم قتلي وإثمك الذي عليك قبل ذلك، قاله (٥) ابن جرير.

وقال آخرون: يعني بذلك إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها وإثمك في قتلك إياي، وهذا قول وجدته عن مجاهد^(۱) وأخشى أن يكون غلطاً لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه، يعني ما رواه سفيان الثوري عن منصور، عن مجاهد ﴿إِنّ أُرِيدُ أَن تَبُواً بِإِثْمِي﴾ قال: بقتلك إياي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ قال: بما كان منك قبل ذلك^(۷)، وكذا رواه عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بمثله^(۸)، وروى شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنّ أُرِيدُ أَن تَبُواً بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ يقول: إني أريد أن يكون عليك خطيئتك ودمي فتبوء بهما جميعاً^(۹).

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٤٩)، وأخرجه أبو داود من طريق أبي عمران الجوني به (المصدر السابق ح٤٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٥٨٣).

⁽٢) لم أجده في صحيح مسلم وإنما فيه من طريق حماد وبسنده واقتصر على ذكر الصلاة لوقتها. وورد في سنن أبي داود كما تقدم.

⁽٣) ما ورد فيه هو حديث مسلم المتقدم.

⁽٤) رجاله ثقات إلا قبيصة صدوق ربما وهم وسنده حسن، ويشهد له حديث أبي ذرّ السابق.

⁽٥) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسنده إلى السدي عن ابن عباس وتقدم أنه خلّط السدي فيه ويشهد له الآثار الأخرى كقول مجاهد الذي أخرجه الطبري بأسانيد ثابتة، وقول قتادة: أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه.

⁽٦) لم أجده بهذا اللفظ عن مجاهد.

⁽V) أخرجه الطبري بسنده عن الثوري به، وسنده صحيح.

⁽A) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عيسى به.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق شبل به.

(قلت): وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له: «ما ترك القاتل على المقتول من ذنب» $^{(1)}$.

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به فقال: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدثنا يعقوب بن عبد الله، حدثنا عتبة بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله على: "قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه" وهذا بهذا لا يصح، ولو صح فمعناه: أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه فأما أن تحمل على القاتل فلا، ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فإن نفدت ولم يستوف حقه، أخذ من سيئات المقتول، فطرحت على القاتل، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله على المظالم كلها(٣)، والقتل من أعظمها وأشدها والله أعلم.

وأما ابن جرير فقال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن تأويله إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله: ﴿إِنّ أُرِيدُ أَن تَبُوا َ بِإِتّبِي﴾ وأما معنى ﴿وَإِقْكَ﴾ فهو إثمه يعني قتله وذلك معصية الله ﴿ فَل في أعمال سواه وإنما قلنا ذلك هو الصواب الإجماع أهل التأويل عليه وأن الله ﴿ لَا خبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه وإذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز أن تكون آثام المقتول مأخوذا بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما ركبه قتيله (٤)، هذا لفظه، ثم أورد على هذا سؤالا حاصله كيف أراد هابيل أن يكون على أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه مع أن قتله له محرم؟ وأجاب بما حاصله أن هابيل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه إن قاتله، بل يكف عنه يده طالباً وقع قتل أن يكون من أخيه لا منه، قلت: وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ، وزجراً له لو انزجر، ولهذا قال: ﴿إِنّ أُرِيدُ أَن تَبُوا إِلْقِي وَإِثْمِكَ أَي: تتحمل إثمي وإثمك ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَمْ حَالِهُ وَمَدَالُولُولِ جَزَوُا الظّلِمِينَ ﴾ .

وقال ابن عباس: خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر (٥).

وقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتَ لَهُ نَفْسُهُم قَلَلَ أَخِيهِ فَقَلْلَهُم فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴿ أَي: فحسنت وسولت له نفسه وشجعته على قتل أخيه فقتله؛ أي: بعد هذه الموعظة وهذا الزجر.

وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين أنه قتله بحديدة في يده (٦).

⁽١) أشار الحافظ أنه لا أصل له، وقال أيضاً معناه صحيح (ينظر المقاصد الحسنة ص٣٦٤).

⁽٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح١٥٤٥)، وقال البزار: لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أسنده إلا يعقوب، وضعفه الحافظ ابن كثير فقال: «لا يصح».

⁽٣) ينظر: صحيح مسلم حديث «أتدرون من المفلس؟»، كتاب البر، باب تحريم الظلم (ح٢٥٨١).

⁽٤) تفسير الطبري ٢١٦/١٠ ـ ٢١٧.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس به مطولاً.

⁽٦) تقدم بيان ضعفه قبل بضع صفحات.

وقال السدي: عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي على فطوعت له نفسه قتل أخيه، فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء (۱)، رواه ابن جرير. وعن بعض أهل الكتاب أنه قتله خنقاً وعضاً كما تقتل السباع. وقال ابن جريج: لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه، فأخذ إبليس دابة ووضع رأسها على حجر، ثم أخذ حجراً آخر فضرب به رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر، ففعل بأخيه مثل ذلك (۲)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أخذ برأسه ليقتله فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله، فجاءه إبليس فقال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم. قال: فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه، قال: فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه، ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعاً فقال: يا حواء إن قابيل قتل هابيل، فقالت له: ويحك وأي شيء يكون القتل؟ قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، قالت: ذلك الموت. قال: فهو الموت، فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح، فقال: ما لك؟ فلم تكلمه، فرجع إليها مرتين فلم تكلمه، فقال: عليك الصيحة وعلى بناتك، وأنا وابنيّ منها برآء (٣)، رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿ فَأَصَّبَحَ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ وأي خسارة أعظم من هذه؟

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا: حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله على الله تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل»(٤). وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود من طرق عن الأعمش به(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني حجاج قال: قال ابن جريج: قال مجاهد: علقت إحدى رجلي القاتل بساقها إلى فخذها من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهه في الشمس حيثما دارت دار، عليه في الصيف حظيرة من نار، وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج. قال: وقال عبد الله بن عمرو: إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن حكيم بن حكيم أنه

⁽١) تقدم بيان ضعفه قبل بضع صفحات.

⁽٢) هذه الرواية من الإسرائيليات التي اشتهر بها ابن جريج.

⁽٣) سنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٣٨٣)، وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه البخاري (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم ح٣٣٣٥)، ومسلم (الصحيح، القسامة، باب بيان اثم من سنّ القتل ح١٦٧٧).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لثلاث علل: الأولى: الحسين هو ابن داود المُلقّب بسُنيد ضعيف، وابن جريج لم يسمع من مجاهد، ومجاهد لم يسمع من عبد الله بن عمرو.

حدث عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول: إن أشقى الناس رجلاً ابن آدم الذي قتل أخاه، ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شر، وذلك أنه أول من سن القتل (١).

وقال إبراهيم النخعي: ما من مقتول يقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه (٢)، ورواه ابن جرير أيضاً.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فحثى عليه من التراب حتى واراه، فقال الذي قتل أخاه: ﴿ يَنُولَيْكَنَ أَعَجُرْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَعَجُرْتُ أَنَّ ٱكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةً أَعَجُرْتُ أَنَّ ٱكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةً أَعَجُرْتُ أَنْ ٱكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةً أَعَجُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةً أَعَجُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةً أَعَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وقال الضحاك، عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، فقال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَلْذَا ٱلْغُرَابِ﴾ فدفن أخاه (٥٠).

وقال [ليث] (٢) بن أبي سليم، عن مجاهد: كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتاً لا يدري ما يصنع به، يحمله ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب، فقال: ﴿ يَكُونَلَتَى أَعَجَرْتُ أَنَّ الْكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا اللَّهُ إِنِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِى فَأَصَبَحَ مِنَ النَّلدِمِينَ ﴿ (٧) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال عطية العوفي: لما قتله ندم فضمه إليه حتى أروح، وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، رواه ابن جرير^(۸).

وروى محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: لما قتله سقط في يده، أي ولم يدر كيف يواريه، وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل في بني آدم، وأول ميت ﴿فَبَعَثَ اللّهُ غُلَبًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيكُم كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيةً قَالَ يَنُويّلُنَى أَعَجَزْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلْفُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِيةً قَالَ يَنُويّلُنَى أَعَجَزْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلْفُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةً أَخِيةً قَالَ يَنُويّلُنَى أَعَجَزْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلْفُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّلِمِينَ ﴿ اللّهِ مِنْ النَّالِمِينَ ﴿ قَالَ: وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه هابيل، قال

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لثلاث علل: الأولى: ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي: ضعيف، ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع، وحكيم لم يسمع من عبد الله بن عمرو.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع: ضعيف ويشهد له الحديث السابق والمتفق عليه.

⁽٣) أخرجه الطبري وتقدم بيان ضعفه بخلط السدي.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت عن ابن أبي طلحة به.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك، لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

⁽٦) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل صحف إلى: «ليس».

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق ليث به وليث فيه مقال.

⁽A) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية به.

له الله على: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيباً، فقال الله: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض الآن، أنت ملعون في الأرض التي فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك، فإن أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعاً تائهاً في الأرض (١).

وقوله: ﴿فَأَصَّبَحَ مِنَ ٱلنَّدِمِينَ﴾ قال الحسن البصري: علاه الله بندامة بعد خسران، فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه، كما هو ظاهر القرآن، وكما نطق به الحديث في قوله: "إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»(٢).

وهذا ظاهر جلي، ولكن قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن هو البصري، قال: كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله: ﴿وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْحَسَنُ هُو البصري، قال: كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله: ﴿وَأَتُلُ عَلَيْهِمْ نَبَا اللهُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَبَا اللهُ عَلَيْهِمْ نَبَا اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ نَبَا اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُلِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُل

وقد قال عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن ابني آدم ﷺ ضربا لهذه الأمة مثلاً، فخذوا بالخير منهما" (٤). ورواه ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم (٥)، وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني (٢)، روى ذلك كله ابن جرير.

وقال سالم بن أبي الجعد: لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة حزيناً لا يضحك، ثم أتى فقيل له: حياك الله وبياك؛ أي: أضحكك (٧٠)، رواه ابن جرير، ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي إسحاق الهمداني قال: قال علي بن أبي طالب لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال:

تغيّرت البلاد ومَن عليها فلونُ الأرض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام:

⁽١) أخرجه الطبري من طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق وسنده ضعيف ومتنه من الإسرائيليات الصريحة المنقولة من أهل التوراة.

⁽٢) تقدم تخريجه في الصحيحين قبل بضع صفحات.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، وضعف عمر وهو ابن عبيد، ومتنه يخالف الحديث الصحيح السابق.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكنه مرسل.

⁽٥) أخرجه الطبري من طريق ابن المبارك به وسنده مرسل أيضاً.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن بكر به وسنده مرسل أيضاً.

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق حسام بن المِصَك عن عمار الدهني عن سالم به، وسنده ضعيف لضعف حسام بل كاد أن يترك (التقريب ص١٥٧).

أبا هابيل قد قتلا جميعاً وصار الحي بالميت الذبيح وجاء بشرَّةٍ قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح (١)

والظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة، كما ذكره مجاهد وابن جبير أنه علقت ساقه بفخذه إلى يوم القيامة، وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتنكيلاً به (٢)، وقد ورد في الحديث أن النبي على قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا، فإنا الله وإنا إليه راجعون.

﴿ وَمَن أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنَ إِسْرَهِ بِلَ أَنَهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآهَ تُهُمْ رُسُلُنَا بِالْمَرْضِ فَكَأَنَّمَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآهَ تُهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُم بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُوكَ ﴿ إِنَّمَا جَزَوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَلُوا أَوْ يُصَكَلِبُوا أَوْ تُعَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَفِ أَوْ يُعْكَلِبُوا أَوْ تُعَلِيمً فَي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَلُوا أَوْ يُصِكَلِبُوا أَوْ تُعَظَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَفِ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الْأَرْضُ ذَلِكَ لَهُمْ خِزَى فِي الدُّنِيَّ وَلَهُمْ فِي الْآلَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمُ ﴿ وَاللَّهُمْ فَا اللَّذِينَ اللَّهُ عَنُولُ نَحِيمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّذِينَ عَلَولُوا مِنَ قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهُمْ فَاعْلُوا أَنَ اللّهَ عَفُورٌ نَجِيمُ ﴿ فَي اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ عَنْ وَلَهُمْ فِي الْأَوْقُ اللَّهُ اللَّذِينَ عَلَالًا أَلَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ فَلَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ فَلَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ فَلِي اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ اللَّهُ الْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْلُ اللَّهُ عَلَيْلُ اللَّهُ اللَّهُ الْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْلُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ الللللَ

يقول تعالى: من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَهِيلَ ﴾ أي: شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَقْسًا بِغَيْرِ نَقْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَأَنَّما أَخْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها؛ أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّها أَخْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾.

[وقال الأعمش وغيره، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: جئت لأنصرك، وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين، فقال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قلت: لا، قال: فإنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور، قال: فانصرفت ولم أقاتل آ(٢)(٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو كما قال الله تعالى: ﴿مَن قَتَكُلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو موضوع على علي بن أبي طالب، وضعه غياث بن إبراهيم قال عنه ابن معين كذاب خبيث واتهمه كثير من النقاد بالوضع (لسان الميزان ٢٢٢/٤)، ومن أين الشعر لآدم ﷺ؟!

⁽٢) لا يعتمد على هذه الإسرائيلية العجيبة الغريبة.

⁽٣) ما بين معقوفين زيادة من (حم) و(مح).

⁽٤) أخرجه ابن سعد عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش به (الطبقات الكبرى ٥١/٣)، وكذا خليفة بن خياط (الطبقات ص١٢٩)، ولا تضر عنعنة الأعمش لأنه توبع بواسطة عثمان بن حكيم الأنصاري عن أبي صالح ذكوان به، فقد أخرجه الدينوري من طريق عثمان به (المجالسة ٢/ ١٦٠ ح١٨٣)، وكذا ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٩/٣٩)، وسنده صحيح.

أَوْ فَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَأَنَّبَا ۖ أَخْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وإحياؤها ألا يقتل نفساً حرمها الله، فذلك الذي أحيا الناس جميعاً يعني أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه (١)، وهكذا قال مجاهد: ومن أحياها؛ أي: كف عن قتلها (٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، يقول: من قتل نفساً واحدة حرمها الله، فهو مثل من قتل الناس جميعاً، وقال سعيد بن جبير: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم [دماء] (٢) الناس جميعاً، هذا قول وهو الأظهر.

وقال عكرمة والعوفي عن ابن عباس: من قتل نبياً أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شدّ على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً^(٤)، رواه ابن جرير. وقال مجاهد في رواية أخرى عنه: من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً^(٥)، وذلك لأن من قتل النفس فله النار فهو كما لو قتل الناس كلهم.

قال ابن جريج، عن الأعرج، عن مجاهد في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من قتل النفس المؤمنة متعمداً، جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً، يقول: لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك العذاب^(٦)، قال ابن جريج: قال مجاهد: ﴿وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَأَنَّا آخْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ قال: من لم يقتل أحداً فقد حيى الناس منه.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: من قتل نفساً فكأنما قتل الناس، يعني: فقد وجب عليه القصاص، فلا فرق بين الواحد والجماعة، ومن أحياها أي عفا عن قاتل وليّه فكأنما أحيا الناس جميعاً، وحكى ذلك عن أبيه (٧)، رواه ابن جرير.

وقال مجاهد في رواية: ومن أحياها؛ أي: أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة (^).

وقال الحسن وقتادة في قوله: ﴿أَنَّهُم مَن قَتَكَ نَفْسُا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَكَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، هذا تعظيم لتعاطي القتل، قال قتادة: عظيم والله وزرها، وعظيم والله أجرها^(٩).

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري من طرق يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حسين واقد عن عكرمة به، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه.

⁽٥) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن المبارك عن ابن جريج به وفي آخره بلفظ: «فقد استراح الناس منه».

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن به، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن.

⁽٨) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

⁽٩) قول الحسن أخرجه الطبري بأسانيد يقوى بعضها بعضاً عن الحسن، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه، وسنده صحيح.

وقال ابن المبارك، عن سلام بن مسكين، عن سليمان بن علي الربعي، قال: قلت للحسن. هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل، فقال: إي والذي لا إله غيره، كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا(۱).

وقال الحسن البصري: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: وزراً، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا آخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: أجراً (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله علي فقال: يا رسول الله، اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول الله علي: «يا حمزة، نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها؟» قال: بل نفس أحييها. قال: «عليك بنفسك»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدَّ جَاءَتُهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيْنَتِ﴾ أي: بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة، ﴿ثُمُّ اللَّ كَثِيرًا مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُوكَ﴾ وهذا تقريع لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها، كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج، إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية، ثم إذا وضعت الحروب أوزارها. فدوا من أسروه وودوا من قتلوه، وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِن دِيكُوكُمْ مُ أَقْرَرُمُ وَأَنشُدُ وَاللَّهُ مِن دِيكُوهُمْ مَن دِيكُوكُمْ وَأَنشُدُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَكُولُوكُمْ مَن دِيكُوهُمْ مَن دِيكُوهُمْ وَهُو كُولُمُ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُوكُمْ أَفْتُولُونَ بِبَغْضِ ٱلْمُؤْدُن بِبَغْضِ ٱلْمُؤْدُن وَاللَّهُ وَاللَّهُ فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنيَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى وَتَكُفُّرُوكَ بِبَغْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنصُمْ إِلَّا خِرْقُ فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنَيَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمةِ يُرَدُّونَ إِلَى وَتَعَلَّمُ اللَّهُ بِعَنْ فِيكُمْ أَلُوكُ مِنْ مُعَلَّمُ وَلَكُونَ وَمَا اللَّهُ فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنَيَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمةِ يُرَدُّونَ إِلَى الْمُعَلِّمُ مَن يَعْعَلُ ذَلِكَ مِنصَامُمْ إِلَا خِرَى فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمةِ يُرَدُّونَ إِلَى الْمَعَنِ وَمَا اللَّهُ بِعَافِيلُ عَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنصَامُ إِلَا خِرَى فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمةِ يُرَدُّونَ إِلَا اللَّهُ بِعَنْفِلِ عَمَا مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِن وَلَكُونَ فِي الْحَيْوَةِ ٱلدُّنِيَا وَيُومَ ٱلْقِيكُمةِ يُرَدُّونَ إِلَى الْمُونَ اللَّهُ بِعَنْفِلِ عَمَا مُن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِن وَلَا اللَّهُ إِلَا خِرَى إِلَى الْمُعْرَاقُ عَلَى الْمُعَلِقُ عَلَى الْمُولُ الْمُهُمُ الْمُؤْنَ فِي الْحَيْوَةِ الدُّيْلُ وَيُومَ ٱلْقِيكُمة يُومُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلُونَ الْمُعْلِقُ الْمُوالِقُومَ الْقِيكُمُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْعُلُولُ الْمُولُولُ الْمُولُولُ الْمُولُلُولُ اللَّهُ الْمُعْلِقُولُ الْقُولُ اللْهُولُولُ اللَّهُ الْمُعْلُول

وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَّوُّا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوّا أَوْ يُصَكّبُوّا أَوْ يُصَكّبُوا أَوْ يُصَادِق عَلَى المضادة على المخروعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر، حتى قال كثير من السلف، منهم سعيد بن المسيب: إن قبض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلّى سَكَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْخَرْثَ وَالسّبُلُ وَاللّهُ لَا يُحِبُ ٱلفَسَادَ ﴿ [البقرة].

ثم قال بعضهم: نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا الحسين بن واقد، عن [يزيد، عن عكرمة] (٤٠) والحسن

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق ابن المبارك به، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق سلام به (المصنف ۹/ ۳۰۹)، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم عن الحسن.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه أحمد شاكر (المسند ح٦٦٣٩)، وفي سنده ابن لهيعة، ولعل تصحيح أحمد شاكر بأنه يرى سماع حسن قبل احتراق كتب ابن لهيعة.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: زيد بن عكرمة وهو تصحيف.

البصري، قالا: ﴿إِنَّمَا جَزَّوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى ﴿أَتَ اللَّهَ عَفُورٌ تَحِيمٌ ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه، لم يكن عليه سبيل، وليست تُحرِز هذه الآية الرجل المسلم من الحدّ إن قتل، أو أفسد في الأرض، أو حارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدروا عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب(١).

ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة، عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا جَزَّوُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسَّعَوَّنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾، نزلت في المشركين من تاب منهم قبل أن يقدر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصابه (٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَّوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولُلُمُ وَيَسُعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية، قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي على عهد وميثاق، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فخير الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، رواه ابن جرير (٣).

وروى شعبة عن منصور، عن هلال بن يساف، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: نزلت في الحرورية ﴿ إِنَّمَا جَزَآ وُأُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُم وَيَسْعَوّنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ رواه ابن مردويه (٤).

والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة _ واسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري _ عن أنس بن مالك أن نفراً من عكل (٥) ثمانية، قدموا على رسول الله في فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا (٢) المدينة، وسقمت أجسامهم فشكوا إلى رسول الله في ذلك، فقال: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيبوا من أبوالها وألبانها فقلوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا، فقتلوا الراعي، وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله في فبعث في آثارهم فأدركوا فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمرت (٧) أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا، لفظ مسلم، وفي لفظ لهما: من عكل أو عرينة (٨)، وفي لفظ: وألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون، فلا يسقون (٩).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ويشهد له الأثر التالي.

⁽٢) سنن أبي داود، الحدود، باب ما جاء في المحاربة (ح٤٣٧٢)، وسنن النسائي، تحريم الدم، تأويل قول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَّوُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللهَ . . . ﴾ [المائدة: ٣٣] ٧/ ٩٤ _ ٩٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٣٥٨).

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت عن ابن أبي طلحة به.

⁽٤) ذكر الحافظ أن الآية عامة في المشركين وغيرهم. اه. أي لم تخص هذه الفرقة بعينها.

⁽٥) عكل: قبيلة من تيم الرباب، من عدنان كما في فتح الباري.

⁽٦) أي: استثقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانهم فمرضواً.

⁽٧) أي: بمسامير محمية.

⁽٨) عُرينة نسبة إلى عُرينة بن نذير بن قسر بن عبقر بطن من بجيلة (اللباب في تهذيب الإنسان ٢/٣٣٦).

⁽٩) صحيح البخاري، الوضوء، باب أبوال الإبل. (ح٢٣٣)، وصحيح مسلم القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين (ح١٦٧١).

وفي لفظ لمسلم: ولم يحسمهم، وعند البخاري قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله، ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب، وحميد عن أنس، فذكر نحوه وعنده فارتدوا، وقد أخرجاه من رواية قتادة عن أنس بنحوه، وقال سعيد عن قتادة: من عكل وعرينة، وراه مسلم من طريق سليمان التيمي، عن أنس قال: إنما سمل النبي على أعين أولئك، لأنهم سملوا أعين الرعاء، ورواه مسلم من حديث معاوية بن قرة عن أنس قال: أتى رسول الله على نفر من عرينة فأسلموا وبايعوه (۱)، وقد وقع بالمدينة الموم (۲) وهو البرسام، ثم ذكر نحو حديثهم وزاد: عنده شباب من الأنصار قريب من عشرين فارسا، فأرسلهم وبعث معهم قائفاً يقفو أثرهم وهذه كلها ألفاظ مسلم كالله.

وقال حماد بن سلمة: حدثنا قتادة وثابت البناني وحميد الطويل، عن أنس بن مالك أن ناساً من عرينة قدموا المدينة فاجتووها، فبعثهم رسول الله على في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا، فارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، وساقوا الإبل، فأرسل رسول الله على في آثارهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمر أعينهم وألقاهم في الحرة قال أنس: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا، ونزلت ﴿إِنَّمَا جَزَّوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ الآية، وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وهذا لفظه، وقال الترمذي: حسن صحيح (٣).

وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة عن أنس بن مالك، منها ما رواه من طريقين عن سلام بن أبي الصهباء، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: ما ندمت على حديث، ما ندمت على حديث سألني عنه الحجاج، قال: أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله على قال: قلت قدم على رسول الله على قوم من عرينة من البحرين، فشكوا إلى رسول الله ما لقوا من بطونهم، وقد اصفرت ألوانهم، وضَمُرت بطونهم، فأمرهم رسول الله على أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخمصت بطونهم، عمدوا إلى الراعي فقتلوه، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله على أثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا. فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول: إن رسول الله على قد قطع أيدي قوم وأرجلهم، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا بحال ذود من الإبل، فكان الحجاج يحتج بهذا الحديث على الناس (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد _ يعني ابن مسلم _، حدثني سعيد، عن

⁽۱) هذه الألفاظ في المصدرين السابقين وصحيح البخاري، الزكاة باب استعمال إبل الصدقة (ح١٥٠١)، وصحيح مسلم (ح١٦٧١)، في (١٤) طريقاً ولفظاً.

⁽٢) الموم هو نوع من اختلال العقل، ويطلق على ورم الرأس وورم الصدر كما في حاشية صحيح مسلم.

⁽٣) سنن أبي داود، الحدود، باب ما جاء في المحاربة (ح٤٣٦٧)، وسنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه (ح٧٧)، وسنن النسائي، تحريم الدم، تأويل قول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَّاؤُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ . . .﴾ [المائدة: ٣٣] ٧/ ٩٧. وهو في الصحيحين كما تقدم.

 ⁽٤) في سنده سلام بن أبي الصهباء وهو ضعيف (لسان الميزان ٥٨/٣)، وقد توبع فأخرجه البخاري من طريق سلام بن مسكين عن ثابت به لكنه مختصر (الصحيح، الطب، باب الدواء بألبان الإبل ح٥٦٨٥).

قتادة، عن أنس، قال كانوا أربعة نفر من عرينة، وثلاثة نفر من عُكل، فلما أتي بهم قطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم، ولم يحسمهم وتركهم يلتقمون الحجارة بالحرة، فأنزل الله في ذلك ﴿إِنَّمَا جَزَرُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية (١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا أبو مسعود _ يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج _، حدثنا أبو سعد _ يعني البقال _، عن أنس بن مالك قال: كان رهط من عرينة أتوا رسول الله على وبهم جهد، مصفرة ألوانهم، عظيمة بطونهم، فأمرهم أن يلحقوا بالإبل فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصفت ألوانهم، وخمصت بطونهم، وسمنوا، فقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فبعث النبي على في طلبهم، فأتي بهم، فقتل بعضهم، وسمر أعين بعضهم، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، ونزلت ﴿إِنَّمَا جَزَآوُا ٱلَّذِينَ يُكَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَمُ اللهِ آخر الآية (٢).

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين وهم من بجيلة، قال أنس: فارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، وأخافوا السبيل، وأصابوا الفرج الحرام (٣).

وقال حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الزناد، عن عبد الله بن عبيد الله، عن عبد الله بن عمر أو عمرو - شك يونس - عن رسول الله على بذلك، يعني: بقصة العرنيين، ونزلت فيهم آية المحاربة (٤٠). ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد، وفيه عن ابن عمر من غير شك (٥٠).

وقال ابن جریر: حدثنا محمد بن خلف، حدثنا الحسن بن حماد، عن عمرو بن هاشم، عن موسی بن عبیدة، عن محمد بن إبراهیم، عن جریر، قال: قدم علی رسول الله علی قوم من عرینة حفاة مضرورین، فأمر بهم رسول الله علی فلما صحوا واشتدوا، قتلوا رعاء اللقاح، ثم خرجوا باللقاح عامدین بها إلی أرض قومهم، قال جریر: فبعثنی رسول الله علی فی نفر من المسلمین حتی أدرکناهم بعدما أشرفوا علی بلاد قومهم، فقدمنا بهم علی رسول الله علی فقطع أیدیهم وأرجلهم من خلاف، وسمل أعینهم، فجعلوا یقولون: الماء، ورسول الله علی یقول: النار حتی هلکوا، قال: وکره الله علی سمل الأعین، فأنزل الله هذه الآیة ﴿إِنَّمَا جَرَّاوُا الَّذِینَ یُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَمُ الله إلى آخر الآیة (الله عده الربذی وهو ضعیف، وفی إسناده

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه أبو عوانة عن علي بن سهل به (المسند ح٦٠٩٨)، وسنده صحيح.

⁽٢) في سنده أبو سعد البقال وهو سعيد بن المرزبان وهو ضعيف تقدم ذكره وقد توبع كما تقدم فيكون سنده حسناً لغيره.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن لهيعة فيه مقال، وقوله: وأصابوا الفرج الحرام مخالفة للرواية الصحيحة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) سنن أبي داود، الحدود، باب ما جاء في المحاربة (ح٤٣٦٩)، وسنن النسائي، تحريم الدم ٧/١٠٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ح٤٣٦٤).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، ويتقوى معظمه بالشواهد السابقة.

فائدة، وهو ذكر أمير هذه السرية، وهو جرير بن عبد الله البجلي، وتقدم في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارساً من الأنصار، وأما قوله: فكره الله سمل الأعين، فأنزل الله هذه الآية، فإنه منكر، وقد تقدم في صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاء، فكان ما فعل بهم قصاصاً، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق، عن إبراهيم بن محمد الأسلمي، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، قال قدم على رسول الله على رجال من بني فزارة قد ماتوا هزلاً، فأمرهم النبي على إلى لقاحه، فشربوا منها حتى صحّوا، ثم عمدوا إلى لقاحه فسرقوها، فطلبوا فأتى بهم النبي على فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم. قال أبو هريرة ففيهم نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا جَزَّرُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولُمُ ، فترك النبي على سمر الأعين بعد (١)، وروي من وجه آخر عن أبي هريرة.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا أبو القاسم محمد بن الوليد، عن عمرو بن محمد المديني، حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن سلمة بن الأكوع قال: كان للنبي على غلام يقال له يسار، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه، وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها، قال: فأظهر قوم الإسلام من عرينة، وجاؤوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم قال: فبعث بهم النبي على إلى يسار، فكانوا يشربون من ألبان الإبل حتى انطوت بطونهم، ثم عدوا على يسار فذبحوه، وجعلوا الشوك في عينيه، ثم أطردوا الإبل، فبعث النبي على في آثارهم خيلاً من المسلمين، كبيرهم كرز بن جابر الفهري، فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم "، غريب جداً، وقد روي قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وغير واحد، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه وعائشة وغير واحد، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً فرحمه الله وأثابه.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي يقول: سمعت أبا حمزة عن عبد الكريم وسئل عن أبوال الإبل فقال: حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين فقال: كان أناس أتوا رسول الله على فقالوا: نبايعك على الإسلام، فبايعوه وهم كذبة، وليس الإسلام يريدون، ثم قالوا: إنا نجتوي المدينة، فقال النبي على هذه اللقاح تغدوا عليكم وتروح، فاشربوا من أبوالها وألبانها، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ، فصرخ إلى رسول الله على فقال: قتلوا الراعي، واستاقوا النعم، فأمر النبي على فنودي في الناس «أن يا خيل الله اركبي» قال: فركبوا لا ينتظر فارس فارساً، قال: وركب رسول الله على غلى أثرهم، فلم يزالوا يطلبونهم حتى فركبوا لا ينتظر فارس فارساً، قال: وركب رسول الله على وقد أسروا منهم، فأتوا بهم النبي على فأنزل الله: ونما كرنان الله الذي يكاربُون الله ورسول الله على منهم أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم، ونفوهم من أرض المسلمين، وقتل نبي الله على منهم وصلب، وقطع وسمر الأعين،

⁽١) في سنده إبراهيم بن محمد الأسلمي: متروك (التقريب ص٩٣).

⁽٢) في سنده موسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي: منكر الحديث (التقريب ص٥٥٣).

قال: فما مثل رسول الله على قبل ولا بعد، قال: ونهى عن المثلة، وقال: «ولا تمثلوا بشيء» قال: وكان أنس يقول ذلك، غير أنه قال: أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم، قال: وبعضهم يقول: هم ناس من بني سليم، ومنهم من عرينة، وناس من بجيلة (١٠).

وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء العرنيين: هل هو منسوخ، أو محكم؟ فقال بعضهم: هو منسوخ بهذه الآية، وزعموا أن فيها عتاباً للنبي على كما في قوله: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] ومنهم من قال: هو منسوخ بنهي النبي على عن المثلة، وهذا القول فيه نظر، ثم قائله مطالب ببيان تأخر الناسخ الذي ادعاه عن المنسوخ.

وقال بعضهم: كان هذا قبل أن تنزل الحدود، قاله محمد بن سيرين، وفيه نظر، فإن قصته متأخرة، وفي رواية جرير بن عبد الله لقصتهم ما يدل على تأخرها، فإنه أسلم بعد نزول المائدة، ومنهم من قال: لم يسمل النبي على أعينهم، وإنما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فبين حكم المحاربين، وهذا القول أيضاً فيه نظر، فإنه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سمل، وفي رواية سمر أعينهم.

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم قال: ذاكرت الليث بن سعد ما كان من سمل النبي على أعينهم، وتركه حسمهم حتى ماتوا، فقال: سمعت محمد بن عجلان يقول: أنزلت هذه الآية على رسول الله على معاتبة في ذلك، وعلمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي، ولم يسمل بعدهم غيرهم قال: وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو يعني الأوزاعي، فأنكر أن يكون نزلت معاتبة، وقال: بل كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم، ورفع عنهم السمل(٢).

ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور من العلماء في ذهابهم إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وفي السبلان على السواء لقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهذا مذهب مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل، حتى قال مالك في الذي يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتاً فيقتله، ويأخذ ما معه: إن هذه محاربة، ودمه إلى السلطان لا إلى ولي المقتول، ولا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تكون المحاربة إلا في الطرقات، فأما في الأمصار فلا، لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث، بخلاف الطريق لبعده ممن يغيثه ويعينه.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح إلى محمد بن عجلان وقوله: إن نزول الآية معاتبة للنبي ﷺ هو رأي لابن عجلان، بدليل مخالفة الأوزاعي في ذلك.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

وكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاك (١) وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير وحكى مثله عن مالك بن أنس كَلَّلَهُ ومستند هذا القول أن ظاهر أو للتخيير كما في نظائر ذلك من القرآن كقوله في جزاء الصيد ﴿فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَنَلَ مِنَ النَّعَمِ عَكُمُ بِهِهِ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ هَدَيًا بَلِغَ ٱلكَمْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسَكِينَ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيامًا ﴾ [المسائدة: ٩٥] وكقوله في كفارة الفدية: ﴿فَن كَانَ مِنكُم مَرِيعًا أَوْ بِهِ آذَى مِن تَأْسِهِ فَنِدْيَةٌ مِن صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] وكقوله في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَرَنُهُ وَإِطْعَامُ عَشَرَةٍ مَسَكِينَ مِن أَوْسَطِ مَا تُطْمِعُونَ أَهْلِيكُمْ أَو كَشَونُهُمْ أَوْ خَمْرِيرُ رَقَبُةً ﴾ [المائدة: ٨٩] هذه كلها على التخيير فكذلك فلتكن هذه الآية.

[وقال الجمهور] (٢): هذه الآية منزلة على أحوال، كما قال أبو عبد الله الشافعي: أنبأنا إبراهيم بن أبي يحيى، عن صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس في قطاع الطريق، إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض (٣).

وقد رواه ابن أبي شيبة عن عبد الرحيم بن سليمان، عن حجاج، عن عطية، عن ابن عباس بنحوه (٤)، وعن أبي مخلد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدي وعطاء الخراساني نحو ذلك، وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة.

واختلفوا: هل يصلب حياً ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب، أو بقتله برمح أو نحوه، أو يقتل أولاً ثم يصلب تنكيلاً وتشديداً لغيره من المفسدين، وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل أو يترك حتى يسيل صديده؟ في ذلك كله خلاف محرر في موضعه، وبالله الثقة وعليه التكلان.

ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره إن صح سنده فقال: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن يزيد بن أبي حبيب، أن عبد الملك بن مروان، كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه يخبره أنها نزلت في أولئك النفر العرنيين وهم من بجيلة، قال أنس: فارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، وأخافوا السبيل، وأصابوا الفرج الحرام، قال أنس: فسأل رسول الله على جبرائيل على عن القضاء فيمن حارب فقال: من سرق مالاً وأخاف السبيل، فاقطع يده بسرقته ورجله بإخافته، ومن قتل فاقتله، ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصلبه (٥٠).

وأما قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوا مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قال بعضهم: هو أن يطلب حتى يقدر عليه فيقام

⁽١) هذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً إلا روايته عن الضحاك فلم يذكر عنه شيئاً.

⁽٢) زيادة من (حم) و(مح).

⁽٣) أخرجه الشافعي بسنده ومتنه (ترتيب مسند الشافعي، الحدود، باب فيما جاء في قطاع الطريق ٢/٨٦ ح٢٨٢)، وسنده ضعيف لأن إبراهيم بن أبي يحيى متروك.

⁽٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسنده ومتنه (المصنف ٦/ ٥٨٩)، وسنده ضعيف لضعف عطية وهو العوفي.

⁽٥) تقدم تخريجه قبل بضع صفحات.

عليه الحد أو يهرب من دار الإسلام، رواه ابن جرير عن ابن عباس، وأنس بن مالك، وسعيد بن جبير، والضحاك، والربيع بن أنس، والزهري، والليث بن سعد، ومالك بن أنس (١٠).

وقال آخرون: هو أن ينفى من بلده إلى بلد آخر أو يخرجه السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية (٢) وقال الشعبي: ينفيه _ كما قال ابن هبيرة _ من عمله كله.

وقال عطاء الخراساني: ينفى من جند إلى جند سنين، ولا يخرج من دار الإسلام، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو الشعثاء والحسن والزهري والضحاك ومقاتل بن حيان: إنه ينفى ولا يخرج من أرض الإسلام.

وقال آخرون: المراد بالنفي ههنا السجن، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، واختار ابن جرير أن المراد بالنفي ههنا أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه.

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْى فِي الدُّنِيَ أَوْلَهُمْ فِي الْآَنِيَ عَذَابُ عَظِيمُ ﴾ أي: هذا الذي ذكرته من قتلهم ومن صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم، خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة، وهذا يؤيد قول من قال: إنها نزلت في المشركين فأما أهل الإسلام ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت في قال: أخذ علينا رسول الله يَعْفَ كما أخذ على النساء ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا يَعْضَهُ بعضنا بعضاً، فمن وفي منكم فأجره على الله تعالى، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن ستره الله فأمره إلى الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له (٣).

وعن على قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذنب ذنباً فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود عليه في شيء قد عفا عنه». رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب(٤).

وقد سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث، فقال: روي مرفوعاً وموقوفاً، قال ورفعه صحيح (٥).

وقال ابن جرير في قوله: ﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزَى فِي ٱلدُّنَيَّا ﴾ يعني: شر وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة. ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾ أي: إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به، وقول أنس أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً، وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري بسند حسن، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف، وقول الربيع بن أنس أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عنه وقول الليث ومالك بن أنس أخرجهما الطبري بسند حسن من طريق الوليد بن مسلم عنهما. وقول الزهري أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عنه.

⁽٢) أخرجه بنحوه الطبري بسند حسن عن سعيد بن جبير.

⁽٣) صحيح مسلم، الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (ح١٧٠٩).

⁽٤) المسند ٩٩/١، وسنن الترمذي، الإيمان، باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن (ح٢٦٢٦)، وسنن ابن ماجه الحدود، باب الحد كفارة (ح٢٦٠٤)، وحسنه الترمذي وصححه الدارقطني كما يلي.

⁽٥) العلل ٣/١٢٩.

حتى هلكوا لهم في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا، والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها ﴿ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾، يعني: عذاب جهنم، وقوله تعالى: ﴿ إِلّا الَذِينَ تَابُواْ مِن قَبِلِ أَن تَقَدِرُواْ عَلَيْمٍ أَما على قول من قال: إنها في أهل الشرك فظاهر، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم، فإنه يسقط عنهم انحتام القتل والصلب وقطع الرجل، وهل يسقط قطع اليد أم لا؟ فيه قولان للعلماء، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع، وعليه عمل الصحابة، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن الشعبي قال: كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة، وكان قد أفسد في الأرض وحارب، فكلم رجالاً من قريش منهم الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن جعفر، فكلموا علياً فيه فلم يؤمنه، فأتى سعيد بن قيس الهمداني فخلفه في داره، ثم أتى علياً، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، فقرأ حتى بلغ ﴿ إِلّا أمير المؤمنين، أرأيت من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، فقرأ حتى بلغ ﴿ إِلّا أَمِينَ مَبْلِ أَن تَقْدِرُوا ﴾ قال: فكتب له أماناً، قال سعيد بن قيس: فإنه حارثة بن بدر (١)، وكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن مجالد عن الشعبي به، وزاد فقال حارثة بن بدر:

ألا بلغا همدان إما لقيتها على النّأي (٢) لا يسلم عدو يعيبها لعمرُ أبيها إن همدان تتقي ال إله ويقضي بالكتاب خطيبها (٣)

وروى ابن جرير من طريق سفيان الثوري عن السدي، ومن طريق [أشعث]⁽³⁾، كلاهما عن عامر الشعبي قال: جاء رجل من مراد إلى أبي موسى وهو على الكوفة في إمارة عثمان والمعدما صلى المكتوبة، فقال: يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك، أنا فلان بن فلان المرادي، وإني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض فساداً، وإني تبت من قبل أن تقدروا عليّ، فقام أبو موسى فقال: إن هذا فلان بن فلان، وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، وإنه تاب من قبل أن نقدر عليه فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير، فإن يك صادقاً فسبيل من صدق، وإن يك كاذباً تدركه ذنوبه، فأقام الرجل ما شاء الله، ثم إنه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله (٥).

ثم قال ابن جرير: حدثني علي، حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال الليث: وكذلك حدثني موسى بن إسحاق المدني، [وهو الأمير عندنا]^(٦)، أن علياً الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الأثمة والعامة، فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائباً، وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية ﴿قُلْ يَعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسَرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا نَقَنطُوا مِن رَّحَمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

⁽١) في سنده مجالد فيه مقال.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «الناس». وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه مجالد أيضاً فيه مقال.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل تصحفت إلى: «أشعب».

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق أشعث به (المصنف ٢٨٢/١٢)، وسنده حسن.

⁽٦) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «وهو الآن عندنا».

الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: ٥٣] فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه، فغمد سيفه، ثم جاء تائباً حتى قدم المدينة من السحر، فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله عليه فصلى الصبح ثم قعد إلى أبي هريرة في أغمار أصحابه، فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا إليه فقال: لا سبيل لكم علي جئت تائباً من قبل أن تقدروا علي، فقال أبو هريرة: صدق، وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال: هذا علي جاء تائباً ولا سبيل لكم عليه ولا قتل، فترك من ذلك كله، قال: وخرج علي تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر، فلقوا الروم فقربوا سفينته إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر، فمالت به وبهم فغرقوا جميعاً (١).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، وقد قال بعدها: ﴿وَاتِتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

قال سفيان الثوري، عن طلحة، عن عطاء، عن ابن عباس: أي القربة^(٢). وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد^(٣).

وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه (٤).

وقرأ ابن زيد ﴿ أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَغُونَ إِلَّ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧](٥).

وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه. وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر: إذا غفل الواشون عُدنا لوصلِنا وعاد التصافي بيننا والوسائل (٦) والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الوليد بن مسلم، كثير التدليس والتسوية ولم يصرح بالسماع.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج عن ابن عباس في سورة الإسراء [آية ٥٧]، وسنده منقطع لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس، أما السند الذي ذكره الحافظ ابن كثير فقد أخرجه الطبري من طريق الثوري به بدون ذكر ابن عباس.

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول أبي وائل أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عنه، وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول عبد الله بن كثير أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو ابن داود ضعيف، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه بنحوه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

⁽٦) ذكره الطبري ومعمر في مجاز القرآن ١/ ٦٤.

الجنة وهي منزلة رسول الله على وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله المنهذذ «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة»(١).

(حديث آخر) في صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي على يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة"(٢).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن ليث، عن كعب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة». قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»(٣).

ورواه الترمذي عن بندار، عن أبي عاصم، عن سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن كعب قال: حدثني أبو هريرة، ثم قال: غريب، وكعب ليس بمعروف، لا نعرف أحداً روى عنه غير ليث بن أبي سليم (٤٠).

(حديث آخر) عن أبي هريرة في الله قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن قانع، حدثنا محمد بن نصر الترمذي، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب، عن ليث، عن المعلى، عن محمد بن كعب، عن أبي هريرة رفعه، قال: «صلوا علي صلاتكم وسلوا الله لي الوسيلة» فسألوه، أو أخبرهم أن الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو (٥٠).

(حديث آخر) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني، حدثنا موسى بن أعين، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله على: «سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»، ثم قال الطبراني لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا موسى بن أعين أعين كذا قال: وقد رواه ابن مردويه: حدثنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن

⁽١) صحيح البخاري، الأذان، باب الدعاء عند النداء (ح٦١٤).

⁽٢) صحيح مسلم، الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن (ح٣٨٤).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه أحمد شاكر (المسند ح٧٥٨٨).

⁽٤) سنن الترمذي، المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (ح٣٦١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٣٨٥).

⁽٥) حكمه كسابقه.

 ⁽٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٣٧٠ (ح٦٣٧)، قال الهيثمي: وفيه الوليد بن عبد الملك الحراني:
 وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: مستقيم الحديث إذا روى عن الثقات (مجمع الزوائد ٣٣٨/١)، =

حازم، حدثنا عبید الله بن موسی، حدثنا موسی بن عبیدة، عن محمد بن عمرو بن عطاء، فذکر بإسناده نحوه (۱).

(حدیث آخر) روی ابن مردویه بإسناده عن عمارة بن غزیة، عن موسی بن وردان أنه سمع أبا سعید الخدري یقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الوسیلة درجة عند الله لیس فوقها درجة، فسلوا الله أن یؤتینی الوسیلة علی خلقه»(۲).

(حديث آخر) روى ابن مردويه أيضاً من طريقين عن عبد الحميد بن بحر، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي، عن النبي على قال: «في الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة» قالوا: يا رسول الله، من يسكن معك؟ قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين» (٣). هذا حديث غريب منكر من هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسن [الدشتكي] مدثنا أبو زهير، حدثنا سعد بن طريف، عن علي بن الحسين الأزدي مولى سالم بن ثوبان، قال: سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة: يا أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين: إحداهما بيضاء والأخرى صفراء، أما البيضاء فإنها إلى بطنان العرش، والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة، كل بيت منها ثلاثة أميال، وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد، واسمها الوسيلة، هي لمحمد وهم وأهل بيته، والصفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم على وأهل بيته والمفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم على وأهل بيته أيسة وأهل أثر غريب أيضاً.

وقوله: ﴿وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَلَكُمُ تُغْلِحُونَ﴾ لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم، والتاركين للدين القويم، ورغبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح، والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة، الآمنة الحسنة مناظرها، الطيبة مساكنها، التي من سكنها ينعم لا يبأس، ويحيى لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه.

ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ صَافَعُوا لَوْ أَنَ لَهُم مَا فِي الْأَرْضِ جَيعًا وَمِثْلَمُ مَعَكُم لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِينَمَةِ مَا نُقُبِّلَ مَعَكُم لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَاب يَوْمِ الْقِينَمَةِ مَا نُقُبِلَ مِنْ مَذَابُ أَلِيدٌ ﴿ وَهِ أَي لَوْ أَن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبا وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به، وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه، بل لا مندوحة عنه ولا محيص ولا مناص، ولهذا قال: ﴿ وَلَمْتُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ﴾ أي: موجع ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ

⁼ وروايته هنا عن موسى بن أعين وهو ثقة.

⁽١) في سنده موسىٰ بن عبيدة وهو: الربذي ضعيف كما في التقريب.

⁽٢) يشهد له ما تقدم.

⁽٣) ضعفه الحافظ ابن كثير.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل صُحف إلى: «الرستكي».

⁽٥) سنده ضعيف جداً لأن سعد بن طريف متروك رافضي رماه ابن حبان بالوضع (التقريب ص٢٣١).

النَّادِ وَمَا هُم يِخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوۤا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيِّر أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ الآية [الحج: ٢٢]، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى ذلك، وكلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ أي: دائم مستمر لا خروج لهم منها، ولا محيد لهم عنها.

وقد قال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله على: "يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له: يا ابن آدم، كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شر مضجع، فيقال: هل تفتدي بقراب الأرض ذهباً؟ قال: فيقول: نعم يا رب، فيقول الله: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل، فيؤمر به إلى النار»، رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه (۱) وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه، عن قتادة، عن أنس به، وكذا أخرجاه من طريق أبي عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك به (۲)، ورواه مطر الوراق عن أنس بن مالك، ورواه ابن مردويه من طريقه عنه.

ثم روى ابن مردويه من طريق المسعودي عن يزيد بن صهيب الفقير، عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله على قال: فقلت لجابر بن عبد الله: مسول الله على قال: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَغْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم يِخْرِجِينَ مِنْهَا ﴾ قال: اتل أول الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عَمْواً لَوْ أَنَ لَهُم مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَيمًا وَمِثْلَمُ مَعَهُ لِيقْتَدُوا بِهِ ﴾ الآية، ألا إنهم الذين كفروا. وقد روى الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث: من وجه آخر عن يزيد الفقير، عن جابر (٣)، وهذا أسط سياقاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شيبة الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا مبارك بن فضالة، حدثني يزيد الفقير قال: جلست إلى جابر بن عبد الله وهو يحدث، فحدث أن ناساً يخرجون من النار، قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجب من الناس، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يخرج ناساً من النار، والله يقول: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَغْرُجُوا مِنَ النّارِ وَمَا هُم يَخْرِجِينَ مِنْها ﴾ الآية، فانتهرني أصحابه، وكان أحلمهم، فقال: دعوا الرجل إنما ذلك للكفار، فقرأ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَ لَهُم مَا فِي الْأَرْضِ بَهِيعًا وَمِثلَمُ مَكُولًا لِيقَتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْقِينَمَةِ ﴿ حتى بلغ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قد جمعته، قال: أليس الله يقول: ﴿ وَمِنَ النِّلِ فَتَهَجّد بِهِ عَنَافَة لَكَ عَمَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُعْمُودًا فَلَ الإسراء] فهو ذلك المقام، فإن الله تعالى يحتبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء، لا

⁽۱) صحيح مسلم، صفات المنافقين، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة (ح٢٨٠٧).

⁽٢) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٢٥٥٧)، والمصدر السابق، باب جزاء المؤمن بحسناته... (ح٢٨٠٨).

 ⁽٣) أخرجه مسلم من طريق يزيد الفقير به مختصراً (الصحيح، الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح٣٢٠).

يكلمهم فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم، قال: فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به(١).

ثم قال ابن مردویه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم بن عليّ، أخبرنا العباس بن الفضل، حدثنا سعيد بن المهلب، حدثني طلق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها، يذكر الله فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق، أتراكَ أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني؟ إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً فعذبوا، ثم أخرجوا منها، ثم أهوى بيديه إلى أذنيه فقال: صمّتاً إن لم أكن سمعت رسول الله عليه يقول: «يخرجون من النار بعدما دخلوا» ونحن نقرأ كما قرأت (٢).

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَـعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ فَهَنَ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ. وَأَصَّلَحَ فَإِكَ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُرُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآهُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيثٌ ۞﴾.

يقول تعالى حاكماً وآمراً بقطع يد السارق والسارقة، وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي، عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرؤها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما) وهذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقاً لها لا بها، بل هو مستفاد من دليل آخر، وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية، فقرر في الإسلام، وزيدت شروط أخر كما سنذكره إن شاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش، قطعوا رجلاً يقال له: دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة، كان قد سرق كنز الكعبة، ويقال: سرقه قوم فوضعوه عنده، وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قطعت يده به، سواء كان قليلاً أو كثيراً لعموم هذه الآية ﴿وَالسَّارِقُ مَتَى سرق السارق شيئاً قطعت يده به، سواء كان قليلاً أو كثيراً لعموم هذه الآية ﴿وَالسَّارِقُ مَا فَالْعَاهِ السَرقة.

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن، عن نجدة الحنفي، قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقطَعُوا آيَدِيَهُما ﴾ أخاص أم عام؟ فقال: بل عام، وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء، ويحتمل غير ذلك، فالله أعلم. وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده» وأما الجمهور، فاعتبروا النصاب في السرقة وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول على حدة، فعند الإمام مالك بن أنس كَلَّهُ النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة، فمتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه، وجب القطع، واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله على قطع

⁽١) أخرجه مسلم من طريق يزيد الفقير به (الصحيح، الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح٣٢٠).

⁽٢) أخرجه البخاري من طريق سعيد بن المهلب به مختصراً (الأدب المفرد ح٧١٨) وقال الألباني: صحيح لغيره (صحيح الأدب المفرد ح٢٢٩).

في مِجَنِّ ثمنه ثلاثة دراهم، أخرجاه في الصحيحين (١)، قال مالك كَلَّشُهُ: وقطع عثمان هذه في أترُجّة قومت بثلاثة دراهم، وهو أحب ما سمعت في ذلك، وهذا الأثر عن عثمان في قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق في زمن عثمان أترجّة، فأمر بها عثمان أن تقوم فقومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهما، فقطع عثمان يده. قال أصحاب مالك: ومثل هذا الصنيع يشتهر، ولم ينكر، فمن مثله يحكى الإجماع السكوتي، وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافاً للحنفية، وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافاً لهم في أنه لا بدّ من عشرة دراهم، وللشافعية في اعتبار ربع دينار، والله أعلم.

وذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية عنه، إلى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي، فمن سرق واحداً منهما أو ما يساويه، قطع عملاً بحديث ابن عمر وبحديث عائشة أن رسول الله على قال: «اقطعوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك» (٤) وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم، والدينار اثني عشر درهماً. وفي لفظ للنسائي «لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن». قيل لعائشة: ما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار، فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم (٥)، والله أعلم.

وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف ومحمد وزفر، وكذا سفيان الثوري، رحمهم الله، فإنهم ذهبوا إلى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة، واحتجوا بأن ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله على كان ثمنه عشرة دراهم.

⁽۱) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ . . . ﴾ [المائدة: ٣٨] -(٧٩٧).

⁽٢) المصدر السابق ح(٦٢٩٢).

⁽٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها ح(٣١٩٠).

⁽٤) يشهد له الأحاديث السابقة.

وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا ابن نمير وعبد الأعلى، حدثنا محمد بن إسحاق، عن أبوب بن موسى، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كان ثمن المجن على عهد النبي على عشرة دراهم (۱)، ثم قال: حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله على: «لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن» (۲) وكان ثمن المجن عشرة دراهم، قالوا: فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفا ابن عمر في ثمن المجن، فالاحتياط الأخذ بالأكثر، لأن الحدود تدرأ بالشبهات.

وذهب بعض السلف إلى أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو ما يبلغ قيمته واحداً منهما، يحكى هذا عن علي وابن مسعود وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى.

وقال بعض السلف: لا تقطع الخمس إلا في خمس؛ أي: في خمسة دنانير أو خمسين درهماً، وينقل هذا عن سعيد بن جبير كَالله. وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة «يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده» بأجوبة:

(أحدها): أنه منسوخ بحديث عائشة، وفي هذا نظر، لأنه لا بدّ من بيان التاريخ.

(والثاني): أنه مؤول ببيضة الحديد وحبل السفن، قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه.

(والثالث): أن هذه وسيلة إلى التدرج في السرقة من القليل إلى الكثير الذي تقطع فيه يده، ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الإخبار عما كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير، فلعن السارق الذي يبذل يده الثمينة في الأشياء المهينة، وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد، اشتهر عنه أنه أورد إشكالاً على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار، ونظم في ذلك شعراً دل على جهله وقلة عقله، فقال:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار تناقض ما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم، وقد أجابه الناس في ذلك، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي كَاللهُ أن قال: لما كانت أمينة، كانت ثمينة، ولما خانت هانت.

ومنهم من قال: هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة، فإن في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يجنى عليها. وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار، لئلا يسارع الناس في سرقة الأموال، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب ولهذا قال: ﴿جَزَآءٌ بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِّنَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيرٌ حَكِمٌ أي: مجازاة على صنيعهما السيء في أخذهما أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك ﴿نَكَلًا مِنَ اللَّهِ ﴾؛ أي: تنكيلاً من الله بهما على ارتكاب ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي: في انتقامه، ﴿عَكِمُ اللهِ في أمره ونهيه وشرعه وقدره.

ثم قال تعالى: ﴿فَنَ تَابَ مِنُ بَعْدِ ظُلْمِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهُ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُ ﴿ ﴾

⁽١) سنده ضعيف لعنعنة بن إسحاق.

⁽٢) سنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق ويشهد له ما سبق في الصحيح.

أي: من تاب بعد سرقته وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلا بدّ من ردّها إليهم أو بدلها عند الجمهور.

وقال أبو حنيفة: متى قطع وقد تلفت في يده فإنه لا يرد بدلها، وقد روى الحافظ أبو الحسن الدارقطني من حديث [محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان] (۱) عن أبي هريرة أن رسول الله على أتي بسارق قد سرق شملة، فقال: ما إخاله سرق، فقال السارق: بلى يا رسول الله. قال: «اذهبوا به فاقطعوه، ثم المتوني به فقطع فأتي به فقال: «تب إلى الله فقال: تبت إلى الله فقال: «تاب الله عليك (۲). وقد روي من وجه آخر مرسلاً، ورجح إرساله على بن المديني وابن خزيمة رحمهما الله (۳).

وروى ابن ماجه من حديث ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري، عن أبيه أن عمر بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، جاء إلى النبي على فقال: يا رسول الله، إني سرقت جملاً لبني فلان، فطهرني فأرسل إليهم النبي على فقالوا: إنا افتقدنا جملاً لنا، فأمر به فقطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهرني منك، أردت أن تدخلي جسدي النار(٤).

وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني يحيى بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله على فجاء بها إلى الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرقتنا. قال قومها: فنحن نفديها، فقال رسول الله على: «اقطعوا يدها»، فقالوا: نحن نفديها بخمسمائة دينار، فقال: «اقطعوا يدها» فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك»، فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فَنَ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَلَدَتُ أَمْكُ، فَأَوْرُ رَحِيمُ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ إِنَّ اللهَ عَنُورُ رَحِيمُ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ إِنَّ اللهَ عَنُورُ رَحِيمُ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ إِنَّ اللهَ عَنُورُ رَحِيمُ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ إِنَّ اللهَ عَنُورُ رَحِيمُ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في الصحيحين من رواية الزهري عن [عروة] عن عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت، في عهد النبي على في غزوة

١) ما بين معقوفين زيادة من سنن الدارقطني (٣/ ١٠٢)، وفي نسخة (حم) و(مح) بياض، وسقط من الأصل.

⁽٢) أخرجه الدارقطني من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان (السنن ٣/ ١٠٢)، وضعفه الألباني في إرواء الخليل (ح٢٤٣).

⁽٣) أي بدون ذكر أبي هريرة ونقله الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ٧٤ وسنده ضعيف للإرسال.

⁽٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الحدود، باب السارق يعترف ح٢٥٨٨)، وضعفه البوصيري بسبب ابن لهيعة (مصباح الزجاجة ٣١٧/٢)، وكذا الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ح٥٦٦).

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/١٧٧)، وحكمه كسابقه.

⁽٧) كذا في (مح) والتخريج، وفي الأصل بياض.

وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الأحكام، ولله الحمد والمنة، ثم قال تعالى: ﴿ أَلَدُ تَعَلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُم مُلَكُ السَّمَوَتِ وَاللَّرْضِ ﴾ أي: هو المالك لجميع ذلك، الحاكم فيه، الذي لا معقب لحكمه، وهو الفعال لما يريد ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاّهُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاّهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله ﷺ : ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا مَامَنًا بِأَفْوَهِهِم وَلَدَ تُؤْمِن

⁽۱) صحيح البخاري، الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (ح٦٧٨٨)، وصحيح مسلم، الحدود، باب قطع السارق الشريف... (ح١٦٨٨).

⁽۲) المسند 1/101، وسنن أبي داود، الحدود، باب في القطع في العادية إذا جحدت (ح101/100)، وسنن النسائي، قطع السارق، باب ما يكون حرزاً وما لا يكون 1/100، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح101/100).

قُلُوبُهُم أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون وَوَمِنَ الّذِينَ هَادُوا الإيمان بألسنتهم، وهؤلاء كلهم ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أي: مستجيبون لله ، منفعلون عنه، ﴿ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمَ يَأْتُوكُ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد، وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك ﴿ يُعَرِّفُونَ ٱلْكِلْمَ مِنْ بَعَدِ مَوَاضِعِدِ أَي : يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون، ﴿ يَقُولُونَ إِنّ أُوتِيتُ مَ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُوتُوهُ فَأَحَدُوا ﴾ قيل: نزلت في قوم من اليهود قتلوا قتيلاً، وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن حكم بالدية فاقبلوه، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه، والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم، فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين، فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالبك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك.

وقد وردت الأحاديث في ذلك فقال مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر في: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله في فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله في: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده، فإذا آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله في فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة (۱۱)، أخرجاه، وهذا لفظ البخاري وفي لفظ له: فقال لليهود: «ما تصنعون بهما؟» قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما، قال: ﴿فَأَتُوا بِالتَّورُنَةِ فَاتَلُوهَا إِن كُنتُمُ صَدِقِيك آل عمران: ٩٣] فباؤوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور: اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها، فوضع يده عليه فقال: ارفع يدك فرفع، فإذا آية الرجم تلوح، قال: يا محمد إن فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما (۱).

وعند مسلم أن رسول الله على أتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله على حتى جاء يهود فقال: «ما تجدون في التوراة على من زنى؟» قالوا: نسود وجوههما ونحمههما، ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما. قال: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَلَةِ فَاتَلُوهَا إِن كُنتُم صَلِوْتِك ﴾ قال: فجاؤوا بها فقرؤوها حتى إذا مر بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله على مُره فليرفع يده فرفع يده، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله على فرجما. قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه (٣).

⁽۱) الموطأ، الحدود، باب ما جاء في الرجم (ح۱)، وصحيح البخاري، المناقب باب قول الله تعالى: ﴿ يَتْرِفُونَهُ كُمَّا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ مَ . . . ﴾ [البقرة: ١٤٦] (ح٣٦٣٥)، وصحيح مسلم، الحدود، باب رجم اليهود... (ح٢٧/١٦٩٩).

⁽٢) صحيح البخاري، التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة من كتب الله بالعربية وغيرها (ح٧٥٤٣).

⁽٣) صحيح مسلم، الحدود، باب رجم اليهود... (ح١٦٩٩).

وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني، حدثنا ابن وهب، حدثنا هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر قال: أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله على القف، فأتاهم في بيت المدراس، فقالوا: يا أبا القاسم، إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكم. قال: ووضعوا لرسول الله على وسادة فجلس عليها، ثم قال: «ائتوني بالتوراة»، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، وقال: «آمنت بك وبمن أنزلك» ثم قال: «ائتوني بأعلمكم» فأتي بفتى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع (۱).

وقال الزهري: سمعتُ رجلاً من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه، ونحن عند ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا إلى هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، قلنا: فتيا نبي من أنبيائك. قال: فأتوا النبي على وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم، ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم بكلمة حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب فقال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟» قالوا: يحمم ويجبه ويجلد، والتجبيه أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما، قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه رسول الله على سكت، ألظ به رسول الله على النشدة، فقال: اللهم إذ نشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي على: «فما أول ما ارتخصتم أمر الله»؟ وجمه، فحال قومه دونه وقالوا: لا نرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصلطحوا على رجمه، فعال النبي على منها فرجما، قال الزهري: هذه العقوبة بينهم، فقال النبي الذي أن أنزلنا التورية فيها هذى وَوُرَّ يَحَكُمُ بها اللّهِيونَ اللّذِينَ أَسَلمُوا» فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿إنّا أَنزَلنا التَوْرَنة فيها هُدَى وَوُرَّ يَحَكُمُ بها النّبِيثُونَ الّذِينَ أَسَلمُوا» فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿إنّا أَنزَلنا التَوْرَنة فيها هُدَى وَوُرَّ يَحَكُمُ بها النّبِيثُونَ الّذِينَ أَسَلمُوا» فكان النبي على منهم، رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه (٢٠)، وابن جرير.

⁽۱) سنن أبي داود، الحدود، باب في رجم اليهوديين (ح٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٧٣).

⁽٢) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه، الحدود، باب في رجم اليهوديين (ح٤٤٥٠)، وأخرجه الإمام أحمد من طريق الزهري به (المسند ١٨٢/١٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، إلى قوله: ﴿وَمَن لَدَ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ ﴿ قَال: في اليهود، إلى قوله: ﴿وَمَن لَدَ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْفَلِيقُونَ ﴾ الظّلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] قال: في اليهود: ﴿وَمَن لَدَ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْفَلِيقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] قال: في الكفار كلها (١٠)، انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري (٢) وأبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به.

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مجالد بن سعيد الهمداني، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: زنى رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة، أن سلوا محمداً عن ذلك، فإذا أمركم بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك، فقال: «أرسلوا إلي أعلم رجلين فيكم» فجاؤوا برجل أعور يقال له ابن صوريا، وآخر، فقال لهما النبي على: «أنتما أعلم من قبلكما» فقالا: قد دعانا قومنا لذلك، فقال النبي لهما «أليس عندكما التوراة فيها حكم الله» قالا: بلى، فقال النبي الله: «فأنشدكم بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وظلل عليكم الغمام، وأنجاكم من آل فرعون، وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل، ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقال أحدهما للآخر: ما نشدت بمثله قط، ثم قالا: نجد ترداد النظر زنية، والاعتناق زنية، والتقبيل زنية، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدي ويعيد، كما يدخل الميل في والاعتناق زنية، والتقبيل زنية، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدي ويعيد، كما يدخل الميل في فاحكم بينهم أو أغرض عَنهم وإن عَوض عَنهم فكن يَعْبُرُوك شَيْعًا وإن حَكمت فاخكم بينهم بألقسط في المكحلة، فقد وجب الرجم، فقال النبي على ني يَعْبُروك شَيْعًا وإن حَكمت فاخكم بينهم بألقسط في فاحده عن حديث مجالد به نحوه (٤٠).

ولفظ أبي داود عن جابر، قال: جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا، فقال: «ائتوني بأعلم رجلين منكم» فأتوه بابني صوريا، فنشدهما «كيف تجدان أمر هذين في التوراة؟» قالا: نجد إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة، رجما، قال: «فما يمنعكم أن ترجموهما؟» قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا رسول الله على بالشهود، فجاء أربعة، فشهدوا أنهم رأوا ذكره مثل الميل في المكحلة، فأمر رسول الله على برجمهما (٥).

ثم رواه أبو داود عن الشعبي وإبراهيم النخعي مرسلاً، ولم يذكر فيه: فدعا بالشهود فشهدوا (٦).

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٨٦/٤)، وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق الأعمش به (الصحيح، الحدود، باب رجم اليهود... ح١٧٠٠).

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) أخرجه الحميدي بسنده ومتنه (المسند ح١٢٩٤)، وسنده ضعيف بسبب ضعف مجالد.

⁽٤) سنن أبي داود، الحدود، باب في رجم اليهوديين (ح٤٤٥٢)، وسنن ابن ماجه، الأحكام، باب بما يستحلف أهل الكتاب (ح٢٣٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٧٤٠)، ولعله بشواهد وبعدم ذكر نزول الآية.

⁽٥) المصدر السابق من سنن أبي داود.

⁽٦) سنن أبي داود، الباب السابق (ح٤٤٥١، ٤٤٥٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتَنَتُمُ فَلَن تَعْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْعًا أَوْلَتُهِكَ ٱلّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّر فَلُوبَهُمْ فَي الدُّنْيَا خِزَيُّ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ شَاعُونَ لِلْكَذِبِ اللّهُ أَي: الحرام، وهو الرشوة، كما قاله ابن مسعود وغير واحد (١٠)؛ أي: ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له، ثم قال لنبيه ﴿فَإِن جَآءُوكَ اللهُ أَي: يتحاكمون إليك ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمٌ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَن يَضُرُّوكَ شَيْعًا ﴾ أي: فلا عليك أن لا تحكم بينهم، لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل ما يوافق أهواءهم.

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والحسن وغير واحد: هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَا ٓ أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] (٢).

﴿وَإِن حَكَمْتَ فَأَحَكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسَطِّ﴾ أي: بالحق والعدل، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

ثم قال تعالى منكراً عليهم في آرائهم الفاسدة، ومقاصدهم الزائغة في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً، ثم خرجوا عن حكمه، وعدلوا إلى غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندُهُمُ ٱلتَّوَرَدَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَوْنَ مِنْ بَعَدِ ذَالِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ اللَّهِ ثُمَ اللَّهِ ثُمَ يَتَوَلُونَ مِنْ بَعَدِ ذَالِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ١٤٦٦٦)، وابن أبي شيبة (المصنف ٥٨٨/٥)، والطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽۲) قول ابن عباس أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عنه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۳۱۲/۲)، وقول مجاهد أخرجه الطبري بإسنادين يقوي أحدهما الآخر، وقول عكرمة أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح (المصنف ٦/٤٩٤)، وقول الزهري أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح (المصنف رقم ١٠٠٠٧) وقول السدي أخرجه الطبرى بسند حسن من طريق أسباط عنه.

وخافوا مني، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكِكَ هُمُ ٱلْكَنفِرُونَ﴾ فيه قولان سيأتي بيانهما.

سبب آخر في نزول هذه الآيات الكريمات:

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: إن الله أنزل: ﴿وَمَن لَّدَ يَحَكُم بِمَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾، ﴿ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلظَّلِلمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ وَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] قال: قال ابن عباس: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً (١)، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي علية المدينة، فذلت الطائفتان كلتاهما، لمقدم رسول الله عليه ويومئذٍ لم يظهر، ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان في حَيَّيْن قط. دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض، إنما أعطيناكم هذا ضيماً (٢) منكم لنا وفرقاً (٣) منكم، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله على بينهم، ثم ذكرت العزيزة، فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم فدسُّوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه، فدسّوا إلى رسول الله ﷺ ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ، فلما جاؤوا رسول الله ﷺ، أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحَزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَوِّعُونَ فِي ٱلْكُفِّرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَسِقُونَ ﴾ ففيهم والله أنزل، وإياهم عنى الله ﷺ (٤). ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد عن [أبيه] (٥) بنحوه (٢).

وقال أبو جعفر بن جرير، حدثنا هناد بن السري وأبو كريب، قالا: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن الآيات التي في المائدة قوله: ﴿فَالْحَكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُم الله ﴿اللهُ عَسِطِينَ ﴾ إنما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة، وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف، تؤدى لهم الدية كاملة، وأن قريظة كانوا يؤدى لهم نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله على فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم

⁽١) الوسق: حمل بعير (المصباح المنير ٢/٣٣٦).

⁽٢) أي: ظلماً.

⁽٣) أي: خوفاً.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه أحمد شاكر (المسند ح٢١١٧)، وصححه أيضاً الساعاتي (الفتح الرباني ١٨/ ١٣١).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.

⁽٦) السنن، الأقضية، باب في القاضي يخطئ (ح٣٥٧٦)، قال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٣٥٧٦).

رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية في ذلك سواء، والله أعلم أي ذلك كان^(١). ورواه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن إسحاق بنحوه^(٢).

ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى بنحوه (٤)، وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حيان وابن زيد وغير واحد.

وقد روى العوفي وعلى بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا^(ه)، كما تقدمت الأحاديث بذلك، وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله، والله أعلم، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ اللَّهُ مِن بِالنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ وَاللهُ عَلَيْهِمْ اللهُ أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَمَ يَحَكُم بِمَا آَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ﴾ قال السراء بـن عـازب وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء العطاردي وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم: نزلت في أهل الكتاب (٦)، زاد الحسن البصري: وهي علينا واجبة.

وقال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، قال: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل، ورضى الله لهذه الأُمة بها^(۷)، رواه ابن جرير^(۸).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) مسند أحمد ٣٦٣/١، وسنن أبي داود الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة (ح٣٥٩١)، وسنن النسائي القسامة، باب تأويل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ حَكَمْتَ فَأَحَكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسَطِ ﴾ [المائدة: ٤٢] ٨/١٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٠٦).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن ولا يضر بأن رواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب لأنه قد توبع كما في الروايات السابقة.

⁽٤) سنن أبي داود، الديات، باب النفس بالنفس (ح٤٩٤)، وسنن النسائي، الباب السابق ١٨/٨، والمستدرك ٣٦٦/٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٧٧٢).

⁽٥) أخرجهما الطبري وطريق ابن أبي طلحة يقوي طريق العوفي.

⁽٦) قول البراء أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن مرة عنه، وقول حذيفة أخرجه الطبري بسند منقطع من طريق أبي البختري عنه وأبو البختري لم يسمع من حذيفة، وقول أبي مجلز أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) أخرجه الطبري من طريق عبد الرزاق به، وسنده صحيح.

سلمة بن كهيل، عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة. فقال: من السحت، فقالا: وفي الحكم، قال: ذاك الكفر، ثم تلا ﴿وَمَن لَدٌ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَكِيكَ هُمُ الْكَيْمُونَ﴾ (١).

وقال السدي: ﴿وَمَن لَمْ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾ يقول: ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً أو جار وهو يعلم، فهو من الكافرين (٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَن لَدَ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَكَهِكَ هُمُ الْكَيْفِرُونَ ﴾ قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق، رواه ابن جرير (٣)، ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب، أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب.

وقال عبد الرزاق، عن الثوري، عن زكريا، عن الشعبي: ﴿وَمَن لَّمْ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ قال: للمسلمين (٤).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الصمد، حدثنا شعبة، عن ابن أبي السفر، عن الشعبي ﴿وَمَن لَمّ يَعَكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَنفِرُونَ ﴾ قال: هذا في المسلمين ﴿وَمَن لَمّ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الظّلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] قال: هذا في اليهود ﴿وَمَن لَمّ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْفَلْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] قال: هذا في النصارى(٥٠)، وكذا رواه هشيم والثوري، عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي(٢٠).

وقال عبد الرزاق أيضاً: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن لَدَ يَحَكُم ﴾ الآية، قال: هي به كفر، قال ابن طاوس: وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله (٧). وقال الثوري: عن ابن جريج، عن عطاء أنه قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق (٨). رواه ابن جرير.

وقال وكيع، عن سعيد المكي، عن طاوس ﴿وَمَن لَمْ يَعَكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ قال: ليس بكفر ينقل عن الملة^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَكِكَ هُمُ

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وتقدم صحة بعضه عن الشعبي.

⁽٦) سنده صحيح.

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽A) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحيح.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق وكيع به.

ٱلْكَفِرُونَ ﴿ قَالَ: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه (١).

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (٢).

﴿ وَكَنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْمَـنِّينِ وَٱلْأَنْفَ بِٱلْأَنْفِ وَٱلْأَذُكِ ۚ بِٱلْأَدُنِ وَٱلسِّنَ بِٱلسِّنِ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّفَ بِدِ. فَهُوَ كَفَارَهُۥ لَلَّهُ وَمَن لَّذَ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَأُوْلَتِكَ هُمُ ٱلظَّلِلِمُونَ ۞﴾.

وهذا أيضاً مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس، وهم يخالفون حكم ذلك عمداً وعناداً، ويقيدون النضري من القرظي، ولا يقيدون القرظي من النضري، بل يعدلون إلى الدية كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ولهذا قال هناك ﴿وَمَن لَمَ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلكَفِرُونَ لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً، وقال ههنا ﴿فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضاً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن علي بن يزيد أخي يونس بن يزيد، عن الزهري، عن أنس بن مالك أن رسول الله على قرأها: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينُ بالعين﴾ نصب النفس ورفع العين (٣)، وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن المبارك، وقال الترمذي: حسن غريب (٤).

وقال البخاري: تفرّد ابن المبارك بهذا الحديث، وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكي مقرراً ولم ينسخ، كما هو المشهور عن الجمهور، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني عن نص الشافعي، وأكثر الأصحاب بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة.

وقال الحسن البصري: هي عليهم وعلى الناس عامة، رواه ابن أبي حاتم.

وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسألة ثلاثة أوجه، ثالثها: أن شرع إبراهيم حجة دون غيره، وصحح منها عدم الحجية، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني أقوالاً عن الشافعي، وأكثر الأصحاب ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا، فالله أعلم.

وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ كَثَلَث في كتابه «الشامل»، إجماع العلماء، على

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الحاكم من طريق سفيان بن عيينة به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣١٣/٢).

 ⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٢١٥)، وسنده ضعيف لأن علي بن يزيد مجهول (التقريب ٢/
 (٣) وقال أبو حاتم: حديث منكر (العلل ح١٧٣٠).

⁽٤) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح٣٩٧٦)، وسنن الترمذي القراءات، باب في فاتحة الكتاب ٢٩٢٩، ونقل كلام البخاري، والمستدرك ٢٣٦/٢.

الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن رسول الله بعب كتب في كتاب عمرو بن حزم "أن الرجل يقتل بالمرأة" ()، وفي الحديث الآخر "المسلمون تتكافأ دماؤهم" ()، وهذا قول جمهور العلماء، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها إلا أن يدفع وليها إلى أوليائه نصف الدية، لأن ديتها على النصف من دية الرجل، وإليه ذهب أحمد في رواية، وحكي عن الحسن وعطاء وعثمان [النهدي] () ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها بل تجب ديتها، وهكذا احتج أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر الذمي، وعلى قتل الحر بالعبد، وقد خالفه الجمهور فيهما، ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين على شي قال: قال رسول الله الله العبد من الحر، مسلم بكافر () وأما العبد ففيه عن السلف آثار متعددة أنهم لم يكونوا يقيدون العبد من الحر، ولا يقتلون حراً بعبد، وجاء في ذلك أحاديث لا تصح، وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك، ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل مخصص للآية الكريمة.

ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك، كما قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، حدثنا حميد، عن أنس بن مالك أن الرَّبيِّع عمة أنس، كسرت ثنية جارية، فطلبوا إلى القوم العفو فأبوا، فأتوا رسول الله على فقال: «القصاص»، فقال أخوها أنس بن النضر: يا رسول الله، تكسر ثنية فلانة، فقال رسول الله على: «يا أنس كتاب الله القصاص» قال: فقال: لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية فلانة، قال: «فرضي القوم فعفوا وتركوا القصاص»، فقال رسول الله على الله لأبره» أخرجاه في الصحيحين (٢).

وقد رواه محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري في الجزء المشهور من حديثه، عن حميد، عن أنس بن مالك أن الرُبيّع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ثنيتها، [فعرضوا عليهم الأرش فأبوا، فطلبوا الأرش والعفو فأبوا] (٧) فأتوا رسول الله على فأمرهم بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول على، أتكسر ثنية الرُبيّع؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال النبي على: «يا أنس كتاب الله القصاص» فعفا القوم، فقال رسول الله على: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» رواه البخاري عن الأنصاري بنحوه (٨).

وروى أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن

⁽١) (٢) تقدم تخريجهما في تفسير سورة البقرة آية ١٧٨.

⁽٣) كذا في الأصل، وفي نسخة (حم) و(مح): «البتّي».

⁽٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٨.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/١٢٨)، وسنده صحيح.

⁽٦) صحيح البخاري، الجهاد، باب قول الله عَلى: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ ... ﴾ [الأحزاب: ٢٣] (ح٢٨٠)، وصحيح مسلم، القسامة، باب إثبات القصاص في الأسنان (ح١٦٧٥).

⁽٧) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «فعرضوا عليهم الأرض». وفيه تصحيف وسقط.

⁽٨) صحيح البخاري، الصلح، باب الصلح في الدية (ح٢٧٠٣).

أبي نضرة، عن عمران بن حصين أن غلاماً لأناس فقراء، قطع أذن غلام لأناس أغنياء، فأتى أهله النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا أناس فقراء، فلم يجعل عليه شيئاً (١).

وكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، عن معاذ بن هشام الدستوائي، عن أبيه، عن قتادة به (٢٠). وهذا إسناد قوي، رجاله كلهم ثقات، وهو حديث مشكل، اللهم إلا أن يقال: إن الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه، ولعله تحمل أرش ما نقص من غلام الأغنياء عن الفقراء أو استعفاهم عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصُ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: تقتل النفس بالنفس، وتفقأ العين بالعين، ويقطع الأنف بالأنف، وتنزع السن بالسن، وتقتص الجراح بالمجراح، فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم رجالهم ونساؤهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس، ويستوي فيه العبيد رجالهم ونساؤهم فيما بينهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

قاعدة مهمة:

الجراح تارة تكون في مفصل، فيجب فيه القصاص بالإجماع، كقطع اليد والرجل والكفّ والقدم ونحو ذلك، وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم، فقال مالك كَلْلَهُ: فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها، لأنه مخوف خطر.

وقال أبو حنيفة وصاحباه: لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السنّ.

وقال الشافعي: لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقاً، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس، وبه يقول عطاء والشعبي والحسن البصري والزهري وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز، وإليه ذهب سفيان الثوري والليث بن سعد، وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد.

وقد احتج أبو حنيفة كَلَّلَهُ بحديث الرُبيّع بنت النضر على مذهبه أنه لا قصاص في عظم إلا في السن، وحديث الرُبيّع لا حجة فيه لأنه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية، وجائز أن تكون سقطت من غير كسر، فيجب القصاص والحالة هذه بالإجماع، وتمّموا الدلالة مما رواه ابن ماجه عن طريق أبي بكر بن عياش، عن دهثم بن قُرّان، عن نمران بن جارية، عن أبيه جارية بن ظفر الحنفي: أن رجلاً مرب رجلاً على ساعده بالسيف من غير المفصل فقطعها، فاستعدى النبي على فأمر له بالدية، فقال: يا رسول الله، أريد القصاص، فقال: خذ الدية، بارك الله لك فيها، ولم يقض له بالقصاص (٤).

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: ليس لهذا الحديث غير هذا الإسناد، ودهثم بن قُرّان العكلي ضعيف، أعرابي أيضاً، العكلي ضعيف، أعرابي أيضاً،

⁽۱) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، السُنّة، باب في جناية العبد يكون للفقراء ح٤٥٩٠)، وصحح سنده الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٨٣٧).

⁽٢) سنن النسائي، القسامة، باب سقوط القود بين المماليك فيما دون النفس (٨/ ٢٥)، وقواه الحافظ ابن كثير.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الديات، باب ما لا قود فيه ح٢٦٣٦)، ونقل البوصيري عن أبي داود أنه ضعيف بسبب دهثم بن قُرّان. (مصباح الزجاجة ٢/٣٣٦).

وأبوه جارية بن ظفر مذكور في الصحابة(١).

ثم قالوا: لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تندمل جراحة المجني عليه، فإن اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه، فلا شيء له، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا [يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، وذكر] حمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رجلاً طعن رجلاً بقرن في ركبته، فجاء إلى النبي على فقال: أقدني، فقال: «حتى تبرأ»، ثم جاء إليه فقال: أقدني، فأقاده فقال: يا رسول الله عرجت، فقال: «قد نهيتك فعصيتني، فأبعدك الله وبطل عرجك» ثم نهى رسول الله على أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه ثن، تفرد به أحمد.

(مسألة) فلو اقتص المجني عليه من الجاني فمات من القصاص، فلا شيء عليه عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم.

وقال أبو حنيفة: تجب الدية في مال المقتص. وقال عامر الشعبي وعطاء وطاوس وعمرو بن دينار والحارث العكلي وابن أبي ليلى وحماد بن أبي سليمان، والزهري والثوري: تجب الدية على عاقلة المقتص له.

وقال ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحكم بن عُتيبة وعثمان البتي: يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة، ويجب الباقي في ماله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّفَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةٌ لَهُ ۚ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَمَن تَصَدَّفَ بِهِ ﴾ يقول: فمن عفا وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر للطالب.

وقال سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: فمن تصدق به فهو كفارة للجارح وأجر المجروح على الله ﷺ، رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: وروي عن خيثمة بن عبد الرحمن ومجاهد وإبراهيم في أحد قوليه وعامر الشعبي وجابر بن يزيد نحو ذلك (٥)(٢).

(الوجه الثاني): ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا حماد بن زاذان، حدثنا حرمي _ يعني: ابن عمارة _، حدثنا شعبة، عن عمارة _ يعني: ابن أبي حفصة _، عن رجل، عن جابر بن عبد الله في قول الله في ﴿ فَمَن تَصَدُّفَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴿ قال: للمجروح، وروي عن الحسن البصري وإبراهيم النخعي في أحد قوليه وأبي إسحاق الهمداني نحو ذلك (٧).

⁽١) الاستذكار لابن عبد البر (٢٥٧/٢٥).

⁽٢) بياض في النسخ الثلاث، واستكمل من المسند (ح٧٠٣، ٧٠٣٤).

⁽٣) كذا في النسخ الثلاث، وفي المسند: وبطل جرحك.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده نحوه، وضعفه محققوه بسبب تدليس وعنعنة ابن إسحاق (المسند ٢٠٦/١١ ـ ٢٠٧ ح ٧٠٣٤).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وتعليقه، وسنده حسن، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول إبراهيم أخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور بن المعتمر عنه.

⁽٦) ما تقدم هو الوجه الأول، ويليه الوجه الثاني.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لعدم التصريح باسم شيخ عمارة، ويتقوى بالأثار الخمسة التي تليه.

وروى ابن جرير عن عامر الشعبي وقتادة مثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن قيس - يعني ابن مسلم -، قال: سمعت طارق بن شهاب يحدث عن الهيثم [أبي] (١) العريان النخعي، قال: رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمر [شبيهاً] (٢) بالموالي، فسألته، عن قول الله: ﴿فَمَن تَصَدَّفَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَأَهُ قال: يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به (٣)، وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم، وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة (٤).

وقال ابن مردویه: حدثني محمد بن علي، حدثنا عبد الرحیم بن محمد المجاشعي، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهري، حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي، حدثنا معلى ـ يعني ابن هلال ـ أنه سمع أبان بن ثعلب، عن أبي العریان الهیثم بن الأسود، عن عبد الله بن عمرو، وعن أبان بن ثعلب، عن رجل من الأنصار، عن النبي على في قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّفَ بِهِ أَبان بن ثعلب، عن الشعبي، عن رجل من الأنصار، عن النبي على في قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّفَ بِهِ فَهُو كَفَارَةٌ لَمُ الله قال: «هو الذي تكسر سنه، أو تقطع يده، أو يقطع الشيء منه، أو يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك» ـ قال: - «فيحط عنه قدر خطاياه، فإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان الثلث فثلث خطاياه، وإن كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك» (٥٠).

ثم قال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، حدثنا ابن فضيل، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي السفر قال: دفع رجل من قريش رجلاً من الأنصار، فاندقت ثنيته، فرفعه الأنصاري إلى معاوية فلما ألح عليه الرجل، قال: شأنك وصاحبك، قال: وأبو الدرداء عند معاوية، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله عليه يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه، إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة» فقال الأنصاري: أنت سمعته من رسول الله عليه؟ فقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فخلى سبيل القرشي، فقال معاوية: مروا له بمال (٢). هكذا رواه ابن جرير.

ورواه الإمام أحمد فقال: حدثنا وكيع، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي السفر قال: كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار، فاستعدى عليه معاوية، فقال معاوية: إنا سنرضيه، فألح الأنصاري، فقال معاوية: شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله عليه يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به، إلا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة» فقال الأنصاري: فإنى قد عفوت (٧).

 ⁽١) كذا في النسخ الثلاث، والمثبت من ترجمته في التقريب ص٥٧٧، وتفسير الطبري، وأما في تفسير ابن أبي حاتم فقد سقط لفظ: «أبي».

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل غير واضحة.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه الثوري والطبري في تفسيريهما، وسنده حسن.

⁽٥) سنده ضعيف جداً لأن معلى بن هلال قال الحافظ ابن حجر: اتفق النقاد على تكذيبه (التقريب ص٤١٥).

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للانقطاع بين أبي السفر وأبي الدرداء كما سيأتي عن الترمذي.

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤٤٨)، وسنده كسابقه.

وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك، وابن ماجه من حديث وكيع، كلاهما عن يونس بن أبي إسحاق به، ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه، ولا أعرف لأبي السفر سماعاً من أبي الدرداء (١).

وقال ابن مردویه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا محمد بن علي بن زید، حدثنا سعید بن منصور، حدثنا سفیان، عن عمران بن ظبیان، عن عدي بن ثابت أن رجلاً هتم (۲) فمه رجل علی عهد معاویة هیه، فأعطي دیة، فأبی إلا أن یقتص، فأعطي دیتین فأبی، فأعطي ثلاثاً فأبی، فحدث رجل من أصحاب رسول الله هی أن رسول الله هی قال: «من تصدق بدم فما دونه، فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت» (۳).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُريج بن النعمان، حدثنا هشيم، عن المغيرة، عن الشعبي أن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله على يقول: «ما من رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق بها، إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به»(٤).

ورواه النسائي عن علي بن حجر، عن جرير بن عبد الحميد، ورواه ابن جرير عن محمود بن خداش، عن هشيم، كلاهما عن المغيرة به (٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن مجالد، عن عامر، عن المحرَّر ابن أبي هريرة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له» (٢). وقوله: ﴿وَمَن لَمَّ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ الطَّلِمُونَ ﴿ قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَنِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَـكَذِيهِ مِنَ ٱلتَّوَرَبَّةِ وَءَاتَيْنَكُهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُمُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْدٍ مِنَ ٱلتَّوْرَئِيةِ وَهُمُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُثَّقِينَ ۞ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ ٱللّهُ فِيهِ وَمَن لَدَ يَخَصُم بِمَا أَنزَلَ ٱللّهُ فَأُولَتَهِكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ ۞﴾.

يقول تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا﴾ أي: أتبعنا على آثارهم؛ يعني: أنبياء بني إسرائيل ﴿ بِعِيسَى أَبِّنِ مَرَّيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا يَقُولُ عَالَى اللَّهِ عَلَى وَنُورٌ ﴾ أي: لِمَا بَيْنَ يَكَذِهِ مِنَ التَّوَرَدَةِ ﴾ أي:

⁽١) سنن الترمذي، الديات، باب ما جاء في العفو (ح١٣٩٣)، وسنن ابن ماجه، الديات، باب العفو في القصاص (ح٢٦٩٣)، وحكمه كسابقه.

⁽٢) أي كسر ثناياه (المصباح المنير ٣٠٦/٢).

⁽٣) في سنده عمران بن ظبيان وهو ضعيف (التقريب ص٤٢٩).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣١٦)، وسنده ضعيف للانقطاع بين الشعبي وعبادة (جامع التحصيل ص٢٤٨).

⁽٥) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَأَمُ [المائدة: ٤٥] (ح١١١٤٦)، وتفسير الطبري، وسنده ضعيف كسابقه.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٤١٢)، وسنده ضعيف لأن مجالداً ليس بالقوي كما في التقريب.

هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّهِ مِنَ التَّوْرَكِةِ ﴾ أي: متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما يبيّن لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَ لَكُم بَعْضَ اللَّذِي عَنَ المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُى وَمَوْظُهُ لِلْمُتَوِينَ﴾ أي: وجعلنا الإنجيل هدى يُهتدى به، ﴿وَمَوْظُهُ﴾؛ أي: زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم، ﴿لِلْمُتَوِينَ﴾؛ أي: لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحَكُمُ أَهُلُ الْإِغِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيعُ قرئ ﴿وليحكم ﴾ بالنصب على أن اللام لام كي؛ أي: وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم، وقرئ ﴿وَلِيَحَكُمُ ﴾. بالجزم على أن اللام لام الأمر؛ أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة أللام لام الأمر؛ أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة تُجمُولُ التَّوْرَنَة وَالْإِنِيلِ وَمُعَلِّ إِلَيْكُمُ مِن رَبِكُمُ ﴾ الآية [المائدة: ٦٨] وقال تعالى: ﴿ اللَّهِ عَلَيْهُمُ عَن النَّيْوَلُ اللَّهِ اللَّهِ وَالْمَائِونِ وَيَنْهُمُ عَن النَّوْرَدَةِ وَالإِنِيلِ يَأْمُولُمُ مِ إِلْمَعْرُوفِ وَيَنْهُمُ عَن التَّوْرَدَةِ وَالإِنِيلِ يَأْمُولُمُ مِ إِلْمَعْرُوفِ وَيَنْهُمُ عَن التَّوْرَدَةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُولُمُ مَ الْمُقْلِوفِ وَيَنْهُمُ عَن النَّوْرَدَةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُولُمُ مَ الْمُقْلِوفِ وَيَنْهُمُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ مَالُمُ الطّيتِنَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ النَّذِي وَيَعْمُ عَنْهُمْ وَالْأَغْلُلُ اللَّهِ مَا النَّورَ وَيُعْمَلُونَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَالْأَغْلُلُ اللَّهِ مَالمُون اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ فَالْوَلَةِ لَكُ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلْهُمْ اللَّهُمَ اللَّهُ وَلَيْكُ هُمُ الْمُؤْلِدُ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق، وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق، وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى، وهو ظاهر من السياق.

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيّمِنًا عَلَيْهٍ فَاحْتُمُ بَيْنَهُم بِمَا أَذَلُ اللّهُ وَلَا تَنَبِعُ أَهُوَاءَهُمْ عَمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجَأً وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَجَعَلَتَ مُنكُمْ اللّهُ وَبَعِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُمْ فَاسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَتِ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْتِكُمُ إِنَّا أَذَلُ اللّهُ وَلَا تَنْتِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْدَرُهُمْ أَن يَقْتِنُوكَ عَنْ بِمَا اللّهُ وَلَا تَنْتِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْدَرُهُمْ أَن يَقْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَذِلُ اللّهُ إِلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ وَلا تَنْتِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْدَرُهُمْ أَن يَقْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَذِلُ اللّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلِّواْ فَاعْلَمْ أَنَا يُولُمُ اللّهُ أَن يُعِينِهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَيْكِا مِنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ عَلَى اللّهِ عَنْ تَوْلُواْ فَاعْلَمْ أَنَا يُولُمُ اللّهُ أَن يُعْتِبُهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيلًا مِن النَّاسِ لَفَسِقُونَ فَي أَنْ كَاللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمْ أَنْهَا أَنْهَا يُولُمُ اللّهُ أَنْ يُولِينُهُمْ وَلَوْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه، ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه، كما تقدم بيانه، شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِ ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ﴿مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْحَتِبَ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد على فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقاً عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله، واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنِّينَ أُوتُوا ٱلْمِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُسْكَن عَلَيْمٌ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنِّينَ أُوتُوا ٱلْمِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُسْكَن عَلَيْمٌ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَدًا ﴾

إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿ إِللهِ اللهِ اللهِ اللهِ على ألسنة رسله المتقدمة من مجيء محمد عَلِي ﴿ لَمَفْعُولًا ﴾؛ أي: لكائناً لا محالة ولا بد.

وقوله تعالى: ﴿ وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال سفيان الثوري وغيره، عن أبي إسحاق، عن [التميمي](١)، عن ابن عباس: أي مؤتمناً عليه(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: المهيمن: الأمين، قال: القرآن أمين على كل كتاب قله (٣).

ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك^(٤).

وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو العرادة القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو باطل

وعن الوالبي عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيِّمِنَّا﴾ أي: شهيداً (٢)، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي (٧). وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيِّمِنَّا﴾ أي: حاكماً على ما قبله من الكتب (٨).

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات، ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَهُ لَمَنْ فَلَوْنَ اللَّهُ لَمَنْ فَلَوْنَ اللَّهُ لَمَنْ اللَّهُ لَمَنْ لَكُوفُونَ اللَّهُ الحجرا.

فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيح عن مجاهد، أنهم قالوا في قوله: ﴿وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْتُ ﴿ يعني: محمداً ﷺ أمين على القرآن (٩). فإنه صحيح في المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر، وبالجملة فالصحيح الأول.

وقال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ، وذلك أن المهيمن عطف على المصدق، فلا يكون إلا صفة لما كان المصدق صفة له، قال: ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً

كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «التيمي» وهو تصحيف لأن التميمي هو: أربدة معروف بالتفسير.

⁽٢) أخرجه الطبري من عدة طرق عن الثوري به، وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة.

⁽٤) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن ابن جريج ويشهد له ما تقدم.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالبي به.

⁽٧) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي به.

⁽٩) قول مجاهد أُخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه، وبقية المفسرين ذكرهم بحذف السند.

لما بين يديه من الكتاب، مهيمناً عليه، يعني من غير عطف(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَحَكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ ﴾ أي: فاحكم يا محمد بين الناس، عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك، هكذا وجهه إبن جرير بمعناه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان النبي على مخيراً إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم، فردّهم إلى أحكامهم، فنزلت ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُم ﴾ فأمر رسول الله على أن يحكم بينهم بما في كتابنا(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَنْبِعُ أَهْوَآءَهُمُ أَي: آراءهم الّتي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْبِعُ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقَّ ﴾ أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجَأَ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن التميمي، عن ابن عباس ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةَ ﴾ قال: سبيلاً (٣).

وحدثنا أبو سعيد، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس ﴿ وَمِنْهَاجُأَ ﴾ سبيلاً وسنة، وكذا روى العوفي عن ابن عباس ﴿ شِرْعَةَ وَمِنْهَاجُأَ ﴾ سبيلاً وسنة، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأبي إسحاق السبيعي، أنهم قالوا في قوله: ﴿ شِرْعَةَ وَمِنْهَاجُأَ ﴾ أي: سبيلاً وسنة (٥٠).

وعن ابن عباس أيضاً، ومجاهد أيضاً، وعطاء الخراساني عكسه: ﴿ شِرْعَةُ وَمِنْهَاجَأَ ﴾ أي: سنة وسبيلاً (٢٠).

والأول أنسب، فإن الشرعة وهي الشريعة أيضاً هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا؛ أي: ابتدأ فيه، كذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق.

فِتَفْسِيرِ قُولُهُ: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًّا﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن

⁽١) ذكره الطبري (التفسير ١٠/ ٣٨١) ط. شاكر.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) رواية العوفي أخرجها الطبري بسند ضعيف عنه به. ويشهد له أقوال المفسرين التالية: فقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٦) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه.

رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد» (١) يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن فَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّمُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَأَعْبُدُونِ ﴿ الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِ كُلِ رَسُولٍ إِلَا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّمُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَأَعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِ كُلِ أَمُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَمَحْتَلَفَة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفاً فيزاد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًأ ﴾ يقول: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة، هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره؛ التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام (٢٠). وقيل: المخاطب بهذه الآية هذه الأمة ومعناه: لكل جعلنا القرآن ﴿مِنكُمْ ﴾ أيتها الأمة شرعة ومنهاجاً؛ أي: هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ أي: جعلناه، يعني القرآن، شرعة ومنهاجاً؛ أي: سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنة أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً، هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد كَالله (٢٠).

والصحيح القول الأول، ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَلَكُمْ أُمّةً وَحِدةً ﴾ وهم أمة فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة، لما صح أن يقول: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَلَكُمْ أُمّةً وَحِدةً ﴾ وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة، التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد، وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها، ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً على الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَلَكُمُ أُمّةً وَحِدةً وَلَكِن لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُمْ ﴾ أي: أنه تعالى شرع عزموا عليه من ذلك كله.

وقال عبد الله بن كثير: ﴿فِي مَا ءَاتَنكُمْ ﴾ يعني من الكتاب(٤).

ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فقال: ﴿فَاسَتَبِقُوا ٱلْخَيْرَتِ ﴾ وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخاً لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله، ثم قال تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُم ﴾ أي: معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة.

⁽۱) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ . . . ﴾ [مريم: ١٦] (ح٣٤٤٣)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب فضائب عيسى ﷺ (ح٢٣٦٥).

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن جريج عن عبد الله بن كثير.

﴿ فَيُكْتِبَكُمُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴾ أي: فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة والأدلة الدامغة.

وقال الضحاك: ﴿ فَأَسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَتِّ ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ (١)، والأول أظهر.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة. عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود، وأشرافهم، وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله على فأنزل الله على فيهم ﴿وَأَنِ اَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَزَلَ الله وَلا تَنَيْع الله على قومنا جوير وابن أبي وابن أبي عن بعض مَا أَزَلَ الله إليك إلى قوله: ﴿ لِتَوْمِ يُوقِنُونَ ﴾، رواه ابن جوير وابن أبي حاتم (١٠).

وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكُم الْجَهِلِيَةِ يَبَغُونَ وَمَنَ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكُمًا لِقَوّمِ يُوقِنُونَ ﴿ وَهُ يَنكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم [«جنكزخان»] (٢٠) الذي وضع لهم «الياسق»، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله على فمن فعل ذلك منهم فهو كافر

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي سنان عن الضحاك.

⁽٢) أخرجه الطبريُ بسند حسن من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه ابن أبي حاتم معلقاً عن ابن إسحاق به.

⁽٣) في (مح): شنكزخان، وفي الأصل: «سكرخان» والصواب المثبت.

يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى: ﴿ أَفَكُكُمُ اَلَجُهُلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْدِ يُوقِنُونَ ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هلال بن فياض، حدثنا أبو عبيدة الناجي قال: سمعت الحسن يقول: من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية (١).

وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى _ قراءة _، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال: كان طاوس إذا سأله رجل: أفضل بين ولدي في النحل؟ قرأ ﴿أَفَحُكُم اَلْجَهِلِيَةِ يَبْغُونَ﴾ الآية (٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن [نجدة] الحوطي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله على: «أبغض الناس إلى الله كله، من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرى بغير حق ليريق دمه (٤٠). وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة (٥٠).

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله _ قاتلهم الله _ ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّمُ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ ﴾ الآية.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب، حدثنا محمد _ يعني ابن سعيد بن سابق _، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن سماك بن حرب، عن عياض أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني. قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثم قال:

١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده أبو عبيدة الناجي لم أقف على ترجمة له، ومعناه صحيح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: صحفت إلى: «عبدة».

⁽٤) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه في المعجم الكبير (١٠/ ٣٧٤ - ٣٧٤)، وأخرجه البخاري من طريق أبي اليمان به نحوه، الصحيح، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق ح(٦٣٧٤).

⁽٥) ورد في الأصل يمين اللوحه ٣٢٤م ما نصه: إلىٰ هنا آخر الجزء الأول من خط المؤلف عفىٰ الله عنا وعنه.

أخرجوه، ثم قرأ ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الَّيْهُودَ وَالنَّمَـٰذِينَ أَوْلِيَّٱنَّهُ الآية (١٠).

ثم قال: حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عثمان بن عمر، أنبأنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر. قال: فظنناه يريد هذه الآية ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا نَتَخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّمَنَرَىٰ آوَلِيَآٓ ﴾ الآية (٢).

حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائج نصارى العرب، فقال: كل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّمُ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣)، وروي عن أبى الزناد نحو ذلك (٤).

وقوله تعالى: ﴿فَنَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُ ﴾ أي: شك وريب ونفاق، ﴿يُسَرِعُونَ فِهِمْ ﴾؛ أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآبِرَهُ ﴾ أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى، فينفعهم ذلك. عند ذلك قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْجِ ﴾. قال السدي: يعني فتح مكة (٥). وقال غيره: يعني القضاء والفصل (٦).

وقد اختلف القرّاء في هذا الحرف فقرأه الجمهور بإثبات الواو في قوله: ﴿وَيَقُولُ﴾، ثم منهم من رفع ويقول: على اللبنداء، ومنهم من نصب عطفاً على قوله: ﴿فَمَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرِ مِن عِندِهِ وَفَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرِ عِندِهِ وَقَوْل الذين آمنوا) بغير واو (١٠)، وقرأ أهل المدينة (يقول الذين آمنوا) بغير واو (١٠)، وكذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير. قال ابن جرير عن مجاهد ﴿فَمَسَى اللهُ أَن يَأْتِي وَاللهُ عَن عَندِهِ وَ تَقديره حينئذ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا المَوْلِينَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَا نُول هذه الآيات لَمَكُمُ حَبِطَتَ أَعَمَلُهُم فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿ إَواختلف المفسرون في الله عنه الآيات اللهُ الله

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «بالقضاء».

⁽٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽۸) والقراءتان متواترتان.

⁽٩) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

الكريمات، فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي فآوي إليه وأتهود معه، لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث. وقال الآخر: أما أنا فإني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فآوي إليه وأتنصر معه، فأنزل الله: ﴿يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا اللهُودَ وَالنَّهَرُيّ أَوْلِيّاتُ ﴾ الآيات (١).

وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله عليه إلى بني قريظة فسألوه: ماذا هو صانع بنا؟ فأشار بيده إلى حلقه أي أنه الذبح (٢)، رواه ابن جرير.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول، كما قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن إدريس قال: سمعت أبي، عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله على فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتولى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي، فقال رسول الله على لعبد الله بن أبي «يا أبا الحباب، ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت، فهو لك دونه» قال: قد قبلت، فأنزل الله على: ﴿يَأْيُهُ اللهِ عَنْ مَانَكُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ الله

ثم قال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري: قال: لما انهزم أهل بدر، قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر، فقال مالك بن الصيف: أغركم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال؟ أما لو أمررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا، فقال عبادة بن الصامت: يا رسول الله، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم كثيراً سلاحهم شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: لكني لا أبرأ من ولاية يهود، إني رجل لا بدّ لي منهم، فقال رسول الله على عبد الله بن أبي: لكني لا أبرأ من ولاية يهود، إني رجل لا بدّ لي منهم، فقال رسول الله على أبا الحباب، أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت، فهو لك دونه، فقال: إذا أقبل، قال: فأنزل الله ﴿ يَكَانُمُ الَّذِينَ اللهُ اللهُ هُولَا اللهُ اللهُ

وقال محمد بن إسحاق: فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله بي بنو قينقاع، فحد ثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله بي حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله بي فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه. قال: فأدخل يده في جيب درع رسول الله بي، فقال له رسول الله بي وأرسلني»،

⁽١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدى، ولكنه مرسل.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود: ضعيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف عطية بن سعد وهو العوفي، وتشهد لبعضه رواية ابن إسحاق الثابتة عن عبادة بن الصامت بعد روايتين.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ولبعضه شاهد في الرواية بعد التالية.

وغضب رسول الله على حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدني في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله عليه: «هم لك»(١).

قال محمد بن إسحاق: فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله على تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي، وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله على وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي، فجعلهم إلى رسول الله على وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار، وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿يَالَيُهُ اللَّيْكُونُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ عَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهُ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ عَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ عَرْبَ اللَّهُ هُمُ الْغَلِبُونَ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَلَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ الْفَالِدَةُ الللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّ

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: دخلت مع رسول الله على عبد الله بن أبي نعوده، فقال له النبي على «قد كنت أنهاك عن حب يهود» فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات (٢)، وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق (٤).

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّواْ يَسَتَبَدِلُ وَوَال تَعالَى: ﴿إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُمُ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِ وَقَال تَعالَى: ﴿إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُمُ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِ وَقَال تَعالَى هَهَا: ﴿يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ وَمَا ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿ إِبراهيم] أي: بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا: ﴿يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ وَمَا نَرْتَدً مِنكُمْ عَن دِينِهِ مَ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل.

⁽۱) سیرة ابن هشام (۸۰۹/۲).

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق به، وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٩١/٣٦ ح ٢١٧٥٨)، وضعفه محققوه بسبب عنعنة ابن إسحاق، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢٤١/١)، قال الساعاتي: سكت عنه أبو داود والمنذري ورواه ابن إسحاق فقال: حدثني الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد... فالحديث صحيح لأن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث (الفتح الرباني ٢١/٢١). ولكن لم أعثر على تصريح ابن إسحاق. فإن ثبت ذلك فالإسناد حسن.

⁽٤) سنن أبي داود، الجنائز، باب في العيادة رقم ٣٠٩٤ ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع.

قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش(١).

وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر ﴿ نَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ۗ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم (٢٠).

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن [عياش] (٣) يقول: في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ اللَّهُ يَعْمِهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ هم أهل القادسية (٤).

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: هم قوم من سبأ(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿فَسَوَّفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ قال: ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، من السّكُون (٢).

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا معاوية ـ يعني ابن حفص ـ، عن أبي زياد الحلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله على عن قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُو﴾. قال: «هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السّكون (٧)، ثم من تُجيب» (٨)(٩)، وهذا حديث غريب جداً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبد الصمد ـ يعني ابن عبد الوارث ـ، حدثنا شعبة، عن سماك، سمعت عياضاً يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: لما نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِعَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» (١٠٠). ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه.

⁽۱) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي صخر عن محمد بن كعب، لكنه مرسل. ولفظ ابن أبي حاتم أطول وإن المذكور جواب لعمر بن عبد العزيز.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عوف الأعرابي عن الحسن، ولكنه مرسل أيضاً.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «عباس» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً عن ابن أبي شيبة به، وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي بكر بن عياش (المصنف ١/١/ ٥٧١).

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ليث به، وسنده ضعيف بسبب ليث فإنه يخطئ ولم يتميز حديثه فترك.

 ⁽٦) أُخْرَجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده محمد بن عمرو وهو الأسدي ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه
 (الجرح والتعديل ٨/٣٢).

⁽۷) السَّكون: حي من العرب هو ابن أشرس بن ثور بن كنده من القحطانية (معجم قبائل العرب ٢٨/٢٥ والصحاح ٢/ ٣٨٣).

٨) تُجيب: بالضم من كندة، هو تُجيب بن كندة بن ثور (الصحاح ١٠٥/١ ومعجم قبائل العرب ١١٦١).

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وقد حكم عليه الحافظ ابن كثير. والشطر الأول منه قوله: «قوم من أهل اليمن له شاهد كما يلي».

⁽۱۰) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۳۷۱/۱۷)، وأخرجه الطبراني من طريق سماك به (المعجم الكبير ۲۷/۳۷۱)، وأخرجه الطبراني من طريق سماك به (المعجم الكبير ۲۷/۳۷۱)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ۱۲/۷۷).

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةٍ عَلَى ٱلكَفِرِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَالْمَدِينَ مَعَهُ وَاللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ أَنَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَالَ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَا

وقوله على: ﴿ يُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوَمَةَ لَآبِدٍ ﴾ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا سلام أبو المنذر، عن محمد بن واسع، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذرّ، قال: أمرني خليلي على بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش (۱).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، عن أبي المثنى أن أبا ذر قال: بايعني رسولُ الله ﷺ خمساً وواثقني سبعاً، وأشهد الله عليّ تسعاً، أني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟» قلت: نعم، قال: «وبسطت يدي»، فقال النبي ﷺ وهو يشترط: «على أن لا تسأل الناس شيئاً؟» قلت: نعم. قال: «ولا سوطك وإن سقط منك، يعني تنزل إليه فتأخذه» (٢٠).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا جعفر، عن المعلى القُرْدوسي، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يُبَاعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظم» تفرد به أحمد (٣).

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن زبيد (٢)، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال، فلا يقول فيه، فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا؟

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٥٩)، وسنده صحيح. وصححوه محققوه (المسند ٣٢٧/٣٥ ح-٢١٤١٥).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وأخرجه أيضاً من طريق أبي اليمان عن أبي ذر مختصراً (المسند ٥/ ١٧٣) وفي سنده أبو اليمان وهو عامر بن عبد الله بن لحي الهوزني، مقبول كما في التقريب، وقال محققو المسند: وأبو المثنى في عداد المجهولين (المسند ٣٥/ ٤٠١).

 ⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٥٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٦٨)، وقال محققوا المسند، صحيح دون قوله: «فإنه لا يقرب من أجل... الخ» (المسند ١١٤٧٤ ح١١٤٧٤).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «زيد» وهو تصحيف.

فيقول: مخافة الناس. فيقول: إياي أحق أن تخاف(١)».

ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش، عن عَمْرو بن مرة، به (۲).

وروى أحمد وابن ماجه، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبي طُوَالة، عن نهار بن عبد الله العبدي المدني، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي على قال: "إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى إنه ليسأله يقول له: أي عبدي، رأيت منكراً فلم تنكره؟ فإذا لَقَن الله عبداً حجته، قال: أيْ رب، وثقت بك وخفت الناس»(٣).

وثبت في الصحيح: «ما ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه». قالوا: وكيف يُذلّ نفسه يا رسول الله؟ قال: «يتحمل من البلاء ما لا يطيق»(٤).

﴿ وَالِكَ فَضَلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَكَأُ ﴾ أي: من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له ﴿ وَاللَّهُ عَلِيدٌ ﴾ أي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يَحْرِمه إياه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين. وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوَةَ ﴾ أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين والمساكين.

وأما قوله: ﴿وَهُمُ نَكِعُونَ﴾ فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكُوةَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله: ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال: هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب(٥).

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۳/۷۳) وضعفه محققوا المسند بسبب الانقطاع بين أبي البختري وأبي سعيد (المسند ۱۸/ ۲۳۰ ح۱۱۶۹۹).

⁽٢) السنن، الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ح٤٠٠٨) وصححه البوصيري في الزوائد، ولكن العلة قائمة بين أبي البختري وأبي سعيد الخدري.

⁽٣) المسند ٣/ ٢٧، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمُ آنَفُسَكُمُ ۖ [المائدة: ٥٠١] ح(٤٠١٧) وصححه البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/ ٢٤٤)، والألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٤٤٢٣).

⁽٤) أخرجه ابن ماجه من حديث حذيفة مرفوعاً (السنن، الفتن، الباب السابق ح٢١٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٢٤٣).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أيوب بن سويد، فقد ضعفه الإمام أحمد وابن المبارك وابن معين وأبو داود والساجي والجوزجاني (تهذيب التهذيب ٥٠/١). وميزان الاعتدال ٢٧٨/١). وهكذا جميع الروايات التي تنص على أن الآية نزلت في علي ﷺ لا تصح كما يلي

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، حدثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فنزلت: ﴿إِنَّهَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُمُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوَةَ وَيُوتُونَ الزَّكُوةَ وَهُمْ رَكِعُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّهُ اللّه

وقال ابن جرير: حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا غالب بن [عبيد الله] (٢)، سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿إِنَّهَا وَلِيْكُمُ اللهُ وَرَسُولُمُ الآية. نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راكع (٣).

وقال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُمُ﴾ الآية، نزلت في علي بن أبي طالب(٤)، عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به.

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي، فمر سائل وهو راكع، فأعطاه خاتمه، فنزلت ﴿إِنَّهَا وَرَسُولُمُ ﴾ الآية، الضحاك لم يلق ابن عباس (٥).

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي _ وهو متروك _، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: خرج رسول الله على إلى المسجد والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله على، فقال: «أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم. قال: «من؟» قال: ذلك الرجل القائم. قال «على أي حال أعطاكه؟» قال: وهو راكع، قال: «وذلك على بن أبي طالب». قال: فكبر رسول الله على عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ عَلَى اللهَ عَلَى وهذا إسناد لا يُفرح به (٢).

ثم رواه ابن مردویه من حدیث علی بن أبی طالب فی نفسه، وعمار بن یاسر وأبی رافع، ولیس یصح شیء منها بالكلیة لضعف أسانیدها وجهالة رجالها، ثم روی بإسناده عن میمون بن مهران، عن ابن عباس فی قوله: ﴿إِنَّهَا وَلِيْكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُمُ ﴾ نزلت فی المؤمنین وعلی بن أبی طالب أولهم(۷).

وقال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر قال: سألته عن هذه الآية ﴿إِنَّهَ وَلِيُكُمُ اللّهُ وَرَسُولُمُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اللَّينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُمُ رَكِعُونَ ﴿ اللّهِ قَلْنَا: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا. قلنا بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب، قال: علي من الذين آمنوا (^). وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للإرسال ولأن موسى بن قيس صدوق لكنه رمي بالتشيع كما في التقريب والمتن يؤيد مذهبه.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير الطبري، وفي الأصل: «عبد الله» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن غالب بن عبيد الله قال عنه البخاري: منكر الحديث (التاريخ الكبير ١٠١/٧)، وكذا قال ابن أبي حاتم (الجرح ٤٨/٧).

⁽٤) في سنده عبد الوهاب بن مجاهد: ضعيف كما في التقريب.

⁽٥) وهو كما قال.

⁽٦) وهو كما قال.

⁽٧) وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذه الروايات وهو كما قال.

 ⁽A) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن أبا جعفر رواه بلاغاً.

مر به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه (۱).

وقال علي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس: من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا، رواه ابن جرير (٢).

وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت في حين تبرأ من حلف اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله فرَمَن يَوَلَ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللهِ هُمُ الْغَلِبُونَ اللهِ كَالَيْ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَاذَ لَا عَرِسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا عَابَاءَهُمُ أَوْ الْبَنَاءَهُمُ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ الله عَلَيْ وَلِيْكَ حَتَبَ فِي قُلُومِهُ وَالْيَهِ وَالْيَهِ وَالْيَوْمِ اللهُ عَنْهُمْ وَرَصُوا الله عَلَيْ وَلِيكَ حَتَبَ فِي قُلُومِهُمْ الْإِيمَانَ وَأَيْكَ حَرْبُ اللهُ وَلَيْكَ حَرْبُ اللهُ عَلَيْ وَرَسُولُهُ وَالْمَوْنَ اللهُ وَالله والمَوْمنين، فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى ورسوله والمؤمنين، فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ وَمَن يَوَلَ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَ حِرْبُ اللهِ هُمُ الْفَلِبُونَ اللهِ عَلَى اللهُ هُمُ الْفَلِبُونَ اللهِ عَلَى اللهُ الله الله الله الله والمَوْمنين، فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ وَمَن يَوْلُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللهِ هُمُ الْفَلِبُونَ اللهُ وَمَن يَوْلُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللهِ هُمُ الْفَلِهُونَ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللّهُ اللهُ وَاللّهُ اللهُ الله

﴿ يَكَأَيُّمُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱلْخَذُوا دِينَكُرُ هُزُوَا وَلَمِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآةً وَالْتُكُوا وَلَمِبًا ذَالِكَ إِأَنَّهُمْ قُوْمٌ لَا يَمْقِلُونَ ۖ ﴿ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآةً وَالْتُكُومُ الْمُزُوا وَلَمِبًا ذَالِكَ إِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْقِلُونَ ۞﴾.

هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون: وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة، المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي، يتخذونها هزوا يستهزئون بها، ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، كما قال القائل (٣):

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم وقوله تعالى: ﴿ وَمَن اللَّهُ الْكُفّارَ ﴾ من ههنا لبيان الجنس كقوله: ﴿ وَالْجَتَنِبُوا الرِّبِّسَ مِنَ الْأَوْلَانِ ﴾ [الحج: ٣٠] [وقرأ] (٤) بعضهم: والكفار بالخفض عطفاً، وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول (٥) ، ﴿لَا لَنَّغِذُوا الَّذِينَ اَتَّغَذُوا دِينكُرُ هُزُوا وَلِبَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنبَ مِن مَلِكُمُ وَلَاء ولا هؤلاء أولياء ، والمراد بالكفار ههنا المشركون، وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا).

وقوله: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِن كُتُهُم مُوْمِنِينَ﴾ أي: اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزواً ولعباً، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَغِذِ الْمُؤْمِنُونَ

⁽١) أخرجه الطبري من طريق أسباط به، وسنده ضعيف لأن السدي لم يلق علياً.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) هو الشاعر أبو الطيب المتنبي كما في ديوانه ١٢٠/٤.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «قري».

⁽٥) وكلتاهما قراءتان متواترتان.

ٱلْكَنفِرِينَ أَوْلِيكَةَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينُّ وَمَن يَفْعَكُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَسَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَلَةً وَيُمَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيدُ ۞﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ اَتَّخَذُوهَا هُرُوا وَلَعِباً ﴾ أي: وكذلك إذا أذّنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب ﴿اتَّخَذُوهَا ﴾ أيضاً ﴿هُرُوا وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمُ لَا يَعْمَالُ الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي "إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص - أي: ضراط - حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين، أقبل فإذا ثوب للصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه، فيقول: اذكر كذا اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم [ذلك، فليسجد سجدتين قبل السلام»(١) متفق عليه](١).

وقال الزهري: قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوا وَلِيباً ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْقِلُونَ ۞﴾ رواه ابن أبى حاتم (٣).

وقال أسباط، عن السدي في قوله: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ﴾ قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله قال: حرق الكاذب، فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٤٠).

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة أن رسول الله على دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد، لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لا تبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فخرج عليهم النبي على فقال: «قد علمت الذي قلتم» ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح بن عبادة، حدثنا ابن جريج، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة، أن عبد الله بن محيريز أخبره وكان يتيماً في حجر أبي محذورة، قال: قلت لأبي محذورة: يا عم، إني خارج إلى الشام، وأخشى أن أسأل عن تأذينك، فأخبرني أن أبا محذورة قال له: نعم، خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول الله على من حنين، فلقينا رسول الله بي ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله بي بالصلاة عند رسول الله وسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون، فصرخنا نحكيه ونستهزئ به فسمع رسول الله المؤلفي فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله بي: «أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع»؟ فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا، فأرسل كلهم وحبسني، وقال: «قم فأذن» فقمت ولا شيء أكره إلي من

⁽١) صحيح البخاري - الأذان - باب فضل التأذين ح(٦٠٨).

⁽٢) ما بين معقوفين بياض في الأصل واستدرك من (حم) و(مح) والتخريج.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عقيل بن خالد عن الزهري.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط به.

رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمت بين يدي رسول الله ﷺ، فألقى على رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه، قال: "قل: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله» ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، ثم أمرها على وجهه، ثم بين ثدييه، ثم على كبده، حتى بلغت يد رسول الله على سرة أبي محذورة، ثم قال رسول الله ﷺ: «بارك الله فيك وبارك عليك» فقلت: يا رسول الله مرنى بالتأذين بمكة، فقال: "قد أمرتك به"، وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهة، وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ، فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ، وأخبرني ذلك من أدركت من أهلى ممن أدرك أبا محذورة على نحو ما أخبرني عبد الله بن مُحيريز(١)، وهكذا رواه الإمام أحمد، وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة من طريق عبد الله بن مُحيريز، عن أبي محذورة واسمه سمرة بن معير بن لوذان، أحد مؤذني رسول الله ﷺ الأربعة، وهو مؤذن أهل مكة، وامتدت أيامه ﴿ اللهِ عَلَيْهُ وأرضاه (٢٠).

﴾ ﴿ قُلْ يَكَأَهُلُ ٱلْكِنَٰكِ هَلَ تَنقِمُونَ مِنَا ۚ إِلَّا أَنْ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ ﴿ اللَّهِ مَا لَا مُنْيِثَكُم بِشَرِّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّنغُوتَ ۚ أُوْلَئِكَ شَرٌ مَكَانَا وَأَصَلُ عَن سَوَآءِ ٱلسَبِيلِ ۞ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَا وَقَد دَّخَلُوا بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِءً وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۞ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَدِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْمُدُونِ وَأَكْلِهِمُ ٱلشُّحَتُّ لِينْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَوَلَا يَنْهَنَهُمُ ٱلرَّبَّنِيْوْنَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِيمُ ٱلْإِنْمَ وَأَكِلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ .

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب: ﴿ مَلّ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة، فيكون الاستثناء منقطعاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا إِللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَيِيدِ ﴿ ﴾ [السروج]، وكقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْسَلُهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُم مِن فَضْلِهِ ﴾ [التوبة: ٧٤] وفي الحديث المتفق عليه «ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله" (٣٠). وقوله: ﴿ وَأَنَّ أَكَثَرُكُمْ فَسِفُونَ ﴾ معطوف على ﴿ أَنْ ءَامَنًا بِاللَّهِ وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ أي: وآمنا

بأن أكثركم فاسقون؛ أي: خارجون عن الطريق المستقيم.

ثم قال: ﴿ قُلَ هَلَ أُنَيِّئُكُم بِشَرِّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَّهُ اللَّهُ ﴾

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٤/٩٩ ح ١٥٣٨٠) وصححه محققوه بطرقه.

⁽٢) أخرجه مسلم مختصراً الصحيح، الصلاة، باب صفة الأذان ح(٣٧٩).

⁽٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة، صحيح البخاري، الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْإِقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ح(١٤٦٨) وصحيح مسلم، الزكاة، باب في تقديم الزكاة ح(٩٨٣).

أي: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أي: غضباً لا يرضى بعده أبداً ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ كما تقدم بيانه في سورة البقرة، وكما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف.

وقد قال سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله، عن المعرور بن سويد، عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله على عن القردة والخنازير: أهي مما مسخ الله؟ فقال: "إن الله لم يهلك قوماً، أو لم يمسخ قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك" (۱) وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر، كلاهما عن مغيرة بن عبد الله [اليشكري] (۲) به (۳).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا داود بن أبي الفرات، عن محمد بن زيد، عن أبي الأعين العبدي، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله على عن القردة والخنازير: أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا إن الله لم يلعن قوماً قط فيمسخهم. فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم»، ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات به (٤).

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا الحسن بن محبوب، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله على: «الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير» (٥) هذا حديث غريب جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّعْوُتُ ﴾ قرئ: وعَبَدَ الطاغوت على أنه فعل ماض، والطاغوت منصوب به؛ أي: وجعل منهم من عَبدَ الطاغوت، وقرئ: وعَبدَ الطَاغوت بالإضافة (٢) على أن المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت؛ أي: خدامه وعبيده، وقرئ: وعُبدُ الطاغوت على أنه جمع عبد وعبيد، وعبد مثل ثمار وثُمُرْ، حكاها ابن جرير عن الأعمش، وحكى عن بريدة الأسلمي أنه كان يقرؤها وعابد الطاغوت، وعن أبي وابن مسعود: وعبدوا، وعن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤها: وعُبدَ الطاغوت على أنه مفعول ما لم يسم فاعله، ثم استبعد معناها، والظاهر أنه لا بعد في ذلك، لأن هذا من باب التعريض بهم؛ أي: وقد عبد الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه، وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا، والذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه، كيف يصدر منكم هذا، وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر؟ ولهذا قال: ﴿أَوْلَئِكَ مَنُ مَعَالًا فِي الطرف الآخر مشاركة، كقوله عَلى: ﴿أَصَحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِنِ خَيْرٌ أَفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله عَلى: ﴿أَصَحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِنِ خَيْرٌ أَفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله عَلى: ﴿أَصَحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِنِ خَيْرٌ أَفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله عَلى: ﴿أَصَحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِنِ خَيْرٌ

⁽۱) سنده صحيح.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الشكري».

⁽٣) صحيح مسلم، القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها ح(٢٦٦٣).

⁽٤) أخرجه الطيالسي (المسند رقم ٣٠٧)، والإمام أحمد (المسند ١/ ٣٩٥) وسنده ضعيف لضعف أبي الأعين العبدي (المجروحين ٣/ ١٥٠).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد من طريق أيوب عن عكرمة به بنحوه (المسند ٥/ ٣٠٤ ح ٣٢٥٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.

⁽٦) وكلتاهما قراءتان متواترتان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمُ قَالُوّا ءَامَنّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِيدٍ ﴾ وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر، ولهذا قال: ﴿وَقَد دَّخَلُوا﴾ أي: عندك يا محمد ﴿ بِالْكُفْرِ ﴾ أي: مستصحبين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر ولهذا قال: ﴿وَهُمُ مَدَّ خَرَجُوا بِيدٍ ﴾ فخصهم به دون غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَهُ أَعَلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُنُونَ﴾ أي: والله عالم بسرائرهم وما تنطوي عليه ضمائرهم، وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك، وتزينوا بما ليس فيهم، فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء وقوله: ﴿وَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُونِ وَأَكْلِهُمُ السَّحَتَ ﴾ أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل، ﴿لَيْنُسُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتداؤهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَنَهُمُ ٱلرَّبَانِيُونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِمِهُ ٱلْإِنْدَ وَٱكِلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لِبَسَى مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ وقوله تعالى: ﴿لَكَ مَا تَالِمُا الْعَمَالُ الْعَمَالُ عَن تعاطى ذلك، والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط.

﴿لَيْلَسَ مَا كَانُواْ يَصَّنَعُونَ﴾ قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني: الربانيين أنهم بئس ما كانوا يصنعون (١)، يعني: في تركهم ذلك. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال: لهؤلاء حين لم ينهوا ولهؤلاء حين علموا، قال: وذلك الأركان، قال: ويعملون ويصنعون واحد (٢)، رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، حدثنا قيس، عن العلاء بن المسيب، عن خالد بن دينار، عن ابن عباس، قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية ﴿لَوْلَا يَنْهُهُمُ ٱلرَّبَانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ ٱلإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسَّحْتَ لَبِشْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَالْ ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم، ذكره يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، حدثنا ثابت أبو سعيد الهمداني قال: لقيته بالري فحدث عن يحيى بن [يعمر] قال: خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً (٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شريك، عن أبي إسحاق، عن المنذر بن

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق على به.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، والقراءة بلفظ يعملون شاذة.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «معمر» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لجهالة ثابت الهمداني في التقريب وميزان الاعتدال ١/ ٣٦٩).

جرير، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعزُّ منه وأمنع، ولم يغيِّروا إلا أصابهم الله منه بعذاب» تفرد به أحمد من هذا الوجه، ورواه أبو داود عن مسدد، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن المنذر بن جرير، عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون أن يغيروا عليه، فلا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا» وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبيد الله بن جرير، عن أبيه به (٣)، قال الحافظ المزي: وهكذا رواه شعبة عن أبي إسحاق به.

يخبر تعالى عن اليهود _ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة _ بأنهم وصفوا الله عز وجل تعالى عن قولهم علواً كبيراً بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، وحدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: قال ابن عباس ﴿مَغْلُولَةً ﴾ أي: بخيلة (٤).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللّهِ مَغْلُولَةً ﴾ قال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون: بخيل يعني أمسك ما عنده تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً (٥)، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي (٦) والضحاك، وقرأ ﴿وَلَا بَعْعَلَ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا بَشَطُهَا كُلَّ ٱلْبَسِّطِ فَنَقْعُدَ مَلُومًا تَحْسُولًا ﴿ وَالإسراء] يعني: أنه ينهى عن البخل وعن التبذير، وهو زيادة الإنفاق في غير محله، وعبر عن البخل بقوله: ﴿وَلَا بَعَعَلَ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ ﴾ وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله، وقد قال عكرمة: إنها نزلت في فنحاص اليهودي، عليه لعنة الله، وقد تقدم أنه الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللّهَ فَقِيرٌ وَغَنُ أَغْنِياً ﴾ [آل عمران: ١٨١] فضربه أبو بكر الصديق عليه.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بلفظ: بعقاب (المسند ٣١/ ٥٤٨ ح(١٩٢١٦) وحسن سنده محققوه.

⁽٢) سنن أبي داود، الملاحم، باب الأمر والنهي ح(٤٣٣٩) وحسنه الألباني في سنن أبي داود ح(٣٦٤٦).

⁽٣) السنن، الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح(٤٠٠٩).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف حفص بن عمر.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٦) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له: الشاس بن قيس: إن ربك، بخيل لا ينفق، فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللّهِ مَعْلُولَةً عُلَتَ آيدِيهِم وَلُونُوا عَا قَالُوا بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءً ﴿ (1) . وقد ردَّ الله عَلَى عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال: ﴿ عُلَتَ آيدِيهِم وَلُونُواْ بِمَا قَالُوا ﴾ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ هُمُ نَصِيبٌ مِنَ ٱلمُلكِ وقال تعالى: ﴿ مَنْ النّاسَ عَلَى مَا عَاتَنَهُمُ اللّهُ مِن فَضَاتِهُ ﴾ الآية [النساء: ٥٣، ١٥] ، وقال تعالى: ﴿ مُمْرِبَتَ عَلَيْهُمُ الذّ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلّا بِحَبّلِ مِن اللّهِ وَحَبّلِ مِن النّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَ كَ كَثِيرًا مِنْهُم مَّا أُزِلَ إِلَكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا ﴾ أي: يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقاً وعملاً صالحاً وعلماً نافعاً، يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولأمتك طغياناً، وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء، وكفراً أي تكذيباً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَا ﴾ والمجاوزة للحد في الأشياء، وكفراً أي تكذيباً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُو لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَا أَوْ وَهُو عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَئِكَ يُنَادَونَ مِن مَكَانِ بَعِيدٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُكِزُلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُو شِفَا ۗ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ ٱلظَّلِمِينَ إِلّا خَسَارًا وَصلت: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَالْقَيْتَنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدُوةَ وَالْغَضَاةَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِينَةِ ﴾ يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائماً، لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك.

وقال إبراهيم النخعي: ﴿وَأَلْقَيَّنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَوَةَ وَٱلْبَغْضَآةَ﴾، قال: الخصومات والجدال في الدين، رواه ابن أبي حاتم (٤).

وقوله: ﴿ كُلُّمَا ٓ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرِّبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي: كلما عقدوا أسباباً، يكيدونك بها، وكلما

⁽۱) سنده صحيح وأخرجه الطبراني من طريق ابن إسحاق به (المعجم الكبير ۱۲/۲۲ ح۱۲٤۹۷)، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٢٠).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (السند ٢/٣١٣) وسنده صحيح؟

⁽٣) صحيح البخاري، التوحيد، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُم عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (ح٧٤١٩)، وصحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على النفقة ح (٩٩٣).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق العوام بن حوشب عن إبراهيم النخعي.

أبرموا أموراً يحاربونك بها، أبطلها الله ورد كيدهم عليهم، وحاق مكرهم السيء بهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْإَفساد في الأَرْضِ فَسَادًا وَالله لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: من سجيتهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته، ثم قال جلا وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَبِ ءَامَنُوا وَاتَقَوْا ﴾ أي: لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَلَذَنْنَاهُمْ جَنَّتِ النِّهِيمِ ﴾ أي: لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم المقصود.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَيَّةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو القرآن (١)، ﴿ لَأَكُو أَنَّهُمْ أَقَامُواْ اللَّهِمَ عَن الأنبياء ﴿ لَأَكُو أَمِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَعْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي: لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً على فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتماً لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿لَأَكُلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَعْتِ أَرَجُلِهِمْ ﴾ يعني: بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض.

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ لَأَكُلُواْ مِن فَوقِهِدَ ﴾ يعني: لأرسل السماء عليهم مدراراً، ﴿ وَمِن غَيْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ يعني: يخرج من الأرض بركاتها (٢٠). وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي (٢٠)، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ مَامَنُواْ وَاتَّقُواْ لَفَنَحَنَا عَلَيْهِم بَرَكُنتِ مِّنَ السَّمَامِ وَاللَّامِنِ وَلَا أَلْ اللَّهُ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كُذَّبُواْ فَأَخَذَنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ اللَّهِ ﴿ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ظُهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ آَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَبِلُوا لَعَلَّهُمْ يَجِعُونَ ۞﴾ [الروم]، وقال بعضهم معناه: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِدٌ وَمِن تَعْتِ أَرْجُلِهِدٌ﴾ يعني: من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل: هو في الخير من فرقه إلى قدمه (٤)، ثم ردّ هذا القول لمخالفته أقوال السلف.

وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَهُمْ أَقَامُواْ التّوَرِّئَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ حديث علقمة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أن رسول الله على قال: «يوشك أن يرفع العلم» فقال زياد بن لبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟ فقال: «ثكلتك أمك يا ابن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة، أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله» ثم قرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التّورَنة وَ الإنجيل هكذا أورده ابن أبي حاتم معلقاً من أول إسناده مرسلاً في آخره (٥٠). وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلاً موصولاً، فقال: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد أنه قال: ذكر النبي على شيئاً، فقال: «وذاك عند ذهاب العلم» قال: قلنا: يا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: الفرقان.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم والطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق أسباط عن السدي. وقول سعيد بن جبير ومن معه ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٤) ذكره الطبري بنحوه.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف ويتقوىٰ بما يليه:

رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يقرؤونه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: «ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء»(١) هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع بإسناده نحوه (٢)، وهذا إسناد صحيح.

وقوله تعالى: ﴿ مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَآة مَا يَعْمَلُونَ ﴾ كقوله: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ فِيهِ يَعْدِلُونَ ﴿ فَانَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجَرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَعِيدُ وَفِق مِنْهُمْ فَكِينَ اللَّهِ وَفُوق مِنْهُمْ فَكِينَ اللَّهِ وَفُوق مِنْهُمْ فَكِينَ اللَّهِ وَفُوق اللَّهُ وَلَوْقَ اللَّهُ وَلَوْقَ اللَّهُ وَمِنْهُمْ فَلَاللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْفَقِينَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْهُمْ فَلَاللَّهُ وَلِيهِ اللَّهُ وَلِيهُمْ فَلَاللَّهُ مَنْفَتَهُمُ مَنْفَقَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْهُمْ فَلَاللَّهُ مَنْفَقَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَقُونَ اللَّهُ مَنْفَقَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْهُمْ فَلَاللَّهُ مَنْ وَمِنْهُمْ سَابِقُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ هَذَهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ هَذَهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ هَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مُنْفَقِلُ اللَّهُ اللَ

﴿ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ الرَّسُولُ بَلِغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكٌّ وَإِن لَّدَ تَفْعَلُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَكُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِن أَنبَكِ إِن لَّدَ تَفْعَلُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَكُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الْكَيْفِرِينَ ۞﴾.

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له بابلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك، وقام به أتم القيام.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل،

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۲۹/ ٤٤٢ ح١٧٩١٩) وصحح سنده محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق سالم بن أبي الجعد به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۳/ ٥٩٠).

⁽٢) سنن ابن ماجه، الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم ح(٤٠٤٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح(٣٢٧٢)، وكذا الحافظ ابن كثير.

⁽٣) أخرجه الآجري (الشريعة ص١٦)، وأبو يعلى (المسند ٦/ ٣٤٠ ح٣٦٦٨)، كلاهما من طريق أبي معشر به قال الهيثمي وفيه أبو معشر نجيح فيه ضعف (مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٠).

وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمداً ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَلُهُ ﴿ (٤) [الأحزاب: ٣٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: كنا عند ابن عباس، فجاء رجل فقال له: إن ناساً يأتونا فيخبروننا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله ﷺ للناس فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله تعالى قال: ﴿يَتَأَيُّهُا الرَّسُولُ بَلِغٌ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُ مِن رَبِّكُ والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء (٥)، وهذا إسناد جيد.

وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب ضي البيدة فقال: لا والذي فلق الحبة أبي طالب ضيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر(٢).

وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم(٧).

وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله على قال في خطبته يومئذ: «أيها الناس، إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: «اللهم هل بلغت» اللهم هل بلغت؟ (٨).

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا فضيل _ يعني ابن غزوان _، عن عكرمة، عن ابن

⁽١) كذا في صحيح البخاري، وفي النسخ الثلاث بلفظ: «وهو».

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِغٌ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكُّ﴾ [المائدة: ٦٧] ح١٦٢).

 ⁽٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب معنىٰ قول الله على: ﴿ وَلَقَدَ رَاهُ نَزَلَةٌ أَخْرَىٰ ﴿ وَالنجم] (ح١٧٧)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الأنعام (ح٣٠٦٨)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿ يَكَانَّهُا الرَّسُولُ بَلِغَ مَا أَنزِلَ إِلَيْكَ . . . ﴾ (ح١١١٤).

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث عائشة (المصدر السابق بعد ح١٧٧)، وأخرجه البخاري من حديث أنس بنحوه، الصحيح، التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُم عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (ح٧٤٢٠).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وجود إسناده الحافظ ابن كثير ثم أردف له شاهداً من البخاري كما يلي

⁽٦) صحيح البخاري، العلم، باب كتابة العلم (ح١١١).

⁽٧) أخرجه البخاري معلقاً ووصله الحافظ ابن حجر بسنده عن الزهري ثم أردفه برواية ابن أبي عاصم من طريق الأوزاعي عن الزهري (تغليق التعليق ٥/ ٣٦٠ _ ٣٦٠).

⁽٨) صحيح مسلم، الحج، باب حجة النبي على (١٢١٨).

• سِيُحَالِّةُ النَّالِيَةِ (١٧٧)

عباس، قال: قال رسول الله على حجة الوداع. «يا أيها الناس» أي: يوم هذا؟ قالوا: يوم ورام، قال: «فإن حرام، قال أي بلد هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: «فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» ثم أعادها مراراً، ثم رفع أصبعه إلى السماء فقال: «اللهم هل بلغت؟» مراراً. قال: يقول ابن عباس: والله لوصية إلى ربه على، ثم قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (۱) وقد روى البخاري عن علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد، عن فضيل بن غزوان به نحوه (۲).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَقْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُم﴾ يعني: وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به، ﴿فَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُم﴾؛ أي: وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته (٣).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا [قبيضة بن عقبة] (٤)، حدثنا سفيان، عن رجل، عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿يَاأَيُّا ٱلرَّسُولُ بَلِغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكُ ﴾ قال: يا ربّ، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ؟ فنزلت ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلُ فَا بَلَغْتَ رِسَالْتَمُ ﴾ (٥) ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به (٦).

وقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾ أي: بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك، وقد كان النبي على قبل نزول هذه الآية يُحرس، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا يحيى قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث، أن عائشة على كانت تحدث أن رسول الله على سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت: فقلت ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: فبينا أنا على ذلك، إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: «ما جاء بك؟» قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيط رسول الله على نومه (٧)، أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد فسمعت غطيط رسول الله على نومه (١٠)، أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به أن وفي لفظ: سهر رسول الله على ذات ليلة مقدمه المدينة يعني على إثر هجرته بعد دخوله بعائشة على، وكان ذلك في سنة ثنتين منها (٩).

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٢٣٠)، وسنده صحيح.

⁽٢) صحيح البخاري، الحج، باب الخطبة أيام منى (ح١٧٣٩).

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنده ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «سعبة بن عتبة» وهو تصحيف.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام شيخ سفيان الثوري، وإرسال مجاهد.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف كسابقه.

⁽V) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/١٤٠)، وسنده صحيح.

⁽A) صحيح البخاري، الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (ح٢٨٨٥) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، فصل سعد بن أبي وقاص رفي (٢٤١٠).

⁽٩) المصدر السابق في صحيح مسلم.

وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد، وعن نصر بن علي الجهضمي، كلاهما عن مسلم بن إبراهيم به، ثم قال: وهذا حديث غريب، وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن إبراهيم به، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وكذا رواه سعيد بن منصور عن الحارث بن عبيد أبي قدامة، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة به، ثم قال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا عن الجريري عن ابن شقيق، قال: كان النبي على يُحرس حتى نزلت هذه الآية، ولم يذكر عائشة (٢).

قلت: هكذا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن علية، وابن مردويه من طريق وهيب، كلاهما عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق مرسلاً (٢)، وقد روى هذا مرسلاً عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي، رواهما ابن جرير (٤)، والربيع بن أنس، رواه ابن مردويه، ثم قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن رشدين المصري، حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي، حدثنا الفضل بن المختار، عن عبد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل. حتى نزلت: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكُ مِنَ ٱلنّاسِ ﴿ فترك الحرس (٥).

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا حمد بن محمد بن حمد أبو نصر الكاتب البغدادي، حدثنا كردوس بن محمد الواسطي، حدثنا مُعلى بن عبد الرحمن، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان العباس عم رسول الله على فيمن يحرسه، فلما نزلت هذه الآية ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنّاسِ ﴾ ترك رسول الله على الحرس (٢).

حدثنا علي بن أبي حامد المديني، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم الأشعري، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن معاوية بن عمار، حدثنا أبي قال: سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله على إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزلت ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾ فذهب ليبعث معه، فقال: «يا عم إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى من تبعث» (٧) وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية.

 ⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده الحارث بن عبيد صدوق يخطئ كما في التقريب، ولكن له شواهد كثيرة لاحقة فسنده حسن، وقد صححه بعض النقاد كما يلى.

 ⁽۲) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٤٦)، وتفسير الطبري والمستدرك ٣١٣/٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٠٤٤٠).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهذا المرسل يتقوى بسابقه ولاحقه.

⁽٤) أخرجهما الطبري وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر، ومع سابقهما يقوي بعضهم بعضاً.

⁽٥) في سنده الفضل بن المختار ضعفه الحافظ ابن حجر (الإصابة ٨/٧)، ويشهد له سابقه.

⁽٦) سنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمن وهو الواسطي متهم بالوضع وقد رمي بالرفض (التقريب ص١٤٥).

⁽٧) ضعفه الحافظ ابن كثير، وبيّن نكارته.

ثم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الحميد الحماني، عن النضر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله على يحرس فكان أبو طالب يرسل إليه كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية ﴿يَكَأَيُّما الرَّسُولُ بَلِغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكُ وَإِن لَّم تَفْعَلُ فَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَمُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِن النَّسُ ﴾ قال: فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: «إن الله قد عصمني من الجن والإنس» (١٠) ورواه الطبراني (٢) عن يعقوب بن غيلان العماني، عن أبي كريب به.

وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم، ومن عصمة الله لرسوله، حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله لله لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات عمه أبو طالب، نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها، منعوه من الأحمر والأسود، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بغيبر، أعلمه الله به وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة:

فقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، وغيره، قالوا: كان رسول الله عليه إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله على» فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله على: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكُ مِنَ ٱلنّاسِ ﴾(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما غزا رسول الله على بني أنمار، نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غورث بن الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه، قتلته به، قال: فأتاه. فقال رسول الله على أعطنى سيفك أشيمه، فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله على:

⁽۱) في سنده النضر وهو ابن عبد الرحمن ذكره الهيثمي باسمه واسم أبيه وبيّن أنه ضعيف (المجمع ٧/ ٢٠) بل هو متروك (كما في التقريب ص٥٦٢).

⁽٢) المعجم الكبير ٢٥٦/١١ (ح١١٦٦٣) وسنده ضعيف جداً بسبب النضر.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب أبي معشر وهو نجيح السندي: ضعيف (التقريب ص٥٩ه) وقد أرسله محمد بن كعب.

«حال الله بينك وبين ما تريد»، فأنزل الله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِغٌ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن زَبِكٌ وَإِن لَّمَ تَفَعَلَ فَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(١). وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وقصة غورث بن الحارث مشهورة في الصحيح.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: كنا إذا صحبنا رسول الله على في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال رسول الله على: «والله عن منك ضع السيف» فوضعه، فأنزل الله على: ﴿وَاللهُ عَمْمُكُ مِنَ ٱلنَّاسِ وَكَذَا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن المؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسرائيل - يعني الجشمي -، سمعت جعدة - هو ابن خالد بن الصمة الجشمي رهبه -، قال: سمعت النبي ورأى رجلاً سميناً، فجعل النبي ورمئ إلى بطنه بيده ويقول: «لو كان هذا في غير هذا، لكان خيراً لك» قال: وأتي النبي ورجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ورجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ورجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي والم ترع ولو أردت ذلك لم يسلطك الله علي» (٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَفْرِينَ﴾ أي: بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَنهُمْ وَلَكِنَ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاأَهُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلَيْنَا الْفِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿ وَأَلْ يَتَأَهَّلَ ٱلْكِنَابِ لَسَتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَانَةَ وَٱلْإِغِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْتَكُم مِن زَيِكُمُّ وَلَيْرِيدَكَ كَثِيرًا مِنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن زَيِكَ طُلغَيْنَا وَكُفَرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْفَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلْذِينَ هَادُوا وَالْصَائِفُونَ وَالنَّصَلَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ وَالْشَارِقُونَ وَالنَّصَلَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا لَهُمْ يَعْزَنُونَ ۞﴾.

يقول تعالى: قل يا محمد ﴿ يَا أَهِلَ ٱلْكِتَابِ لَسَتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: من الدين حتى تقيموا التوراة والإنجيل؛ أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته، ولهذا قال ليث بن

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب موسى بن عبيدة، ولكن أصل القصة في صحيح البخاري، المغازي باب غزوة ذات الرقاع (ح١٣٦).

⁽٢) أخرجه ابن حبان من طريق حماد به (موارد الظمآن ص٣٤٠ ح١٧٣٩) ويشهد له سابقه في صحيح البخاري.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٧١)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجشمي وهو ثقة (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٦)، وأخرجه النسائي من طريق شعبة به (السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول للجائف ح٣٠٩) وصححه الحافظ ابن حجر (تهذيب التهذيب ٢/ ٨١)، وأخرجه الحاكم من طريق شعبة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ١٢١).

أبي سليم عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن زَّبِكُمُّ ﴾: يعني: القرآن العظيم (١)، وقوله: ﴿وَلَيْرِيدَكَ كَثِيرًا مِنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِّكَ طُغْيَنَا وَكُفْراً ﴾ تقدم تفسيره.

﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَفِرِينَ ﴾ أي: فلا تحزن عليهم، ولا يهيدنّك ذلك منهم، ثم قال: ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وهم المسلمون، ﴿ وَاللَّذِينَ هَادُوا ﴾ وهم حملة التوراة، ﴿ وَالصَّذِيمُونَ ﴾ لما طال الفصل حسن العطف بالرفع، والصابئون طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين، قاله مجاهد (٢٠)، وعنه: من اليهود والمجوس (٣٠).

وقال سعيد بن جبير: من اليهود والنصارى^(٤). وعن الحسن والحكم: إنهم كالمجوس^(٥). وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى غير القبلة، ويقرؤون الزبور^(٢).

وقال وهب بن منبه: هم قوم يعرفون الله وحده، وليست لهم شريعة يعملون بها، ولم يحدثوا كفراً $^{(\vee)}$ ، وقال ابن وهب: أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: الصابئون هم قوم مما يلي العراق، وهم بكوثى، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات $^{(\wedge)}$ ، وقيل: غير ذلك، وأما النصارى فمعروفون وهم حملة الإنجيل، والمقصود أن كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر وهو الميعاد والجزاء يوم الدين، وعملت عملاً صالحاً، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقاً للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم، ولا هم يحزنون، وقد تقدم الكلام على نظيرتها في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا.

﴿ لَقَدَ أَخَذْنَا مِيثَنَقَ بَنِيَ إِسَرَهِ بِلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُمُّ كُلًا جَآءَهُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۞ وَحَسِبُوٓا أَلَا تَكُونَ فِتَنَةٌ فَعَمُواْ وَصَكَنُوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ عَمُوا وَصَكُنُوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ عَمُونَ عَمُونَ عَمُونَ عَمُونَ عَمُونَ وَصَكُنُوا مُن اللهُ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ عَمُونَ عَمُونَ عَمُونَ عَمُونَ ﴾.

يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم، وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلَّا جَآءَهُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَى آَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَيْ يَقُدُلُونَ فِي وَحَسِبُوا أَلَا تَكُونَ فِتَنَدًى أَي وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا،

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي سنان عن ليث به، وليث هو ابن أبي سليم صدوق اختلط جداً فلم يتميز حديثه فترك.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق حجاج بن أرطأة عن القاسم عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق شريك عن سالم الأفطس عن سعيد.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن العرزمي وهو متروك.

⁽٦) أخرجه ابن أبى حاتم بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽V) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبد الله بن وهب عن ابن أبي الزناد به.

فترتب، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه، ثم تاب الله عليهم؛ أي: مما كانوا فيه، ثم ﴿عَمُوا وَصَمَنُوا﴾ أي: بعد ذلك، ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمَّ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.

﴿ لَفَذَ كَفَرَ الْذِينَ قَالُواْ إِنَ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَدٌ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَكِنِيَ إِسَرَهَ يِلَ الْمَسِيحُ اللّهِ وَمَا لِلْلَالِمِينَ الْمَبْدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمُ اللّهُ مَن يُشْرِكُ إِلَلْهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَنَ النّارُ وَمَا لِلْلَالِمِينَ مِنْ أَنْصَارِ إِنَّ لَقَدْ حَفَر الّذِينَ قَالُواْ إِنَ اللّهَ قَالِتُ اللّهُ وَمِدُّ وَإِن اللّهِ إِلّا إِلَهُ وَمِدُّ وَإِن اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَاللّهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وتقدم في أول سورة النساء عند قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ. ﴾ [٤٨] حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: الدواوين ثلاثة، فذكر منه ديواناً لا يغفره الله، وهو الشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿مَن يُشْرِك بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾، والحديث في مسند أحمد (٣)، ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأُولُهُ النَّارُ وَمَا لِلْهُ يَالِمُ مِن لِلْمُ اللهُ عَلَيْهِ مَا هو فيه.

⁽١) تقدم التعريف بهذه الطوائف.

⁽٢) صحيح البخاري، الرقاق، باب الحشر (ح٦٥٢٨).

⁽٣) تقدم في تفسير سورة النساء آية ٤٨، في الحديث الشريف الأول.

وقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللَّهِ مَا لُوا إِنَ اللَّهَ ثَالِتُ لَلَا ثَلَيْهُ فَال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم، حدثنا الفضل، حدثني أبو صخر في قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللَّهِ مَا لَوْ اللَّهُ عَلَيْكُ ثَلَاثَةً ﴾ قال: هو قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة (١). وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى، والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة، قاله مجاهد (٢) وغير واحد، ثم اختلفوا في ذلك فقيل: المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة: وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. قال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم "١ وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً ليس هذا موضع بسطه، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى، والحق أن الثلاثة كافرة.

وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة (٤) بهذا الاعتبار، قال السدي: وهي كقوله تعالى في آخر السورة ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَكِعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ لِلنّاسِ التَّخِذُونِ وَأْتِي إِلَهُ يَنِي مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَنكَ الآية [المائدة: ١١٦]، وهذا القول هو الأظهر _ والله أعلم _ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلّا إِلَهُ وَحِدُّ أَي: ليس متعدداً بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات، ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهددا ﴿وَإِن لّدَ يَنتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ ﴾ أي: من هذا الافتراء والكذب ﴿لَيَسَنّ الّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذَابُ الله وَهِ الله والمنكال، ثم قال: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغُورُونَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَهذا الذب العظيم، وهذا الافتراء والكذب ولهذه ورحمته بخلقه مع هذا الذب العظيم، وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه.

وقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتَ مِن قَبَـلِهِ ٱلرُّسُـلُ﴾ أي: له سوية أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، كما قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبَدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبُنِي إِسْرَوْيِلَ ﴿ إِلَى الزَّحْرِفِ].

وقوله: ﴿وَأَمْتُهُ صِدِيقَةٌ ﴾ أي: مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة [سارة]^(٥) أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى، استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَّ وَبُوهَ أَمْ الله لَم يبعث نبياً إلا من أَرْضِعِيةٍ ﴾ [القصص: ٧] وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلّا رِجَالًا نُوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى ﴾ [بوسف: ١٠٩] وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري كَثَلَهُ الإجماع على ذلك.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، الفضل هو ابن فضالة، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) ذكره الطبري بنحوه (التفسير ١٠/ ٤٨٢ ط. شاكر).

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «سارية» وهو تصحيف.

وقول تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامُ ﴾ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، ثم قال تعالى: ﴿أَنْظُرَ كَيْفُ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيِكِ ﴾ أي: نوضحها ونظهرها ﴿ثُمَّ ٱنْظُرِ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون، وبأي قول يتمسكون، وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟

﴿ وَٰهُ اَنَّتُبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ ۗ فُلْ يَتَأَهّلُ الْحَقِّ وَلَا تَنَّبِعُوۤا أَهْوَآهُ قَوْمِ قَدْ ضَكُواْ مِن قَبْلُ وَأَضَكُواْ كَانَاتُهُ وَاللّهُ عَنْ سَوَآهِ السَّكِيلِ ﴾.

يقول تعالى منكراً على من عبد غيره من الأصنام والأنداد [والأوثان] (١)، ومبيناً له أنها لا تستحق شيئاً من الإلهية، فقال تعالى: ﴿ قُلُ ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم ﴿ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ ما لا يَبْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلا نَقْعا ﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر إليكم ولا إيجاد نفع إليكم، ﴿ وَاللّهُ هُو السّمِيعُ الْمَلِمُ ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً ولا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه؟ ثم قال: ﴿ قُلْ يَتَاهَلَ النّكِيلِ لا تَعْلُوا فِي يعلم شيئاً ولا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه؟ ثم قال: ﴿ قُلْ يَتَاهَلَ النّكِيلِ لا تَعْلُوا فِي المسيح وهو نبي من الأنبياء فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم، شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً، ﴿ وَأَضَكُوا كَثِيرًا وَضَكُوا عَن سَوَا السّكِيلِ ﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زماناً، فأتاه الشيطان فقال: إنما تركت أثراً أو أمراً قد عمل قبلك، فلا تحمد عليه، ولكن ابتدع أمراً من قبل نفسك، وادع إليه وأجبر الناس عليه، ففعل ثم اذكر بعد فعله زماناً، فأراد أن يتوب منه، فخلع سلطانه وملكه، وأراد أن يتعبد، فلبث في عبادته أياماً، فأتي فقيل له: لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيلك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة، فكيف لك بهداهم فلا توبة لك أبداً؟ ففيه سمعنا وفي أشباهه هذه الآية ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَبِ لَا تَعْلُواْ فِي سَوَلَهِ وَلَا تَسْرَلُواْ عَن سَوَلَهِ وَاللَّهُ وَلَا تَسْرُلُواْ عَن سَوَلَهِ وَاللَّهُ وَالْمَالُواْ حَيْدًا وَصَالُواْ عَن سَوَلَهِ السَيِيلِ ﴿ وَاللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الأديان» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده جيد إلى الربيع لكنه من أخبار أهل الكتاب.

﴿ وَكِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَغِت إِسْرَةِ مِلَ عَلَى لِسَكَانِ دَاوُرَدَ وَعِيسَى اَبْنِ مَرْيَعَ ذَالِكَ بِمَا عَصَواً وَكَانُوا يَمْتَدُونَ فَى حَانُوا يَفْتَلُونَ عَن مُنكِرٍ فَعَلُوهُ لِبَشْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فَصَواً وَكَانُوا يَمْتَدُونَ فَى حَانُوا يَفْعَلُونَ عَن مُنكِرَ فَعَلُوهُ لِبَشْسَ مَا فَذَمَتَ لَمُتُم اَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي تَكَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي اللّهِ وَالنّبِينَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا التَّخَذُوهُمْ أَوْلِياتَهُ وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَنسِقُونَ فَهُ ﴿ وَلَا يَعْمَلُونَ اللّهِ وَالنّبِينِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياتَهُ وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَنسِقُونَ فَهِ ﴿ .

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه.

قال العوفي، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان(١١).

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرِ فَعَلُوهُ لِيَقَى مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿ إِنَّهُ أَي: كَانَ لَا ينهى أَحد منهم أَحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوه، فقال: ﴿لِيقُسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾.

وقال الإمام أحمد كَلَّلُهُ: حدثنا يزيد، حدثنا شريك بن عبد الله، عن [علي بن بذيمة] أبي عبيدة، عن عبد الله قال: قال رسول الله على: "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا: فجالسوهم في مجالسهم قال يزيد: وأحسبه قال: "وأسواقهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ﴿ وَالِكَ عَمُوا وَكَانُوا يَمْتَدُونَ ﴾ وكان رسول الله على متكناً، فجلس فقال: "لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً " " .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي بن بذيمة به، وقال الترمذي: حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن بندار، عن ابن مهدي، عن سفيان، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة مرسلاً (٤٠).

وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي، حدثنا يونس بن راشد، عن [علي بن بذيمة] (٥)، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن عطية العوفي به، ولكنه توبع فقد أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «بديهة» وهو تصحيف.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ح٣٧١٣) وضعفه محققه أحمد شاكر، والعلة الانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه ابن مسعود.

⁽٤) سنن الترمذي، التفسير، سورة المائدة (ح٣٠٤٨) وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ح٤٠٠٦)، وسنده ضعيف كسابقه.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «على بن بديهه» وهو تصحيف.

يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض - ثم قال -: ﴿لُعِنَ ٱلِّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَغِيَ إِسَرَهِ عِلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى آبَّنِ مَرَّيَعً ﴾ إلى قوله: ﴿فَسِقُونَ ﴾ - ثم قال -: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو تقصرنه على الحق قصراً »(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، وهارون بن إسحاق الهمداني، قالا: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة، عن سالم الأفطس، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله على الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه، أن يكون أكيله وخليطه وشريكه» وفي حديث هارون «وشريبه»، ثم اتفقا في المتن «فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» ثم قال رسول الله على السان نبيهم داود وعيسى ابن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد المسيء، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، أو ليلعنكم كما لعنكم» والسياق لأبي سعيد (٢)، كذا قال في رواية هذا الحديث، وقد رواه أبو داود أيضاً عن خلف بن هشام، عن أبي شهاب الحناط، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن سالم _ وهو ابن عجلان الأفطس -، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، ورواه [المحاربي] عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة به، ورواه [المحاربي] عن العلاء بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة به، ورواه [المحاربي] عن العلاء بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة به، ورواه [المحاربي] عن العلاء بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة به، ورواه [المحاربي] عن عبد الله بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفطس، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن أبي موسى (٥).

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام، قد تقدم حديث جابر عند قوله: ﴿لَوَلَا يَنْهَنَهُمُ ٱلرَّبَيْنِيُونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٣٣] وسيأتي عند قوله: ﴿يَالَيُّهُ اللَّهِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمُ الفُسُكُمُ لَا يَصُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمُ ﴾ [المائدة: ١٠٥] حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني، فقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان الهاشمي، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان أن النبي على قال: ﴿والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم (٢٠)، ورواه الترمذي عن علي بن

⁽١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي ح٤٣٣٦) وسنده ضعيف كسابقه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف كسابقه.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «البخاري» وهو تصحيف.

⁽٤) السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي (ح٤٣٣٧). (٥) تحفة الأشراف ١٦١/٧.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣٨٨)، وأخرجه الترمذي وحسنه (السنن، الفتن، باب ما جاء =

حجر عن إسماعيل بن جعفر به، وقال: هذا حديث حسن. وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن عمرو بن عثمان، عن عاصم بن عمر بن عثمان، عن عروة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله على يقول: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»(١). تفرد به، وعاصم هذا مجهول.

وفي الصحيح من طريق الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد، وعن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله على: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا سيف _ هو: ابن أبي سليمان _، سمعت عدي بن عدي الكندي يحدث عن مجاهد قال: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي _ يعني عدي بن عميرة عميرة على أن سمعت النبي على يقول: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك، عذب الله المخاصة والعامة"، ثم رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج، عن عبد الله بن المبارك، عن سيف بن أبي سليمان، عن عيسى بن عدي الكندي، حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله على يقول، فذكره (٣)، هكذا رواه الإمام أحمد من هذين الوجهين.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو بكر، حدثنا المغيرة بن زياد الموصلي عن عدي بن عدي، عن العرس ـ يعني ابن عميرة ـ، عن النبي على قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها، _ وقال مرة فأنكرها _ كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» تفرد به أبو داود، ثم رواه عن أحمد بن يونس، عن أبي شهاب، عن أمغيرة بن زياد](١٤)، عن عدي بن عدي مرسلاً(٥).

وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر، قالا: حدثنا شعبة _ وهذا لفظه _، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: أخبرني من سمع النبي رقال الله البيارة وقال سليمان، حدثني رجل من أصحاب النبي رقال النبي الله قال: «لن يهلك الناس حتى يَعذروا أو يُعذروا من أنفسهم»(٢).

⁼ في الأمر بالمعروف... ح٢١٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٧٦٢).

⁽١) السنن، الفتن، باب الأمر بالمعروف... (ح٤٠٠٤) ويشهد له سابقه.

⁽٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (ح٧٩).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من الطريقين (المسند ٢٥٨/٢٩ و٢٦٢ ح١٧٧٢ و١٧٧٥)، قال محققوه عن سنده: حسن لغيره. وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/١٣).

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وسنن أبي داود، وفي الأصل: «مغيرة بن أبي زياد» وهو خطأ.

⁽٥) أخرجه أبو داود من الطريقين موصولاً ومرسلاً (السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي ح٤٣٤٥ و٤٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٦٥١).

⁽٦) المصدر السابق (ح٤٣٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٦٥٣).

وقال ابن ماجه: حدثنا عمران بن موسى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا علي بن زيد بن جدعان، عن [أبي نضرة](۱)، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله على قام خطيباً، فكان فيما قال: «ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه». قال: فبكى أبو سعيد، وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا(۲).

وفي حديث إسرائيل عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عدل (٣) عند سلطان جائر» ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه (٤).

وقال ابن ماجه: حدثنا راشد بن سعيد الرملي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة: قال: عرض لرسول الله على رجل عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله؛ أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال: «أين السائل؟» قال: أنا يا رسول الله. قال: «كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر» فه تفرد به.

وقال ابن ماجه: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرة، عن أبي البُختري عن أبي سعيد قال؛ قال رسول الله على: «لا يَحقِر أحدكم نفسه» قالوا يا رسول الله: كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى» (٢) تفرد به، وقال أيضاً: حدثنا علي بن محمد، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة، حدثنا نهار العبدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله عليه يقول: «إن الله يسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حجته قال: يا رب رجوتك] وفَرقْتُ (٧)

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وسنن ابن ماجه، وفي الأصل: «أبي نصيره» وهو تصحيف.

⁽٢) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح٤٠٠٧) في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف لكنه توبع فقد أخرجه الطيالسي في مسنده (ح٢١٥١)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ح٢٧٨)، كلاهما من طريق قتادة عن أبي نضرة به. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣٣٧).

⁽٣) كذا في النسخ الثلاث والسنن الثلاث التي ستذكر في التخريج، وفي النسخ المطبوعة: كلمة حق.

⁽٤) سنن أبي داود، الملاحم، باب الأمر والنهي (ح٤٣٤٤)، وسنن الترمذي، الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (ح٢١٧٤)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ح٢١١٤). وفي سندهم عطية وهو العوفي: ضعيف وله شواهد تقويه، ولهذا ضمنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٤٩١) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤٩٥٠).

⁽٥) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٠١٢)، قال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه حـ ٣٢٤١).

⁽٦) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٠٠٨)، وسنده ضعيف لأن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد، وتقدم تخريجه في تفسير الآية ٥٤ من هذه السورة الكريمة.

⁽V) أي: «خفت الناس».

الناس»(١) تفرد به أيضاً ابن ماجه، وإسناده لا بأس به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن عاصم، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب، عن حذيفة، عن النبي على قال: «لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه» قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق». وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار، عن عمرو بن عاصم به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب(٢).

وقال ابن ماجه: حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، حدثنا الهيثم بن حميد، حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني، عن مكحول، عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم» قلنا يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم» قال زيد: تفسير معنى قول النبي على والعلم في رذالكم إذا كان العلم في الفساق (٣)، تفرد به ابن ماجه، وسيأتي في حديث أبي ثعلبة عند قوله: ﴿لاَ يَنْهُرُكُم مَن ضَلَ إِذَا المَتَدَيْثُمُ المائدة: ١٠٥] شاهد لهذا، إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وقوله تعالى: ﴿ تَكُرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿ قَالَ مَجَاهَدَ: يَعني بذلك المنافقين (٤٠).

وقوله: ﴿لَبِشَنَ مَا قَدَّمَتَ لَمُتُمَ أَنفُسُهُمْ يعني: بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم، ولهذا قال: ﴿أَن سَخِطَ ٱللّهُ عَلَيْهِمَ وفسر بذلك ما ذمهم به، ثم أخبر عنهم أنهم ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمّ خَلِدُونَ ﴾ يعنى: يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا مسلمة بن علي، عن الأعمش بإسناد ذكره، قال: «يا معشر المسلمين، إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار»، ثم تلا رسول الله على: ﴿لِبُشَنَ مَا قَدَّمَتَ لَمُتَ أَنفُتُهُم أَن سَخِطَ اللّه عَلَيْهِم وَفِي الْعَكَابِ هُم خَلِدُونَ هكذا ذكره ابن أبي حاتم (٥).

وقد رواه ابن مردویه من طریق هشام بن عمار، عن مسلمة، عن الأعمش، عن شقیق، عن حذیفة، عن النبي ﷺ فذکره، وساقه أیضاً من طریق سعید بن [عُفیر](٦) عن مسلمة، عن أبي

⁽١) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه المصدر السابق (ح٤٠١٧) وتقدم تخريجه وتحسينه في تفسير الآية رقم ٥٤ من هذه السورة الكريمة، وحكمه موافق لما ذهب إليه الحافظ ابن كثير.

⁽٢) تقدم تخريجه كسابقه، وورد بعده مباشرة.

 ⁽٣) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٠١٥)، وصحح سنده البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/
 ٢٤٤)، ويؤيد هذا قول ابن كثير لأنه يشير إلى تقويته بحديث أبي تعلبة الآتي في سورة المائدة آية ١٠٥.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف معضل، بل فيه نكارة وهو ذكر الخلود في النار!

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) والتقريب، وفي الأصل صحف إلى: «عفر».

عبد الرحمن الكوفي، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة، عن النبي ﷺ فذكر مثله (۱). وهذا حديث ضعيف على كل حال، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنَّبِيّ وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَتَخَذُوهُمْ أَوَلِيَاتَهُ أَي: لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه، ﴿وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله، مخالفون لآيات وحيه وتنزيله.

﴿ ﴿ لَنَجِدَنَّ أَشَدَ النَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْمَيهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُواً وَلَتَجِدَنَ اَقَرَبَهُم مَوَدَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ عَالُوا إِنَّا نَصَكَرَئَ ذَلِكَ بِأَنَ مِنْهُم فِيسِينِ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَضَيُّونَ ﴿ وَلَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا جَاءَنَا مِنَ اللَّهُ وَمَا عَمُوا مِنَ الْحَقِّ وَقُلْمَهُ أَن يُدَخِلنَا رَبُنَا مَعَ القَوْمِ الصَّلِحِينَ ﴿ وَقَلْمَهُ أَن يُدَخِلنَا رَبُنَا مَعَ القَوْمِ الصَّلِحِينَ ﴿ وَقَلْمَهُ أَن يُدَخِلنَا رَبُنَا مَعَ القَوْمِ الصَّلِحِينَ ﴿ وَقَلْمَهُ أَن يُدَخِلنَا رَبُنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿ وَقَلْمَهُ أَن يُدَخِلنَا رَبُنَا مَعَ الْقَوْمِ السَّالِحِينَ ﴿ وَقَلْمَهُ أَنْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ تَجْرِى مِن غَيْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاهُ الْمُحْسِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن، بكوا حتى [أخضلوا] $^{(Y)}$ لحاهم $^{(P)}$.

وهذا القول فيه نظر، لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.

وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما: نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي على ليسمعوا كلامه ويروا صفاته، فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه (٤٠).

قال السدي: فهاجر النجاشي فمات بالطريق(٥).

وهذا من أفراد السدي، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة، وصلى عليه النبي عليه النبي عليه النبي عليه النبي عليه النبي المحتلف أن الحبشة. ثم اختلف في عدة هذا الوفد، فقيل: اثنا عشر: سبعة قساوسة وخمسة رهابين. وقيل: بالعكس. وقيل: خمسون. وقيل: بضع وستون. وقيل: سبعون رجلاً، فالله أعلم.

وقال عطاء بن أبي رباح: هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين^(٦).

⁽١) ضعفه الحافظ إضافة للنكارة المذكورة في سابقه.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «اخضبوا».

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به نحوه.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بأسانيد مرسلة يقوي بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير وعن السدي.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي لكنه مرسل تفرد به.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود وهو ضعيف، ويشهد له ما سبق عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

وقال قتادة: هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم، فلما رأوا المسلمين، وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا (١)، واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

فقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَ النَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ اَشَرَكُواً ﴾ ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى همّوا بقتل رسول الله عليه غير مرة، وسموه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية: حدثنا أحمد بن محمد بن السري، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي، حدثنا علي بن سعيد العلاف، حدثنا أبو النضر، عن [الأشجعي]^(۲)، عن سفيان، عن يحيى بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: "ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله"، ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري، حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي، حدثنا فرج بن عبيد، حدثنا عباد بن العوام، عن يحيى بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: "ما خلا يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله" (٣)، وهذا حديث غريب جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَ أَقَرَبَهُ مَ مَودَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِيكَ قَالُواْ إِنَّا نَعَكَنرَيَا ﴾ أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِيكَ أَبَّعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَبَائِيَةً ﴾ [الحديد: ٢٧] وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. وليس القتال مشروعاً في ملتهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلِكَ بِأَنَّ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ أَنْ وَرُهُمَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكَبِّونَ ﴾ أي: يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم، واحدهم قسيس وقس أيضاً، وقد يجمع على قسوس، والرهبان جمع راهب، وهو العابد، مشتق من الرهبة، وهي الخوف، كراكب وركبان، وفرسان.

قال ابن جرير: وقد يكون الرهبان واحداً وجمعه رهابين، مثل قربان وقرابين، وجردان وجرادين، وقد يجمع على رهابنة، ومن الدليل على أنه يكون عند العرب واحداً قول الشاعر:

لوعاينت رُهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل (٤) وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا بشر بن آدم. حدثنا نصير بن أبي الأشعث، حدثني الصلت الدهان، عن حامية (٥) بن رئاب، قال: سألت سلمان عن قول الله تعالى: ﴿ وَالِكَ بِأَنَّ

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبه عن قتادة بنحوه.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل صحف إلى: «الأشعى».

⁽٣) أخرجه الخطيب البغدادي من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة ثم قال: هذا حديث غريب جداً من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة (تاريخ بغداد ٣١٦/٨)، وضعفه ابن كثير.

⁽٤) ذكره في التفسير بلفظه مع الشاهد (٥٣/١٠) ط. شاكر.

⁽٥) كذا في الأصل ومن ترجم له، وفي (مح): جاثمة. وهو تصحيف.

مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانَا فَقَالَ: دع القسيسين في البيع والخرب، أقرأني رسول الله ﷺ: «ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً (۱)، وكذا رواه ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن نُصير بن زياد الطائي، عن صلت الدهان، عن حامية بن رئاب، عن سلمان به (۲).

قال ابن أبي حاتم: ذكره أبي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني، حدثنا نصير بن زياد الطائي، حدثنا صلت الدهان، عن حامية بن رئاب قال: سمعت سلمان وسئل عن قوله: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِيبِيبِ كَ وَرُهُبَانَا ﴾ فقال: هم الرهبان الذين هم في الصوامع والخرب فدعوهم فيها، قال سلمان: وقرأت على النبي ﷺ: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِيبِيبِ بَكُ فَأَقرأني «ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً » (٣).

فِقُولُه: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَ مِنْهُمْ فِسِيسِينَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبُرُونَ ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الْعَبَادة وَالْتُواضِع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَبَّ أَعَيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي: مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ ﴿ يَتُولُونَ رَبِّنَا عَامَنَا فَاكْنَبْنَا مَعَ الشَّهِدِينَ ﴾ أي: مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به.

وقد روى النسائي عن عمرو بن علي الفلاس، عن عمر بن علي بن مقدم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَّئَ أَعَيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمِعِ مِمَّا عَهُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنًا فَأَكْبُنَا مَعَ الشَّهِدِينَ ﴿ اللَّهُ الرَّسُولِ رَبِّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وقال الطبراني: حدثنا أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الفضل، عن عبد الجبار بن نافع الضبي، عن قتادة، وجعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آَعَيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْع ﴿ قَال: إنهم كانوا نوّاتين يعني: ملاحين (٧)، قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة،

⁽۱) أخرجه البزار بسنده ومتنه (البحر الزخار ٦/ ٤٩٩ ح٢٥٣٧)، وسنده ضعيف لضعف نصير بن زياد (المجمع ٧/ ١٧)، وكذلك فيه حامية بن رئاب سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ١١٨/٣)، وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٣/ ٣١٤).

⁽٢) وسنده ضعيف للعلل المتقدمة في سابقه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للعلل المتقدمة في سابقه.

⁽٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرى _ التفسير _ سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى النَّسُولِ . . . ﴾ [٨٣] ٨٦] - ٦٨). وسنده صحيح. قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر: ثقة (المجمع ١٩/٩).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل صحف إلى: «مالك».

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم من طريق سماك به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٣١٣/٢).

⁽٧) استشهد ابن الأثير بهذا الأثر وذكر أن النوتي هو الملّاح (النهاية ٥/١٢٣).

فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن، آمنوا وفاضت أعينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم» فقالوا: لن ننتقل عن ديننا، فأنزل الله ذلك من قولهم: ﴿ وَمَا لَنَا لَا ثُوْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَظُمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُنًا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ (١).

وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰكِ لَمَن يُؤْمِنُ اللهِ فيهم:
إِللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلْيَكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلّهِ الآية [آل عمران: ١٩٩]، وهم الذين قال الله فيهم:
﴿اللّهِينَ ءَانَيْنَهُمُ ٱلْكِنْبَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَلِذَا يُنْكَى عَلَيْهِمْ قَالُوّا ءَامَنًا بِهِ إِنّهُ ٱلْحَقُ مِن رَبِّنَا إِنّا كُنّا مِن قَبْلِهِ اللهِ قوله: ﴿لَا نَبْنَغِي ٱلْجَهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٥] ولهذا قال تعالى ههنا:
﴿قَائَنَهُمُ ٱللّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَدُ ﴾ أي: فجزاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق ﴿جَنَّتِ بَعْرِي مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَدُ خَلِايِنَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين فيها أبداً لا يحولون ولا يزولون ﴿وَذَالِكَ جَزَاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان وأين كان ومع من كان، ثم أخبر عن حال الأشقياء فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّهُواْ مِاكِنَاكَ ﴾ أي: جحدوا بها وخالفوها، ﴿أَوْلَيْكَ أَمْعَنُ لَهُجِيمِ أَي: هم أهلها والداخلون فيها.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْـتَدُوٓأً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّـبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيّ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد،

⁽۱) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه بدون ذكر الآية في آخره (المعجم الكبير ۱۲/٥٥ ح١٢٤٥)، قال الهيثمي وفيه: العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف (المجمع ١٨/٧)، بل هو متروك اتهمه أبو زرعة (التقريب ١٨/٧) وتهذيب الكمال ٤٧٤/١٧).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي طلحة به وسنده ضعيف لأنه ليست من الصحيفة، لأن الصحيفة خالية من الأحاديث المرفوعة كما نقلها السيوطي في الاتقان، وسبب الضعف الانقطاع بين ابن أبي طلحة وابن عباس، ولكن له شواهد تأتي، فيكون سنده حسناً لغيره.

⁽٣) سنده ضعيف ويشهد له ما يليه في الصحيحين.

⁽٤) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك (الصحيح، النكاح، باب الترغيب في النكاح ح٥٠٦٣)، وأخرجه مسلم (الصحيح، النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ح١٤٠١).

عن عثمان يعني [ابن سعد] (١) ، أخبرني عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي على فقال: يا رسول الله ، إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء ، وإني حرمت علي اللحم ، فنزلت (يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمُ (٢) . وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعاً عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم النبيل به . وقال: حسن غريب (٣) . وقد روي من وجه آخر مرسلاً ، وروي موقوفاً على ابن عباس ، فالله أعلم .

وقال سفيان الثوري ووكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع النبي على وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا رسول الله على عن ذلك، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله ﴿يَكَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِبُهُ وَلِيتِبُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ الآية (٤)، أخرجاه من حديث إسماعيل (٥)، وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة، والله أعلم.

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، عن عمرو بن شرحبيل، قال: جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني حرمت فراشي، فتلا هذه الآية ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ لَا تُحْيَرُمُواْ طَيِبَنَتِ مَا آحَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية (٦).

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود، فجيء بضرع فتنحى رجل، فقال له عبد الله: ادْنُ، فقال: إني حرمت أن آكله، فقال عبد الله: ادْنُ فاطعم وكفر عن يمينك، وتلا هذه الآية ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَتِ مَا أَحَلَ اللهُ لَكُمُ ﴾ الدّية: رواهن ابن أبي حاتم، وروى الحاكم هذا الأثر الأخير في مستدركه من طريق إسحاق بن راهويه، عن جرير، عن منصور به، ثم قال: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (٧).

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله، وهو عند النبي على أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أجلي هو علي إلى أهله فوجدهم، لم يطعموا ضيفهم انتظاراً له، فقال لامرأته حبست ضيفي من أجلي هو علي حرام، فقالت امرأته: هو علي حرام، وقال الضيف: هو علي حرام، فلما رأى ذلك وضع يده

⁽١) كذا في (حم) وتفسير ابن أبي حاتم وترجمته، وفي (مح) والأصل: «ابن سعيد» وهو تصحيف.

 ⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف عثمان بن سعد وهو الكاتب ضعفه جمع من النقاد المعتبرين (ميزان الاعتدال ٣٤/٣ ـ ٣٥).

⁽٣) سنن الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٥٤).

⁽٤) سنده صحيح.

⁽٥) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحْرِّمُواْ طَيِّبَتِ مَا آخَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] (ح٤٦١٥)، وصحيح مسلم، النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ (ح١٤٠٤).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الأعمش به، وسنده صحيح قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا وغيره رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦٧٧٢).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الثوري به، وسنده صحيح وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣١٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (المجمع ١٩٣٢).

وقال: كلوا باسم الله، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم، ثم أنزل الله: ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا شُحَرِّمُواْ طَيِّبَنتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(١) وهذا أثر منقطع.

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أضيافه شبيه بهذا (٢)، وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره إلى أن من حرم مأكلاً أو ملبساً أو شيئاً ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه، ولا كفارة عليه أيضاً، ولقوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَتِ مَا أَصَلُ اللهُ لَكُمُ ولأن الذي حرم اللحم على نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي المخارة، وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن من حرم مأكلاً أو مشرباً أو ملبساً أو شيئاً من الأشياء، فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين، كما إذا التزم تركه باليمين، فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريمه على نفسه إلزاماً له بما التزمه، كما أفتي بذلك ابن عباس، وكما في قوله بعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا النَّيُ لِمَ غَرِّمُ مَا أَمَلَ اللهُ لَكُ تَبْنَغِي مَرْضَاتَ أَزَوْمِكَ وَاللهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ الله التحريم الله على أن هذا منزل منزلة اليمين في اقتضاء التكفير، والله علم .

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا، ويخصوا أنفسهم، ويلبسوا المسوح، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿وَاتَقُوا الله الّذِى آتُدُ بِهِه مُؤْمِنُونَ قال ابن جريج، عن عكرمة: أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالماً مولى أبي حديفة في أصحابه تبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل، وصيام النهار، فنزلت هذه الآية ﴿يَكَأَيُّا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَل الله كُمُّ وَلَا تَعَمَّدُوناً إِنَّ اللّهَ لَا يُعِبُ الْمُعَتَدِينَ ﴿ يَقُولُ: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاء، فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله على فقال: «إن لأنفسكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، وإن المناه والبعنا ما أنزلت.

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة، ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما تقدم ذلك (٤)، ولله الحمد والمنة.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الانقطاع بين زيد وابن رواحة ﷺ.

⁽٢) وفيه أنه حلف على عدم الأكل ثم رجع عن ذلك فأكل إذ قال: والله لا أطعمه الليلة... (الصحيح، الأدب، باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف ح١١٤٠).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف الحسين وهو ابن داود المُلقب بسُنيد، وله شاهد كما يلى.

⁽٤) تقدم في الصفحة قبل السابقة وتخريجه من الصحيحين.

وقال أسباط، عن السدي في قوله: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يُحَرِّمُواْ طَيِّبَكِ مَاۤ أَحَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَمْ تَدُوّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿ ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً فذكر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التخويف، فقال ناس من أصحاب النبي علي الله: كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون: ما حقنا إن لم نحدث عملاً، فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم، فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك، وأن يأكل بالنهار، وحرم بعضهم النوم، وحرم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء فكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه، فأتت امرأته عائشة عليها وكان يقال لها الحولاء، فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي ﷺ: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون، لا تمتشطين ولا تتطيبين؟ فقالت: وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع علي زوجي، وما وقع عني ثوباً منذ كذا وكذا؟ قال: فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن، فقال: «ما يضحككن؟» قالت: يا رسول الله إن الحولاء سألتها عن أمرها. فقالت: ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا وكذا، فأرسل إليه فدعاه فقال: «مالك يا عثمان؟» قال: إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة، وقص عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يجبّ نفسه، فقال رسول الله عليه: «أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك». فقال: يا رسول الله إني صائم. فقال: «أفطر» فأفطر وأتى أهله، فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت، فضحكت عائشة وقالت: ما لك يا حولاء؟ فقالت: إنه أتاها أمس.

وقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم، ألا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء، فمن رغب عني فليس مني " فنزلت ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَضَلُ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ يقول لعثمان: لا تجبّ نفسك، فإن هذا هو الاعتداء، وأمرهم أن يكفروا عن أيمانهم فقال: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُو فِي آَيْمَنِكُمْ وَلَاكِنَ بُوَاخِدُكُمُ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ يكفروا عن أيمانهم فقال: ﴿لَا يُوَاخِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُو فِي آَيْمَنِكُمْ وَلَاكِن بُوَاخِدُكُم بِمَا عَقَدْتُم الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة: ٨٩]، رواه ابن جرير (١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْمَدُواً ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم، كما قاله من قاله من السلف، ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه: كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا شُرِفُوا ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِنَّا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقَتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا ﴿ وَالْفرقان المشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿لَا يُحْرَمُوا طَيْبَاتِ مَا أَمَلَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْمَدُوا فَي الله عَلَى الله على عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿لَا يَحْرَمُوا طَيْبَا ﴾ أي: في حال كونه حلالاً طيباً ﴿وَاتَقُوا الله ﴾ أي: في جميع أموركم، واتبعوا طاعته ورضوانه، واتركوا مخالفته وعصيانه طيباً ﴿وَاتَقُوا الله ﴾ أي: في جميع أموركم، واتبعوا طاعته ورضوانه، واتركوا مخالفته وعصيانه ﴿وَاتَقُوا الله ﴾ أيّ أَنْ الله عَلَى الله والله والله والله والله والله والله والمؤون والله والله والله والله والله والمؤون والمؤون والله والمؤون والله وا

⁽١) أخرجه الطبري بطوله بسند حسن من طريق أسباط عن السدي لكنه مرسل.

﴿ لَا يُوَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللّغِو فِ آيْمَانِكُمْ وَلَكِن بُوَاخِذُكُم بِمَا عَقَدَّتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِلَمْهَامُ عَشَرَةً مَسَكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَو كِسُوتُهُمْ أَو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَدْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَامٍ ذَالِكَ مَسَكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَو كِسُوتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَدْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَامٍ ذَالِكَ كُنْ لِكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ ﴿ كَاللّهُ لَكُمْ مَايَتِهِ لَمُلَكُمْ تَشْكُرُونَ ۗ ﴿ كَاللّهُ لَكُمْ مَايَتِهِ لَكُمْ مَايَتِهِ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وقد تقدم الكلام على اللغو في اليمين في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا(۱)، ولله الحمد والمنة، وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله وبلى والله. وهذا مذهب الشافعي. وقيل: هو في الهزل. وقيل: في المعصية. [وقيل: على غلبة الظن، وهو قول أبي حنيفة وأحمد. وقيل: اليمين في الغضب](۲) وقيل: في النسيان. وقيل: هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك(۱)، واستدلوا بقوله: ﴿لا عُرَمُوا طَيِبَتِ مَا أَحَلَ اللهُ لَكُمْ المائكل والمحيح أنه اليمين من غير قصد بدليل قوله: ﴿وَلَكِن بُولِذِكُم بِمَا عَقَدتُمُ الْأَيْمَانَ اللهُ اللهُ عَشَرة مَسَكِينَ يعني: محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه.

وقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم (٤).

وقال عطاء الخراساني: من أمثل ما تطعمون أهليكم (٥).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن علي قال: خبز ولبن، وخبز وسمن (٢).

وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا يونس بن عبد الأعلى - قراءة -، حدثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان - يعني ابن أبي المغيرة -، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت بعض أهله قوت دون، وبعضهم قوتاً فيه سعة، فقال الله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطُعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ أي: من الخبز والزيت (٧).

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر، عن ابن عباس في أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ آهْلِيكُمُ قال: من عسرهم ويسرهم (^).

وحدثنا عبد الرحمن بن خلف الحمصي. حدثنا محمد بن شعيب ـ يعني ابن شابور ـ، وحدثنا

⁽١) تقدم في سورة البقرة آية ٢٢٥.

⁽٢) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

⁽٣) ذكر ابن أبي حاتم سبعة أوجه وساقها بأسانيدها وبعضها أوردها بحذف الإسناد.

⁽٤) قول ابن عبّاس وعكرمة ذكرهما ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول سعيد بن جبير أخرجه بسند حسن من طريق عطاء بن دينار عن سعيد.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه، وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الهمداني.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي.

[شيبان] (١) بن عبد الرحمن التميمي، عن ليث بن أبي سُليم، عن عاصم الأحول، عن رجل يقال له: عبد الرحمن، عن ابن عمر ﷺ أنه قال: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴿ ، قال: الخبز واللحم، والخبز والسمن، والخبز واللبن، والخبز والزيت، والخبز والخل (١).

وحدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن ابن عمر في قوله: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ قال: الخبز والسمن، والخبز واللبن، والخبز والزيت، والخبز والنحم (٢٠).

ورواه ابن جرير عن هناد وابن وكيع، كلاهما عن أبي معاوية (٤)، ثم روى ابن جرير عن عبيدة والأسود وشريح القاضي ومحمد بن سيرين والحسن والضحاك وأبي رزين، أنهم قالوا نحو ذلك (٥)، وحكاه ابن أبي حاتم عن مكحول أيضاً (٦).

واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ أي: في القلة والكثرة، ثم اختلف العلماء في مقدار ما يطعمهم:

فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن حصين الحارثي، عن الشعبي، عن الحارث، عن علي رهي الحادث في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِمُونَ آهْلِيكُمْ ﴿ قَالَ: يغديهم ويعشيهم (٧).

وقال الحسن ومحمد بن سيرين: يكفيه أن يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزاً ولحماً، زاد الحسن: فإن لم يجد فخبزاً وسمناً ولبناً، فإن لم يجد فخبزاً وزيتاً وخلاً، حتى يشبعوا^(٨).

وقال آخرون: يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما، فهذا قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وميمون بن مهران وأبي مالك والضحاك والحكم ومكحول وأبي قلابة ومقاتل بن حيان. وقال أبو حنيفة: نصف صاع بُر وصاع مما عداه.

وقد قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الثقفي، حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا زياد بن عبد الله بن الطفيل بن [سخبرة]^(٩) بن أخي عائشة لأمه، حدثنا عمر بن يعلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كفّر رسول الله على بصاع من تمر، وأمر الناس به، ومن لم يجد فنصف صاع من

⁽١) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل صُحف إلى: «سفيان».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عبد الرحمن لم يُنسب.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده كسابقه حسن.

⁽٥) أخرج الطبري هذه الأقوال بأسانيد معظمها ثابتة.

⁽٦) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب ضعف الحارث وهو الأعور الهمداني.

⁽٨) أخرجه الطبري عنهما بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽٩) كذا في (حم) وفي الأصل: «سحرة»، وهو تصحيف.

بُر^(۱). ورواه ابن ماجه عن العباس بن يزيد، عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي، عن المنهال بن عمرو به^(۲)، لا يصح هذا الحديث لحال عمر بن عبد الله هذا، فإنه مجمع على ضعفه، وذكروا أنه كان يشرب الخمر. وقال الدارقطني: متروك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن إدريس، عن داود _ يعني ابن أبي هند _، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: مُد من بُر يعني: لكل مسكين ومعه إدامه (٢)، ثم قال: وروي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء والقاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار والحسن ومحمد بن سيرين والزهرى، نحو ذلك (٤).

وقال الشافعي: الواجب في كفارة اليمين مُد بمُد النبي الله لكل مسكين ولم يتعرض للأدم. واحتج بأمر النبي الله للذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكيناً من مكتل يسع خمسة عشر صاعاً، لكل واحد منهم مُدّ. وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك، فقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن علي بن الحسن المقري، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا النضر بن زرارة الكوفي، عن عبد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله الله كان يقيم كفارة اليمين مُداً من حنطة بالمد الأول (٥٠).

وإسناده ضعيف لحال النضر بن زرارة بن عبد الأكرم الذهلي الكوفي نزيل بلخ، قال فيه أبو حاتم الرازي: هو مجهول مع أنه قد روى عنه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال: روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة، فالله أعلم، ثم إن شيخه العمري ضعيف أيضاً. وقال أحمد بن حنبل: الواجب مُد من بُرِّ أو مُدان من غيره، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿أَو كِسُوَتُهُمْ قَالَ الشَّافِعِي كَاللَّهُ: لَو دَفَع إلى كُلُ واحد مِن العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة مِن قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مَقْنَعة، أجزأه ذلك، واختلف أصحابه في القلنسوة: هل تجزئ أم لا؟ على وجهين، فمنهم مِن ذهب إلى الجواز احتجاجاً بما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمار بن خالد الواسطي: قالا: حدثنا القاسم بن مالك، عن محمد بن الزبير، عن أبيه، قال: سألت عمران بن الحصين عن قوله: ﴿أَو كِسُوتُهُمُ هَالَ لَو أَن وفداً قدموا على أميركم فكساهم قلنسوة، قلنسوة قلتم: قد كُسُوا(٢)، ولكن هذا

⁽۱) سنده ضعيف لضعف عمر بن يعلى وهو عمر بن عبد الله بن يعلى كما في مصباح الزجاجة ١٤٧/٢، وضعفه الحافظ ابن كثير كما يلي.

⁽٢) سنن ابن ماجه، الكفارات، باب كم يطعم في كفارة اليمين (ح٢١١٣)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ح٤٥٩).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقد خرج فضيلة د. عيادة بن أيوب الكبيسي هذه الآثار وبيّن درجتها من الصحة، وفيها الصحيح والضعيف، فلا داعي للإطالة لسردها.

⁽٥) ضعفه الحافظ بسبب ضعف النضر بن زرارة وشيخه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير بسبب ضعف محمد بن الزبير فهو لين الحديث كما في التقريب.

إسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا، والله أعلم. وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الإسفراييني: في الخف وجهين أيضاً، والصحيح عدم الإجزاء.

وقال مالك وأحمد بن حنبل: لا بدّ أن يدفع إلى كل واحد منهم من الكسوة ما يصح أن يصلي فيه، إن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه، والله أعلم.

وقال العوفي، عن ابن عباس: عباءة لكل مسكين أو شملة (١).

وقال مجاهد: أدناه ثوب وأعلاه ما شئت (٢). وقال ليث عن مجاهد: يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا التبان (٣).

وقال الحسن وأبو جعفر الباقر وعطاء وطاوس وإبراهيم النخعي وحماد بن أبي سليمان وأبو مالك: ثوب ثوب ثوب ثوب أبي الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعاً (٥).

وقال الأنصاري، عن أشعث، عن ابن سيرين والحسن: ثوبان ثوبان (٦).

وقال الثوري، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب: عمامة يلف بها رأسه، وعباءة يلتحف بها (^{v)}.

وقال ابن جریر: حدثنا هناد، حدثنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن ابن سیرین، عن أبي موسى أنه حلف على یمین، فكسا ثوبین من معقدة البحرین ($^{(\Lambda)(\Lambda)}$.

وقال ابن مردویه: حدثنا سلیمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن المعلی، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعیل بن [عیاش](۱۰)، عن مقاتل بن سلیمان، عن أبي عثمان، عن أبي عیاض، عن عائشة، عن رسول الله علی قوله: ﴿أَو كِسُوتُهُمْ قَال: «عباءة لكل مسكین (۱۱)، حدیث غریب.

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليس عن العوفي، وما ورد عن العوفي بلفظ آخر.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (المصنف ١٣/٨ رقم ١٦٠٩٨).

 ⁽٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ليث به، والتبان: هو سروال صغير يستر العورة المغلظة فقط (النهاية /١٨١).

⁽٤) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٥) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً عن إبراهيم النخعي.

⁽٦) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً عن الحسن البصري.

⁽V) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحيح.

 ⁽A) معقد البحرين قال أحمد شاكر في حاشية الطبري: والمعقد بتشديد القاف المفتوحة ضرب من برود هجر،
 لم أجد صفته.

⁽٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي موسى الأشعري (المصنف ٨/ ٥١٢ رقم ١٦٠٩٣).

⁽١٠) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصٰل: «عباس»، وهو تصحيف.

⁽١١) في سنده مقاتل بن سليمان فيه مقال لكن له شاهد موقوف على ابن عباس تقدم من طريق علي بن أبي طلحة.

وقوله: ﴿أَوْ تَحَرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال: تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة. وقال الشافعي وآخرون: لا بدّ أن تكون مؤمنة. وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب.

ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة، وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول الله عليه: «أين الله؟». قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة ...» الحديث بطوله (۱).

فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين، أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع، وقد بدأ بالأسهل، فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى، فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام، كما قال تعالى: ﴿فَمَن لَمْ يَجِدٌ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ آيًامً ﴾.

وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير والحسن البصري، أنهما قالا: من وجد ثلاثة دراهم لزمه الإطعام وإلا صام (٢).

وقال ابن جرير حاكياً عن بعض متأخري متفقهة زمانه أنه جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف فيه لمعاشه، ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه، ثم اختار ابن جرير أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين (٣).

واختلف العلماء: هل يجب فيها التتابع أو يستحب ولا يجب، ويجزئ التفريق؟ قولان:

أحدهما: لا يجب وهذا منصوص الشافعي في كتاب الأيمان، وهو قول مالك لإطلاق قوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ وهو صادق على المجموعة والمفرقة، كما في قضاء رمضان لقوله: ﴿فَصِدَةٌ وَفَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُخَرً ﴾ [البقرة: ١٨٤] ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع، كما هو قول الحنفية والحنابلة، لأنه قد روي عن أبيّ بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرؤونها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات). قال أبو جعفر الرازي: عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات).

وقال إبراهيم: في قراءة أصحاب عبد الله بن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)(٥).

وقال الأعمش: كان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك(٢)، وهذه إذا لم يثبت كونها قرآناً

 ⁽١) الموطأ، العتق، باب ما يجوز من العتق (٢/ ٥٩٥)، والرسالة فقرة رقم ٢٤٢ وصحيح مسلم، المساجد،
 باب تحريم الكلام في الصلاة (-٥٣٧).

⁽٢) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عنهما.

⁽٣) ذكره الطبري بنحوه (التفسير ١٠/ ٥٥٩) ط. شاكر.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده جيد، والقراءة شاذة تفسيرية.

⁽٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً (المصنف ١٦١٠٨ - ٥١٤ رقم ١٦١٠٢ - ١٦١٥).

⁽٦) سنده منقطع ويشهد له ما تقدم.

متواتراً، فلا أقل أن يكون خبراً واحداً أو تفسيراً من الصحابة وهو في حكم المرفوع.

يقول تعالى: ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو: القمار، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ظهر أنه قال: الشطرنج من الميسر، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن [عُبيس](٢) بن مرحوم، عن حاتم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي به (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان: أو اثنين منهم قالوا: كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز⁽³⁾، وروي عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب مثله⁽⁶⁾، وقالا: حتى الكعاب⁽⁷⁾ والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان. وقال موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: الميسر هو القمار^(۷).

وقال الضحاك، عن ابن عباس، قال: الميسر هو القمار، كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة (٨).

وقال مالك، عن داود بن الحصين أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: كان ميسر أهل الجاهلية

⁽١) في سنده ابن جريج لم يسمع من ابن عباس فالإسناد منقطع ضعيف.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل صُحف إلى: «عنبس».

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم، وسنده منقطع بين محمد بن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب ظله.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم، وفي سنده ليث وهو ابن أبي سُليم: صدوق اختلط فلم يتميز حديثه فترك.

⁽٥) ذكرهما ابن أبي حاتم بحذف السند.

⁽٦) وهي كعاب الغنم يلعب بها الأطفال بعد غسلها.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق شجاع بن الوليد عن موسى بن عقبة به، وسنده حسن.

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف بسبب الضحاك لم يلق ابن عباس.

بيع اللحم بالشاة والشاتين(١).

وقال الزهري، عن الأعرج، قال: الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار (٢).

وقال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر $^{(n)}$ ، رواهن ابن أبى حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي على قال: «اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجراً، فإنها من الميسر» (٤) حديث غريب، وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال: قال رسول الله على: «من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه» (٥). وفي موطأ مالك ومسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله على: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله» (٢) وروي موقوفاً عن أبي موسى من قوله، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا [مكي] بن إبراهيم، حدثنا الجعيد، عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي، أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول: أخبرني ما سمعت أباك يقول عن رسول الله على مقال عبد الرحمن: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله على يقول: "مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي، مثل الذي المنابقية ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي،

وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر إنه شرّ من النرد، وتقدم عن علي أنه قال: هو من الميسر، ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد، وكرهه الشافعي، رحمهم الله تعالى.

وأما الأنصاب، فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد: هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها. وأما الأزلام فقالوا أيضاً: هي قداح كانوا يستقسمون بها^(۹)، رواه ابن أبي حاتم.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق القعنبي عن مالك به، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن عزيز عن سلامة عن عقبل عن الزهري به، وفي سنده محمد بن عزيز ضعيف.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف علي بن يزيد وهو الألهاني، وإذا أراد بالكعاب النردشير فله شاهد صحيح كما يلي:

⁽٥) صحيح مسلم، الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير (ح٢٢٦٠).

⁽٦) الموطآ، الرؤيا، باب ما جاء في النرد (٢/ ٧٢٩ ح٦ والمسند ٤/ ٣٩٤)، وسنن أبي داود، الأدب، باب في النهي عن اللعب بالنرد (ح٤٩٣٩)، وسنن ابن ماجه، الأدب، باب اللعب في النرد (ح٣٧٦٧)، وحسنه الألباني بالشواهد (إرواء الغليل ٨/ ٢٨٥).

⁽٧) كذا في المسند، وفي النسخ الثلاث: «علي».

 ⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وضعفه محققوه لجهالة موسى بن عبد الرحمن الخطمي (المسند ٣٨/ ٢١٥)
 - ٢١٦ ح ٢١٣٨).

⁽٩) ذكرهم أبن أبي حاتم بحذف السند إلا قول ابن عباس أسنده من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عنه، وسنده =

وقوله تعالى: ﴿رِجْسُ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَنِ﴾ قال علي [بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي سخط من عمل الشيطان(١).

وقال سعيد بن جبير: إثم (٢).

وقال زيد] بن أسلم: أي شر من عمل الشيطان (٣)، ﴿ فَأَجْتَنِبُوهُ ﴾ الضمير عائد إلى الرجس ؛ أي: اتركوه ﴿ لَعَلَّكُونَ ﴾ . وهذا أثر غريب .

شم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَذَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَبَّرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوْةِ فَهَلَ أَنْهُم مُنتَهُونَ ۞﴾ وهذا تهديد وترهيب.

ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر:

قال الإمام أحمد: حدثنا سُريج، حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة قال الإمام أحمد: حدثنا سُريج، حدثنا أبو معشر، عن أبي المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون المميسر، فسألوا رسول الله على عنهما، فأنزل الله: ﴿يَسَكُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرُ قُلْ فِيهِما َ إِنْمُ المميسر، فسألوا رسول الله على آخر الآية [البقرة: ٢١٩]. فقال الناس: ما حُرّما علينا إنما قال: ﴿فِيهِما إِنْمُ كَبِيرٌ وَمَنَفِعُ لِلنَّاسِ، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الأيام، صلى رجل من المهاجرين، أمّ أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله أغلظ منها ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمُ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ النساء: ٣٤] فكان الناس يشربون حتى ما مَنُوا إِنَّهُ النَّيَ عَلَ الشَيطُنِ فَاجَيَنُوهُ لَمَلَكُمْ تُقُلِحُونَ ﴿ والنساء: ٣٤] فكان الناس يشربون حتى ما الشيطن فَاجَيَنُوهُ لَمَلَكُمْ تُقْلِحُونَ فَي قالوا: انتهينا ربنا. وقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله، وماتوا على فرشهم، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقل جعله الله رجساً من عمل الشيطان، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَهُ الْمَنُوا فَعَمِلُوا فَاللَّهُ اللَّهُ الْمَنُوا فَاللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّ إِنَا مَا النّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللهُ عالى: ﴿ لَهُ الْمُولُونَ الْمُعَلُّ اللَّهُ اللهُ الله الله تعالى: ﴿ لَكُ مَا مُؤلًا أَنُوا فَا النّهِ الله الله يَعْلَمُ اللَّهُ اللهُ الله الله تعالى: ﴿ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَمُ النّهُ اللهُ الله الله على الشود به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عن عن أبي ميسرة، عن عمر بن الخطاب أنه قال لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿يَسْئُلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩] فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في سورة

ضعيف لضعف عثمان ويتقوى بروايات التابعين، فقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن دينار عن سعيد.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بلفظ: «الرجس: الشر».

⁽٤) كذا في الأصل وفي (حم) وفي (مح): مُغتبق، أي شارب إلى آخر النهار (ينظر النهاية ٣/ ٣٤٠)، وفي المسند: وهو مُفيق. قال السندي: من الإفاقة، يريد أنهم أخذوا في الشرب في وقت بعيد عن أوقات الصلاة.اه. وكلا المعنيين متقارب.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه حسن لغيره (المسند ٢٦٨/١٤ ـ ٢٦٩ح ٨٦١٩).

النساء ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَقَرَبُوا الطَّكُولَةَ وَأَنتُمْ سُكَرَى ﴾ [النساء: ٤٣] فكان منادي رسول الله ﷺ إذا قال: حي على الصلاة، نادى: لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ قول الله تعالى: ﴿ فَهَلَ أَنتُم مُنتُونَ ﴾ قال عمر: انتهينا انتهينا (١٠).

وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، عن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني، عن عمر به، وليس له عنه سواه، قال أبو زرعة: ولم يسمع منه. وصحح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي(٢).

وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله على: أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل^(٣).

وقال البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، حدثني نافع، عن ابن عمر قال: نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذٍ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب^(٤).

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي: حدثنا محمد بن أبي حميد، عن المصري _ يعني أبا طعمة قارئ مصر _، قال: سمعت ابن عمر يقول: نزلت في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء نزل في يَعْنَوُنكَ عَنِ الْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِّ الآية، فقيل: حَرُمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله، دعنا ننتفع بها كما قال الله تعالى، قال: فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّكُوةَ وَأَنتُهُ سُكَرَىٰ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت ﴿يَابُّهُ اللَّيْنَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْمُتَيْرُ وَٱلْمَيْسُ وَٱلْأَنْمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطُنِ فَاجْتَنْبُوهُ الآيتين، فقال رسول الله عَلَيْ الشَيْطُنِ فَاجْتَنْبُوهُ الآيتين، فقال رسول الله عَلَيْ الشَيْطُنِ فَاجْتَنْبُوهُ الآيتين،

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى، حدثنا محمد بن إسحاق، عن القعقاع بن حكيم، أن عبد الرحمن بن وعلة قال: سألت ابن عباس عن بيع الخمر، فقال: كان لرسول الله على صديق من ثقيف، أو من دوس، فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه، فقال رسول الله على «يا فلان أما علمت أن الله حرّمها؟» فأقبل الرجل على غلامه فقال: اذهب فبعها، فقال رسول الله على: «يا فلان بماذا أمرته؟» فقال: أمرته أن يبيعها. قال: «إن الذي حرّم شربها حرّم بيعها» فأمر بها فأفرغت في البطحاء، ورواه مسلم من طريق ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصحح سنده محققوه (المسند ١/٣٧٨ ح٣٧٨).

⁽٢) سنن أبي داود، الأشربة، باب في تحريم الخمر (ح٢٦٧٠)، وسنن الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٤٩)، وسنن النسائي، الأشربة، باب تحريم الخمر ٨/ ٢٧٦.

⁽٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿إِنَّمَا ٱلْمَتْرُ وَٱلْمَيْرُ . . . ﴾ [المائدة: ٩٠] (ح٤٦١٩)، وصحيح مسلم، التفسير، باب في نزول تحريم الخمر (ح٣٠٢٢).

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٢٦٦٦).

⁽٥) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ح١٩٥٧)، وسنده ضعيف لضعف محمد بن أبي حميد.

أسلم، ومن طريق ابن وهب أيضاً عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، كلاهما عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس به (۱)، ورواه النسائي عن قتيبة، عن مالك به.

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن شهر بن حوشب، عن تميم الداري أنه كان يهدي لرسول الله على كل عام راوية من خمر، فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها، فلما رآها رسول الله على ضحك وقال: "إنها قد حُرّمت بعدك» قال: يا رسول الله فأبيعها وأنتفع بثمنها، فقال رسول الله على: "لعن الله اليهود، حُرّمت عليهم شحوم البقر والغنم، فأذابوه وباعوه، والله حَرّم الخمر وثمنها "(٢).

وقد رواه أيضاً الإمام أحمد فقال: حدثنا روح، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال: سمعت شهر بن حوشب قال: حدثني عبد الرحمن بن غُنم، أن الداري كان يهدي لرسول الله على كل عام راوية من خمر، فلما كان عام حُرِّمت، جاء براوية، فلما نظر إليه ضحك، فقال: «أشعرت أنها قد حُرِّمت بعدك» فقال: يا رسول الله، ألا أبيعها وأنتفع بثمنها؟ فقال رسول الله على: «لعن الله اليهود انطلقوا إلى ما حُرِّم عليهم من شحم البقر والغنم، فأذابوه، فباعوا به ما يأكلون، وإن الخمر حرام وثمنها حرام، وإن الخمر حرام وثمنها حرام».

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله على وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة، فأتى بها رسول الله على فقال: يا رسول الله، إني جئتك بشراب جيد، فقال رسول الله على: «يا كيسان، إنها قد حُرّمت بعدك» قال: فأبيعها يا رسول الله؟ فقال رسول الله على: «إنها قد حرمت وحرم ثمنها»، فانطلق كيسان إلى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها(٤).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن حميد، عن أنس قال: كنت [أسقي] أن أبا عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسعيد بن بيضاء ونفراً من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم، فأتى آتٍ من المسلمين فقال: أما شعرتم أن الخمر قد حرمت؟ فقالوا: حتى ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس اسكب ما بقي في إنائك فوالله ما عادوا فيها، وما هي

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ۱/ ۲۳۰)، وفي سنده ابن إسحاق ولم يصرح بالسماع لكنه توبع فقد أخرجه مسلم من طريقين آخرين عن عبد الرحمن بن وعلة به (الصحيح، البيوع، باب تحريم الخمر ح/١٥٧٩).

⁽٢) في سنده شهر بن حوشب فيه مقال ولم يتابع، ولكن له شواهد تقويه كما سيأتي:

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره، وذكروا له شواهد (المسند ٢٩/٢٩ه - ١٩/٢٥).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده، ومتنه (المسند ٣١/ ٢٩١ ح١٨٩٦٠)، وضعفه محققوه بسبب ابن لهيعة والاختلاف في صحبة نافع بن كيسان.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وصحفت في الأصل إلى: «أسي».

إلا التمر والبسر، وهي خمرهم يومئذ (١)، أخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن أنس، وفي رواية حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ البُسر والتمر، فإذا مناد ينادي قال: اخرج فانظر، فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فجرت في سكك المدينة، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم: قتل فلان وفلان وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿ لَيُسَ عَلَى الدَّينِ اللهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرني يحيى بن أيوب، عن عُبيد الله بن زَحر، عن [بكر] بن سوادة، عن قيس بن سعد بن عبادة أن رسول الله على قال: «إن ربي تبارك وتعالى، حَرّم الخمر والكوبة (٢) والقنين (٧)، وإياكم والغُبيراء (٨) فإنها ثلت خمر العالم» (٩).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا فرج بن فضالة، عن إبراهيم بن

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٨١) وهو في الصحيحين كما يلي:

⁽٢) صحيح البخاري، المظالم، باب صب الخمر في الطريق (ح٢٤٦٤)، وصحيح مسلم، الأشربة، باب تحريم الخمر (ح١٩٨٠).

⁽٣) كذا في (حم) (ومح) وتفسير الطبري وصحفت في الأصل إلى: «عبد البر».

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه البخاري من طريق قتادة به مختصراً (الصحيح، الأشربة، باب من رأى لا يخلط البسر والتمر ح ٥٦٠٠).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل صُحفت إلى: «بلد».

⁽٦) الكوبة هي النرد أو الطبل كما في حاشية السندي على المسند.

⁽٧) القُّنين: لعبة للروم يقامرون بها، وقيل: الطنبور بالحبشة (المصدر السابق).

 ⁽٨) الغُبيراء: نوع من الشراب المُسكر يتخذه الحبش من الذرّة وهي تُسكر وتسمى السُّكركة. (ينظر النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٣٨).

⁽٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٢٩/١٠ ح٥٤٨١)، قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: فإنها ثلث خمر العالم.

عبد الرحمن بن رافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو. قال: قال رسول الله على الله الله على الله على أمتى الخمر والميسر والمزر^(۱) والكوبة والقنين، وزادني صلاة الوتر» قال يزيد: القنين البرابط^{(۲)(۳)}، تفرد به أحمد.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو عاصم _ وهو النبيل _، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله على قال: «من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم» قال: سمعت رسول الله على يقول: «إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام» تفرد به أحمد أيضاً (٤).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن أبي طعمة مولاهم، وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله على: «لعنت الخمر على عشرة أوجه: لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به (٥).

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو طعمة، سمعت ابن عمر يقول: خرج رسول الله على المربد [(٦) فخرجت معه، فكنت معه، فكنت عن يمينه، وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه، فكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره، فأتى رسول الله المربد فإذا بزقاق على المِربَد فيها خمر، قال ابن عمر: فدعاني رسول الله المحدية، قال ابن عمر: وما عرفت المدية إلا يومئذ، فأمر بالزقاق فشقت، ثم قال: «لُعنت الخمر وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرها ومعتصرها، وآكل ثمنها» (٧)

وقال أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب قال: قال عبد الله بن عمر: أمرني رسول الله على أن آتيه بمدية وهي: الشفرة، فأتيته بها، فأرسل بها، فأهرقت ثم أعطانيها، وقال: «اغدُ عليّ بها» ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة، وفيها زقاق الخمر قد جُلبت من الشام، فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها، وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني، وأمرني أن آتي الأسواق

⁽١) المزر: نبيذ يتخذ من الذرة، وقيل: من الشعير أو الحنطة (النهاية ٢٤/٤).

⁽٢) البرابط: ملهاة تشبه العود، فارسي معرب (حاشية السندي على المسند).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٠٤/١١ ح١٥٤٧)، وضعفه محققوه لضعف فرج بن فضالة.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: حسن لغيره (المسند ١٦١/١١ ح٢٥٩١).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٥/٢) وصححه أحمد شاكر (المسند ٤٧٨٧)، وأخرجه أبو داود من طريق وكيع به (السنن، الأشربة، باب العنب يعصر للخمر ح٣٦٧٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح٣٦٧١).

⁽٦) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل صحفت إلى: «المرثد». والمربد هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم (النهاية ٢/١٨٢).

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٧١)، وفي سنده ابن لهيعة وقد توبع في آخر الحديث كما

كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته(١١).

(حديث آخر) قال عبد الله بن وهب: أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن ثابت، عن يزيد الخولاني أخبره أنه كان له عم يبيع الخمر، وكان يتصدق، قال: فنهيته عنها فلم ينته، فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فسألته عن الخمر وثمنها، فقال: هي حرام، وثمنها حرام، ثم قال ابن عباس فراهم: يا معشر أمة محمد، إنه لو كان كتاب بعد كتابكم، ونبي بعد نبيكم، لأنزل فيكم كما أنزل قبلكم، ولكن أخّر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولعمري لهو أشد عليكم، قال ثابت: فلقيت عبد الله بن عمر فسألته عن ثمن الخمر فقال: سأخبرك عن الخمر، إني كنت مع رسول الله عليه في المسجد فبينما هو محتب على حبوته، ثم قال: «من كان عنده من هذه الخمر شيء فليأتنا بها» فجعلوا يأتونه فيقول أحدهم: عندي راوية، ويقول الآخر: عندي زق، أو ما شاء الله أن يكون عنده، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوه ببقيع كذا وكذا، ثم آذنوني» ففعلوا، ثم آذنوه، فقام وقمت معه ومشيت عن يمينه وهو متكئ علي، فلحقنا أبو بكر ﴿ اللهِ عَلَيْهِ مَ اللهُ عَلَيْهِ ، فجعلني عن شماله وجعل أبا بكر في مكاني، ثم لحقنا عمر بن الخطاب ﴿ اللَّهُ مُ فَأَخْرُنَى وَجَعَلُهُ عَنْ يَسَارُهُ، فَمَشَّى بِينَهُمَا حَتَّى إذا وقف على الخمر قال للناس «أتعرفون هذه؟» قالوا: نعم يا رسول الله، هذه الخمر، قال: «صدقتم»، ثم قال: «فإن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها ومشتريها، وآكل ثمنها» ثم دعا بسكين فقال: «اشحذوها» ففعلوا، ثم أخذها رسول الله ﷺ يخرق بها الزقاق، قال: فقال الناس: في هذه الزقاق منفعة، فقال: «أجل ولكني إنما أفعل ذلك غضباً لله على الله، قال: «لا» قال عمر: أنا أكفيك يا رسول الله، قال: «لا» قال ابن وهب: وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث، رواه البيهقي (٢).

[(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البيهقي] (٣) أنبأنا أبو الحسين بن بشر، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن سماك، عن مصعب بن سعد. عن سعد قال: أنزلت في الخمر أربع آيات، فذكر الحديث قال: وصنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا، فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا فتفاخرنا، فقالت الأنصار: نحن أفضل، وقالت قريش: نحن أفضل، فأخذ رجل من الأنصار لحي جزور، فضرب به أنف سعد ففزره، وكانت أنف سعد مفزورة، فنزلت ﴿إِنَّا ٱلْفَتْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلُ أَنْهُم مُنْبَهُونَ ﴾ أخرجه مسلم من حديث شعبة (٤).

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ١٣٦)، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف كما في التقريب.

⁽۲) أخرجه البيهقي من طريق ابن وهب به (السنن الكبرى ۲۸۷/۸)، والحاكم أيضاً من طريق ابن وهب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤٤٤/٤)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وخالد بن يزيد لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (المجمع ٧٦/٥). فإذا كان في خالد بن يزيد مقال فإن سابقه شاهد له.

⁽٣) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

⁽٤) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٢٨٥، وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب، في فضل سعد بن أبي وقاص (ح١٧٤٨).

(حديث آخر) قال البيهقي: وأخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنبأنا أبو علي الرفاء، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا ربيعة بن كلثوم، حدثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا فلما أن ثمل القوم، عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته، فيقول صنع بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفا رحيماً ما صنع بي هذا، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ يَكَانَّهُ الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّهُ مَنْ مَنَ عَلِ الشَّيطُنِ ﴾ إلى قوله تعالى هذه الآية ﴿ يَكَانًهُ اللَّذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَةِ بُنَاتٌ فِي بطن فلان، وقد قتل يوم أحد: فأنزل الله تعالى: ﴿ فَهَلَ أَنْهُ مُنْهُونَ ﴾ فقال أناس من المتكلفين: هي رجس وهي في بطن فلان، وقد قتل يوم أحد: فأنزل الله تعالى: ﴿ فَهَلَ النَّسَائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة، عن حجاج بن منهال (١٠).

(حديث آخر) قال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف، حدثنا سعيد بن محمد الحرمي، عن أبي تُميلة، عن سلام مولى حفص أبي القاسم، عن ابن بُريدة، عن أبيه قال بينا نحن قعود على شراب لنا، ونحن على رملة، ونحن ثلاثة أو أربعة، وعندنا باطية (٢٠ لنا ونحن نشرب الخمر حلاً، إذ قمت حتى أتيتُ رسول الله على فأسلم عليه، إذ نزل تحريم الخمر ﴿ يَاَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِنّا الْمَنْ وَالْمَيْسِرُ . . . ﴾ إلى آخر الآيتين، ﴿ فَهَلَ أَنتُم مُنتُونَ ﴾ فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله: ﴿ فَهَلَ أَنتُم مُنتُونَ ﴾ في الإناء قوله: ﴿ فَهَلَ أَنتُم مُنتُونَ ﴾ فعل الحجام، ثم صبوا ما في باطيتهم، فقالوا: انتهينا ربنا (٢٠).

(حديث آخر) قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال صبح أناس غَداة أُحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبل تحريمها (٤)، هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله يقول: اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي على ثم قتلوا شهداء يوم أُحد فقالت اليهود: فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

⁽۱) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٢٨٥، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَتُرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] (ح١١١٥). وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٤١/٤ - ١٤٢) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/ ٢١).

⁽٢) أي: إناء خاص باللبن يصنع من فخار مطلي.

 ⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده سلام مولى حفص ذكره البخاري وسكت عنه (التاريخ الكبير ٤/<١٣٣)، وكذا ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٢٦٢/٤)، وله شواهد تقدمت.

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَنَّرُ وَٱلْمَيْسِرُ . . . ﴾ [المائدة: ٩٠] ح٢٦١٨).

⁽٥) صحح سنده الحافظ ابن كثير واستغرب قوله: فقالت اليهود...

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى اللَّذِيكَ المَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَمِمُوا ﴾ الآية، ورواه الترمذي عن بُندار عن غُندر عن شعبة به نحوه، وقال: حسن صحيح (١).

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا جعفر بن حميد الكوفي، حدثنا يعقوب [القمي] [1] ، عن عيسى بن جارية، عن جابر بن عبد الله قال: كان رجل يحمل الخمر من خيبر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين، فحمل منها بمال فقدم بها المدينة فلقيه رجل من المسلمين فقال يا فلان، إن الخمر قد حُرِّمت فوضعها حيث انتهى على تل، وسجى (٣) عليها بأكسية، ثم أتى النبي على فقال: يا رسول الله، بلغني أن الخمر قد حُرِّمت؟ قال: «أجل» قال لي أن أردها على من ابتعتها منه؟ قال: «لا يصلح ردها». قال: لي أن أهديها إلى من يكافئني منها؟ قال: «لا». قال: فإن فيها مالاً ليتامى في حجري، قال: «إذا أتانا مال البحرين فأتنا نعوض أيتامك من مالهم» ثم نادى بالمدينة، فقال رجل: يا رسول الله، الأوعية ننتفع بها؟ قال: «فحلوا أوكيتها» فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي (٤)، هذا حديث غريب.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن السدي، عن [أبي هبيرة] (٥) وهو يحيى بن عباد الأنصاري ـ، عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأل رسول الله على عن أيتام في حجره ورثوا خمراً فقال: «أهرقها». قال: أفلا نجعلها خلاً؟ قال: «لا»(٢).

ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه $^{(V)}$.

(حديث آخو) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا عبد العزيز بن سلمة، حدثنا هلال بن أبي هلال، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: إن هذه الآية التي في السقرآن ﴿ يَالَيُنَ مَامَنُوا إِنَّمَ الْفَيْرُ وَالْفَيْرُ وَالْأَسَابُ وَالْأَنْكُمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطُنِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَكُمْ تُقْلِحُونَ السقرآن ﴿ يَالَيْكُمُ اللَّهُ والرّمارات، يعني به الدف والطنابير والشعر والخمر مرة والزفن (^) والكنارات (٩)؛ يعنى: البرابط والزمارات، يعني به الدف والطنابير والشعر والخمر مرة

⁽۱) مسند الطيالسي (ح٧١٥) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٤٤٣).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل صُحف إلى: «العتبي».

⁽٣) أي: غطي.

⁽٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٠٤ ح ١٨٨٤)، وسنده ضعيف لأن عيسىٰ بن جارية فيه لين (التقريب ص٤٨٣).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «هبيرة».

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/١١٩)، وسنده حسن.

⁽٧) صحيح مسلم، الأشربة، باب تحريم تخليل الخمر (ح١٩٨٣).

⁽٨) الزفن: الرقص والدفع (النهاية ٢/ ٣٠٥).

⁽٩) في النسخ الثلاث: الكبارات، والتصويب من النهاية إذ ذكر ابن الأثير هذا الحديث ونسبه إلى عبد الله بن عمرو (النهاية ٢/ ٣٠٥).

لمن طعمها، أقسم الله بيمينه وعزته من شربها بعد ما حرمتها لأعطشنه يوم القيامة، ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس^(۱). وهذا إسناد صحيح.

(حديث آخر) قال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، أن عمرو بن شعيب حدثهم، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله على قال: «من ترك الصلاة سكراً مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسُلبها، ومن ترك الصلاة سكراً أربع مرات، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل جهنم» ورواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب (٢).

(حديث آخر) قال أبو داود: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال: سمعت النعمان هو: ابن أبي شيبة الجندي يقول: عن طاوس، عن ابن عباس، عن النبي على قال: "كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام ومن شرب مسكراً بخست صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «صديد أهل النار. ومن سقاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال» تفرد به أبو داود.

(حديث آخر) قال الشافعي كلله: أنبأنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله على قال: «من شرب الخمر في الدنيا لم يتب منها حرمها في الآخرة» أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به. وروى مسلم عن أبي الربيع، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله على: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها، لم يشربها في الآخرة»(٤).

(حديث آخر) قال ابن وهب: أخبرني عمر بن محمد، عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول: قال عبد الله بن عمر: قال رسول الله على: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى». ورواه النسائي عن عمرو بن علي، عن يزيد بن زريع، عن عمر بن محمد العمري به. وروى أحمد عن غندر، عن شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن أبي سعيد، عن النبي على قال: «لا يدخل الجنة مِنّان ولا عاق ولا مُدمن خمر». ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد، عن عبد العزيز بن مسلم، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد به. وعن مروان بن شجاع، عن خُصيف، عن مجاهد به. ورواه النسائي عن زياد، عن حسين الجعفي، عن زائدة، عن يزيد بن أبي زياد، عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد، كلاهما عن أبي سعيد به (٥).

⁽١) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد من طُريق ابن وهب به وحسنه محققوه (المسند ١١/ ٢٤٠ ح٦٦٥٩)، ويشهد له لاحقه.

⁽٣) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأشربة، باب النهي عن المسكر ح ٣٦٨٠)، وصححه الألباني (في صحيح سنن أبي داود ح٣١٧).

⁽٤) صحيح البخاري، الأشربة، باب قوله الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَتْرُ وَٱلْفَصَابُ﴾ [المائدة: ٩٠] (ح٥٥٥)، وصحيح مسلم الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها (ح٢٠٠٣).

⁽٥) تقدم تخريجه من رواية النسائي في تفسير سورة البقرة آية ٢٦٤.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابان، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي على قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنية» وكذا رواه عن يزيد، عن همام، عن منصور، عن سالم، عن جابان، عن عبد الله بن عمرو به، وقد رواه أيضاً عن غندر وغيره، عن شعبة، عن منصور، عن سالم، عن نبيط بن شريط، عن جابان، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي على قال: «لا يدخل الجنة منان، ولا عاق والديه، ولا مدمن خمر». ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك، ثم قال: ولا نعلم أحداً تابع شعبة عن نبيط بن شريط. وقال البخاري: لا يعرف لجابان سماع عن عبد الله، ولا لسالم من جابان ولا نبيط، وقد روي هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس، ومن طريقه أيضاً عن أبي هريرة، فالله أعلم (۱).

وقال الزهري: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنّا ندعوك لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته كأساً فقال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه. رواه البيهقي (٢) وهذا إسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه «ذم المسكر» عن محمد بن عبد الله بن بزيع، عن الفضيل بن سليمان النميري، عن عمر بن سعيد، عن الزهري به مرفوعاً والموقوف أصح والله أعلم، وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله على أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ".

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قال ناس: يا رسول الله، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا اللهَا إِنْكَامُ فِيمَا طَعِمُواً . . . ﴾ إلى آخر الآية، ولما حولت القبلة قال ناس: يا رسول الله، إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْنِيعَ إِيمَنَكُمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ ا

وقال الإمام أحمد: حدثنا داود بن مهران الدباغ، حدثنا داود _ يعني: العطار _ عن أبي

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وقال محققوه: صحيح لغيره دون قوله: «ولا ولد زنية»، المسند ٢١/ ٤٩٣ (-٢٨٩٢).

⁽٢) أخرجه البيهقي من طريق يونس بن يزيد عن الزهري به (السنن الكبرى ٨/ ٢٨٧).

⁽T) in the (-1).

⁽٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (الصحيح، المظالم، باب النُهبى بغير إذن صاحبه ح٧٤٧)، وكذا مسلم (الصحيح، الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ح٧٥).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره (المسند ٢٦٦/٤ ح٢٦٩١)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٩٨/١).

خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي على يعول: «من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، إن مات مات كافراً، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قالت: قلت: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار» (۱).

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: لما نزلت ﴿ لَيْسَ عَلَى اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿ وَعَمِلُوا الفَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا ﴾ فقال النبي ﷺ: "قيل لي: أنت منهم» وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه (٢٠).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: قرأت على أبي، حدثنا علي بن عاصم، حدثنا إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله على: «إياكم وهاتان الكعبتان (٣) الموسومتان اللتان تزجران زجراً فإنهما ميسر العجم» (٤).

﴿ وَيَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُۥ اَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْفَيْدِ وَاللَّهُ وَرِمَاحُكُمْ لِيعْلَمَ اللَّهُ مِن عَنَالُهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَمَنُوا لَا نَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَالنَّمْ حُرُمٌ وَمَن قَنَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَجَرَاتُ مِنْكُم مَتَكَامُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَجَرَاتُ مِنْكُم مَن فَنَلَ مِن النَّعَدِ يَحْكُمُ بِدِهِ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ هَدَيًا بَلِغَ الْكَمِّبَةِ أَوْ كَفَنْرَةٌ طَعَامُ مَسَكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ فَاللَهُ عَنَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفً وَمَن عَادَ فَيَسَلَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيدٌ ذُو النِقَامِ ﴿ ﴾.

قال الوالبي، عن ابن عباس قوله: ﴿ لِيَبْلُونَكُمُ اللَّهُ بِثَى مِ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ اَيَّدِيكُمْ وَرِمَا حُكُمْ الله على الضعيف من الصيد وصغيره، يبتلي الله به عباده في إحرامهم، حتى لو شاءوا لتناولوه بأيديهم، فنهاهم الله أن يقربوه (٥٠).

وقال مجاهد: ﴿ تَنَالُهُ الَّذِيكُمُ ﴾ يعني: صغار الصيد وفراخه، ﴿ وَرِمَا هُكُمٌ ﴾ يعني: كباره (٢٠). وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية، فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ﴿ لِيعَلَمُ اللهُ مَن يَخَافُهُ وَالْفَيَبُ ﴾ (٧) يعني: أنه تعالى يبتليهم بالصيد، يغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سراً وجهراً، لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغَشُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَيْبِ لَهُم مَعْفِرَةٌ وَآجَرٌ كَبِيرٌ ﴿ إِنَّ اللهلك].

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤٦٠)، وفي سنده شهر بن حوشب فيه مقال، ولآخره شاهد تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس قبل بضعة أحاديث وذلك في بيان طينة الخبال.

⁽٢) أخرجه مسلم من طريق علي بن مسهر عن الأعمش به (صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رفي حكم حكم عبد الله بن مسعود وأمه رفي حكم الله بن مسعود وأمه رفي المستحدد وأمه المستح

⁽٣) قال السندي: الكعبة ما يُلعب به في النرد، والمراد النهي عن النرد.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعفه محققوه لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري (المسند ٧/ ٢٩٨ ح ٢٦٨٣)، وصحح الدارقطني وقفه (العلل ٥/ ٣١٥).

⁽٥) أُخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالبي به.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل.

وقوله ههنا: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قال السدي وغيره: يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم، ﴿فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ أي: لمخالفته أمر الله وشرعه.

ثم قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقْنُلُوا الْقَيْدَ وَأَتَّمُ حُرُمٌ ﴾ وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهي عن تعاطيه فيه، وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول وما يتولد منه ومن غيره، فأما غير المأكول من حيوانات البر، فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها، والجمهور على تحريم قتلها أيضاً، ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين من طريق الزهري عن عروة، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله على قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»(١).

وقال مالك، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله على قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور» أخرجاه، ورواه أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله. قال أيوب: فقلت لنافع: فالحية؟ قال الحية لا شك فيها. ولا يختلف في قتلها (٢).

ومن العلماء كمالك وأحمد من ألحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد، لأنها أشد ضرراً منه، فالله أعلم.

وقال زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة: الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها، واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله عليه لله الله عليه كلبك بالشام» فأكله السبع بالزرقاء (١٥٤).

قالوا: فإن قتل ما عداهن فداه، كالضبع والثعلب [وهرّ البر]^(ه) ونحو ذلك، قال مالك: وكذا يستثنى من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها، وصغار الملحق بها من السباع العوادي.

وقال الشافعي: يجوز للمحرم قتل كل ما لا يؤكل لحمه، ولا فرق بين صغاره وكباره، وجعل العِلّة الجامعة كونها لا تؤكل.

وقال أبو حنيفة: يقتل المُحرم الكلب العقور والذئب، لأنه كلب بري، فإن قتل غيرهما فداه إلا أن يصول عليه سبع غيرهما فيقتله فلا فداء عليه، وهذا قول الأوزاعي والحسن بن صالح بن حي. وقال زُفر بن الهذيل: يفدي ما سوى ذلك وإن صال عليه.

وقال بعض الناس: المراد بالغراب ههنا الأبقع، وهو الذي في بطنه وظهره بياض دون الأدرع

⁽۱) صحيح البخاري، جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب (ح١٨٢٩)، وصحيح مسلم، الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب (ح١١٩٨).

⁽٢) صحيح البخاري، جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من دواب (ح١٨٢٦)، وصحيح مسلم، الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب... (ح١١٩٩).

⁽٣) الزرقاء مدينة في الأردن تبعد عن عمان مائة كيلاً.

⁽٤) أخرجه الحاكم من طريق نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال كان ابن أبي لهب يسبُ النبي ﷺ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٥٣٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٣٩/٤).

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل صحف إلى: «وهو البرد».

وهو الأسود، والأعصم وهو الأبيض، لما رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى القطان، عن شعبة، عن النبي على قال: «خمس القطان، عن شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، عن النبي على قال: «خمس يقتلهن المحرم: الحية، والفأرة، والحدأة، والغراب الأبقع، والكلب العقور»(١).

والجمهور على أن المراد به أعم من ذلك، لما ثبت في الصحيحين من إطلاق لفظه (٢).

وقال مالك كَثَلَثُهُ: لا يقتل المحرم الغراب إلا إذا صال عليه وآذاه.

وقال مجاهد بن جبر وطائفة: لا يقتله بل يرميه، ويروى مثله عن على.

وقد روى هشيم: حدثنا يزيد بن أبي زياد: عن عبد الرحمن بن أبي [نُعْم] عن أبي سعيد، عن النبي عن أبي سعيد، عن النبي على أنه سئل عما يقتل المحرم؟ فقال: «الحية، والعقرب، والفُويسقة، ويرمي الغراب ولا يقتله، والكلب العقور، والحدأة، والسبع العادي» رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، والترمذي عن أحمد بن منيع، كلاهما عن هشيم وابن ماجه، عن أبي كريب، عن محمد بن فضيل، كلاهما عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن (٤٠).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَنْلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَجَزَآهٌ مِثْلُ مَا قَنْلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن عُلية، عن أيوب قال: نُبئت عن طاوس أنه قال: لا يحكم على من أصاب صيداً خطأ، إنما يحكم على من أصابه متعمداً (٥٠).

وهذا مذهب غريب عن طاوس وهو متمسك بظاهر الآية، وقال مجاهد بن جبر: المراد بالمتعمد هنا القاصد إلى قتل الصيد، الناسي لإحرامه، فأما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه، فذاك أمره أعظم من أن يكفر، وقد بطل إحرامه، ورواه ابن جرير عنه من طريق ابن أبي نجيح (٢)، وليث بن أبي سليم وغيرهما عنه (٧)، وهو قول غريب أيضاً، والذي عليه الجمهور أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه.

وقال الزهري: دلّ الكتاب على العامد، وجرت السنة على الناسي (^)، ومعنى هذا أن القرآن دلّ على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله: ﴿ لِلَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَلَى وَجوب الجزاء في عَادَ فَيَنَفِيتُمُ اللّهُ مِنْهُ ﴾ وجاءت السنة من أحكام النبي عَلَيْ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في

⁽۱) سنن النسائي، مناسك الحج، باب قتل الحيّة ١٨٨/٥، وأخرجه مسلم من طريق شعبة به (الصحيح، الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب (ح١١٩٨).

⁽٢) تقدم قبل حديثين.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) والتخريج، وفي الأصل صُحف إلى: «نعيم».

⁽٤) سنن أبي داود، المناسك، باب ما يقتل المُحرم من الدواب (ح١٨٤٤)، ومسند أحمد ٣/٣، وسنن الترمذي، الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب (ح٨٣٨)، وفي سنده يزيد بن أبي زياد ضعيف (مصباح الزجاجة ٣/٣)، من أجل ذلك ضعفه البوصيري.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام شيخ أيوب وهو السختياني.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح به نحوه. وسنده صحيح.

⁽٧) أخرجه الطبري من طريق ليث به وقد توبع ليث بواسطة ابن أبي نجيح.

⁽٨) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بنحوه (المصنف رقم ٨١٧٨)، وسنده صحيح.

الخطأ، كما دلّ الكتاب عليه في العمد، وأيضاً فإن قتل الصيد إتلاف، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان، لكن المتعمد مأثوم، والمخطئ غير ملوم.

وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَلَلَ مِنَ ٱلتَّعَمِ ﴾ قرأ بعضهم بالإضافة، وقرأ آخرون بعطفها ﴿فَجَزَاءُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ (١) وحكى ابن جرير، أن ابن مسعود قرأها ﴿فَجَزَاءُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ (١) . وفي قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَلَلَ مِنَ ٱلتَّعَمِ ﴾ على كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور، من وجوب الجزاء من مثل ما قتله المحرم، إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي خلافاً لأبي حنيفة كَثَلَهُ، حيث أوجب القيمة سواء كان للصيد المقتول مثلياً أو غير مثلي، قال: وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه، وإن شاء اشترى به هدياً، والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع، فإنهم حكموا في النعامة ببدنة، وفي بقرة الوحش ببقرة، وفي الغزال بعنز، وذكر قضايا الصحابة وأسانيدها مقرر في كتاب الأحكام، وأما إذا لم يكن الصيد مثلياً فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه يحمل إلى مكة، رواه البيهقي.

وقوله تعالى: ﴿يَعَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ ﴾ يعني: أنه يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين.

واختلف العلماء في القاتل: هل يجوز أن يكون أحد الحكمين؟ على قولين:

(أحدهما): لا، لأنه قد يتهم في حكمه على نفسه، وهذا مذهب مالك.

(والثاني): نعم، لعموم الآية، وهو مذهب الشافعي وأحمد، واحتج الأولون بأن الحاكم لا يكون محكوماً عليه في صورة واحدة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا جعفر هو ابن برقان، عن ميمون بن مهران أن أعرابياً أتى أبا بكر، فقال: قتلت صيداً وأنا محرم، فما ترى علي من الجزاء؟ فقال أبو بكر فلا لأبي بن كعب وهو جالس عنده: ما ترى فيما قال؟ فقال الأعرابي: أتيتك وأنت خليفة رسول الله والمالك، فإذا أنت تسأل غيرك؟ فقال أبو بكر: وما تنكر؟ يقول الله تعالى: ﴿فَجَرَآهٌ مِثْلُ مَا فَلَلَ مِنَ النَّمِ يَعَمُّمُ بِهِ ذَوَا عَدْلِ ميمون وبين الصديق، ومثله يحتمل ههنا، فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابياً ميمون وبين الصديق، ومثله يحتمل ههنا، فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابياً جاهلاً، وإنما دواء الجهل التعليم، فأما إذا كان المعترض منسوباً إلى العلم، فقد قال ابن جرير: عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: خرجنا حجاجاً، فكنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا، فنتماشي عمير، عن قبيضا نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح (٤)، فرماه رجل كان معنا بحجر فما نتحدث. قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح (٤)، فرماه رجل كان معنا بحجر فما نتحدث. قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح (٤)، فرماه رجل كان معنا بحجر فما نتحدث. قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح (٤)، فرماه رجل كان معنا بحجر فما

⁽١) كلتاهما قراءتان متواترتان.

⁽٢) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وحكم عليه الحافظ ابن كثير بجودة سنده على الرغم ما فيه من الانقطاع.

⁽٤) سنح الظبي إذا أتاك عن يسارك، وبرح إذا أتاك عن يمينك

أخطأ خُشّاءَهُ(١)، فركب رَدْعَه ميتاً (٢). قال: فَعَظّمنا عليه، فلما قدمنا مكة، خرجت معه حتى أتينا عمر بن الخطاب على، فقصَ عليه القصة فقال: وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة، يعني عبد الرحمن بن عوف، فالتفت عمر إلى صاحبه فكلمه، قال: ثم أقبل على الرجل فقال: أعمداً قتلته أم خطأ؟ فقال الرجل: لقد تعمدت رميه وما أردت قتله، فقال عمر: ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ، اعمد إلى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها، واسق إهابها(٣)، قال: فقمنا من عنده، فقلت لصاحبي: أيها الرجل، [عظم](٤) شعائر الله، فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه، اعمد إلى ناقتك فانحرها. فلعل ذلك يعني أن يجزئ عنك، قال قبيصة: ولا أذكر الآية من سورة المائدة ﴿يَعَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلِ مِنكُمُ فَبلغ عمر مقالتي، فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدرّة، قال: فعلا صاحبي ضرباً بالدرة، أقتلت في الحرم وسفهت في الحكم؟ قال: ثم أقبل علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا أحل لك اليوم شيئاً يَحرُم عليك مني، فقال: يا قَبيصة بن علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا أحل لك اليوم شيئاً يَحرُم عليك مني، فقال: يا قَبيصة بن جابر، إني أراك شاب السن، فسيح الصدر، بين اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة، فإياك وعثرات الشباب (٥).

وروى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بنحوه. ورواها أيضاً عن حصين، عن الشعبي، عن قبيصة بنحوه. وذكرها مرسلة عن عمر بن بكر بن عبد الله المزني ومحمد بن سيرين بنحوه (٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، أخبرني ابن جرير البجلي، قال: أصبت ظبياً وأنا محرم، فذكرت ذلك لعمر، فقال: ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك، فأتيت عبد الرحمن وسعداً فحكما على بتيس أعفر (١٥)(١٠).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا ابن عيينة، عن مخارق، عن طارق، قال: أوطأ أربد^(٩) ظبياً فقتله وهو محرم، فأتى عمر ليحكم عليه، فقال له عمر: احكم معي، فحكما فيه جدياً قد جمع الماء والشجر، ثم قال عمر: ﴿يَعَكُمُ بِهِـ ذَوَا عَدْلِ مِّنكُمْ﴾(١٠).

وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين، كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله.

⁽١) وهو العظم الناتئ خلف الأذن.

٢) أي خرّ على وجهه ميتاً.

⁽٣) أي اعط اهابها من يدبغه ويتخذ من جلده سقاء.

⁽٤) كذا في (حم) و(مح) وسقط من الأصل.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق معمر عن عبد الملك بن عمير به مختصراً وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣/٣)، وهو كما قالا وله طرق أخرى تتلوه.

⁽٦) أخرجه الإمام مالك (الموطأ ١/٤١٤)، وعبد الرزاق (المصنف رقم ٨٢٤١)، من طريق ابن سيرين.

⁽٧) أي: أبيض قاله الطبري بعد الرواية نفسها.

⁽٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه ابن سعد من طريق منصور به (الطبقات الكبرى ٦/ ١٥٥).

⁽٩) كذا في تفسير الطبري وفي الأصل: و(مع) صُحفت إلى: «زيد». وأربد هو ابن عبد الله البجلي أدرك الجاهلة ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة القسم الثالث وصحح سنده.

⁽١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه ابن وكيع وهو سفيان فيه مقال وقد تابعه الشافعي فرواه عن ابن عيينة به (المسند ١/ ٣٣٢ ح-٨٦٠) وسنده صحيح.

واختلفوا: هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيبه المحرم، فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل، وإن كان قد حكم في مثله الصحابة أو يكتفى بأحكام الصحابة المتقدمة؟ على قولين:

فقال الشافعي وأحمد: يتبع في ذلك ما حكمت به الصحابة، وجعلاه شرعاً مقرراً لا يعدل عنه، وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين.

وقال مالك وأبو حنيفة: بل يجب الحكم في كل فرد فرد سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا، لقوله تعالى: ﴿يَعَكُمُ بِهِـ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هَدَيًا بَلِغَ ٱلكَمْبَةِ ﴾ أي: واصلاً إلى الكعبة، والمراد وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك ويفرق لحمه على مساكين الحرم، وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة.

وقوله: ﴿أَوَ كَفَنَرَةٌ طَعَامُ مَسَكِكِينَ أَوَّ عَدَّلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ أي: إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال، أو قلنا بالتخيير في هذا المقام بين الجزاء والإطعام والصيام، كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وأحد قولي الشافعي، والمشهور عن أحمد، رحمهم الله، لظاهر «أو» بأنها للتخيير.

والقول الآخر: أنها على الترتيب، فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة، فيقوم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماد وإبراهيم.

وقال الشافعي: يقوم مثله من النعم لو كان موجوداً، ثم يُشترىٰ به طعام فيتصدق به فيصرف لكل مسكين مد منه، عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز، واختاره ابن جرير.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يطعم كل مسكين مدين، وهو قول مجاهد. وقال أحمد: مد من حنطة أو مدان من غيره، فإن لم يجد أو قلنا بالتخيير، صام عن إطعام كل مسكين يوماً.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: يصوم مكان كل صاع يوماً كما في جزاء المترفه بالحلق ونحوه، فإن الشارع أمر كعب بن عجرة أن يقسم فرقاً بين ستة، أو يصوم ثلاثة أيام، والفرق ثلاثة آصع، واختلفوا في مكان هذا الإطعام، فقال الشافعي: مكانه الحرم، وهو قول عطاء. وقال مالك يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الأماكن إليه. وقال أبو حنيفة: إن شاء أطعم في غيره.

ذكر أقوال السلف في هذا المقام:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، حدثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في قوله الله تعالى: ﴿ فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَلْلَ مِنَ النَّعَمِ يَعَكُمُ بِهِ دَوَا عَدْلُ مِن مُلْكِمْ مَلَكُمْ مِلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ مَلْكِمْ وَعَلَمُ الله المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم، فإن لم يجد، نظر كم ثمنه، ثم قوم ثمنه طعاماً، قال الله تعالى: ﴿ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَلْكِمِنَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيامًا ﴾، قال: إنما أريد بالطعام والصيام، أنه إذا وجد الطعام وجد جزاؤه (١). ورواه ابن جرير من طريق جرير.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده بنحوه، وسنده حسن. وأخرجه الطبري من طريق جرير به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ هَدَيًّا بَلِغَ ٱلْكَمّبَةِ أَوْ كَفَّرَةً طَعَامُ مَسَكِينَ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ مِيامًا ﴾، فإذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه، فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، فإن قتل أيلاً أو نحوه، فعليه بقرة، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً، فإن لم يجد صام عشرين يوماً، وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه، فعليه بدنة من الإبل، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً» رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (١٠)، وزاد: الطعام مدّ مدّ يشبعهم.

وقال جابر [الجعفي] (٢) ، عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد ﴿أَوَّ عَدَّلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ قالوا: إنما الطعام لمن لا يبلغ الهدي رواه ابن جرير وكذا روى ابن جريج عن مجاهد وأسباط عن السدي أنها على الترتيب.

وقال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية الضحاك وإبراهيم النخعي: هي على الخيار^(٣)، وهي رواية الليث عن مجاهد، عن ابن عباس، واختار ذلك ابن جرير كَثَلَثُهُ.

وقوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِفِهِ أَي: أوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة ﴿عَفَا اللهُ عَنَا سَلَفَ ﴾ أي: في زمان الجاهلية لمن أحسن في الإسلام واتبع شرع الله، ولم يرتكب المعصية، ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنَلَقِمُ اللهُ مِنَةً ﴾ أي: ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه ﴿فَيَنَلَقِمُ اللهُ مِنَةً وَاللّهُ عَنِيزٌ ذُو انْنِقَامٍ ﴾.

قال ابن جريج: قلت لعطاء: «ما ﴿عَفَا اللّهُ عَلَا سَلَفَ ﴾؟ قال: عما كان في الجاهلية. قال: قلت: وما ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْفَعُمُ اللّهُ مِنَةً ﴾؟ قال: ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة. قال: قلت: فهل في العود من حد تعلمه؟ قال: لا، قال قلت: فترى حقاً على الإمام أن يعاقبه؟ قال: لا، هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ﷺ ولكن يفتدي "(٤) رواه ابن جرير.

وقيل: معناه فينتقم الله منه بالكفارة، قاله سعيد بن [جبير] (٥) وعطاء (٦)، ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء، ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة، وإن تكرر ما تكرر سواء الخطأ في ذلك والعمد.

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي، جميعاً عن

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به مقطعاً.

⁽٢) كذا في (مح) وتفسير الطبري وفي الأصل صُحف إلى: «الجعدي».

⁽٣) أخرجه الطبري بأسانيد متعددة عن عطاء بن أبي رباح يقوي بعضها بعضاً.

⁽٤) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً مقطعاً عن عطاء بن أبي رباح.

⁽٥) كذا في (مح) والتخريج، وفي الأصل صُحف إلى: «حبيب».

⁽٦) أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

هشام _ هو ابن حسان _، عن عكرمة، عن ابن عباس، فيمن أصاب صيداً يحكم عليه ثم عاد قال: لا يحكم عليه، ينتقم الله منه (١٠).

وهكذا قال شريح ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي (٢)، رواهن ابن جرير، ثم اختار القول الأول.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن يزيد العبدي، حدثنا المعتمر بن سليمان عن زيد بن أبي المعلى، عن الحسن البصري أن رجلاً أصاب صيداً فتجوز عنه، ثم عاد فأصاب صيداً آخر، فنزلت نار من السماء فأحرقته، فهو قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْفَعُمُ اللَّهُ مِنْفُ﴾ (٣).

وقال ابن جرير في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَنِينٌ ذُو اَننِقَامٍ ﴾: يقول عز ذكره: والله منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة والمنعة. وقوله: ﴿ذُو آننِقَامِ ﴾ يعني: أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته إياه. ولله الحمد والمِنّة.

﴿ أَحِلَ لَكُمْ صَنِيدُ الْبَحْرِ وَلَمَعَامُمُ مَتَنَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةً وَحُوْمٍ عَلَيَكُمْ صَنِيدُ الْبَرِ مَا دُمْتُمَ حُرُمًا وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهَ الْبَيْتَ الْحَكَرَامَ فِينَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَاللَّهُ الْكَتْبَةَ الْبَيْتَ الْحَكَرَامَ فِينَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا فِي السَّمَعُوتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَ اللَّهَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا تُبَدُّونَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاثُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا تَكْتُنُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا تَكْتُنُونَ اللَّهُ الْبَلَاثُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا يَكُتُنُونَ اللَّهُ الْمَلِكُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا تُبَدُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

قال ابن أبي طلحة: عن ابن عباس في رواية عنه، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير وغيرهم، في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ يعني: ما يصطاد منه طرياً ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يتزود منه مليحاً يابساً (٤٠).

وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه: صيده ما أخذ منه حياً ﴿ وَمَلْمَامُهُ مَا لَفَظُهُ مِيتاً ، وَهَكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي والحسن البصري (٢).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرج الطبري هذه الآثار بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق عن ابن عيينة به (المصنف ٤/٥٠٥ رقم ٨٦٦١) وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن عيينة به، وسنده ضعيف؛ لأن عكرمة لم يسمع من أبي بكر ﷺ، ويشهد له سابقه.

⁽٥) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي وليس من طريق ابن أبي طلحة، وأخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق عثمان بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس، وعثمان ضعيف. ويتقوى بقول سعيد بن جبير وابن المسيب، أما قول ابن جبير فأخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عنه، وأما قول ابن المسيب فقد أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بإسنادين يقوي أحدهما الآخر.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي مجلز عن ابن عباس بنحوه.

قال سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن أبي بكر الصديق أنه قال: ﴿طَعَامُهُ ﴾ كل ما فيه (١)، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك قال: حُدثت عن ابن عباس قال: خَطب أبو بكر الناس، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَنَّيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾ وطعامه ما قذف (٢).

قال: وحدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، عن ابن عباس في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ صَيِّدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُمُ﴾ قال: ﴿وَطَعَامُمُ﴾ ما قذف(٣).

وقال عكرمة، عن ابن عباس، قال: طعامه ما لفظ من ميتة (٤)، ورواه ابن جرير أيضاً. وقال سعيد بن المسيب: طعامه ما لفظه حياً أو حسر عنه فمات، رواه (٥) ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب، عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر، فقال: إن البحر قد قذف حيتاناً كثيرة ميتة، أفنأكلها؟ فقال: لا تأكلوها، فلما رجع عبد الله إلى أهله، أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية ﴿وَطَعَامُهُ مَتَنَّا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ فقال: اذهب فقل له: فليأكله فإنه طعامه (٢).

وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه. وقد روي في ذلك خبر، وإن بعضهم يرويه موقوفاً، حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أُعِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾ قال: «طعامه ما لفظه ميتاً».

ثم قال: وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة. حدثنا هناد، حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ قال: طعامه ما لفظه ميتاً (٧).

وقوله: ﴿مَتَنَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ ﴾ أي: منفعة وقوتاً لكم أيها المخاطبون ﴿وَلِلسَّيَارَةِ ﴾ وهم جمع سيار، قال عكرمة: لمن كان بحضرة البحر والسفر (^).

⁽۱) هذه الأقوال ذكرها ابن أبي حاتم بحذف السند، وأخرج بعضها الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً، وأخرج البخاري عن عمر نحوه تعليقاً ووصله الحافظ ابن حجر من قول ابن عباس وأبي هريرة وعكرمة. (تغليق التعليق ٤/٥٠٥ ـ ٥٠٧).

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه إبهام شيخ سماك وقد توبع كما يلي:

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق سماك عن عكرمة به، وسنده حسن بما تقدم.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبد الرحمن بن حرملة عن ابن المسيب.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الإمام مالك عن نافع به (الموطأ، الصيد، باب ما جاء في صيد البحر ح٤٩٤)، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي هريرة لم أجد من وثقه سوى ابن حبان في الثقات.

 ⁽٧) أخرجه الطبري بسنديه موقوفاً ومرفوعاً، وفي سنديهما محمد بن عمرو وهو ابن علقمة الليثي صدوق له
 أوهام فتاره يرفعه وتارة يوقفه، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريقه موقوفاً، وهو أصح وسنده حسن.

⁽٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي إسحاق الكوفي عن عركمة، وأبو إسحاق هو عبد الله بن ميسرة: ضعيف كما في التقريب.

وقال غيره: الطري منه لمن يصطاده من حاضرة البحر، وطعامه ما مات فيه أو اصطيد منه وملح وقدد، زاداً للمسافرين والنائين عن البحر.

وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم (١).

وقد استدل الجمهور على حلّ ميتته بهذه الآية الكريمة، وبما رواه الإمام مالك بن أنس عن ابن وهب وابن كيسان، عن جابر بن عبد الله قال: بعث رسول الله على بعثاً قبل الساحل، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة وأنا فيهم، قال فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش، فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر، قال: فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، فقال: فقد وجدنا فقدها حين فنيت، قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب(٢)، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت ومرت تحتهما، فلم تصبهما، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر ٣).

وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر، فإذا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا بدابة يقال لها: العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله على وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن، ويقتطع منه الفِدر (٥) كالثور، قال: ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينيه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا، فمر من تحته، وتزودنا من لحمه وشائق (٢)، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله على فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله على منه، فأكله (٧).

وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي على حين وجدوا هذه السمكة، فقال بعضهم: هي واقعة أخرى، وقال بعضهم: بل هي قضية واحدة، ولكن كانوا أولاً مع النبي على، ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة، والله أعلم. وقال مالك عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأزرق: أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار، أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: سأل رجل رسول الله على، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضاً بماء البحر؟ فقال

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٢) الظرب: أي كالجبل الصغير (ينظر النهاية ٣/١٥٦).

⁽٣) الموطأ، صفة النبي ﷺ ٢٤/٧٠٩ ح٢٤ وصحيح البخاري، الشركة، باب الشركة في الطعام (ح٢٤٨٣)، وصحيح مسلم، الصيد، باب إباحة ميتات البحر (ح١٩٣٥).

⁽٤) الوقب أي النقرة.

⁽٥) الفِدْر: جمع فدرة: وهي القطعة من اللحم.

⁽٦) الوشائق: جمع وشيقه وهي اللحم يقدد ويحمل في الأسفار.

٧) صحيح مسلم، الصيد، باب إباحة ميتات البحر (-١٧/١٩٣٥).

رسول الله على: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (١)، وقد روى هذا الحديث الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربع، وصححه البخاري والترمذي وابن حبان وغيرهم، وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي على بنحوه.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة، حدثنا أبو المُهزِّم _ هو يزيد بن سفيان _ سمعت أبا هريرة يقول: كنا مع رسول الله على في حج أو عمرة، فاستقبلنا جراد، فجعلنا نضربهن بعصينا وسياطنا، فنقتلهن، فسقط في أيدينا، فقلنا: ما نصنع ونحن محرمون؟ فسألنا رسول الله على فقال: «لا بأس بصيد البحر»(٢) أبو المهزم ضعيف، والله أعلم.

وقال ابن ماجه: حدثنا هارون بن عبد الله الحمال، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جابر وأنس بن مالك أن النبي على أذا دعا على الجراد قال: «اللهم أهلك كباره، واقتل صغاره، وأفسد بيضه، واقطع دابره، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء»، فقال خالد: يا رسول الله، كيف تدعو على [جند] من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال: «إن الجراد نثرة الحوت: في البحر» قال هاشم: قال زياد: فحدثني من رأى الحوت ينثره (٤)، تفرد به ابن ماجه.

وقد روى الشافعي عن سعيد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أنه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم^(ه).

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئاً، قد تقدم عن الصديق أنه قال: طعامه كل ما فيه.

وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها، لما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب، عن سعيد بن خالد، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله على نهى عن قتل الضفدع (٢)، وللنسائي عن عبد الله بن عمرو قال: نهى رسول الله على عن قتل الضفدع، وقال: نقيقها تسبيح (٧).

⁽١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٣.

⁽٢) المسند ٣٠٦/٢ وسنن أبي داود، المناسك، باب في الجراد للمحرم (ح١٨٥٤) وضعفه، وسنن الترمذي، الحج، باب ما جاء في صيد البحر للمحرم (ح٠٥٥) وقال: غريب. وسنن ابن ماجه، الصيد، باب صيد الحيتان والجراد (ح٣٢٢) وسنده ضعيف جداً لأن أبا المُهزَّم يزيد بن سفيان: متروك (التقريب ص٦٧٦).

⁽٣) كذا في (مح) والتخريج، وفي الأصل: «أجناد».

⁽٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٣٢٢)، وسنده ضعيف لضعف موسى بن محمد بن إبراهيم (مصباح الزجاجة ٣/ ٦٤).

⁽٥) لم أعرف من هو سعيد شيخ الشافعي.

⁽٦) المسند ٣/ ٤٥٣، وسنن أبي داود، الطب، باب في الأدوية المكروهة (ح٣٨٧)، وسنن النسائي، الصيد والذبائح باب الضفدع ٧/ ٢١٠، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٤١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٢٧٩).

⁽٧) هذا الحديث شطره الأول صحيح كسابقه، الشطر الثاني ضعيف. أخرجه الطبراني بسند ضعيف عن =

وقال آخرون: يؤكل من صيد البحر السمك، ولا يؤكل الضفدع. واختلفوا فيما سواهما، فقيل: يؤكل سائر ذلك. وقيل: لا يؤكل. وقيل: ما أكل شبهه من البر، أكل مثله في البحر. وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل، وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يؤكل ما مات في البحر، كما لا يؤكل ما مات في البر، لعموم قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتُ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْنَةُ ﴾ [المائدة: ٣] وقد ورد حديث بنحو ذلك:

فقال ابن مردویه: حدثنا عبد الباقی _ هو ابن قانع _، حدثنا الحسین بن إسحاق التستری وعبد الله بن موسی بن أبی عثمان، قالا: حدثنا الحسین بن یزید الطحان، حدثنا حفص بن غیاث، عن ابن أبی ذئب، عن أبی الزبیر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما صدتموه وهو حی فمات فکلوه، وما ألقی البحر میتاً طافیاً فلا تأکلوه»(۱)، ثم رواه من طریق إسماعیل بن أمیة ویحیی بن أبی أنیسة عن أبی الزبیر عن جابر به، وهو منکر.

وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره، وبحديث «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»(٢)، وقد تقدم أيضاً.

وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله على: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال» ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شواهد، وروي موقوفاً (٣)، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَحُرِمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِ مَا دُمْتُدَ حُرُماً ﴾ أي: في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد، ففيه دلالة على تحريم ذلك فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمداً، أثم وغرم، أو مخطئاً، غرم وحرم عليه أكله، لأنه في حقه كالميتة، وكذا في حق غيره من المحرمين والمحلين، عند مالك والشافعي في أحد قوليه، وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم، فإن أكله أو شيئاً منه فهل يلزمه جزاء ثان؟ فيه قولان للعلماء.

(أحدهما): نعم، قال عبد الرزاق عن ابن جريج، عن عطاء قال: إن ذبحه ثم أكله فكفارتان (٤٠)، وإليه ذهب طائفة.

(والثاني): لا جزاء عليه في أكله، نص عليه مالك بن أنس.

قال أبو عمر بن عبد البر: وعلى هذا مذاهب فقهاء الأمصار وجمهور العلماء، ثم وجهه أبو عمر بما لو وطئ، ثم وطئ قبل أن يُحَدّ، فإنما عليه حد واحد^(ه).

⁼ عبد الله بن عمرو (المعجم الصغير ١/ ١٨٩) وفي سنده: المسيب بن واضح صدوق يخطئ كثيراً (ميزان الاعتدال ٢٤١/٤)، وذكر ابن عدي هذا الحديث من الأحاديث التي أنكرت على المسيب (الكامل ٦/ ٢٣٨٤).

⁽١) ضعفه الحافظ ابن كثير بقوله: «وهو منكر».

⁽٢) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية.

⁽٣) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية (٣) من هذه السورة.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف رقم ٨٣٦٢) وسنده صحيح.

⁽٥) الاستذكار ٣١٢/١١.

وقال أبو حنيفة: عليه قيمة ما أكل. وقال أبو ثور: إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد، إلا أنني أكرهه للذي قتله للخبر عن رسول الله على «صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم»(١) وهذا الحديث سيأتي بيانه، وقوله بإباحته للقاتل غريب. وأما لغيره ففيه خلاف قد ذكرنا المنع عمن تقدم، وقال آخرون بإباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون لهذا الحديث، والله أعلم.

وأما إذا صاد حلال صيداً، فأهداه إلى محرم، فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقاً، ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده من أجله أم لا، حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر، عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الأحبار ومجاهد وعطاء في رواية، وسعيد بن جبير، وبه قال الكوفيون.

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد، عن قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال، أيأكله المحرم؟ قال: فأفتاهم بأكله، ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره، فقال: لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك(٢).

وقال آخرون: لا يجوز أكل الصيد للمحرم بالكلية، ومنعوا من ذلك مطلقاً لعموم هذه الآية الكريمة.

وقال عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، وعبد الكريم عن ابن أبي أُمية عن طاوس، عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للمحرم، وقال: هي مبهمة (٣). يعني قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمُ مَسَيْدُ ٱلْبَرِ مَا دُمَّتُم حُرُمًا ﴾ قال: وأخبرني معمر عن الزهري، عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال. قال معمر: وأخبرني أيوب عن نافع، عن ابن عمر مثله (٤).

قال ابن عبد البر: وبه قال طاوس وجابر بن زيد، وإليه ذهب الثوري وإسحاق بن راهوبه في رواية، وقد روي نحوه عن علي بن أبي طالب، رواه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب أن علياً كره أكل لحم الصيد للمحرم على كل حال (٥).

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٣/٣٦٢)، وأبو داود (السنن، الحج باب لحم الصيد) والترمذي (السنن، الحج، باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم ح٨٤٦)، وغيرهم كلهم من طريق المطلب بن حنطب عن جابر وهو لم يسمع منه (المراسيل لابن أبي حاتم ص٢١٠)، وسنده ضعيف.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه من طريق هشام بن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به (المصنف رقم ٨٣٢٩).

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق من الطريقين عن ابن عمر (المصنف رقم ٨٣١٤ و٨٣١٥) وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري من طريق بشر بن المفضل عن سعيد بن أبي عروبة به، وسنده صحيح إن سمع سعيد من على ظهر.

وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية والجمهور: إن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يجز للمحرم أكله لحديث الصعب بن جثامة أنه أهدى للنبي على حماراً وحشياً وهو بالأبواء (۱) أو بودّان (۲)، فردّه عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم» (۳) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين، وله ألفاظ كثيرة، قالوا: فوجهه أن النبي على ظن أن هذا إنما صاده من أجله، فرده لذلك، فأما إذا لم يقصده بالاصطياد فإنه يجوز له الأكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش، وكان حلالاً لم يحرم، وكان أصحابه محرمين، فتوقفوا في أكله ثم سألوا رسول الله في فقال: «هل كان منكم أحد أشار إليها أو أعان في قتلها؟» قالوا: لا. قال: «فكلوا» وأكل منها رسول الله الشيرة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد، قالا: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله يلا وقال قتيبة في حديثه: سمعت رسول الله يلا يقول: «صيد البر لكم حلال» قال سعيد: «وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم»، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي، جميعاً عن قتيبة. وقال الترمذي: لا نعرف للمطلب سماعاً من جابر (٥)، ورواه الإمام محمد بن إدريس الشافعي الله من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن مولاه المطلب، عن جابر، ثم قال: وهذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقيس. وقال مالك الملك عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيت عثمان بن عفان بالعرج (٦) وهو محرم في يوم صائف قد غطى وجهه بقطيفة أرجوان (١٠)، ثم أتى بلحم عيد، فقال لأصحابه: كلوا، فقالوا: أو لا تأكل أنت؟ فقال: إني لست كهيئتكم إنما صيد من أجلي (١)(١٠).

(١) الأبواء: جبل في منطقة الفرع (ينظر فتح الباري ٣٣/٤) والفرع تقع جنوب المدينة.

⁽٢) ودّان: موضع بقرب الجحفة، وهي أقرب إلى الجحفة من الأبواء فإن من الأبواء إلى الجحفة للآتي من المدينة ثلاثة وعشرين ميلاً (ينظر المصدر السابق) والميل يعادل ١٨٤٨م.

⁽٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس (الصحيح، جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً... ح١٨٢٥)، وأخرجه مسلم أيضاً (الصحيح، الحج، باب تحريم الصيد للمحرم ح١١٩٣).

³⁾ صحيح البخاري، جزاء الصيد، باب إذا صاد الحلال فأهدي للمحرم. . . (ح١٨٢١) وصحيح مسلم، الحج، باب تحريم الصيد للمحرم ١١٩٦.

⁽٥) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

⁽٦) العَرج: منزل بطريق مكة (حاشية الموطأ).

⁽٧) أي صوف أحمر (حاشية الموطأ).

⁽٨) أخرجه مالك بسنده ومتنه (الموطأ، الحج، باب ما لا يحل للمحرم من الصيد (ح٨٤). وسنده صحيح.

⁽٩) لم يشرح الحافظ ابن كثير الآيات الثلاث رقم ٩٧ ـ ٩٩ في النسخ الثلاث وكذا النسخة الأزهرية ودار الكتب حسب ما نبه محققو طبعة الشعب. وقد قاموا بالاستدراك نقلاً من تفسير الطبري، وهو نقل مفيد لكن لو وضعوه في الحاشية لكان أفضل. لأن بعض الطبعات ظن أصحابها أنه سقط، وقد ورد فيها هذه الزيادة منقولة من طبعة الشعب.

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلَ ۚ يَا محمد ﴿لَا يَسَتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ﴾ أي: يا أيها الإنسان ﴿كَثَرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ يعني: أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار، كما جاء في الحديث «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى»(١).

وقال أبو القاسم البغوي في معجمه: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا الحوطي، حدثنا محمد بن شعيب، حدثنا معان بن رفاعة، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال النبي على الله والله الله الله الكره، خير من كثير لا تطيقه (٢).

﴿ فَاتَقَوُا اللَّهَ يَكَأُولِ ٱلْأَلْبَكِ ﴾ أي: يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة، وتجنبوا الحرام ودعوه واقنعوا بالحلال واكتفوا به، ﴿ لَعَلَكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْتَكُوا عَنَ آشَيَآءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسُوَّكُمُ ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها، لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها، كما جاء في الحديث أن رسول الله على قال: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (٣٠).

وقال البخاري: حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن موسى بن أنس، عن أنس بن مالك قال: خطب رسول الله على خطبة ما سمعت مثلها قط، وقال فيها: «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً». قال: فغطى أصحاب رسول الله على وجوههم لهم حنين، فقال رجل: من أبي؟ قال: «فلان» فنزلت هذه الآية ﴿لا تَسْتُلُوا عَنْ أَشْيَاتَهُ (٤) رواه النضر وروح بن عبادة عن شعبة، وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع، ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به (٥).

⁽۱) أخرجه أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري (المسند ٣١٩/٢ ح٣١٩)، وصححه المحقق. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن الربيع وهو ثقة (المجمع ٢٥٥/١٠).

 ⁽۲) أخرجه البغوي بسنده ومتنه (معجم الصحابة ١٩/١ ح٢٦٧) وسنده ضعيف جداً لأن علي بن يزيد وهو الألهاني: متروك (مجمع الزوائد ٧/٣٤).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود رضي ، وقال محققوه: إسناد ضعيف بهذه السياقة ولبعضه شواهد (المسند ٢/٢٦ ح ٣٧٥).

⁽٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَا تَشَعُلُوا عَنْ أَشْيَاتَهَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسُؤُكُمُۗ﴾ [المائدة: ١٠١] ح٤٦١].

⁽٥) صحيح مسلم، الفضائل، باب توقيره ﷺ... (ح٢٣٥٩)، ومسند أحمد ٢٠٦/٣، وسنن الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٥٦)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير باب قوله تعالى: ﴿لَا تَسَكُوا عَنْ الشَّيلَةَ ...﴾ (ح١١١٥٤).

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿يَكَأَيُّمُا اللَّيهُ، قال: فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله على سألوه حتى أحفوه بالمسألة، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم» فأشفق أصحاب رسول الله على أن يكون بين يدي أمر قد حضر، فجعلت لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت كلاً لافاً رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان يلاحي فيدعي إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله، من أبي؟ قال: «أبوك حذافة». قال: ثم قام عمر _ أو قال: فأنشأ عمر _ فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً عائذاً بالله _ أو قال: أعوذ بالله من شر الفتن _ قال: وقال رسول الله على الخير والشر كاليوم قط، صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط» (١) ، أخرجاه من طريق سعيد (١) .

ورواه معمر عن الزهري، عن أنس بنحو ذلك، أو قريباً منه. قال الزهري: فقالت أم عبد الله بن حذافة: ما رأيت ولداً أعق منك قط، أكنت تأمن أن تكون أُمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية، فتفضحها على رؤوس الناس؟ فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته (٣).

وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من السلف، منهم أسباط عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْعَلُوا عَنَ اَشْيَاءَ إِن تُبَدّ لَكُمْ تَسُؤُكُم ﴾ قال: غضب رسول الله عليه يوماً من الأيام، فقام خطيباً فقال: «سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به» فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة، وكان يطعن فيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: أبوك فلان، فدعاه لأبيه، فقام إليه عمر بن الخطاب، فقبل رجله وقال: يا رسول الله عنك، رسول الله، رضينا بالله رباً، وبك نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، فاعف عنا عفا الله عنك، فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر» (٥٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) صحيح البخاري، الفتن، باب التعوذ من الفتن (ح٧٠٩٠)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب توقيره ﷺ (ح٩٩٥). (ح٩٩٣/٢٣٥).

⁽٣) صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال (ح٧٢٩٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وجود سنده الحافظ ابن كثير، ولعله بالشواهد المتقدمة في الصحيحين، وفي سنده عبد العزيز وهو ابن أبان الأموي: متروك وكذبه ابن معين (التقريب ص٣٥٦).

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط به ولكنه مرسل ويشهد له ما تقدم في الصحيحين والحديث التالى.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن إبراهيم بن مسلم الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله كتب عليكم الحج» فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال: " من السائل؟» فقال: فلان، فقال: "والذي نفسي بيده، لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه، ولو تركتموه لكفرتم»، فأنزل الله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَسْعَلُوا عَنْ أَشَياءً إِن بُبّد لكُمْ تَسُونُم حتى ختم الآية "، ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة وقال: فقام محصن الأسدي، وفي رواية من هذه الطريق عكاشة بن محصن، وهو أشبه (٤)، وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن يحيى [بن أبان المصري، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر، حدثنا ابن مطيع معاوية بن يحيى]^(٥)، عن صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قام رسول الله على في الناس، فقال: «كتب عليكم الحج» فقام رجل من الأعراب فقال: أفي كل عام؟ قال: فغلق كلام رسول الله على، وأسكت، وأغضب واستغضب، ومكث طويلاً، ثم تكلم فقال: «من السائل؟» فقال الأعرابي: أنا ذا، فقال: «ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت لكفرتم، ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج، والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض وحرمت عليكم منها موضع خف، لوقعتم فيه» قال: فأنزل الله عند ذلك ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ عَامَنُوا كَنَ أَشَيَاتُها عَنْ أَشَيَاتَه إِن تُبَدّ

⁽١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاتَهُ . . . ﴾ ح٢٦٢).

⁽٢) تقدم تخريجه في سورة آل عمران آية ٩٧.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعف سنده أحمد شاكر لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري، ولكنه توبع كما سيأتي في الروايات اللاحقة.

⁽٤) وفي هذه الطريق متابعة لإبراهيم الهجري بواسطة الحسين بن واقد.

⁽٥) ما بين معقوفين سقط من الأصل، واستدرك من (مح) وتفسير الطبري.

لَكُمْ تَسُوَّكُمْ ﴾ إلى آخر الآية (١)، في إسناده ضعف.

وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فالأولى الإعراض عنها وتركها، وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا حجاج قال: سمعت إسرائيل بن يونس، عن الوليد بن أبي هاشم مولى الهمداني، عن زيد بن زائد، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله على لأصحابه: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» الحديث، وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل، قال أبو داود عن الوليد، وقال الترمذي عن إسرائيل، عن السدي، عن الوليد بن أبي هاشم به، ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه (٢).

وقُوله تعالى: ﴿ وَإِن نَسَّنَكُوا عَنْهَا حِينَ يُـنَزَّلُ ٱلْقُرَّءَانُ تُبَدَّ لَكُمُّ ﴾ أي: وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على رسول الله ﷺ تبين لكم ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]، ثم قال: ﴿ عَفَا اللّهُ عَنْهَا ﴾ أي: عما كان منكم قبل ذلك ﴿ وَاللّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ .

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِن تَسْتُلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزُّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبُدُ لَكُمُ ۗ أَي: لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق، وقد ورد في الحديث «أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته " ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها، تُبين لكم حينئذ لاحتياجكم إليها، ﴿عَفَا اللهُ عَنْما ﴾ أي: ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها، وفي الصحيح عن رسول الله على أنها أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم " وفي الحديث الصحيح أيضاً «أن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها " (٥).

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ سَأَلُهَا قَوْمٌ مِن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصَّبَحُوا بِهَا كَفِرِينَ ﴿ أَي: قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها، ثم لم يؤمنوا بها، ﴿فأصبحوا بها كافرين﴾ أي بسببها؛ أي: بيّنت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء والعناد.

وقال العوفي، عن ابن عباس في الآية: أن رسول الله ﷺ أذن في الناس فقال: «يا قوم كتب عليكم الحج» فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فأغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فقال: «والذي نفسي بيده، لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، وإذاً

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وما أشار إليه الحافظ ابن كثير في إسناده ضعف فقد رواه الطبراني من طريق آخر عن روح بن الفرج عن أبي زيد عبد الرحمن به (المعجم الكبير ١٨٦/٨ ح١٧٦٧)، قال الهيثمي: وإسناده حسن جيد (مجمع الزوائد ٢٠٧/٤).

⁽٢) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية.

⁽٣) صحيح البخاري الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال... (ح٧٢٨٩)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب توقيره ﷺ (ح١٣٣٧).

⁽٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة في بداية آية ١٠٨.

⁽٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٣٠.

لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه فأنزل هذه الآية، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة، فأصبحوا بها كافرين، فنهى الله عن ذلك وقال: لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك، ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم بيانه (١)، رواه ابن جرير.

وقال على بن أبي طلحة، عن أبن عباس ﴿ يَكَأَيُّما ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدّ لَكُمُّ قَال: لما نزلت آية الحج، نادى النبي ﷺ في لئو مَهَا عَهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبَدّ لَكُمُّ في قال: لما نزلت آية الحج، نادى النبي ﷺ في الناس فقال: «يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا» فقالوا: يا رسول الله، أعاماً واحداً، ولو قلت: كل عام لوجبت، ولو وجبت لكفرتم». ثم قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَصَبَحُوا بِهَا كَفِرِينَ ﴾ رواه ابن جرير (٢).

وقال خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿لَا تَسْتَلُواْ عَنْ أَشْيَآ ﴾ قال: هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، ألا ترى أنه قال بعدها: ﴿مَا جَعَلَ ٱللهُ مِنْ بَجِيرَةٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣] ولا كذا ولا كذا، قال: وأما عكرمة فقال: إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك، ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلُهَا قَوْمٌ مِن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَلْفِينَ ﷺ (واه ابن جرير.

يعني عكرمة كَاللهُ أن المراد من هذا النهي عن سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجري لهم أنهاراً، وأن يجعل لهم الصفا ذهباً وغير ذلك، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالْآيَنَ إِلَا أَن كَذَبَ بِهَا ٱلْأَوَلُونَ وَمَانَيْنَا نَعُودَ ٱلنَاقَة مُبْعِرَة فَظَلَمُوا بِها وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَنِ إِلَا تَغْرِيفًا ﴿ وَالْإسراء] وقال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْنِهُمْ اللهُ اللّهُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنها إِلَا عَنْمِيمُ اللهُ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنها إِذَا جَآءَتُهُمْ عَايلةً لَيُؤمِنُونَ إِلَا عَلَيْهِمُ اللهُ وَلَا مَن وَنُقَلِبُ أَفْعَلَ اللهُ وَلَا مَنَوْ اللهُ وَلَا مَن وَلَو أَننا وَلَكَ مَن وَ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَكِنَ أَكُونُوا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَكِنَ أَكُونُوا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكُونَ اللهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَا اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكُونَ اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكُونَ اللهُ وَلَكُنَ اللهُ وَلَكُونَا إِلَا اللهُ اللهُ وَلَكُنَ اللهُ وَلَكُنَ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَاللّهُ وَلَكُنَا اللهُ وَلَلْكُوا اللهُ وَاللّهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلِكُنَ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَولَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَولَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَلْكُولُولُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَلْكُولُولُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلَا اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلَا اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلِكُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ وَلَا اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلِلْ اللهُ وَلِكُ

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةِ وَلَا سَآبِبَةِ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِ وَلَئِكِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ وَالْكَذِبُ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ وَابَاءَنَأُ أَوْلُوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْحًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞﴾.

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من

⁽١) أخرجه الطبري من طريق العوفي به، وسنده ضعيف ولكن لبعضه شواهد تقدمت.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي طلحة به، وسنده ضعيف لأن هذه الرواية المرفوعة ليست من الصحيفة، وله شواهد سابقة يتقوى بها.

 ⁽٣) أخرجه الطبري من طريق خُصيف به، وفي سنده خُصيف: صدوق سيء الحفظ خلط بآخرة ورمي بالارجاء
 كما في التقريب.

الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء. قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيّب السوائب» والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج إبل، بل تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينها ذكر.

والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه (١) ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي (٢). وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد به (7).

قال الحاكم: أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت، عن الزهري، كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزي في الأطراف، وسكت ولم ينبه عليه، وفيما قاله الحاكم نظر، فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير روياه من حديث الليث بن سعد، عن ابن الهاد، عن الزهري نفسه (٥)، والله أعلم.

ثم قال البخاري: حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله على: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمرواً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب»(٢) تفرد به البخارى.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله على يقول لأكثم بن الجون: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا به منك». فقال أكثم: تخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال رسول الله على: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه أول من غير دين إبراهيم، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، وحمى الحامي»، ثم رواه عن هناد، عن عبدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي على بنحوه أو مثله، ليس هذان الطريقان في الكتب(٧).

⁽١) أي قضي وطره من الناقة.

⁽٢) أُخرِجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ يَجِيرَقِ . . .﴾ [المائدة: ١٠٣] (-٤٦٢٣).

⁽٣) صحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون... (ح٢٦٥٦).

⁽٤) صحيح البخاري، بعد الحديث السابق (٤٦٢٣) مباشرة.

⁽٥) وهو كما قال فهذه الطريق في المسند (٣٦٦/٢)، وتفسير الطبري (١١٦/١١) ط. شاكر.

⁽٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه، التفسير، باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ . . .﴾ (ح٤٦٢٤).

⁽۷) أخرجه الطبري من الطريقين، وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق محمد بن عمرو به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٦٠٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن مجمع، حدثنا إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر(۱)، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار»(۲)، تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله على: «إني لأعرف أول من سيّب السوائب، وأول من غيّر دين إبراهيم على قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن لحي أخو بني كعب، لقد رأيته يجر قصبه في النار، تؤذي رائحته أهل النار، وإني لأعرف أول من بحّر البحائر» قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قالوا: «رجل من بني مدلج، كانت له ناقتان، فجدَع آذانهما، وحرّم ألبانهما، ثم شرب ألبانهما بعد ذلك، فلقد رأيته في النار وهما يعضانه بأفواههما، ويطآنه بأخفافهما»(٣).

عمرو هذا هو: ابن لحي بن قمعة، أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جُرْهم وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَراً مِن ٱلْحَرَّثِ وَالْأَنْعَلَمِ نَصِيبًا . . . ﴾ [الأنعام: الله آخر الآيات في ذلك.

فأما البحيرة، فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس الله الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، وإن كان أنثى جدعوا آذانها، فقالوا: هذه بحيرة (٤٠).

وذكر السدي وغيره قريباً من هذا (٥).

وأما السائبة فقال مجاهد: هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد، كانت على هيئتها، فإذا ولدت السابع ذكراً أو ذكرين ذبحوه، فأكله رجالهم دون نسائهم (٢).

وقال محمد بن إسحاق: السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر، سيبت فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يحلب لبنها إلا لضيف(٧).

وقال أبو روق: السائبة كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته، سيّب من ماله ناقة أو غيرها،

⁽١) أبو خزاعة عمرو بن عامر هو عمرو بن لحي نفسه (فتح الباري ٦/٥٤٩).

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وقال محققوه صحيح لغيره ثم ساقوا شواهده من الصحيحين وغيرهما
 (المسند ٧/ ٢٩٢ _ ٢٩٣ ح ٤٢٥٨).

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده مرسل ولبعضه شواهد تقدمت.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن إسحاق.

فجعلها للطواغيت، فما ولدت من شيء كان لها(١).

وقال السدي: كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته، أو عوفي من مرض، أو كثر ماله، سيّب شيئاً من ماله للأوثان، فمن عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا(٢).

وأما الوصيلة، فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إلى السابع، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كان أنثى استحيوها، وإن كان ذكراً وأنثى في بطن واحد استحيوهما وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا، رواه ابن أبى حاتم (٣).

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾، قال: فالوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر بالأنثى، ثم ثنت بأنثى فسموها الوصيلة، ويقولون: وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم (٤)، وكذا روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

وقال محمد بن إسحاق: الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن، توأمين توأمين توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت، فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث، وإن كانت ميتة اشتركوا فيها (٥٠).

وأما الحامي: فقال العوفي عن ابن عباس، قال: كان الرجل إذا لقح فحله عشراً قيل: حام فاتركوه، وكذا قال أبو روق وقتادة (٢٠).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا: حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبراً، ولا يمنعونه من حمى رعي، ومن حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه(٧).

وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: أما الحام فمن الإبل، كان يضرب في الإبل فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس [وسيّبوه](٨)(٩)، وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية.

وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن إسحاق.

⁽٦) قول العوفي أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسنده ضعيف ويتقوى بلاحقه، وقول أبي روق أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق بشر بن عمارة، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽A) كذا في (مح) وفي الأصل صُحفت إلى: "سيبويه".

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب به.

الأحوص الجشمي، عن أبيه مالك بن [نضلة] (١) قال: أتيت النبي ﷺ في خلقان من الثياب، فقال لي: «هل لك من مال؟» فقلت: نعم. قال: «من أي المال؟» قال: فقلت: من كل المال: من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالاً فكثر عليك»، ثم قال: «تنتج إبلك وافية آذانها؟» قال: «فلعلك تأخذ الموسى إبلك وافية آذانها؟» قال: هذه بحيرة، تشق آذان طائفة منها وتقول: هذه حُرُم» قلت: نعم. فتقطع آذان طائفة منها وتقول: هذه بحيرة، تشق آذان طائفة منها وتقول: هذه حُرُم» قلت: نعم. قال: «فلا تفعل إن كل ما آتاك الله لك حِلّ»، ثم قال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآبِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ

أما البحيرة، فهي التي يجدعون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها، فإذا ماتت اشتركوا فيها.

وأما السائبة، فهي التي يسيبون لآلهتهم ويذهبون إلى آلهتهم فيسيبونها.

وأما الوصيلة، فالشاة تلد ستة أبطن، فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرنها، فيقولون: قد وصلت فلا يذبحونها، ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض^(٢). هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجاً في الحديث.

وقد روي وجه آخر عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عوف بن مالك، من قوله: وهو أشبه، وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزعراء، عمرو بن عمرو، عن عمه أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة، عن أبيه به، وليس فيه تفسير هذه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفَتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۗ وَٱكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة، ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم، وقربة يتقربون بها إليه، وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُتُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابِاَءَنَا ﴾ أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك. قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآ وُهُم لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه، لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

﴿ وَيَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيَكُمْ ٱنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيتُ وَيُسْتَنِفُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞﴾.

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس، سواء كان قريباً منه أو بعيداً.

⁽١) كذا في (مح) وتفسير ابن أبي حاتم وفي الأصل صُحفت إلى: «فضلة».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه مقطّعاً، وأخرجه الإمام أحمد من طريق شعبة عن أبي إسحاق به بدون قوله: ثم قال ﴿مَا جَمَلَ اللّهُ مِنْ بَجِيرَةِ وَلاَ سَآيَبَةِ . . . ﴾ [المائدة: ١٠٣] إلخ (المسند ٢٢٦/٢٥ ح٥٩٩١)، وأخرجه الطبراني (المعجم الصغير ح٤٨٩)، قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح.

قال العوفي، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال، ونهيته عنه من الحرام، فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به (1)، كذا روى الوالبي عنه، وهكذا قال مقاتل بن حيان (1).

فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمُ أَنفُسَكُمُ أَنفُسَكُمُ فَ نصب على الإغراء، ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَ إِذَا الْمَتَدَيِّتُ مِّ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُم جَيعًا فَيُنَبِّتُكُم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ أي: فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكناً.

وقد قال الإمام أحمد كَالله: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير _ يعني: ابن معاوية _، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس قال: قام أبو بكر الصديق عليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمُ أَنفُسَكُمٌ لَا يَعَمُّرُكُم مَّن ضَلَ إِذَا الْهَتَدَيْتُم وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله علي يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، يوشك الله على أن يعمهم بعقابه». قال: سمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب للإيمان (٣). وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد به، متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولاً في مسند الصديق عليه (٤).

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثنا عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أُمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿يَاكُمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللّهِ عَلَى الله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عنها رسول الله على فقال: ﴿الله المتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»، ثم قال الترمذي: هذا حديث

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق العوفي به، وسنده ضعيف ويتقوى بالرواية اللاحقة.

⁽٢) قول الوالبي وهو علي بن أبي طلحة أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت عنه عن ابن عباس، وقول مقاتل بن حيان أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٩٧/١ ح١٦)، وصحح سنده محققوه، وأحمد شاكر وأخرجه سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد به (التفسير ١٦٣٦/٤ ح٠٨٤) قال الحافظ ابن حجر: وهذا أصح الأسانيد عن أبي بكر ﷺ. (النكت ٢٥٦/١).

⁽٤) سنن أبي داود، الملاحم، باب الأمر والنهي (ح١٣٣٨)، وسنن الترمذي الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب... (ح٢١٦٨)، والسنن الكبرى للنسائي (ح١١١٥٧)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الأمر بالمعروف... (ح٤٠٠٥)، وصحيح ابن حبان (ح٣٠٤)، والعلل للدارقطني ١/٢٥٣.

حسن غريب صحيح^(۱)، وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك، ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم^(۲).

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن الحسن أن ابن مسعود ﴿ مَالَهُ وَ مَلَ عَن قول الله: ﴿ عَلَيْكُمُ أَنفُكُمُ مَن ضَلَ إِذَا ٱهۡتَدَيّتُمُ ﴿ فقال: إن هذا ليس بزمانها، إنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانها، تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا، أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذِ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل (٣).

ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع، عن أبي العالية، عن ابن مسعود في قوله: ﴿يَأَيُّمُا الَّذِينَ مَا خَلُوا عَلَيْكُمُ الله بن مسعود جلوساً، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف، وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله يقول: ﴿عَلَيْكُمُ النَّسَكُمُ الآية. قال: فسمعها ابن مسعود، فقال: مه لم يجئ تأويل هذه بعد، إن القرآن أنزل حيث أنزل، ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي على بيسير، ومنه آي يقع تأويلهن بعد النبي على بيسير، ومنه آي يقع تأويلهن بعد النبي على عهد رسول الله على ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي على الساعة، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، وأمروا وانهوا، وإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، وعند ذلك جاءنا القلوب والأهواء، وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية (٤٠٠)، ورواه ابن جرير.

وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن سفيان بن عقال قال: قيل لابن عمر: لو جلست في هذه الأيام، فلم تأمر ولم تنه، فإن الله قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَ إِذَا ٱهْتَدَيْتُ ﴿ فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول الله على قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم (٥٠).

١) سنن الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (ح٣٠٥٨).

⁽٢) سنن أبي داود، الملاحم، باب الأمر والنهي (ح٤٣٤)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُا اللَّينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمُ أَنفُكُمُ أَنفُكُم أَنفُكُكُم أَنفُكُم أَنفُكُك

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من ابن مسعود، ولكن تابعه أبو العالية في الرواية التالية فيقوي أحدهما الآخر وإن لم يسمع أبو العالية من ابن مسعود.

⁽٤) أُخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن سعيد بن سابق عن أبي جعفر الرازي به، وسنده ضعيف للانقطاع بين ابن مسعود وأبي العالية ويتقوىٰ بسابقه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الربيع بن صَبيح: وهو صدوق سيء الحفظ (التقريب ص٢٠٦)، ويشهد له ما تقدم.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم، قالا: حدثنا عوف، عن سوار بن شبيب قال: كنت عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد العين شديد اللسان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه، وكلهم مجتهد لا يألو، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك، فقال رجل من القوم: وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم بالشرك؟ فقال رجل؛ إني لست إياك أسأل، إنما أسأل الشيخ، فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله: لعلك ترى ـ لا أبا لك ـ أني سآمرك أن تذهب فتقتلهم، عظهم وانههم، وإن عصوك فعليك بنفسك، فإن الله على يقول: ﴿يَكَأَيُّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمُ الآية (١٠).

وقال أيضاً: حدثني أحمد بن المقدام، حدثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي، حدثنا قتادة عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة، فإذا قوم من المسلمين جلوس، فقرأ أحدهم هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَ ﴾ فقال أكثرهم: لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم (٢).

وقال: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا ابن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله على الأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: ﴿يَالَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيَّكُمُ اللَّهِ عَن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: ﴿يَالَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيَّكُمُ اللَّهُ عَن ضَلَ إِذَا المَّتَدَيِّتُم فَي فأَقبلوا عليّ بلسان واحد، وقالوا: تنزع آية من القرآن الا تعرفها ولا تدري ما تأويلها؟ فتمنيت أني لم أكن تكلمت، وأقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك نزعت آية ولا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان، إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتدبت ".

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال: تلا الحسن هذه الآية ﴿يَتَأَيُّهُا وَقَالَ ابن جرير: الحمد لله بها، والحمد لله اللَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمُ النَّفُسَكُمُ لَا يَعَنُرُكُم مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمُ ﴿ فقال الحسن: الحمد لله بها، والحمد لله عليها، ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله (٤).

وقال سعيد بن المسيب: إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، فلا يضرك من ضل إذا اهتديت (٥)، رواه ابن جرير. وكذا روي من طريق سفيان الثوري، عن أبي العميس، عن أبي

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده سوّار بن شبيب مسكوت عنه سكت عنه ابن أبي حاتم الجرح ٢/ ٢٠) والبخاري التاريخ الكبير ١٦٨/٢)، وانفرد بتوثيقه ابن حبان في الثقات.

 ⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أبو مازن مسكوت عنه أيضاً كما في الجرح (٤٤٤/٩)، فإنه اقتصر على قوله: كان من صلحاء الأزد، ويشهد له ما تقدم عن ابن مسعود.

 ⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الحسين وهو ابن داود المُلقّب بسنيد وهو ضعيف. ويشهد له أيضاً ما تقدم عن ابن مسعود.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويشهد له حديث أبي بكر ﷺ المتقدم في بداية هذه الآية.

البختري، عن حذيفة مثله (١). وكذا قال غير واحد من السلف.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد الدمشقي، حدثنا الوليد، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن كعب في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمُ قَالَ: إذا هدمت كنيسة دمشق فجعلت مسجداً، وظهر لبس العُصُب، فحينئذِ تأويل هذه الآية (٢).

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قيل إنه منسوخ، رواه العوفي عن ابن عباس^(۳). وقال حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم: إنها منسوخة (٤).

وقال آخرون: وهم الأكثرون فيما قاله ابن جرير، بل هو محكم، ومن ادعى نسخه فعليه البيان، فقوله تعالى: ﴿يَنَائَمُ اللَّهُ مَامَنُوا شَهَدَهُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَةِ اَتُسَانِ هَا هَذا هو الخبر لقوله ﴿شَهَدَهُ بَيْنِكُمْ ﴾ فقيل: تقديره شهادة اثنين حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وقيل: دل الكلام على تقدير أن يشهد اثنان. وقوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدّلِ ﴾ وصف الاثنين بأن يكونا عدلين. وقوله: ﴿مَنكُمْ ﴾ أي: من المسلمين، قاله الجمهور.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿ ذَوَا عَدَّلِ مِنكُمْ ﴾ قال: من المسلمين، رواه ابن أبي حاتم (٥).

ثم قال: وروي عن عبيدة وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك(٢).

قال ابن جرير: وقال آخرون غير ذلك ﴿ذَوَا عَدْلِ مِّنكُمْ ﴾ أي: من أهل الموصي، وذلك قول روي عن عكرمة وعبيدة (٧) وعدة غيرهما.

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان ضعيف، وأبو البختري لم يسمع من حذيفة، ويشهد له حديث أبى بكر ﷺ.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده ابن لهيعة ويشهد له أيضاً قول ابن مسعود.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق العوفي به، وسنده ضعيف.

⁽٤) وهو قول مرجوح كما قرر الطبري بأن الآية محكمة.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

 ⁽٦) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند، ومعظم هذه الأقوال أخرجها الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ١٦٤/١٠)، بأسانيد ثابتة.

⁽٧) ذكرهما الطبري تعليقاً.

وقوله: ﴿أَوَ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن عون، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ قال: من غير المسلمين؛ يعني: أهل الكتاب(١)، ثم قال: وروي عن عبيدة وشريح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ويحيى بن يعمر وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة وأبي مجلز والسدي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم(٢). نحو ذلك.

وعلى ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله منكم، أن المراد من قبيلة الموصي يكون المراد ههنا ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي: من غير قبيلة الموصي.

وروى ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري رحمهما الله (٣٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنتُمْ ضَرَيْئُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم ﴿فَأَصَبَتَكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ وهذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون ذلك في سفر، وأن يكون في وصية، كما صرح بذلك شريح القاضى.

قال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو معاوية ووكيع، قالا: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن شريح قال: لا تجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر، ولا تجوز في سفر إلا في الوصية، ثم رواه عن أبي كريب، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال شريح فذكر مثله (٤).

وقد روي نحوه عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وهذه المسألة من أفراده، وخالفه الثلاثة فقالوا: لا يجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين، وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضاً.

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو داود، حدثنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري قال: مضت السنة أنه لا تجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر، إنما هي في المسلمين (٥).

وقال ابن زيد (٢٠): نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أول الإسلام، والأرض حرب، والناس كفار، وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية، وفرضت الفرائض وعمل الناس بها، رواه ابن جرير (٧)، وفي هذا نظر، والله أعلم. وقال ابن

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) ذكرهم جميعاً ابن أبي حاتم بحذف السند، ومعظم رواياتهم أخرجها الطبري بأسانيد ثابتة.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق أشعث بن عبد الملك عن الحسن بلفظ: من غير قومكم: مسلمان.

⁽٤) أخرجه الطبري بطريقيه ومتنه، والطريق الأول سنده صحيح.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده صالح بن أبي الأخضر ضعيف (التقريب ص٢٧١).

⁽٦) كذا في النسخ الخطية والمطبوعة، وفي تفسير الطبري: زيد بن أسلم، ولكن قبله رواية عن ابن زيد وليست بهذا المتن، فهذا المتن لزيد.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الله بن غياث عن زيد لكنه مرسل.

جرير: اختلف في قوله: ﴿شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱلْمُنَانِ ذَوَا عَدْلِ مِّنكُمْ أَوَّ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ هل المراد به أن يوصي إليهما أو يشهدهما؟ على قولين:

(أحدهما): أن يوصي إليهما، [كما قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: سئل ابن مسعود ولله عن هذه الآية. قال آ^(۱): هذا رجل سافر ومعه مال، فأدركه قدره، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين، رواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع (۲).

(والقول الثاني): أنهما يكونان شاهدين، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة فإن لم يكن وصي ثالث معهما، اجتمع فيهما الوصفان: الوصاية والشهادة، كما في قصة تميم الداري وعدي بن بداء، كما سيأتى ذكرهما آنفاً إن شاء الله وبه التوفيق.

وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال: لأنا لا نعلم حكماً يحلف فيه الشاهد، وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة، وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام، على أن هذا حكم خاص، بشهادة خاصة، في محل خاص، وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره، فإذا قامت قرينة الريبة، حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة.

وقوله تعالى: ﴿تَعْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّـلَوْةِ﴾ قال العوفي: قال ابن عباس: يعني صلاة العصر، وكذا قال سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين^(٣).

وقال الزهري: يعني صلاة المسلمين (٤). وقال السدي، عن ابن عباس: يعني صلاة أهل دينهما (٥). وروى عبد الرزاق، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عَبيدة (٢). وكذا قال إبراهيم وقتادة وغير واحد.

والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ ﴾ أي: فيحلفان بالله ﴿إِنِ ٱرْتَبَنَّمُ ﴾ أي: إن ظهرت لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا، فيحلفان حينئذِ بالله ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِ ﴾ أي: لا نعتاض عنه حينئذِ بالله ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِ ﴾ أي: لا نعتاض عنه

⁽١) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (مح) وتفسير الطبري.

⁽٢) الانقطاع بين يزيد وابن مسعود، وكذلك ابن إسحاق لم يصرح بالسماع من يزيد.

⁽٣) قول العوفي لم أجده ولكن قول سعيد بن جبير أخرجه الطبري وابن حزم (المحلى ٥٩١/١٠) بسند صحيح من طريق من طريق أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد. وقول إبراهيم النخعي أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مغيرة عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وأخرجه أيضاً الطبري بأسانيد صحيحة عن عامر الشعبي. وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم بسند صحيح عن عبيدة السلماني.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم كلاهما بسند حسن من طريق الليث، عن عقيل، عن الزهري، وعقيل هذا هو ابن خالد الأيلى: ثقة (التهذيب ٧/ ٢٥٥).

⁽٥) أخرجه الطبري عن السدي به وسنده منقطع لأن السدي لم يسمع من ابن عباس.

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل.

بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرُنِكُ أَي: ولو كان المشهود عليه قريباً لنا لا نحابيه ﴿وَلَا نَكْتُتُ شَهَدَةَ اللهِ أَضَافِها إلى الله تشريفاً لها وتعظيماً لأمرها، وقرأ بعضهم ﴿ولا نكتم شهادةً اللهِ مجروراً على القسم رواها ابن جرير، عن عامر الشعبي (١). وحكي عن بعضهم أنه قرأها ﴿ولا نكتم شهادة الله ﴾ والقراءة الأولى هي المشهورة (٢) ﴿إِنَّا إِذَا لَينَ ٱلْآثِمِينَ ﴾ أي: إن فعلنا شيئاً من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية.

ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِنْمَا﴾ أي: فإن اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين أنهما خانا أو غلَّا شيئاً من المال الموصى به إليهما، وظهر عليهما بذلك ﴿ فَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ اللَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾ هذه قراءة الجمهور ﴿ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾ وروي عن علي وأبي والحسن البصري أنهم قرؤوها ﴿ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلِيَانِ ﴾ (٣).

وروى الحاكم في المستدرك من طريق إسحاق بن محمد الفروي، عن سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب فيه أن النبي عله قرأ ﴿مِنَ اللَّهِ مَنَ عَلَيْهُمُ الْأَوْلِيَانِ﴾، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه (٤). وقرأ بعضهم ومنهم ابن عباس ﴿من الذين استحق عليهم الأولين﴾ وقرأ الحسن ﴿من الذين استحق عليهم الأولين يكون المعنى بذلك أي متى استحق عليهم الأولان حكاه ابن جرير (٢)، فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى بذلك أي متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتهما، فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة، وليكونا من أولى من يرث ذلك المال ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَدُنّا آخَقُ مِن شَهَدَتِهِما ﴾ أي: لقولنا أنهما خانا، أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة ﴿وَمَا اعْتَدَيّنا آ﴾ أي: فيما قلنا فيهما من الخيانة.

﴿إِنَّا إِذَا لَّمِنَ ٱلطَّالِمِينَ﴾ أي: إن كنا قد كذبنا عليهما، وهذا التحليف للورثة والرجوع إلى قولهما والحالة هذه، كما يحلف أولياء المقتول إذا ظهر لوث في جانب القاتل، فيقسم المستحقون على القاتل فيدفع برمته إليهم كما هو مقرر في باب القسامة من الأحكام.

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسين بن زياد، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن [أبي النضر] (٧)، عن باذان _ يعني أبا صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب _، عن ابن عباس، عن تميم الداري في هذه الآية ﴿يَكَأُمُ اللَّهِ عَلَى مَانُوا شَهَدَهُ بَيْنِكُم إِذَا حَضَرَ آحَدَكُم الْمَوْتُ ﴿ قال: برئ الناس منها غيري وغير

 ⁽١) وقد أخرجه الطبري من طريق أبي عبيد القاسم بن سلام وذكر تتمته الموضحة عن أبي عبيد فقال: ينوّن شهادةً ويخفض [لفظ الجلالة] (الله) على الاتصال. اهـ. وهذه القراءة شاذة.

 ⁽٢) وهذا النص تتمة لما سبق من تفسير الطبري، ويقصد بالقراءة الأولى: القراءة التي نقرأ بها «ولا نكتم شهادة الله» وما سواها شاذ. وقد رجح هذه القراءة المتواترة وقال لأنها القراءة المستفيضة...

 ⁽٣) وهاتان قراءتان متواترتان «بضم التاء وفتحها».

⁽٤) أي بالرفع «الأوليان» ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٣٧).

 ⁽٥) وكلا القراءتين متواترة بالرفع ﴿الأوْلَيْنُ﴾ وبالنصب ﴿الأوْلَيْنَ﴾.

⁽٦) ذكره الطبري معلقاً والقراءة شاذة.

 ⁽٧) كذا في (مح) وتفسير ابن أبي حاتم وهو محمد بن السائب الكلبي كما قرر الحافظ ابن كثير وفي الأصل:
 «النضر».

عَدي بن بدّاء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بُديل بن أبي مريم بتجارة، معه جام من فضة يريد به الملك، وهو أعظم تجارته، فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، واقتسمناه أنا وعدي، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام، فسألونا عنه، قلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره. قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله على المدينة، تأثمت من ذلك، فأتيت أهله، فأخبرتهم الخبر، ودفعت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فوثبوا عليه، فأمرهم النبي أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فحلف، فنزلت ﴿يَكَأَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ الى قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ المعاص ورجل آخر منهم، فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عَدي بن بدّاء (۱).

وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي وابن جرير، كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق به، فذكره، وعنده: فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة، فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فحلف، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: ﴿ أَوْ يَخَافُواْ أَن تُرَدُّ أَيْمَنُ الْبَعْدَ أَيْسُنِهِمَّ ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عَدي بن بدّاء، ثم قال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث، هو عندي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه أهل العلم بالحديث، وهو صاحب التفسير، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السائب الكلبي يكني أبا النضر، ثم قال: ولا نعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ (٢)، وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا يحيى بن آدم، عن ابن أبي زائدة، عن محمد بن أبي القاسم، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعَدي بن بَدّاء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاماً من فضة مخوّصاً بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ووجد الجام بمكة، فقيل: اشتريناه من تميم وعَدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما، وأن الجام لصاحبهم، وفيهم نزلت ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية، وكذا رواه أبو داود عن الحسن بن علي، عن يحيى بن آدم به، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث ابن أبي زائدة (٣)، وأحمد بن أبي القاسم الكوفي، قيل: إنه صالح الحديث.

 ⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وسنده ضعيف كما قرر الترمذي. وأصل هذه القصة وردت في صحيح البخاري كما سيأتي.

⁽٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه. (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة ح٣٠٥٩)، وأخرجه البخاري عن علي بن عبد الله عن يحيى بن آدم عن ابن أبي زائدة به (الصحيح، الوصايا، باب قول الله ﷺ: ﴿كَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

⁽٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (المصدر السابق ح٣٠٦٠)، وفي سنده سفيان بن وكيع: ضعيف وقد =

وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من التابعين منهم عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة، وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر، رواه ابن جرير، وكذا ذكرها مرسلة مجاهد والحسن والضحاك (۱)، وهذا يدل على اشتهارها في السلف وصحتها، ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضاً ما رواه أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هشيم قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه، قال: فحضرته الوفاة ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، قال: فقدما الكوفة، فأتيا الأشعري يعني أبا موسى الأشعري رفيه، فأخبراه، وقدما الكوفة بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله على قال: فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا، ولا كذبا، ولا بدلا، ولا كتما، ولا غيرا، وأنها لوصية الرجل وتركته. قال: فأمضى شهادتهما.

ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن مغيرة الأزرق، عن الشعبي أن أبا موسى قضى بدقوقا، وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي، عن أبي موسى الأشعري^(۲)، فقوله: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله على الظاهر والله أعلم أداد بذلك قصة تميم وعدي بن بَدّاء، وقد ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري في كان سنة تسع من الهجرة، فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخراً يحتاج مدعي نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام، والله أعلم.

وقال أسباط، عن السدي في الآية ﴿ يَالَيْهُ النِّينَ اَمْنُواْ شَهَدَهُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ حِينَ الْوَصِيةِ الْشَانِ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ قال: هذا في الوصية عند الموت، يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وما عليه، قال: هذا المعضر ﴿ أَوْ اَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ في السفر ﴿ إِنْ اَنتُمْ مَمْرَيْمُ فِي السفر ﴿ إِنْ اَنتُمْ مَصِيبَةُ المَوتِ في سفره، وليس بحضرته أحد من المسلمين، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس، فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه، فيقبلان به، فإن رضي أهل الميت الوصية وعرفوا ما لصاحبهم، تركوهما، وإن ارتابوا، ونعوهما إلى السلطان، فذلك قوله تعالى: ﴿ غَيْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّاوِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْبَبَتُكُمُ عَلَي اللّه بن عباس وَهِي أَنظر إلى العلجين حتى انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في عبد الله بن عباس ويهما في دينهما بعد الميت وخوفوهما، فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما فيحلفان بالله لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله إنا يحلفا: إذا لمن الآثمين، أن صاحبهم بهذا أوصى، وأن هذه لتركته، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إذا لمن الآثمين، أن صاحبهم بهذا أوصى، وأن هذه لتركته، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا:

توبع فقد أخرجه البخاري عن علي بن عبد الله المديني، عن يحيى بن آدم به (الصحيح، كتاب الوصايا، باب قبول الله على: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَدَةُ بَيْنِكُمٌ . . . ﴾ [المائدة: ١٠٦] ح٢٧٨٠)، وحسنه على بن المديني كما نقله المزي في (تهذيب الكمال ٢١٨/٣١)، ولم يقف الحافظ ابن كثير على رواية البخاري لأنه حاول تخريجه من مصادر كثيرة وطرق غزيرة.

⁽١) وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

⁽٢) أخرجه الطبري بطريقيه ومتنه وسنده صحيح لكنه مرسل ويتقوى بما سبق.

إنكما إن كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما، ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما، فإذا قال لهما ذلك فإن ﴿ ذَلِكَ فَإِن اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه الآية ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَدَةُ بَيْنِكُمٌ ﴾ الآية، قالا: إذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين، فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب، فإذا قدما بتركته فإن صدقهما الورثة قبل قولهما، وإن اتهموهما حلفا بعد صلاة العصر بالله ما كتمنا ولا كذبنا ولا خنا ولا غيرنا (٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد العصر: بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً، فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الأولياء فحلفا: بالله أن شهادة الكافرين باطلة وأنا لم نعتد، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَا أَنَّهُمَا اَسْتَحَقاً إِنَّما ﴾ يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبا ﴿فَاحَزَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُما ﴾ يقول من الأولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، وأنا لم نعتد، فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الأولياء. وهكذا روى العوفي عن ابن عباس، رواهما ابن جرير (٣)، وهكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف في وهو مذهب الإمام أحمد كَالله .

🗀 ﴿ اللَّهُ مَا يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِمِنُتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴿ ﴿ ﴾ .

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وسنده ضعيف للانقطاع بين السدي وابن عباس فإنه لم يسمع من ابن عباس ويشهد لمعظمه سوابقه من الصحيح وغيره.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وسنده ضعيف ومرسل ويشهد له سابقه ولاحقه.

⁽٣) أخرجه الطبري من الطريقين بمتنه، ورواية ابن أبي طلحة تقوي رواية العوفي.

⁽٤) كذا في الأصل وفي (مح): شريعته.

⁽٥) قول مجاهد سيأتي في تفسير عبد الرزاق، وقول الحسن أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق شيخ مبهم =

قال عبد الرزاق، عن الثوري، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمُّ ۚ فيفزعون فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ (١)، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، حدثنا عنبسة قال: سمعت شيخاً يقول: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ الآية، قال: من هول ذلك اليوم (٢).

وقال أسباط، عن السدي: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَعُولُ مَاذَاۤ أُجِبَتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فلما سئلوا قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم (٣)، رواه ابن جرير.

ثم قال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبْتُمْ أَي: ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم؟ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّدُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ هَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبَتُم قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ الْفُيُوبِ ﴿ هَ فَي يَقُولُونَ للرب ﴿ قَلْ: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا (٥٠)، رواه ابن جرير، ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة، ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله؛ أي: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا أجبنا وعرفنا من أجابنا، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك ﴿ أَنتَ عَلَّيْمُ ٱلْفُيُوبِ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ يَعْمَنَى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوج الْقُدُسِ ثُكِيْرُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهُلّا وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِتنَبَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَوْرَئِةَ وَالْإِنجِيلِّ وَإِذْ غَنْكُونُ مِلْيَرًا بِإِذَتِى وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَثْرَصَ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذَتَى وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَثْرَصَ بِإِذْنِي وَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذَتِى وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَثْرَصَ بِإِذْنِي كَفُرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَا سِحْرُ بِإِذْنِي فَقَالَ اللّذِينَ كَفُرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَا سِحْرُ لَهُ وَإِن اللّهُ وَالْمَا اللّهُ وَالْمَا وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمَا اللّهُ وَالْمَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمَا وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِ وَاللّهُ وَالْمُنَا وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم على مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات، فقال: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ أي: في خلقي إياك من أم بلا ذكر، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء، ﴿وَعَلَى وَلِدَتِكَ حيث جعلتك لها برهاناً على براءتها مما نسبه الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة، ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوج القُدُسِ ﴾ وهو جبريل عليه ، وجعلتك نبياً داعياً إلى الله في صغرك وكبرك، فأنطقتك في

عن الحسن، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لابهام تلميذ الحسن.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

أخرجه الطبري بسنده ومتنه وسنده ضعيف لضعف الحسين وهو ابن داود.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

المهد صغيراً، فشهدت ببراءة أُمك من كل عيب، واعترفت لي بالعبودية، وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوتك إلى عبد عن رسالتي إياك ودعوتك إلى عبادتي، ولهذا قال: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَمَّلًا ﴾ أي: تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك وضُمِّن (تكلم) تدعو، لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب.

وقوله: ﴿وَإِذْ عَلَمْتُكَ ٱلْكِتَبَ وَٱلِحِكَمَةَ﴾ أي: الخط والفهم ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ وهي المنزلة على موسى بن عمران الكليم، وقد يرد لفظ التوراة في الحديث، ويراد به ما هو أعم من ذلك.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَخَلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّايِرِ بِإِذْنِى ﴾ أي: تصوره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك فتكون لك في ذلك فتكون لك في ذلك فتكون طيراً بإذني الله وخلقه.

وقوله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهُ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذَنِيَ ﴾ قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران (١٠) بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿ وَإِذْ تَخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ أي: تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا محمد بن طلحة _ يعني ابن مصرف _، عن أبي بشر، عن أبي الهذيل، قال: كان عيسى ابن مريم على إذا أراد أن يحيي المموتى صلى ركعتين، يقرأ في الأولى ﴿ بَنَرَكَ الَّذِى بِيدِهِ النَّلُكُ ﴾ [الملك: ١]، وفي الثانية: ﴿ اللَّمَ ۞ تَنْ ِلُ ﴾ [السجدة: ١، ٢]، فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه، ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم، يا خفي، يا دائم، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد، وكان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة أخر: يا حي، يا قيوم، يا الله، يا رحمن، يا ذا الجلال والإكرام، يا نور السموات والأرض وما بينهما، ورب العرش العظيم، يا رب (٢).

وهذا أثر عجيب جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَ كَفَفْتُ بَنِى إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جِمْتَهُم بِٱلْبِيِّنَتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَّرُا مِنْهُمْ إِنْ هَلْذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم، ورفعتك إلي، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً على .

وقوله: ﴿وَإِذَ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِبَّنَ أَنَ ءَامِنُواْ بِ وَبِرَسُولِى ﴾ وهذا أيضاً من الامتنان عليه، عليه السلام، بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً، ثم قيل: إن المراد بهذا الوحي وحي إلهام، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أَيْرِ مُوسَى أَنَ أَرْضِعِيةٍ ﴾ الآية [القصص: ٧]، وهو وحي إلهام بلا خلاف، وكما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أَنْدُ إِلَى ٱلنَّمْ إِلَى النَّمْ إِلَى أَنْ أَيْدِي مِن لَلِبَالِ بُيُونًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَا يَعْرِشُونَ ﴿ أَنُ أَنْ أَنْ النَّمْ اللهُ عَلَى مِن كُلِ

⁽١) الآية (٤٩).

⁽٢) هذه الرواية من الإسرائيليات الغريبة لأن نزول سورتي الملك والسجدة بعد حياة عيسلي.

ٱلثَمَرَتِ فَٱسۡلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ الآية [النحل: ٦٨، ٦٩]، وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية ﴿ وَإِذَ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِبِّينَ أَنَّ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَا وَاشْهَدَ بِأَنْنَا مُسْلِمُونَ ﴿ أَي الله موا ذلك، فامتثلوا ما ألهموا.

قال الحسن البصري: ألهمهم الله على ذلك(١).

وقال السدي: قذف في قلوبهم ذلك^(٢)، ويحتمل أن يكون المراد وإذ أوحيت إليهم بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك، فقالوا: آمَنَّا بِاللهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.

﴿ وَنَ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى اَبَنَ مَرْيَهَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِنَ السَّمَآءِ قَالَ اتَّقُوا اللّهَ إِن كُنتُم مُّقَمِينِ ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَعِنَ قُلُوبُكَا وَتَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّمَةِ وَنَ السَّمَةِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِإَقَلِنَا مَآبِدَةً مِنَ السَّمَةِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِإَقَلِنَا عَلَيْهَا مِنَ الشَّمَةِ مِنَ السَّمَةِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِإَقَلِنَا مَآبِهُ وَمَا يَكُونُ السَّمَةِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِإَقَلِنَا مَآبِهُ وَمَا اللّهُ إِنِ مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمُ فَمَن يَكُفُرُ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنْ وَمَا لَكُونُ اللّهُ عَلَيْكُمُ فَمَن يَكُفُرُ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِ أَعْلَمِينَ ﴾ .

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة، فيقال سورة المائدة، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم، فقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ وهم أتباع عيسى ﴿ يَعِيسَى ابّنَ مَرْيَدَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ هذه قراءة كثيرين، وقرأ آخرون: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ ﴾ أي: هل تستطيع (٢٠) أن تسأل ربك ﴿أَن يُنَزِل عَلَيه الطعام، وذكر بعضهم: أنهم إنما سألوا ذلك لاحاجتهم وفقرهم، فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة هناك التعبادة على العبادة على العبادة هناك أنتَّوُا الله إن كنتم مؤمنين، ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن الله على العبادة والله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين، ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن السَماء، ﴿وَنَعْلَمُ إِن يَنْ محتاجون إلى الأكل منها، ﴿وَتَطْمَيْنَ قُلُوبُكَ ﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أي: ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِن الشَّلِهِدِينَ ﴾ أي: ونشهد أنها الآية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

﴿ قَالَ عِيسَى آبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبُّنَا آنِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِن ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَمَاخِرِنَا ﴾.

قال السدي: أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا^(٤)، وقال سفيان الثوري: يعني يوماً نصلي فيه^(٥).

⁽١) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) كلتا القراءتين متواترتان.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن الثوري.

وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم(١).

وعن سلمان الفارسي: عظة لنا ولمن بعدنا (٢). وقيل: كافية لأولنا وآخرنا ﴿وَاَيَةً مِنكَ ﴾ أي: دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك، ﴿وَأَرْزُفْنَا ﴾ أي: من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿ قَالَ اللّهُ إِنّي مُنَزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكُفُرُ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ أي: فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها، ﴿ فَإِنَّ أَعَذِبُهُ مَذَابًا لَآ أَعَذِبُهُ وَمَن كَذَب بها من أمتك يا عيسى وعاندها، ﴿ فَإِنَّ أَعَذِبُهُ مَذَابًا لَآ أَعَذِبُهُ وَمَن كَذَب بها من أمتك يا عيسى وعاندها، ﴿ فَإِنَّ أَعَذِبُهُ مَذَابًا لَآ أَعَذِبُهُ وَمَن كَذَب بها من أمتك يا عيسى وعاندها، ﴿ فَإِنَّ أَعَذِبُهُ مَا اللّهُ وَمَوْنَ كَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللللللللللللهُ الللللللهُ الللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ ا

وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي، عن أبي المغيرة القواس، عن عبد الله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون (٣).

ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين

قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا القاسم: حدثنا الحسين، حدثني حجاج، عن ليث، عن عقيل، عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم، فإن أجر العامل على من عمل له، ففعلوا ثم قالوا: يا معلم الخير، قلت لنا: إن أجر العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطعمنا حين نفرغ طعاماً، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: ﴿أَتَّقُوا الله إن كُنتُم تُومِين ﴿ قَالُوا فِرِيدُ أَن تَأْحُلُ مِنهَا وَتَطْمَهُنَ مَنْ الشَّهِدِينَ ﴿ قَالُ عِيسَى اَبْنُ مَرَيمَ اللَّهُدَ رَبَّنا أَنْ لَلْ عَلَيْنا مَايِدةً فَو السَّمَةِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَولِينَ ﴿ وَاللهُ إِن وَالْحَلُ وَالْمُولِينَ ﴿ قَالَ عِيسَى اَبْنُ مَرَيمَ اللَّهُ إِن اللهُ إِن الشَّهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله الله الله على على الله الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات، وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (٤٤)، كذا رواه ابن جرير، ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: كان ابن عباس يحدث، فذكر نحوه (٥٠).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد، حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم قالوا له:

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند فيه إبراهيم بن عمر الصنعاني ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح ٢/١١٤).

⁽٣) أخرجه الطبري من طرق ثلاث عن عوف به، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الحسين وحجاج وكلاهما فيهما مقال، وكلاهما توبع كما سيأتي في رواية ابن أبي حاتم فيكون السند حسناً لغيره، والرواية من الإسرائيليات المسكوت عنها.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده بنحوه، وسنده صحيح.

ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء، قال: فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها، عليها سبعة أحوات، وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (١١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاس، عن عمار بن ياسر، عن النبي على قال: نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم، وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير (٢)، وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة، ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار، عن ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس، عن عمار قال: نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة، فأمروا أن لا يخونوا ولا يخبأوا ولا يدخروا، قال: فخان القوم وخبأوا وادخروا، فمسخهم الله قردة وخنازير (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل، قال: صليت إلى جانب عمار بن ياسر، فلما فرغ قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال: قلت: لا. قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد، قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبأوا أو تخونوا أو ترفعوا، فإن فعلتم فإني معذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. قال: فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا، فعذبوا عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين. وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم، ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة، وايم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم الله عذاباً أليماً (٤).

وقال: حدثنا القاسم، حدثنا حسين، حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة، نزلت على عيسى ابن مريم، عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات، يأكلون منها ما شاؤوا. قال: فسرق بعضهم منها وقال؛ لعلها لا تنزل غداً، فرفعت (٥).

وقال العوفي، عن ابن عباس: نزل على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاؤوا^(٦).

وقال خصيف، عن عكرمة ومقسم، عن ابن عباس: كانت المائدة سمكة وأرغفة (١٠). وقال مجاهد: هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا(١٠).

⁽١) أخرجه أبن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن والرواية من الإسرائيليات كسابقتها.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لعدم تصريح قتادة بالسماع، لأنه مدلس من الطبقة الثالثة النالثة الذين لا تقبل روايتهم إلا إذا صرحوا بالسماع. والرواية من الإسرائيليات.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وعلته كسابقه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام شيخ سماك، والرواية من الإسرائيليات.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده الحسين وُهو أبن داود: ضعيف ويتقوىٰ برواية ابن عباس السابقة.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق العوفي به، وسنده ضعيف ويتقوىٰ كسابقه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق يونس بن راشد عن خصيف به، وسنده حسن.

⁽A) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً (١). وقال عطية العوفي: المائدة سمك فيه طعم كل شيء (٢).

وقال وهب بن منبه: أنزلها الله من السماء على بني إسرائيل، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة، فأكلوا ما شاؤوا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة آلاف، وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم، فلبثوا على ذلك ما شاء الله كان قوم وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات، وحشا الله بين أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون، ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون، حتى أكل جميعهم وأفضلوا(٤).

وقال الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير: أنزل عليها كل شيء إلا اللحم (٥).

وقال سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن زاذان، وميسرة، وجرير، عن عطاء، عن ميسرة، قال: كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليها الأيدي بكل طعام إلا اللحم^(٢) وعن عكرمة: كان خبز المائدة من الأرز، رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن على فيما كتب إلى، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن إبراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدري مولى بني عبد الدار، عن إبراهيم بن عمر، عن وهب بن منبه، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الخير، أنه قال: لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة، كره ذلك جداً، فقال: اقنعوا بما رزقكم الله في الأرض، ولا تسألوا المائدة من السماء، فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم، وإنما هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها، فأبوا إلا أن يأتيهم بها، فلذلك ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَهِنَّ قُلُوبُنَا﴾ الآية، فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم بها، قام فألقى عنه الصوف، ولبس الشعر الأسود، وجبة من شعر، وعباءة من شعر، ثم توضأ واغتسل، ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله، فلما قضى صلاته، قام قائماً مستقبل القبلة، وصفّ قدميه حتى استويا، فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع، ووضع يده اليمني على اليسرى فوق صدره، وغضّ بصره، وطأطأ رأسه خشوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلَّت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فقال: ﴿ٱلَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها، وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضّة من فلك السماء تهوي إليهم، وعيسى يبكي خوفاً من أجل الشروط التي أخذها الله عليهم فيها، أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين، وهو يدعو الله في مكانه ويقول: اللهم اجعلها رحمة لهم، ولا تجعلها عذاباً، إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني، إلهي اجعلنا

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبد الرحمن السلمي.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريقين يقوي أحدهما الآخر عن عطية.

⁽٣) (٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، ووهب مشهور بروايته للإسرائيليات.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش به، وسنده حسن.

⁽٦) أخرجه الطبري من الطريقين ويقوى أحدهما الآخر.

لك شاكرين، اللهم إني أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضباً ورجزاً، إلهي اجعلها سلامة وعافية، ولا تجعلها فتنة ومثلة. فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضي رائحة مثلها قط، وخرّ عيسي والحواريون لله سجداً شكراً له لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة، وأقبلت اليهود ينظرون، فرأوا أمراً عجيباً أورثهم كمداً وغماً، ثم انصرفوا بغيظ شديد، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة، فإذا عليها منديل مغطى فقال عيسى: من أجرؤنا على كشف المنديل عن هذه السفرة، وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه. فليكشف عن هذه الآية حتى نراها، ونحمد ربنا، ونذكر باسمه، ونأكل من رزقه الذي رزقنا؟ فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته، أنت أولانا بذلك، وأحقنا بالكشف عنها، فقام عيسى ﷺ واستأنف وضوءاً جديداً، ثم دخل مصلاه، فصلى كذلك ركعات، ثم بكى بكاء طويلاً، ودعا الله أن يأذن له في الكشف عنها، ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقاً، ثم انصرف وجلس إلى السفرة وتناول المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين، وكشف عن السفرة، فإذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير، ليس في جوفها شوك، يسيل السمن منها سيلاً، قد نُضَّدَ بها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى: يا روح الله وكلمته، أمن طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقير المسائل؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية؟ فقال له شمعون: لا وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة، فقال عيسى عليه: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة، فقال له: كن فكان أسرع من طرفة عين، فكلوا مما سألتم باسم الله واحمدوا عليه ربكم، يمدكم منه ويزدكم، فإنه بديع قادر شاكر، فقالوا: يا روح الله وكلمته، إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية، فقال عيسي: سبحان الله أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى؟ ثم أقبل عيسى على السمكة، فقال: يا سمكة عودي بإذن الله حية كما كنت، فأحياها الله بقدرته، فاضطربت وعادت بإذن الله حية طرية، تلمظ كما يتلمظ الأسد، تدور عيناها، لها بصيص، وعادت عليها بواسيرها، ففزع القوم منها وانحازوا، فلما رأى عيسى منهم ذلك قال: ما لكم تسألون الآية فإذا أراكموها ربكم كرهتموها؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون، يا سمكة عودي بإذن الله كما كنت، فعادت بإذن الله مشوية كما كانت في خلقها الأول، فقالوا: يا عيسى كن أنت يا روح الله الذي تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد، فقال عيسى: معاذ الله من ذلك، يبدأ بالأكل من طلبها، فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها، خافوا أن يكون نزولها سخطة وفي أكلها مثلة، فتحاموها، فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمني(١) وقال: كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم، واحمدوا الله

⁽١) أي: المرضى.

الذي أنزلها لكم فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم، وافتتحوا أكلكم باسم الله واختموه بحمد الله، ففعلوا فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة، يصدرون عنها كل واحد منهم شبعان يتجشأ، ونظر عيسي والحواريون فإذا ما عليها كهيئته إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منها، وبرئ كل زمن أكل منها، فلم يزالوا أغنياء أصحاء حتى خرجوا من الدنيا، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم، وبقيت حسرتها في قلوبهم إلى يوم الممات، قال: وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل إليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضاً، الأغنياء والفقراء، والصغار والكبار، والأصحاء والمرضى، يركب بعضهم بعضاً، فلما رأى ذلك جعلها نوباً بينهم تنزل يوماً ولا تنزل يوماً، فلبثوا على ذلك أربعين يوماً تنزل عليهم غباً عند ارتفاع الضحي، فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا قاموا، ارتفعت عنهم إلى جو السماء بإذن الله، وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى تتوارى عنهم. قال: فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه: أن اجعل رزقي في المائدة للفقراء واليتامي، والزمني دون الأغنياء من الناس، وغمطوا ذلك حتى شكّوا فيها في أنفسهم، وشككوا فيها الناس، وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر، وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى: أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق، فإنه قد ارتاب بها منا بشر كثير؟ فقال عيسي عليه: هلكتم وإله المسيح، طلبتم المائدة إلى نبيكم أن يطلبها لكم إلى ربكم، فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة لكم ورزقاً، وأراكم فيها الآيات والعبر، كذبتم بها، وشككتم فيها، فأبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله، فأوحى الله إلى عيسى: إنى آخذ المكذبين بشرطى فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. قال: فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين، فلما كان في آخر الليل، مسخهم الله خنازير، فأصبحوا يتبعون الأقذار في الكناسات(١).

هذا أثر غريب جداً، قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل، والله سبحانه وتعالى أعلم. وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى ابن مريم، إجابة من الله لدعوته، كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيَكُمْ ﴾ الآية.

وقد قال قائلون: إنها لم تنزل، فروى ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله: ﴿أَنْزِلَ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، قال: هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء^(۲)، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

ثم قال ابن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا القاسم هو ابن سلام، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: مائدة عليها طعام أَبُوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، فأَبُوا أن تنزل عليهم (٣).

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده مقطعاً، وفي سنده إبراهيم بن عمر الصنعاني سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح / ١١٤)، وعبد القدوس العبدري سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٥٦/٦).

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد. وعليه فإن هاتين الروايتين =

وقال أيضاً: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن أنه قال في المائدة: إنها لم تنزل(١).

وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول لما قيل لهم ﴿فَمَن يَكُفُرُ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَآ أُعَذِبُهُ وَالْمَا مِن الْعَلَمِينَ ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم تنزل(٢).

وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى، وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما توفر الدواعي على نقله، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً، ولا أقل من الآحاد، والله أعلم.

ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمُ فَمَن يَكُفُرُ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَآ أُعَذِّبُهُۥ آحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ﴾ قال: ووعد الله ووعيده حق وصدق، وهذا القول هو _ والله أعلم _ الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم.

وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب، وجد المائدة هنالك مرصعة باللآلئ وأنواع الجواهر، فبعث بها إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق، فمات وهي في الطريق، فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده، فرآها الناس فتعجبوا منها كثيراً لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر اليتيمة، ويقال: إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليه، فالله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن [عمران أبي الحكم] حن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي على: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: «وتفعلون؟» قالوا: نعم. قال: فدعا، فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال: «بل باب التوبة والرحمة» ثم رواه أحمد وابن مردويه، والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري

⁼ عن مجاهد مخالفتان الرواية الصحيحة المتقدمة من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بأن المائدة نزلت.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) كذا في المسند، وفي النسخ الخطية: عمران بن الحكم وهو تصحيف وقد وقع هذا في رواية من روايتي المسند كما يلي:

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه مع التصحيف المذكور، (المسند ٤/ ٦٠ ح) وصححه محققوه.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه مع التصحيف المذكور (المسند ٥/ ٢٨٤ ح٣٢٢٣) وصححه محققوه. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣١٤).

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَنِعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱغَّذُونِ وَأُمِّى إِلَهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ ٱقُولَ مَا لِيَسَ لِي بِحَقَّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَةُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَكَ أَنتَ عَلَيْمُ الْغُيُوبِ ﴿ مَا قُلْتُ لَمُتُمْ إِلَا مَا آمَرَتَنِي بِهِ ۚ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمُ وَكُنتُ عَلَيْهِمُ فَا يَنْهُمُ إِلَى اللَّهِ مَا قُلْتُ عَلَيْهِمُ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ شَهِيدُ ﴿ إِن اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ وَقَيْتَنِي كُنتَ آنتَ ٱلدَّقِيبَ عَلَيْهِمُ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ شَهِيدُ ﴿ اللهُ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِ شَيْءِ شَهِيدُ ﴿ إِلَيْ اللهَ وَقَيْتَنِي كُنتَ آنتَ الْعَزِيرُ لَلْحَيْمُ ﴿ وَأَنتَ عَلَى كُلِ شَيْءِ شَهِيدُ اللهِ اللهُ اللهُ وَاللهُ عَلَيْهُمْ فَإِنَّهُمْ وَاللهُ اللهُ وَقَيْتَنِي كُنتَ آنتَ الْعَرِيدُ لَهُ كُلِ مَا اللّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ وَلَا تَعْفِرُ لَهُمْ فَإِنَكُ أَنتَ ٱلْعَرِيرُ لَلْهُمْ وَلِي اللّهُ اللّهُ وَلَوْلَ لَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا لَتُعَلّمُ اللّهُ وَلَا لَعَلَمُ اللّهُ وَلَا لَقُلْهِ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَهُ إِلَيْهُ اللّهُ وَلَالَهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَالَهُ وَلَالًا لَاللّهُ وَلَالَهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَاللّهُ مَا اللّهُ لَا لَا اللّهُ وَلَالِهُ اللّهُ وَلَوْلَ اللّهُ وَلِي لَلْهُ اللّهُ وَلَالَهُ وَلِي اللّهُ اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ اللّهُ وَلِي الللّهُ اللّهُ وَلَا لَا لَا لَا لَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَكُنِي الللّهُ وَلِيلًا لَيْهُ وَلَا الللّهُ وَلَّا لَيْ اللّهُ وَلِلْ الللّهُ وَلَا الللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا لَا لَعْلَالِهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا الللّهُ الللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُولُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّ

هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْ قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اَتَّخِذُونِي وَأُقِى إِلَهَيْنِ مِن دُونِ الله ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اَتَّخِذُونِي وَأُقِى إِلَهَيْنِ مِن دُونِ الله ﴿ لَهُ اللهُ اللهُ

وقال السدي: هذا الخطاب والجواب في الدنيا^(٢)، وصوبه ابن جرير قال: وكان ذلك حين رفعه إلى سماء الدنيا واحتج ابن جرير على ذلك [لعلتين:

(أحدهما)] أن الكلام بلفظ المضي.

(والثاني): قوله: ﴿إِن تُعَلِّرْتُهُمْ ﴾ و﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (٤).

وهذان الدليلان فيهما نظر، لأن كثيراً من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت. ومعنى قوله: ﴿إِن تُعَذِّبُهُم فَإِنَّهُم عِبَادُكُ ﴾ الآية، التبري منهم، ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات، والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر، والله أعلم، أن ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

وقد روي بذلك حديث مرفوع، رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز، وكان ثقة، قال: سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز، عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله على: «إذا كان يوم القيامة، دُعي بالأنبياء وأممهم، ثم يُدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها، فيقول: ﴿يَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُر نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَلِدَتِكَ ﴾ الآية [المائدة: ١١٠]، ثم يقول: ﴿مَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّخِذُونِ وَأُمِي إِللهَ يَنِ مِن دُونِ اللَّهِ فينكر أن يكون قال ذلك، فيُوتى بالنصارى فيُسألون فيقولون: نعم هو أمرنا بذلك. قال: فيطول شعر عيسى عَلَيْهُ

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي بنحوه.

⁽٣) كذا في (مح) وفي تفسير الطبري، وفي الأصل: «بمعنيين» أحدهما.

⁽٤) هذا الذي نقله الحافظ ابن كثير عن الإمام الطبري مختصر شديد ونصه كما يلي: وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين إحداهما: أن «إذ» إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضي من الفعل، وإن كانت قد تُدخلها أحياناً في موضع الخبر عما يَحدُثُ إذا عرف السامعون معناها. . والأخرى: أن عيسى لم يُشكك هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيباً لربه تعالى، إن تعذب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. (التفسير ٩/ ١٣٥) ط د. التركي.

فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده، فيجاثيهم بين يدي الله على مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار»(١). وهذا الحديث غريب عزيز.

قال (٢) ﴿ سُبَحَننَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنَّ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾ هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن طاوس، عن أبي هريرة قال: يُلقِّى عيسى حجته، ولقًاه الله تعالى في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرِّيمَ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّيْذُونِي وَأُمِّى إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ أبو هريرة، عن النبي ﷺ: فلقاه الله: ﴿ سُبَحَننَكَ مَا يَكُونُ لِي آَنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقَّ . . . ﴾ إلى آخر الآية (٣). وقد رواه الشوري عن معمر، عن ابن طاوس، عن طاوس بنحوه (٤).

وقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ أي: إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء، فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته، ولهذا قال: ﴿تَعَلّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَصْمرته، ولهذا قال: ﴿تَعَلّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَصْمرته، ولهذا قال: ﴿تَعَلّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْمَرُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَمْرَتَنِي بِدِ ﴾ بإبلاغه ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أي وَرَبّكُمْ أي أي الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ أي هذا هو الذي قلت لهم. وقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمّتُ فِيهُم ﴾ أي: كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم ﴿فَلَمّا تَوَفّيتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرّقِيبَ عَلَيْهِم فَأَنتَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدُ ﴾.

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال: انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان، فأملى على سفيان وأنا معه، فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله على بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله على حفاة، عراة، غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلَقٍ نُويدُونٍ [الأنبياء: ١٠٤] وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْمً فَإِنَّهُم فَإِنَّكُ أَنتَ الْمَرْبِرُ لَلْمَيْدُ ﴿ وَلَن عَلَيْ الله والم مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (٥٠) ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد، عن شعبة، وعن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، كلاهما عن المغيرة بن النعمان به (٢٠).

⁽١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٩/٥٤)، واستغربه الحافظ ابن كثير.

⁽٢) كذا في الأصل: و(مح)، ومنهج الحافظ أن يقول: قوله تعالى.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من طريق ابن أبي عمر العدني به وقال: حسن صحيح. (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة ح٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٤٥٠).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الفريابي عن الثوري به، وسنده صحيح لكنه مرسل.

⁽٥) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ح٢٦٣٨) وسنده صحيح.

⁽٦) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِن تُعَلِّيُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُّ ﴾ [المائدة: ١١٨] (ح٤٦٢٥).

وقوله: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُ وَإِن تَغَفِّر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيرُ لَلْكِيمُ ﴿ هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله على فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم، ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن النبي على قام بها ليلة حتى الصباح يرددها(١).

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، حدثني فليت العامري، [عن جسرة العامرية] (٢)، عن أبي ذر ظليم، قال: صلى النبي على ذات ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها وإن تُعَذِّبُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكُ وَإِن تَعْفِر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْفَرِيزُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَرَيرُ الْفَريرُ الله عنها ويسجد بها؟ قال: «إني سألت ربي كل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً "".

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة حدثه، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص،

⁽١) وهو حديث حسن كما سيأتي.

⁽٢) كذا في (مح) ومسند أحمد وسقط من الأصل.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوه (المسند ٢٥٧/٢٥٦)، وأخرجه ابن ماجه (السنن، إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ح١٣٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/١٤١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١١١٠) وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة.

⁽٤) مُعنقا: قال السندي: اسم فاعل من الإعناق. . . والاسم منه العَنَق، وهو نوع من السير سريع.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوه (المسند ٣٥/ ٣٩٠ ح٢١٤٩٥).

أن النبي على تلا قول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُّ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكُ أَنتَ الْعَزِيدُ الْمُكِيمُ ﴿ ﴾ فرفع يديه، فقال: «اللهم أمتي» وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسأله ما يبكيه، فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله عليه بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن قال: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا ابن هبيرة، أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: حدثني سعيد بن المسيب، سمعت حذيفة بن اليمان يقول: غاب عنا رسول الله على يوماً، فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها، فلما رفع رأسه قال: "إن ربي على استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: ما شئت أي رب، هم خلقك وعبادك، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك، فقال لي: لا أخزيك في أمتك يا محمد، وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب. ثم أرسل إليّ فقال: ادع تجب وسل تعط، فقلت لرسوله: أو معطيّ ربي سؤلي؟ فقال: ما أرسلني إليك إلا ليعطيك، ولقد أعطاني ربي ولا فخر، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حياً صحيحاً، وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب، وأعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء يدخل الجنة، وطيب لي ولأمتي الغنيمة، وأحلّ لنا كثيراً أمتي من قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج» (٢٠).

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَلَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّلدِقِينَ صِدْقُهُمُ ۚ لَمُمْ جَنَّكُ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِلَّه مُلْكُ ٱلسَّمَانَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾.

يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ، فيما أنهاه إليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين على الله وعلى رسوله، ومن ردّ المشيئة فيهم إلى ربه ﷺ، فعند ذلك يقول تعالى: ﴿ هَلَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلمَّلِدِقِينَ صِدَّقُهُم ۗ ﴾.

قال الضحاك: عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم (٣).

﴿ لَمُمْ جَنَّتُ تَمْرِى مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِهَمَّ أَبَدًا ﴾ أي: ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى: ﴿ وَرِضُونَ مِنَ ٱللَّهِ أَكَبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٧] وسيأتي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث.

وروى ابن أبي حاتم ها هنا حديثاً عن أنس فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا المحاربي عن ليث، عن عثمان - يعني ابن عمير - أخبرنا اليقظان، عن أنس مرفوعاً، قال: قال

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم بسنده نحوه (الصحيح، الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته... ح٢٠٢).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٨/ ٣٦١ _ ٣٦٢ ح٢٣٣٦)، وضعفه محققوه بسبب ابن لهيعة، وذكروا لبعضه شواهد.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف منقطع لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

رسول الله على فيه «ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله»، فيقول: سلوني سلوني أعطكم - قال: - فيسألونه الرضا فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي فسلوني أعطكم، فيسألونه الرضا - قال: - فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى (١).

وقوله: ﴿ ذَلِكَ ٱلْغَوْرُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي هذا الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، كما قال تعالى: ﴿ لِيثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْمُنَافِسُونَ ﴾ [الصافات] وكما قال: ﴿ وَفِ ذَلِكَ فَلْيَتَنَافِسُ ٱلْمُنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] وقوله: ﴿ لِلّهَ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُو عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ فَهُ أَي: هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته، وفي مشيئته، فلا نظير له، ولا وزير، ولا عديل، ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه.

قال ابن وهب: سمعت حُبي بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو. قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة (٢).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عمير كما في التقريب.

⁽٢) تقدم تخريجه في أول هذه السورة الكريمة.







سِؤُولِةُ الأنعَظِ

وهي مكية

قال(١) العوفي وعكرمة وعطاء، عن ابن عباس، أُنزلت سورة الأنعام بمكة(٢).

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح (٣).

وقال سفيان الثوري، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: نزلت سورة الأنعام على النبي عليه [جملة، وأنا آخذة بزمام ناقة النبي عليه ان كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة (٤). وقال شريك: عن ليث، عن شهر، عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله عليها (٥)

وقال شريك: عن ليث، عن شهر، عن اسماء قالت: نزلت سورة الانعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زجل من الملائكة، وقد طبقوا ما بين السماء والأرض^(٢).

وقال السدي، عن مرة، عن عبد الله، قال: نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة (٧٠).

وروي نحوه من وجه آخر، عن ابن مسعود.

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل، قالا: حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي، أخبرنا جعفر بن عون، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: لما نزلت سورة الأنعام، سبح رسول الله على ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق» ثم قال: صحيح على شرط مسلم (^).

⁽۱) ورد في الحاشية دعاء للناسخ، ونصه كما يلي: اللهم كما يسرت لنا التشرف بكتابة سورة الأنعام في العشر الأخير من رمضان سنة ۱۱۸۳، أنعم علينا بالعفو والعافية بالتوفيق لإتمام باقيه وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

⁽٢) هذا أمر متفق عليه فإن سورة الأنعام مكية بالإجماع واتفق على ذلك المصنفون في المكي والمدني كالزهري وأبي عبيد والحارث المحاسبي وابن الضريس وابن الأنباري والنحاس وابن عبد الكافي وأبي عمرو الداني والبيهقي (ينظر المكي والمدني في القرآن الكريم ١/ ٢٨٥).

⁽٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٢/٢١٥) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وله شواهد لاحقة.

⁽٤) أخرجه الطبراني من طريق قبيصة عن الثوري به (المعجم الكبير ١٧٨/٢٤)، وفي سنده ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب وكلاهما فيه مقال.

⁽٥) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح) و(عش).

 ⁽٦) وسنده کسابقه لکن له شواهد.

⁽٨) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: وأظن هذا موضوعاً (المستدرك ٢/٢١٤).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن درستويه الفارسي، حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني عمر بن طلحة الرقاشي، عن نافع بن مالك أبي سهيل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله على: «نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة، سد ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح، والأرض بهم ترتج» ورسول الله يقول: «سبحان الله العظيم» (۱).

ثم روى ابن مردويه، عن الطبراني، عن إبراهيم بن نائلة، عن إسماعيل بن عمر، عن يوسف بن عطية، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله علي «نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد»(٢).

بهمال عدالي

﴿ اَلْحَمَدُ بِلَهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظَّلْمَتِ وَالنُّورِ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَجِهِمُ يَعْدِلُونَ ﴾ هُوَ الَّذِى خَلَفَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَى آجَلًا وَأَجَلُ مُسَمَّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُهُ تَمْتُرُونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ إِلَى السَّمَوَتِ وَفِي اللَّهُ السَّمَوَتِ وَفِي اللَّهُ مَا تَكْسِبُونَ ۞﴾.

يقول الله تعالى مادحاً نفسه الكريمة وحامداً لها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده. وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم، فجمع لفظ الظلمات، ووحد لفظ النور، لكونه أشرف، كقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْبَينِ وَالشَّمَآبِلِ ﴿ [النحل: ٤٨] وكما قال في آخر هذه السورة ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيماً فَأَتَّبِعُوهُ وَلا تَنَبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِيَ ﴾ [الأنعام: السورة ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيماً فَأَتَبِعُوهُ وَلا تَنَبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِي ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اللهِ عَلَيْهِ وَلَا يَبْعِمُ اللهِ عَلَيْهِ عَن ذلك علواً عباده، وجعلوا له شريكاً وعدلاً، واتخذوا له صاحبة وولداً، تعالى الله عَلَيْ عن ذلك علواً كبيراً.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن طِينِ ﴾ يعني: أباهم آدم، الذي هو أصلهم، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب! وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلُ مُسَمِّى عِندَهُ ﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ يعني: الموت ﴿وَأَجَلُ مُسَمِّى عِندَهُ ﴾ يعني: الآخرة (٣)، وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، والحسن وقتادة والضحاك، وزيد بن أسلم وعطية والسدي، ومقاتل بن حيان وغيرهم (٤).

⁽۱) أخرجه الطبراني من طريق أحمد بن محمد بن السالمي به (المعجم الأوسط ح١٤٤٧)، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي سهيل نافع بن مالك إلا عمر بن طلحة، ولا عن عمر بن طلحة إلا ابن أبي فديك تفرد به أحمد بن محمد السالمي. وقال الهيثمي محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي لم أعرفهما (مجمع الزوائد ٧٣/٧).

⁽٢) أخرجه الطبراني عن إبراهيم بن نائلة به (المعجم الصغير ٨/١)، قال الهيثمي: فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف (المجمع $\sqrt{2}$).

⁽٣) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سعيد بن جبير به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣١٥).

⁽٤) بعض هذه الآثار أخرجها الطبري بأسانيد ثابتة كقول مجاهد وقتادة والحسن.

وقول الحسن في رواية عنه: ﴿ ثُمَّ قَضَى آجَلًا ﴾ وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿ وَأَجَلُ مُسَمَّى عِندَهُ ﴾ وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث (١) ، هو يرجع إلى ما تقدم، وهو تقدير الأجل الخاص، وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام، وهو عمر الدنيا بكمالها، ثم انتهائها وانقضائها وزوالها ،! وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة ، وعن ابن عباس ومجاهد ، ﴿ ثُمَّ قَضَى آجَلا ﴾ يعني : مدة الدنيا (٢) ، ﴿ وَأَجَلُ مُسَمَّى عِندَهُ ﴾ يعني : عمر الإنسان إلى حين موته ، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا ﴿ وَهُو الذِي يَتَوَفّل عُمُ مِا لَيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُه مِ إِلنّهَارِ ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠] .

وقال عطية، عن ابن عباس ﴿ ثُمَّ قَضَى آجَلاً ﴾ يعني: النوم، يقبض فيه الروح، ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة، ﴿ وَأَجَلُ مُسَمِّى عِندَأُم ﴾ يعني: أجل موت الإنسان (٣)، وهذا قول غريب.

ومعنى قوله: ﴿عِندَمُّ﴾ أي: لا يعلمه إلا هو، كقوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيَ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقِّهَاۤ إِلَّا هُوَّ﴾ [الأعـراف: ١٨٧] وكــقــولــه: ﴿يَسَّتُلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَبُهَآ ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَنَهَآ ۞﴾ [النازعات].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتُرُونَ ﴾ قال السدي وغيره: يعني: تشكون في أمر الساعة (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿ الْحَالَ الْحَالَ عَنْ مُفْسَرُو هَذَهُ الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين ـ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ، بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال:

أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض؛ أي: يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَهُ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَهُ ﴾ [الزخرف: ١٨] أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمُ وَجَهَرَكُمْ ﴿ خبراً أو حالاً.

(والقول الثاني): أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر، فيكون قوله يعلم، متعلقاً بقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَوَتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ اللهَ يعلم سركم وجهركم، في السموات وفي الأرض، ويعلم ما تكسبون.

(والقول الثالث): أن قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَتِ﴾ وقف تام، ثم استأنف الخبر، فقال: ﴿وَفِي ٱللَّرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ﴾ أي: جميع أعمالكم خيرها وشرها.

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق أبي بكر الهذلي عن الحسن، وسنده ضعيف جداً بسبب أبي بكر الهذلي وهو متروك (التقريب ص٦٢٥)

⁽٢) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عنه.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن عطية العوفي به.

⁽٤). أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي نحوه.

﴿ وَمَا تَأْنِيهِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمُّ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَكُواْ مَا كَانُواْ بِدِ. يَسْتَهْزِهُونَ ۞ أَنْ يَرَوْا كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِ مِّن قَرْنِ مَكَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَدَ نُمَكِن لَكُرُ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَازًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَعْلِيمْ فَأَهْلَكُنَاهُم بِدُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ۞﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين، أنهم مهما أتتهم من آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات، على وحدانية الله وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَ كَنَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمُ فَسَوِّفَ يَأْتِهِم أَنْبَوُا مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْرِءُونَ إِنِه لا يبالون بها، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَ كَنَّبُواْ بِالْحَقِ، بانه لا بدّ أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه وليذوقن وباله، ثم قال تعالى واعظاً لهم ومحذراً لهم، أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم، من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعاً وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلالاً للأرض، وعمارة لها، فقال: ﴿أَمَ اللهَ مَن قَرْنِ مَكَنَّهُم فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِنَ لَكُرُ اللهِ أي السَمَاءَ عَلَيْهم يِدَوَلاً أي السَمَاء والجنود، ولهذا قال: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَمَاءَ عَلَيْهم يِدَرَانَا أَلُه أَيْ اللهُ مَن والحريض والسعة والجنود، ولهذا قال: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاةَ عَلَيْهم يِدَرَانَا اللهُ أي شيئاً بعد شيء.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجَرِى مِن تَعَيِّمِ أَي: أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض؛ أي: استدراجاً وإملاء لهم ﴿ فَأَهْلَكُنّهُم بِذُوْبِم ﴾ أي: بخطاياهم، وسيئاتهم التي اجترحوها ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِم قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي: فذهب الأولون كأمس الذاهب، وجعلناهم أحاديث، ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِم قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي: جيلاً آخر لنختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم، فأهلكوا كإهلاكهم، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فما أنتم بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب، ومعاجلة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه.

﴿ وَلَوْ نَزَلْنَا عَلَيْكَ كِنَبُا فِى فِرْطَاسِ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ هَٰذَاۤ إِلَّا سِحَرُّ مُّبِينٌ ۞ وَقَالُواْ لَوَلَاۤ ٱنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكُ ۚ وَلَوْ أَزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِى ٱلأَمْنُ ثُمَّ لَا يُنظرُونَ ۞ وَلَوْ جَمَلَنَـُهُ مَلَكَا لَجُملَنَهُ رَجُـلَا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ ۞ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَكَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَكَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا وَلَقَدِ اللَّهُ وَلَا الْأَرْضِ ثُمَّ انظلرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلِقِبَهُ ٱلْمُكَذِينِينَ ۞﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق، ومباهتتهم ومنازعتهم فيه، ﴿وَلَوْ نَزُلُنَا عَلَيْكَ كِنَبُا فِي قِرْطَاسِ فَلَسَوهُ بِأَيْدِيهِم ﴾ أي: عاينوه ورأوا نزوله، وباشروا ذلك، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا عَلَيْهِم إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحَرٌ شُبِينٌ ﴾ وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للمحسوسات ﴿وَلَوْ فَنَحْنَا عَلَيْهِم اللهَ عَنَ السَّمَاءِ فَظَلُواْ فِيهِ يَعْرُجُونٌ ﴿ لَقَالُواْ إِنَّمَا شَكِرَتَ اَبْصَدُرُنَا بَلْ غَنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿ وَالسَحِدِرِ السَحِدِرِ اللهِ عَلَهِ وَكَوْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَالَى: ﴿ وَإِلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَالِى: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُونِي الْأَمْنُ ثُمَ لَا يُنظُرُونَ ﴾ أي: لو كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُونِي الْأَمْنُ ثُمَ لَا يُنظُرُونَ ﴾ أي: لو نزلت الملائكة على ما هم عليه، لجاءهم من الله العذاب، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَيْكَةُ عَلَى اللهُ تعالى: ﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَيْكَةُ عَلَى الله تعالى: ﴿ مَا نُنزِلُ اللَّهُ العذاب، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا نُنزِلُ اللَّهُ اللَّهُ عَالَى: ﴿ مَا نُنزِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ إِلَّا الله تعالى: ﴿ مَا نُنزِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْفَلْوَلُونُ اللَّهُ الْمُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِدُ اللَّهُ اللّٰ اللّٰهُ اللّهُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنَا اللّهُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِلُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قال الضحاك، عن ابن عباس في الآية يقول: لو أتاهم ملك، ما أتاهم إلا في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور(١)، ﴿وَلَلْبَسَّنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾ أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون.

وقال الوالبي، عنه: ولشبهنا عليهم (٢).

وقوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْنُهْزِئَ بِرُسُلِ مِن قَبَلِكَ فَحَاقَ بِٱلَذِبِ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْنَهْزِءُونَ ﴿ هَذَه تسلية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة، في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ قُلَ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلِقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: فكروا في أنفسكم، وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية، الذين كذبوا رسله، وعاندوهم، من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا، مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم، في الآخرة، وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين.

﴿ وَأَن لِمَن مَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ قُل لِلَهِ كَنَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَهَةِ لَا رَبِّ فِيهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيهَمَةِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَهُوَ لِلَّهَ مَا سَكَنَ فِي الْبَالِ وَالنَّهَارِ وَهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّ أَمْرَتُ أَنْ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّ أَمْرَتُ أَنْ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّ أَمْرِتُ أَنْ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّ أَمْرِتُ أَنْ اللَّهُ وَلَا يَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ قُلُ إِنِّ أَخَاتُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَنْ يُصَوِّدُ عَنْهُ يَوْمَهِ لِهِ فَقَدْ رَحِمَةً وَذَاكِ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما، وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة، كما ثبت في الصحيحين، من طريق الأعمش: عن أبي صالح، عن أبي هريرة عليه، قال: قال النبي عليه: "إن الله لما خلق الخلق، كتب كتاباً عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي" (٣).

⁽١) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وسنده منقطع لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالبي به.

⁽٣) صحيح البخاري، التوحيد، بأب قول الله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٨] (ح٧٤٠٤)، وصحيح مسلم، التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (ح٢٧٥).

وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَكُمَةِ لَا رَبُّ فِيقِ ﴾ [النساء: ٨٧] هذه اللام هي الموطئة للقسم، فأقسم بنفسه الكريمة، ليجمعن عباده ﴿إِلَى مِيقَتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٥٠] وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه؛ أي: لا شك فيه عند عباده المؤمنين، فأما الجاحدون المكذبون، فهم في ريبهم يترددون.

وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا محصن بن عقبة اليماني، عن الزبير بن شبيب، عن عثمان بن حاضر، عن ابن عباس، قال: سئل رسول الله على عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: «والذي نفسي بيده إن فيه لماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك، في أيديهم عصي من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء» (١)، هذا حديث غريب.

وفي الترمذي: «إن لكل نبي حوضاً، وأرجو أن أكون أكثرهم وارداً»(٢).

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم ۗ أي: يوم القيامة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يصدقون بالمعاد، ولا يخافون شر ذلك اليوم، ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: كل دابة في السموات والأرض الجميع عباده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْمَكِيمُ ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم.

ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد على الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَيَّا فَاطِ السّمَنَوَتِ وَٱلأَرْضِ ﴾ كقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِ ۚ أَقَبُدُ أَيُّهَا الجَهِلُونَ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ وَحَدِه لا شريك اللّهِ تَأْمُرُونِ ۚ أَعَبُدُ أَيُّهَا الجَهِلُونَ ﴿ أَي: خالقهما ومبدعهما، على غير مثال سبق ﴿ وَمُو يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾ أي: وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِّنَ وَالإِنسَ اللهَ اللهُ هُو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِّنَ وَالإِنسَ اللهَ اللهُ هُو الرّزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ اللّهَ اللهُ هُو الرّزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ اللّهَ اللهُ اللهُ هُو الرّزاق لخلقه هن وَرَق وَمَا أُويدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ إِنَّ اللّهَ هُو الرّزاق دُو الْفَوْقِ الْمَتِينُ ﴿ فَا اللهَ اللهُ اللهُ هُو الرّزاق دُو الْفَوْقِ الْمَتِينُ ﴿ إِنَّ اللّهَ اللّهِ اللهُ ال

وفي حديث سهيل بن أبي صالح: عن أبيه، عن أبي هريرة ولله النبي على وغسل يديه، الأنصار، من أهل قباء النبي على على طعام، فانطلقنا معه، فلما طعم النبي على وغسل يديه، قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، ومن علينا فهدانا وأطعمنا، وسقانا من الشراب، وكسانا من العري، وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام، وسقانا من الشراب، وكسانا من العري، وهدانا من

⁽١) حكم عليه الحافظ بأنه غريب.

⁽٢) أخرجه الترمذي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعاً ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي على مرسلاً، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح (السنن، صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض ح٢٤٤٣)، وقال الألباني بمجموع طرقه حسن صحيح، (السلسلة الصحيحة ح١٥٨٩).

⁽٣) وهي قراءة شاذة.

الضلال، وبصرنا من العمى، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين (''. ﴿ وَلَا يَكُونَتُ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ ﴿ قُلُ إِنَّ أَمْرَتُ أَنَّ أَكُونَ مَنَ أَلْسَلَمُ ﴾ أي: من هذه الأمة ﴿ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فَلُ إِنَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْبَتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ مَن يُعْمَرَق عَنْهُ ﴾ أي: العذاب ﴿ يَوْمَ مِنْ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ يعني: رحمه الله ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ اللَّهِ يَنْ كَقُولُه: ﴿ فَمَن رُحْزِحَ عَنِ النَّادِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازً ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والفوز حصول الربح، ونفي الخسارة.

﴿ وَإِن يَمْسَسُكَ اللّهُ بِضُرِ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥ إِلّا هُوَّ وَإِن يَمْسَسُكَ بِغَيْرِ فَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَادِيرُ ﴿ وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِوْ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ ﴿ قَلْ أَى شَيْءٍ أَكَبُرُ شَهَدَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَيْنَكُمُ وَأُوحِي اللّهُ الْفُرْمَانُ لِأَنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغُ أَبِئَكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَ مَعَ اللّهِ اللّهِ اللّهَ أَخْرَئُ قُل لَآ أَشْهَدُ قُلْ إِنّهَا هُو إِللّهُ وَبَيْدُ وَإِنّهِ بَرِئَةً مُ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا يَعْرِفُونَ أَبْنَامَهُمُ اللّهُ مِثَنِ الْفُسَهُمْ فَهُد لَا يُقْمِئُونَ ﴿ كَا يَعْرِفُونَ أَنْ اللّهُ مِثَنِ الْفُسَهُمْ فَهُد لَا يُقْمِئُونَ ﴾ .

يقول تعالى مخبراً: أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ﴿وَإِن يَمْسَسُكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥ إِلّا هُوَ وَإِن يَمْسَسُكَ بِخَيْرِ فَهُو عَلَى لَحُكمه، ولا راد لقضائه، ﴿وَإِن يَمْسَسُكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥ إِلّا هُو وَان يَمْسَسُكَ بِخَيْرِ فَهُو عَلَى كُلِّ شَيْوٍ قَدِيرٌ ﴿ اللّهُ لَهُ مُرْسِلَ لَهُ مُرْسِلَ لَهُ مُرْسِلَ لَهُ مُرْسِلً لَهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللهُ ال

وفي الصحيح: أن رسول الله على كان يقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» (٢). ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُو اَلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِوْءَ اَي: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه، وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت قهره وحكمه، ﴿وَهُو اَلْحَكِمُ اللهِ أي: في جميع أفعاله ﴿ اَلْخَيْرُ ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا من يستحق، ولا يمنع إلا من يستحق.

ثم قال: ﴿ قُلْ أَئُ شَيْءِ أَكُبُرُ شَهَدَةً ﴾ أي: من أعظم الأشياء شهادة ﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِ وَيَيْنَكُمُ ﴾ أي: هو العالم بما جئتكم به، وما أنتم قائلون لي، ﴿ وَأُوحِى إِلَىٰ هَلَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِـ وَمَنْ بَلَغٌ ﴾ أي: وهو نذير لكل من بلغه، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ بِهِـ مِنَ ٱلْأَخْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: ١٧].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع وأبو أسامة، وأبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿وَمَنْ بَلَغُ ﴾ من بلغه القرآن، فكأنما رأى النبي ﷺ، زاد أبو خالد وكلمه (٣)، ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب،

⁽۱) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» من السنن الكبرى (ح١٠١٣٣)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٠٤٦/١).

⁽٢) صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (ح٨٤٤)، وصحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح٥٩٣).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وقد تابعه أبو معشر في رواية الطبري ومعناه صحيح.

قال: من بلغه القرآن، فقد أبلغه محمد عليه القران.

وقال عبد الرزاق: عن معمر عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُمْ بِهِـ وَمَنْ بَلَغٌ ﴾ إن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله، فقد بلغه أمر الله» (٢).

وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله ﷺ، أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ، وأن ينذر بالذي أنذر^(٣).

وقوله: ﴿ إَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾ أيها المشركون ﴿ أَنَ مَعَ اللّهِ وَالِنّهِ أَخْرَنًا قُلُ لاّ أَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال تعالى شَهِدُواْ فَلا تَشْهَدُ مَعَهُمّ الأنعام: ١٥٠] ﴿ قُلْ إِنّما هُو إِلَّه وَحِدٌ وَإِنّنِ بَرِئَ مِنَ أَشْرِكُونَ ﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب: أنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به، كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء، عن المرسلين المتقدمين والأنبياء، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد على ونعته وصفته، وبلده ومهاجره وصفة أمته، ولهذا قال بعده: ﴿ اللّهِ يَحْرُوا أَنفُسَهُم ﴾ أي: خسروا كل الخسارة ﴿ فَهُم لا يُؤمِنُونَ ﴾ بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه ثم قال: ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِنَنِ أَنْتَكَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كُذَبَ يِنَايَتِهِ * أَي لا أَظلم ممن تقوّل على الله، فادعى أن الله أرسله، ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب [(٤) بايات الله، وحججه وبراهينه ودلالاته، ﴿ إِنّهُ لا يُعْلِحُ الظّلِمُونَ ﴾ أي: لا يفلح هذا ولا هذا، لا المفتري ولا المكذب.

يقول تعالى مخبراً عن المشركين ﴿وَيَوْمَ غَشُرُهُمْ جَيعًا ﴾ يوم القيامة، فيسألهم عن الأصنام والأنداد، التي كانوا يعبدونها من دونه، قائلاً لهم ﴿أَيْنَ شُرَكآ وَكُمُ الَّذِينَ كُنتُم تَزْعُمُونَ ﴾ كقوله تعالى في سورة القصص ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكآ وَى الَّذِينَ كُنتُم تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَرْ تَكُن فِتَنَابُهُم ﴾ أي: حجتهم وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس أي معذرتهم (٥)، وكذا قال قتادة (٦).

⁽١) أخرجه الطبري من طريق أبي معشر به، ومعناه صحيح.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع.

⁽٤) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح) و(عش).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن عطاء به، وعطاء لم يسمع من ابن عباس.

⁽٦) أخرجه عبد بن حميد عن يونس عن شيبان عن قتادة (فتح الباري ٨/ ٢٨٧) وسنده صحيح.

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: أي: قيلهم (١) وكذا قال الضحاك (٢).

وقال عطاء الخراساني: ﴿فُمَّ لَرَ تَكُن فِتَنَكُهُمْ﴾ بليتهم حين ابتلوا^(٣) ﴿إِلَّا أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال ابن جرير: والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم، اعتذاراً عما سلف منهم من الشرك بالله، ﴿إِلَّا أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن مطرف، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: يا ابن عباس، سمعت الله يقول: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: أما قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: أما قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة، إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجحد فيجحدون، فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم، ولا يكتمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه (٤٠).

وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَن يَسْتَعِعُ إِلَيْكُ وَجَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقُرَّ وَإِن يَرَوَّا كُلَ مَايَةٍ لَا يُوْمِئُوا بِمَا ﴾ أي: يجيئون ليستمعوا قراءتك، ولا تجزي عنهم شيئاً لأن الله ﴿ جعل على قلوبهم أكنة ﴾ أي: أغطية، لئلا يفقهوا القرآن ﴿ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرَّا ﴾ أي: صمماً عن السماع النافع لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الّذِينَ كَفُرُوا كَمَثُلِ الّذِي يَنْعِقُ عِمَا لَا يَسْمَعُ إِلّا دُعَانَهُ وَنِدَاءً صُمَّمُ بَكُمُ عُمَى فَهُم لا يَعْقِلُونَ ﴿ وَهَمَثُلُ الّذِينَ كَفُرُوا كَمَثُلِ الّذِي يَنْعِقُ عِمَا لا يَشْمَعُ إِلّا دُعَانَهُ وَنِدَاءً صُمَّمُ بَكُمُ عُمَى فَهُم لا يَعْقِلُونَ ﴿ وَلَا إِلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللهِ اللهِ عندهم ولا إنصاف، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ السّمَعَهُمُ لَوَلُوا وَهُم مُعْرِضُونَ ﴾ [الانفال].

وقوله تعالى: ﴿حَقَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَدِلُونَكَ ﴾ أي: يحاجوك ويناظرونك، في الحق بالباطل، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ هَذَاۤ إِلَّاۤ أَسَطِيرُ ٱلْأُولِينَ ﴾ أي: ما هذا الذي جئت به، إلا مأخوذاً من كتب الأوائل، ومنقولاً عنهم، وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ في معنى ينهون عنه قولان:

(أحدهما): أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والانقياد للقرآن،

⁽۱) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، وسنده منقطع لأن عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه، وعثمان ضعيف.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

⁽٦) زيادة من (مح) و(حم).

﴿وَيَنْعَوْنَ عَنَّهُ ﴾ أي: ويبعدون هم عنه، فيجمعون بين الفعلين القبيحين، لا ينتفعون ولا يدعون أحداً ينتفع.

وقال محمد بن الحنفية: كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ وينهون عنه (٢)، وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد (٣)، وهذا القول أظهر، والله أعلم، وهو اختيار ابن جرير.

(والقول الثاني): رواه سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ قال: نزلت في أبي طالب، كان ينهى الناس عن النبي على أن يؤذى (٤)، وكذا قال القاسم بن مخيمرة (٥)، وحبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن دينار، وغيره، أنها نزلت في أبي طالب (٢).

وقال [سعيد بن أبي هلال] نزلت في عمومة النبي على وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر (٨)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال محمد بن كعب القرظى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنَّهُ ﴾ أي: ينهون الناس عن قتله (٩).

وقوله: ﴿وَيَتَغَرَّكَ عَنَّهُ﴾ أي: يتباعدون منه ﴿وَإِن يُهَلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يهلكون بهذا الصنيع، ولا يعود وباله إلا عليهم، وهم لا يشعرون.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَ النَّارِ فَقَالُوا يَلْتِلْنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ جِائِنتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ النَّفِينِينَ ﴿ بَلَ بَدَا لَمُ مَنَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَمَا مُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ وَقَالُوا إِنَ هِي إِلَا حَيَالُنَا الدُّنْيَا وَمَا كَانُوا يَخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِهِمْ قَالَ أَلْيَسَى هَذَا بِالْعَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِيَّا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ مِنَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ فَي اللَّهُ مَا لَكُنْ اللَّهُ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ وَلَا لَكُونُوا الْعَذَابَ

يذكر تعالى حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك، قالوا: ﴿ يَلْيَتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم، وسنده مرسل.

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإبهام شيخ حبيب، ويتقوىٰ بالمراسيل التالية.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن القاسم لكنه مرسل ويتقوى بالمرسل التالى.

⁽٦) قول عطاء بن دينار أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي أيوب عنه، لكنه مرسل.

⁽٧) كذا في (مح) و(حم) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل: «سعيد بن جبير أبي هلال».

 ⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن سعيد بن أبي هلال وفي سنده ابن لهيعة فيه مقال ولم يصرح بالسماع، والرواية مرسلة.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي معشر السندي عن محمد بن كعب وسنده ضعيف لضعف السندي ويتقوى بالآثار السابقة.

مِعَايَتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا، ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يكذبوا بآيات ربهم، ويكونوا من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ [مِن قَبْلُ ﴾ أي: بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في آ^(۱) أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبله بيسير ﴿ثُمَّ لَرَ تَكُن فِتنَبُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُمَّا مُشْرِكِينَ الله الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبله بيسير ﴿ثُمَّ لَرَ تَكُن فِتنَبُهُمْ إِلَا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبِّنا مَا كُمَّا مُشْرِكِينَ الله الدنيا أو في الآنعام: ٢٠، ٢٤] ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم، من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه، كقوله مخبراً عن موسى، أنه قال لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمَتَ مَا أَزَلَ هَتَوُلَا عِلاً رَبُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلأَرْضِ بَصَآبِرَ ﴾ الآية [الإسراء: موسى، أنه قال لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمَتَ مَا أَزَلَ هَتَوُلَا عِهَا وَاسْتَقَنَتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا ﴾ [النمل: ١٤].

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين، الذين كانوا يظهرون الإيمان للناس ويبطنون الكفر، ويكون هذا إخباراً عما يكون يوم القيامة، من كلام طائفة من الكفار، ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة [مكية](٢)، وهي العنكبوت، فقال: ﴿وَلِيَعُلَمَنَّ اللهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَ اللهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْعُلَمَنَ اللهُ الله الما المنافقين في الدار الآخرة، حين المنافقين في الدار الآخرة، حين يعاينون العذاب، فظهر لهم حينتذ غبُ ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق، والله أعلم.

وأما معنى الإضراب، في قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَمُم مّا كَانُوا يُخَفُونَ مِن قَبَلُّ ﴾ فإنهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان، بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه، جزاء على ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليتخلصوا مما شاهدوا من النار، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا لَكُفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليتخلصوا مما شاهدوا من النار، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَلِبُونَ ﴾ أي: في طلبهم الرجعة، رغبة ومحبة في الإيمان، ثم قال مخبراً عنهم أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، من الكفر والمخالفة.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكُذِبُونَ ﴾ أي: في قولهم ﴿ يَلَيْنَا نُرَدُ وَلَا نَكَذِب فِايَتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُوْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَالُنَا اللَّهُ إِلَا حَيَالُنَا اللَّهُ إِلَّا حَيَالُنَا اللَّهُ إِلَا هذه الحياة الدنيا ثم لا معاد بعدها ، ولهذا قال: ﴿ وَمَا نَحَنُ بِمَبّعُوثِينَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَوْ اللَّهُ مِنَا اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

﴾ ﴿ وَقَدْ خَسِرَ ٱلَذِينَ كَلَنُهُواْ بِلِقَانِهِ ٱللَّهِ حَقَّىٰ إِذَا جَاءَتُهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةُ قَالُواْ يُحَسِّرَنَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْذَارُهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمُّ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۞ وَمَا ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَاۤ إِلَّا لَهِبُّ وَلَهُوُّ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرُ لِلدِّينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ۞﴾.

يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بلقائه، وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وعن ندامته على ما فرط من العمل، وما أسلف من قبيح الفعل، ولهذا قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَلَمَتُهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةُ قَالُواْ

⁽١) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح) و(عش).

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل بياض.

يُحَسَّرَنَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطَنَا فِيهَا﴾ وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة، وعلى الأعمال وعلى الدار الآخرة؛ أي: في أمرها، وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: يحملون، وقال قتادة يعملون (١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن [عمرو] (٢) بن قيس، عن أبي مرزوق، قال: يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره، كأقبح صورة رآها وأنتنه ريحاً، فيقول من أنت؟ فيقول: أو مَا تعرفني، فيقول: لا والله، إلا أن الله قبّح وجهك، وأنتن ريحك، فيقول: أنا عملك الخبيث، هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه، فطالما ركبتني في الدنيا هلم أركبك، فهو قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ الآية (٣).

وقال أسباط، عن السدي أنه قال: ليس من رجل ظالم يدخل قبره، إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسود اللون، منتن الريح، وعليه ثياب دنسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك؟ قال: كذلك كان عملك أقبح وجهك؟ قال: كذلك كان عملك منتناً، قال: ما أدنس ثيابك؟ قال: فيقول: إن عملك كان دنساً، قال له: من أنت؟ قال: عملك، قال: فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، وأنت اليوم تحملني، قال: فيركب على ظهره، فيسوقه حتى يدخله النار، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمُ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٤).

وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَا لَعِبُّ وَلَهُوَُّ﴾ أي: إنها غالبها كذلك ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَّقُونَ أَفَلَا تَمْقِلُونَ﴾.

﴿ وَلَكُ الطَّالِمِينَ بِعَايَتُ اللَّهِ كَيَحُرُنُكَ اللَّهِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِبُونَكَ وَلَكِنَ الطَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿ وَلَقَدْ كُذِبَتُ رُسُلُّ مِن قَبَلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُودُوا حَقَّ النَّهُمْ نَصَرُاً وَلَا مُبَدِلَ لِكَلِمَتِ اللَّهُ وَلَقَدَ كُذِبَاتُ رُسُلُّ مِن نَبَاعِي اللَّهُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَلِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْنَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهُم بِعَايَةُ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى اللَّهُدَى فَلَا تَكُونَنَ مِنَ الْجَهِلِينَ ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعُهُمْ عَلَى اللَّهُدَى فَلَا تَكُونَنَ مِنَ الْجَهِلِينَ ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعُونَ ﴿ وَلَوْ اللَّهُ لَكُونَ اللَّهُ لَكُونَ مِنَ الْجَهِلِينَ ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَكُونَ اللَّهُ اللَّهُ مُنَا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ مُمَّ اللَّهُ مُمْ اللَّهُ مُمَّ اللَّهُ يُرْجَعُونَ ﴿ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه ﴿ فَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحُرُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ﴾ أي: قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك، وحزنك وتأسفك عليهم، كقوله: ﴿ فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتٍ ﴾ [فاطر: ٨] كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ لَمَلَكَ بَنْ خُو فَمَسُكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمَلَكَ بَنْ خُو فَلَمَلَكَ بَنْ عَلَى عَلَيْهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَقًا ﴿ فَالَكِهِمْ وَقُولُهُ : وقوله: ﴿ فَإِنْهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أي: لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ﴿ وَلَكِنَّ الظّلِمِينَ بِعَايَتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح) وتفسير ابن أبي حاتم، وفي الأصل صُحفت إلى: «معمر».

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الإعضال وضعف أبي مرزوق كما في «التقريب» وهو لم يدرك أحداً من الصحابة.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي وسنده حسن لكنه مرسل.

أي: ولكنهم يعاندون الحق، ويدفعونه بصدورهم، كما قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن علي، قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِتَايَتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴿ ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة، حدثنا بشر بن المبشر الواسطي، عن سلام بن مسكين، عن أبي يزيد المدني، أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه، فقال له رجل: ألا أراك تصافح هذا الصابى؟ فقال: والله إني لأعلم إنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً؟ وتلا أبو يزيد ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّلِينَ بِعَايَتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٢).

وقال أبو صالح وقتادة: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون (٣).

وذكر محمد بن إسحاق عن الزهري في قصة أبي جهل، حين جاء يستمع قراءة النبي هم الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب، والأخنس بن شريق، ولا يشعر أحد منهم بالآخر، فاستمعوها إلى الصباح، فلما هجم الصبح تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء به، ثم تعاهدوا أن لا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم، ظناً أن صاحبيه لا يجيئان، لما سبق من العهود، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لا يعودوا، فلما كانت الليلة الثالثة جاؤوا أيضاً، فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت ثم محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا بني يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه (ع).

وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله: ﴿ قَدْ نَمْلُمُ إِنَّهُ لِيَحْرُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ۚ فَإَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّلِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿ لَمَا كَانَ يُوم بدر، قال الأخنس بن شريق لبني رُهُرة: يا بني زهرة إن محمداً ابن أختكم فأنتم أحق من ذب عن ابن أخته، فإنه إن كان نبياً لم

⁽١) وتعقبه الذهبي بأن ناجية لم يخرجا له شيئاً (المستدرك ٢/٣١٥)، ولا يضر لأن ناجية بن كعب: ثقة كما في «التقريب».

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده مرسل.

⁽٣) قول أبي صالح أخرجه الطبري بسند صحيح إلى أبي صالح لكنه مرسل لأن فيه: جاء جبريل إلى النبي ﷺ... وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وسنده صحيح.

⁽٤) سيرة ابن هشام (١/٧٠٧) وسنده مرسل، ويتقوى بلاحقه.

وقوله: ﴿وَلَقَدُ جَآءَكَ مِن نَبَائِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من خبرهم، كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة. ثم قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كُبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: إن كان شق عليك إعراضهم عنك ﴿وَإِن ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْنَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: النفق السرب، فتذهب فيه فتأتيهم بآية، أو تجعل لك سلماً في السماء، فتصعد فيه فتأتيهم بآية، أفضل مما آتيتهم به فافعل^(٢).

وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما (٣).

وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَئَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَا مَكُونَنَّ مِنَ الْجَهِلِينَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَا مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَيِيعًا ﴾ الآية [يونس: ٩٩].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَئَ ﴾ قال: إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونً﴾ أي: إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه، كقوله: ﴿ لِيُمُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ ﴿ ﴾ [يس].

⁽١) أخرجه الطبري بسند حسن لكنه مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

وقوله: ﴿ وَٱلْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمُ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يعني: بذلك الكفار، لأنهم موتى القلوب، فشبههم الله بأموات الأجساد، فقال: ﴿ وَٱلْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم.

َ هُوَقَالُوا لَوَلَا نُزِلَ عَلَيْهِ مَايَةٌ مِن رَبِهِ عُلَّ إِنَّ اللَّهَ قَادِرُ عَلَىٓ أَن يُنَزِلَ مَايَةُ وَلَكِنَ أَكَ مُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَلَيْمِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمُ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي ٱلْكِتَبِ مِن شَيْءً ثُمَّ إِلَا أُمَّمُ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي ٱلْكِتَبِ مِن شَيْءً ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُعْشَرُونَ ﴾ وَالَذِينَ كَذَبُوا بِعَايَنِتِنَا صُعُرٌ وَبُكُمٌ فِي ٱلظَّلُمَنَةِ مَن يَشَا اللَّهُ يُعْمَلِلَهُ وَمَن يَشَأَ فِي الظَّلُمَنَةِ مَن يَشَا اللَّهُ يُعْمَلِلَهُ وَمَن يَشَأَ

يقول تعالى مخبراً عن المشركين، أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه، أي خارق على مقتضى ما كانوا يريدون، ومما يتعنتون كما قالوا: ﴿ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَى تَغَجُّر لَنا مِن ٱلْأَرْضِ على مقتضى ما كانوا يريدون، ومما يتعنتون كما قالوا: ﴿ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَى تَغَجُر لَنا مِن ٱلْأَرْضِ يَلْمُوعا ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات ﴿ قُلْ إِنَ اللّه قَادِرُ عَلَى آن يُمْرِّلُ مَايَةً وَلَكِنَ آكَثَرُهُم لَا يَعْلَمُون ﴾ أي: هو تعالى قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك، لأنه لو أنزل وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ إِلْآيَكِ لِي اللّهُ وَمَا نُرْسِلُ إِلّا عَنْوِيفًا ﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ اللّهُ عَلْمُولُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلشّمَاءِ عَايَة فَطُلَمُوا يَها وَمَا نُرْسِلُ بِاللّهُ وَالشعراء].

وقوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِمِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمُ ٱمْثَالُكُم ﴾ قال مجاهد: أي أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها (١).

وقال قتادة: الطير أُمة، والإنس أُمة، والجن أُمة (٢). وقال السدي: ﴿إِلَّا أُمُّم أَمَّالُكُم ﴾ أي: خلق أمثالكم (٣).

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد، حدثني محمد بن عيسى بن كيسان، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: قلّ الجراد في سنة من سني عمر في التي ولي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتمّ لذلك، فأرسل راكباً إلى كذا، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق، يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه، فلما رآها كبر

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

ثلاثاً، ثم قال: سمعت رسول الله على يقول: «خلق الله على ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه»(١).

وقوله: ﴿ ثُمَّةً إِلَىٰ رَبِّهِم يُعَشَرُونَ ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم يُعُشَرُونَ ﴾ قال: حشرها الموت (٢)، وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: موت البهائم حشرها، وكذا رواه العوفي عنه (٣)، قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد والضحاك مثله (٤).

(والقول الثاني): إن حشرها هو يوم بعثها يوم القيامة، لقوله: ﴿وَإِنَا ٱلْوَحُوشُ حُشِرَتَ ﴿ وَالتَكوير] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن منذر الثوري، عن أشياخ لهم، عن أبي ذر، أن رسول الله على رأى شاتين تنتطحان، فقال: «يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟» قال: لا، قال: «لكن الله يدري وسيقضي بينهما» (٥٥ ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن الأعمش، عمن ذكره، عن أبي ذر، قال: بينا نحن عند رسول الله على إذ انتطحت عنزان، فقال رسول الله على: «أتدرون فيم انتطحتا؟» قالوا: لا ندري، قال: «لكن الله يدري وسيقضي بينهما» رواه ابن جرير (٢٠)، ثم رواه من طريق منذر الثوري، عن أبي ذر، فذكره، وزاد: قال أبو ذر: ولقد تركنا رسول الله على وما يقلب طائر جناحيه في السماء، إلا ذكر لنا منه علماً.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، في قوله: ﴿إِلَّا أُمُّمُ أَمْنَالُكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَبِ مِن شَيْءِ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُعْشَرُونَ ﴾ قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذ، أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كوني تراباً، فلذلك يقول الكافر ﴿يَلْيَتَنِي كُنْتُ ثُرَباً ﴾ (٩) [النبأ: ٤] وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور.

⁽١) ضعفه الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ١/ ٣٠)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه الطبري من الطريقين، وطريق عكرمة يقوي طريق العوفي.

⁽٤) ذكرهما ابن أبى حاتم بحذف السند.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوهُ بالمتابعة (المسند ٣٥/ ٣٤٥ ح٢١٤٣٨).

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وأخرجه الطبري من طريق عبد الرزاق به.

⁽٧) كذا في المسند، وفي الأصل: و(مح) و(حم) و(عش): حجاج بن نصر، وحجاج بن نصير مترجم في«التقريب» وهو ضعيف.

⁽٨) أخرجه عبد الله في زوائده على المسند بسنده ومتنه، وقال محققوه: حسن لغيره (المسند ١/ ٥٤٢ ح٠٢٥).

⁽٩) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِخَايَتِنَا صُمُّ وَبُكُمُ فِي الظُّلُمَتِ اِيَ مثلهم في جهلهم، وقلة علمهم، وعدم فهمهم. كمثل أصم، وهو الذي لا يسمع، أبكم وهو الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه، كقوله: ﴿مَثَلُهُمُ طَلَمَاتِ لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه، كقوله: ﴿مَثَلُهُمُ كَمَثُلِ الَّذِي السَتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتُ مَا حَوْلُمُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمَ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَتِ لَا يُبْعِرُونَ ۚ ﴿ مُثَلُهُمُ عُمَّ مُ عَمِّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ وَالبقرة] وكما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَتِ فِي بَعْرِ لُجِي يَغْشَلُهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ عَابُ ظُلُمَتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُ لَرَ يَكَذَّ بَرَنَهَا وَمَن لَا يَجْعَلُ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَن نُورٍ ﴿ فَي الله عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ والمتصرف في خلقه بما يشاء.

يخبر تعالى أنه الفعّال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا معقب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء، ولهذا قال: ﴿قُلُ أَرَءَيْنَكُمُ إِنَّ أَتَنكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنكُمُ السَّاعَةُ ﴾ أي: أتاكم هذا أو هذا ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُم صَدِقِينَ ﴾ أي: لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على رفع ذلك سواه، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُم صَدِقِينَ ﴾ أي: في اتخاذكم آلهة معه ﴿بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكَشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءً وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ إِن هَا أَي في وقت الضرورة، لا تدعون أحداً سواه، وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَكُمُ الفُرُ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيّالُهُ ﴾ الآية [الإسراء: ١٧].

وقوله: ﴿وَلَقَدُ أَرْسُلُنَا إِلَىٰ أُمُرِ مِن قَبْلِكَ فَأَخَذَنَهُم بِالْبَاْسَاءِ ﴾ يعني: الفقر والضيق في العيش، ﴿وَالْفَرْزَةِ ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَهُم بَقَنْرَعُونَ ﴾ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك، تضرعوا إلينا وتمسكنوا لدينا، ولكن ﴿فَسَتَ قُلُوبُهُم ﴾ أي: ما رقت ولا خشعت ﴿وَرَيّنَ لَهُمُ الشّيطُكُنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: من الشرك والمعاندة والمعاصي، ﴿فَلَمّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِدِ ﴾ أي: فتحنا أي: أعرضوا عنه وتناسوه، وجعلوه وراء ظهورهم، ﴿فَتَحْنَا عَلِيَهِمُ أَبُوبَ كُلِّ شَيء أي أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذاً بالله من عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذاً بالله من مكره، ولهذا قال: ﴿حَقَى إِذَا هُم مُبْلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من كل خير.

قال الوالبي عن ابن عباس: المبلس الآيس (١).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة الوالبي به.

وقال الحسن البصري: من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبُوبَ كُلِّ شَيءٍ حَتَى اللهُ يَخُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذَنَهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبَلِسُونَ ﴿ قَالَ: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا (١)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً قط، إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون (٢)، رواه ابن أبي حاتم أيضاً.

وقال مالك، عن الزهري: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبُوْبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: رخاء الدنيا ويسرها.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين _ يعني: ابن سعد أبا الحجاج المهري _، عن حرملة بن عمران التُجيبي، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، عن النبي على قال: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رســول الله على: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِدِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم آبُوبَ كُلِ شَيْءٍ حَتَى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُونُوا أَخَذَنهُم بَغْتَهُ فَإِذَا هُم مُّبَلِسُونَ ﴿ فَكَ مَ الله على عامر به (١٠) لهيعة، عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به (١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عراك بن خالد بن يزيد، حدثني أبي، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله على كان يقول: «إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً، فتح لهم ـ أو فتح عليهم ـ باب خيانة» (٥٠).

﴿ حَتَّىٰۤ إِذَا فَرِحُواْ بِمَاۤ أُونُوآ أَخَذَنَهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبَلِسُونَ﴾ كــمــا قـــال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواً وَٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَنَهِينَ ۞﴾.

﴿ وَأَلَ أَرَءَيْتُمْ إِنَ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَدَرُكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَّنَ إِلَهُ عَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرَ كَمْ مَنَ إِلَهُ عَدَابُ اللّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلَّ كُمْ إِنَّ الْنَكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلَ يُعْلَكُ إِلّا اللّهَوْمُ الظّلِمُونَ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينٌ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْرُونُونَ ﴾ .

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المكذبين المعاندين: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَدَرَكُمُ ﴾ أي: سلبكم إياها كما أعطاكموها. فإنه ﴿هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمُ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَصْدَرَ وَإِلْمَا عَنْ مَنع الانتفاع بهما، ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن الحسن البصري.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٤٥)، وفي سنده رشدين بن سعد وهو ضعيف، وقد توبع في رواية الطبري فقد أخرجه عن أبي الصلت عن حرملة، وصححه الألباني كما يلي.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة وابن حرملة وقد توبع ابن لهيعة كما في الرواية السابقة في المسند وتفسير الطبري، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٤١٣).

⁽٥) سنده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي عبلة وعبادة بن الصامت.

الانتفاع الشرعي، ولهذا قال: ﴿وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُم ﴾ كما قال: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَدَ ﴾ [يونس: ٣١] وقال: ﴿وَأَعْلَمُواْ أَكَ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْدِهِ ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقوله: ﴿مَّنَ إِلَهُ غَيْرُ ٱللّهِ يَأْتِيكُم بِدِ ﴾ أي: هل أحد غير الله يقدر على ردّ ذلك إليكم، إذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحد سواه، ولهذا قال: ﴿أَنظُر كَيْفُ نُصَرِفُ ٱلْآينَتِ ﴾ أي: نبينها ونوضحها ونفسرها، دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصَدِفُونَ ﴾ أي: ثم هم مع هذا البيان، يعرضون عن الحق، ويصدّون الناس عن اتباعه.

قال العوفي، عن ابن عباس: يصدفون أي يعدلون (١).

وقال مجاهد وقتادة: يعرضون(٢).

وقال السدي: يصدّون "وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْءَيْتَكُمُّمْ إِنَ أَلْنَكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَفْتَةٌ أِي: وأنتم لا تشعرون به، حتى بغتكم وفجأكم، ﴿أَوْ جَهْرَةٌ ﴾ أي: ظاهراً عياناً، ﴿هَلَ يُهَلِكُ إِلّا ٱلْقَوْمُ ٱلظّٰلِلمُونِ ﴾ أي: إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ، وينجوا الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، كقوله: ﴿الّذِينَ اَمَنُوا وَلَمْ يَلِيسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَتِكَ هُمُ ٱلأَمْنَ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴿ وَهُ الْأَنْمَ وَهُ الْمَرْسَلِينَ إِلّا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام] ، وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلمُرْسَلِينَ إِلّا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أي: مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات، ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ عَامَنَ عَلَمْ مُ أَن الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات، ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ عَامَنَ عَلَيْمٍ ﴾ أي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر بالنسبة لما يستقبلونه ﴿ وَلا هُمْ يَحْرَنُونَ ﴾ أي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها، الله وليهم فيما خلفوه، وحافظهم فيما تركوه، ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ كُذَّبُوا بِعَايَتِنَا لِللهُ مُن أُوام الله وطاعته، وارتكبوا [من] (٤) محارمه ومناهيه وانتهاك حرماته.

﴿ وَلَ لَا اَتُولُ لَكُمْ عِندِى خَرَابِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكُ إِنَ أَنَيعُ إِلّا مَا يُحْتَى إِلَيْ مَا لَكُمْ عِندِى خَرَابِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَعْافُونَ أَن يُعْشَرُواْ إِلَى يُوحَى إِلَيْ فَلَ مَلْ يَسْتُوى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَنْفَكُونَ فَى وَأَنذِر بِهِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَذَوْةِ وَالْعَشِي رَبِّهِمْ لَيَسُولُوا اللّهِ مَن دُونِهِ وَلِنَّ وَلا شَفِيعٌ لَمَلَهُمْ يَنْفُونَ فَى وَلا تَظُرُو الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَادُوةِ وَالْعَشِي يُونُونَ وَجَهَمْ مَا عَلَيْكُ مِن حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِن حِسَابِهِ عَلَى اللّهُ بِالْقَلَامِينَ اللّهُ بِالْقَلَمُ اللّهُ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ فَتَكُونَ مِن اللّهُ بِأَعْلَمُ اللّهُ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ فَتَكُونَ مِن اللّهُ بِأَعْلَمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ بِأَعْلَمُ وَلَوْ اللّهُ عَلَيْهِم مِن اللّهُ بِأَعْلَمُ مَا عَلَيْهِم مِن اللّهُ بِأَعْلَمُ اللّهُ بِأَعْلَمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةُ أَنّهُم مِن عَيْدِينَ فَقُلْ سَلَمُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةُ أَنّهُم مِن مِن مُن يَقِيلُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةُ أَنّهُم مِن مِن مُن يَعْمَلُولُوا أَنْهُمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةُ أَنّهُمْ عَلَى مَنْهُ مِن مَنْ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُولُونَ وَجِمْهُ فَوْدُ رَحِيمُ فَى اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلْمُ لَا مُنْ مُنْ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ لَلْهُمْ عَفُولًا وَاللّهُ عَلْمُ لَا عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَابِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي: لست أملكها ولا

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ولم يخرجاه من طريق العوفي.

⁽٢) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٤) زيادة من (حم) و(مح).

قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة: المراد به الصلاة المكتوبة (١)، وهذا كقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ أَدْعُونِي آسَتَجِبُ لَكُو ﴾ [غافر: ٦٠] أي: أتقبل منكم. وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ وَجَهَةً ﴾ أي: يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات، وقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِهُ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ ﴾ كما قال نوح الله في وقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهُم إِلّا وَمَا عِنْ حِسَابِهُم وَن شَيْءٍ ﴾ كما قال نوح الله المحتواب] (٢) الذين قالوا: ﴿ أَنْوَمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ بَعْمَلُونَ ﴿ إِلَيْ حِسَابُهُم إِلّا عَلَيْ وَمَا مِن حسابهم من حسابهم على الله عَلَيْ وَلِيس علي من حسابهم من شيء، وقوله: ﴿ فَتَظُرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظّلِمِينَ ﴾ أي: إن علم من حسابهم من المحتواء الله عليه من حسابهم من حسابه من حسابه

قال الإمام أحمد: حدثنا أسباط _ هو: ابن محمد _، حدثني أشعث، عن كردوس، عن ابن مسعود: قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء فنزل فيهم القرآن ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٢) كذا في (عش) و(مح)، وسقط من الأصل.

إلى قوله: ﴿أَلْيَسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ ﴾(١).

ورواه ابن جرير من طريق أشعث، عن كردوس، عن ابن مسعود، قال: مرّ الملأ من قريش برسول الله ﷺ، وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين مَنّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَظْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَدَوْةِ وَٱلْمَشِيّ يُرِيدُونَ وَجَهَةً ﴾ ﴿وَكَا تَلُولُ اللّهِ الْحِر الآية (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي - وكان قاري الأزد - عن أبي الكنود، عن خباب، في قول الله على: ﴿وَلاَ تَظُرُو الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَدَفَةِ وَٱلْمَشِيّ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله على مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي على حقروهم في نفر في أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: ونعن فرغنا بأفكر الدين يَدْعُونَ فناحية، فنزل جبريل فقال: ﴿وَلاَ تَظُرُو الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْء وَمَا مِنْ حِسَابِك عَلَيْهِم مِن شَيْء وَمَا مِنْ حِسَابِك عَلَيْه مِن شَيْء وَمَا مِنْ حِسَابِك عَلَيْه مِن شَيْء ورواه ابن جرير من حديث أسباط به (٤)، وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

وقال سفيان الثوري، عن المقدام بن شريح عن أبيه، قال: قال سعد: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ، منهم: ابن مسعود، قال: كنا نستبق إلى رسول الله ﷺ وندنو منه، فقالت قريش: تدني هؤلاء دوننا، فنزلت ﴿وَلَا تَطَرُّدِ ٱلَّذِينَ يَدَّعُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَدَوْقِ وَٱلْمَشِيّ ﴾ (٥).

رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان، وقال: على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدام بن شريح به (٦).

وقوله: ﴿وَكَلَاكَ فَتَنَا بَعْضَهُم بِبَعْضِ﴾ أي: ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض، ﴿لِيَقُولُواْ أَهَـُـُؤُلَآءٍ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا ۗ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ، كان غالب من اتبعه في أول بعثته

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوه بالشواهد، (المسند ٧/ ٩٢ ح٣٩٨٥).

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن، ولكن في متنه غرابة أشار إليها الحافظ ابن كثير.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده نحوه، وحكمه كسابقه.

⁽٥) أخرجه مسلم من طريق الثوري به (الصحيح، فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص رها ٢٤١٣).

⁽٦) (المستدرك ٣/٣١٩)، والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ح٦٥٧٣).

ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل، وكما قال قوم نوح لنوح: ﴿وَمَا نَرَكُ اتَبَعَكَ إِلَّا الّذِيبَ هُمْ أَرَاذِلْنَا كَادِى الرَّأَى الرَّأَى الرَّأَى الآية [مود: ٢٧]، وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل، فقال له: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل(١)، والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، ويعذبون من يقدرون عليه منهم، وكانوا يقولون: ﴿أَهَتُولَاءٍ مَنَ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي: ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير، لو كان ما صاروا إليه خيراً ويدعنا، كقولهم: ﴿وَإِنَا نُتَنَا إِلَيْهِ [الأحقاف: ١١] وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَا نُتَنَا عَلَيْهِم عِنْ بَيْنَا فَلَا اللهِ تعالى في عَلَيْهُ [الرَّعَانَ الله تعالى في عواب ذلك ﴿وَرَّوَ اللهُ عَلَيْهُم مِن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنْنَا وَرِدًا إلله إلله إلى إلى عوابهم حين قالوا: ﴿أَهَتُولَاءٍ مِنَ الله عَلَيْهُم أَنْ أَنْسَا الله إلله إلى السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صوراع مستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَالَذِينَ جَهَدُواْ فِينَا لَهُمُ بِينَهُ الله المناكرين الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى الفور على المحديث الصحيح: "إن الله لا ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٢).

⁽١) القصة وردت في بداية صحيح البخاري (ح٧) من حديث ابن عباس ١١٠٠٠

⁽٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ح٢٥٦٤).

⁽٣) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل و(عش): يزيد بن أبي يزيد من غنيّ.

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل، وفيه أيضاً الحسين وهو ابن داود: ضعيف.

وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَنُمُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم، ولهذا قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَقْسِهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ شُوّءًا بِجَهَلَةٍ ﴾.

قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل(١).

وقال معتمر بن سليمان: عن الحكم بن أبان عن عكرمة، في قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَكَلَةِ ﴾ قال: الدنيا كلها جهالة (٢)، رواه ابن أبي حاتم ﴿ثُعُ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ أي: رجع عما كان عليه من المعاصي، وأقلع وعزم على أن لا يعود، وأصلح العمل في المستقبل، ﴿فَأَنَّهُمُ تَغُورٌ تَجِيدٌ ﴾.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان في قوله: ﴿ كُتُبُكُمْ عَلَى نَقْسِهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ قال: إنا نجد في التوراة عطفتين، أن الله خلق السموات والأرض، وخلق مائة رحمة، أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق، ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، قال: فبها يتراحمون، وبها يتعاطفون، وبها يتباذلون، وبها يتزاورون، وبها تحن الناقة، وبها تبح البقرة، وبها تثغو الشاة، وبها تتتابع الحيتان في البحر، فإذا كان يوم القيامة، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده، ورحمته أفضل وأوسع (٧)، وقد روي هذا مرفوعاً من وجه آخر (٨)، وسيأتي كثير من

ا تقدم نحوه وأمثاله في تفسير سورة النساء آية ١٧.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ثلاثة شيوخ عن معتمر بن سليمان به وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣١٣/٢) وسنده صحيح.

⁽٤) تقدم تخريجه من الصحيحين في الآية ١٢ من هذه السورة.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وترجمة الحكم، وفي الأصل: «وأبان» وهو تصحيف.

⁽٦) سنده حسن إذ له شواهد في سابقه في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري في آخره (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُعُوا ۗ يُومَيِزِ نَاضِرَةً ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة] ح٧٤٣٩).

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٨) أخرجه مسلم مرفوعاً من حديث سلمان ﷺ، (الصحيح، التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى ح٢٧٥٣).

الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتَ كُلُّ شَيْءٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضاً، قوله ﷺ لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ثم قال: «أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم وقد رواه الإمام أحمد: من طريق كميل بن زياد، عن أبي هريرة ﷺ (١).

﴿ وَكَذَالِكَ نَفَصِلُ ٱلْآيَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْمِينَ ﴿ قُلَ إِنِي نَهُيتُ أَنَ أَعَبُدَ ٱلَذِينَ تَدَعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهُ قُلُ إِنَّ أَنَهُ ٱلْمَاكِثُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿ قُلُ إِنِي عَلَى بَيِنَتَو مِن رَبِّي دُونِ ٱللَّهُ قُلُ لَا يَلْعُ مَن الْمَعْقَدِينَ ﴾ قُلُ إِنَ عَلَى بَيْنَةِ مِن رَبِّي وَكَذَبُهُ بِدِدً مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِن ٱلْمُكْمُ إِلَّا بِلَّهِ يَقُصُ ٱلْحَقِّ وَهُو خَبْرُ ٱلْفَصِلِينَ ﴾ قُل لَوْ وَكَذَبُ مِن الْحَقْقُ وَهُو خَبْرُ ٱلْفَصِلِينَ ﴾ قُل لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِي ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وَاللّهُ أَعْلَمُ إِلَنَا لِيلِهِ وَهُو مَنْ أَلْفَالِمِينَ ﴾ وَعَندَهُ مَفَاتِحُ أَنْ عِندي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِي ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وَاللّهُ أَعْلَمُ إِلَا لِلْعَلِيدِينَ ﴾ وَعَندَهُ مَفَاتِحُ أَنْ عَندَهُ مَفَاتِحُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْهَرِ وَٱلْبَحْرُ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَفَةٍ إِلّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى أَلْمُنْ بَنِينٍ ﴾ وَكَانِمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كِنَامٍ مُبِينٍ ﴾ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَفَةٍ إِلّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى خُلُكُ مُنْ إِلّهُ عَلَى كَالِمُ وَلَا يَالِهُ فِي كِنَامٍ مُبِينٍ ﴾ .

يقول تعالى: وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل، على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد، ﴿وَكَذَلِكَ نُعُصِّلُ ٱلْآيِكِ أَي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ أَي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل، وقرئ ﴿ولتستبين سبيلَ المجرمين ﴿أي: ولتستبين يا محمد، أو يا مخاطب سبيل المجرمين، وقوله: ﴿قُلَ إِنِي عَلَى بَيِنَةِ مِن رَّقِ اَي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إلي ﴿وَكَذَبْتُهُ بِهِ اللهِ أَي: بالحق الذي جاءني من الله ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجُلُونَ بِهِ أَي: من العذاب ﴿إِنِ ٱلمُحَكِّمُ إِلّا بِلَّهِ ﴾ أي: إنما يرجع أمر ذلك إلى الله، إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم، لما له في ذلك من الحكمة العظيمة، ولهذا قال: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْعَصِلِينَ ﴾ أي: وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين في الحكم بين عباده.

وقوله: ﴿ قُلُ لَوَ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَمْجِلُونَ بِهِ. لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ﴾ أي: لو كان مرجع ذلك إليّ، لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك، والله أعلم بالظالمين.

⁽١) الحديث تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١.

⁽٢) وكلتاهما قراءتان متواترتان. (٣) هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد.

فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (١)، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»(٢) وهذا لفظ مسلم.

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً، فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، ﴿قُلُ أَصَلَ بَعْنِى مَا تَسْتَعْطِونَ بِهِ لَقُضِى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظّلِيدِي ﴿ فَالْجُوابِ وَالله أَعْلَمُ اللّهِ عَلَى الله وقوع العذاب، الذي يطلبونه حال طلبهم له، أعلم، أن هذه الآية دلت، على أنه لو كان إليه وقوع العذاب، الذي يطلبونه حال طلبهم له، لأوقعه بهم، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين، وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً، فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْعَيْبِ لَا يَعْلَمُهَاۤ إِلَّا هُوَ ﴾ قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله على قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلَمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُغَرِّكُ الْعَيْثُ وَيَعْدُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَقْشُ مَاذَا تَكُسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَقْشُ بِأَي آرَضِ تَعُوتً إِنَّ ٱللّهَ عَلَيْ فَيْ اللّهُ عَلَيْ وَمَا تَدْرِى نَقْشُ مَاذَا تَكُسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَقْشُ بِأَي آرَضِ تَعُوتً إِنَّ ٱللّهَ عَلَيْ خَبِيرُ شَهُ القَان] (٣) وفي حديث عمر: أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي، فسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان، فقال له النبي على فيما قاله له: «خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية (٤).

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي: محيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بريها وبحريها، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما أحسن ما قال الصّرصري:

فلا يخفى عليه الذر إمّا تراءى للنواظر أو توارى وقوله: ﴿وَمَا تَسَقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآبِنَةَ الْأُعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ ﴿ اللهِ المادِيةِ اللهِ اللهِ المادِيةِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُو

وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، حدثنا حسان النمري، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال: ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها، يكتب ما يسقط منها(٥)، وقوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَكِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِنَبٍ أَبِينٍ﴾.

⁽١) هما جبل أبو قبيس والجبل الذي يقابله وبينهما الكعبة المشرفة.

⁽٢) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين (ح٣٢٣١)، وصحيح مسلم، الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (ح١٧٩٥).

⁽٣) صَحيح البخاري، التفسير، باب ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَاۤ إِلَّا هُوُّ﴾ [الأنعام: ٥٩] (ح٤٦٢٧).

⁽٤) صحيح البخاري، الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (ح٥٠).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده حسان النمري ذكره البخاري وسكت عنه (التاريخ الكبير ٣/ ٣٥).

[قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري، حدثنا مالك بن سُعير، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة، إلا وعليها ملك موكل، يأتي الله بعلمها، رطوبتها إذا رطبت، ويبوستها إذا يبست^(۱). وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني، عن مالك بن سعير به (۲).

ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن أبي حذيفة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن قيس، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: خلق الله النون وهي الدواة، وخلق الألواح، فكتب فيها أمر الدنيا، حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق، أو رزق حلال أو حرام، أو عمل بر أو فجور، وقرأ هذه الآية ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ إلى آخر الآية](١٥)(٤) قال محمد بن إسحاق: عن يحيى بن النضر، عن أبيه، سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن، ما لو أنهم ظهروا، _ يعني لكم _، لم تروا معهم نوراً على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله كل على كل خاتم ملك من الملائكة، يبعث الله كل إليه في كل يوم ملكاً من عنده أن احتفظ بما عندك(٥).

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَنَوَفَنَكُم بِالْيَلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم وَالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمَّى ثُمَّ إِلَيْهِ مِرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَيِّثُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِةً وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَقَّ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ وَقَاتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۞ ثُمَّ رُدُّواً إِلَى اللَّهِ مَوْلَئُهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحَكَمُ وَهُو أَسْرَعُ الْحَسِينَ ۞﴾.

يخبر تعالى أنه يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿إِذَ مُتَوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى: ﴿اللهُ يَبَوَفَى ٱلأَنفُس حِينَ مَوْتِهِكَ وَالْتِي لَتُم تَمُت فِي مَنَامِهِكَ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأَخْرَىٰ إِلَى أَجَلِ مُسَمَّى ﴾ [الزمر: ٤٢] فذكر في هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر في هذا المقام، حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى فقال: ﴿وَهُو ٱلَّذِى يَتَوَفَّنَكُم بِالتّلِ وَيَعلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنّهَارِ ﴾ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وحال حركتهم، كما قال: ﴿سَوَآهٌ مِنكُم مَنْ أَسَرَ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَهَالَ لِشَكْمُوا فِيهِ وَالقصص: ٣٧] أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضَلِهِ ﴾ [القصص: ٣٧] أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضَلِهِ ﴾ [القصص: ٣٧] أي:

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف كما في «التقريب».

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده، وحكمه كسابقه.

⁽٣) ما بين معقوفين ورد في الأصل بعد رواية ابن إسحاق والمثبت من (حم) و(مح).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفيه إبهام شيخ عمرو بن قيس، وتعليق ابن أبي حاتم.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق به، وفي سنده عنعنة ابن إسحاق، والمتن فيه غرابة، وكأنه من أخبار بني إسرائيل ضمن الزاملتين اللتين أتىٰ بهما عبد الله بن عمرو من اليرموك.

في النهار كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلِّيَلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۞﴾ [النبأ] ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿وَهُو ٱلَّذِى يَتَوَفَّلَكُم بِٱلِّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: ما كسبتم من الأعمال فيه ﴿ثُمُّ يَبْعَنُكُمْ فِيهِ﴾ أي: في النهار، قاله مجاهد وقتادة والسدي(١).

وقال ابن جريج: عن عبد الله بن كثير؛ أي: في المنام (٢). والأول أظهر، وقد روى ابن مردويه بسند: عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي على قال: «مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرده إليه، فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رد إليه» فذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّلُكُم إِلَّيْلِ ﴾ (٢).

وقوله: ﴿حَقَّةَ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحان أجله ﴿تَوَفَتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: ملائكة موكلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة (٤)، يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم، وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿يُكَبِّتُ اللّهُ الّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثّابِ البراهيم: ٢٧] الأحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷺ، إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياذاً بالله من ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّواً إِلَى اللَّهِ مَوْلَلَهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن جرير: ﴿ثُمَّ رُدُّوا ﴾ يعني: الملائكة (٥) ﴿إِلَى اللّهِ مَوْلَلَهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، هذه عن النبي على أنه قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان،

⁽۱) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن جريج عن عبد الله بن كثير بلفظ: «ليقضي أجل مدتهم».

⁽٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طرق عن إبراهيم النخعي عن ابن عباس.

⁽٥) ذكره الطبري بدون سند.

فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقال فلان، فيقال مرحباً بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله كان وإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح، فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول، ويجلس الرجل السوء، فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول، ويجلس الرجل السوء، فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول،

هذا حديث غريب، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّواً﴾ يعني: الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة، فيحكم فيهم بعدله، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴿ فَهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمَلِّي اللَّهُ اللّ

﴿ وَأَلَ مَن يُنجِيكُم مِن ظُلُمُنتِ ٱلْبَرِ وَٱلْبَحْرِ تَدَعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفَيَةً لَمِن أَنجَننَا مِن هَلَاهِ لَتَكُونَنَ مِنَ الْشَكِرِينَ ﴿ قُلَ مُو الْفَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ الشَّكِرِينَ ﴾ قُل هُو الْفَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ الشَّكِرِينَ ﴾ فَا لَهُو الْفَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِينَ بَمْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُر كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَنتِ لَعَلَّهُمْ عَلَىٰ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللْمُلْمُ اللللِمُ الللللْمُ اللللْمُولِلْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُولَامُ اللللْمُ اللللْمُ

يقول تعالى ممتناً على عباده، في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر؛ أي: الحائرين الواقعين في المهامه البرية، وفي اللجج البحرية، إذا هاجت الرياح العاصفة، فحينئلا يفردون الدعاء له وحده لا شريك له، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَكُمُ الفَّرُ فِي الْبَحْوِ ضَلَ مَن تَدَعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا يَعْرَدُونَ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ الللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وقـولـه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ لـمـا قــال ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ

⁽١) كذا في (عش) و(مح) والمسند، وفي الأصل: «فيستفتح فيفتح».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه محققوه (المسند ١٤/٣٧٨ ح٢٩٨٩).

قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن مسلم بن إبراهيم، حدثنا هارون الأعور، عن حفص بن سليمان عن الحسن في قوله: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحَتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ قال: هذه للمشركين (١).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قُلَّ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لأمة محمد ﷺ وعفا عنهم (٢).

ونذكر هنا الأحاديث، الواردة في ذلك والآثار، وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة.

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه معلقاً ووصله الطبري من طريق ابن المبارك عن هارون به. والصواب أنها عامة كما سيأتي.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح به، وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير ح٢٦٢٨).

⁽٤) صحيح البخاري، التوحيد، باب قولَ الله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَّهَمُّمُ﴾ [القصص: ٨٨] (ح٧٤٠٠)، والسنن الكبرى للنسائي (ح١١٦٥)، ومسند الحميدي (ح١٢٥٩) والإحسان (ح٧٢٢٠).

⁽٥) أخرجه الطبري بطرقه.

طريق أخرى: قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا مقدام بن داود، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن أبي النوبير، عن جابر، قال: لما نزلت ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من ذلك» ﴿ أَوْ مِن تَعْتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من ذلك» ﴿ أَوْ مِن تَعْتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ قال: «هذا أيسر» (١) ولو استعاذه لأعاذه.

ويتعلق بهذه الآية، أحاديث كثيرة:

(أحدها): قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حدثنا أبو اليمان، حدثنا أبو بكر _ يعني ابن أبي مريم _ عن راشد _ هو ابن سعد المَقْرَئِي _، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرَّجُلِكُمْ ﴾ فقال: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» (٢) وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم به، ثم قال هذا حديث غريب.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى _ هو ابن عبيد _، حدثنا عثمان بن حكيم، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله على حتى مرزنا على مسجد بني معاوية، فدخل فصلى ركعتين، فصلينا معه، فناجى ربه على طويلاً ثم قال: «سألت ربي ثلاثاً: سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة (٣) فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة (٣) فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» انفرد بإخراجه مسلم، فرواه في كتاب الفتن، عن أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وعن محمد بن يحيى بن أبي عمرو، عن مروان بن معاوية، كلاهما عن عثمان بن حكيم به (٤).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، عن [جابر بن عتيك] (٥) ، أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية _ قرية من قرى الأنصار _ فقال لي: هل تدري أين صلى رسول الله على في مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، فأشرت إلى ناحية منه، فقال: هل تدري ما الثلاث التي دعاهن فيه؟ فقلت: نعم، فقال: أخبرني بهن، فقلت: دعا أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها، قال: صدقت فلا يزال [الهرج] (١) إلى يوم القيامة (٧). ليس هو في شيء من الكتب الستة، إسناده جيد قوي، ولله الحمد والمنة.

(حدیث آخر) قال محمد بن إسحاق: عن حکیم بن حکیم بن عباد بن حنیف، عن علي بن

⁽١) في سنده ابن لهيعة ويشهد له سابقه بدون: ولو استعاذه لأعاذه.

⁽٢) أُخَرِجه الإمام أحمد (المسند ١/١٧٠)، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم كما في التقريب.

⁽٣) أي بالقحط والجوع.

⁽٤) المسند ١/ ١٧٥، وصحيح مسلم، الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ح٢٨٩٠).

⁽٥) كذا في (عش) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٦) كذا في (مح) و(عش)، وصحفت في الأصل إلى: (العرح).

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه محققوه (المسند ٢٩/ ١٥٨ ح٢٣٧٤)، وجوده وقواه الحافظ ابن كثير، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (المجمع ٧/ ٢٢١) ويشهد له سابقه.

عبد الرحمن، أخبرني حذيفة بن اليمان، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية، قال: فصلى ثماني ركعات فأطال فيهن، ثم التفت إلي فقال: «حبستك يا حُذيفة» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني، وسألته أن لا يهلكهم بغرق فأعطاني، وسألته أن لا يجعل بأسهم (۱) بينهم فمنعني (۲)، رواه ابن مردويه من حديث محمد بن إسحاق.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبيدة بن حميد، حدثني سليمان الأعمش، عن رجاء الأنصاري، عن عبد الله بن شداد، عن معاذ بن جبل على، قال أتيت رسول الله على فقيل لي: [خرج قبل، قال: فجعلت لا أمر بأحد إلا قال: مرّ قبل، حتى مررّت فوجدته قائماً يصلي، قال: فجئت حتى قمت خلفه، قال: فأطال الصلاة، فلما قضى صلاته قلت: يا رسول الله، قد صليت صلاة طويلة، فقال رسول الله على: "إني صليت صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله كل ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطاني، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها علي" ورواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن نمير، وعلي بن محمد، كلاهما عن أبي معاوية، عن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن عمير، عن الأعمش به (٤)، ورواه ابن مردويه: من حديث أبي عوانة، عن عبد الله بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن معاذ بن جبل، عن النبي على بمثله أو نحوه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه، عن أنس بن مالك، أنه قال: رأيت رسول الله على في سفر صلى سبحة الضحى ثماني ركعات، فلما انصرف، قال: «إني صليت صلاة رغبة ورهبة، وسألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يبتلي أمتي بالسنين ففعل، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى عليّ "(٥)، ورواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة، عن ابن وهب به (٢).

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، قال: قال الزهري، حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن خباب، عن أبيه، خباب بن الأرت مولى بني زهرة، وكان قد شهد بدراً مع رسول الله على أنه قال: وافيت

⁽١) أي أن لا يجعل الخلاف والحرب بين المسلمين.

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن نمير عن ابن إسحاق به (المصنف ٣١٨/١٠)، وفي سنده عنعنة ابن إسحاق ويشهد له ما سبق.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٢٤٠)، وفي سنده رجاء الأنصاري: مقبول كما في «التقريب»، ويشهد له ما سبق وما لحق.

⁽٤) السنن، الفتن، باب ما يكون من الفتن (ح٣٩٥١) وسنده كسابقه.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤٦/٣)، وأخرجه ابن خزيمة من طريق ابن وهب به (الصحيح ح١٢٢٨)، وأخرجه الحاكم من طريق عمرو بن الحارث به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٤١١)، وله شواهد تقدمت.

⁽٦) السنن ١٦٦٣.

(حديث آخر) قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره: حدثني زياد بن عبد الله المزني، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا أبو مالك، حدثني نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه، أن النبي على صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود، فقال: «قد كانت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله على فيها ثلاثاً أعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح بيضتكم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح بيضتكم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها» قال أبو مالك: فقلت له: أبوك سمع هذا من في رسول الله عليه؟ فقال: نعم، سمعته يحدث بها القوم، أنه سمعها من في رسول الله عليه؟

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: قال معمر: أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء الرحبي، عن شداد بن أوس، أن رسول الله على قال: "إن الله زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإني سألت ربي على أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة، وأن لا يلبسهم شيعاً، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض»، فقال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً ممن سواهم، فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يقتل بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً، قال: وقال النبي على: "إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف في أمتي، لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة" (3)

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده وطريق آخر وبمتنه (المسند ٣٤/ ٥٣٢ ح٢١٠٥٣)، وصححه محققوه.

 ⁽٢) سنن النسائي ٣/٢١٦، وسنن الترمذي، الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي هي ثلاثاً في أمته (ح٢١٧٥)،
 والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٩/١٨٠ (ح٢٣٦٧).

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات (الإصابة ٣/٧٥)، وأخرجه البزار من طريق طريق مروان به، وحسنه الحافظ ابن حجر (مختصر زوائد البزار ح١٦٢٩)، وأخرجه الطبراني من طريق مروان به (المعجم الكبير ٤/١٩٢ ح٢١١٤)، قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد (مجمع الزوائد ٧/٢٥).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند 1/2)، وصححه الحافظ ابن حجر (الفتح 1/2)، وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد 1/2).

ليس في شيء من الكتب الستة، وإسناده جيد قوي، وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد، وعباد بن منصور، وقتادة، ثلاثتهم عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن رسول الله على بنحوه والله أعلم.

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي، قالا: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه - قال الأشجعي، عن نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه - قال: وكان أبوه من أصحاب رسول الله على وكان من أصحاب الشجرة - قال: كان رسول الله الله إذا صلى والناس حوله، صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود، قال فجلس يوماً فأطال الجلوس، حتى أوماً بعض أن اسكتوا إنه ينزل عليه، فلما فرغ، قال له بعض القوم: يا رسول الله لقد أطلت الجلوس، حتى أوماً بعضنا إلى بعض أنه ينزل عليك، قال: «لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يسلط على أمتي عدواً يستبيحها فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شبعاً وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها» قال: قلت له: أبوك سمعها من رسول الله على قال: نعم سمعته يقول: إنه سمعها من رسول الله على عدد أصابعي هذه عشر أصابع.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يونس - هو ابن محمد المؤدب - حدثنا ليث - هو ابن سعد - عن أبي وهب الخولاني، عن رجل قد سماه، عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله على أن رسول الله على قال: «سألت ربي على أربعاً فأعطاني ثلاثاً، ومنعني واحدة، سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألت الله على أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» (٢). لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر) قال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا أبو حذيفة الثعلبي، عن زياد بن علاقة، عن جابر بن سمرة السوائي، عن علي أن رسول الله على قال: «سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة»، فقلت: «يا رب لا تهلك أمتي جوعاً فقال: هذه لك قلت: يا رب لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال: ذلك لك، قلت: يا رب لا تجعل بأسهم بينهم قال: فمنعني هذه»(٣).

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن

⁽١) تقدم تخريجه في الحديث السابق.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٣٩٦)، وسنده ضعيف لإبهام شيخ أبي وهب الخولاني، ويتقوى بالشواهد السابقة واللاحقة.

⁽٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٠٧/١ ح١٧٩)، قال الهيثمي وفيه أبو حذيفة الثعلبي ولم أعرفه (المجمع ٧/٢٢٢) ويشهد له ما سبق وما لحق.

أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا أبو الدرداء المروزي، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان، حدثني أبي عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله على قال: «دعوت ربي قال أن يرفع عن أمتي أربعاً، فرفع الله عنهم اثنتين، وأبى علي أن يرفع عنهم اثنتين دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء، والغرق من الأرض، وأن لا يلبسهم شيعاً، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والهرج» (١).

(طريق أخرى) عن ابن عباس أيضاً، قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد، حدثني الوليد بن أبان، حدثنا جعفر بن منير، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد، حدثنا عمرو بن قيس، عن رجل، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوقِكُمْ أَوْ مِن تَحْت أرجلهم، النبي ﷺ فتوضأ ثم قال: «اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم، ولا تلبسهم شيعاً ولا تذق بعضهم بأس بعض» قال: فأتاه جبريل فقال: يا محمد، إن الله قد أجار أمتك، أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو من تحت أربيل فوقهم أو من تحت أربيل فوقهم أو من تحت أربيل فوقهم أو من تحت أربيلهم أو من تحت أربيل فوقهم أو من تحت أربيل فوقه أو من تحت أربيل أو من أو من تحت أربيل أو من أو من أو من تحت أربيل أو من أو من أو من

(حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزاز، حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا أسباط، عن السدي، عن أبي المنهال، عن أبي هريرة، عن النبي على قال: «سألت ربي لأمتي أربع خصال، فأعطاني ثلاثاً، ومنعني واحدة، سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، عن عمرو بن محمد العنقزي به نحوه (٣).

(طريق أخرى) وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني، حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذباب، سمع أبا هريرة يقول: قال النبي على: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني، وسألته أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني» ثم رواه السنين فأعطاني، عن أبيه هريرة، عن ابن مردويه بإسناده، عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي على بنحوه، ورواه البزار من طويق عمرو بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي بنحوه، ورواه البزار من طويق عمرو بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي بنحوه،

(أثر آخر) قال سفيان الثوري، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال:

⁽۱) سنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن عبد الله بن كيسان، لينه أبو أحمد الحاكم وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان في الثقات: يتقلى حديثه من رواية ابنه عنه (لسان الميزان ١/٣٦٥).

⁽٢) سنده ضعيف لإبهام شيخ عمرو بن قيس.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده نحوه، وسنده حسن. وله شواهد تقدمت.

⁽٤) مسند البزار كما في كشف الأستار (ح٣٢٩) وله شواهد تقدمت.

أربع في هذه الأمة، قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان، ﴿فُلَ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيَكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ﴾ قال: الرجم ﴿أَوْ مِن تَمَّتِ أَرَجُلِكُمْ﴾ قال: الخسف ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شِيَعًا وَيُذِينَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال سفيان: يعني الرجم والخسف(١).

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَكُمُ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمُ أَوْ مِن تَحَتِ أَرَجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيَعًا وَيُذِينَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضُ ﴾ قال: فهي أربع خلال، منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض. وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان، الرجم والخسف، ورواه أحمد عن وكيع، عن أبي جعفر (٢).

ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو الأشهب، عن الحسن في قوله: ﴿قُلُ هُو اَلْقَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبَعَثَ﴾ الآية، قال: حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها، فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها أله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي، وابن زيد وغير واحد في قوله: ﴿عَذَابًا مِن فَوْقِكُمُ ﴾ يعني: الرجم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ يعني: الخسف (٤). وهذا هو اختيار ابن جرير.

وروى ابن جرير: عن يونس، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ أَلَّ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحَتِ أَرَجُلِكُمْ قال: كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر، يقول: ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم، إن الله يقول: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ ﴾ لو جاءكم عذاب السماء لم يبق منكم أحداً، ﴿ أَوْ مَن تَحَتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم، ولم يبق منكم أحداً، ﴿ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِينَ مَنْكُم أَسُوا الثلاث (٥٠).

(قول ثان): قال ابن جرير وابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، سمعت خلاد بن سليمان يقول: سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول: إن ابن عباس كان يقول: في هذه الآية ﴿ قُلَ هُو اَلْقَادِرُ عَلَىٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ ﴾ فأثمة السوء ﴿ أَوْ مِن تَحَتِ أَرَجُلِكُمْ ﴾ فخدم السوء (٦).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ يعني أمراءكم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ

⁽١) سنده جيد تقدمت دراسته في مقدمة التفسير الصحيح.

⁽٢) سنده جيد وأخرجه الإمام أحمد عن وكيع به (المسند ١٥١/٣٥ ح٢١٢٢٧)، وضعفه محققوه، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (المجمع ٧/ ٢٤)، ويشهد لبعضه الآثار التالية عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٤) أخرج الطبري هذه الآثار بأسانيد ثابتة وبعضها ضعيف يتقوى بما ثبت وبما تقدم عن أبي العالية عن أبي بن كعب.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للانقطاع بين عبد الرحمن بن زيد وابن مسعود ظله.

⁽٦) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عامر بن عبد الرحمن لم أجد له ترجمة، وقد تابعه علي بن أبي طلحة في الرواية التالية.

أَرْجُلِكُمْ الله يعني: عبيدكم وسفلتكم (١)، وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمرو بن هانئ، نحو ذلك (٢). قال ابن جرير: وهذا القول وإن كان له وجه صحيح، لكن الأول أظهر وأقوى، وهو كما قال ابن جرير كَالله، ويشهد له بالصحة قوله تعالى: ﴿ اَأَينَهُم مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْيِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِ تَعُورُ ﴿ الله أَمَ أَينتُم مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمُ عَاصِبًا فَسَتَعْلَعُونَ كَيْفَ نَذِيرِ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِ تَعُورُ الله أَمَ أَينتُم مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمُ عَاصِبًا فَسَتَعْلَعُونَ كَيْفَ نَذِيرِ فِي هذه الأمة قذف وخسف ومسخ (٣) وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها، وظهور الآيات قبل يوم القيامة، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى، وقوله: ﴿ أَوْ يَلْسِكُمُ شِيَعًا ﴾ يعنى: يجعلكم متلبسين شيعاً فرقاً متخالفين.

وقال الوالبي، عن ابن عباس: يعني الأهواء (٤)، وكذا قال مجاهد وغير واحد (٥).

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه على أنه قال: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»(٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وَيُذِينَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل (٧٠).

وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرَ كَيْفَ نُصَرِفُ ٱلْآيَنتِ﴾ أي: نبينها ونوضحها مرة ونفسرها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه.

قال زيد بن أسلم: لما نزلت ﴿ قُلَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ آن يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف» قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟، قال: «نعم» فقال بعضهم: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت ﴿ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَنَ لَعَلَهُمْ يَعْقَهُونَ وَكَذَب بِهِ قَوْمُكَ وَهُو الْمَقُ قُلُ لَسْتُ عَلَيْكُم بِوكِيلِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْمُ بِوكِيلِ ﴾ [الأنعام] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (^).

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) بل أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حمزة بن إسماعيل عن أبي سنان وحمزة بن إسماعيل سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح ٢٠٨/٣)، وأما قول عمرو بن هانئ فهو تابعي وقد ذكره ابن أبي حاتم حكاية، معلقاً.

⁽٣) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ، السنن، القدر (ح٢١٥٢)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٧٤٨).

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبى طلحة به.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح ثابت من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٦) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك مرفوعاً (السنن، الفتن، باب افتراق الأمم ح٣٩٩٣) وصححه البوصيري في الزوائد والألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٢٢٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/٨١١).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽A) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق زيد به، وسنده مرسل.

َ هِ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُم بِوكِيلِ ۚ لِكُلِّ نَبَلٍ مُسْتَقَرُ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ۚ وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللللَّاللَّا الللللَّالَةُ اللللَّاللَّهُ الللللَّهُ الللللللللَّاللَّا الللللللَّهُ اللَّهُ ال

يقول تعالى: ﴿وَكُذَّ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن الذي جئتهم به، والهدى والبيان، ﴿وَوَمُكَ ﴾ يعني: قريشاً ﴿وَهُو الْحَقُ ﴾ أي: الذي ليس وراءه حق ﴿قُل لَسْتُ عَلَيْكُم بِوكِيلٍ ﴾ أي: لست عليكم بحفيظ، ولست بموكل بكم، كقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُ مِن رَّيَكُم فَمَن شَآة فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآة فَلْيَكُم وَكِيلٍ ﴾ أي: الكهف: ٢٩] أي: إنما عليّ البلاغ، وعليكم السمع والطاعة، فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة، ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿لِكُلِ نَبَلٍ مُسْتَقَد ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: أي لكل نبأ حقيقة (١) ؛ أي: لكل خبر وقوع، ولو بعد حين، كما قال: ﴿وَلَنَعْلَنُنَ نَبَاّمُ بَعْدَ حِينٍ ﴿وَسَوْقَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الرعد: ٣٧] وهذا تهديد ووعيد أكيد، ولهذا قال بعده ﴿وَسَوْقَ تَعْلَمُونَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَنِنَا ﴾ أي: بالتكذيب والاستهزاء، ﴿ فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ حَقَى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ اللهِ عَنْ التكذيب، ﴿ وَإِمَّا يُسِينَكَ حَدِيثٍ غَيْرِهِ اللهِ أي التكذيب، ﴿ وَإِمَّا يُسِينَكَ الشّيَطَانُ ﴾ والمراد بذلك كل فرد، من آحاد الأمة، أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسياً، ﴿ فَلَا نَقَعُدُ بَعَدَ ٱلذِّكُرَىٰ ﴾ المتذكر ﴿ مَعَ ٱلقَوْمِ ٱلظّلِمِينَ ﴾ ولهذا ورد في الحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ()

وقال السدي، عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله: ﴿وَإِمَّا يُسِينَكَ ٱلشَّيَطَنُ ﴾ قال: إن نسيت فذكرت ﴿فَلَا نَقَعُدُ ﴾ معهم (٣)، وكذا قال مقاتل بن حيان (٤)، وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمُ مِ الْكِئْبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَنتِ ٱللّهِ يُكُفّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا نَقَعُدُواْ مَعَهُمْ حَقَى قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْتُ إِذًا مِنْهُمُ ۗ الآية [النساء: ١٤٠] أي: إنكم إذا جلستم معهم، وأقررتموهم على ذلك، فقد ساويتموهم فيما هم فيه، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي: إذا تجنبوهم، فلم يجلسوا معهم في ذلك، فقد برئوا من عهدتهم وتخلصوا من إثمهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَنَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْرٍ﴾

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٢) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعاً (السنن، الطلاق، باب طلاق المكره والناسي ح٢٠٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٦٤).

⁽٣) أخرج الطبري هذه الآثار بأسانيد ثابتة.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق بكير بن معروف عن مقاتل.

قال: ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك؛ أي: إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم(١).

وقال آخرون: بل معناه وإن جلسوا معهم، فليس عليهم من حسابهم من شيء، وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِتْلُهُمْ الله النساء: ١٤٠] قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم (٢). وعلى قولهم يكون قوله: ﴿وَلَكِن نِكَرَىٰ لَعَلَهُمْ يَتَقُونَ ﴾ أي: ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم، حينئذِ تذكيراً لهم عما هم فيه، لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون إليه.

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّمَٰكُولُ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهَوًا وَغَرَّتُهُمُ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنَيَّ وَذَكِرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسُلُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَمَا مِن دُوبِ ٱللَّهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَقْدِلْ كُلَّ عَذْلِ لَا يُؤخَذْ مِنْهَٱ ٱوْلَئِهِكَ ٱلَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَبِيمٍ وَعَذَابُ ٱلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۞﴾.

يقول تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَـٰذُواْ دِينَهُمْ لِعِبًا وَلَهَوًا وَغَرَّقَهُمُ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَآۚ ﴾ أي: دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلاً فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم، ولهذا قال ﴿وَذَكِّرْ بِهِ ﴾؛ أي: ذكر الناس بهذا القرآن، وحذرهم نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسُنُ بِمَا كُسَبَتُ ﴾ أي: لئلا تبسل.

قال الضحاك، عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، والحسن والسدي: تبسل تسلم (٣).

وقال الوالبي، عن ابن عباس: تفتضح (٤).

وقال قتادة: تحبس (٥).

وقال مُرَّةُ وابن زيد: تؤخذ (٢).

وقال الكلبي: تجزى(٧).

وكل هذه الأقوال والعبارات متقاربة في المعنى، وحاصلها الإسلام للهلكة، والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب، كقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً ﴿ إِلَّا آصَحَبُ ٱلْيَهِنِ ﴾ الخير والارتهان عن درك المطلوب، كقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً ﴾ أي: لا قريب ولا أحد يشفع فيها، المدشر] وقوله: ﴿ يَسُ فَيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَٱلْكَفِرُونَ هُمُ ٱلظّلِمُونَ ﴾ [البقرة: كما قال: ﴿ وَإِن تَقْدِلْ كُلُ عَدْلِ لَا يُؤخَذْ مِنْهَا ﴾ أي: ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها، [٢٥٤]. وقوله: ﴿ وَإِن تَقْدِلْ كُلُ عَدْلِ لَا يُؤخَذْ مِنْهَا ﴾ أي: ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

 ⁽۲) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند
 حسن من طريق أسباط عنه، وقول ابن جريج أخرجه الطبري بسند ضعيف ويتقوى بسابقيه.

⁽٣) قول الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأن، الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ويشهد له الآثار التالية: فقول مجاهد وعكرمة والحسن أخرجه الطبري بأسانيد صحاح، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق الوالبي به.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٦) قول ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

⁽٧) أخرجه الطبري عن الكلبي، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاثُوا وَهُمُ كُفَارٌ فَلَن يُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِم مِّلُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ الآية [آل عمران: ٩]، وكذا قال ههنا: ﴿أُوْلَيِكَ ٱلَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَبِيرٍ وَعَذَابُ ٱلِيمُ بِمَا كَانُوا يَمَا كُسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَبِيرٍ وَعَذَابُ ٱلِيمُ بِمَا كَانُوا يَكُمُرُونَ ﴾.

َ ﴿ وَأَنَّ أَنَدْعُواْ مِن دُوبِ اللّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذَ هَدَنَا اللّهُ كَالَّذِي السَّتَهْوَقَهُ الشَّيَطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَبُ يَدْعُونَهُ إِلَى اللّهُدَى اتْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلُهُ الشَّيْطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَبُ يَدْعُونَهُ وَإِنَّا لَهُدَى النّبِينَ اللّهُ هُوَ اللّهُدَى اللّهِ هُو اللّهُدَى وَهُو وَأُو اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ يَوْمَ يُنفَحُ اللّهِ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ يَوْمَ يُنفَحُ فَى اللّهُ وَعُولُ حَيْنَ فَيْكُونُ فَوْلُهُ الْحَقِيلُ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي اللّهُ وَعُولُ حَيْنَ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللّهُ الللللللللّهُ الللللللللّهُ الللللّ

قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد، فأنزل الله كلّ : ﴿ قُلُ اللّهُ عُلَنَا اللّه ﴾ أي: في الكفر ﴿ بَعْدَ إِذَ هَدَنَا اللّه ﴾ أي: في الكفر أبعًد إِذَ هَدَنَا الله ﴾ فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، يقول: مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم، كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق، فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل ما يتبعهم بعد المعرفة بمحمد على ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام (١٠)، رواه ابن جرير.

وقال قتادة: ﴿ أَسْـتَهُوتُهُ ٱلشَّيَطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أضلته في الأرض (٢٠). يعني استهوته سيرته، كقوله: ﴿ تَهْوِي ۚ إِلَيْهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿قُلُ أَندَّعُوا مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُنا﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عَلى، كمثل رجل ضل عن طريق تائها، إذ ناداه مناد: يا فلان بن فلان هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى، اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء، حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة، وقوله: ﴿كَالَيْى السّتَهَوَتُهُ ٱلشّيَطِينُ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ هم الغيلان ﴿يَدّعُونَهُ ﴾ باسمه واسم أبيه وجده، فيتبعها وهو يرى أنه في شيء فيصبح وقد رمته في هلكة، وربما أكلته، أو تلقيه في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عَلَى الله رواه ابن جرير، وقال ابن أبي نجيح: عن مجاهد، ﴿كَالَذِى اسّتَهَوَتُهُ ٱلشّيَطِينُ فِي ٱلأَرْضِ حَيْرانَ والله على المدين أبي نجيح: عن مجاهد، ﴿كَالَذِى اسّتَهَوَتُهُ ٱلشّيَطِينُ فِي ٱلأَرْضِ عَيْرانَ والله عن المدين أبي نجيح: عن مجاهد، ﴿كَالَذِى اسّتَهَوَتُهُ ٱلشّيَطِينُ فِي ٱلأَرْضِ عَيْرانَ عَدوه أصحابه إلى الطريق، وذلك مثل من يضل بعد أن هدى (٤٠٠).

⁽١) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي وسنده مرسل بالنسبة لسبب النزول، وحسن بالنسبة للتفسير الوارد بعد سبب النزول.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به نحوه.

وقوله: ﴿وَأُمِنَا لِنُسَلِمَ لِرَبِّ الْعَكَلِينَ﴾ أي: نخلص له العبادة، وحده لا شريك له، ﴿وَأَنْ الْتَهُوا الْعَكَلَوة وَاتَعُوهُ أي: وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال، ﴿وَهُو الَّذِي إِلَيْهِ تُعْشُرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَهُو الَّذِي خَلَق السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل فهو خالقهما، ومالكهما، والمدبر لهما ولمن فيهما، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ يعني: يوم القيامة، الذي يقول الله كن فيكون، عن أمره كلمح البصر، أو هو أقرب، ويوم منصوب إما على العطف على قوله واتقوه، وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون، وإما على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَونِ اللهُ وَاللهُ وَلَمُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَلَا مَا عَلَى اللهُ وَاللهُ وَلهُ وَاللهُ وَلهُ وَاللهُ وَلَوْلُ كُن فيكُونَ فَلْكُو بَدَا اللهُ لَا تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون.

وقوله: ﴿ فَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلَكُ ﴾ جملتان محلهما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين، وقوله: ﴿ وَوَمَ يُنفَخُ فِي الصُّورُ ﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من قوله ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ في الصور ويحتمل أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلَكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورُ ﴾ كقوله: ﴿ لِمَن ٱلمُلُكُ ٱلْيَوْمَ لِيَعْ الصَّورُ ﴾ كقوله: ﴿ لِمَن ٱلمُلُكُ اللَّهِ مَا اللَّهُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلكَيْفِرِينَ عَسِيرًا لِللَّهُ اللهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلكَيْفِرِينَ عَسِيرًا فَلَكُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

واختلف المفسرون في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ فقال بعضهم: المراد بالصور هنا، جمع صورة؛ أي: يوم ينفخ فيها فتحيا. قال ابن جرير: كما يقال: سور لسور البلد، وهو جمع سورة، والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل على قال ابن جرير: والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله على أنه قال: «إن إسرافيل قد التقم الصور، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ»(٢).

⁽١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

⁽٢) ذكره الطبري بدون سند وتقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ٧٣ في مسند أحمد من حديث ابن عباس.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان التيمي، عن أسلم العجلي، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»(١).

وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني، في كتابه المطولات، قال: حدثنا أحمد بن الحسن المقري الأبلي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة ﴿ مُلَّا مُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ ا وهو في طائفة من أصحابه، فقال: «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه، شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر، وهي كقول الله: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَا كُلَّاهِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَا كُلَّهِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَا لُهُ عَالِهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ ع الجبال، فتمر مَرّ السحاب فتكون سراباً، ثم ترتج الأرض بأهلها رجاً، فتكون كالسفينة المرمية في البحر، تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح، وهو الذي يقول: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ تَتَبَّعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَ إِن وَاجِفَةٌ ﴿ ﴾ [النازعات] فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتى الأقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها، فترجع ويولي الناس مدبرين، ما لهم من أمن الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿ يُومِّ ٱلنَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢] فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض، من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها» قال رسول الله ﷺ: «الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك» قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله على حين يقول: ﴿فَفَرْعَ مَن فِي ٱلسَّمَاؤَتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَكَاءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧]؟ قال: «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه قال: وهو الَّذي يقول الله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّـقُواْ رَبَّكُمٌّ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءُ عَظِيدٌ ﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُ مُرْضِعَكَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَيْعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ خَلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَنَرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَنَرَىٰ وَلَكِكَنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿ إِلَّهِ ﴿ [الحج] فيكونون في ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار على،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه محققوه (المسند ١١/٥٣ ح١٥٠٧).

فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله _ وهو أعلم بمن بقى _ فمن بقى: فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله ﷺ: ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش، فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل، فيقول: اسكت، فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب، قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله - وهو أعلم بمن بقي -: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي تموت، بقيت حملة عرشك، وبقيت أنا، فيقول الله: لتمت حملة العرش فتموت، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك، فيقول الله _ وهو أعلم بمن بقى -: فمن بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا، فيقول الله: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض طي السجل للكتب، ثم دحاها ثم يلقفهما ثلاث مرات، ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثاً، ثم هتف بصوته ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلُّكُ ٱلْيَوْمُ ﴾ [غافر: ١٦] ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه: ﴿ يَلُو ٱلْوَحِدِ ٱلْقَهَارِ﴾ [غــافــر: ١٦] يــقـــول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَوَتُ ۗ﴾ [إـــراهـــيــم: ٤٨] فيبسطهما ويسطحهما، ثم يمدهما مد الأديم العكاظي ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا آَمَّتُا ١٠٠٠ [طه] ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في هذه الأرض المبدلة، مثل ما كانوا فيها من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً، حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث(١١)، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله على: ليحيَى حملة عرشي فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحيان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً، وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتى وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، فتدخل في الخياشيم ثم تمشى في الأجساد، كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون، ﴿مُهَطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعَ يَقُولُ ٱلْكَفِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَيـرٌ ﴿ إِلَى القمر] حفاة عراة غلفاً غرلاً، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً وتعرقون، حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الذقان، وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا، فتقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده، ونفخ فيه

⁽١) الطراثيث: جمع طُرْثوثٍ وهو نبات رملي طويل مستدق يضرب إلى الحمرة وييبس.

من روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى، ويقول: ما أنا بصاحب ذلك فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً، كلما جاؤوا نبياً أبي عليهم قال رسول الله ﷺ: «حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص، فأخرّ ساجداً». قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟ قال: «قدام العرش، حتى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدي، ويرفعني فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم يا رب، فيقول الله الله الله على: ما شأنك؟ _ وهو أعلم _ فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضى بينكم» قال رسول الله عليه: «فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف، إذ سمعنا من السماء حساً شديداً، فهالنا فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة، وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم. وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا. وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار الله في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذٍ، ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم في تخوم الأرض السفلي، والأرض والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، ولهم زجل في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العرش والجبروت، وسبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلي فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

⁽١) عنق: أي قطعة منها.

تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول ـ وهو أعلم ـ: لم قتلتهم؟ فيقول: يا رب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ الله من ذلك، نادى مناد يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله، إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذٍ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم. ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول: ﴿ لَوْ كَانَ هَمْ وُلَآءٍ ۚ وَالِهَةَ مَّا وَرَدُوهَا ۚ وَكُلُّ فِيهَا خَلِدُونَ ١٠٠٠ [الأنبياء] فإذا لم يبق إلا المؤمنون، فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم، وهو الله الذي يأتيهم، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم، فيقول: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون. فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته، ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذقان سجداً على وجوههم، ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي(١) البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم، كحد الشفرة أو كحد السيف، عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان(٢)، دونه جسر دحض(٣) مَزلَة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق، أو كمر الربح أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب، أو كجياد الرجال، فناج سالم، وناج مخدوش ومكردس(٤) على وجهه في جهنم، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم ﷺ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله، فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول: عليكم بإبراهيم فإن الله اتخذه خليلاً، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول: عليكم بموسى فإن الله قربه نجياً وكلمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه، فيذكر ذنباً ويقول: لست بصاحب ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك إليه، فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد» قال رسول الله على «فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فآتي الجنة، فآخذ بحلقة الباب فأستفتح، فيفتح لي فأحيا

⁽١) أي قرون البقر.

⁽٢) السعدان: نبت تأكله الإبل، وله شوك تشبه حلمة الثدي.

⁽٣) دحض أي زلق لا يثبت عنده القدم.

⁽٤) المكردس: الذي جُمعت يداه ورجلاه وألقى في موضع.

ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجداً، فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع، وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي يقول الله _ وهو أعلم _: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة، وكان رسول الله على يقول: «والذي نفسي بيده، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم، من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله كانه وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله؛ لعبادتهما الله في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، ثما به مرآة وكبده لها مرآة. فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن لك أزواجاً غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا في الجنة شيئاً أحب إلى منك.

وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك، أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه النار قدميه لا تجاوز ذلك، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه (۱)، ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه، حرم الله صورته عليها» قال رسول الله على: "فأقول: يا رب، شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يأذن الله في الشفاعة، فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيماناً فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يشفع الله فيقول: أخرجوا من في قلبه إيماناً ثلثي دينار، ثم يقول: ثلث دينار، ثم يقول: حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة ثلث دينار، ثم يقول: بيقى أحد له شفاعة ولا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيراً قط، ولا يبقى أحد له شفاعة أرحم الراحمين، فيدخل يده في جهنم، فيخرج منها ما لا يحصيه غيره، كأنهم حَمم (۱) فيلقون على نهر، يقال له: نهر الحيوان، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل (۱)، فما يلي الشمس مكتوب في رقابهم الجهنميون، عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب وما عملوا خيراً لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا خيراً لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا خيراً لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا

⁽١) الحَقو: الكشح والإزار.

⁽٢) الحَمم: الرماد والفحم، وكل ما احترق من النار.

⁽٣) حميل السيل: ما يجيء به السيل من طين وغيره، فإذا اتفقت فيه واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه به سرعة عود أبدانهم وأجسامهم بعد إحراق النار لها.

هذا الكتاب فيمحوه الله ﷺ عنهم»^(۱).

هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه، كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث الحديث ، فالله أعلم.

قال الضحاك، عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، وإنما كان اسمه تارح، رواه ابن أبي حاتم (٣).

وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم، أنا شبيب، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ يعني: بآزر الصنم وأبو إبراهيم اسمه تارح، وأمه اسمها مثاني، وامرأته اسمها سارة، وأم إسماعيل اسمها هاجر، وهي سرية إبراهيم (٤).

وهكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تارح.

وقال مجاهد والسدي: آزر اسم صنم (٥).

 ⁽١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (ح٣٦) وسنده ضعيف جداً وقد فصل الحافظ ابن كثير نقده سنداً
 ومتناً

 ⁽۲) ومن هذه الشواهد ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً مطولاً وما رواه البخاري بسنده عن أنس مرفوعاً مطولاً (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُحُونًا يَوَمَهِذِ نَاضِرَةً ﴿ اللهِ يَهَا نَاظِرَةً ﴿ اللهِ ال

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٥) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

قلت: كأنه غلب عليه آزر، لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم، وقال ابن جرير: وقال آخرون: هو سبٌّ وعيب بكلامهم، ومعناه معوج، ولم يسنده ولا حكاه عن أحد(١).

وقد قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن معتمر بن سليمان، سمعت أبي يقرأ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ عَالَ اللهِ عَالَ اللهِ عَلَيْ (٢٠) . وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عَلَيْ (٢٠).

ثم قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر، ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقباً، وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَاذَكُرُ فِي ٱلْكِنَبِ إِبَرَهِيمُ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِنًا ۞ إِذَ قَالَ لِأَبِهِ يَتَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْعِيلُ عَنكَ شَيْنًا ۞ يَكَابَتِ إِنِي قَدْ جَآءَنِي مِن ٱلْمِلْهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَبِعَنِي آهَدِكَ صِرَطاً سَوِيًا ۞ يَتَأْبَتِ لِاَ تَعْبُدِ ٱلشَّيْطُنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَنَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًا ۞ يَتَأَبَتِ إِنِي أَخَافُ أَن يَمَسَكَ عَذَابٌ مِن الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطِينِ وَلِيًا ۞ قَالَ أَرَاغِبُ أَنتَ عَن ءَالِهَ فِي يَتَإِبْرَهِيمٌ لَهِن لَمْ تَنتُهِ لَأَرْجُمَنَكُ وَاهْجُرْفِ مَلِيًا ﴾ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطُنِ وَلِيًا ۞ قَالَ أَرَاغِبُ أَنتَ عَن ءَالِهِ فِي يَتَإِبْرَهِيمٌ لَهِن لَمْ تَنتُهِ لَأَرْجُمَنَكُ وَاهْجُرْفِ مَلِيًا ۞ قَالَ الرَاغِبُ أَنتُ عَن ءَالِهِ فِي يَتَإِبْرَهِيمٌ لَهِن لَمْ تَنتُهِ لَأَرْجُمُنَكُ وَاهُجُرْفِ مَلِيًا ۞ قَالَ سَلَيْمُ عَلَيْكُ سَأَسْتَغَفِرُ لَكَ رَبِي ۖ إِنْهُ كَانَ بِي حَفِينًا ۞ وَأَعْتَرِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَأَدْعُوا رَقِي عَسَى أَلًا أَكُونَ بِدُعَلَهِ رَقِي شَقِينًا ۞ [مريم] فكان إبراهيم عَلِيهُ ، يستغفر لأبيه مدة وَادَعُوا رَقِي عَسَى أَلًا أَكُونَ بِدُعَلَه وَتِي شَقِينًا ۞ [مريم] فكان إبراهيم عَلَيْهُ ، يستغفر لأبيه مدة حياته ، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم إلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيّاهُ فَلَمَا بَيْنَ لَهُ وَلَيْهُ اللّهُ عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيّاهُ فَلَمَا بَيْنَ لَهُ وَلَنَهُ عَدُولُ لِيَهُ عَدُولُ لِي عَن مَوْعِدَةً وَعَدَهَا إِيَاهُ فَلَمَا بَيْنَ لَهُ وَلَاهُ عَلُكُ بَاللّهِ عَلَى الْمَالِمُ عَلَى السَومِة إِلَا عَن مَوْعِدَةً وَعَدَهَا إِيَاهُ فَلَكَ بَيْنَ لَهُ وَلَنَهُ مِنْ اللهِ عَلَى الشَوهِ إِلَى عَلَى الشَوهِ إِلَى عَلْ مَوْعِدَةً وَعَدَهَا إِيَاهُ فَلَكَ بَيْنَ لَهُ وَلَكُون اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الل

وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة، فيقول له آزر: يا بني اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم أي رب، ألم تعدني أنك لا تخزني يوم يبعثون. وأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقال: يا إبراهيم، انظر ما وراءك، فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار(٤).

⁽١) لعله يريد بالآخرين الفراء لأنه ذكر نحوه في معاني القرآن (١/ ٣٤٠).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً. (٣) القراءتان بالفتح والضم متواترتان.

⁽٤) صحيح البخاري، الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] (ح٠٣٣٠).

وقوله: ﴿ وَكَذَالِكَ نُرِى إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عَلَى، في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿ قُلِ النَّطُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَةِ وَٱلْأَرْضِ أَلَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِن السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَن نَشَأ خَسِف بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِن السَّمَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لِكُلِّ عَبْدِ مُنِيبٍ ﴿ إِن اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

وأما ما حكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم، قالوا: واللفظ لمجاهد: فرجت له السموات، فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع، فنظر إلى ما فيهن، وزاد غيره فجعل ينظر إلى العباد على المعاصي، ويدعو عليهم، فقال الله له: إني أرحم بعبادي منك، لعلهم أن يتوبوا أو يرجعوا.

وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين، عن معاذ وعلي، ولكن لا يصح إسنادهما، والله أعلم.

وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿ فَإِنَّهُ تَعَالَى جَلَا لَهُ الْأَمْرِ سَرَهُ وَعَلَانَيتَه، فَلَمْ يَخْفُ عَلَيْهُ شَيَّء مِن أَعْمَالُ الْخَلَائِق، فَلَمَا جَعَلَ يَلْعَن أَصِحَابِ الذَّنُوب، قَالَ الله: إنك لا تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك (۱).

فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً، ويحتمل أن يكون عن بصيرته، حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة، والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذي، وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام «أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت لا أدري يا رب، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لى كل شيء وعرفت ذلك» وذكر الحديث (٢).

قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قيل: الواو زائدة تقديره وكذلك نُرِي إبراهيم ملكوت السموات والأرض، ليكون من الموقنين، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَكَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﷺ [الأنعام] وقيل: بل هي على بابها؛ أي: نريه ذلك ليكون عالماً وموقناً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلْيَّلُ﴾ أي: تغشاه وستره ﴿رَمَا كَوَّكُبَأَ ﴾ أي: نجماً ﴿قَالَ هَذَا رَقِيَّ فَلَمَّاَ أَفَلَ﴾ أي: غاب، قال محمد بن إسحاق بن يسار: الأفول الذهاب(٣)، وقال ابن جرير: يقال: أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً وأفلا، إذا غاب ومنه قول ذي الرمة(٤):

مصابيح ليست باللواتي تقو دها [نجوم](٥) ولا بالآفلات الزوائل

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن العوفي به.

⁽٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس ومن حديث معاذ بن حبل المنه مطولاً وقال عقب حديث معاذ: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا: حسن صحيح (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة ص ح ٣٢٣٥ و٣٢٣٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٥٨١ و٢٥٨٢).

⁽٣) أخرجه الطبري مع التعليق والاستشهاد بالشعر.(٤) في ديوانه ص٤٢٥.

⁽٥) كذا في (عش) و(مح)، وسقطت من الأصل.

ويقال: أين أفلت عنا؟ بمعنى أين غبت عنا.

﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآوِلِينَ ﴾ قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول (١١).

﴿ فَلَمَّا رَمَا الْقَمَرَ بَازِعُنَا ﴾ أي: طالعاً ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّ فَلَمّا أَفَلَ قَالَ لَين لَمْ يَهْدِفِى رَبِّي لَأَكُونَكَ مِن الْقَوْمِ الضّالِينَ ﴿ فَلَمّا رَمّا الشّمَسَ بَازِعَنَةٌ قَالَ هَلَذَا رَبّي ﴾ أي: هذا المنير الطالع ربي ﴿ هَذَا آحَبّرُ ﴾ أي: جرماً من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة ﴿ فَلَمّا آفَلَتُ ﴾ أي: غابت ﴿ قَالَ يَنقومِ إِنِّي بَرِيّ ﴾ أي إِنّي وَجّهِي لِلّذِي فَطَرَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ أَي اللّهُ عَنِيفًا وَمَا أَنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: أخلصت ديني، وأفردت عبادتي ﴿ لِلّذِي فَطَرَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي: في حال كوني حنيفًا ؛ أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿ وَمَا أَنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام: هل هو مقام نظر أو مناظرة؟

فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر^(۲)، واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله: ﴿لَهِن نَمْ يَهْدِنِى رَبِي﴾ الآية.

وقال محمد بن إسحاق: قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمروذ بن كنعان، لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه، فأمر بقتل الغلمان عامئذ، فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم، وتركته هناك^(٣)، وذكر أشياء من خوارق العادات، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف.

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم، الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المُحيّرة، وهي: القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة، فبين أولاً علوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تملك لنفسها تصرفاً، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحِكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع.

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به نحو مضمونه مطولاً.

⁽٣) أخرجه الطبري من طريق محمد بن حميد، عن سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق نحوه مطولاً. والرواية من الإسرائيليات.

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله على أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار، أن رسول الله على قال: «قال الله إني خلقت عبادي حنفاء»(۱).

وقال الله في كتابه العزيز: ﴿ فِطْرَتَ اللّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ٱللّهِ ۗ [الروم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِيّنَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ ٱنفُسِهِمْ ٱلسّتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومعناه على أحد القولين كقوله: ﴿ فِطْرَتَ ٱللّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله. ﴿أُمَّةُ قَانِتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَرَ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] ناظراً في هذا المقام، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة، بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب، وما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً.

قوله تعالى:

﴿ وَحَاجَةُ وَوَمُمُ قَالَ آئَكَ جُونِي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَئِنَ وَلاّ آخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّ أَن يَشَآءً رَيِّ شَيْئًا وَسِعَ رَبِي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَنَذَكُرُونَ ﴿ وَكَيْفَ آخَافُ مَا أَشْرَكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ آئَكُمْ آشْرَكُتُمْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلُطَانًا فَأَى الفَرِيقَيْنِ آحَقُ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ اللّهِ الّذِينَ مَامَنُوا وَلَدَ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْدٍ أُولَئِكَ لَمُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴿ وَتِلْكَ حُجَتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَنتِ مَن نَشَاءً إِنَّ رَبَكَ عَلِيمٌ عَلِيهٌ ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول، أنه قال: ﴿ أَتُحَكِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدُّ هَدَائِنَ ﴾ أي: تجادلونني في أمر الله، وأنه لا إله إلا

⁽۱) صحيح مسلم، القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد على الفطرة (ح٢٦٥٨).

هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنا على بينة منه، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة، وقوله: ﴿وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلّا أَن يَشَآءَ رَبّي شَيّاً ﴾ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه، أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً، وأنا لا أخافها، ولا أباليها، فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون، بل عاجلوني بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَا أَن يَشَاءَ رَقِي شَيْئًا ﴾ استثناء منقطع، أي لا يضر ولا ينفع إلا الله وَلَقَ، ﴿وَسِعَ رَقِ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفي عليه خافية ﴿أَفَلا نَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: فيما بينته لكم أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها، وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عَلِي على قومه عاد، فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول: ﴿قَالُوا يَنعُودُ مَا جَنَّنَا بِبَيّنَةٍ وَمَا نَعَنُ بِتَارِكِ ءَالِهَنِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا غَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ إِن نَعُولُ إِلّا اَعْرَبَكَ بَعْضُ عَلِيكَ إِن نَعُولُ إِلّا اَعْرَبَكَ بَعْضُ عَلَي الله وَلَهُ وَاللّهُ وَمَا غَنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [هود].

وقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكَتُمْ أِي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، ﴿وَلَا تَغَافُونَ أَنَّكُمُ أَشْرَكُتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِل بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانَا ﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: أي حجة (١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَتُواْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَآ أَسَّمَاتُ سَيَّتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاۤ وَكُمْ مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلطَنَيْ ﴾ [النجم: ٢٣].

وقوله: ﴿ فَأَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُ بِالْأَمَنِ إِن كُنتُم تَعَلَمُونَ ﴾ أي: فأي طائفتين أصوب، الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَنهُم بِظُلْدٍ أُولَتِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُم مُهمّتَدُونَ يَوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَنهُم بِظُلْدٍ أُولَتِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُم مُهمّتَدُونَ فَي الدّين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علم عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿وَلَرْ يَلْبِسُوۤا إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ ۗ قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت ﴿إِنَ ٱلقِرْكَ لَظُلُمُ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣](٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، وعن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَرْ يَلْبِسُوٓا إِيمَننَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ يَنبُنَى لَا نُتُمْرِكَ بِاللَّهِ إِنَ كَ الشِّرْكَ لَظُلْمُ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع وابن إدريس، عن الأعمش، عن

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عكرمة، عن ابن عباس.

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَلَدَ يَلْبِسُوٓا إِيمَنْهُم بِظُلْمٍ . . . ﴾ [الأنعام: ٨٦] ح ٢٦٢٩).

⁽٣) المسند ١/٣٧٨ وسنده صحيح.

علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿وَلَتَ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون، إنما قال لابنه: ﴿يَبُنَى لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ الْتَيْرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣](١).

وحدثنا عمر بن تغلب النمري، حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي على في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ عَن على عن عبد الله بن مسعود، عن أبي بكر الصديق، وعمر، وأبي بن كعب، وسلمان، وحذيفة، وابن عباس، وابن عمر، وعمرو بن شرحبيل، وأبي عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وعكرمة، والنخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغير واحد نحو ذلك (٣)، وقال ابن مردويه: حدثنا والشافعي، حدثنا محمد بن شداد المسمعي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنهُم بِظُلْمٍ وقال رسول الله على: «قيل لى أنت منهم» (٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا أبو جناب، عن زاذان، عن جرير بن عبد الله، قال: خرجنا مع رسول الله على، فلما برزنا من المدينة، إذا راكب يوضع فقال رسول الله على: «كأن هذا الراكب إياكم يريد» فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي على: «من أين أقبلت؟» قال من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: «فأين تريد؟» قال: وفقال له النبي الله قال: «فقد أصبته قال: يا رسول الله، علمني ما الإيمان؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت» قال: قد أقررت، قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات، فقال رسول الله على: «عليّ بالرجل» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا: يا رسول الله، قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله على ثمار الجنة، ثم قال: «هذا من الذين قال الله على فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً» ثم قال رسول الله على: «هذا من الذين قال الله على فيه من ثمار الجنة، وحنطناه وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله على شفير القبر، فقال: «وحنطناه وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله على شفير القبر، فقال: «ألحدوا ولا تشقّوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا» أنه، ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر، عن «الحدوا ولا تشقّوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا» أنه، ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر، عن «الحدوا ولا تشقّوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا» أنه، ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر، عن

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٣) ذكرهم ابن أبي حاتم كلهم بحذف السند، وقد أسند معظمها الطبري ويشهد لها جميعاً ما تقدم وصحّ عن النبي ﷺ.

⁽٤) سنده ضعيف جداً بسبب محمد بن شداد المسمعي: روى أحاديث مناكير، وضعفه البرقاني والدارقطني (لسان الميزان ٩٥/٥).

⁽٥) من الإيضاع وهو الإسراع.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنّده ومتنه وضعفه محققوه بسب أبي جناب وهو يحيى بن أبي حية الكلبي (المسند ٥١٣/٣١ ح١٩١٧)، ولكنه توبع كما سيأتي في رواية الإمام أحمد وابن أبي حاتم.

عبد الحميد بن جعفر الفراء، عن ثابت، عن زاذان، عن جرير بن عبد الله، فذكر نحوه وقال فيه: هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً (١).

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا يوسف بن موسى القطان، حدثنا مهران بن أبي عمر، حدثنا علي بن عبد الله، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره، إذ عرض له أعرابي فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لقد خرجت من بلادي وتِلادي ومالى لأهتدي بهداك، وآخذ من قولك، وما بلغتك حتى ما لي طعام إلا من خضر الأرض، فاعرض علي، فعرض عليه رسول الله ﷺ فقبل، فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جرذان، فتردى الأعرابي فانكسرت عنقه، فقال رسول الله علي الله علي الله علي الله علي الله علي المادي بعثني بالحق، لقد خرج من بلاده وتلاده وماله، ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي وما بلغني حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض، أسمعتم بالذي عمل قليلاً وأجر كثيراً؟ هذا منهم. أسمعتم بِ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَدَ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَتِكَ لَمُمُ ٱلْأَمَّنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟ فإن هذا منهم»(٢) [وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى الكوفي ـ وكان نزل الري _، حدثنا زياد بن خيثمة، عن أبى داود، عن عبد الله بن سخبرة، قال: قال رسول الله على: «من أعطي فشكر، ومنع فصبر، وظلم فاستغفر، وظُلِم فغفر» وسكت، قال: فقالوا يا رسول الله ما له؟ قال: ﴿ أُوْلَتِكَ لَمُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾] (٣)(٤) وقوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا ۚ إِبْرَهِيـمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ ﴾ أي: وجهنا حجته على قومه، قال مجاهد وغيره: يعني بذلك قوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا ٓ أَشَرَكَتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم وَاللَّهِ مَا لَمَ يُنَزِّلُ بِـهِ، عَلَيْكُمْ سُلَطَنَأْ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ الآية، وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَيۡهِكَ لَمُمُ ٱلْأَمَّنُّ وَهُم مُهْتَدُونَ ۞﴾ ثـم قـال بـعـد ذلـك كـلـه ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَهَا إِبْرَهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَشَاءً ﴾ قرئ بالإضافة وبلا إضافة (٥)، كما في سورة يوسف، وكلاهما قريب في المعنى، وقوله: ﴿إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، عليم أي: بمن يهديه ومن يضله، وإن قامت عليه الحجج والبراهين، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَلَوْ جَآءَتُهُمْ كُلُّ مَايَةٍ حَتَّى يَرُوا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿ إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣١/ ٥١٤ ح١٩١٧)، وفيه متابعة ثابت لأبي جناب، وقال محققوه: حسن بطرقه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وأطول، وفي سنده علي بن عبد الله بن عامر الثعلبي وأبوه كلاهما صدوق يهم ولكنهما توبعا في الروايتين السابقين، فيكون سنده حسناً لغيره.

⁽٣) ما بين معقوفين زيادة من (عش) و(مح) و(حم).

⁽٤) سنده ضعيف لضعف أبي داود وهو نفيع الأعمىٰ، وكذلك عبد الله بن سخبرة: مجهول كما في «التقريب» وقد أرسله وضعفه البيهقي (شعب الإيمان ح٤٣١)، والهيثمي (المجمع ٢٨٧/١٠).

⁽٥) بالإضافة هكذا ﴿دَرَجَاتِ مَن نَشَاءً﴾ [الأنعام: ٨٣] وبلا إضافة بالتنوين ﴿دَرَجَاتِ مَّن نَشَاءُ﴾، وكلتاهما قراءتان متواترتان.

وقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبله هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح ﷺ، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به، وهم الذين صحبوه في السفينة، جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم ﷺ، فلم يبعث الله ﷺ بعده نبياً، إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِمَا الشَّبُوّةَ وَالْكِنَابُ ﴾ الآية [الحديد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِمَا الشَّبُوّةَ وَالْكِنَابُ ﴾ الآية [الحديد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرّيّتِهِمَا الشَّبُوّةَ وَالْكِنَابُ ﴾ الآية [الحديد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿أَوْلَتِكَ النّبِينَ آلَنَمُ اللّهُ عَلَيْمٍ مِن النّبِيّيَنَ مِن ذُرّيّةِ عَادَمَ وَمِتَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوجٍ وَمِن ذُرّيّةِ إِبْرَهِيمَ وَإِسْرَة بِلَ وَمِتَنْ هَدَيْنَا وَلَجْنَيْنَا أَيْنَا نَائِلُ عَلَيْمٍ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلِينَ الْمَهُمَا وَيُكِلِكُ اللّهُ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلِينَ اللّهُ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمِ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلِيمٌ عَلَيْمٍ عَلَيْمٍ عَلِيمٌ عَلَيْمٍ عَلِيمٍ عَلَامٍ الآية [مريم].

وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿وَمِن ذُرِيَّتِهِ ﴾ أي: وهدينا من ذريته ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ ﴾ الآية ، وعود الضمير إلى نوح ، لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه ، وهو اختيار ابن جرير . وعوده إلى إبراهيم ، لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل عليه لوط ، فإنه ليس من ذرية إبراهيم ، بل هو ابن أخيه ماران بن آزر ، اللهم إلا أن يقال : إنه دخل في الذرية تغليباً ، وكما قال في قوله : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ

نَعَبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَنَهُ ءَابَآبِكَ إِبْرَهِ مَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَبِحِدًا وَنَحَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ ا

وفي ذكر عيسى على في ذرية إبراهيم أو نوح، على القول الآخر، دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل، لأن عيسى على إنما ينسب إلى إبراهيم على بأمه على، فإنه لا أب له.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا سهل بن يحيى العسكري، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا علي بن عابس، عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي حرب بن أبي الأسود، قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعمر، فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي على تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿وَمِن وَلِيسَىٰ عَالَ: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت (١).

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته، أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه، أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه، واحتجوا يقول الشاعر العربى:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب (٢) وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيهم أيضاً، لما ثبت في صحيح البخاري، أن رسول الله على قال للحسن بن علي: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين "" فسماه ابناً، فدل على دخوله في الأبناء. وقال آخرون: هذا تجوز.

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفي سنده عبد الرحمن بن صالح وهو العتكي الكوفي صدوق يتشيع كما في «التقريب». وقال ابن عدي: احترق بالتشيع (ميزان الاعتدال ٢/٥٦٩)، والمتن يؤيد بدعته، وفيه علي بن عابس: ضعيف، فسنده ضعيف.

⁽٢) هذا البيت يستشهد به النحاة ومنهم ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك برقم (٥١) ولم ينسبه إلى قائله.

⁽٣) صحيح البخاري، الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ . . (ح٢٧٠٤).

أَن يَتَخِذَ وَلِذًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَعْلَقُ مَا يَشَاتُهُ سُبْحَكُنَمُ هُوَ اللَّهُ ٱلْوَحِدُ الْقَهَارُ ﴿ الرَّمِ اللَّهِ الرَّمِ اللهِ

وقوله تعالى: ﴿أُولَتِكَ اللَّيْنَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنْبَ وَالْخُكُرَ وَالنَّبُوَّ ﴾ أي: أنعمنا عليه بذلك، رحمة للعباد بهم ولطفاً منا بالخليقة، ﴿فَإِن يَكْفُرُ بِهَا﴾ أي: بالنبوة، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الأشياء الثلاثة، الكتاب والحكم والنبوة، وقوله: ﴿هَـُولَآ ﴾ يعني: أهل مكة، قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد (۱). ﴿فَقَدْ وَكُلّنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَنفِرِينَ ﴾ أي: إن يكفر بهذه النعم، من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، وملّيين وكتابيين، فقد وكلنا بها قوماً آخرين أي المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة.

﴿ لَيْسُوا بِهَا بِكَفِرِينَ ﴾ أي: لا يجحدون منها شيئاً، ولا يردون منها حرفاً واحداً، بل يؤمنون بجميعها، محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه وإحسانه، ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ ﴿ أُولَتِكَ ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان، وهم الأشباه، ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللّه ﴾ أي: هم أهل الهدى لا غيرهم ﴿ فَهِهُ دَهُمُ اَقْتَدِهُ ﴾ أي: اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ، فأمته تبع له، فيما يشرعه ويأمرهم به.

قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره، أنه سأل ابن عباس أفي (ص) سجدة؟ فقال نعم، ثم تلا ﴿وَوَهَبَّنَا لَهُ إِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ ﴾ إلى قوله: ﴿فَيْهُدَنُّهُمُ اَقْتَدِةً ﴾ ثم قال هو منهم، زاد يزيد بن هارون، ومحمد بن عبيد، وسهل بن يوسف، عن العوام، عن مجاهد، قلت لابن عباس فقال: نبيكم على ممن أمر أن يقتدي بهم (٢).

وقوله تعالى: ﴿قُل لَا آَسَنَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَا ﴾ أي: لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجراً أي أجراً أي يتذكرون به، القرآن أجراً أي أجرة، ولا أريد منكم شيئاً، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي: يتذكرون به، فيرشدون من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.

﴾ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٌ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَبَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوزًا وَهُمُدَى لِلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ثُبَدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَذِيرًا وَعُلِّمَتُم مَّا لَا تَعَلَّقُواْ اَنتُمْ وَلاَ ءَابَآ وَكُمْ قُلُ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۞ وَهَلَذَا كِتَنَّ أَنزَلْنَكُ مُبَارَكُ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أَمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَمَا وَالَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِقِدْ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞﴾.

يقول الله تعالى: وما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم.

قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش^(٣)، واختاره ابن جرير.

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عنه ويشهد له سابقه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبى عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وزيادته (الصحيح، التفسير، باب ﴿أُوَلَيْكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ . . . ﴾ [الأنعام: ٩٠] (ح٢٦٣٤).

⁽٣) ما ورد عن ابن عباس بلفظ: هم الكفار، وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول =

وقيل: نزلت في طائفة من اليهود (١)، وقيل في فنحاص رجل منهم (٢)، وقيل في مالك بن الصيف (٣) ﴿ قَالُواْ مَا آنَزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرِ مِن شَيَّةً ﴾ والأول أصح، لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر، كما قال: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنَّ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلِ مِنْهُمْ أَنَّ أَنذِرِ النَّاسَ ﴾ [يونس: ١] وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذَ جَآءَهُمُ الْهُدَئَ إِلَا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿ قَالُوا مَا الْإِرْضِ مَلْ اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُو

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنَزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدُى لِلنَّاسِّ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام، بإثبات قضية جزئية موجبة، ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران، ﴿ فُورًا وَهُدَى لِلنَّاسِ ﴾، أي ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات.

وقوله: ﴿ تَجَعَلُونَهُ قَاطِيسَ تُدُونَهَا وَتُخَفُونَ كَثِيرًا ﴾ أي: تجعلون جملتها قراطيس؛ أي: قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم، وتحرفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتتأولون، وتقولون هذا من عند الله؛ أي: في كتابه المنزل، وما هو من عند الله، ولهذا قال: ﴿ تَجَعَلُونَهُ وَاَطِيسَ تُبَدُّونَهُ اللهُ وَكُنُونَ كَثِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعُلِمْتُم مَّا لَرُ تَعَلَمُواْ آنتُرٌ وَلَا ءَابَآؤُكُمْ ۚ أَي: ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك، لا أنتم ولا آباؤكم.

وقد قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب(٤).

وقال مجاهد: هذه للمسلمين (٥).

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ قال على بن أبي طلحة: عن ابن عباس، أي: قل الله أنزله (٢)، وهذا الذي قاله ابن عباس، هو المتعين في تفسير هذه الكلمة، لا ما قاله بعض المتأخرين، من أن معنى ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أي: لا يكون خطابك لهم، إلا هذه الكلمة، كلمة «الله» وهذا الذي قاله هذا

⁼ مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عبد الله بن كثير أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود ضعيف ويرويه ابن كثير عن مجاهد، ويتقوى بسابقيه.

⁽١) أخرجه الطبري بإسناد ثابت عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن سعيد بن جبير وعكرمة.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق سعيد بن بشير عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة أنهم اليهود والنصارى.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

القائل، يكون أمراً بكلمة مفردة، من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها، وقوله: ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم من الله اليقين، فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين؟

وقوله: ﴿وَهَذَا كِنَتُ ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْزَلْنَهُ مُبَارَكُ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ يعني: مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَما ﴾ من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم، ومن عرب وعجم، كما قال في الآية الأخرى ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال: ﴿لِأَنْذِكُمْ بِهِ مِنَ الْأَخْزَبِ فَالنَّارُ مُوْعِدُو ﴾ [مود: ١٧] وقال: ﴿وَمَن يَكُفُرُ بِهِ مِن الْأَخْزَبِ فَالنَّارُ مُوْعِدُو ﴾ [مود: ١٧] وقال: ﴿وَمَن الْمُوانِ اللَّهِ اللَّهِ عَبْدِهِ لِيكُونَ لِلْعَلْكِينَ نَذِيرًا ﴿ ﴾ [الفرقان وقال: ﴿وَقُلْ لِلْلَائِينَ أُوتُوا لَهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَمَالَا اللَّهُ وَاللَّهُ بَعِيمًا إِلَهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْكَ الْبُلَثُمُ وَاللهُ بَعِيمًا إِلْمِيادِ ﴾ والنوم الله واليوم الآخر، يؤمن بهذا الكتاب المبارك، الذي أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهُمْ يُعَافِظُونَ ﴾ أي: يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها.

﴿ وَمَنْ أَظْلُمُ مِتَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِى إِلَىٰ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأَيْلُ مِثْلَ مَثَلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّلِيلُمُونَ فِي غَمَرَتِ ٱلمُوتِ وَٱلْمَلَتَهِكَةُ بَاسِطُلُوّا ٱيَّدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ٱلْيُومَ عُمَرَاتِ اللّهُونِ بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى ٱللّهِ غَيْرَ ٱلْمَؤَنِ وَكُنتُمْ عَنْ مَاكِتِهِ تَسَتَكَمْرُونَ ﴿ وَلَقَدْ جِتَتُمُونَا فَرُدَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ وَتَرَكُتُم مَّا خَوَلْنَكُمْ وَرَآةً ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنْهُمْ وَرَاهُ شُركَوا أَلَقَد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَ عَنصُهُم مَّا كُنتُمْ تَرْعُمُونَ ﴿ ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِتَنِ ٱنْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم، ممن كذب على الله، فجعل له شركاء أو ولداً، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِى إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

قال عكرمة وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب^(۲).

﴿ وَمَن قَالَ سَأُنِٰذُ مِثْلَ مَا آنَٰزُلُ اللَّهُ ﴾ أي: ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي، مما يفتريه من القول، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَاكِنُتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَنَانًا عَلَيْهِمْ اللَّهِ [الأنفال: ٣١].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّلَالِمُونَ فِي غَمَرَتِ ٱلْمُوْتِ﴾ أي: في سكراته، وغمراته، وكرباته، ﴿وَالْمَلَتِكَةُ بَاسِطُوۤا لَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب، كقوله: ﴿لَهِنَا بَسَطتَ إِلَىٰۤ يَدَكَ لِنَقْنُلَنِي﴾ الآية [المائدة: ٢٨].

⁽١) تقدم في تفسير سورة النساء آية ٤٣ من حديث جابر بن عبد الله.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، لكن سنده مرسل، وأخرجه الطبري من طريق ابن جريج عن عكرمة، وفي سنده الحسين وهو ابن داود ضعيف.

وقوله: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلِيَكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِنَهُم بِالسُّوِّ الآية [الممتحنة: ٢]، وقال الضحاك وأبو صالح: ﴿باسطوا أيديهم ﴾ أي بالعذاب (١). كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى ٓ إِذْ يَنَوَفَى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَتَهِكَةُ يَصَرِونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠] ولهذا قال: ﴿وَالْمَلَتَهِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِم ﴾ أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر، بشرته الملائكة بالعذاب، والنكال، والأغلال، والسلاسل، والجحيم، والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة، حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ أَلَوُمَ تُجَرَونَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى الله عَنْ الله والانقياد لرسله.

وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت وهي مقررة عند قوله تعالى: ﴿ يُثَيِّتُ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا وَفِ ٱلْآَنِيَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثاً مطولاً جداً من طريق غريبة، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً (٢)، فالله أعلم.

وقوله: ﴿وَلَقَدُ جِنْتُمُونَا فُرَدَىٰ كُمَا خَلَقْنَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِنْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةً ﴾ [الكهف: ٤٨] أي: كما بدأناكم أعدناكم، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه، فهذا يوم البعث.

وقوله: ﴿ وَتَرَكَّتُمُ مَّا خَوَلَنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أَي: من النعم والأموال التي اقتنيتموها، في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في الصحيح، أن رسول الله على قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس (٣).

وقال الحسن البصري: يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج (٤)، فيقول الله على: أين ما جمعت؟ فيقول: يا رب، جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول له: يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئاً، وتلا هذه الآية ﴿وَلَقَدَّ جِثْتُمُونَا فُرُدَىٰ كَمَا خَلَقَنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكَتُم مَّا خَوَلَنكُمْ وَرَاّهَ ظُهُورِكُمُ الآية، رواه ابن أبى حاتم (٥).

وقوله: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمُ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَتُمُ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكُواً ﴾ تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا التخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم، إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق ﴿ أَيْنَ شُرُكَاءَى الَّذِينَ كُنتُر تَرْعُمُوك ﴾

⁽۱) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك إذ لم يصرح الطبري باسم شيخه ومعناه صحيح، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

⁽٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس.

⁽٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٢.

⁽٤) البذج: هو ولد الظأن وجمعه بذجان (الصحاح ١/٢٩٩).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم معلقاً عن أبي داود عن أبي حرة عن الحسن.

[القصص: ٦٢] ويقال لهم: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُرْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلَ يَصُرُونَكُم أَو يَنصَرُونَ ﴿ الشعراء] ولهذا قال ههنا ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمُ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم أَنَهُمْ فِيكُم شُرَكَتُوا ۚ ﴾ أي: في العبادة لهم، فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم.

ثم قال تعالى: ﴿ لَقَد تَقطّع بَيْنَكُمْ ﴾ قرئ بالرفع أي شملكم، وبالنصب () أي لقد تقطع ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائب ﴿ وَضَلَ عَنكُم ﴾ أي ذهب عنكم ﴿ مَا كُنتُمْ تَرْعُمُونَ ﴾ من رجاء الأصنام والأنداد، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ التَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَبَعُوا وَرَاؤا الْمَكَابُ مِن وَقَالَ الَّذِينَ اتَبَعُوا لَوَ أَن لَنَا كَرَة فَنتَبَرًا مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّهُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِ مُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ اللّذِينَ اتَبَعُوا لَوَ أَن لَنَا كَرَة فَنتَبَرًا مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّهُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِ مُ اللّهُ أَعْمَلُهُمْ حَمَرَتِ عَلَيْمٍ مَ وَقَالَ الّذِينَ اتَبَعُوا لَوَ أَن لَكَ وَلَا كَنَالِ اللّهِ وَقَالَ تعالى: ﴿ وَقِلْ اللّهِ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ الللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ

﴿ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى ۚ يُخْرِجُ ٱلْحَنَّ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيْتِ مِنَ ٱلْحَبَّ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّ ثُوْفَكُونَ ﴿ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَأَنَّ وَٱللَّمَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُو اللَّهُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُلْمُ الللْمُلِمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللْمُلْمُ الللللللّهُ الللللْمُلْمُ الللللْمُ اللللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللل

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى، أي يشقه في الثرى، فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها، من الحبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى، ولهذا فسر قوله: ﴿فَالِقُ الْمَيِّ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَلُهُ أَيْ اللَّهُ اللَّهُ أَلَهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وقوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ معطوف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَكُ ۖ ثَم فسره ثم عطف عليه قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل: يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه، ومن قائل: يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها.

ثم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ﴾ أي: فاعل هذا، هو الله وحده لا شريك له ﴿ فَأَنَّ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل، فتعبدون معه غيره؟

وقوله: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلْيَلَ سَكُنا ﴾ أي: خالق الضياء والظلام، كما قال في أول السورة ﴿ وَجَعَلَ الظَّلْمَتِ وَالنُّورُ ﴾ [الأنعام: ١] أي: فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه، ويجيء النهار

⁽١) كلتا القراءتين متواترتان.

بضيائه وإشراقه، كقوله: ﴿ يُغْشِى أَلْتِلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلَبُمُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤] فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة، الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنه فالق الإصباح، وقابل ذلك بقوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْيَلَ سَكَنًا ﴾ أي: ساجياً مظلماً، لتسكن فيه الأشياء، كما قال: ﴿ وَالشِّحَى فَي وَالنّهَا لِهَ عَلَى فَي الشَّهَا فَي ﴾ [الضحى] وقال: ﴿ وَالنَّهَا لِهَ السَّمِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ

وقال صهيب الرومي رضي الله لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره: إن الله جعل الليل سكناً إلا لصهيب، إن صهيباً إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه، رواه ابن أبي حاتم (١).

وقوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسَبَانًا ﴾ أي: يجريان بحساب مقنن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِى جَمَلَ الشَّمْسَ ضِياَهُ وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَاذِلَ ﴾ الآية [يونس: ٥] وكما قال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَمَا أَن تُدُرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا النَّالُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسَبَحُونَ ﴿ اللهِ السَّمِ وَاللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

وقوله: ﴿ وَالِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَرِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ أي: الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف، العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيراً ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ ٱلنَّالُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُظلِمُونَ ﴿ وَالْشَمْسُ جَمْرِى لِمُسْتَقَرِ لَهَا وَلَا سُورة وَلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿ وَمَا فيهن، في أول سورة حم السجدة، قال: ﴿ وَرَبَّنا السَّمَاءَ ٱلدُّنَا بِمَصَدِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِلْهَنَدُواْ بِهَا فِى ظُلْمَنَتِ الْبَرِّ وَالْبَحَرِّ فَال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه، أن الله جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

وقوله: ﴿قَدَّ فَصَّلْنَا ٱلْآيَكَ ﴾ أي: قد بيناها ووضحناها ﴿لِقَوْمِ يَعَلَمُونَ ﴾ أي: يعقلون ويعرفون الحق، ويتجنبون الباطل.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي آنشَا كُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ ﴾ يعني: آدم ﷺ، كما قال: ﴿يَثَاثُهُمَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَيْسَانَهُ ﴾ [النساء: ١].

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن صهيب وسنده ضعيف لأن عبد العزيز لم يسمع من صهيب في بل لم يدرك أحداً من الصحابة في .

وقوله: ﴿فَسُتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَةً ﴾ اختلفوا في معنى ذلك، فعن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي عبد الرحمن السلمي، وقيس بن أبي حازم، ومجاهد، وعطاء، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وعطاء الخراساني، وغيرهم ﴿فَسُتَقَرُّ ﴾ أي: في الأرحام (١١)، قالوا - أو أكثرهم - ﴿وَمُسْتَوَرَّةً ﴾ أي: في الأصلاب.

وعن ابن مسعود وطائفة عكسه، وعن ابن مسعود أيضاً وطائفة، فمستقر في الدنيا، ومستودع حيث يموت.

[وقال سعيد بن جبير: فمستقر في الأرحام، وعلى ظهر الأرض، وحيث يموت] (٢)(٣). وقال الحسن البصري: المستقر الذي قد مات، فاستقر به عمله (٤).

وعن ابن مسعود: ومستودع في الدار الآخرة (٥). والقول الأول أظهر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَتِ لِقَوْمِ يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون ويعون كلام الله ومعناه، وقوله تعالى: ﴿وَهُو ٱلَذِى آنَزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاآهِ مَآهُ﴾ أي: بقدر مباركاً ورزقاً للعباد وإحياء وغياثاً للخلائق، رحمة من الله بخلقه ﴿وَأَخْرَجْنَا بِهِم نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ أي: زرعاً وشجراً أخضر، ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر، ولهذا قال تعالى: ﴿ فُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَاكِبًا ﴾ أي: يركب بعضه بعضاً كالسنابل ونحوها، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّغْلِ مِن طَلِيها قِنَوَانٌ ﴾ أي: جمع قنو، وهو عذوق الرطب ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أي: قريبة من المتناول، كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس ﴿ قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ يعني: بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض (٢٠)، رواه ابن جرير. قال ابن جرير: وأهل الحجاز يقولون قِنوان، وقيس يقولون قُنوان، قال امرؤ القيس:

فأتَّت أعاليه وآدت أصوله ومال بقنوان من البُسر أحمرا(٧)

⁽۱) ذكرهم ابن أبي حاتم أغلبهم بحذف السند وقول ابن مسعود أخرجه الحاكم بسند صحيح، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٤١)، وقول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول عطاء بن أبي رباح أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن جريج عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول إبراهيي النخعي أخرجه الطبري من عدة طرق يقوي بعضها بعضاً، وقول عطاء الخراساني أخرجه الطبري بسند حسن من طريق حماد بن سلمة عنه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير.

⁽٣) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (مح) و(حم).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق منصور بن المعتمر عن الحسن.

⁽٥) أخرجه عبد الرزاق من طريق إبراهيم النخعي عن ابن مسعود، وسنده ضعيف لأن النخعي لم يسمع ابن مسعود.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق الوالبي به نحوه.

⁽٧) ذكره الطبري وهو في ديوان امرئ القيس ص٦٧.

قال: وتميم يقولون قنيان بالياء (١) قال: وهي جمع قنو، كما أن صنوان جمع صنو، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّتِ مِنْ أَعْنَبِ﴾ أي: ونخرج منه جنات من أعناب، وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده، في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَتِ النَّخِلِ وَالْأَعْنَبِ نَنَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل: ٢٧] وكان ذلك قبل تحريم الخمر، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتِ مِن نَجْيلِ وَأَعْنَبٍ ﴾ [يس: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَلَا مُشْتَبِهًا وَغَيْر مُتَشَابِهُ قي الشمار شكلاً وطعماً وطبعاً.

وقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِفِهُ أَي: نضجه، قاله البراء بن عازب، وابن عباس، والضحاك، وعطاء الخراساني، والسدي، وقتادة (٣)، وغيرهم؛ أي: فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطباً، صار عنباً ورطباً، وغير ذلك مما خلق الله من الألوان والأشكال والطعوم والروائح، كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجُورَتٌ وَجَنَتُ مِنْ أَعْنَبِ وَزَرَعٌ وَغَيْلٌ صِنْوَانُ وَغَيْرُ صِنْوَانِ يُسْقَى بِمَآ وَجِدِ وَنُفَضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلُ الآية [الرعد: ٤] ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَايَدِي أَيها الناس ﴿ لَايَتِ اَي دَلالات، على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدقون به ويتبعون رسله (٤).

﴿ وَجَعَلُوا يَتُو شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمُ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَدَتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَكَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا ﴾. (يَصِفُونَ ﴿ ﴾.

هذا ردّ على المشركين، الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا به في عبادته، أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء له في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل: فكيف عبدت الجن، مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب: أنهم ما عبدوها، إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، كقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَّنَا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَ عَن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، كقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَّنَا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَكُنَا مَرِيدًا ﷺ وَلَأَمُنَا اللهُ وَقَالَ لَأَغْنِهِ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلْيُغِيرُكَ خَلْقَ اللهَ وَمَن يَتَخِذِ الشَّيْطَكَنَ وَلِيَّا مِن دُونِ اللهِ فَقَد خَسِرَ خُسَرَانًا مُبِينًا ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِيمٍ مَّ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَكُ إِلَا عُهُدًا فِي النساء] وكقوله تعالى: ﴿ أَفَنَتَخِدُونَهُ وَذُرِيَّتُهُ وَلِيكَا مِن دُونِ ﴾ الآية [الكهف: ٥٠].

⁽١) ذكره الطبري ولم يذكر ما بعده.

⁽٢) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل: «من بعضه بعض».

⁽٣) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند إلا قول البراء فقد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عنه، وقول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٤) ورد في حاشية الأصل: آخر أجزاء المؤلف كللله من هذه السورة، ومن هذه الآية ابتدأ بتعليق هذا التفسير إلى آخر القرآن، ثم فسر من سورة البقرة إلى ههنا، ووافق التعليق يوم الجمعة رابع عشر من ذي قعدة، كذا نصه، سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، فكتب الجميع في نحو أربع سنين اه.

وقال إبراهيم لأبيه: ﴿ يَتَأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَنَّ إِنَّ الشَّيْطَنَ كَانَ لِلرَّمْمَنِ عَصِيًّا ﴿ وَ الْمَاكُ وَ اللّهُ وَالْمَاكُ وَ اللّهُ وَاللّهُ وَمَا تَعْمَلُونَ اللّهِ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتِ بِغَيْرِ عِلْمِ ﴾ ينبه به تعالى عن ضلال من ضلّ، في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في عزير، ومن قال من النصارى في عيسى، ومن قال من مشركي العرب في الملائكة، إنها بنات الله _ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً _، ومعنى ﴿وَخَرَقُوا ﴾ أي: اختلقوا وائتفكوا وتخرصوا وكذبوا، كما قاله علماء السلف:

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: وخرقوا يعني تخرصوا(١).

وقال العوفي، عنه: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتِ بِغَيْرِ عِلْمِ ﴾. قال: جعلوا له بنين وبنات (٢). وقال مجاهد: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ قال: كذبوا وكذا قال الحسن (٣)، وقال الضحاك: وصفوا (٤).

وقال السدى: قطعوا(٥).

قال ابن جرير: وتأويله إذاً وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياهم، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَتِ بِغَيْرِ عِلْمَ ﴾ بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته، فإنه لا ينبغي لمن كان إلهاً، أن يكون له بنون وبنات، ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك (٢)، ولهذا قال: ﴿سُبّحَكنَهُ وَتَعَلَى عَمّا يَصِفُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه وتعاظم، عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون، من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء.

﴾ ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞﴾.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلأَرْضِ ﴾ أي: مبدعهما، وخالقهما، ومنشئهما، ومحدثهما، على غير مثال سبق، كما قال مجاهد والسدي(٧): ومنه سميت البدعة بدعة، لأنه لا نظير لها فيما سلف، ﴿أَنَّ

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبيّ حاتم بسند ضعيف من طريق العوفّي به ويتقوى بسابقه.

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

⁽٤) كذا في الأصل وفي رواية ابن أبي حاتم، وفي (عش) و(مح) بلفظ: «وضعوا».

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) ذكره الطبري بنحوه.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي بلفظ: «ابتدعهما فخلقهما، ولم يخلق قبلها شيئاً فيتمثل عليه»، ثم قال: وروي عن مجاهد نحو ذلك.

يَكُونُ لَهُ وَلَدُ ﴾ أي: كيف يكون ولد، ﴿ وَلَتَ تَكُن لَهُ صَنْحِبَةٌ ﴾ أي: والولد إنما يكون متولداً بين شيئين متناسبين، والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه، لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ التَّخَذَ الرَّحْنَنُ وَلَدًا ۞ لَقَدَ جِنْتُمْ شَيْئًا إِذًا ۞ تَكُدُ السَّمَنَونُ يَنْفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُ لَلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوًا لِلرَّحْنِنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَلْبَغِي لِلرِّحْنِنِ أَن السَّمَنونِ وَالأَرْضِ إِلّا ءَانِي الرَّحْنِ عَبْدًا ۞ لَقَدَ أَحْصَنهُم وَعَدَهُمْ عَدًا ۞ يَنْجِدُ وَلِدًا ۞ إِن كُنُ مَن فِي السَّمَنونِ وَالأَرْضِ إِلّا ءَانِي الرَّحْنِ عَبْدًا ۞ لَقَدَ أَحْصَنهُم وَعَدَهُمْ عَدًا ۞ وَكُلُهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِينَمَةِ فَرْدًا ۞ [مريم].

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه، وهو الذي لا نظير له، فأنى يكون له ولد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿ وَالِحُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ لَاۤ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَّ خَلِقُ كُلِ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۚ فَي الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللل

يقول تعالى: ﴿ ذَالِكُمُ اللّهُ رَبُكُمُ أَللّهُ رَبُكُمُ أَللهُ رَبُكُمُ أَللهُ وَلا صاحبة ﴿ لاَ سَوِيكَ له ولا صاحبة ﴿ لاَ اللّهُ إِلّا هُو خَلِقُ كُلِ شَيء وأقبُدُوه أي: فاعبدوه وحده، لا شريك له، وأقروا له بالواحدنية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له، ولا والد ولا صاحبة له، ولا نظير ولا عديل ﴿ وَهُو عَلَى كُلِ شَيء وَكِيلُ ﴾ أي: حفيظ ورقيب، يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار.

وقوله: ﴿ لَا تُدرِكُهُ ٱلْأَبْصَنْرُ ﴾ فيه أقوال للأئمة من السلف:

(أحدها) لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار، عن رسول الله على من غير ما طريق ثابت، في الصحاح والمسانيد والسنن، كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب، وفي رواية على الله، فإن الله تعالى قال: ﴿ لَا تُدَرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدَرِكُ الْأَبْصَارُ ﴾ رواه ابن أبي حاتم: من حديث أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي الضحى، عن مسروق (١)، ورواه غير واحد عن مسروق، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه (٢).

وخالفها ابن عباس، فعنه: إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين، والمسألة تذكر في أول سورة النجم إن شاء الله.

وقال ابن أبي حاتم: ذَكر محمد بن مسلم، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحيى بن معين، قال: سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَكُرُ﴾ قال هذا في الدنيا(٣).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق يحيل بن آدم عن أبي بكر بن عياش به، وسنده حسن.

⁽٢) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم «أمين...» (ح٣٢٣٤).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

وذكر أبي عن هشام بن عبيد الله، أنه قال نحو ذلك(١١).

وقال آخرون: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ أي: جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة.

وقال آخرون من المعتزلة، بمقتضى ما فهموه من هذه الآية، أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل، بما دلّ عليه كتاب الله وسنّة رسوله. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَإِذِ نَاضِرَةٌ ﴿ إِلَى رَبِّمَا نَاظِرَةٌ ﴿ ﴾ [القيامة] وقال تعالى عن الكافرين: ﴿ كُلَّا إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَإِذِ لَمَحْجُوبُونَ ﴿ المَطففين].

قال الإمام الشافعي: فدل هذا، على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى. أما السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال وغير واحد من الصحابة، عن النبي على أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، في العرصات وفي روضات الجنّات (٢)، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

وقيل: المراد بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ أي: العقول، رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، عن الفلاس، عن ابن مهدي، عن أبي حصين يحيى بن الحصين، قارئ أهل مكة، أنه قال ذلك^(٣)، وهذا غريب جداً، وخلاف ظاهر الآية، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية، والله أعلم.

وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك، فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم. ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو؟

فقيل: معرفة الحقيقة، فإن هذا لا يعلمه إلّا هو، وإن رآه المؤمنون، كما أن من رأى القمر، فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته، فالعظيم أولى بذلك، وله المثل الأعلى.

وقال آخرون: المراد بالإدراك الإحاطة، قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] وفي صحيح مسلم: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(٤) ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَا تُدَرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ وَهُوَ يُدَرِكُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ ﴾ قال: لا يحيط بصر أحد بالملك(٥).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ولفظه وسنده حس.

 ⁽۲) أخرج الإمام مسلم عدة أحاديث بنحوه من حديث عبد الله بن قيس وصهيب الرومي وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة (الصحيح، الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح١٨٠ - ١٨١)، وباب معرفة طريق الرؤية (ح١٨٠ - ١٨٣).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (ح٤٨٦).

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن عكرمة، أنه قيل له: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَئرُ﴾ قال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: فكلها ترى؟ (١).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في الآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ وَهُوَ يُدَّرِكُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا خالد بن عبد الرحمٰن، حدثنا أبو عرفجة، عن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَدٍ نَاضِرَةً ۚ ۚ إِلَى رَبِّمَا نَاظِرَةً ۚ ۚ ۚ القيامة] قال: هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به، من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لَا تَدْرِكُ ٱلْأَبْصَدُرُ وَهُوَ يُدِرِكُ ٱلْأَبْصَدُرُ ﴾ .

وورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم لههنا، فقال: حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث السهمي، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله على في قوله: ﴿لَا تُدَرِكُهُ ٱلْأَبْصَدُو وَهُوَ يُدَرِكُ ٱلْأَبْصَدُو وَهُوَ يُدَرِكُ ٱلْأَبْصَدُو وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُ قال: «لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا، صفوا صفاً واحداً، ما أحاطوا بالله أبداً»(٤). غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والله أعلم.

وقال آخرون في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَدُ اللهِ الراه الترمذي في جامعه، وابن أبي عاصم في كتاب السنة له، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن مردويه أيضاً، والحاكم في مستدركه، من حديث الحكم بن أبان، قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه تبارك وتعالى، فقلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَدُ وَهُو يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَدُ الآية، فقال لي: لا أم لك، ذلك نوره، الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء، وفي رواية لا يقوم له شيء قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وفي معنى هذا الأمر، ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري و موفوعاً: ﴿إِنَ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار، حجابه النور - أو النار - لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (٢٠).

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أبو عرفجة وهو عمير بن عرفجة الكوفي، سكت عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

⁽٥) أخرجه الترمذي (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم (ح٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم (السنة ح٣٣٧)، وابن أبي حاتم والحاكم (المستدرك ٣٠٦/٢)، وفي سنده الحكم بن أبان صدوق له أوهام كما في (التقريب ص١٧٤)، وله شاهد من حديث أبي أخرجه مسلم (الصحيح، الإيمان، باب قوله عليه نور أنى أراه ح١٧٨)، ويشهد له أيضاً الحديث التالي.

⁽٦) أخرجه مسلم، الإيمان، باب قوله ﷺ: "إن الله لا ينام" (ح١٧٩).

وفي الكتب المتقدمة: إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية: يا موسى، إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، أي: تدعثر.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ شُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَيْتُ وَقَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتُ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَعَلْمَتُهُ عَلَى مَا هُو عَلَيْهُ، تعالى وتقدس وتنزه، فلا اللَّبصاد، المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه، تعالى وتقدس وتنزه، فلا تدركه الأبصار.

ولهذا كانت أُم المؤمنين عائشة ﷺ، تثبت الرؤية في الدار الآخرة، وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ وَمُو يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰئُرُ ﴾ (١) فالذي نفته الإدراك، الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال، على ما هو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر، ولا للملائكة، ولا لشيء.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَنَرُ ﴾ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه، لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿ الملك] وقد يكون عبر بالإبصار عن المبصرين، كما قال السدي: في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَنُرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَدَرُ ﴾ لا يراه شيء، وهو يرى الخلائق (٢).

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْمَنِيرُ﴾ قال: اللطيف لاستخراجها، الخبير بمكانها(٢)، والله أعلم، وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه ﴿يَبُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَوَتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفُ خَبِرُ اللهُ اللهُ إِنَّ ٱللهَ لَطِيفُ خَبِرُ اللهُ اللهُ اللهُ إِنَّ ٱللهَ لَطِيفُ خَبِرُ اللهُ اللهُ اللهُ إِنَّ اللهُ لَطِيفُ

﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَآبِرُ مِن تَرْتِكُمُّ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِةِ ، وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا عَلَيْتُكُم بِحَفِيظِ ۗ ۖ } وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَنَتِ وَلِيقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞﴾.

البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به رسول الله ﷺ ﴿فَمَنَ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِةُ وَمَن ضَلَ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥] ولهذا قال: ﴿وَمَنْ ضَلَ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥] ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عَنِى فَعَلَيْهَا ﴾ أي: إنما يعود وباله عليه، كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَدُرُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿ وَمَا آَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظِ ﴾ أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مبلغ، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِفُ آلْآيَتِ ﴾ أي: وكما فصلنا الآيات في هذه السورة، من بيان التوحيد، وأنه لا إله إلا هو، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين، وليقول المشركون والكافرون المكذبون: دارست يا محمد من قبلك، من أهل الكتاب

⁽١) تقدم حديثها في بداية تفسير هذه الآية.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

وقارأتهم، وتعلمت منهم، هكذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك(١)، وغيرهم.

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن كيسان، قال: سمعت ابن عباس يقول: دارست: تلوت، خاصمت، حادلت (۲).

وهذا كقوله تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَلَذَا إِلَّا إِنَّكُ ٱفْتَرَنَهُ وَأَعَانَهُ وَعَالَمُ اللَّهِ وَقَمُ عَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُولًا ۞ وَقَالُواْ أَسْلِطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ آخَتَبَهَا ﴾ [الفرقان: ٤، ٥] الآية، وقال تعالى إخباراً عن زعيمهم، وكاذبهم: ﴿ إِنَّهُ فَكَرَ وَفَذَرَ ۞ فَقُبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُبِلَ كَيْفَ مَدّرَ ۞ ثُمَّ فَيلَ كَيْفَ مَدّرَ ۞ ثُمّ مَنِكَرَ ۞ ثُمّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ بُوْتُرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلَّا فَوْلُ الْبَشِرِ ۞ ﴾ [المدثر].

وقوله: ﴿ وَلِنُهُ يَنِنُهُ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيجتنبونه فلله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى: ﴿ يُعِيلُ لِهِ كَثِيرًا وَلَهُ وَيَهُدِى بِهِ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦] الآية، وكقوله: ﴿ يَبَجّعَلَ مَا يُلقِي الشّيطَنُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فَالْوَبِهِم مُرَضُّ وَالْقَاسِيةِ قُلُوبُهُمُ ﴾ [البحج: ٢٥] ﴿ وَإِنَّ اللّهَ لَهَادِ اللّهِينَ المَنْوَا إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٤٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصَابَ النّادِ إِلّا مَلْتَكُمُ وَمَا جَعَلْنَا عِدّتُهُم إِلّا فِتْنَةً لِلّذِينَ كَفُرُوا لِيسَتَيْقِنَ النّينَ أُونُوا الْكِنَبُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقُولُ الّذِينَ فِي قُلُوبِم مَهُنُّ وَالْكَفِرُونَ مَانَا أَلَا اللّهِ اللّهُ مَن يَشَكُمُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوكُ الله الله مَن يشَكَّهُ وَيَلْدِينَ لَا يُولُولُونَ فِي عَلَيْهِ مَقَوْسُ وَلَا الله الله على انه تعالى: ﴿ قُلْ هُولَ اللّهِينَ عَلَمُ اللهُ مُنَالًا هَدُكَ وَشِفَا أُولَا القرآن هدى اللّه الله من يشاء ويهدي من يشاء .

⁽۱) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أربدة التميمي عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق يحيى أبي المعلى العطار عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عنه.

⁽٢) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٣٧/١١ ح١٢٨٣)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢)، وأخرجه عبد الرزاق عن سفيان به (المصنف ٢/ ٢١٦)، وعمرو بن كيسان ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه (الجرح ٢/ ٢٥٦).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أربدة به.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٥) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عنه.

وقال عبد الرزاق: عن معمر، قال الحسن: (وليقولوا دَرَسَتْ) يقول: تقادمت وانمحت(١١).

وقال عبد الرزاق أيضاً: أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمعت ابن الزبير يقول: إن صبياناً يقرأون هاهنا (دَرَسَتْ)، وإنما هي ﴿دَرَسَتَ﴾(٢).

وقال شعبة: حدثنا أبو إسحاق الهمداني قال: هي في قراءة ابن مسعود (دَرَسَتْ)، يعني بغير ألف، بنصب السين ووقف على التاء^(٣).

قال ابن جرير: ومعناه: انمحت وتقادمت، أي: أن هذا الذي تتلوه علينا، قد مر بنا قديماً وتطاولت مدته.

وقال سعید بن أبی عروبة، عن قتادة، أنه قرأها (دُرِسَتْ)، أي: قُرِأت وتُعَلمت^(٤)، وقال معمر عن قتادة: (دُرِسَتْ) قُرأتْ، وفي حرف ابن مسعود: (درس)^(٥).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا حجاج، عن هارون، قال: هي في حرف أبي بن كعب، وابن مسعود (وليقولوا دَرَسَ)^(۲)، قال: يعنون النبي على أنه قرأ، وهذا غريب، فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا: قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن ليث، حدثنا أبو سلمة، حدثنا أحمد بن أبي بزة المكي، حدثنا وهب بن زمعة، عن أبيه، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال: أقرأني رسول الله على ﴿وَلِيَعُولُوا دَرَسَتَ﴾. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زمعة، وقال: يعني بجزم السين ونصب التاء (۷)، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿ وَأَنِّبِعَ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ۚ لَا إِلَكَ إِلَّا هُوْ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوَ شَآةَ ٱللَّهُ مَا ۗ أَشَرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوكِيلِ ۞﴾.

يقول تعالى آمراً لرسوله ﷺ ولمن اتبع طريقته: ﴿ الَّذِعَ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾ أي: اقتد به واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق، الذي لا مرية فيه، لأنه لا إله إلا هو ﴿ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك، وينصرك ويظفرك عليهم واعلم أن لله حكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس جميعا، ﴿ وَلَوَ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَئَ ﴾ [الأنعام: ٣٥].

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح وهي قراءة متواترة.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح وهي قراءة متواترة.

⁽٣) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، وهي قراءة متواترة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح عن سعيد به، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند منقطع لأن قتادة لم يسمع ابن مسعود، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

⁽٦) أخرجه الطبري من طريق أبي عبيد به، وسنده ضعيف للانقطاع بين هارون وأُبي وابن مسعود فإنه لم يسمع منهما بل لم يدركهما. والقراءة شاذة تفسيرية.

⁽۷) أخرجه الحاكم من طريق وهب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ۲۳۸/۲)، وفي سنده زمعة وهو ابن صالح وهو ضعيف (التقريب ص۲۱۷)، ولا يضر فإن القراءة متواترة.

﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا أَشَرَكُوا ﴾ أي: بل له المشيئة والحكمة، فيما يشاؤه ويختاره، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ أي: حافظاً، تحفظ أقوالهم وأعمالهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ أي: موكل على أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى: ﴿فَذَكِرُ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۚ إِنَّمَا تَلَيْهُ وَعَلَيْنَا الْخِسَابُ ﴾ أَنتَ مُذَكِّرٌ إِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلَيْنَا الْخِسَابُ ﴾ [الخاشية] وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلَيْنَا الْخِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلَّمِ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَمُ مُّمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَلُنَتِئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞﴾.

يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سبّ آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبّ إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ﴿فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدَّنًا بِغَيْرِ عِلَّمِ ﴾ (١).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله عدواً بغير علم، فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّوا اللَّهِ عَنْ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾(٢).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسيره هذه الآية: لما حضر أبا طالب الموت: قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه.

فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البختري، وبعثوا رجلاً منهم يقال له: المطلب، قالوا: استأذن لنا على أبي طالب، فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم عليه، فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي هي فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله على: «ما تريدون؟» قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، ولندعك وإلهك، فقال النبي في: «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم بها العجم، وأدت لكم الخراج» قال أبو جهل: وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا: فما هي؟ قال: «قولوا: لا إله إلا الله» فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي، قل غيرها، فإن قومك قد فزعوا منها، قال: «يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي، ما قلت غيرها» إرادة أن يؤيسهم فغضبوا، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك،

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح لكنه مرسل ويشهد له سابقه.

فذلك قوله: ﴿فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١).

ومن هذا القبيل، وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها، ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سبّ والديه؟ قال: «يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمه فيسب أمه» أو كما قال ﷺ (٢).

وقوله: ﴿ كَلَالِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَهُمَ اي: وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم، والمحاماة لها والانتصار، كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه، ولله الحجة البالغة، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَرَّجِعُهُمَ أي: معادهم ومصيرهم ﴿ فَكُنِتُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ.

﴿ وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنهِمْ لَهِن جَآءَتُهُمْ ءَايَّةٌ لَيُؤْمِئُنَ بِمَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَنَتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَآءَتُ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي أَنْهَا إِذَا جَآءَتُ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي أَنْهَا لِهَ يَوْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي أَنْهَا لِهَ يَوْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي أَنْهَا لِهِ يَعْمَهُونَ اللهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

يقول تعالى إخباراً عن المشركين، أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي حلفوا أيماناً مؤكدة ﴿ لَهِنَ جَاءَتُهُمْ مَايَدٌ ﴾ أي: ليصدقنها ﴿ قُلَ إِنَّمَا ٱلْآيَنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: ليصدقنها ﴿ قُلَ إِنَّمَا ٱلْآيَنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: قل: يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات، تعنتاً وكفراً وعناداً، لا على سبيل الهدى والاسترشاد، إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء جاءكم بها، وإن شاء ترككم.

قال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كلّم رسول الله على قريش، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كان لهم ناقة، فآتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله على: «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟»، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: «فإن فعلت تصدقوني؟» قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسول الله يلا يدعو، فجاءه جبريل الله، فقال له: ما شئت إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله يلا يتوب تائبهم» فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَفْسَمُوا بِاللّهِ جَهَدَ أَتَكَنِهِم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَفْسَمُوا بِاللّهِ جَهَدَ أَتَكَنِهِم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُنَ أَصَعَمُوا عِللّهِ جَهَدَ أَتَكَنِهم ﴾ إلى من وجوه أخر.

وقــال الله تـعــالــى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِٱلْآيَتِ إِلَّا أَن كَذَبَ بِهَا ٱلْأَوَلُونَ وَءَالَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَنتِ إِلَّا تَخْوِيفُا ﴿ ﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنْهَا إِذَا جَاءَتُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [قيل: المخاطب بما يشعركم المشركون وإليه ذهب مجاهد وكأنه يقول لهم، وما

⁽۱) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي لكنه مرسل، ويتقوىٰ بالشواهد التي ستأتي في تفسير سورة صَ آية ٦.

⁽٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٣١، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص را

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أبي معشر وهو السندي، ولإرسال محمد بن كعب وله شاهد يقويه يأتي في سورة الإسراء آية ٥٩.

يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها، وعلى هذا فالقراءة ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾](١)(٢) بكسر أنها استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عن مجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم (أنها إذا جاءت لا تؤمنون) بالتاء المثناة من فوق وقيل: المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمُ المؤمنون، يقول: وما يدريكم أيها المؤمنون، وعلى هذا فيجوز في قوله: ﴿أَنَّهَا الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم، وعلى هذا فتكون لا في قوله: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَآءَتَ لا يُؤْمِنُونَ صلة كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْبُدُ إِذَ أَمْرَتُكُ الاعراف: ١٦] وقوله: ﴿وَحَكَرَمُ عَلَى قَرْيَةٍ المَكْتَهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُون ﴿ الأنبياء] أي: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك، وحرام أنهم يرجعون، وتقديره في هذه الآية، وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك، حرصاً على إيمانهم، أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون، قال بعضهم: أنها بمعنى لعلها.

قال ابن جرير: وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب، قال: وقد ذكر عن العرب سماعاً اذهب إلى السوق، أنك تشتري لنا شيئاً، بمعنى لعلك تشتري، قال: وقد قيل: إن قول عدى بن زيد العبادى من هذا:

أعاذل ما يُدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد (٣) وقد اختار هذا القول ابن جرير، وذكر عليه من شواهد أشعار العرب والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفِئدَتَهُمْ وَأَبْصَدَرَهُمْ كُمَا لَرَ يُؤْمِنُواْ بِدِهِ أَوَّلَ مَرَّةً ﴾ قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، وُردَّت عن كل أمر^(٤).

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفِّدَتَهُمْ وَأَبْصَكَرَهُمْ ﴾: ونحول بينهم وبين الإيمان، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة (٥)، وكذا قال عكرمة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم (٦).

وقال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس فله ، أنه قال: أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، وقال: ﴿وَلَا يُنَبِّنُكُ مِثْلُ خِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤] جل وعلا وقال: ﴿أَن تَقُولَ نَقُولَ بَعَمْرَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَ ٱللّهُ هَدَىنِ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُنْقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَن لِي حَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ الله منحانه، أنهم لو ردوا لم يكونوا على الهدى، وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِما بَهُواْ الله مُنَا أَنهُمُ لَكُذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِبُ أَفِيدُ أَفِيدَتُهُمْ وَأَنْصَدَوهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُواْ بِهِ الله مَن وهم مَرَّوَ ﴾ وقال: ولو رُدّوا إلى الدنيا، لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا .

⁽١) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

⁽٢) والقراءتان بالفتح والكسر في قوله: ﴿إِنها ﴾ متواترتان. (٣) ذكره الطبري مع القراءة عن أُبي من غير إسناد.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد.

آن قول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء الخراساني عنه، وقول عبد الرحمن أخرجه
 ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق أصبغ بن الفرج عنه.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمُ أَي: نتركهم ﴿فِي طُغْيَنِهِمُ قال ابن عباس والسدي: في كفرهم (١). وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة: في ضلالهم (٢). ﴿يَمْمَهُونَ ﴾ قال الأعمش: يلعبون (٣)، وقال ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، والربيع، وأبو مالك، وغيره: في كفرهم يترددون (٤).

﴿ ﴿ ﴿ وَلَوْ أَنْنَا زَأَلْنَا ۚ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَتِهِكَةَ وَكُلَّمَهُمُ ٱلْمُوْنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمَ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُواً ۚ إِلَيْ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَكِنَّ ٱلْحَثَرَكُمْمْ يَجْهَلُونَ ﴿ ﴾.

يقول تعالى: ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء، الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم، لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، كما سألوا فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللّهِ وَالْمُلَيّكَةِ فَيِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢] و﴿قَالُوا لَن نُوْمِن حَتَى نُوْتَى مِثْلَ مَا أُوتِى رُسُلُ اللّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿ وَ وَالْ اللّهِ عَلَيْنَا اللّهَ اللّهِ عَلَيْنَا اللّهَ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِكُلِّ نَبِيَ عَدُوًّا شَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِّ يُوجِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ رُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآةً رَبُّكَ مَا فَمَلُومُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِنَصْغَى إِلَيْهِ ٱفْضِدَهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقَنَرِفُونَ ۞﴾.

يقول تعالى: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك، جعلنا لكل نبي

⁽١) قول ابن عباس والسدي أخرجهما ابن أبي حاتم بسندين ضعيفين يقوي أحدهما الآخر، وتشهد لهما اللغة.

⁽٢) قول الربيع وأبي العالية أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق الربيع عن أبي العالية.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سفيان عن الأعمش.

⁽٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٥. (٥) وكلتاهما قراءتان متواترتان.

⁽٦) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (حم) و(مح).

٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من الطريقين عن ابن عباسُ والطريق الأول يقوي الطريق الثاني.

⁽A) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بنحوه.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد، وابن جريج لم يسمع من مجاهد.

من قبلك أيضاً أعداء فلا يحزنك ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَبُوكَ فَقَدْ كُذِبَ رُسُلُ مِن قَبْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٨٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلُ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِبُواْ وَأُودُواْ حَتَىٰ أَنْهُمْ فَصَرَانُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَنُو عَقَابٍ أَلِيمٍ ﴿ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ نَبِي عَدُواً مِن المُجْمِمِينَ ﴾ الآية والفرقان: ٣١].

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي(١١).

وقوله: ﴿شَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِ ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا ﴾ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم.

قال عبد الرزاق: حدثنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ شَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِ ﴾ قال: من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض، قال قتادة: وبلغني أن أبا ذرّ، كان يوماً يصلي، فقال النبي ﷺ: «تعوّذ يا أبا ذرّ من شياطين الإنس والجن» فقال: أو إنَّ من الإنس شياطين؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» (٢٠). وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر.

وقد روي من وجه آخر، عن أبي ذر هي قال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب، وغيره من المشيخة، عن ابن عائذ، عن أبي ذرّ، قال: أتيت رسول الله في مجلس قد أطال فيه الجلوس، قال، فقال: «يا أبا ذرّ هل صليت؟» قلت: لا يا رسول الله، قال: «قم فاركع ركعتين» قال: ثم جئت فجلست إليه، فقال: «يا أبا ذرّ هل تعوذت بالله من شياطين الإنس والجن» قال: قلت: لا يا رسول الله، وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم هم شر من شياطين الجن» وهذا أيضاً فيه انقطاع، وروي مصلاً.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، أنبأنا أبو عمر الدمشقي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذرّ، قال: أتيت النبي على وهو في المسجد، فجلست فقال: «يا أبا ذرّ هل صليت؟» قلت: لا، قال: «قم فصلّ» قال: فقمت فصليت ثم جلست، فقال: «يا أبا ذرّ تعوّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال: قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم» وذكر تمام الحديث بطوله (٤٠). وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره، من حديث جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى، ثلاثتهم عن المسعودي به.

⁽۱) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٣ ح٣ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي ح١٦٠).

 ⁽۲) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الانقطاع الذي ذكره الحافظ ابن كثير وقد صححه الحافظ بمجموع طرقه كما سيأتي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أيضاً انقطاع بين عائذ وأبي ذرّ، ويتقوىٰ بالطرق الأخرىٰ التالية:

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعفه محققوه (المسند ٣٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ ح٢١٥٤)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير ٢/ ٢٥٨)، فهو يوافق الحافظ ابن كثير كما تقدم.

(طريق أخرى عن أبي ذر) قال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن حميد بن هلال، حدثني رجل من أهل دمشق، عن عوف بن مالك، عن أبي ذرّ، أن رسول الله على قال: «يا أبا ذر، هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال: قلت: يا رسول الله هل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم»(۱).

(طريق أخرى للحديث) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوذت من شياطين الإنس والجن» قال: قلت: يا رسول وهل للإنس شياطين؟ قال: «نعم» ﴿شَيَطِينَ ٱلْإِنِس وَٱلْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُم إِلَى بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ عُرُوزًا ﴿ (٢) .

فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم.

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو نعيم، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة ﴿شَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال: ليس من الإنس شياطين، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن، قال: وحدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا إسرائيل، عن السدي، عن عكرمة، في قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُم إِلَى بَعْضِ ذُخُرُكَ عبد العزيز، حدثنا إسرائيل، عن السدي، عن عكرمة، في قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُم إِلَى بَعْضِ دُخُرُكَ فيوحي بَعْضُهُم إلى بعض زخرف القول غروراً(٣).

وقال أسباط، عن السدي، عن عكرمة في قوله: ﴿يُوحِى بَعّضُهُمْ إِلَى بَعْضِ﴾: أما شياطين الإنس، فالشياطين التي تضل الإنس، وشياطين الجن التي تضل الجن، يلتقيان، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا، فيعلم بعضه بعضاً بعضاً فقهم ابن جرير من هذا، أن المراد بشياطين الإنس، عند عكرمة والسدي، الشياطين من الجن الذين يضلون الناس، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم، ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى، وهو محتمل، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس، من رواية الضحاك عنه، قال: إن للجن شياطين يضلونهم، مثل شياطين الإنس يضلونهم، قال: فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن، فيقول هذا لهذا: أضلله بكذا، فهو قوله: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخُرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُولًا﴾ (٥٠).

وعلى كل حال، فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذرّ، أن للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيء ما رده، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذرّ، أن رسول الله على قال: «الكلب الأسود شيطان» ومعناه _ والله أعلم _: شيطان في الكلاب(٢٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده إبهام شيخ حميد.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف وصححه الحافظ بمجموع طرقه.

⁽٣) أخرَجه الطّبريّ بسنديه ومتنيه، والسند الأول يتقوىٰ بالسند الثاني، فسنده حسن. وعكرمة سقط من السند الثاني في طبعة أحمد شاكر.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي بدون ذكر عكرمة.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس.

⁽٦) صحيح مسلم، الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي (ح٥١٠).

وقال ابن جريج: قال مجاهد في تفسير هذه الآية: كفار الجن شياطين، يوحون إلى شياطين الإنس، كفار الإنس، زخرف القول غروراً (١).

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني، حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل، قال: فقال لي: اخرج إلى الناس فحدثهم، قال: فخرجت، فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟، فقلت: الوحي وحيان، قال الله تعالى: ﴿ بِمَا آوَحَيْنَا إِلَيْكَ هَلَا ٱلْقُرْءَانَ الله تعالى: ﴿ بِمَا آوَحَيْنَا إِلَيْكَ هَلَا ٱلْقُرْءَانَ الله تعالى: ﴿ بِمَا الله تعالى: ﴿ مُؤَلِّ هَالَ الله تعالى: ﴿ مُؤَلِّ الله تعالى: ﴿ مُؤَلِّ الله تعالى: ﴿ مُؤَلِّ الله تعالى الله تعلى الكم ذاك، إني مفتيكم وضيفكم فتركوني (٢).

وإنما عرّض عكرمة بالمختار ـ وهو ابن أبي عبيد قبحه الله ـ وكان يزعم أنه يأتيه الوحي، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر، وكانت من الصالحات، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآبِهِمَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقوله تعالى: ﴿يُوجِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوزاً ﴾ أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه، وإرادته ومشيئته، أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء ﴿ فَلَارُهُمُ ﴾ أي: فدعهم، ﴿ وَمَا يَقْتَرُونَ ﴾ أي: يكذبون. أي دع أذاهم، وتوكل على الله في عداوتهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِنَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ أي: ولتميل إليه. قاله ابن عباس^(٣) ﴿أَفَتِدَهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: قلوبهم وعقولهم وأسماعهم.

وقال السدي: قلوب الكافرين (٤). ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ أي: يحبوه ويريدوه، وإنما يستجيب ذلك من لا يؤمن بالآخرة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَنْتِينَ ﴾ [المافات] وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قُولٍ تُخْلِفٍ ﴾ [المافات] وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قُولٍ تُخْلِفٍ ﴾ [المداريات].

وقوله: ﴿ وَلِيَقَرَّمُوا مَا هُم مُّقَرِّفُوكَ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: وليكتسبوا ما هم مكتسبون (٥٠).

وقال السدي وابن زيد: وليعملوا ما هم عاملون (٦).

⁽١) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج به، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبى يزيد المدنى عن عكرمة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي بنحوه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق على به.

⁽٦) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من عبد الله بن وهب عنه.

﴾ ﴿ أَفَضَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكُمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِئنَبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِئنَبَ يَمْلَمُونَ أَنَكُم مُنَزَّلٌ مِن زَبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَنْكُونَنَ مِنَ ٱلْمُتْتَرِينَ ۞ وَتَمَّتَ كَلِمَتُ زَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَنتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞﴾.

يقول تعالى لنبيه على: قل لهؤلاء المشركين بالله، الذين يعبدون غيره: ﴿أَفَعَيْرُ اللّهِ أَبْتَغِى حَكُمًا ﴾ أي: مبيناً ﴿وَالَّذِينَ اَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِنْبَ مُفَصَّلاً ﴾ أي: مبيناً ﴿وَالَّذِينَ اَنَيْنَهُمُ الْكِنْبَ مُفَصَّلاً ﴾ أي: مبيناً ﴿وَالَّذِينَ النّيْنَهُمُ الْكِنْبَ مُفَصَّلاً ﴾ أي: مبيناً ﴿وَالَّذِينَ الْنَيْنَهُمُ الْكِنْبَ مُفَصَّلاً ﴾ أي: بما عندهم من الكينب أي أي المتقدمين ﴿فَلا تَكُونَنَ مِنَ الْمُتَوِينَ ﴾ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكِ مِنَا البشارات بك، من الأنبياء المتقدمين ﴿فَلا تَكُونَنَ مِنَ المُتَوَيِّنَ ﴾ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكِ مِنَا اللّهُ اللّهِ عَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللهُ ا

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدَّلاً ﴾ قال قتادة: صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم (١)، يقول صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة، كما قال تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُونِ وَيَنْهَمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ﴾ إلى آخر الآية [الأعراف: ١٥٧].

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾ أي: ليس أحد يعقب حكمه تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال عباده ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكُثَرَ مَن فِ ٱلْأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا } يَتْمِصُونَ ۚ إِنَّا رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِن يَضِلُ عَن سَبِيلِةٍ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْمَدِينَ ﴿ ﴾.

يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض، من بني آدم أنه الضلال، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ مَنْ اللَّهُمْ أَكُنُ الْأَوْلِينَ ﴿ وَمَا أَكُنُ الْأَوْلِينَ ﴿ وَمَا أَكُنُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضَتَ بِمُوْمِنِينَ فَي اللَّهُمْ أَكُنُ الْأَوْلِينَ ﴿ وَمَا اللَّهِمُ السَّواعلى يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل، ﴿ إِن يَنْبِعُونَ إِلَّا الظّنَ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ فإن الخرص هو الجزر، ومنه خرص النخل، وهو جزر ما عليها من التمر، وذلك كله عن قدر الله ومشيئته ﴿ هُو اَعْلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِةً ﴾ فيسره لذلك ﴿ وَهُو اَعْلَمُ إِلْمُهَمَّدِينَ ﴾ فيسرهم لذلك، وكل ميسر لما خلق له.

﴿ وَمُكُلُواْ مِمَا ذَكِرَ ٱسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِنَاكِتِهِ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ﴾ انسُدُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلّا مَا اَضْطُورَتُدْ إِلَيْهُ وَإِنَّ كَذِيرًا لَيْضِلُونَ بِأَهْوَآبِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿ اللّهِ عَلَمُ اللّهِ عَلَيْ عِلْمُ اللّهُ مَا خَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اَضْطُورَتُدْ إِلَيْهُ وَإِنَّ كَذِيرًا لَيُضِلُونَ بِأَهْوَآبِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا مَا اَضْطُورَتُدُ إِلَيْهُ وَإِنَّ كَذِيرًا لَيُضِلُونَ بِأَهْوَآبِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ وَالْمُعْتَدِينَ ۞﴾.

هذا إباحة من الله، لعباده المؤمنين، أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات، وأكل ما ذبح

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

على النصب وغيرها، ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمُ أَلَّا تَأْكُوا عَلَى النَّهُ الله عليه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمُ أَلَا تَأْكُوا مِمَّا ذُكِرَ السّمُ الله عَلَيه الله ووضحه، قرأ بعضهم فصّل بالتشديد، وقرأ آخرون بالتخفيف، والكل بمعنى البيان والوضوح، ﴿إِلَّا مَا اَضْطُرِرْتُمُ إِلَيْهِ أَي: إلا في حال الاضطرار، فإنه يباح لكم ما وجدتم، ثم بين تعالى جهالة المشركين، في آرائهم الفاسدة، من استحلالهم الميتات، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى، فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيْفِلُونَ بِأَهْوَآبِهِم بِغَيْرِ عِلْمٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم.

﴿ وَذَرُوا ظَلِهِرَ ٱلْإِنْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۞ ﴾.

قال مجاهد: ﴿وَذَرُوا ظَانِهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ المعصية في السر والعلانية (١)، وفي رواية عنه، هو ما ينوي مما هو عامل (٢).

وقال قتادة: ﴿وَذَرُوا ظَلِهِرَ ٱلْإِنْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ أَي: سره وعلانيته قليلهُ وكثيرهُ (٣).

وقال السدي: ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات، وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والأخدان (٤٠).

وقال عكرمة: ظاهره نكاح ذوات المحارم. والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله، وهي كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الآية [الأعراف: ٣٣]، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجَرَّونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ أي: سواء كان ظاهراً أو خفياً، فإن لله سيجزيهم عليه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله على عن الإثم، فقال: «الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه»(٥).

﴿ وَلَا تَأْكُولُوا مِمَّا لَوْ يُذَكِّرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآيِهِمْ لِيُخْدِلُوكُمْ وَإِنْ ٱلضَّيْطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآيِهِمْ لِيُحْدِلُوكُمْ اللَّهُمُ مُشْرِكُونَ ﴿ ﴾.

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها، وإن كان الذابح مسلماً، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة، وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً، وهو مروي عن ابن عمر، ونافع مولاه، وعامر الشعبي، ومحمد بن سيرين، وهو رواية عن الإمام

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي بنحوه.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه مسلم من طريق عبد الرحمن بن مهدي به (الصحيح، البر والصلة، باب تفسير البر والإثم ح٢٥٥٣).

مالك، ورواية عن أحمد بن حبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين، وهو اختيار أبي ثور، وداود الظاهري، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي، من متأخري الشافعية، في كتابه «الأربعين»، واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية، وبقوله في آية الصيد ﴿فَكُلُوا السَّكُنُ عَلَيْكُمُ وَالْكُرُوا السَّمُ اللَّهِ عَلَيْعُ ﴾ [المائدة: ٤] ثم قد أكد في هذه الآية بقوله: ﴿وَإِنّهُ لُوسَقُ والضمير قيل عائد على الأكل، وقيل عائد على الذبح لغير الله، وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد، كحديثي عَدي بن حاتم وأبي ثعلبة: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك» وهما في الصحيحين أيضاً (١)، وحديث ابن مسعود: أن «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه» وهو في الصحيحين أيضاً (١)، وحديث ابن مسعود: أن رسول الله عليه قال نقل رسول الله عليه أخرجاه (١٠)، وعن عائشة هذا: أن ناساً قالوا: يا رسول الله المن عليه أخرجاه (١٤)، وعن عائشة هذا: أن ناساً قالوا: يا رسول الله المن وكلوا» قالت: «من ذبح م حانها أنتم وكلوا» قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري (٥).

ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها، وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين عن السداد، والله أعلم.

والمذهب الثاني في المسألة: أنه لا يشترط التسمية، بل هي مستحبة، فإن تركت عمداً أو نسياناً لا يضرّ، وهذا مذهب الإمام الشافعي كَلّهُ، وجميع أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل نقلت عنه. وهو رواية عن الإمام مالك، ونصّ على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه، وحُكي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء بن أبي رباح، والله أعلم.

وحمل الشافعي الآية الكريمة ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذَكِّ اَسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّامُ لَفِسَقٌ ﴾ على ما ذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللهِ بِدِيَّ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقال ابن جريج عن عطاء ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُنْكُرِ السّمُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ قال: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان، وينهى عن ذبائح المجوس (٢).

وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوي، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله: ﴿وَإِنَّامُ لَفِسَّقُ ﴾ حالية، أي: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال

⁽١) تقدم تخريجه من حديث عَدي وأبي ثعلبة في تفسير سورة المائدة آية ٤.

⁽٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة آية ٣.

⁽٣) صحيح مسلم، الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح (ح٤٥٠).

⁽٤) صحيح البخاري، العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد (ح٩٨٥) وصحيح مسلم، الأضاحي: باب وقت الأضاحي (ح١٩٦٠).

⁽٥) صحيح البخاري، البيوع، باب من لم يرَ الوساوس... (ح٢٠٥٧).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق يحيى بن أبي زائدة عن ابن جريج به.

كونه فسقاً، ولا يكون فسقاً حتى يكون قد أهل به لغير الله. ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة، لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآبِهِم ﴾ فإنها عاطفة لا محالة، فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال، امتنع عطف هذه عليها فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره، وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أنبأنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في الآية ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذَّكِّرِ ٱسْدُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ قال: هي الميتة (١).

ثم رواه عن أبي زرعة، عن يحيى بن عبد الله بن بكير، عن ابن لهيعة، عن عطاء وهو ابن السائب به (۲)، وقد استدل لهذا المذهب، بما رواه أبو داود في المراسيل: من حديث ثور بن يزيد، عن الصلت السدوسي مولى سويد بن منجوف، أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم ابن حبان في كتاب الثقات، قال: قال رسول الله عليه: «ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله» (۳) وهذا مرسل، يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال: «إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله» (واحتج البيهقي أيضاً بحديث عائشة الله المتقدم، أن ناساً قالوا: يا رسول الله، إن قوماً حديثي عهد بجاهلية، يأتوننا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: «سمّوا أنتم وكلوا» (٥). قال: فلو كان وجود التسمية شرطاً، لم يرخص لهم إلا مع تحققها، والله أعلم.

المذهب الثالث في المسألة: إن ترك البسملة على الذبيحة نسياناً لم يضرّ، وإن تركها عمداً لم تحلّ، هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه وهو محكي عن علي، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاوس، والحسن البصري، وأبي مالك، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني، في كتابه «الهداية» الإجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمداً، فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ: لو حكم حاكم بجواز بيعه، لم ينفذ لمخالفة الإجماع، وهذا الذي قاله غريب جداً، وقد تقدم نقل الخلاف عمّن قبل الشافعي، والله أعلم.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير تَعْلَلهُ: من حرّم ذبيحة الناس فقد خرج من قول جميع الحُجّة،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، ولكن بدون ذكر ابن عباس.

⁽٣) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (المراسيل ح٣٧٨) وسنده ضعيف بسبب الإرسال وجهالة الصلت السدوسي (ينظر نصب الراية ٤/ ١٨٢) ويشهد له قول ابن عباس التالي.

⁽٤) أخرجه الدارقطني (السنن ٢٩٥/٤) وصححه البيهقي موقوفاً (السنن الكبرى ٢٤٠/٩)، وكذا الحافظ ابن حجر (التلخيص الحبير ١٥١/٤).

⁽٥) تقدم تخریجه قبل بضع روایات.

وخالف الخبر الثابت عن رسول الله على ذلك (١)، يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا معقل بن عبيد الله، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي على قال: «المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي حين يذبح، فليذكر اسم الله وليأكله»(٢) وهذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزري، فإنه وإن كان من رجال مسلم، إلا أن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي، روياه عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن أبي الشعثاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، من قوله فزادا في إسناده أبا الشعثاء ووقفاه، وهذا أصح، نص عليه البيهقي (٣) وغيره من الحفاظ.

ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي، ومحمد بن سيرين، أنهما كرها متروك التسمية نسيانا، والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيراً، والله أعلم، إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفاً لقول الجمهور، فيعده إجماعاً، فليُعلم هذا، والله الموفق.

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو أسامة، عن جَهِير بن يزيد، قال: سئل الحسن، سأله رجل: أتيت بطير [كرّى]^(٤)، فمنه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه، ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه، واختلط الطير، فقال الحسن: كُلْهُ كُله، قال: وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله: ﴿وَلَا تَأْكُونُا مِمَّا لَرُ يُذِّكُم آسَمُ ٱللّهِ عَلَيْهِ﴾ (٥).

واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي ذرّ، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(٢) وفيه نظر، والله أعلم.

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقساني، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي على فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي، فقال النبي على الله على كل مسلم»(٧)

⁽١) التفسير ١٢/ ٨٥.

⁽٢) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه (السنن الكبرى ٩/ ٢٣٩) ورفعه خطأ كما قرر الحافظ ابن كثير، والصواب وقفه كما سيأتي في الرواية التي تليه.

⁽٣) السنن الكبري ٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

⁽٤) كذا في النسخ الخطية والمثبت من تفسير الطبري (في النسختين المحققتين) قال الأستاذ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري: جمع الكروان وهو طائر بين الدجاجة والحمامة حسن الصوت يؤكل لحمه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان فيه مقال.

⁽٦) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس (السنن، الطلاق، باب طلاق المكره والناسي ح٢٠٤٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٩٨/)، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه أعل بعلة غير قادحة (فتح الباري ٥/١٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٦٤)، وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وأبي ذرّ الغفاري (السنن ح٢٠٤٣ و٢٠٤٤)، وصحح سندهما الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٦٢) و١٦٦٢).

⁽٧) الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٨٥ وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

ولكن هذا إسناده ضعيف، فإن مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله الشامي ضعيف، تكلّم فيه غير واحد من الأئمة، والله أعلم.

وقد أفردت هذه المسألة على حِدة، وذكرت مذاهب الأئمة ومأخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات، والله أعلم.

قال ابن جرير: وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية: هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟

فقال بعضهم: لم ينسخ منها شيء، وهي محكمة فيما عنيت به، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم، ورُوي عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن عكرمة والحسن البصري، قالا: قال الله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَالانهِ عَلَيْهِ وَالنَّهُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُوا مِمَّا لَرُ يُذَكِّر السَّمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَهُ فَي فَا الله عَلَيْهِ وَالنَّهُ فَي الله عَلَيْهِ وَإِنَّهُ فَي فَا الله عَلَيْهِ وَالنَّهُ فَي الله عَلَيْهِ وَالنَّهُ فَلَمْ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ فَي فَا الله عَلَيْهِ وَاللَّهُ وَلَا تَأْكُونُ مِمَّا لَمْ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلَّ لَمُرْ وَطَعَامُكُمْ حِلْ لَمُرْ وَطَعَامُكُمْ حِلْ لَمُوالِدَ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا الله وَاللَّهُ وَلَا الله وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَكُوا مِنْ وَلَكُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَ

وقال ابن أبي حاتم: قرئ على العباس بن الوليد بن مزيد، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني النعمان _ يعني: ابن المنذر _ عن مكحول، قال: أنزل الله في القرآن: ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَدَ يُذَكِّر الله عَيْدِ﴾ ثم نسخها الربُّ ورحم المسلمين فقال: ﴿ ٱليَّوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطّيِبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِنْبَ حِلُّ لَكُمُ الطّيبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنْبَ حِلُّ لَكُمُ الطّيبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنْبَ حِلُّ لَكُمُ الطّيبَاتُ وَطَعَامُ الّذِينَ أُوتُوا الْكِنْبَ حِلُّ لَكُنْ اللهُ الكتاب (٢).

ثم قال ابن جرير: والصواب أنه لا تعارض بين حلّ طعام أهل الكتاب، وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه.

وهذا الذي قاله صحيح، ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص، والله على علم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآبِهِمْ لِيُجَدِلُوكُمْ ۖ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، قال: قال رجل لابن عمر: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، قال: صدق، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآبِهِمْ ﴾ (٣).

وحدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا عكرمة بن عمار، عن أبي زميل، قال: كنت قاعداً عند ابن عباس، وحجّ المختار بن أبي عبيد، فجاءه رجل فقال: يا ابن عباس، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة، فقال ابن عباس: صدق، فنفرت، وقلت: يقول ابن عباس: صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد على ووحي الشيطان إلى أوليائه، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى آولياً إِعِدُ ﴾ (٤). وقد تقدم عن عكرمة في قوله: ﴿وُحِي

⁽١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي فيه مقال.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ عُرُوزاً ﴾ [الأنعام: ١١٢](١) نحو هذا.

وقوله: ﴿لِيُجَدِلُوكُمُ ۗ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُدَّكُو اَسَّمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّامُ لَفِسْقُ ﴾(٢). هكذا رواه مرسلاً.

ورواه أبو داود متصلاً، فقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي على فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَوْ يُذَكِّ السَّمُ اللَّهِ عَلَيْهِ الآية (٣)، وكذا رواه ابن جرير: عن محمد بن عبد الأعلى، وسفيان بن وكيع، كلاهما عن عمران بن عيينة به (٤).

ورواه البزار عن محمد بن موسى الجرشي، عن مروان بن عيينة به (٥)، وهذا فيه نظر، من وجوه ثلاثة:

(أحدها) أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

(الثاني) أن الآية من الأنعام وهي مكية.

(الثالث) أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الجرشي، عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ورواه الترمذي بلفظ أتى ناس النبي على فذكره، وقال حسن غريب، وروي عن سعيد بن جبير مرسلاً (٢).

وقال الطبراني: حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا موسى بن عبد العزيز، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَمَ يُذَكِّر حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَمَ يُذَكِّر السَّمُ اللّهِ عَلَيْهِ السّلام أرسلت فارس إلى قريش، أن خاصموا محمداً وقولوا له: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح لله عَلَى بشمشير (٧) من ذهب، يعني الميتة، فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ الشّيطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى آوَلِيَآبِهِم لِيُجَدِلُوكُم وَإِنَّ الطّعَتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشْرِكُونَ الى أوليائهم من قريش (٨).

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا إسرائيل، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن

⁽١) تقدم في الآية رقم ١١٢ من هذه السورة.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف بسبب الإرسال ويتقوى بالموصول التالي.

⁽٣) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأضاحي، باب في ذبائح أهل الكتاب ح٢٨١٩)، وقال الألباني: صحيح لكن ذكر اليهود فيه منكر، والمحفوظ أنهم المشركون (صحيح سنن أبي داود ح٢٤٤٥).

⁽٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

⁽٥) حكمه كسابقه.

 ⁽٦) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وحكمه وتعليقه (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام ح٣٠٦٩)،
 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٤٥٤).

⁽٧) أي سكين أو نصل.

⁽A) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٢٤١/١١ ح٢١٦١)، وفي سنده موسى بن عبد العزيز صدوق سيء الحفظ كما في التقريب، وأخرجه الطبري من طريق موسى به.

عباس، في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآبِهِمَ ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم فكلوه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُواْ مِمَّا لَدُ يُذَكِّرِ ٱللهُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم، عن عمرو بن عبد الله، عن وكيع، عن إسرائيل به (١)، وهذا إسناد صحيح.

ورواه ابن جرير، من طرق متعددة، عن ابن عباس، وليس فيه ذكر اليهود، فهذا هو المحفوظ، لأن الآية مكية، واليهود لا يحبون الميتة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَأْكُمُ اللَّهِ مِنَا لَهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ وَلَهُ: ﴿لِيُجَدِلُوكُمْ اللَّهُ وَلَا تَأْكُلُوا مَمَا قَتْل الله وفي بعض ألفاظه، عن ابن عباس، أن الذي قتلتم ذكر اسم الله عليه، وأن الذي قد مات، لم يذكر اسم الله عليه (٢).

وقال السدي في تفسير هذه الآية: إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله، فما قتل الله فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟ فقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمُ ﴾ فأكلتم الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ وهكذا قاله مجاهد، والضحاك (٢)، وغير واحد من علماء السلف رحمهم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿ أَتَّخَكُونَا أَحْبَارَهُمْ وَرُهُبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [التوبة: ٣١].

⁽۱) سنن أبي داود، الأضاحي، باب في ذبائح أهل الكتاب (ح٢٨١٨)، وسنن ابن ماجه، الذبائح، باب التسمية عند الذبح (ح٣١٧٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم والحاكم من طريق سماك به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢٣١/٤)، وصححه الحافظ ابن كثير، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٤٤).

⁽٢) لم أجده في الطبري بهذا السند، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق جرير به، وسنده حسن.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) و(عش) وفي الأصل: «ابن جرير» وهو تصحيف.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق الحسين عن حجاج عن ابن جريج به، وسنده ضعيف للإرسال والإعلال بسبب ضعف الحسين وهو ابن داود الملّقب بسُنيد.

⁽٥) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي وسنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بمرسل مجاهد التالى.

⁽٦) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وهو مرسل ويتقوى بسابقه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عن الضحاك ويتقوى بسابقيه.

وقد روى الترمذي: في تفسيرها عن عَدي بن حاتم، أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال: «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»(١).

﴿ وَأَوْ مَن كَانَ مَيْنَا فَأَحْيَلِنَكُ وَجَعَلْنَا لَهُمْ نُورًا يَمْشِى بِهِ ۚ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ . [لَيْسَ بِخَارِج مِنْهَا كَذَلِكَ رُبِّنَ لِلْكَنفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُوكَ ﴿ ﴾ .

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي في الضلالة هالكاً حائراً، فأحياه الله أي أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك؟ وكيف يتصرف به؟ والنور هو القرآن كما رواه العوفي، وابن أبي طلحة، عن ابن عباس (٢).

وقال السدي: الإسلام (٣). والكل صحيح.

﴿ كَمَن مَّنَاكُمُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ أي: الجهالات، والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿ لَيْسَ بِخَارِجِ مِنْهَا ﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه.

وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله على أنه قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ (٤) كما قال تعالى: ﴿ اللّهُ وَيُ اللّهُ وَيُ اللّهُ وَيُ اللّهُ وَيُ اللّهُ وَيُ اللّهُ وَيَ اللّهُ اللّهُ وَيَ اللّلُكُ وَالّذِيكَ كَثَرُوا الْوَلِهَ وَلِي الطّلَكُ وَقَال تعالى: مِن الظّلُكُ وَيَ اللّهُ اللّهُ وَيَ اللّهُ اللّهُ وَيَ اللّهُ اللّهُ وَقَال الله وقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَيَعُومُ اللّهُ وَيَعُومُ اللّهُ وَقَال الله الله وقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَقَال الله وقال وقال وقال الله وقال الله وقال الله وقال وقال الله وقال وقال الله وقال وقال وقال الله وقال وقال الله وقال الله وقال وقال وقال الله وقال وقال الله وقال وقال وقال الله وقال وقال الله الله وقال الل

⁽۱) سنن الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام (ح٣٠٩٥)، وضعفه بقوله: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغُطيف بن أعين ليس بمعروف بالحديث. وغطيف ضعفه الحافظ ابن حجر (التقريب ص٤٤٣).

⁽٢) أخرجه الطبري من الطريقين عن ابن عباس وطريق ابن أبي طلحة يقوي طريق العوفي.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الله مطولاً، وصححه محققوه (المسند ١١/ ٢٢٠ ح ٦٦٤٤).

وقوله تعالى: ﴿ كَذَالِكَ زُيِنَ اللَّكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: حسنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة، قدراً من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَمَلُنَا فِي كُلِّ فَرْيَةٍ أَكَنِرَ مُجْرِمِيهَا لِيمَّكُرُواْ فِيهِمَّا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَمْكُرُونَ اِللَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَمْكُرُونَ اِلَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْمَلُ يَشْمُهُونَ ۚ ﴿ وَهَا لَا اللَّهُ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْمَلُ رِسَالَتَهُمْ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارُ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابُ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ۞﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ﴾. قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ﴾ قال: سلطنا شرارهم فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب(١).

وقال مجاهد(٢) وقتادة (٣): ﴿أَكَبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ عظماؤها.

قلت: وهكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةِ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كَفِرُونَ ﴿ وَقَالُوا خَنُ أَحَثُرُ أَمُولُا وَأَوْلَدُا وَمَا خَنُ بِمُعَذَيِنَ ﴿ وَسَاءَ وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَآ الْمَالَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةِ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتُرَفُهُما إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أَمْةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتَرِهِم مُقْتَدُونَ ﴾ [سبأ] وقال تعالى النخوف الله والنعال كقوله تعالى [الزخرف] والمراد بالمكر لههنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخباراً عن قوم نوح: ﴿ وَمَكَرُوا مَكُرُا كُبّارًا ﴿ ﴾ [نوح]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَيّ إِذِ الظّلِلمُونَ مَوْوُونُونَ عِندَ رَبِيمٍ بَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْفُ صَكَدَنَكُمْ عَنِ الْمُكَن بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ اللّهِ وَبَعْمَل لَهُ اللّهِ وَاللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ وَلَا اللّذِينَ السَّتُعْمِقُوا لِلّذِينَ السَّكُمْرُوا بَلْ مَكُمُ الْيَل وَالنّهَارِ إِذْ تَأَمُرُونَنَا أَن نَكُومُ بَاللّهِ وَبَعْمَل لَهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ الللللللل اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، قال: كل مكر في القرآن فهو عمل (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: وما يعود وبال مكرهم ذلك

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلِيَحْمِلُكُ أَلْقَالُكُمْ وَأَلْقَالُا مَّعَ أَلْقَالِمَ مَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وقوله: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتُهُ ﴾ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، كقوله تعالى: ﴿ وَوَالُوا لَوَلا نُزِلَ هَذَا الفَرْوَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْفَرْبَايَنِ عَظِيمٍ ﴾ أهُو يَقْسِمُونَ رَحِّتَ رَيِكً ﴾ الآية [الزحرف: ٣١ - ٣٢]، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم ﴿ وَنَ اللهُ وَالزحرف: ٣١ - ٣٢]، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً، وعناداً واستكباراً كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿ وَإِذَا رَوَكَ اللّهِ مَنْ اللّهِ اللهُ وَهُم بِنِحْ رَ الرّحْنِ هُمْ رَوَاكَ اللّهِ مَنْ اللهُ وَهُم اللهُ وَهُم بِنِحْ رَا الرّحْنِ هُمْ وَهُم اللهُ وَهُمُ اللهُ وَسُولُهُ وَهُمُ اللهُ عَلَوا اللهُ واللهُ وَهُمُ اللهُ ومراه، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه، حتى إنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه «الأمين» وقد عترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم: وكيف نسبه فيكم؟ قال: هو الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاته على على صدق نبوته وصحة ما جاء به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن شداد أبي عمار، عن واثلة بن الأسقع في أن رسول الله على قال: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم "(") انفرد بإخراجه مسلم، من حديث الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة في قال: قال رسول الله على: "بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه"(؟).

⁽١) كذا في (حم) و(مح)، وسقط من الأصل.

⁽٢) أخرجه البخاري من حديث أبي سفيان بن حرب مطولاً (الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب رقم ٦ ح٧).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٠٧/٤)، وأخرجه مسلم من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به بدون قوله: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل. (الصحيح، الفضائل، باب فضل نسب النبي عليه ٢٢٧٦).

⁽٤) صحيح البخاري، المناقب، باب صفة النبي ﷺ (ح٣٥٥٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن المحارث بن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة، قال: قال العباس: بلغه على بعض ما يقول الناس، فصعد المنبر فقال: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله، فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً»(١) صدق صلوات الله وسلامه عليه.

وفي الحديث أيضاً: المروي عن عائشة في قالت: قال رسول الله على: «قال لي جبريل: قلّبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، وقلّبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم» رواه الحاكم والبيهقي (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر، حدثنا عاصم، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد على خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد الهي فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على [دينه] (٣)، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما آره المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء (٤). [وقال أحمد أيضاً: حدثنا شجاع بن الوليد، قال: ذكر قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن سلمان، قال: قال لي رسول الله على الله الله قال: قال لي رسول الله على المان، لا تبغضني فتفارق دينك قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: «بغض العرب فتبغضني»] (٥)(٢).

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية، ذُكر عن محمد بن منصور الجواز، حدثنا سفيان، عن أبي حسين قال: أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد، فلما نظر إليه راعه فقال: من هذا؟ قالوا: ابن عباس ابن عمّ رسول الله ﷺ فقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته»(٧).

وقوله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابُ شَدِيدًا ﴾ الآية، هذا وعيد شديد

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠٧/٣ ح١٧٨٨)، وسنده ضعيف بسبب يزيد بن أبي زياد: الهاشمي ضعيف كبر فتغيّر وصار يتلقّن وكان شيعياً (التقريب ص٢٠١)، ولبعضه متابعات تقدمت في رواية مسلم قبل الرواية السابقة.

⁽٢) أخرجُه البيهقي من طريق الحاكم (دلائل النبوة ١/٦٧٦)، والطبراني «المعجم الأوسط» (ح٦٢٨٥) وابن أبي عاصم (السنة ح١٤٩٤) كلهم من طريق موسىٰ بن عبيدة، وهو ضعيف، فالإسناد ضعيف. ويتقوىٰ بالروايات السابقة.

⁽٣) كذا في (مح) و(حم) و(عش) وفي الأصل صحفت إلى: «نبيه».

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وحسنه محققوه (المسند ٦/٤٨ ح٣٦٠).

⁽٥) كذا (مح) و(حم)، وسقط من الأصل.

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٤٤٠)، وسنده منقطع لأن أبا ظبيان لم يسمع من سلمان رجم المراسيل لابن أبي حاتم ص٥٠).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه معلق لأن ابن أبي حاتم لم يسمع من محمد بن منصور الجواز.

من الله، وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذِّلة الدائمة، لما أنهم استكبروا فأعقبهم ذلك ذلاً يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكُمْرُونَ عَنَّ عِبَادَقِ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي: صاغرين ذليلين حقيرين.

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابُ شَدِيدُ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ لما كان المكر غالباً إنما يكون خفياً ، وهو التلطف في التحيّل والخديعة ، قوبلوا بالعذاب الشديد ، جزاء وفاقاً ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَلَى السَّرَابِهُ ﴿ الطارق] أي: تظهر المستترات والمكنونات والضمائر ، وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: «ينصب لكل غادر لواء عند استّه يوم القيامة ، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان (١) . والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعل .

﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِينُهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ الْإِسْلَنَدِّ وَمَن يُبِدِدُ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِقًا حَرَجًا ﴿ كَانَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾.

وقال ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهَدِيَهُ يَشْرَحُ صَدَّرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ يقول تعالى: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به (٢)، وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر، قال: سئل رسول الله على أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم لما بعده استعداداً» قال: وسئل النبي على عن هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيهُ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإسْلَامِ الله قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح» قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت»(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا قبيصة، عن سفيان ـ يعني الثوري ـ، عن عمرو بن مرة،

⁽۱) أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر (صحيح البخاري، الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر ح١٨٨) وصحيح مسلم، الجهاد، باب تحريم الغدر (ح١٧٣٥).

⁽٢) أُخرجه ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، ولكن في سنده حفص بن عمر العدني وهو ضعيف (التقريب ص١٧٣).

⁽٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً بسبب أبي جعفر وهو: عبد الله بن المسور بن عبد الله بن عون بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدائني متهم بالكذب والوضع (تاريخ بغداد ٥/ ١٩٥)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٤).

عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن، قال: سئل النبي ﷺ، عن قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُودِ اللهُ تَعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَةِ ﴾ فذكر نحو ما تقدم (١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن المسور، قال: تلا رسول الله على هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيكُم يَشْرَحُ صَدِّرَهُ لِلإَسْلَادِ ﴾ قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذف به في القلب» قالوا: يا رسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال: «نعم» قالوا: وما هي؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت»(٤).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني هلال بن العلاء، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد، حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله: "إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح" قالوا: فهل لذلك من علامة يعرف بها? قال: "الإنابة إلى دار الخلود والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت" وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلاً مرفوعاً فقال: حدثني ابن سنان القزاز، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي، عن يونس، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله عن عبد الله عن عبد الله وكيف يشرح صدره؟ قال: "فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهَدِيكُهُ يَشَحَ صَدَرُهُ للله علامة يا رسول الله وكيف يشرح صدره؟ قال: "يدخل فيه النور فينفسح" قالوا: وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال: "التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت" فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة، يشد بعضها بعضاً (")، والله أعلم.

⁽١) أخرجه الطبري بسنده وحكمه كسابقه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً بسبب أبي جعفر.

⁽٣) أخرجه الطبري، وحكمه كسابقه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده كسابقه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً بسبب سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: يقال إنه أخذ كتباً لمحمد بن سلمة فحدث بها، ورأيت فيما حدث أكاذيب، (الجرح ٢/ ٤٥). وضعفه الدارقطني (ميزان الاعتدال ١/٣٨٧)، وفيه أيضاً أبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود.

⁽٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للمفاوز بين عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة وبين ابن مسعود.

⁽٧) الحق أنه لا يشد بعضها بعضاً على الرغم من قوة المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدُ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء، والأكثرون ﴿ضَيِّقًا﴾ بتشديد الياء وكسرها(١)، وهما لغتان كهين وهين، وقرأ بعضهم (حَرِجًا) بفتح الحاء وكسر الراء قيل: بمعنى آثم، قاله السدي.

وقيل: بمعنى القراءة الأخرى حرجاً بفتح الحاء والراء (٢٠)، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان، ولا ينفذ فيه.

وقد سأل عمر بن الخطاب رضي رجلاً من الأعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة، فقال فقال: هي الشجرة تكون بين الأشجار، لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير (٣).

وقال العوفي: عن ابن عباس، يجعل الله عليه الإسلام ضيقاً، والإسلام واسع، وذلك حين يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللِّينِ مِنْ حَرَجٌ ﴾ [الحج: ٧٨] يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق (٤٠).

وقال مجاهد والسدي: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ شاكاً(٥).

وقال عطاء الخراساني: ﴿ضَيِّقًا حَرِّجًا﴾ أي: ليس للخير فيه منفذ (٦).

وقال ابن المبارك، عن ابن جريج: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه (٧)، ﴿كَأَنَّمَا يَضَّعَكُ فِي ٱلسَّمَآءً﴾ من شدة ذلك عليه.

وقال سعيد بن جبير: يجعل صدره ﴿ضَيِّقًا حَرَّجًا﴾، قال: لا يجد فيه مسلكاً إلا صعداً (^).

وقال السدي: ﴿كَأَنَّمَا يَضَعَكُ فِي ٱلسَّمَآءُ ﴾ من ضيق صدره (٩).

وقال عطاء الخراساني: ﴿كَأَنَّمَا يَضَعَكُدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى السماء (١٠٠).

وقال الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿كَأَنَمَا يَضَعَدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه (١١).

⁽١) القراءتان متواترتان. (٢) القراءتان متواترتان.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند فيه عبد الله بن عمار اليمامي قال ابن أبي حاتم: مجهول (الجرح ١٢٩/٤).

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي به.

⁽٥) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند حسن من طريق حُميد عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق معمر بن راشد عن عطاء الخراساني.

⁽V) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن المبارك به.

⁽٨) أخرجه الطبري بسند فيه سفيان بن وكيع فيه مقال.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽١٠) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽١١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف فيه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف.

وقال الأوزاعي: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَكُ فِي ٱلسَّمَآءَ ﴾ كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقاً أن يكون مسلماً ؟(١).

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه عن وصول الإيمان إليه، يقول: فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه، مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأنه ليس في وسعه وطاقته، وقال: في قوله: ﴿كَلَاكَ يَجْعَلُ اللهُ الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأنه ليس في وسعه وطاقته، وقال: في قوله: ﴿كَلَاكَ يَجْعَلُ اللهُ الرَّجْسَ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الله عليه وعلى أمثاله، ممن أبى الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله.

وقال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرجس الشيطان (٢).

وقال مجاهد: ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: كل ما لا خير فيه (٣).

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: الرجس العذاب(٤).

﴿ وَهَٰذَا صِرَطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۚ قَدْ فَصَلْنَا ٱلْآيَنَ لِقَوْمِ يَذَكَّرُونَ ۞ ۞ لَمُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمُّ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞﴾.

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادّين عنها، نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، فقال تعالى: ﴿وَهَلَا صِرَطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ منصوب على الحال، أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم، كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن: هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، رواه أحمد والترمذي بطوله (٥).

﴿ وَمَدُ فَصَلْنَا ٱلْآیکتِ ﴾ أي: وضحناها وبیناها وفسرناها ﴿ لِقَوْمِ یَذَکّرُونَ ﴾ أي: لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله ﴿ لَمُمْ دَارُ ٱلسَّلَمِ ﴾ وهي الجنة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يوم القيامة، وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام، لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سَلِموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام ﴿ وَهُو وَلِيُّهُم ﴾ أي: حافظهم وناصرهم ومؤيدهم ﴿ بِمَا كَافُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاء على أعمالهم الصالحة، تولاهم وأثابهم الجنة بمنه وكرمه.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيمًا يَهَعْشَرَ ٱلْجِينَ قَدِ اَسْتَكَثَّرَتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآوُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا اللَّهِ مَعْشَدًا بِبَعْضِ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِي أَقَالَ ٱلنَّارُ مَثُونكُمْ خَلِلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَكَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلِيمُ عَلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلِيمُ عَلِيمُ اللَّهُ اللَّلَالَّالِمُ اللَّهُ اللللْمُولِمُ اللللْمُ الللْمُولِمُ اللللْمُولِمُ الللْمُولِمُ اللْمُولِمُ الللِهُ اللللْمُولِمُ الللْمُولِمُ الللْمُولِمُ الللْمُولِمُ اللللْمُولِم

يقول تعالى: واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتنذرهم به ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعني: الجن

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق الوليد بن مزيد البيروتي.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بلفظ: «الرجس: عذاب الله».

٥) تقدم في تفسير سورة الفاتحة آية ٦.

وأولياءهم من الإنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعوذون بهم ويطيعونهم، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

﴿ يَهُمَعْشَرَ ٱلْجِينِ قَدِ ٱسْتَكُثَرَتُهُ مِنَ ٱلْإِنْسِ ﴾ أي ثم يقول: يا معشر الجن، وسياق الكلام يدل على المحذوف.

ومعنى قوله: ﴿ قَدِ السَّتَكُثَّرَتُهُ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ أي: من إغوائهم، وإضلالهم، كقوله تعالى:

﴿ اللهِ اَلَةِ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنَبَنِيَ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُوْ عَدُقٌ مُبِينٌ ۞ وَأَنِ اَعْبُدُونِ هَذَا صِرَالًا مُسْتَقِيمٌ ۞ [يس].

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ يَنَمَعْشَرَ ٱلِّجِنِّ قَدِ ٱسْتَكُذَّرُنُهُ مِّنَ ٱلْإِنْسِ ۗ يعني: أضللتم منهم كثيراً (١) وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة (٢).

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَا وَهُمُ مِنَ ٱلْإِنِسِ رَبُّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضِ ﴾ يعني: أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الأشهب هوذة بن خليفة، حدثنا عوف، عن الحسن في هذه الآية، قال: استكثرتم من أهل الناريوم القيامة، فقال أولياؤهم من الإنس: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ مَعْضُنَا بِبَعْضِ﴾، قال الحسن: وما كان استمتاع بعضهم ببعض، إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس (٣).

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿ رَبُّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضِ ﴾: قال الصحابة: في الدنيا (٤).

وقال ابن جريج: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي، فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة (٥).

وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان فيما ذكر، ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم، فيقولون: قد سدنا الإنس والجن.

﴿ وَبَلَغْنَا آَجَلَنَا ٱلَّذِي آجَّلْتَ لَنَّا ﴾ قال السدي: يعني الموت (٦).

﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثَوَىٰكُمُ ﴾ أي: مأواكم ومنزلكم أنتم وإياهم وأولياؤكم، ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين فيها مكثاً مخلداً إلا ما شاء الله، قال بعضهم: يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ.

وقال بعضهم: هذا رد إلى مدة الدنيا، وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تقريرها، عند قوله تعالى في سورة هود، ﴿خَلِلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَوَتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالُ لِمَا

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي به.

⁽٢) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول الحسن أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو ابن داود ضعيف، ويتقوى بسابقيه.

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه مقطعاً، وسنده حسن.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب، وسنده ضعيف بسبب ضعف موسى بن عبيدة.

⁽٥) ذكره السيوطي ونسبه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ في تفسيريهما (الدر ٢٠٢/٦).

⁽٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

يُرِيدُ ﴿ ﴾ [هود] وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيره هذه الآية، من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: ﴿ اَلنَّارُ مَثَوَىٰكُمْ خَلِدِينَ فِيهَاۤ إِلَّا مَا شَآهُ اللَّهُۚ إِنَّ رَبِّكَ حَكِيدٌ عَلِيمٌ ﴾ قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً (١).

🕰 ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِلِ بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ ﴾.

قال سعيد، عن قتادة في تفسيرها: إنما يولي الله الناس بأعمالهم، فالمؤمن وليّ المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر وليّ الكافر أينما كان وحيثما كان، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي (٢).

واختاره ابن جرير.

وقال معمر، عن قتادة في تفسير الآية: يولي الله بعض الظالمين بعضاً في النار، يتبع بعضهم بعضاً (٣).

وقال مالك بن دينار: قرأت في الزبور، إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين، ثم أنتقم من المنافقين بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ (٤٠) . المنافقين جميعاً، وذلك في كتاب الله قول الله تعالى: ﴿وَكَنَالِكَ نُولِكَ بُعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ (٤٠) .

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُولِّي بَعْضَ الظَّلِمِينَ بَعْضًا﴾ قال: ظالمي السجن وظالمي الإنس، وقرأ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّمْنِ نُقَيِّضٌ لَهُ شَيَطَنَا فَهُو لَهُ قَرِينٌ ﴿ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عساكر في الزخرف: ٣٦] قال: ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس (٥). وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد، من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن ابن مسعود، مرفوعاً: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» (٢) وهذا حديث غريب، وقال بعض الشعراء:

وما من يد إلا يد الله فوقها [ولا](٧) ظالم إلا سيبلى بظالم

ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

⁽١) أخرجاه بسند ثابت من طريق عبد الله بن صالح به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة به.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر به.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق مرحوم بن عبد العزيز العطار عن مالك.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن.

⁽٦) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٥٣/١٤، وفيه الحسن بن زكريا العدوي يرويه عن سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، والحسن هذا متهم بالوضع (فيض القدير ٧٣/٦)، وقال الألباني: إسناده موضوع (السلسلة الضعيفة ح١٩٣٧).

⁽٧) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «وما».

﴿ يَهَعْشَرَ ٱلْجِينِ وَٱلْإِنِسِ ٱلَمَ يَأْتِكُمُ رُسُلُ مِنكُمُ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمُّ هَذَأْ قَالُواْ شَهِدَنَا عَلَىٰ آنَفُسِنَا ۚ وَغَرَّتُهُمُ ٱلْحَيَّوَةُ الدُّنَيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ آنفُسِمِمْ ٱنَّهُمْ كَانُواْ كَنْفِينِ ۞﴾.

وهذا أيضاً مما يُقرَّع الله به كافري الجن والإنس يوم القيامة، حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته، وهذا استفهام تقرير ﴿يَكَمَّعْثَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنِسِ ٱلَّذَ يَأْتِكُمُ رُسُلُ مِّنكُمُ ﴾ أي: من جملتكم، والرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسل، كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج (۱) وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف.

وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم ومن الجن نذر (٢). وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلاً واحتج بهذه الآية الكريمة (٣)، وفيه نظر، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْنَقِيَانِ ﴿ يَنْهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿ فَي الله وَالمرجان مَن الملولو والمرجان من الملح لا من الحلو، وهذا واضح ولله الحمد.

وقد نصّ هذا الجواب بعينه [ابن جرير]^(٤)، والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوجٍ وَالنَّبِيِّتَنَ مِنْ بَعْدِهِ ً - إلى أن قال ـ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِعَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِّ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَمَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِ النَّبُوّةَ وَالْكِتَبُ العنكبوت: ٢٧] فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم ببعثته، وقال تعالى: ﴿وَمَا آرْسَلْنَا مَنَ الْمُرْسَكِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِلنَّ إِنَّهُمْ وَيَعْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ اللهِ الله وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلّا رِجَالًا لِيَا كُلُونَ الطّعَامَ وَيَعْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ اللهِ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلّا رِجَالًا فَيَا كُلُونَ الطّعَامَ وَيَعْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ اللهِ وَمَا الباب، ولهذا ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفَنَا إِلنّكَ نَفَرٌ بَنَ الْجِنِ يَسْتَعِمُونَ ٱلْقُرْمَانَ فَلَمَا حَمَمُوهُ قَالُوا أَنْصِلُوا فَي مَلْنَا فَي وَلِي اللهِ وَمَا لَوْ اللهِ عَلَى اللهِ وَمَامِوْ أَنْ اللهِ وَمَامِوْ أَنْ اللهِ وَمَامِوْ أَنْ اللهِ وَمَامِوْ أَنْ اللهِ مَنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِقًا لِمَا فَيْنَ يَدِي يَنْ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْمَوْقِ وَإِلَى طُونِ مُسْتَقِيمٍ فَى يَقُومُنَا إِنّا سَمِعْنَا كِتَنَا أَنِلُ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِقًا لِمَا يَنْ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْمَوْمُ فِي اللهِ وَمَامِوْهُ اللهِ وَمَالِكُ فِي الْأَرْضِ وَلَشَلُ لَهُمُ اللهِ وَمَالِكُ فِي صَلَالِ مُبِينٍ فَى اللهِ وَلَى اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ا

⁽١) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول ابن جريج سيأتي مع رواية ابن عباس التالية.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وسنده ضعيف للانقطاع بين ابن جريج وابن عباس ويتقوىٰ بسابقه.

⁽٣) أخرجه الطبري وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي فيه مقال.

⁽٤) هذا الجواب ورد في تفسير الطبري، وفي النسخ: صحف إلى: «ابن جريج».

⁽٥) أخرجه الترمذي من حديث جابر: خرج رسول الله على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى =

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يَنَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَٱلْإِنِسِ أَلَمْ يَأْتِكُمُّ رُسُلُّ مِّنكُمُّ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُّ هَايَنِي وَيُسْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمُ هَنذاً قَالُواً شَهِدْنَا عَلَىٰ آنفُسِنَا ﴾ أي: أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا محالة.

وقال تعالى: ﴿وَغَنَّتُهُمُ لَغَيْوَهُ الدُّيَا﴾ أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا، وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم للمعجزات، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِمٌ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَنَّهُمُ كَانُوا كَفِرِينَ ﴾ أي: في الدنيا، بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

﴿ وَمَا رَبُّكَ اِفَالِكَ أَن لَمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمِ وَأَهْلُهَا غَنفِلُونَ ﴿ وَلِحُلِ دَرَجَنَّ مِمَّا عَكِمْلُواً } وَمَا رَبُّكَ بِغَنفِلٍ عَمَّا يَمْمَلُونَ ﴾.

يقول تعالى: ﴿ وَالِكَ أَن لَمْ يَكُن رَّبُكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِطْلَمِ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ﴿ أَي إِنها أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لئلا يؤاخذ أحد بظلمه وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اَعْبُدُوا الله وَأَجْتَنِبُوا الطَّاعُوتُ ﴾ [النحل: ٣٦] كقوله: ﴿ وَمَا كُنَا مُعَذِيبِينَ حَتَى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿ كُلُمَّا أَلَقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَمُم خَرَنَاهُم آلَة يَأْتِكُونَ نَذِيرٌ ﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبَنَا ﴾ [السماك: ٨-٩] والآيات في هذا كثيرة.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير: ويحتمل قوله تعالى: ﴿يُظُلُّو ﴾ وجهين:

(أحدهما) ﴿ ذَالِكَ ﴾ من أجل ﴿ أَن لَمْ يَكُن زَبُكَ مُهلِكَ اَلْقُرَىٰ بِطُلْمِ ﴾ أهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون، ويقول: إن لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولاً ينبههم على حجج الله عليهم، ينذرهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة، فيقولوا: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٩].

(والوجه الثاني) أن ﴿ ذَاكِ أَن لَمْ يَكُن زَبُّكَ مُهَلِكَ الْقُرَىٰ بِظَلِمِ ﴾ يقول: لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام لعبيده (١٠). ثم شرع يرجح الوجه الأول، ولا شك أنه أقوى، والله أعلم. وقال (٢٠): وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتُ مُ عَمِلُوا ﴾ أي: ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله، يبلغه الله إياها ويثيبه بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشرٌ.

(قلت): ويحتمل أن يعود قوله: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَكِمِلُوا ۚ ﴾ أي: من كافري الجن والإنس،

⁼ آخرها... (السنن، التفسير، باب ومن سورة الرحمن ح٣٢٩١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٣٢٩).

⁽١) ذكره الطبري بنحوه (التفسير ١٢٤/١٢ ط. شاكر).

⁽٢) القائل هو الطبري.

أي ولكل درجة في النار بحسبه، كقوله: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفُ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَكَدُواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ۞﴾ [النحل].

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَنْفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن جرير: أي وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

﴿ وَرَبُكَ ٱلْغَنِى ذُو ٱلرَّحْـمَةً إِن يَشَأَ بُذُهِبَكُمْ وَيَسْتَغَلِفُ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ ٱنشَاۡكُم مِّن ذُرِّيكةِ قَوْمٍ ،َاخَدِين ﴿ إِنَّ مَا تُوَكَدُونَ لَآتُ وَمَاۤ أَنشُد بِمُغْجِزِينَ ﴿ قُلْ يَقَوْمِ اَعْـمَلُواْ عَلَىٰ مَكَاتِبَكُمْ إِنِي عَامِلُكُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَنقِبَهُ ٱلدَّارِ إِنَّكُمْ لَا يُقْلِحُ ٱلظَّلِلُمُونَ ﴿ ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْغَنَّ ﴾ أي: عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، ﴿ذُو ٱلرَّفَ مَةً ﴾ أي: وهو مع ذلك رحيم بهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَ ٱللَّهَ بِٱلنَّكَاسِ لَرَهُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿إِن يَشَأْ يُذَهِبْكُمْ ﴾ أي: إذا خالفتم أمره ﴿وَيَسْتَغَلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ أي: قوماً آخرين، أي يعملون بطاعته ﴿كَمَّا أَنْشَاكُم مِن ذُرِّيَةِ قَوْمٍ اَلْحَرِين ﴾ أي: هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه، كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذَهِبْكُمْ أَيُّا النَّاسُ وَيَأْتِ بِعَاخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَالإتيان بآخرين، كما قال تعالى: ﴿فِي يَثَانِهُمُ النَّاسُ أَنتُهُ الْفُقَرَآهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُو الْغَنِيُ الْحَمِيدُ ﴿ إِن يَشَأْ يُذَهِبُكُمْ وَيَالِي اللَّهِ وَالْعَنِي الْحَمِيدُ ﴿ إِن يَشَأْ يُنْ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿ إِن اللَّهُ وَاللَّهُ هُو الْغَنِيُ الْحَمِيدُ ﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿ فَي يَكَانَهُمُ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿ فَي وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر].

قَـال تـعـالــى: ﴿ وَاللَّهُ ٱلْغَنِيُ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَـرَأَةُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسَـنَبْدِلْ فَوَمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة قال: سمعت أبان بن عثمان يقول في هذه الآية: ﴿ كُمَّا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيكِةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ الذرية الأصل والذرية النسل(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَ مَا تُوعَدُونَ لَآتُ وَمَا آنتُه بِمُعْجِزِينَ ﴿ أَي: أخبرهم يا محمد، أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة، ﴿وَمَا آنتُه بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: ولا تعجزون الله، بل هو قادر لا يعجزه شيء.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها: حدثني أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا محمد بن حمير، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري الله عن النبي على أنه قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعُدّوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ﴿إِنَ مَا تُوعَدُونَ لَا تُرْ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿ إِنَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

وقوله تعالى: ﴿قُلَ يَغَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ هذا تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى فأنا مستمر

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق يونس بن بكير به، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

على طريقتي ومنهجي كقوله: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ آعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَنِمِلُونَ ﷺ وَٱننَظِرُوٓا إِنَّا مُننظِرُونَ ﷺ [هود].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ ناحيتكم (١).

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِبَهُ ٱلدَّارِ إِنَّامُ لَا يُقْلِحُ ٱلظّلِمُونَ ﴾ أي: أتكون لي أو لكم وقد أنجز الله موعده لرسوله صلوات الله عليه أي فإنه تعالى مكنه في البلاد وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين، وكل ذلك في حياته ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين، كما قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَعْلِمِكَ أَنَا وَرُسُلِتً إِنَ اللهُ عَنِهُ وَلَهُمُ الْأَشْهَادُ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبَنَا فِي النَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ الْأَشْهَادُ ﴾ [المجادلة] وقال: ﴿ إِنَّا لَنَصُرُ رُسُلَنَا وَالدِّينَ عَالَيْ اللَّيْفُو اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ الطَّلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللللله والللللله اللللله اللللله الللله اللله اللله اللله اللله الله اللله الله اللله اللله الله اللله اللله اللله الله الله الله اللله الله اللله الله الله الله الله الله الله الله الله اللله الله الله الله الله الله الله الله الله الل

وقال تعالى إخباراً عن رسله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهُلِكُنَّ الظَّلِمِينَ ۞ وَلَشُّكِنَنَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمُّ وَلَكُ لِمِنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ اللَّذِينَ مَامَنُواْ مِنكُرُ وَعَكِمُواْ وَالْكَ لِمِنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ اللَّذِينَ مَامَنُواْ مِنكُرُ وَعَكُمُواْ اللَّهِ فَلَكَ اللَّهُ عَلَيْكُولُونَ مِنْ اللَّهِ وَلَيْمَكُونَ فَيْ اللَّهِ وَلَيْمَكُونَ فَيْ اللَّهِ وَلَكُ اللَّهِ وَلَا اللهِ وَلَكُ اللَّهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا وَالْمَا اللهِ وَلَا وَالْمَا اللهِ وَلَا وَالْمَا وَلَا وَلْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَلَا وَالْمَا وَلَا وَالْمَا وَلَا مِنْ وَالْمَا وَالْمَا وَلَا مِنْ وَالْمَا وَالْمِنْ وَالْمِالْمِ وَالْمَا وَالْمَامِ وَالْمَامِ وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَامِ وَالْمَامِ وَالْمَا وَلْمَا وَالْمَالِمُولِ وَالْمَامِ وَالْمُولِ وَالْمِنْ وَالْمَامِقَامِ وَالْمَالِمُ وَالْمَامِ وَالْمَالِمُولِ وَالْمَامِ وَالْمَالْمُولِولِهُ وَالْمُولِولِ وَالْمَامِلُولُومُ وَالْمُؤْمِومُ وَلْمُؤْمِلُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْ

هُ وَجَمَلُواْ يَبِهِ مِمَّا ذَرَاً مِن الْحَرَثِ وَالْأَنْعَكِهِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَكَا الِّهِ بِرَغَمِهِمْ وَهَلَاا اللهِ اللهِ بِرَغَمِهِمْ وَهَلَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُوَ يَعِسِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُوَ يَعِسِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُوَ يَعِسِلُ إِلَى أَنْوَكَآبِهِمْ فَكَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُوَ يَعِسِلُ إِلَى أَنْوَكَآبِهِمْ فَكَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُوَ يَعِسِلُ إِلَى أَنْوَكَآبِهِمْ فَكَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ يَقِو فَهُو يَعِسِلُ إِلَى أَنْوَكَآبِهِمْ فَكَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ اللهِ فَهُو يَعِسِلُ إِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِلْمُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعاً وكفراً وشركاً، وجعلوا لله شركاء وجزءاً من خلقه وهو خالق كل شيء على ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بِنَّهِ مِمَّا ذَرَاً ﴾ أي: مما خلق وبرأ ﴿مِنَ الْحَرَثِ ﴾ أي: من الزرع والثمار ﴿وَالْأَنْعَلِمِ نَصِيبًا ﴾ أي: جزءاً وقسماً ﴿فَقَالُواْ هَلَذَا لِللهِ بِرَعْمِهِم وَهَلَذَا لِشَرَكَانِهُم وَهَلَا لِللهِ اللهِ وَمَا كَانَ لِشُركَانِهِم فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِللهِ فَهُو يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لَلْهِ فَهُو يَصِلُ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ فَهُو يَصِلُ إِلَى اللهِ فَا اللهِ اللهِ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

قال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان، حفظوه وأحصوه وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد، ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه للوثن قالوا هذا للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمر الذي جعلوه لله فاختلط بالذي جعلوه للوثن قالوا هذا

⁽١) أخرجه ابن أبى حاتم بسند ثابت من طريق على به.

فقير، ولم يردوه إلى ما جعلوه لله، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله، فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمّا ذَرَا هِرَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَعْكِمِ وَيزعمون أنهم يحرمونه قربة لله، فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمّا ذَرَا هِم الله عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في الآية: كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه، وقرأ الآية حتى بلغ ﴿سَآءَ مَا بَحُكُونَ﴾ (٣) أي: ساء ما يقسمون، فإنهم أخطأوا أولاً في القسم، لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إله غيره ولا رب سواه، وحَالقه، وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إله غيره ولا رب سواه، مُوبَعَلُونَ لِلّهِ اللّهُ مَا يَشَهُونَ ﴿ وَلَهُ اللّهُ مُا يَشَهُونَ هَا يَشَهُونَ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ مُا اللّهُ الله عَلَى الله عَلَى اللّهُ وقوله : ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ مَا يَشَهُونَ هُولَهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ مَا النجم].

﴿ وَكَذَالِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْكِينَ قَتْلَ أَوْلَندِهِمْ شُرَكَآوُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواً عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَكَاءَ اللَّهُ مَا فَعَـكُوهُ فَـذَرْهُمُ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿ ﴾.

يقول تعالى: وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ووأد البنات خشية العار.

قال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَكَذَالِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرِ مِّنَ ٱلْمُشْيِكِينَ قَتْلَ أَوْلَكِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾، زينوا لهم قتل أولادهم(٤).

وقال مجاهد: ﴿شُرِكَآوُهُمْ﴾ شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة (٥)(١).

وقال السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات إما ﴿لِيُرَدُوهُمُ ﴿ فِيهِلَكُوهُم ، وإما ﴿وَلِيكَلِسُواْ عَلَيْهِم دِينَهُم ﴾ ، أي فيخلطوا عليهم دينهم (٧). ونحو ذلك قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وقتادة (٨).

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِٱلْأَنْىَ ظَلَّ وَجُهُمُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَنَوَرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوَّءِ مَا بُشِرَ بِدِّ آيَتُسِكُمُ عَلَى هُونٍ آدُ يَدُسُّمُ فِي ٱلثَّرَابُّ أَلَا سَآةً مَا يَعَكَمُونَ ۞﴾ [النحل]، وكقوله: ﴿وَإِذَا

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من الطريقين، وطريق على يقوي طريق العوفي.

⁽٢) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٥) العيلة أي: الفقر وشدة الحاجة.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽A) قول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه.

الْمَوْهُرَدَةُ سُهِلَتْ ﴿ إِنَى ذَنْبِ قُلِلَتْ ﴿ التكوير] وقد كانوا أيضاً يقتلون الأولاد من الإملاق وهو الفقر أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَكَآءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كوناً وله الحكمة التامة في ذلك، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴿ فَذَرَهُمُ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم.

﴿ وَقَالُواْ هَلَذِهِ ۚ أَنْعَلَمُ وَحَرْثُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَاۤ إِلَّا مَن لَشَآهُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَكُم حُرِّمَتُ كُلْهُورُهَا وَأَنْكُمُّ لَا يَذْكُرُونَ آسَدَ اللَّهِ عَلَيْهَا آفْتِرَآءٌ عَلَيْهً سَيَجْزِيهِد بِمَا كَانُواْ يَفْتُرُونَ ﷺ.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الحِجْر: الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا (١)، وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم (٢) وغيرهم.

وقال قتادة: ﴿وَقَالُواْ هَلَذِهِ آنَعُكُمُ وَحَرَثُ حِجْرٌ ﴾ [الآية] (٣) تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى (٤)، وقال ابن زيد بن أسلم ﴿حِجْرٌ ﴾ إنما احتجروها لآلهتهم (٥)، وقال السدي: ﴿لَا يَطْعَمُهُا ٓ إِلَّا مَن نَشَآهُ بِزَعْمِهِم ﴾ يقولون: حرام أن يطعم إلا من شئنا (٦).

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿قُلُ أَرَءَيْتُهُ مَّا أَنَزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُهُ مِّنَهُ حَرَامًا وَهَذَهُ الآيةُ لَكُمْ مِن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُهُ مِّنَهُ حَرَامًا وَكَفُولُهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَكَاللَّهُ أَذِكَ لَكُمْ أَمْر عَلَى اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا حَالِم وَلَكِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ وَالْكَرْمُمُ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ وَلَا حَالِم وَلَكِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ وَالْكَرْمُمُ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة].

وقال السدي: أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا أولدوها ولا إن نحروها.

وقال أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود: قال لي أبو وائل: تدري ما في قوله: ﴿وَأَنْعَكُمُ حُرِّمَتَ ظُهُورُهَا وَأَنْعَكُم لَا يَذَكُرُونَ اَسَمَ اللّهِ عَلَيْهَا﴾؟ قلت: لا. قال: هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها (٧). وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي به.

⁽٢) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول عبد الرحمن أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق أصبغ بن الفرج عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد بن سليمان عنه.

⁽٣) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل: «الا».

⁽٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أبي بكر بن عياش به بنحوه.

شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملوا شيئاً (١). ﴿أَفْتِرَآتُهُ عَلَيْهُ ﴾ أي: على الله وكذباً منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم ﴿سَبَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتُرُونَ ﴾ أي: عليه ويسندون إليه.

هِ وَقَالُواْ مَا فِ بُطُونِ هَكَذِهِ ٱلْأَمْكَمِ خَالِصَةٌ لِنُكُونِنَا وَمُحَكَّمُ عَلَىٰ أَزْوَجِنَا وَإِن يَكُنُ كَا اللهِ مُعَلَمَ أَزُوَجِنَا وَإِن يَكُنُ كَا اللهِ مُمْكَانًا مُوانِينًا فَهُمْ فَيْهُمْ اللهِ مُحَدِيمُ عَلِيمٌ ﴿ وَمُعَالَمُ اللهِ مُرَكَانًا مُسَامِرِيهِمْ وَصَفَهُمْ النَّهُ حَكِيمُ عَلِيمٌ ﴿ إِنَّهُ مُحَدِيمُ عَلِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْمُ اللهُ اللهُ

قال أبو إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبن عباس: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَهُ وَ الْأَفْكُمِ خَالِصَةٌ لِلْكُونِا﴾ الآية قال: اللّبن (٢). [وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَهُ فِي الْأَفْكِمِ خَالِصَةٌ لِلْكُونِا﴾ فهو] (٣) اللّبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم، وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تُركب فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك (٤). وكذا قال السدى (٥).

وقال الشعبي: البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء (٦). وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم (٧).

وقــال مــجــاهــد فــي قــولــه: ﴿وَقَـالُواْ مَا فِــ بُطُونِ هَـَنذِهِ ٱلْأَنْمَـٰدِ خَالِصَـَةٌ لِنُكُورِنَا وَمُحَــَّرَمُّ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَـٰٓ ﴾ قال: هي السائبة والبحيرة (٨).

وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة في قول الله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ﴾ أي: قولهم الكذب في ذلك (٩). يعني كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ٱلْسِنَكُمُ ٱلْكَذِبَ هَنَا حَلَلُ وَهَنَا حَرَامٌ لِلَفَّتُرُوا عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لِا يُقْلِحُونَ ﴿ مَتَاعًا ﴾ الآية [النحل: ١١٦ ـ ١١٧]، ﴿إِنَّهُ مَكِيمٌ ﴾ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ﴿عَلِيمٌ ﴾ بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء.

⁽١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.

⁽٣) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (عش) و(حم) و(مح).

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود ضعيف ويتقوى بأقوال التابعين التالية.

⁽٧) ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عنه، وقول عبد الرحمن أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

⁽A) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٩) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح نجيح عن مجاهد، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول أبي العالية أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عنه.

﴾ ﴿ وَقَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَـتَكُوّاً أَوْلَنَدَهُمْ سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمِ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْـيَرَآةً عَلَى اللَّهِ قَدَّ ضَـلُواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۞﴾.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والممائة من سورة الأنعام فقد خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَلدَهُم سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمِ وَحَرَّمُوا مَا رَدَقَهُمُ الله أَقْرِينَ عَلَى الله قد ضَلُوا وَمَا كَانُوا مُهتَدِينَ في وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه، عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم، عن أبي عوانة - واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري - عن أبي بشر واسمه جعفر بن إياس بن أبي وحشية به (٢).

﴿ وَهُوَ اللَّذِي أَنشَأَ جَنَّتِ مَعْهُوشَتِ وَغَيْرَ مَعْهُوشَتِ وَالنَّخَلَ وَالزَّرْعَ نَخْلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانَ مُتَشَكِبُهَا وَغَيْرَ مُتَشَكِبِهُ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا آثَمَرَ وَمَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا اللَّهُ لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَكِ حَمُولَةٌ وَفَرْشَا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلَا تَنْبِعُوا خُطُونِ الشَّيْطِلِيْ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو مُبِينٌ ﴾.

يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بآرائهم الفاسدة، وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراماً وحلالاً، فقال: ﴿وَهُو اللَّذِيَّ اللَّهَا جَنَّتِ مَّعْهُوشَتِ وَغَيْرَ مَعْهُوشَتِ﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مَعْرُوشَتِ ﴾ مسموكات، وفي رواية المعروشات ما عرش الناس، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَتِ ﴾ ما خرج في البر والجبال من الثمرات (٣).

وقال عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿ مَعْرُوشَنتِ ﴾ ما عرش من الكرم ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَنتِ ﴾ ما لم يعرش من الكرم ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَنتِ ﴾ ما لم يعرش من الكرم (٤٠).

⁽١) كذا في (عش) و(حم) و(مح) وفي الأصل: «الأفعال وكلاهما مستقيم».

⁽٢) صحيح البخاري، المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب (ح٣٥٢٤).

⁽٣) أخرجه الطبري في رواية واحدة بسند ثابت من طريق على به.

⁽٤) أخرجه الطبري من طريق الخراساني به، وسنده ضعيف لأن الخراساني لم يسمع ابن عباس وأخرجه البخاري معلقاً (فتح الباري ٢٨٦/٨).

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

وقال ابن جريج ﴿مُتَشَكِيمُا وَغَيْرَ مُتَشَكِيةً﴾، قال: متشابهاً في المنظر وغير متشابه في الطعم^(۱). وقال محمد بن كعب : ﴿كُنُوا مِن ثُمَرِهِ إِذَا ٱثْمَرَ﴾ قال: من رطبه وعنبه^(۲).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِتْ قال ابن جرير: قال بعضهم: هي الزكاة المفروضة، حدثنا عمرو، حدثنا عبد الصمد، حدثنا يزيد بن درهم، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِتْ قال: الزكاة المفروضة (٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِهُ يعني: الزكاة المفروضة يوم يُكال ويُعلم كيله (٤). وكذا قال سعيد بن المسيب.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِهُ وذلك أن الرجل كان إذا زرع، فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئاً، فقال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِهُ وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحداً، وما يلقط الناس من سنبله (٥)، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، عن عمه واسع بن حبان، عن جابر بن عبد الله، أن النبي على أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين (٢). وهذا إسناد جيد قوي.

وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج: هي الزكاة(٧).

وقال الحسن البصري: هي الصدقة من الحب والثمار $^{(\Lambda)}$ ، وكذا قال زيد بن أسلم.

وقال آخرون: وهو حق آخر سوى الزكاة.

وقال أشعث: عن محمد بن سيرين ونافع، عن ابن عمر في قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُم يَوْمَ حَصَادِمِمُ ﴾ قال: كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة (٩). رواه ابن مردويه.

وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِم قال: يعطي من حضره يومئذٍ ما تيسر، وليس بالزكاة (١٠٠).

⁽١) أخرجه الطبري بسند فيه الحسين وهو ابن داود: ضعيف.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق موسىٰ بن عبيدة عن محمد بن كعب ومعناه صحيح.

⁽٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق يزيد بن درهم به، ويزيد فيه مقال (الجرح ٩/ ٢٦٠) وله شواهد لاحقة يتقوى بها.

⁽٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت عن علي به.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن العوفي عن ابن عباس بنحوه.

⁽٦) المسند ٣/ ٣٥٩ وسنن أبي داود، الزكاة، باب حقوق المال (ح١٦٦٢) وسنده حسن وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (-١٤٦٤).

⁽٧) أخرجه هذه الآثار الطبري وابن أبي حاتم بأسانيد صحيحة وأخرىٰ يقوي بعضها بعضاً.

⁽A) أخرجه الطبري وأبو عبيد في الناسخ (ص٣٢) من طريق ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن، وسنده صحيح.

⁽۹) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أشعث بن سوار به (المصنف ۳/۷۲) وسنده ضعيف لضعف أشعث (التقريب ص۱۳۳).

⁽۱۰) سنده حسن.

وقال مجاهد: إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه.

وقال عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴿ وَاللَّهُ عَلَمُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴿ وَاللَّهُ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى القبضة، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام (١).

وقال الثوري: عن حماد، عن إبراهيم النخعي قال: يعطي مثل الضغث (٢)(٣).

وقال ابن المبارك: عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِّـ﴾ قال: كان هذا قبل الزكاة، للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته (٤٠).

وفي حديث ابن لهيعة: عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد مرفوعاً، ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِيْ ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِمِيْ ﴾ قال: (ما سقط من السنبل) رواه ابن مردويه (٥٠).

وقال آخرون: هذا شيء كان واجباً ثم نسخه الله بالعشر أو نصف العشر، حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم (١)، واختاره ابن جرير كَالله، قلت: وفي تسمية هذا نسخاً نظر، لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته، قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم.

وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن» ﴿ إِذْ آفْتَهُوا لِيَقْرِمُنَهَا مُقْسِعِنَ ﴿ وَلا يَسْتَثُونَ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآبِفُ مِن رَّبِكَ وَهُمْ نَآبِمُونَ ﴿ فَأَسْبَحَتْ كَالْقَبِيمِ ﴾ أي: كالليل المدلهم سوداء محترقة ﴿ فَنَنَادَوّا مُقْسِعِينَ ﴾ أي أَغَدُوا عَلَى حَرْدِهُ أي: قـوة وجَلَد وهِمَة فَانَطَلَقُوا وَهُمْ يَنَخَفَنُونَ ﴾ أي: قـوة وجَلَد وهِمَة فَانَطَلَقُوا وَهُمْ يَنَخَفَنُونَ ﴾ أي نَعْمُ عَلَيْهُ مِسْتِكِينٌ ﴿ وَعَدَوْا عَلَى حَرْدٍ ﴾ أي: قـوة وجَلَد وهِمَة فَانَطَلَقُوا وَهُمْ يَنَخَفَنُونَ ﴾ أي نقراً إن لَفَا أَوْمَا قَالُوا إِنَّا لَمَنَالُونَ ﴾ بَلْ عَنْ مَحْومُونَ ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَةٍ أَقُلُ لَكُو لَوَلا نُسَبِحُونَ ﴾ قالُوا يَعْلَمُونَ أَن الله يَعْلَمُونَ ﴾ قالُوا يَوْبَلُنا إِنَّا كُنَا طَلِيمِنَ ﴾ وهن رَبُنا أن يَتَعْرَفُونَ أَن اللهُ يَتِنَا إِنَا كُنَا طَلِيمِنَ ﴾ والقلم].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُسُرِفُوٓاً إِنَّكُهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قيل: معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف.

وقال أبو العالية: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ثم تباروا فيه وأسرفوا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُتَمرُفُوا ﴾ (٧).

وقال ابن جريج: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جذ نخلاً له فقال: لا يأتيني اليوم أحد

⁽١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٢) الضغث ملء اليد من الحشيش المختلط، وقيل الحزمة منه ومما أشبهه من البقول (النهاية ٣/٩٠).

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يحيى بن سعيد عن الثوري به.

⁽٤) أخرجه أبو يوسف (الخراج ص٢١) من طريق سالم به، وسنده صحيح.

⁽٥) سنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

⁽٦) أخرجه الطبري بأسانيد متصلة عنهم يقوي بعضها بعضاً.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عاصم الأحول عن أبي العالية، وسنده صحيح لكنه مرسل.

إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُشَرِفُوا ۚ إِنَّكُمُ لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) رواه ابن جرير عنه. وقال ابن جريج عن عطاء: نُهوا عن السرف في كل شيء (٢). وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف (٣). وقال السدي في قوله: ﴿وَلَا شُمْرِفُوا ﴾ قال: لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء (٤). وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب في قوله: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا ﴾ قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم (٥).

ثم اختار ابن جرير قول عطاء، أنه نهي عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر _ والله أعلم _ من سياق الآية، حيث قال تعالى: ﴿كُولُوا مِن ثُمَرِهِ إِذَا آئَمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ وَكَالُوا مِن ثُمَرِهِ إِذَا آئَمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ وَكَالُوا مِن تُصَادِهِ فَي الأكل لما فيه من يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا نُسْرِفُوا ﴾ الآية [الأعراف: ٣١].

وفي صحيح البخاري تعليقاً: «كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة» (١) وهذا من هذا، والله أعلم.

وقوله على: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَكِ حَمُولَةً وَفَرَشَا ﴾ أي: وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش، قيل: المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل، والفرش الصغار منها، كما قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله: ﴿حَمُولَةً ﴾ ما حمل عليه من الإبل ﴿وَفَرَشَا ﴾ الصغار من الإبل، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧).

وقال ابن عباس: الحمولة: هي الكبار والفرش: الصغار من الإبل (٨)، وكذا قال مجاهد (٩).

وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَكِمِ حَمُولَةً وَفَرَشَا ﴾ أما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش: فالغنم (١٠٠). واختاره ابن جرير قال: وأحسبه إنما سمي فرشاً لدنوه من الأرض.

وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيرهم: الحمولة: الإبل والبقر، والفرش الغنم (١١١).

⁽١) أخرجه الطبري من طريق حجاج عن ابن جريج وسنده ضعيف للإعضال.

⁽٢) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج به وأطول، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان فيه مقال، ومعناه صحيح.

٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن إياس بنحوه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق أبي بكر بن عبد الله، عن عمرو بن سليم، عن سعيد بن المسيب، وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر بن عبد الله متهم بالوضع (ميزان الاعتدال ١٣/٤ والمجروحين ١٤٧/٣).

⁽٦) أخرجه البخاري معلقاً (الصحيح، اللباس، بأب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَـةَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيَّ أَخْرَجَ لِعِبَادِمِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] الفتح ٢٥٢/١٠) ووصله الإمام أحمد (المسند ٢/١٨٢) وابن أبي الدنيا (الشكر رقم ٥١) كلاهما من طريق همام، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسنده حسن.

⁽٧) ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٣١٧).

 ⁽٨) أخرجه الطبري من طريق أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس، وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر
 الهذلي متروك.

⁽٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽١٠) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق علي به.

⁽١١) ذكره ابن أبي حاتم بحذَّف الإسناد.

وقال السدي: أما الحمولة: فالإبل وأما الفرش فالفُصْلان والعجاجيل والغنم، وما حمل عليه فهو حمولة (١).

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: الحمولة: ما تركبون، والفرش: ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتخذون من صوفها لحافاً وفرشاً (٢). وهذا الذي قاله عبد الرحمٰن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرُوا أَنَا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَا عَمِلَتُ أَيْدِينَا أَفْعَكُما فَهُم لَهُ اللّهِ الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُرُ اللّهِ اللّهُ مَا لَكُمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

﴿ وَمَنْيَةَ أَزْوَجٌ مِنَ الطَّنَانِ اتْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اتْنَيْنُ قُلْ اللَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْلَيْنِ أَمَّا الشَّنَمَلَة عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْلَيْنَ نَيْعُونِ بِعِلْمِ إِن كُنتُم صَدِقِينَ ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اتْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقْرِ الشَّنَمَلَة عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنشَيَيْنِ أَمَّ الشَّتَمَلَة عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنشَيَيْنِ أَمَّ الْمُسَكَمَلَة إِذْ وَصَلَحُمُ اللَّهُ بِهَلَذَا فَمَنْ أَظْلُمُ مِمَّنِ أَفْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُصْلِلُ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٌ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ ﴿ وَمِنَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ حَذِبًا لِيصْلِلُ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٌ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ ﴾.

هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام، فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعاً بَحيرة وسائبة ووصيلة وحاماً، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار، فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً، ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز ذكره وأنثاه، وإلى إبل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها، بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلاً وركوباً وحمولة وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع، كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِن اللَّعَمِهِ المنافع، كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِن اللَّعَمِهِ

⁽١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن.

ثَمَنِيَةَ أَزْوَجِ ﴾ الآية [الزمر: ٦]. وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأَنْشَيْنِ ﴾ ردّ عليهم في قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَكَذِهِ ٱلْأَنْفَامِ: ١٣٩].

وقوله تعالى: ﴿نَبِّعُونِ بِعِلْمِ إِن كُنتُمْ صَلاِقِينَ﴾ أي: أخبروني عن يقين، كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك؟

وقال العوفي، عن ابن عباس: قوله: ﴿ ثَمَنِينَهُ أَزُوجٌ مِنَ الضَّأَنِ آثَنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ فهذه أربعة أزواج ﴿ قُلْ ءَآلنَّكِ مِنَ أَمِ الْأَنْلَيَٰنِ ﴾ يقول: لم أحرم شيئاً من ذلك ﴿ أَمَّا اَشْتَمَلَتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأَنْلَيَٰنِ ﴾ يعني: هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى، فلم تحرمون بعضاً وتحلون بعضاً ؟ ﴿ نَبِتُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُم صَدِقِينَ ﴾ يقول تعالى: كله حلال (١١).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَكَآءَ إِذْ وَصَّنَكُمُ اللّهُ بِهَنَأَ﴾ تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك ﴿فَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ صَذِبًا لِيُضِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلَى اللهِ من تحريم ما حرموه من ذلك ﴿فَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنِ ٱفْقَرَمَ الظَّلِمِينَ﴾ وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قمعة، لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سيّب السوائب ووصّل الوصيلة وحمى الحامي، كما ثبت ذلك في الصحيح (٢).

﴿ وَهُلَ لَآ أَجِدُ فِي مَا أُوحِىَ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمِ يَطْعَمُهُۥ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْـتَةً أَوْ دَمَّا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرِ فَإِنَّهُ رِجْشُ أَوْ فِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ؞ْ فَمَنِ اَضْطُلَرَ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيتُهُ ﴿ ﴾.

يقول تعالى آمراً عبده ورسوله محمداً على ﴿ وَلَى الله على الله الذين حرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله ، ﴿ لا آجِدُ فِي مَا أُوحِى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْعَمُهُ ﴾ أي: آكل يأكله قيل معناه: لا أجد شيئاً مما حرمتم حراماً سوى هذه ، وقيل معناه: لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه ، فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة وفي الأحاديث الواردة رافعاً لمفهوم هذه الآية ، ومن الناس من يسمي هذا نسخاً والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم .

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿أَوَ دَمَا مَسْفُوحًا﴾ يعني: المهراق^(٣). وقال عكرمة في قوله: ﴿أَوَ دَمَا مَسْفُوحًا﴾ لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود^(٤).

وقال حماد، عن عمران بن حدير قال: سألت أبا مجلز عن الدم، وما يتلطخ من الذبيح من الرأس وعن القِدر يُرى فيها الحمرة؟ فقال: إنما نهى الله عن الدم المسفوح^(٥).

⁽١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن الُعوفي به.

⁽٢) تقدم في تفسير سورة المائدة آية ١٠٣.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حماد به.

وقال قتادة: حرم من الدماء ما كان مسفوحاً، فأما اللحم خالطه الدم فلا بأس به (١).

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، عن عائشة في الله كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً، والحُمرة والدم يكونان على القِدر بأساً، وقرأت هذه الآية (٢)، صحيح غريب.

وقال الحميدي: حدثنا سفيان، حدثا عمرو بن دينار، قال: قلت لجابر بن عبد الله: إنهم يزعمون أن رسول الله على نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله على ولكن أبى ذلك الحبر، يعني ابن عباس وقرأ: ﴿قُل لاّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْعَمُهُ وَلكن أبى وكذا رواه البخاري عن علي بن المديني، عن سفيان به (٤)، وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج، عن عمرو بن دينار، ورواه الحاكم في مستدركه (٥) مع أنه في صحيح البخاري كما رأيت.

وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه: حدثنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس، قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو، وقرأ هذه الآية: ﴿قُل لاّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْمَمُهُ وَهُ الآية، وهذا لفظ ابن مردويه، ورواه أبو داود منفرداً به، عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به (٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله، ماتت فلانة تعني الشاة، قال: «فلم لا أخذتم مسكها؟» قالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال رسول الله على الله: ﴿فُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْمَمُهُ وَإِلَا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُومًا أَوْ لَكُ الله: ﴿فُل لا تَطعمونه، أن تدبغوه فتنتفعوا به الله فارسلت فسلخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها (٨)، ورواه البخاري والنسائي، من حديث الشعبي، عن عكرمة، عن

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة عن يحيى بن سعيد به (المصنف ٥/ ٣٩٩) وسنده صحيح.

⁽٣) أخرجه الحميدي بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٣٧٩ ح٨٥٩) وسنده صحيح.

⁽٤) صحيح البخاري، الذبائح، باب لحوم حمر الإنسية (ح٥٧٩).

⁽٥) المستدرك ٢/٣١٧، وباقى السند لأبي داود.

⁽٦) السنن، الأطعمة، باب ما لم يذكر تحريمه (ح٣٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٢٥).

⁽٧) ووافقه الذهبي (المستدرك ١١٥/٤).

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه محققوه بمتابعة سماك (المسند ١٥٦/٥ ح٢٣٠٢).

ابن عباس، عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه^(۱).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عيسى بن نميلة الفزاري، عن أبيه، قال: كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرأ عليه: ﴿قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية، فقال شيخ عنده: سمعت أبا هريرة يقول: ذكر عند النبي على فقال: «خبيثة من الخبائث» فقال ابن عمر: إن كان النبي على قاله فهو كما قال. ورواه أبو وداود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ﴾ أي: فمن اضطر إلى أكل شيء مما حرم الله في هذه الآية الكريمة، وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: غفور له رحيم به، وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية (٣).

والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم، بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك، فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإنما حرّم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه، فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء.

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ حَمَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍّ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَدِ حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ شُخُومَهُمَا ۗ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا آوِ الْعَوَاكِ آوْ مَا اَخْتَلَطَ بِمَظْمِّ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِبَغْيِهِمٌّ وَإِنَّا لَصَلَيْقُونَ ۞﴾.

قال ابن جرير: يقول تعالى: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنعام والإوز والبط(٤).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ وهو البعير والنعامة(٥)، وكذا قال مجاهد في رواية والسدي(٦).

وقال سعيد بن جبير: هو الذي ليس منفرج الأصابع(٧)، وفي رواية عنه: كل شيء متفرق

⁽۱) صحيح البخاري، الإيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يشرب نبيذاً... (ح٦٦٨٦) وسنن النسائي، الفرع والعتيرة، باب جلود الميتة (٧/٣٧٠).

⁽۲) السنن، الأطعمة، باب في أكل لحم الحبارى (ح٣٧٩٩) وسنده ضعيف لإبهام اسم الشيخ الراوي عن أبي هريرة.

⁽۳) آیهٔ ۱۷۳.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

⁽٥) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

⁽٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير.

الأصابع ومنه الديك(١).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمُنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾: وكان يقال للبعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان (٢٠)، وفي رواية: البعير والنعامة (٣٠)، وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع.

وقال ابن جريج، عن مجاهد: ﴿كُلُّ ذِى ظُفُرٍ ﴾، قال: النعامة والبعير شقاشقاً، قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته ما شقاشقاً؟ قال: كل ما لا ينفرج من قوائم البهائم، قال: وما انفرج أكلته؟ قال: انفرجت قوائم البهائم والعصافير قال: فيهود تأكله، قال: ولم تنفرج قائمة البعير خفه _ ولا خف النعامة ولا قائمة الوز، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش (أ). وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْفَنَدِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمآ ﴾ قال السدي: يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول إنه حرمه إسرائيل فنحن نُحرّمه (٥)، وكذا قال ابن زيد (٢).

وقال قتادة: الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم^(٧).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتَ ظُهُورُهُمَآ ﴾ يعني: ما علق بالظهر من الشحوم (^)، وقال السدي وأبو صالح: الإلية مما حملت ظهورهما (٩).

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْحَوَاكِ) ﴿ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعَفُرُ بِن جَرِيرُ: الْحَوَايَا جَمَعُ وَاحَدُهَا حَاوِيَاءُ وَحَاوِيةً وَحَوِيّةً وَهُو مَا تَحَوِّى مِن البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابض، وفيها الأمعاء (١٠٠ . قال: ومعنى الكلام ﴿وَمِنَ ٱلْبُقَرِ وَٱلْفَنَدِ حَرَّمَنَا عَلَيْهِم شُخُومُهُمَا إِلّا مَا حَمَلَتُ ظُهُورُهُمَا ﴾ [أو ما حملت الحوايا] (١١٠).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوِ ٱلْحَوَاكِآ﴾ وهي المبعر (١٢)، وقال مجاهد: ﴿أَلْحَوَاكِآ﴾ المبعر والمِربض (١٤)، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدي (١٤)،

⁽١) أخرجه الطبري بسند حسن كسابقه.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

⁽٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «الثروب».

⁽A) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٩) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول أبي صالح أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عنه.

⁽١٠) ذكره الطبري بلفظه.

⁽١١) كذا في (عش) و(حم) و(مح) وسقط من الأصل.

⁽١٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽١٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽١٤) ذكرهم كلهم ابن أبي حاتم بحذف السند، وقول قتادة والسدي أخرجه الطبري بالأسانيد الثابتة المتقدمة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد: الحوايا المرابض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها وهي بنات اللبن، وهي في كلام العرب تدعى المرابض (١١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمِ ﴾ يعني: إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحللناه لهم.

وقال ابن جريج: شحم الإلية ما اختلط بالعُصْعُص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال^(٢) ونحوه قال السدي^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَرَيْنَهُم بِبَغْيِهِمُ ﴾ أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا، كما قال تعالى: ﴿فَيُظَلِّمِ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِبَاتٍ أُحِلَّتُ عَلَيْهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿ النساء].

وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَصَلِيْقُونَ ﴾ أي: وإنا لعادلون فيما جازيناهم به، وقال ابن جرير: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم، لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه (٤)، والله أعلم.

وقال عبد الله بن عباس: بلغ عمر بن الخطاب في أن سمرة باع خمراً فقال: قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله على قال: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها»؟ أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس، عن عمر به (٥).

وقال الليث: حدثني يزيد بن أبي حبيب، قال: قال عطاء بن أبي رباح: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله على يقول عام الفتح: "إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس؟ فقال: "لا هو حرام» ثم قال رسول الله على عند ذلك: "قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه» [ورواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حبيب به (٦). وقال الزهري: عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: "قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها»](١) رواه البخاري ومسلم جميعاً، عن عبدان، عن ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري به (٨).

وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا إسماعيل بن إسحاق، حدثنا

⁽١) أخرجه الطبوي بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه الحسين وهو ابن داود ضعيف.

⁽٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

⁽٤) ذكره الطبري بنحوه.

⁽٥) صحيح البخاري، البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يُباع وَدَكه (ح٢٢٣٣)، وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة... (ح١٥٨١).

⁽٦) صحيح البخاري، البيوع، باب بيع الميتة والأصنام (ح٢٢٣٦)، وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم بيع الخمر والميتة (ح١٥٨١).

⁽٧) ما بين معقوفين سقط من الأصل واستدرك من (عش) و(حم) و(مح).

⁽A) صحيح البخاري، البيوع، باب لا يُذاب شحم الميتة (ح١٢٢٤)، وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم بيع الخمر (ح١٥٨٣).

سليمان بن حرب، حدثنا وهب، حدثنا خالد الحذاء، عن بركة أبي الوليد، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعداً خلف المقام، فرفع بصره إلى السماء فقال: «لعن الله اليهود ـ ثلاثاً ـ إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم ثمنه»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، أنبأنا خالد الحذاء، عن بركة أبي الوليد، أنبأنا ابن عباس قال: كان رسول الله على قاعداً في المسجد مستقبلاً الحجر فنظر إلى السماء فضحك فقال: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه»(٢). ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء (٣).

وقال الأعمش: عن جامع بن شداد، عن كلثوم، عن أسامة بن زيد، قال: دخلنا على رسول الله على وهو مريض نعوده، فوجدناه نائماً قد غطى وجهه ببرد عدني فكشف عن وجهه وقال: «لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها» (٤) وفي رواية: «حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها».

△ ﴿ فَإِن كَذَّ بُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةِ وَسِعَةِ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْمِينَ ۞ ﴿ .

﴿ وَمَنَقُولُ الَّذِينَ اَفَكُواْ لَوَ شَآءَ اللَهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن ثَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن عَلِمِهِ حَتَى دَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَلْ عِندَكُم مِن عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَلْمِعُونَ إِلَا الظَّنَ كَذَبَ النَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَى دَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَلْ عَندَكُم مِن عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَلْمِعُونَ إِلَا الظَّنَ وَإِن أَنشَى اللَّهُ اللَّذِينَ وَإِن أَنشَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ عَرْمٌ هَدُواْ فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمُ وَلَا تَنْبِعُ أَهْوَا اللَّذِينَ كَا لَذِينَ كَذَبُوا بِعَايَلِنِنَا وَاللَّهِ مَن اللَّهِ عَرْمٌ هَدُواْ وَهُم بِرَبِهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ وَاللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَا يَخْرَهُ وَهُم بِرَبِهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ ﴾.

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا،

⁽١) سنده صحيح وللمزيد ينظر الحديث التالي.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وصححه محققوه (المسند ١٥٧٤ ح٢٢١).

⁽٣) سنن أبي داود، البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة (ح٣٤٨٨)، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٩٧٨).

⁽٤) أخرجه الحاكم من طريق الأعمش به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١٩٤/٤).

فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك، ولهذا قالوا: ﴿ لَوَ شَآءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلاَ مَرَانَكُ وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيَّوٍ ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوَ شَآءَ ٱلرَّمْنَنُ مَا عَبَدْنَهُم ﴾ الآية [الزخرف: ٢٠]، وكذلك الآية التي في النحل (١) مثل هذه سواء.

قال الله تعالى: ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبِلِهِمْ أَي بهذه الشبهة ضلَّ من ضلَّ قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمِ ﴾ أي: بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿فَتُحْرِجُوهُ لَنا ﴾ أي: فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ﴿إِن تَنَبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَ ﴾ أي: الوهم والخيال، والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد ﴿وَإِن أَنتُد إِلَّا يَغْرُصُونَ ﴾ تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ لَوَ شَآءَ اللّهُ مَا آَشَرَكَنَا ﴾ وقال: ﴿ كَذَابَ كَذَبَ اللّه اللّه على بن أَبْلِهِمَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَوَ شَآءَ اللّهُ مَا آَشَرُكُوا ﴾ [الأنعام: ١٠٧] فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى. فأخبرهم الله أنها لا تقربهم، فقوله: ﴿ وَلَوَ شَآءَ اللّهُ مَا آَشَرُكُوا ﴾ يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين (٢٠).

قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمُ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ أي: أحضروا شهداءكم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَنَأَ﴾ أي: هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدَ مَعَهُمَ ۗ أي: لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً ﴿وَلَا تَنَبِعُ أَهْوَآهُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا اللَّهِ عَدِيلاً.

﴿ ﴿ فَى نَمَالُواْ أَنْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا ثُشْرِكُواْ بِدِ شَيْغًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا ۗ وَلَا تَقْدُلُوا أَلْفَوَاحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْدُلُواْ الْفَوَاحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْدُلُواْ الْفَوَاحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْدُلُواْ الْفَوَاحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْدُلُواْ النَّفَسَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُو وَصَائِكُم بِهِ لَقَلَكُو نَسْقِلُونَ ﴿ ﴾.

قال داود الأودي، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود رضي قال: من أراد أن يقرأ

⁽١) كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِيكَ أَشَرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥].

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

صحيفة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿ قُلَ تَمَالَوَا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُكُمُ عَلَيْكُمُ وَبُكُمُ مَا عَرَمَ رَبُكُمُ عَلَيْكُمُ أَلًا ثُمُرِكُوا بِهِ مُسَيِّعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ لَمَلَكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو، حدثنا عبد الصمد بن الفضل، حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، قال: سمعت ابن عباس يقول: في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب، ثم قرأ: ﴿قُلَ تَعَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم الآيات، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢). قلت: ورواه زهير وقيس بن الربيع، كلاهما عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن قيس، عن ابن عباس به، والله أعلم.

وروى الحاكم أيضاً في [مستدركه] من حديث يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله على: «أيكم يبايعني على الله» ثم تلا رسول الله على: ﴿قُلُ تَمَالُوا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم ومن الآيات الفمن وقى فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخر إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه» ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإنما اتفقا على حديث الزهري عن أبي إدريس، عن عبادة «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً» الحديث أن

وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين، فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما، والله أعلم.

حَجّ وأوصى بسليمى الأَعْبُدا أن لا ترى ولا تكلّم أحداً ولا يرى ولا تكلّم أحداً ولا يردا(ه)

⁽۱) أخرجه الترمذي من طريق محمد بن فضيل عن داود الأودي به وقال: هذا حديث حسن غريب (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام ح٣٠٧٠)، وسنده حسن وداود هو ابن عبد الله الأودي يروي عن الشعبي، ويروي عنه محمد بن فضيل، وهو ثقة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٩١)، وسنده حسن.

⁽٢) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣١٧/٢).

⁽٣) كذا في (عش) و(مح) و(حم) والمستدرك وفي الأصل صحفت إلى مسنده.

⁽٤) أخرجه الحاكم من طريق يزيد به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣١٨/٢)، والحديث الذي اتفقا عليه البخاري ومسلم فهو في صحيح البخاري (ح١٨) وصحيح مسلم (ح١٧٠٩).

⁽٥) ذكر هذا الرجز الفراء في معاني القرن (١/٣٦٤)، والطبري دون أن ينسباه لأحد.

وتقول العرب: أمرتك أن لا تقوم. وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي قال: قال رسول الله على: «أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن شرب الخمر».

وفي بعض الروايات: أن قائل ذلك إنما هو أبو ذرّ لرسول الله على الصلاة والسلام قال في الثالثة: «وإن رغم أنف أبي ذرّ» فكان أبو ذرّ يقول بعد تمام الحديث: «وإن رغم أنف أبي ذرّ»(۱).

وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما كان منك ولا أبالي، ولو أتيتني بقراب الأرض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً، وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك»(٢).

ولهذا شاهد في القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاَّةً﴾ [النساء: ٤٨].

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» (٣).

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم»(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا نافع بن يزيد، حدثني سيار بن عبد الرحمن، عن يزيد بن قوذر، عن [سلمة بن شريح] (٥)، عن عبادة بن الصامت، قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال «ألا تشركوا بالله شيئاً وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم» (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا ﴾ أي: وأوصاكم وأمركم بالوالدين ﴿إِحْسَنَا ﴾ أي: أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقرأ بعضهم: (ووصى (٧) ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) أي: أحسنوا إليهم، والله تعالى

⁽۱) صحيح البخاري، الجنائز، باب في الجنائز (ح١٢٣٧)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً... (ح١٥٣ _ ١٥٤).

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد (المسند ۳۹۸/۳ ح۲۱۵۰۵)، وحسنه محققوه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح۱۲۷).

⁽٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً (ح١٥٠).

⁽٤) حديث عبادة سيأتي في الذي يليه، وحديث أبي الدرداء ضعفه الحافظ ابن كثير بعد الرواية التالية.

⁽٥) كذا في (حم) و(مح) وفي الأصل صُحفت إلى: «سريج».

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وفيه يزيد بن قوذر سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح ٢٨٤/٩)، وضعفه الحافظ ابن كثير بعد الرواية التالية.

⁽٧) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود في أنه قال: سألت رسول الله في أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قال ابن مسعود: حدثني بهن رسول الله في ولو استزدته لزادني (۱). وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء، وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصاني خليلي رسول الله في «أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل» ولكن في إسناديهما ضعف (۱)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَنُلُوا أَوْلَدَكُم مِنَ إِمَلَوْ غَنُ نَرُنُوكُمُ وَإِيّاهُمٌ ﴾ لما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا الْوَلَدِكُم مِنَ إِمَلَوْ وَذَلك أَنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود وليه أنه سأل رسول الله عليه أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ثم تلا رسول الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهُا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النّه عَلَى حَرَّمَ الله إلا إلَّوَق وَلَا يَزْفُونَ ﴾ الآية [الفرقان: ٢٨](٣).

وقوله تعالى: ﴿ مِنَ إِمُلَقِ ﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل (٤٠) ، وقال في سورة سبحان ﴿ وَلا نَقْنُلُوا اَوْلَدَكُم خَشْيَةَ إِمْلَقِ ﴾ [الإسراء: ٣١] أي: لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ، ولهذا قال هناك ﴿ غَنُ نَرُزُقُهُم وَإِيّاكُو ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم ، أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله ، وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿ غَنُ نَرُدُفُكُم وَإِيّاهُم ﴾ لأنه الأهم ههنا ، والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَلْهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَتِيَ الْفَوَحِشَ مَا ظَلْهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ اللَّهِ مَا لَمَ يُنَزِّلَ بِدِ سُلَطَنَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الْفَوَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تَشُرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمَ يُنَزِّلَ بِدِ سُلَطَنَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿ وَهَا لَا الْمُعَالَى اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف] وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَلْهِرَ ٱلْمِرْتُمِ وَبَاطِنَهُ ﴿ } [الأنعام: ١٢٠].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ظليه قال: قال رسول الله عليه: «لا أحد أغير من الله، من

⁽١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٨٣. ﴿ ٢﴾ تقدم تخريج حديث عُبادة قبل الرواية السابقة.

⁽٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٦٥.

⁽٤) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه.

أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»(١١).

وقال عبد الملك بن عمير، عن ورّاد، عن مولاه المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت مع امرأتي رجلاً لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله على فقال أتعجبون من غيرة سعد؟ «فوالله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» أخرجاه (٢).

وقال كامل أبو العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله إنا نغار قال: «والله إني لأغار والله أغير مني، ومن غيرته نهى عن الفواحش» رواه ابن مردويه (٣) ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقَنُلُوا النّفْسَ الَّتِي حَرَّم الله إِلّه بِالْمَقِيّ وهذا مما نصّ تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيداً وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين: عن ابن مسعود ﴿ قَلْ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة »، وفي لفظ لمسلم ﴿ والذي لا إله غيره لا يحلّ دم رجل مسلم ﴾ وذكره، قال الأعمش: فحدثت به إبراهيم، فحدثني عن الأسود، عن عائشة بمثله (٥) ، وروى أبو داود والنسائي عن عائشة ﴿ أن رسول الله ﴾ قال: ﴿ لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: زان محصن يرجم، ورجل قتل متعمداً فيقتل، ورجل يخرج من الإسلام حارب الله ورسوله، فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض » وهذا لفظ النسائي (٢).

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان على أنه قال وهو محصور: سمعت رسول الله يله يقول: «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام. ولا تمنيّت أن لي بديني بدلاً منه إذ هداني الله، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟ رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن (٧).

⁽۱) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] (ح٤٦٣٤)، وصحيح مسلم، التوبة، باب غيرة الله تعالى (ح٢٧٦).

⁽٢) صحيح البخاري، التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله» (ح٢١٦٧)، وصحيح مسلم، اللعان، بدون باب (ح١٦٩٩).

⁽٣) يشهد له سابقه.

⁽٤) أخرجه الترمذي من طريق كامل أبي العلاء به وقال: حسن غريب (السنن، الزهد، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ح٢٣١).

⁽٥) تقدم تخريجه في بداية تفسير آية ٩٢ من سورة النساء.

⁽٦) سنن أبي داود، الحدود، باب الحكم فيمن ارتد (ح٤٣٥٣)، وسنن النسائي، تحريم الدم، باب الصلب ٧/ ١٠١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٦٥٩).

⁽٧) (المسند ١/ ٤٩١ ح٤٣٧) وصححه محققوه وسنن الترمذي، الفتن، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم... =

وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب، فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو على عن النبي على مرفوعاً «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»(١).

وعن أبي هريرة ولله عن النبي عليه قال: «من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح (٢٠).

وقوله: ﴿ ذَٰلِكُو وَصَٰنَكُم بِهِۦ لَعَلَكُو نَمْقِلُونَ ﴾ أي: هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه.

﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ آخَسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ ٱشُدَّةٌ وَٱوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِّ لَا ثُكِلِفُ نَقْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَآغَدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ۚ وَبِعَهْدِ ٱللّهِ ٱوَفُواْ ذَالِكُمْ وَصَدَكُم بِهِـ لَمَلَكُونُ تَذَكَّرُونَ ﴿ ﴾.

قال عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال لما أنزل الله ﴿وَلَا نَقُرَبُواْ مَالَ الْكَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَكِي ظُلْمًا ﴾ الآية [النساء: ١٠]، فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله، أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسَّتُكُونَكَ عَنِ الْكُلُهُ، وَلِي اللَّهُ عَلَيْهُمُ فَإِخُونَكُمُ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال: فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رواه أبو داود (٢).

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغُ أَشُدَّهُ ﴾ قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف: يعني حتى يحتلم (٤). وقال السدي: حتى يبلغ ثلاثين سنة (٥)، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ستون سنة، قال: وهذا كله بعيد هاهنا، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِّ﴾ يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعد على تركه في قوله تعالى: ﴿وَيْلُ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ اَلَّذِينَ إِذَا ٱكْثَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُحْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُ أُولَتِكَ أَنَّهُم مَّبَعُونُونٌ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِ ٱلْعَلَمِينَ ۞ [المطففين] وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان.

⁼ وحسنه (ح٢١٥٨)، وسنن النسائي، تحريم الدم، باب ذكر ما يحل به دم المسلم ٧/ ٩١، وسنن ابن ماجه، الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث (ح٢٥٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٠٥٢).

⁽١) صحيح البخاري، الديات، باب إثم من قتل ذميًّا بغير جرم (ح١٩١٤).

⁽٢) سنن الترمذي، الديات، باب ما جاء فيمن قتل نفساً معاهدة (ح١٤٠٣)، وسنن ابن ماجه، الديات، باب من قتل معاهداً (ح٢٦٨٧)، ويشهد له سابقه.

⁽٣) تقدم تخريجه وتصحيحه في تفسير سورة البقرة آية ٢٢٠.

⁽٤) قول الشعبي أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق مجالد عنه، ومجالد ليس بالقوي كما في التقريب، وقول مالك أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عنه.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.

وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي: من حديث الحسين بن قيس أبي علي الرحبي، عن عكرمة، عن ابن عباس رهم قال: قال رسول الله على الأصحاب الكيل والميزان (إنكم وليتم أمراً هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم) ثم قال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث. وقد روي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً (١).

قلت: وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله على: "إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بهما هلكت القرون المتقدمة: المكيال والميزان" (٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكِلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.

وقد روى ابن مردويه من حديث بقية، عن مُبشر بن عُبيد، عن عمرو بن ميمون بن مهران، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، قال: قال رسول الله ﷺ في الآية ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلُ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسَطِّ لَا لَهُ كَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسَعَهَا ﴾ فقال: «من أوفى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها»(٣) هذا مرسل غريب.

وقـولـه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُواْ وَلَوَ كَانَ ذَا قُرْبَيْ ﴾ كـقـولـه: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّمِينَ لِلّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسَطِّـ ﴾ الآية [المائدة: ٨]، وكذا التي تشبهها في سورة النساء (٤٠)، يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال.

وقوله: ﴿وَبِمَهَدِ ٱللَّهِ ٱوْفُواْ﴾ قال ابن جرير: يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وإيفاء ذلك: أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله(٥٠).

﴿ذَلِكُمْ وَصَّنَكُم بِدِء لَعَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى: هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه ﴿لَمَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا، وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخرون بتخفيفها (٢٠).

﴿ وَأَنَ هَٰذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَأَتَّبِعُوهٌ وَلَا تَنَّبِعُوا ٱلشُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَّلَكُمْ وَصَلَكُمْ وَسَلِيقِهِ وَاللّهُ وَلَا تَلْمِينُوا وَلَا تَلْسُكُونَ وَلَا تَلْمُ وَلَا تَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَلَا تَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَلَا تَلْمُ وَلَا تَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلَيْتُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ الللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَيْلِهِ إِلَا لَهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَاللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَالِهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَاللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَا عَلَالْ عَلَاللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَالْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَا عَلَالِهُ عَلَالْمُ عَلَالِهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَالْمُ عَلَالِهُ عَلَا عَلَا

قال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَنْبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَا تَنْبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ﴾ وفي قوله: ﴿أَنَ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا نَنَفَرَّقُواْ فِي السُورى: ١٣] ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله

⁽۱) أخرجه الترمذي من طريق خالد بن عبد الله الواسطي عن الحسين بن قيس به مع حكمه (السنن، البيوع، باب ما جاء في المكيال والميزان ح١٢١٧)، وفي سنده الحسين بن قيس متروك (التقريب ص١٦٨)، والصحيح وقفه على ابن عباس.

⁽٢) في سنده شريك وهو ابن عبد الله القاضي صدوق سيء الحفظ كما في التقريب، ولعله أخطأ في رفعه.

⁽٣) في سنده مبشر بن عُبيد وهو الحمصي وهو متروك ورّماه أحمد بالوضّع (التقريب ص٥١٩).

⁽٤) الآية: ١٣٥.

⁽٦) كلتاهما قراءتان متواترتان.

المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله (١). ونحو هذا، قاله مجاهد وغير واحد (٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا الأسود بن عامر شاذان، حدثنا أبو بكر - هو ابن عياش -، عن عاصم - هو: ابن أبي النجود -، عن أبي وائل، عن عبد الله - هو: ابن مسعود ولله الله عن عبد الله - هو: ابن مسعود والله على قال: «هذا سبيل الله مستقيماً» وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُستَقِيماً وَالله السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُستَقِيماً عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن أبي بكر بن عياش به، وقال: صحيح ولم يخرجاه (٤٠)، وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعاً به نحوه (٥٠). وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد والنسائي، عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب، أربعتهم عن حماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وكذا رواه ابن جرير عن المثنى، عن الحماني، عن حماد بن زيد به، ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن سليمان بن حرب، عن الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد به كذلك، وقال: صحيح ولم يخرجاه (١٠).

وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً ($^{(V)}$)، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحماني، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر به ($^{(A)}$) فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين، ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، وعن أبي وائل شقيق بن سلمة، كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم.

وقال الحاكم: وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي، عن جابر من وجه غير معتمد (١) يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد وعبد بن حميد جميعاً واللفظ لأحمد: حدثنا عبد الله بن محمد - وهو أبو بكر بن أبي شيبة -، أنبأنا أبو خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر، قال؛ كنا جلوساً عند النبي على فخط خطاً هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله» وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال: «هذه سبل الشيطان» ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآيــة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيماً فَأُتَبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُوا ٱلشَّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ وَلَاكُمْ وَصَلَّكُم بِهِ لَمَا لَهُ الله الله الله الله وقال الله عنه الله الله عنه الله الله عنه الله وقال الله عنه الله الله عنه الله عنه الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله الله وقال الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله عنه الله وقال الله الله عنه الله وقال الله الله وقال الله الله الله الله الله وضع الله وقال الله الله الله الله وقال الله الله الله وقال الله وقال الله الله وقال الله الله وقال اله وقال الله وقال الله وقال الله وقال الله وقال الله وقال الله وقال

⁽١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٢٠٧ ح٤١٤) وحسنه محققوه.

⁽٤) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣١٨/٢).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عمرو بن أبي قيس.

⁽٦) السنن الكبرى للنسائي (ح١١١٧٤)، وتفسير الطبري، والمستدرك ٣١٨/٢.

۷) السنن الكبرى للنسائي (ح١١١٧)، والمستدرك ٢/٢٣٩.

⁽۸) وسنده حسن. (۹) المستدرك ۲/۳۱۸.

⁽١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٣٩٧)، وفي سنده مجالد ليس بالقوي، ويتقوى بما سبق.

ورواه ابن ماجه: في كتاب السنة من سننه، والبزار عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد، عن أبي خالد الأحمر به (۱). قلت: ورواه الحافظ بن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي، حدثنا أبو خالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر، قال: خط رسول الله على خطاً، وخط عن يمينه خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً، ووضع يده على الخط الأوسط، وتلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيما فَاتَبِعُوهُ (۱) ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثراً، وقد روي موقوفاً عليه، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان، أن رجلاً قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد على في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ عِنْطَى مُسْتَقِيما فَاتَبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُوا السُّبُلُ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِيً ﴾ الآية (۱).

وقال ابن مردويه: حدثنا أبو عمرو، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا أبان بن عياش، عن مسلم بن عمران، عن عبد الله بن عمر، سأل عبد الله، عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود: تركنا محمد على في أدناه وطرفه في الجنة، وذكر تمام الحديث كما تقدم (3)، والله أعلم.

وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه، قال الإمام أحمد: حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ـ ليث يعني: ابن سعد ـ عن معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه، عن أبيه، عن النواس بن سمعان، عن رسول الله على قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يدعو: يا أيها الناس هلموا ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم» ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر، زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان به، وقال الترمذي: حسن غريب (٥٠٠).

وقوله تعالى: ﴿فَاتَنِعُوهُ وَلَا تَنَبِعُوا السُّبُلَ﴾ إنما وحد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِنَ الظَّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِنَ النُّورِ وَالَّذِينَ كَامَنُواْ يُخْرِجُهُم الطَّعْوَتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظَّلُمَاتِ أُوْلَتَهِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ كَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّ

⁽١) السنن، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (ح١١)، وسنده كسابقه في علته وتقويته.

⁽٢) سنده كسابقه في علته وتقويته.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن أبان بن أبي عياش متروك (التقريب ص٨٧).

⁽٤) سنده كسابقه. (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفاتحة آية ٦.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟» ثم تلا ﴿قُلُ تَعَالُواْ أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ وَالله الله ومن انتقص [الأنعام: ١٥١] حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال: «ومن وقى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه»(١).

﴿ وَمُوَ مَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِي ٱحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّمَلَهُم لِلِقَآءِ رَبِهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَذَا كِنَنْبُ أَنزَلْنَكُ مُبَارَكُ فَٱتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْخَمُونَ ۞﴾.

قال ابن جرير: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ ﴾ تقديره ثم قل يا محمد مخبراً عنا أنا آتينا موسى الكتاب، بدلالة قوله: ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ۚ وَالأنعام: ١٥١].

قلت: وفي هذا نظر، وثم ههنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب ههنا كما قال الشاعر (٢):

قــل لــمــن ســاد ثــم ســاد أبــوه ثــم قــد ســاد قــبـل ذلــك جــده وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله: ﴿وَأَنَ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ثم آتينا موسى الكتاب، وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة، كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِنْكُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَنَبُّ مُصَدِقٌ لِسَانًا عَرَيْتًا ﴾ القرآن والتوراة، كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِنْكُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَنَبُ مُصَدِقٌ لِسَانًا عَرَيْتًا ﴾ [الأحقاف: ١٦] وقوله أول هذه السورة ﴿قُلْ مَنْ أَزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلّذِي جَآءً بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدُى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ وَاطِيسَ تُدُونَهُ وَتَعْفُونَ كَثِيراً ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]، وبعدها ﴿وَهَلَا كِتَنَبُ أَنْزَلْنَهُ مُبَارَكُ ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]،

وقال تعالى مخبراً عن المشركين ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوَلَآ أُوتِ مِثْلَ مَا أُوتِ مُثُلُ مَا أُوتِ مِثْلُ مَا أُوتِ مِثْلُ مَا أُوتِ مُثْلُ مَوْنَ ﴾ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظْلَهَرَا وَقَالُواْ إِنَا بِكُلِ كَفِرُونَ ﴾ [القصص: ٤٨] وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا: ﴿ يَنقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَبَّا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْدِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِ ﴾ الآية [الأحقاف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ نَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى آحْسَنَ وَتَقْصِيلًا ﴾ أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً، لما يحتاج إليه في شريعته كما قال: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءٍ ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلَّذِى آحْسَنَ ﴾ أي: جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقوله: ﴿ مَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴿ وَكَقُولُه: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَكَى إِبْرُهِمَ لَا عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

⁽١) تقدم تخريجه في الآية رقم ١٥١ من هذه السورة الكريمة.

⁽٢) هو أبو نواس كما في شواهد المغنى للبغدادي ٣٩/٣.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَابَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى آَحْسَنَ﴾ يقول أحسن فيما أعطاه الله(١).

وقال قتادة: من أحسن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة (٢).

واختار ابن جرير أن تقديره ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئنَبَ تَمَامًا﴾ على إحسانه فكأنه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمُ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاً﴾ [التوبة: ٦٩] أي: كخوضهم وقال ابن رواحة:

وثبَّت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذي نُصِروا (٣) وقال آخرون: الذي ههنا بمعنى الذين.

قال ابن جرير: وذُكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرؤها (تماماً على الذين أحسنوا)(٤).

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿تَمَامًا عَلَى اللَّذِي آحَسَنَ﴾، قال: على المؤمنين والمحسنين (٥)، وكذا قال أبو عبيدة، وقال البغوي: المحسنون الأنبياء والمؤمنون؛ يعني: أظهرنا فضله عليهم قلت: كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْمُوسَى إِنِي ٱصَّطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَكَتِي وَبِكَلِّمِ﴾ [الأعراف: 1٤٤] ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل ﷺ لأدلة أخرى.

قال ابن جرير: وروى أبو عمرو بن العلاء، عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرؤها: ﴿تماماً على الذي أحسنُ ﴾(٢) رفعاً بتأويل على الذي هو أحسن، ثم قال: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح، وقيل: معناه تماماً على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن إليه، حكاه ابن جرير والبغوي، ولا منافاة بينه وبين القول الأول، وبه جمع ابن جرير كما بيناه، ولله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءِ وَهُدَى وَرَحْمَةً ﴾ فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه ﴿ لَقَلَهُم يلِقَآءِ رَبِهِم يُؤْمِنُونَ ﴿ وَهَذَا كِنَابُ أَزَلْنَهُ مُبَارَكُ فَأَتَبِعُوهُ وَٱتَقُواْ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ ﴿ الله المدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة.

قال ابن جرير: معناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا: ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِئَبُ عَلَىٰ طَآبِفَتَيْنِ مِن

⁽١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر به.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

⁽٣) ورد في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٧٤.

⁽٤) ذكره الطبري معلقاً، والقراءة شاذة تفسيرية.

⁽٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٦) ذكره الطبري معلقاً، والقراءة شاذة تفسيرية.

قَبَلِنَا﴾(١) يعني: لينقطع عذركم كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا فَدَّمَتْ أَيدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبِّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ ءَاينَنِكَ ﴾ الآية [القصص: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ طَآبِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هم اليهود والنصارى(٢) وكذا قال مجاهد والسدي وقتادة(٣) وغير واحد.

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِم لَغَنفِلِينَ﴾ أي: وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عمّا هم فيه.

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوَ أَنَا آَنُولَ عَلَيْنَا ٱلْكِئْبُ لَكُنَّا آهَدَىٰ مِنْهُم اَي: وقطعنا تعللكم أن تقولوا لو أنا أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيما أوتوه كقوله: ﴿وَأَفْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَهِنَ أَنْ أَنْهُم لَهُم لَكِنا أهدى منهم فيما أوتوه كقوله: ﴿وَأَفْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهُم لَهِنَا جَهَمُ لَيَنَهُ مَا أَنْهُم لَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمُم الآية [فاطر: ٤٢]، وهكذا قال ههنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةُ مِن لَيْكُم بَيِّنَةُ مِن الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّن كُذَّبَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنَهَا ﴾ أي: لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صدف الناس وصدهم عن ذلك قاله السدي(٤).

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أعرض عنها (٥). وقول السدي ههنا فيه قوة لأنه قال: ﴿فَنَنْ أَظَلَمُ مِتَن كَذَبَ بِاللَّهِ وَصَدَفَ عَنْها ﴾ كما تقدم في أول السورة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْها ﴾ كما تقدم في أول السورة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْها ﴾ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْها فيه عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْها وَصَدُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَدُنْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصِّدِفُونَ عَنْ ءَايَنِنَا سُوَءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصِّدِفُونَ﴾ وقد يكون المراد فيما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ فَنَنْ ٱظْلَا مِتَن كَذَّبَ بِاَيَنَتِ ٱللهِ وَصَدَفَ عَنَّا أَظْلَا مِتَن كَذَّبَ بِاللهِ وَصَدَفَ عَنَّا ﴾ أي: لا آمن بها ولا عمل بها (٢٠). كقوله تعالى: ﴿ فَلا صَلَقَ وَلا صَلَى ﴿ وَلَا صَلَى ﴿ وَتَوَلَّى اللهِ عَلَى الشّمال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدي أقوى وأظهر، والله أعلم.

⁽١) ذكره الطبري بنحوه.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

⁽٣) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي عروبة عنه.

⁽٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عن السدي مختصراً بلفظ: «فصد عنها».

⁽٥) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه.

⁽٦) هذا تفسير لما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

﴿ هُمَلَ يَنْظُرُونَ إِلَآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَتَهِكُةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْقِبَ بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنْهُمَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْرًا قُلِ انْنَظِرُواْ إِنَّا مُنفَظِرُونَ ﴿ ﴾ .

يقول تعالى متوعداً للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله ﴿ مَلَ يَنْكُرُونَ إِلاَ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَتَهِكُةُ أَوْ يَأْتِي رَبُكِ ﴾ وذلك كائن يوم القيامة ﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُك اَوْ يَأْتِى بَعْضُ اَيْتِ رَبِكُ لا يَنَعُمُ نَفْسًا إِيمَنُهَا ﴾ وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها حين يرون شيئاً من أشراط الساعة كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة، عن أبي هريرة والله قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها » فذلك حين ﴿ لا يَنْهُ نَفْسًا إِيمَنُهُ لَوْ تَكُنّ ءَامَنَتْ مِن فَبْلُ ﴾.

حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وفي لفظ: «فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» ثم قرأ هذه الآية (۱). هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة به.

وأمّا الطريق الثاني فرواه عن إسحاق غير منسوب وقيل: هو ابن منصور الكوسج وقيل: إسحاق بن نصر، والله أعلم. وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع النيسابوري كلاهما عن عبد الرزاق به، وقد ورد هذا الحديث من طرق آخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة به (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجّال ودابّة الأرض (٣) ورواه أحمد عن وكيع، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم سلمان، عن أبي هريرة به وعنده والدخان، ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، عن وكيع ورواه هو أيضاً والترمذي من غير وجه عن أبي بكر بن غزوان به (١)، ورواه إسحاق بن عبد الله الفروي، عن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف الفروي (٥)، والله أعلم.

⁽١) أخرجهما البخاري بسنديهما ومتنيهما (الصحيح، التفسير، باب «قل هلم شهداءكم» ح٤٦٣٥) وباب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيكَنْهَا﴾ (ح٤٦٣٦).

⁽٢) أخرجه مسلم بسنديه (الصحيح، الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح١٥٧) وما بعده.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

⁽٤) المسند ٢/ ٤٤٥، وصحيح مسلم، الباب السابق (ح١٥٨).

⁽٥) ولا يضر ضعف الفروي لأنه قد توبع في الروايات السابقة.

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا شعيب بن الليث، عن أبيه، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنّهُا وَيَكُنّ ءَامَنتَ مِن قَبْلُ﴾ الآية (١)، ورواه ابن لهيعة عن الأعرج، عن أبي هريرة به (٢). ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة به، أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره. وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه (٣) لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر): عن أبي ذرّ الغِفاري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ جُندب بن جنادة شهد قال: قال رسول الله على: «أتدري أين تذهب الشمس إذا غربت؟» قلت: لا أدري قال: «إنها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها: ارجعي فيوشك يا أبا ذرّ أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وذلك حين ﴿لَا يَنْهُعُ نَفْسًا إِيمَنْهُمَا لَرُ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»(٤).

(حديث آخر): عن حذيفة بن أسيد أبي شريحة الغِفاري هيء، قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا سفيان، عن فرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله عي من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله عي «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج الدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» (٥). وهكذا رواه مسلم (١) وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذي: حسن صحيح.

(حديث آخر): عن حذيفة بن اليمان ضطاله.

قال الثوري، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة قال: سألت رسول الله على فقلت: يا رسول الله على فقلت فقلت السول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال النبي على: «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها، فيعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجوم لا ترى قد غابت

⁽۱) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح أخرجه مسلم من طريق الأعرج به (الصحيح، الإيمان، بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح١٥٧).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة به (المسند ٢/ ٣٥٠)، وقد توبع ابن لهيعة في الرواية السابقة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين به (الصحيح، الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار ح٧٠٠٣).

 ⁽٤) صحيح البخاري، التفسير، سورة يس، باب ﴿وَالشَّمْسُ جَحْرِى لِمُسْنَقَرِ لَهَمَا . . . ﴾ [يس: ٣٨] (ح٤٨٠٧)،
 وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (ح١٥٩).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤) وسنده صحيح.

⁽٦) صحيح مسلم، الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح٢٩٠١).

مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون فيطل عليهم جنوبهم حتى يتطاول عليهم الناس ولا يصبحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم» (١) رواه ابن مردويه، وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم.

(حديث آخر): عن أبي سعيد الخدري واسمه: سعد بن مالك بن سنان ﴿ وَأَرْضَاهُ.

وفي حديث طالوت بن عباد، عن فضال بن جبير، عن أبي أمامة صُدي بن عجلان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها»(٤).

وفي حديث عاصم بن أبي النجود عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسّال قال سمعت رسول الله على يقول: «إن الله فتح باباً قبل المغرب عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه» رواه الترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه في حديث طويل (٥).

(حديث آخر): عن عبد الله بن أبي أوفي.

قال ابن مردویه: حدثنا محمد بن علي بن دحیم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا ضرار بن صُرَد، حدثنا ابن فضیل، عن سلیمان بن زید، عن عبد الله بن أبي أوفی قال: سمعت رسول الله على الفاس لیلة تعدل ثلاث لیالي من لیالیکم هذه، فإذا کان ذلك یعرفها المتنفلون یقوم أحدهم فیقرأ حزبه ثم ینام ثم یقوم فیقرأ حزبه ثم ینام، فبینما هم کذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا؟ فیفزعون إلی المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت حتی إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها قال حینئذ لا ینفع نفساً

⁽۱) أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن يوسف الرازي عن إدريس بن علي الرازي عن يحيى بن الضريس عن الثوري به ذكره السيوطي (في اللالئ المصنوعة ٥٨/١)، وفي سنده محمد بن يوسف متهم بالوضع (لسان الميزان ٥٤٦٦٥).

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦٨/١٧ ح٣١٦٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره. أي بالمتابعات والشواهد.

⁽٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام ح٣٠٧١)، وقوله: رواه بعضهم ولم يرفعه. ومنهم ابن أبي شيبة فقد أخرجه من طريق وكيع به موقوفاً (المصنف ١٧٩/١٥).

⁽٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ح٨٠٢٢)، من طريق طالوت به، ومنه فضال بن جبير ضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد ٩/٨)، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة وهي نحو عشرة أحاديث منها: أول الآيات طلوع الشمس من مغربها. (لسان الميزان ٣/٤٣٤) وسنده ضعيف ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو الآتي بعد روايتين، فيكون حسناً لغيره.

⁽٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار (ح٣٥٣) وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي ١٣٥٨ وسنن ابن ماجه، الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (ح٤٠٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٨٩).

إيمانها»(١) هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة.

(حديث آخر): عن عبد الله بن عمرو.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو حيان، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه وهو يحدّث عن الآيات يقول: إن أولها الدجّال قال: فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في يقول: إن أول الآيات خروجاً طلوع الآيات فقال: لم يقل مروان شيئاً حفظت من رسول الله على يقول: "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها» ثم قال عبد الله: _ وكان يقرأ الكتب _: وأظن أولها خروجاً طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع، فأذن لها في الرجوع حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء، ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت: ربّ ما أبعد المشرق من لي بالناس، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها: من مكانك فاطلعي لي بالناس، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها: من مكانك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها، ثم تلا عبد الله هذه الآية ﴿لاَ يَفْعُ نَفْسًا إِينَهُم اللّ تَكُنّ عَامَنتُ مِن فطلعت على الناس من مغربها، ثم تلا عبد الله هذه الآية ﴿لاَ يَفُعُ نَفْسًا وَمُنَهُ مُنَسًا مَن حديث أبي حيان فطلعت على الناس من مغربها، ثم تلا عبد الله هذه الآية والا يقو من جرير به ألى والتيم عرو بن جرير به ألى والنه عبي بن سعيد بن حيان حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به ألى .

(حديث آخر عنه): قال الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زريق الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا ابن لهيعة، عن يحيى بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي على: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، قال: فيجتمع إليه زبانيته فيقولون كلهم: ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، قال: ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا، قال: فأول خطوة تضعها بأنطاكيا(٤) فتأتي إبليس فتلطمه في الرموك فأما رفعه فمنكر، والله أعلم.

(حديث آخر): عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان المجمعين.

⁽۱) سنده ضعيف، سليمان بن زيد ضعيف رماه ابن معين بالوضع (ينظر التقريب ص٢٥١) ويشهد لآخره الحديث التالي، وحديث من رُمي بالوضع لا يرتقي ولا يرقي.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٠١) وسنده صحيح.

⁽٣) صحيح مسلم، الفتن، باب في خروج الدجّال (ح٢٩٤١)، وسنن أبي داود، الملاحم، باب أمارات الساعة (ح٤٣١٠)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (ح٤٠٦٨).

⁽٤) مدينة في بلاد الشام قريبة من مدينة حلب (معجم البلدان ١/٢٦٦).

⁽٥) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

قال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضَمضم بن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر، عن ابن السعدي أن رسول الله على قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل» فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله قال: «إن الهجرة خصلتان: إحداهما: تهجر السيئات، والأخرى: تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكُفي الناس العمل»(١). هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، والله أعلم.

(حديث آخر): عن ابن مسعود ﴿ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ

قال عوف الأعرابي، عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة، عن ابن مسعود أنه كان يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابة الأرض، وخروج يأجوج ومأجوج. قال: وكان يقول الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَاينتِ رَبِّكَ ﴾ الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها (٢).

حديث ابن عباس رفظها.

رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس مرفوعاً فذكر حديثاً طويلاً غريباً منكراً رفعه، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذٍ من المغرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه (٣). وهو حديث غريب جداً بل منكر بل موضوع إن ادعي أنه مرفوع، فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه فغير مدفوع، والله أعلم.

وقال سفيان، عن منصور، عن عامر، عن عائشة رضي قالت: إذا خرج أول الآيات طرحت وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى(٤).

فقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنْهَا لَرَ تَكُنّ ءَامَنَتَ مِن قَبْلُ﴾ أي: إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حينئذٍ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كُسَبَتْ فِيّ إِيمَنِهَا خَيْراً﴾ أي: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٢٠٦ ح١٦٧١) وحسنه محققوه.

⁽٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق عوف الأعرابي به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ١٥٤٥)، ولكن أبا عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود لم يسمع من ابن مسعود إلا أنه يتقوى بما سبق وبالطرق التي ذكرها الطبري بعد هذه الرواية.

⁽٣) في سنده عبد المنعم بن إدريس قال الإمام أحمد: كان يكذب على وهب بن منبه. . . وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وغيره (لسان الميزان ٤/ ٧٤) وروايته هنا عن أبيه عن وهب. فالحديث موضوع كما قرر الحافظ ابن كثير.

⁽٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري وابن أبي شيبة (المصنف ٨/ ٦٧٠) عن سفيان به، وإسناده منقطع لأن عامر الشعبي لم يسمع عائشة.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ النَظِرُوٓا إِنَّا مُننَظِرُونَ﴾ تهديد شديد للكافرين ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لاقتراب الساعة وظهور أشراطها كما قال: ﴿فَهَلَّ يَظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْنِيهُم بَغْتَةً فَقَدَ جَآءَ أَشَرَاطُها فَأَنَى هَمُ إِنَا جَآءَتُهُم ذِكْرَبُهُم اللّه وَحَدَمُ وَكَفَرَنَا بِمَا كُنَا جَآءَتُهُم ذِكْرَبُهُم اللّه وَحَدَمُ وَكَفَرَنَا بِمَا كُنَا بِهِ مُشْرِكِينَ اللّه فَلَم يَعْدَبُهُم لَمّا رَأَوْا بَأْسَنَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِوْدً وَخَسِرَ هُنَالِكَ اللّهِ وَلَا يَعْدُرُونَ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي ثَنَيَّ إِنَّمَاۤ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَيِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَغْعَلُونَ ۞﴾.

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصاري(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد على الله عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ الآية (٢).

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمر السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، كتب إليّ عبّاد بن كثير، حدثنا ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة ولله قال: قال رسول الله على في هذه الآية (إنّ الّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتَ مِنْهُم فِي شَيّعً): "وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة" لكن هذا إسناد لا يصح فإن عبّاد بن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث - وهو ابن أبي سُليم -، عن طاوس، عن أبي هريرة في الآية أنه قال: نزلت في هذه الأمة (٤).

وقال أبو غالب، عن أبي أمامة في قوله: ﴿وَكَانُواْ شِيَعَا﴾ قال: هم الخوارج وروي عنه مرفوعاً ولا يصح^(ه).

وقال شعبة، عن مجالد، عن الشعبي، عن شُريح، عن عمر عليه أن رسول الله عليه قال

⁽۱) قول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد بن سليمان عنه ويشهد له ما سبق.

⁽٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن العوفي به ويشهد له ما سبق، والقراءة بلفظ: «فارقوا» متواترة.

⁽٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن عباد بن كثير وهو الثقفي متروك قال أحمد: روى أحاديث كذب (التقريب ص٢٩٠).

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به، وفي سنده ليث بن أبي سليم فيه مقال ويتقوى برواية الطبراني في الأوسط فقد أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (المجمع / ٢٧ ، ٢٣).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حميد بن مهران عن أبي غالب به، وفي سنده أبو غالب صاحب أبي أمامة صدوق يخطي كما في «التقريب» ولم يتابع، فسنده ضعيف.

لعائشة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعَا﴾ قال: «هم أصحاب البدع» (١٠). وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولا يصح رفعه، والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ أي: فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فيه ولا الله تعالى قد برأ رسول الله على مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَىٰ بِهِ عَنُومًا وَالذِّينَ وَلَا لَنَفَرَقُوا فِيدٍ ﴾ والشورى: ٣٠].

وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» (٢) فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برآء منها كما قال الله تعالى: ﴿لَسَتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءً﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا آمَرُهُمَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُلْتِتُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّدِيثِينَ وَٱلْتَصَرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدُ ﴿ ﴾ [الحج] ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى:

🗀 ﴿مَن جَاةَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۚ وَمَن جَآةً بِٱلسَّنِتَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ 🚳﴾.

وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الأخرى وهي قوله: ﴿مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَمُ خَيْرُ النمل: ٨٩] وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل كَالله: حدثنا عفان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا الجعد أبو عثمان، عن أبي رجاء العطاردي، عن ابن عباس في أن رسول الله في قال: فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «إن ربكم في رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله في ولا يهلك على الله إلا هالك»(٣) ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به (٤٠).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر في قال قال: قال رسول الله على الله على: «من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً، ومن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» (٥) ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به، وعن أبي بكر بن أبي شيبة،

⁽۱) في سنده مجالد ليس بالقوي كما في «التقريب» ص٠٢٥.

⁽٢) تقدم تخريجه وصحته في تفسير سورة المائدة آية ٤٨.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٢٧٩)، وسنده صحيح.

⁽٤) صحيح البخاري، الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة (ح٦٤٩١)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت (ح٢٠٧).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٥٣)، وسنده صحيح.

عن وكيع، عن الأعمش(١) به، ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا شيبان، حدثنا حماد، حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك على أن رسول الله على قال: «من هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يُكتب عليه شيء، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدة»(٢).

واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام: تارة يتركها لله، فهذا تكتب له حسنة على كفّه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فإنما تركها من جرائي أي من أجلي، وتارة يتركها نسياناً وذهولاً عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيراً ولا فعل شراً، وتارة يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها. كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي في أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» (٣).

وقال الإمام أبو يعلى الموصلي: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا مكي، وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة، قالا: حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس، عن جده أنس، قال: قال رسول الله على: «من هم بحسنة كتب الله له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة لم تُكتب عليه حتى يعملها، فإن عملها كُتبت عليه سيئة، فإن تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى إنما تركها من مخافتي»، هذا لفظ حديث مجاهد يعني ابن موسى (٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن الرئين بن الربيع، عن أبيه، عن عمه فلان بن عَميلة، عن خُريم بن فاتك الأسدي، أن النبي على الرئين بن الربيع، عن أبيه، عن عمه فلان بن عَميلة، عن خُريم بن فاتك الأسدي، أن النبي على قال: «إن الناس أربعة والأعمال ستة، فالناس موسع له في الدنيا والآخرة ومقعي في الدنيا والآخرة، مقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة وشقي في الدنيا والآخرة، والأعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعمائة ضعف، فالموجبتان من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة، ومن مات كافراً وجبت له النار، ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كُتبت له حسنة، ومن هم بسيئة لم تُكتب عليه ومن عملها كُتبت واحدة ولم تضاعف عليه، ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها، ومن أنفق نفقة في سبيل الله على كانت بسبعمائة ضعف» (٥) ورواه الترمذي والنسائي من حديث الرُّكين بن

⁽۱) أخرجه مسلم من طريق وكيع وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به (الصحيح، الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء ح٢٦٨٧).

⁽٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١٧٠ ح٣٤٥١)، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق شيبان بن فروخ به (الصحيح، الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ح١٦٢).

⁽٣) تقدم تخريجه وصحته في تفسير سورة المائدة آية ٢٨.

⁽٤) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة كما في «التقريب» ولشقه الأول شاهد صحيح تقدم قبل الرواية السابقة.

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٨٣/٣١ ح١٩٠٣٥) وحسنه محققوه.

الربيع، عن أبيه، عن بشير بن عميلة، عن خريم بن فاتك به ببعضه، والله أعلم (١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي على قال: «يحضر الجمعة ثلاثة نفر، رجل حضرها بلغو فهو حظه منها، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحداً فهي كفّارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله عَلَى يقول: ﴿مَن جَانَهُ إِلَى الْمُحَمِّةُ التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله عَلى يقول: ﴿مَن جَانَهُ إِلَى الْمُحَمِّةُ التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله عَلى يقول: ﴿مَن جَانَهُ عَلَمُ مَنْهُ أَمْنَالِها ﴾ (٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿مَن جَانَة بِالْمُسَنَةِ فَلَمُ عَشَرُ أَمْثَالِها ﴾ (٣).

وعن أبي ذرّ ظليم، قال: قال رسول الله عليم: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كلّه» رواه الإمام أحمد وهذا لفظه (٤٠ والنسائي وابن ماجه والترمذي، وزاد: «فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ﴿مَن جَلَةَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَمُ عَشَرُ أَمْثَالِهَا ﴾ اليوم بعشرة أيام» ثم قال: هذا حديث حسن (٥٠).

وقال ابن مسعود: ﴿مَن جَاتَه بِالْمَسَنَةِ فَلَهُم عَشْرُ أَمَثَالِها ﴾ من جاء بلا إله إلا الله، ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك (٢)، وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم أجمعين، وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته (٧)، لكني لم أروه من وجه يثبت، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً وفيما ذكر كفاية إن شاء الله وبه الثقة.

﴿ وَ اللَّهُ مِدَانِي مَدَانِي رَقِ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَةً إِنْزِهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ مُلَّا اللَّهُ اللَّهُ مِكَانِي وَمُمَاقِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَلْمُ وَبِذَالِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱللَّمْلِمِينَ ۞﴾.

يقول تعالى آمراً نبيه رضي السلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية إلى صراطه

⁽۱) سنن الترمذي (ح١٦٢٥) وحسنه، والسنن الكبرى (ح١١٠٢٧).

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وسنده حسن.

 ⁽٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٣/ ٢٩٨ ح٣٤٥٩)، وسنده ضعيف لأن محمد بن إسماعيل بن
 عياش لم يسمع من أبيه (مجمع الزوائد ٢/ ١٧٣) ويشهد له سابقه.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٣٥/ ٢٢٧ ح٢١٣٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

⁽٥) سنن الترمذي، الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر (ح٧٦٢)، وسنن النسائي، الصيام ٤/ ٢١٩، وسنن ابن ماجه، الصيام، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر (ح١٧٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٣٨٦).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق الأسود بن هلال عن ابن مسعود.

⁽٧) هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «من جاء بالسيئة» قال هي كلمة الإشراك. وسنده ضعيف لأن شيخ ابن أبي حاتم محمد بن عزيز الأيلي ضعيف ويرويه عن سلامة بن روح، وقد تكلموا في صحة سماعه عن عمه سلامة كما في «التقريب».

المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ﴿ وِينَا قِيمًا ﴾ أي: قائماً ثابتاً ﴿ مِلْةَ إِبَرُهِمَ حَنِهَا وَمَا كَانَ مَن الْمُشْرِكِينَ ﴾ كقوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبْرَهِمَ إِلّا مَن سَفِه نَفْسَلُم ﴾ [السقرة: ١٣٠] وقوله: ﴿ وَجَهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَنكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللّهِينِ مِنْ حَرَجٌ مِلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِن المُشْرِكِينَ ﴿ سَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ السَّعَيْمِ الله المَعْمِ الله عَن الله المُعْمِينَ السَّلِحِينَ ﴿ وَمَا لَيْنَ المُسْتِعِينَ الله المحلوم المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المخلود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ المُوسِودُ الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل ﴿ الله المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ الله المُعْمُولِ الله المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ الله المُعْلِدُ الله المُعْمُولُ الله المُعْمُولُ المُعْمُولُ الله المُعْلِدُ الله المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْلِمُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْلِمُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ المُعْمِولُ اللهِ المُعْلِمُ اللهِ المُعْلِمُ المُعْمُولُ اللهُ المُعْلِمُ المُعْمُولُ المُعْمُولُ اللهُ المُعْمُولُ المُ

وقد قال ابن مردویه: حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص، حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو داود الطیالسي، حدثنا شعبة، أنبأنا سلمة بن کهیل، سمعت ذرّ بن عبد الله الهمداني یحدث عن ابن أبزى عن أبیه، قال: كان رسول الله على إذا أصبح قال: «أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الإخلاص ودین نبینا محمد وملة أبینا إبراهیم حنیفاً وما كان من المشركین»(۱).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس على أنه قال: قيل لرسول الله على: أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الحنيفية السمحة»(٢). وقال أحمد أيضاً: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة على قالت: وضع رسول الله على ذقني على منكبه، لأنظر إلى زَفَن (٣) الحبشة حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه. قال عبد الرحمن عن أبيه قال: قال لي عروة: إن عائشة قالت: قال رسول الله على يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة»(٤)، أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرقها في شرح البخاري ولله الحمد والمئة.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد من طريق سفيان الثوري عن سلمة به (المسند ٢٤/٧٩ ح١٥٣٦٣) وحسنه محققوه.

 ⁽۲) في سنده محمد بن إسحاق ولم يصرح بالسماع وسنده ضعيف ويتقوى بالشواهد إذ أخرجه البخاري معلقاً وحسنه الحافظ ابن حجر بالشواهد (الفتح ۱/۹۶).

⁽٣) زَّفن الحبشة أي رقص ولعب أهل الحبشة (ينظر النهاية ٢/٣٠٥).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٤/٤١ ح٣٤٩/٥)، وقال محققوه: سند حسن. وحسنه الحافظ ابن حجر (الفتح ٢/٤٤٤) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٨٨١).

⁽٥) صحيح البخاري، الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد (ح٤٥٤)، وصحيح مسلم، صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب. . . (ح٨٩٢).

تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. قال مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: النسك: الذبح في الحج والعمرة (١٠).

وقال الثوري، عن السدي، عن سعيد بن جبير ﴿وَنُسُكِي﴾ قال ذبحي (٢)، وكذا قال السدي والضحاك (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله قال: ضحّى رسول الله على يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما: "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" (3).

وقوله ﷺ: ﴿وَأَنَا أُوِّلُ ٱلْسُلِمِينَ﴾ قال قتادة: أي من هذه الأمة (٥)، وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوجِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَاۤ إِلَّهَ إِلَّا أَنَّا فَأَعْبُدُونِ ۞ ﴿ [الأنبياء] وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ۚ ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُدُّ فَمَا سَأَلَتُكُم مِنْ أَجْرٌ إِنْ أَجْرِى ۚ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۗ ۞﴾ [يـونـس] وقـال تـعـالـي: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةٍ ۚ إِبْرَهِـُمَر إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَأُم وَلَقَدِ ٱصَّطَفَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَأَ وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُۥ ٱسْلِمٌ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَاۤ إِبْرَهِعُمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۚ يَبَنِيٓ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلَّذِينَ فَلَا تَمُونُكُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾ [البقرة] وقال يوسف عَلِيُّهُ: ﴿ ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلِّكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَكَادِيثُ فَاطِرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ آنَتَ وَلِيِّ. فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَٱلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ ۞﴾ [بـوَسـف] وقــال مــوســـى: ﴿ يَفَوْمِ إِن كَنُنُمُ ءَامَنُهُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنُهُم مُّسْلِمِينَ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا جَعَلْنَا فِتْـنَةً لِلْقَوْمِ ٱلظَّللِمِينَ ﴿ فَجَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَيَّةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ يَعَكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيتُونَ ٱلَّذِينَ أَسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّنِينُونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ الآية [السائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِبِّينَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوًا ءَامَنًا وَأَشْهَدَ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾ [المائدة] فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً، إلى أن نسخت بشريعة محمد عليه التي لا تنسخ أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة، ولهذا قال عليه: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»(٢٦) فإن أولاد العلات هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى، فالدين واحد وهو

⁽١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

⁽٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الثوري به، وأخرجه أيضاً من طريق الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير، وسنده صحيح.

⁽٣) قول السدي أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أسباط عنه، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عنه، ويشهد له سابقاه.

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح٥٢٨).

⁽٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

⁽٦) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة (صحيح البخاري ـ أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَأَذْكُرُ فِي ٱلْكِنَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (ح٣٤٢) وصحيح مسلم، الفضائل، باب فضائل عيسى عليه الصلاة والسلام (ح٣٦٥).

عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى، والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة. والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون، حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الأعرج، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي ظيه، أن رسول الله يه كان إذا كبر استفتح ثم قال: ﴿وَجَهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْانعام: ٧٩] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَشُكِي وَعَيَاى وَمَاقِ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَنَ اللّهِم أَنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك "ثم ذكر تمام الحديث (١) فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم في صحيحه (٢).

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ اللَّهِ أَبْغِى رَبَّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيَّءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةً وِذَرَ الْحَرَىٰ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِئِكُمْ فِينَا كُنتُمْ فِيهِ تَغْلَفُونَ ﴿ ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ قُلَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه ﴿ أَغَيَرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ أي: أطلب رباً سواه، ﴿ وَهُو رَبُّ كُلِّ شَيَّءٍ ﴾ يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه، لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر.

فهذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا المعني يقرن بالآخر كثيراً في القرآن كقوله تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا له: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ وَوَله : ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ [المات تحد]، وقوله : ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فَوَ اللّهِ إِلّهُ إِلّهُ إِلّا هُو فَوله : ﴿ وَلَهُ اللّهَ وَاللّهُ إِلّهُ إِلّهُ إِلّهُ اللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ وَالمَرْمِلَ]، وأشباه ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُ نَفْسِ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْدَ أُخْرَى ﴾، إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِبْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَيْ ﴾ [فاطر: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَعَافُ ظُلْماً وَلَا هُشَمّا ﴾ [طه: ١١٢] قال علماء التفسير: أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته وقال تعالى: ﴿كُلُ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ إِلّا أَصَحَابِ اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم كما قال في سورة الطور ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَانَّعَنْهُمْ ذُرِّيَّهُمْ بِإِيمَنِ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَمَا

⁽١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه مطولاً (المسند ٢/ ١٣٣ - ١٣٣ ح٧٢٩) وصححه محققوه.

⁽٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (ح٧٧١).

أَلْنَاهُمْ مِّنَ عَلِهِم مِن شَيَّوِ﴾ [الطور: ٢١] أي: ألحقنا بهم ذريتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان، وما ألتناهم أي أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئاً حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته، ثم قال: ﴿كُلُّ أَمْرِي عِمَا كُسَبَ رَهِينً ﴾ [الطور: ٢١] أي: من شر.

وقوله: ﴿ ثُمُ إِلَىٰ رَبِّكُم مَرِّجِكُم فَيُنِيَّكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَغْلِفُونَ ﴾ أي: اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ قُل لًا ثُنْتُلُونَ عَمَّا أَجْرَفْنَا وَلَا نُسْتُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ فَلُو تُنْفَالُونَ عَمَّا أَجْرَفْنَا وَلَا نُسْتُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ فَلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَقْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُو ٱلْفَشَاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ إِسِاءً.

﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَتِهِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَنتِ لِيَـبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُو ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمُ ۞﴾.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَتِهَ ٱلأَرْضِ﴾ أي: جعلكم تعمرون الأرض جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد سلف. قاله ابن زيد وغيره (١)، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُر مَّلَتَهِكَةً فِي ٱلأَرْضِ يَعْلَفُونَ ﴿ وَالزخرف وكقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلأَرْضِ ۚ وَالنمل: ١٢] وقوله: ﴿ وَسَىٰ رَبُكُمْ أَن يُهَلِكَ عَدُوّكُمْ وَسَنَا فِي ٱلأَرْضِ فَينَظُرَ كَيْفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُكُمْ أَن يُهَلِكَ عَدُوّكُمْ وَسَنَافِلُكُ عَدُوّكُمْ فَي ٱلأَرْضِ فَينَظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمُ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَتِ﴾ أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك، كقوله تعالى: ﴿غَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتُهُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا وَرَفَعْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَتِ لِيَتَخِذَ بَعْضُهُم بَعْضَا سُخْرِيًا ﴾ [الـزخـرف: ٣٢] وقوله: ﴿أَنْظُرَ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتِ وَأَكْبَرُ تَقْضِيلًا ﴿ الْإسراء].

وقوله تعالى: ﴿ لِيَبَلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَنكُرُ ۚ أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع ، فيمن عصاه وخالف رسله ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خبر وطلب . وقال محمد بن إسحاق: يرحم العباد على ما فيهم ، رواه ابن أبي حاتم (٣) . وكثيراً ما يقرن الله

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد. (۲) صحيح مسلم، الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (ح۲۷٤۲).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق سلمة عن أبن إسحاق.

تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشُويدُ ٱلْمِعْدِ وَالرَّعِيدُ الْمَعْدَابُ الْمُعْدَابُ الْمُعْدَابُ الْمُعْدَابُ الله المرغبة والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وهذا لينجعَ في كلِّ بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعوا فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، [حدثنا زهير](۱) عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً، أن رسول الله على قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنّة، خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون»(۱). ورواه الترمذي عن قتيبة، عن عبد العزيز الدراوردي، عن العلاء به، وقال: حسن (۱)، ورواه مسلم، عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء (٤).

آخر تفسير سورة الأنعام [ولله الحمد والمنة] (٥)، اللهم مُنّ علينا بالعفو والعافية، وهب لنا جزيل الإنعام، وصلّ وسلم على سيدنا محمد وآله.

⁽١) كذا في (عش) و(حم) و(مح) والمسند وفي الأصل خُرِّف إلى: «بن زهير».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٤٨٤) وسنده صحيح.

⁽٣) سنن الترمذي، الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة... (ح٣٥٤٢).

⁽٤) صحيح مسلم، التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (ح٧٧٥).

⁽٥) ما بين معقوفين زيادة من (عش) و(حم).

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	سورة النساء
٦	تفسير الآية: ١ ١ تفسير الآية: ١
٧	تفسير الآيات: ٢ ـ ٤ تفسير الآيات: ٢ ـ ٤
١٤	تفسير الآيتان: ٥ ـ ٦ تفسير الآيتان: ٥ ـ ٦
۲.	تفسير الآيات: ٧ ـ ١٠
70	تفسير الآية: ١١١١
٣٢	تفسير الآية: ١٢١٠ تفسير الآية: ١٣
٣٤	تفسير الآيتان: ١٣ ـ ١٤
٣٥	تفسير الآيتان: ١٥ ـ ١٦
٣٧	تفسير الآيتان: ١٧ ـ ١٨
٤١	تفسير الآيات: ١٩ ـ ٢٢ ٢٢
٥٠	تفسير الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤ ٢٤ ما تفسير الآيتان: ٢٣ ـ ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
77	تفسير الآية: ٢٥٠٠٠ تفسير الآية: ٢٥
٨٢	تفسير الآيات: ٢٦ ـ ٢٨
٧٠	تفسيرُ الآيات: ٢٩ ـ ٣١ ـ
۸۷	تفسير الآية: ٣٢٣٠ تفسير الآية:
۹.	تفسير الآية: ٣٣
٩ ٤	تفسير الآية: ٣٤ ٣٤
97	تفسير الآية: ٣٥
99	تفسير الآية: ٣٦٣٠
1.0	تفسير الآيات: ٣٧ ـ ٣٩
۱۰۷	تفسير الآيات: ٤٠ ـ ٢٢
111	تفسير الآية: ٤٣
١٢٧	تفسير الآيات: ٤٤ ـ ٢٦

الصفحة	الموضوع
۱۲۸	تفسير الآيتان: ٤٧ ـ ٤٨
١٣٥	تفسير الآيات: ٤٩ ـ ٥٢ ـ
١٤٠	تفسير الآيات: ٥٣ ـ ٥٥
1 2 1	تفسير الآيتان: ٥٦ ـ ٥٧
184	تفسير الآية: ٨٥
127	تفسير الآية: ٥٩
101	تفسير الآيات: ٦٠ ـ ٦٣
107	تفسير الآيتان: ٦٥ ـ ٦٥ تفسير الآيتان: ٦٥ ـ ٦٥
100	تفسير الآيات: ٦٦ ـ ٧٠
17.	تفسير الآيات: ٧١ ـ ٧٤
171	تفسير الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦
177	تَفْسير الآيات: ٧٧ ـ ٧٩
177	تفسير الآيتان: ٨٠ ـ ٨١
۱٦٨	تفسير الآيتان: ٨٣ ـ ٨٣
١٧١.	تفسير الآيات: ٨٤ ـ ٨٨
100	تفسير الآيات: ٨٨ ـ ٩١ ـ
۱۷۸	تفسير الآيتان: ٩٣ ـ ٩٣
۱۸۷	تفسير الآية: ٩٤٩٤
19.	تفسير الآيتان: ٩٥ ـ ٩٦
194	تفسير الآيات: ٩٧ _ ١٠٠
191	تفسير الآية: ١٠١
۲۰۳	تفسير الآية: ١٠٢
7.9	تفسير الآيتان: ١٠٣ ـ ١٠٨
۲۱.	تفسير الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٩
317	تفسير الآيات: ١١٠ ـ ١١٣
717	تفسير الآيتان: ١١٤ ـ ١١٥
Y.1 A	تفسير الآيات: ١١٦ ـ ١٢٢
777	تفسير الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٦
۲۳.	تفسير الآية: ١٢٧١٢٧

الصفحة	الموضوع
۲۳۱	تفسير الآيات: ١٢٨ ـ ١٣٠
۲۳٦	تفسير الآيات: ١٣١ _ ١٣٤
۲۳۷	تفسير الآية: ١٣٥
۲۳۸	تفسير الآية: ١٣٦
749	تفسير الآيات: ١٣٧ _ ١٤٠
7 2 1	تفسير الآية: ١٤١
754	تفسير الآيتان: ١٤٢ ١٤٣
757	تفسير الآيات: ١٤٤ _ ١٤٧
7 2 7	تفسير الآيتان: ١٤٨ ـ ١٤٩
۲0٠	تفسير الآيات: ١٥٠ _ ١٥٢
701	تفسير الآيتان: ١٥٣ _ ١٥٤
707	تفسير الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٩
777	تفسير الآيات: ١٦٠ ـ ١٦٠
377	تفسير الآيات: ٦٦٣ ـ ١٦٥
7.4.1	تفسير الآيات: ١٦٦ ـ ١٧٠
777	تفسير الآية: ١٧١
440	تفسير الآيتان: ١٧٢ ـ ١٧٣
۲۸۲	تُفسير الآيتان: ١٧٤ ـ ١٧٥
YAY	تفسير الآية: ١٧٦
	سورة المائدة
498	تفسير الآيتان: ١ ـ ٢ ـ
	تفسير الآية: ٣ تفسير الآية: ٣
	ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	تفسير الآية: ٥
	تفسير الآية: ٦ تفسير الآية: ٦
	تفسير الآيات: ٧ ـ ١١ تفسير الآيات: ٧ ـ ١٠
	تفسير الآيات: ١٢ ـ ١٤ ١٤ ـ
	تفسير الآيتان: ١٥ ـ ١٦
401	تفسير الآيتان: ١٧ _ ١٨

الصفحة	الموضوع
70 V	تفسير الآية: ١٩
409	تفسير الآيات: ٢٠ _ ٢٦
۸۲۳	تفسير الآيات: ٢٧ ـ ٣١ ـ
444	تفسير الآيات: ٣٢ _ ٣٤
۳9.	تفسير الآيات: ٣٥ _ ٣٧
498	تفسير الآيات: ٣٨ _ ٤٠
۳۹۸	تفسير الآيات: ٤١ _ ٤٤
٤٠٦	تفسير الآية: ٤٥
٤١١	تفسير الآيتان: ٤٦ _ ٤٧
213	تفسير الآيات: ٤٨ _ ٥٠
٤١٧	تفسير الآيات: ٥١ _ ٥٣
٤٢٠	تفسير الآيات: ٥٤ _ ٥٦
٤٢٥	تفسير الآيتان: ٥٧ _ ٥٨
٤ ٢ ٧	تفسير الآيات: ٥٩ _ ٦٣
٤٣٠	تفسير الآيات: ٦٤ _ ٦٦
٤٣٣	تفسير الآية: ٦٧تفسير الآية: ٦٧
٤٣٨	تفسير الآيتان: ٦٨ _ ٦٩
٤٣٩	تفسير الآيتان: ٧٠ ـ ٧١
٤٠٤٠.	تفسير الآيات: ٧٧ _ ٧٥
733	تفسير الآيتان: ٧٦ _ ٧٧
2 2 4	تفسير الآيات: ٧٨ ـ ٨١ ـ
٤٤٨	تفسير الآيات: ٨٦ _ ٨٦
٤٥١	تفسير الآيتان: ٨٧ _ ٨٨
200	تفسير الآية: ٨٩
٤٦٠	تفسير الآيات: ٩٠ ـ ٩٣ ـ
£ V Y	تفسير الآيتان: ٩٤ _ ٩٥
٤٧٩	تفسير الآيات: ٩٦ _ ٩٩
የ ለ3	تفسير الآيات: ١٠٠ _ ١٠٠
٤٩٠	تفسير الآيتان: ١٠٣ _ ١٠٤

الصفحة	الموضوع
٤٩٤	تفسير الآية: ١٠٥
٤٩٨	تفسير الآيات: ١٠٦ _ ١٠٨
٥٠٤	تفسير الآية: ١٠٩
٥٠٥	تفسير الآيتان: ١١٠ _ ١١١
٥٠٧	تفسير الآيات: ١١٢ ـ ١١٥
٥١٤	تفسير الآيات: ١١٦ _ ١١٨
٥١٧	تفسير الآيتان: ١٦٩ _ ١٢٠
	سورة الأنعام
٥٢٠	تفسير الآيات: ١ ـ ٣ ـ
	- 3-
٥٢٢	تفسير الآيات: ٤ ـ ١١
٥٢٣	تفسير الآيات: ١٢ _ ١٦
070	تفسير الآيات: ١٧ _ ٢١
770	تفسير الآيات: ٢٢ _ ٢٦
٥٢٨	تفسير الآيات: ٢٧ _ ٣٠
079	تفسير الآيتان: ٣١ ـ ٣٢
۰۳۰	تفسير الآيات: ٣٣ _ ٣٦ _ ٣٦
٥٣٣	تفسير الآيات: ٣٧ _ ٣٩ تفسير الآيات: ٣٧ _ ٣٩
٥٣٥	تفسير الآيات: ٤٠ ــ ٤٥
570	تفسير الآيات: ٤٦ _ ٤٩
٥٣٧	تفسير الآيات: ٥٠ _ ٥٤
0 2 7	تفسير الآيات: ٥٥ ـ ٥٩
٥٤٤	تفسير الآيات: ٦٠ _ ٦٢ _ ٦٠
087	تفسير الآيات: ٦٣ _ ٦٥
000	تفسير الآيات: ٦٦ _ ٦٩ تفسير الآيات: ٦٩ ـ ٢٦
007	تفسير الآية: ٧٠٧٠ تفسير الآية:
0 0 V	تفسير الآيات: ٧٦ ـ ٧٣ ـ
०२१	تفسير الآيات: ٧٤ ـ ٧٩
۸۲٥	تفسير الآيات: ٨٠ ـ ٨٣ ـ
٥٧٢	تفسد الآبات: ٨٤ ـ ٩٠ ـ

الصفحة	ו <u>ט</u>	الموضوع
٤٧٥	٠٠٠٠٠٩٢	تفسير الآيتان: ٩١ ـ
770	٩٤	تفسير الآيتان: ٩٣ ـ
٥٧٨	9v	تفسير الآيات: ٩٥ _
٥٧٩	99	تفسير الآيتان: ٩٨ _
٥٨١	••••••	تفسير الآية: ١٠٠
٥٨٢	•	تفسير الآية: ١٠١
٥٨٣		تفسير الآيتان: ١٠٢
710	1.0_	تفسير الآيتان: ١٠٤
٥٨٨		تفسير الآيتان: ١٠٦
٥٨٩	••••••	تفسير الآية: ١٠٨
09.		تفسير الآيتان: ١٠٩
097		تفسير الآيات: ١١١
097		تفسير الآيات: ١١٤
٥٩٧		تفسير الآيات: ١٢٠
٥٩٨	•••••	تفسير الآية: ١٢١
٦٠٤	•	تفسير الآية: ١٢٢
7.0		تفسير الآيتان: ١٢٣
۸•۲	•••••	تفسير الآية: ١٢٥
111	٠٠٠٠٠ ١٣٨ ـ	تفسير الآيات: ١٢٦
717	•••••	تفسير الآية: ١٢٨
715	•••••	تفسير الآية: ١٢٩
315	•••••	تفسير الآية: ١٣٠
710		تفسير الآيتان: ١٣١
717		تفسير الآيات: ١٣٣
717		تفسير الآية: ١٣٦
A,IF	•••••	تفسير الآية: ١٣٧
719	•••••	تفسير الآية: ١٣٨
٠٢٢	•••••	تفسير الآية: ١٣٩
175		تفسير الآيات: ١٤٠

الصفحاً	الموضوع
777	تفسير الآيتان: ١٤١ ،
270	تفسير الآيتان: ١٤٣ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
777	تفسير الآية: ١٤٥
۸۲۶	تفسير الآية: ١٤٦
177	تفسير الآيات: ١٤٧ _ ١٥٠
۲۳۲	تفسير الآية: ١٥١
747	تفسير الآية: ١٥٢
۸۳۲	تفسير الآية: ١٥٣
781	تفسير الآيتان: ١٥٤ _ ١٥٥
787	تفسير الآيتان: ١٥٦ ـ ١٥٧
788	تفسير الآية: ١٥٨
789	تفسير الآية: ١٥٩
70.	تفسير الآية: ١٦٠
707	تفسير الآيات: ١٦١ _ ١٦٣
700	تفسيرُ الآية: ١٦٤
707	تفسير الآية: ١٦٥
AAF	🛎 فه سر المدين هات





	Ø
·	
	<u> </u>
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	<u> </u>
	Ø
	Ø
	<u> </u>
	Ø
	<u>K</u>





æ.
Ø
Ø
2
$ \varnothing $
P
al a
Ø
~
Ø
~
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
a de la companya della companya della companya de la companya della companya dell
Ø
<u> </u>
<u> </u>
Ø
Ø
Ø





	~
	<u> </u>
	Ø
	Ø
	 <u>K</u>
	S
	Ø
	Ø
,	
•	Z.
	
	Ø
 	∠
	Ø
	Ø
	 <u> Z</u>
	Ø
	∠
<u> </u>	
	Ø
 	
	æ/
	<u> </u>
 	 <u> </u>





~-/
Ø
~
Ø
Ø
Ø
Ø
~
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
E
E
~
Ø
Ø
Ø
Ø
Ø
E
z





	Ø
	<u> </u>
	Ø
	2
	Ø
	Ø
	Ø
	<u> </u>
	Ø
:	
	Ø
	<u> </u>
	Ø
	Ø
	&
	<u> </u>
	Ø
	Ø
	<u> </u>
	<u> </u>
	Ø





	_
	<u>s</u>
	_
· · · · · ·	<u>&</u>
•	
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø
	Ø





				Ø
		.,		<u> </u>
				Ø
				Ø
			 	Ø
				Ø
				Ø
	2			
				<u> </u>
				Ø
<u> </u>				Ø
				<u> </u>
				Ø
				Ø
				<u> </u>
				Ø
	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·		 	
				Ø
				<u> </u>
				Ø
The American Commence			 	
				Ø

دار این المپوزی 8428146